
التبيان
في تعريف سور القرآن
تأليف
الدكتور عبدالله خضر حمد
الجزء الأول

التبيان في تعريف سور القرآن

الدكتور عبدالله خضر حمد
باحث عراقي
الجزء الأول

ملاحظة:

إلى الذين يرغبون بطبع هذا الكتاب من دور النشر والجهات الخيرية، يرجى مراسلة المؤلف -لطفا وتكرما- على البريد الالكتروني الآتي، وذلك لإرسال الكتاب بأحدث نسخة وبصيفة(word)إن شاء الله، وفقنا الله تعالى وإيَّاكم لما يرضيه برحمته، آمين.

abdulla.khdhir@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

{يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِير}

[المجادلة : ١١]

الإهداء

إلى زوجتي وشريكة حياتي...

إلى ابنتي الغالية هدى....قرة العين.

تعبيرا عن الوفاء والمحبة...

د. عبدالله خضر

المحتويات

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل القرآن الكريم بحكمته وعلمه، وأعجز الثقلين الجن والإنس أن يأتوا بمثله، القائل جل شأنه: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨)} [الإسراء : ٨٨] ، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي أوحى إليه ربه بالقرآن العظيم ليكون للعالمين بشيراً ونذيراً، القائل: "ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه"(١)، وقال عليه الصلاة والسلام: "ما من الأنبياء نبي إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة"(٢)، وقال صلى الله عليه وسلم: "خيركم من تعلم القرآن وعلّمه"(٣).

ومما لا شكّ فيه ان القرآن الكريم كلام الله وهو المعجزة الخالدة والحجة البالغة ؛ لأنه مبرأ من القصور والضعف البشري ، وهو يعلو ولا يُعلى عليه كلام آخر ، تحدى العرب قديماً وحديثاً، وهم أهل الفصاحة واللسان وفرسان البلاغة والبيان فعجزوا عن مجاراته هم وشركاؤهم من الجن ، قال تعالى :{قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الإسراء : ٨٨].

فالقرآن الكريم كتاب تنزلت آياته على البشرية الحائرة، كما تتنزل قطرات المزن الصافية على الأرض المجدبة القاحلة، فتحيي مواتها، وتعيد شبابها، وتجدد إهابها، وترجعها رياضاً مزهرة وجنات باهرة. ولقد صنع القرآن المجيد بعقول الناس وقلوبهم الأعاجيب، وحول وجهتهم إلى طريق جديد، وأخرجهم من الظلمات إلى النور، وهداهم إلى صراط العزيز الحميد، ووضع أبصارهم وأيديهم على حقيقة عزهم في الدنيا، ومعقد سعادتهم في الآخرة، ولذلك كان القرآن دستور البشرية الذي لا يبلى، ووردها الذي لا ينسى، {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}[الحجر: ٩].

وأعتقد-جزما- بأن دراسة القرآن الكريم هو من أشرف المطالب والعلوم، وأرفعها وأسناها، لأنه يتعلق بأشرف كتاب سماوي أنزل، ولا شك أن شرف العلم من شرف موضوعه ، ولا يخفى على أحد أن القرآن الكريم أساس العلوم ومنبعها، ودائرة شمسها ومطلعها، وقد جعله سبحانه تبياناً لكل شيء .

فالقرآن الكريم خير كتاب أنزل على أشرف رسول إلى خير أمة أخرجت للناس بأفضل الشرائع وأسمحها وأكملها، وهو كلام الله المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين بواسطة الأمين جبريل عليه السلام، المتلو بالألسنة المحفوظ في الصدور، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته المبدوء بسورة الفاتحة المختتم بسورة الناس قال تعالى: {وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} [الشعراء: ١٩٢-١٩٥]، أنزله الله تعالى ليكون دستورًا للأمة وهداية للخلق وليكون آية على صدق الرسول -صلى الله عليه وسلم- وبرهانًا ساطعًا على نبوته ورسالته وحجة قاطعة قائمة إلى يوم الدين: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا}[الإسراء: ٨٨] أنزل القرآن ليقرأه المسلم فيثاب عليه بكل حرف عشر حسنات كما جاء في الحديث(٤) عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، أنزل القرآن ليتدبر

---

(١)أبو داود (٤٦٠٤)، وأحمد ١٣١/٤.
(٢)البخاري (٤٦٩٦)، ومسلم (١٥٢).
(٣)أبو داود (١٤٥٢)، والترمذي (٢٩٠٧)، وابن ماجه (٢١١).
(٤) الذي رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

المسلم آياته ويتفكر في معانيه وأوامره فيمتثلها ونواهيه فيجتنبها وليتذكر ما فيه من الوعد والوعيد والثواب والعقاب قال تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ} [ص: ٢٩].

أنزل القرآن ليعلم به المسلم فيحل حلاله ويحرم حرامه ويعمل بمحكمه ويؤمن بمتشابهه، ويتعظ بمواعظه ويعتبر بأمثاله، ويتلوه حق تلاوته فيكون حجة له عند ربه وشفيعًا له يوم القيامة قال -صلى الله عليه وسلم-: «القرآن حجة لك أو عليك»[١]، وقد تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، قال تعالى: {مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى} [طه: ١٢٣]، وقد سماه الله روحًا لتوقف الحياة الحقيقية عليه، ونوارًا لتوقف الهداية عليه قال تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا} [الشورى: ٥٢].

وانطلاقا من هذه المسوغات وغيرها تولدت رغبتنا في اختيار هذا البحث الذي يسعى الى التعريف بسور القرآن الكريم من خلال هذه الدراسة التي وسمناها بـ(**التبيان في تعريف سور القرآن**).

وعليه وتبعا لمقتضيات الموضوع فقد ضمّت الدراسة تمهيدا وجزأين اثنين تتلوهما خاتمة:

التمهيد: اختص بمهاد عام حول علوم القرآن، ويشمل محورين اثنين:

المحور الأول: مفهوم القرآن والوحي والإعجاز

أولا:- تعريف القرآن لغة واصطلاحاً

ثانيا:- مفهوم الوحي

ثالثا:- نزول القرآن

رابعا: - مراحل جمع القرآن وترتيبه

خامسا:- إعجاز القرآن

المحور الثاني: التعريف بأسماءالقرآن والسور، وبيان فضائل القرآن

أولا:- أسماء القرآن الكريم وأوصافه.

ثانيا:- أسماء السور

ثالثا:- فضائل القرآن الكريم

الجزء الأول: يتكون من: التعريف بسور القرآن الكريم من "سورة الفاتحة" إلى "سورة فصلت".

وأما الجزء الثاني: فيتناول التعريف بسور القرآن الكريم من "سورة الشورى" إلى "سورة الناس".

الخاتمة: وفيها استظهرنا أهم النتائج التي توصلت إليها البحث.

وأما **منهج الدراسة**، فقد كان وفق الجوانب الآتية:

أولا:- فقد قام البحث بذكر مقدمة حول كل سورة من حيث ترتيبها وعدد حروفها وآياتها، والمختلف فيها من الآيات، ومجموع فواصلها.

ثانيا:- بيان أسماء السورة: التوقيفية والاجتهادية-إن وجدت-.

ثالثا:- ذكر مكان نزول السورة(المكي أو المدني)، مع ذكر الاختلاف والأقوال فيها مستندا بالروايات الموثوقة.

رابعا:- بيان مناسبة السورة لما قبلها من السور.

الخامس:- سرد مقاصد السورة وما تضمنتها.

السادس:- بيان الناسخ والمنسوخ في السورة-إن وجد-.

السابع: ذكر ما ورد من الآثار في فضائل السورة، وبيان درجة الاحاديث الواردة فيها.

---

(١) رواه مسلم.

وفي الختام: أسأل الله أن يعلمني ما ينفعني وينفعني بما علمني ويزيدني علماً، وأن يجعل ما أقوم به خالصاً لوجهه الكريم، إنه ولي ذلك والقادر عليه والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المؤلف

التمهيد: مهاد عام حول علوم القرآن، ويشمل ثلاثة محاور:

المحور الأول: مفهوم القرآن والوحي

أولا:- تعريف القرآن لغة واصطلاحاً
ثانيا:- مفهوم الوحي
ثالثا:- نزول القرآن
رابعا: - مراحل جمع القرآن وترتيبه
خامسا:- إعجاز القرآن

أولا:- تعريف القرآن لغة واصطلاحاً

اختلف العلماء في تعريف القرآن لغة:

القول الأول : أن كلمة القرآن مهموزة على وزن فُعلان مشتق من القرء بمعنى الجمع.

قيل: "القرآن على وزن فعلان، كغفران وشكران...وهو مهموز كما في قراءة جمهور القراء، ويقرأ بالتخفيف (قُرآن) كما في قراءة ابن كثير"[١]، قال ابن فارس: "القاف والراء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على جمع واجتماع، ومنه القرآن كأنه سمي بذلك لجمعه ما فيه من الأحكام والقصص وغير ذلك"[٢] ، والقرآن سمي بذلك لأنه جمع ثمرات الكتب السابقة، والقرآن "أصله من (القرء) بمعنى: الجمع والضم، يقال: قرأت الماء في الحوض، بمعنى: جمعته فيه، يقال: ما قرأت الناقة جنيناً، أي لم تضمَّ رحمها على ولد، وسُمي القرآن قرآناً؛ لأنه يجمع الآيات والسور، ويضم بعضها إلى بعض"[٣].

القول الثاني : أن كلمة القرآن مشتقة من (قرأ) بمعنى ألقى وأظهر.

وقيل: "القرآن مأخوذ من (قرأ) بمعنى: تلا، وهو مصدر مرادف للقراءة، وقد ورد بهذا المعنى في قوله تعالى:[إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ] {القيامة:١٧-١٨}، أي: قراءته، ومنه قول حسان بن ثابت (رضي الله تعالى عنه) في رثاء عثمان بن عفان(رضي الله تعالى عنه):

ضحوا بأشمط[٤] عنوان السجود به ... يقطع الليل تسبيحاً وقرآناً[٥]

أي: قراءة"[٦].

وقال الإمام الشافعي- رحمه الله-: "لفظ القرآن ليس مشتقاً، ولا مهموزاً، وأنه قد ارتجل وجعل عَلَماً للكتاب المنزل، كما أطلق اسم التوراة على كتاب موسى، والإنجيل على كتاب عيسى صلى الله عليهما وسلم"[٧].

ومما سبق يتضح للباحث أن القرآن لغةً فيه أربعة أقوال:

١- أنه وضع علماً على كلام الله المنزل على محمد (صلى الله عليه وسلم).
٢- أنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضممته إليه وجمعته.
٣- أنه وصف على وزن فعلان وهو مهموز مشتق من القرء بمعنى الجمع.
٤- أنه مصدر مرادف للقراءة سمي به المقروء من تسمية المفعول بالمصدر.

والقول الراجح هو أن القرآن مأخوذ من (قرأ) بمعنى: تلا، وهو مصدر مرادف للقراءة يدل على ذلك الآية السابقة: :[إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ] {القيامة:١٧-١٨}أي قراءته – وقوله: [وَقُرْآنَ الفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا] {الإسراء:٧٨}، أي: قراءة الفجر[٨].

٢- تعريف القرآن في الاصطلاح:

---

(١) جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء للدكتور/ عبد القيوم عبد الغفور السندي ص٨ ، (بدون)

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٥/ ٧٨ ، ٧٩ .

(٣)لسان العرب لابن منظور ١ /١٢٨.

(٤) الشمط: في الرَّجُل شيب اللحية. انظر: لسان العرب، مادة (شمط): ٧ / ٣٣٥ - ٣٣٦.

(٥) البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ص١٣٤، تحقيق: فوزي عطوى، دار صعب- بيروت، ط/الأولى ١٩٦٨م.

(٦) لسان العرب لابن منظور ٢٩/١.

(٧)مناقب الشافعي، أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي١/ ٢٧٦، تحقيق أحمد صقر، مكتبة دار التراث – القاهرة، ط/ ١٩٧١م.

(٨) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي٢٩٨/٢، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط/ الثانية ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

إن القرآن الكريم مصدر العلوم وأصل الحقائق الثابتة ومرجع العلماء يرجع إليه الفقهاء والأصوليون لمعرفة الأحكام الشرعية إجمالاً وتفصيلاً ويرجع إليه علماء اللغة لإظهار إعجازه والإفادة من أسلوبه ومعاني كلماته الإفرادية والتركيبية ، ويرجع إليه علماء القراءات لتحقيق هدفهم في معرفة كيفية النطق بألفاظه الكريمة.

ذكر الإمام السيوطي في الإتقان: "أن القرآن كلام الله المنزل، ثم أخذ في تفصيل معنى الكلام وكيفية التنزيل، وعقد بعد ذلك فصلاً في تواتر نقل القرآن وذكر أن الأمة متعبدة بفهم معانيه، وإقامة حدوده، وحروفه على الصفة المتلقاه، ثم ذكر أن القرآن معجز، وأخذ في تفصيل القدر المعجز منه"[١]، وعليه فيمكن تلخيص كلامه على مقتضى الحد الجامع المانع فيقال: هو كلام الله المنزل على محمد (صلى الله عليه وسلم) بواسطة جبريل، المتواتر، المعجز، المتعبد بتلاوته وتطبيق أحكامه.

وقال الشوكاني[٢]: "القرآن كلام الله تعالى، المنزل على نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم)، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا نقلًا متواترًا، المتعبد بتلاوته، المتحدى بأقصر سورة منه"[٣]، وهذا التعريف مزيد فيه على ما سبق قوله: "المكتوب في المصاحف" وهذا قيد غير لازم، ولا يشترط في إثبات القرآن أن يكون في المصاحف؛ لأن هذا القيد لا يشمل ما كان محفوظاً في الصدور، والكل يسمى قرآناً سواء كان مكتوباً أو محفوظاً.

وقيل القرآن: "هو الكلام المعجز، المنزل على النبي (صلى الله عليه وسلم) المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته"[٤].

وقيل القرآن: "هو كلام الله المعجز المنزل على خاتم الأنبياء، والمرسلين محمد (صلى الله عليه وسلم) بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، والمختتم بسورة الناس، والمتحدى بأقصر سورة منه"[٥]- وقولهم في التعريف: "كلام" جنس يشمل كل كلام، خصص هذا الجنس بالإضافة إلى لفظ الجلالة ليخرج كل كلام سوى كلام الله، بيد أن كلام الله منه ما هو متعبد بتلاوته، ومنه غير ذلك، فتكون نسبة التخصيص هنا نسبية بالنسبة لما سوى كلام الله، والكلام صفة لله قائمة به، أثبتها ربنا عز وجل لنفسه، بدون تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل، وعُرِّف القرآن في العقيدة الطحاوية بأنه: "كلام الله، منه بدا، بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر"[٦].

وهذا التعريف فيه زيادة تفصيل في جانب، وخلا من قيود مهمة في جانب آخر، فمثلا قوله: "بالحقيقة": إما أن تكون صفة كاشفة، أو تأكيداً معنوياً وعلى كلا التقديرين دخولها في التعريف معيب، كما يلاحظ الباحث أن هذا التعريف خلا من وصف القرآن بالمعجز؛ فهل الإعجاز صفة مختصة بكلام الله؟ وهل

---

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/١٥٨-١٧٠، بتصرف.

(٢) هو محمد بن علي بن محمد الشوكاني، الإمام العلامة الرباني، ولد في هجرة شوكان سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف من الهجرة، تولى منصب قاضي قضاة القطر اليماني، وكان نابذا للتقليد داعياً للاجتهاد، صاحب التصانيف، توفى عام خمسين ومأتين وألف، انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني ٢/٢٠٧، دار المعرفة- بيروت، (بدون). والأعلام للزركلي ٦ /٢٩٨.

(٣) إرشاد الفحول، محمد بن على الشوكاني١/٨٦، تحقيق: أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، ط/الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٩م (بتصرف بسيط).

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني١/١٥.

(٥) نفحات من علوم القرآن، محمد أحمد معبد ص١٣، مكتبة طيبة– المدينة المنورة، ط/ الأولى ١٩٨٦م.

(٦) شرح العقيدة الطحاوية١/٢٥٤، القاضي علي بن علي أبي العز الدمشقي، تحقيق عبدالله عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط/ الثانية ١٤٢٠هـ.

في الحديث القدسي أو النبوي شيء من الإعجاز فتدخل في التعريف؟ على كلا الأمرين سيخرج غير القرآن من التعريف بقولهم: "المتعبد بتلاوته" أي: بإقامة حروفه وألفاظه، وبأنه لا يجزئ في الصلاة غيره.

وعُرِّف كذلك بأنه: "كلام الله تعالى المنزل على محمد (صلى الله عليه وسلم) للبيان، والإعجاز، المجموع بين دفتي المصحف، المتعبد بتلاوته، المنقول بالتواتر"[١].

نستنتج مما سبق أن كل التعريفات تدور في الجملة حول معنى واحد غير أن في بعضها زيادة قيود، وإسهاب، والأصل في الحدود أن تكون جامعة مانعة، وعليه فإن الباحث يرى أن التعريف المختار هو: أن القرآن كلام الله المنزل على محمد (صلى الله عليه وسلم) لفظاً، للبيان، والتحدي، والإعجاز، المتعبد بتلاوته، وبأحكامه، المنقول بالتواتر.

ثانيا:- مفهوم الوحي

الوحي لغة: مصدر وحيْتُ، وأوحيت وحياً،ومعناه: الإشارة، والكتابة،والرسالة، والإلهام،والكلام الخطي،وكل ما ألقيته إلى غيرك[١]. والإعلام بسرعة وخفاء والإلهام الفطري للإنسان، والإلهام الغريزي للحيوان، ووسوس الشيطان ووحي الله إلى ملائكته.

قال في "المصباح": الوحي الإشارة، والكتابة، وكل ما ألقيته إلى غيرك ليَعْلمه وَحْي كيف كان قاله ابن فارس وهو مصدر وَحَى إليه يَحِي من باب وعد وأوحى إليه بالألف مثله، وجمعه وُحِيّ، والأصل فُعول مثل فلوس وبعض العرب يقول وحيت إليه ووحيت له، وأوحيت إليه وله ثم غلب استعمال الوحي فيما يُلقى إلى الأنبياء من عندالله تعالى ولغة القرآن الفاشية أوحى بالألف والوَحَا السرعة وَحِيّ مثل سريع وزناً ومعنىً، فعيل بمعنى فاعل، وذكاةٌ وُحِيّةٌ أي سريعة أيضا ويقال وحيت الذبيحة أحيها من باب وعد أيضا ذبحتها ذبحاً وَحِيّاً، ووحّى الدواء الموت توحية عجّله، وأوحاه بالألف مثله، واستوحيت فلاناً استصرخته[٢].

وقال في " الأساس ": وَحَى إليه، وأوحى إليه بمعنى، ووحيت إليه، وأوحيت إذا كلمته بما تخفيه عن غيره، وأوحى الله إلى أنبيائه. {وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ} [النحل : ٦٨].

وقال الراغب: أصل الوحي: الإشارة السريعة،ولتضمن السرعة قيل: " أمر وُحِيٌّ" وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب، وبإشارة ببعض الجوارح،وقد حُمل على ذلك قوله تعالى عن زكريا:{فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ المِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا} [مريم : ١١].

وعليه فان المعنى المستفاد من مادة الكلمة يشتمل على السرعة والخفاء ولو نظرنا لما استخدم هذه الأيام من وسائل الاتصال الحديثة فان فيها السرعة والخفاء، وسترى ذلك واضحاً في معنى الوحي في نظر العلم.

في العلم: وهو ما توصل إليه علماء الصناعة من اكتشافات، وما فيه من الدقة، وما اكتشف من معلومات حو ل النمل والنحل والمخلوقات. فمن ذلك:

١- التنويم المغناطيسي .
٢- الهاتف واللاسلكي، والراديو، والفاكس، والإنترنت وغيرها.
٣- التسجيلات الإلكترونية على أشرطة التسجيل وأسطواناته فتنقل صوت الغائب والميت وهكذا.
٤- أعمال النمل، والنحل وحشرات الإكسيكلوب وما فيه من الدقة والإتقان.

(١) اللآليء الحسان في علوم القرآن ص٩، د/ موسى شاهين لاشين، مطبعة الفجر الجديد،(بدون).
(١) دار الفكر-بيروت،١٩٧٢م، مادة(وحى).
(٢) أحمد بن محمد بن علي الفيومي المصري، المصباح المنير، مكتبة لبنان، ١٩٨٧م، ص٢٥٠.

٥- العبقرية :ويعرِّفُها أفلاطون بأنها حال إلهية مولدة للإلهامات العلوية للبشر. ويقرر الفلاسفة بأنها حال علوية لا شأن للعقل بها. ويقول عباد الطبيعة بأنها هبة من الطبيعة نفسها لا تحصلها دراسة، ولا يوجدها تفكير.
٦- الحالات الروحانية التي يفتح على الإنسان بها بما لا مقدور له عليه٣.

في العقل: ما جرى للنبي محمد-صلى الله عليه وسلم- وما أخبر به. ويشهد له المعجزات التي أظهرها أو خبَّر بها. وقد اعترف العقلاء بما أخبر به في زمانه وبعده، وما زال العقل مستسلما. والعقل هو مناط التكليف.

الوحي في الاصطلاح الشرعي:

هو إعلام الله نبياً من أنبيائه أو رسولاً من رسله ما يشاء من كلام أو معنى بطريقة تفيد النبي أو الرسول العلم اليقيني القاطع بما أعلمه الله به، على وجه الخفية والسرعة[٤]. وهذا ما يسمى بالناموس وهو الوسيلة للإعلام الربّاني لإبلاغ خلقه من البشر والمتمثل بملك الوحي جبريل عليه السلام[٥]. أو أن يُعلِم الله تعالى مصطفاه من عباده بما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، بطريقة سرّية سريعة غير معتادة للبشر[٦].

أو إعلام الله تعالى النبي من أنبيائه بحكم شرعي ونحوه[٧] .

أو عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة، والأول بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت. والفرق بينه وبين الإلهام وجدان تستيقنه النفس، وتنساق إلى ما يطلب من غير شعور منها من أين أتى، وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور[٨].

أجناس الوحي وأنواعه وصوره

تكرر وورود كلمة الوحي في القرآن الكريم كثيراً فبلغ ثمانياً وسبعين مرة٩.وفي جملتها احتوت ستة معان لغوية واليك توضيحها ببيان الأجناس أولاً:

فالجنس الأول للوحي هو ما كان ظاهراً جلياً كالقرآن الكريم. والثاني ما كان خفياً كالسنة النبوية. فالقرآن وحي متلو، والسنة وحي غير متلوٌ. فمن ذلك:

١- الأوامر الإلهية للملائكة: كقوله تعالى:{إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} [الأنفال : ١٢].
٢- تبليغ الملائكة للأنبياء: ومنه تبليغ الآيات إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم-بواسطة ملك الوحي جبريل عليه السلام الموكل بالوحي كما ورد في قوله سبحانه: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى(٣)إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} [النجم : ٣-٤]، وهذان الجنسان من أعلى وأعظم درجات الوحي ويليهما:
٣- الإلهام الفطري للإنسان: كالوحي لأم موسى، والوحي للحواريين كما ورد في الآيات التاليات: قوله تعالى:{وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} [القصص : ٧]، وفي قوله تعالى:{وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ} [المائدة : ١١١].

---

(١) مناهل العرفان، محمد عبدالعظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج١،ص٦٣-٧٣.
(٢) عبد الرحمن حسن حبنكة١الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها،ط٣،دار القلم، دمشق،١٤٠٣ه/١٩٨٣م،ص٥٢٨ بتصرف فقد قدمت النبي على الرسول لسبق النبوة للرسالة .
(٣) المصدر السابق.
(٤) مناهل العرفان، محمد عبدالعظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج١،ص٦٣.
(٥) ذكره محمد رشيد رضا بأنه تعريف أستاذه للوحي. الوحي المحمدي،ص٤٥.
(١) الوحي المحمدي،ص٤٥.
(٢) محمد فؤاد عبدالباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر- بيروت، ١٩٧٢م.

٤- الإلهام الغريزي للحيوان: كما جاء في قوله تعالى:{وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ} [النحل : ٦٨].
٥- الإشارة السريعة برمز أو إيماء: كما ورد رمزاً قوله تعالى:{فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا} [مريم : ١١]، فقد ذكر ابن كثير أن زكريا أشار إلى قومه إشارة سريعة ولم يتكلم(١١)، وأما الإيماء فمثاله قول الشاعر:
نظرت إليـها نظـرةً فتـحيرت ... دقائق فكري في بديع صفاتهـا
فأوحى إليها الطـرف أني أحبها ... فأثر ذاك الوحـي في وجناتها
٦- الوساوس الشيطانية: كقوله تعالى:{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا} [الأنعام : ١١٢]. وقوله تعالى:{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [الحج : ٥٢]، وقوله تعالى:{وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُم} [الأنعام : ١٢١].
وقيل: منه وحي الإنسان إلى الإنسان على سبيل الإسرار والخفاء سواء بالكلام المباشر أو بواسطة الآلات الحديثة كالهاتف، والجهاز النقال(الخلوي)، والرمز بالشيفرة، والمورس، والرادار وأمثالها فإن ذلك كله يشمل السرعة والخفاء. ولكن هناك فروق بين الوحي السماوي والوحي البشري سأبينها عند الحديث عن العلاقات بين أنواع الوحي فيما يلحق.

أنواع الوحي الإلهي:

درج معظم من كتب عن الوحي على صور الوحي وتعدادها دون تمييز بين النوع والصورة، فقد أطلقوا على كل منهما صورة. لكني أرى أن هناك فرقاً دقيقاً بينهما. فمنها ما هو صورة ومنها ما هو نوع. ولا بُدَّ من معرفة الجنس والنوع والصورة(فرد من أفراد الأخص وتسمى جزءا) فالجنس أعم، والنوع أخص، والصورة مثال.فالملائكة مثلاً جنس، والحيوان جنس، والجن جنس، والإنسان نوع من الحيوان، والدواب نوع من الحيوان، والصورة مثال لفردٍ من أفراد ذلك الجنس أو النوع فهي أكثر خصوصية. وعليه فإن الوحي جنس ونوع وصورة. فأجناسه اثنان، وأنواعه ثلاثة، وصوره أكثر من ذلك. وقد كشف، قوله تعالى:{وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ} [الشورى : ٥١]، أن أنواع الوحي متنوعة، فهذا ما يخص البشر دون غيره . فيتنوع الوحي بتنوع الموحى إليهم . وأما الصور فهي تنوع المثال في طريقة الوحي للنوع الواحد . فيمكن القول: بأن الوحي منه ظاهر، وخفي . ومنه متلو، وغير متلو؛ فالقرآن متلو، والسنة غير متلوة .
وإذا قلنا بالتعميم فإن أنواع الوحي هي:
١- الإلهام الفطري للإنسان . يقذفه الله تعالى في قلب مصطفاه على وجه من العلم الضروري .
٢- الإلهام الغريزي للحيوان .
٣- والإشارة السريعة من الإنسان.
٤- الوحي النفسي (١٤).
٥- والتبليغ بطرقه المختلفة مناماً ويقظة .
وأما صور الوحي الإلهي إلى نبينا- صلى الله عليه وسلم- فهي:
١- الرؤيا الصادقة .
٢- ما يلقيه الملك في روعه.
٣- أن يسمع كصلصلة الجرس .

(٣) مختصر تفسير ابن كثير، محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت،١٤٠٢ه/١٩٨١م، م٢،ص٤٤٤.
(١) وقد تكلم عليه محمد رشيد رضا في كتابه الوحي المحمدي بما لا مزيد عليه.

٤- مثل دوي النحل .
٥- الملك بصورته الملائكية .
٦- الملك بصورة بشرية معروفة.
٧- الملك بصورة بشرية غير معروفة .
٨- أن يأتيه الملك مناماً.
٩- التكليم الإلهي يقظة(خلاف النوم). كقوله تعالى:(وكلم الله موسى تكليما)١٥ .

ومن أدلته النقلية :

قول الله تعالى: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى(٣)إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} [النجم : ٣-٤]، وقوله سبحانه:{وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ(٤٤)}{لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ(٤٥)}{ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ} [الحاقة : ٤٤-٤٦].

ومن الحديث:

ما ورد عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فيما رواه البخاري في صحيحه عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: أن الحارث بن هشام سأل رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس- وهو أشده علي- فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال . وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول" [١٨] .

وقد روى الحديث أيضا الربيع بن حبيب عن أبي عبيدة عن جابر بن زيد عن عائشة رضي الله عنها[١٩] .

الفرق بين الوحي والإلهام

من المعلوم عند المسلمين أن الوحي الذي هو أساس الأحكام قسمان: متلو وهو القرآن الكريم، وغير متلو وهو السنة النبوية الشريفة، وأما الإلهام فهو نوع من أنواع الوحي لكنه لا تنبني عليه الأحكام الشرعية وإليك بيان ذلك.

إن القرآن الكريم هو الأساس الذي بني عليه دين الإسلام، فهو المعجزة الخالدة، به نزل جبريل عليه السلام على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ليبلغه الناس، وكونه أساس حجية الأحكام عند المسلمين أمر مسلم لا يحتاج إلى تبيين .

وأما السنة النبوية الشريفة وأنها من أسس حجية الأحكام فتدل عليه الأدلة التالية:

١- ثبوت عصمة النبي صلى الله عليه وسلم في التبليغ عن ربه في الكتاب والسنة.
٢- تقرير الله تمسك الصحابة بالسنة، في عصره صلى الله عليه وسلم[٢٠].
٣- الكتاب الكريم لقوله تعالى:{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [الأعراف : ١٥٨].
٤- السنة الشريفة نفسها كإخباره- صلى الله عليه وسلم -وهو المعصوم من الكذب –بأنه قد أوحي إليه القرآن وغيره؛ وأن ما بينه وشرعه-من الأحكام-فإنما هو؛ بتشريع الله تعالى ومن عنده؛ وليس من عنده صلى الله عليه وسلم .
٥- تعذر العمل بالقرآن وحده، إذ لا بد أن تبينه السنة.

---

(١) سورة النساء: آية ١٦٤.
(٢) البخاري حديث رقم (٢)، وطرفه رواية بلفظ آخر، رقم (٣٢١٥).
(٣) الجامع الصحيح(مسند الربيع بن حبيب)،ضبط وتخريج مجمد إدريس، مراجعة وتقديم عاشور بن يوسف، دار الحكمة،بيروت، ومكتبة الاستقامة،سلطنة عمان،ط١٤١٥،١ه/١٩٩٥م،حديث رقم٢، واللفظ الأول للبخاري حديث رقم(٢).
(١) أنظر حجية السنة، عبدالغني عبدالخالق،(من منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي)،ط١، دار القرآن الكريم: بيروت، ١٤٠٧ه/١٩٨٦م،ص٢٨٢ وما بعدها.

٦- السنة نفسها فإن منها ما يقصد به تشريع الأحكام ومنها ما لا يقصد به ذلك.
٧- الإجماع[١].

وأما بالنسبة للإلهام فإنه وإن كان نوعاً من أنواع الوحي فليس له حجة في بناء الأحكام عليه . وذلك لعدة أمور :

١- لم نجد في كتاب الله تعالى، وسنة نبيه ما يشير إلى أنه حجة.
٢- لم يرد عن سلف الأمة الصالح من اعتمده حجة.
٣- إجماع أمة الإسلام على عدم حجيته.
٤- لو قبل الناس الإلهام حجة لفتح باب لا يمكن إغلاقه لأن الكمال في الناس مستحيل، كما أن دعوى الإلهام دعوى واسعة تفتح باب الكذب والتزوير .
٥- قبول الإلهام يفتح بابا للشيطان على الناس.

وهكذا فإن الإلهام ليس حجة في بناء الأحكام عليه، لكن إذا صح الإلهام مع عدم المخالفة للشرع فقد يستفاد منه في بعض الهدايات والله أعلم .

(٢) مختصراً من كتاب حجية السنة، عبدالغني عبدالخالق، ص٢٤٣-٣٨٢.

ثالثا:- نزول القرآن

معنى نزول القرآن من حيث اللغة :

يطلق الإنزال على معنيين :-

أحدهما : الهبوط من علو : يقال : نزل فلان من الجبل ، ومنه قوله تعالى : { أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ .....}[الرعد: ١٧].

الثاني : الحلول : يقال : (نزل فلان بالمدينة) حلَّ بها [١] . ومنه قوله تعالى : {وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ}[الرعد: ٢٩] .

وكلا المعنيين يشعر بالمكانية والجسمية فلا مجال لتحققهما في كلام الله ووحيه فالتعبير إذن هو من قبيل المجاز ولا يمكن حمله على الحقيقة وقد ذهب العلماء إلى أن إنزال القرآن فيها توجيهان :

أ- أن يقصد من إنزال القرآن إنزال حامله وهو الروح الأمين جبريل عليه السلام .

ب- أن يقصد من الإنزال لازمة وهو الإعلام فمعنى إنزال القرآن على النبي -صلى الله عليه وسلم- إيصاله إليه وإعلامه به .

واختير لفظ الإنزال أيضاً لحكمة عظيمة وهي بيان شرف هذا القرآن وعلو منزلته وأنه من العالم العلوي ومن هنا اختيرت لفظة الإنزال على لفظة الإعلام والإيصال قال تعالى : { وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ}(٢) .

تنزلات القرآن الكريم :

قال تعالى : {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ} (٣) . وقال أيضاً : {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} [٤] . وقال : {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ}[الإسراء: ١٠٦]. لا تعارض بين هذه الآيات الثلاث ، فالليلة المباركة هي ليلة القدر من شهر رمضان، وإنما يتعارض ظاهر هذه الآيات مع الواقع العملي في حياة رسول الله –صلى الله عليه وسلم- حيث نزل القرآن في نيف وعشرين سنة .

والرأي الراجح هو مذهب ابن عباس وعليه جمهور العلماء :

أن المراد بنزول القرآن في تلك الآيات الثلاث نزوله جملة واحدة إلى بيت العزة في السماء الدنيا ثم نزل بعد ذلك منجماً مفرقاً على الرسول -صلى الله عليه وسلم- في نيف وعشرين سنة .

ومن الأخبار التي استند إليها أصحاب هذا المذهب :

- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : "أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا ليلة القدر ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة" ثم قرأ : {وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً}[الفرقان: ٣٣]،{وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً} (٥) .
- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : "فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل به على النبي -صلى الله عليه وسلم- ".
- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : "أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا وكان بمواقع النجوم ، وكان الله ينزله على رسوله -صلى الله عليه وسلم- بعضه في إثر بعض" .
- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : "أنزل القرآن في ليلة القدر في شهر رمضان إلى سماء الدنيا جملة واحدة ثم أنزل نجوماً" [١] .

---

(١) المعجم الوسيط – د. إبراهيم أنيس – ٩٥١/٢ .
(٢) سورة الإسراء : ١٠٥ . والكلام مأخوذ بتصرف من كتاب إتقان البرهان – ص ١٤٦ وما بعدها .
(٣) سورة البقرة : ١٨٤ .
(٤) سورة القدر : ١ .
(٥) سورة الإسراء : ١٠٦ .

والراجح أن القرآن الكريم له تنزلان :-

الأول : نزوله جملة واحدة في ليلة القدر إلى بيت العزة من السماء الدنيا .

الثاني : نزوله من السماء الدنيا إلى الأرض مفرقاً منجماً في نيف وعشرين سنة [٢] .

الحكمة من تنجيم القرآن :

إن لتنجيم القرآن الكريم حكم، نذكر منها:

الحكمة الأولى : تثبيت فؤاد النبي -صلى الله عليه وسلم- وذلك من خلال الآتي :-

أ- أن في تجدد الوحي ، وتكرار نزوله من جانب الحق إلى رسوله -صلى الله عليه وسلم- يملأ قلب الرسول الكريم سروراً ، ويشعر بالعناية الإلهية .

ب- أن في التنجيم تيسيراً عليه من الله في حفظه وفهمه ومعرفة أحكامه وحكمه .

ج- أن هذا التنزيل فيه نوع من الإعجاز ، حيث تحدى كفار قريش في كل مرة أن يأتوا بمثل هذا التنزيل – ولا شك أن هذه المعجزة تقوي أزر
الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- .

د- أن في هذا النزول دحض شبهات كفار قريش ورداً على أسئلتهم ، وتسلية للرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- وتأييداً له .

الحكمة الثانية : التدرج في تربية هذه الأمة علماً وعملاً:

وذلك عن طريق تيسير حفظ القرآن على الأمة العربية ، وتسهيل فهمه عليهم ، والتمهيد لكمال تخليهم عن عقائدهم الباطلة ، وعباداتهم الفاسدة ، وعاداتها المرذولة ، وكذلك التمهيد لتحليهم بالعقيدة الحقة ، والعبادة الصحيحة ، والأخلاق الفاضلة ، والعادات الحسنة ، أيضاً تثبيت قلوب المؤمنين وتسليحهم بعزيمة الصبر واليقين ، بسبب ما كان يقصه القرآن عليهم من حين لآخر بقصص الأنبياء والمرسلين ، وما وعد الله به عباده الصالحين من النصر والتأييد والأجر ، والتدمير والهلاك للمخالفين .

الحكمة الثالثة : مسايرة الحوادث :

إذ نزل من القرآن الكريم إجابة لمن كان يسأله ، سواء كانت تلك الأسئلة لغرض التثبيت من رسالته كما قال – تعالى – في جواب سؤال أعدائه {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلاً ...}[٣] وأيضاً مجاراة للأقضية والوقائع في حينها ، ببيان حكم الله فيها عند حدوث وقوعها ، مثل ما جاء في سورة النور مخبراً عن حديث الإفك {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ}[٤] كذلك نزل من القرآن الكريم ما يلفت أنظار المسلمين ، ويصحح أغلاطهم ، مثال ذلك قوله تعالى : {وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ}[٥] .

الحكمة الرابعة : تفضيل القرآن الكريم على غيره من الكتب السماوية :

لقد جمع الله له النزولين : النزول جملة واحدة ، والنزول مفرقاً وبذلك شارك الكتب السماوية في الأولى ، وانفرد في الفضل بالثانية ، وهذا يعود بالتفضيل لنبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- على سائر إخوانه من الأنبياء – عليهم السلام – وإن الله جمع له من الخصائص ما لغيره ، وزاد عليها ، وكذلك تفخيم لشأن هذه الأمة التي أنزل عليها القرآن الكريم بأنها خير أمة أخرجت للناس [٦] .

---

(١) وهذه المرويات عن ابن عباس بعضها برواية الحاكم ورواية الطبراني وأخرى برواية النسائي .

(٢) مباحث في علوم القرآن – مناع القطان – ص ١٠٤ .

(٣) الإتقان للسيوطي ١/ص ٤٢ ، ٤٣ ، مناهل العرفان للزرقاني ٥٣/١ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) الاتقان للسيوطي ١/ ص ٤٢ ، ٤٣ ، مناهل العرفان – للزرقاني ٥٣/١ .

(٦) المرجع السابق .

نزول القرآن على المصطفى عليه الصلاة والسلام

أولا: نزوله جملة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا والحكمة منه

فقد أنزل الله تبارك وتعالى القرآن جملةً واحدة في شهر رمضان المبارك فقال تعالى: { شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ } [البقرة :١٨٥]، وقال تعالى: { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ } [القدر: ١]، وقال تعالى: { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ} [الدخان: ٣]، ولا تعارض بين هذه الآيات الثلاث لأن الليلة المباركة هي ليلة القدر، وليلة القدر في شهر رمضان المبارك ، إنما يتعارض ظاهرها مع الآيات الأخرى التي تفيد بأن القرآن نزل مفرقًا مثل قوله تعالى: { وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا } [الإسراء: ١٠٦]، ويتعارض كذلك مع الواقع العملي لنزول القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم(١). فمنها:

١) ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: "أنزل الله القرآن إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، فكان الله إذا أراد أن يوحي منه شيئًا أوحاه أو أن يحدث منه في الأرض شيئًا أحدثه" (٢).

٢) وما رواه ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} ، قال : « أنزل القرآن جملةً واحدة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا وكان بمواقع النجوم وكان الله ينزله على رسوله صلى الله عليه وسلم بعضه في إثر بعض، قال : وقالوا: { لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا}(٣).

٣) وما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال "أنزل القرآن جملةً واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ثم أنزل بعد ذلك بعشرين سنة ، { وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا } ، { وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا}" (٤).

٤) وأخرجه ابن أبي حاتم (٥) من هذا الوجه وفي آخره: فكان المشركون إذا أحدثوا شيئًا أحدث الله لهم جوابًا(٦).

٥) وما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: " فُصِلَ القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة في السماء الدنيا فجعل جبريل عليه السلام ينزله على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويرتله ترتيلًا"(٧).

٦) وما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : "أنزل القرآن في ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا جملة واحدة ثم فرق في السنين ثم تلا هذه الآية : { فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ } ، قال : نزل متفرقًا

---

(١) انظر مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص٨٦.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير ٢ ٢٢٢، وقال عقبه هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وانظر الروايات في الدر المنثور ١ ٤٥٦، ٤٥٧.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير ٢ ٢٢٢، وقال عقبه هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والآية رقم ٣٢ من سورة الفرقان.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير ٢ ٢٢٢، وقال عقبه هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وانظر الإتقان ١ ١١٧، والآية ١٠٦ من سورة الإسراء.

(٥) ترجمت في هذه الرسالة للأعلام غير المشهورين والمعروفين ترجمة مختصرة، وابن أبي حاتم هو عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم الرازي، أبو محمد حافظ للحديث، من كبار المحدثين، له كتب كثيرة منها كتاب في الجرح والتعديل، وكتاب في التفسير يقع في عدة مجلدات وزع على طلابجامعة أم القرى لتحقيقها في مرحلتي الماجستير والدكتوراة، الأعلام للزركلي ٣ ٣٢٤.

(٦) انظر الإتقان ١ ١١٧.

(٧) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير ٢ /٢٢٢، وقال عقبه هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وانظر الإتقان ١ ١١٧، وقال السيوطي في الإتقان: أسانيدها كلها صحيحة.

"[١].

٧) وما رواه ابن عباس أنه قال: " أنزل القرآن في ليلة القدر في شهر رمضان إلى السماء جملة واحدة ثم أنزل نجومًا"[٢].

٨) وما رواه ابن عباس في قوله: { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ } [القدر: ١] أنه قال: « أنزل القرآن جملة واحدة حتى وضع في بيت العزة في السماء الدنيا، ونزله جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم بجواب كلام العباد وأعمالهم "[٣].

٩) وما روي عن ابن عباس أنه سأله عطية بن الأسود فقال : أوقع في قلبي الشك قوله تعالى: { شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ } [البقرة: ١٨٥]، وقوله: { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ } [القدر: ١]،وهذا أنزل في شوال، وفي ذي القعدة، وفي ذي الحجة، وفي محرم، وفي صفر، وشهر ربيع فقال ابن عباس: إنه أنزل في رمضان في ليلة القدر جملة واحدة ثم أنزل على مواقع النجوم رسلًا " [٤] في الشهور والأيام [٥].

وبنظرة عامة للآثار السابقة يتضح لنا أن للقرآن الكريم نزولين، وهذا يدل على أن القرآن نزل في رمضان وفي غيره، وعلى أن القرآن الكريم نزل جملة واحدة ونزل مفرقًا، وأن المراد بنزوله في ليلة واحدة في شهر رمضان هو نزوله جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا كما جاءت بذلك الآثار السابقة التي ذكرناها، وأن المراد بنزوله مفرقًا هو نزوله من بيت العزة من السماء الدنيا على المصطفى -صلى الله عليه وسلم- حسب الوقائع والحوادث وغير ذلك، وإليكم مذاهب العلماء في كيفية إنزاله من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة ثم نزوله من بيت العِزة على المصطفى -عليه الصلاة والسلام [٦]-

المذهب الأول:-

مذهب جمهور العلماء وهو قول ابن عباس أن القرآن الكريم نزل جملة واحدة إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل بعد ذلك منجمًا على نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- في عشرين سنة، أو ثلاث وعشرين، أو خمس وعشرين، على حسب الخلاف في مدة إقامته -صلى الله عليه وسلم- بمكة بعد البعثة، وهذا هو المذهب الذي دلت عليه الأخبار الصحيحة وعليه جمهور العلماء، ورجحه ابن حجر حيث قال في شرح البخاري: وهو الصحيح المعتمد [٧] وهو القول الذي ينبغي أن نصير إليه جمعًا بين الأدلة الموجودة في هذا الباب، وقد ورد عن ابن عباس بطرق متعددة، وحكمه حكم المرفوع إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- لأنه لا مجال للرأي فيه.

المذهب الثاني:

أنه نزل إلى السماء الدنيا في عشرين ليلة قدر من عشرين سنة، وقيل في ثلاث وعشرين ليلة قدر من ثلاث وعشرين سنة، وقيل في خمس وعشرين ليلة قدر من خمس وعشرين سنة، في كل ليلة منها ما يقدر

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الواقعة ٤ /٤٧٧ وقال عقبه هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الأوسط والكبير وفيه عمران القطان وثقه ابن حبان وغيره وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات ٧ /١٤٠.، وقال السيوطي: إسناده لا بأس به الإتقان ١ /١١٧.

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني والبزار باختصار، ورجال البزار رجال الصحيح وفي إسناد الطبراني عمرو بن عبد الغفار وهو ضعيف.

(٤) رَسَلًا: أي فرقًا وعلى مواقع النجوم أي على مثل مساقطها، يريد أنه أنزل مفرقًا يتلو بعضُه بعضًا على تُؤَدة ورفق، انظر الإتقان ١ /١١٧، ١١٨، النهاية في غريب الحديث ٢ /٢٢٢.

(٥) انظر الإتقان ١ /١١٧.

(٦) انظر التذكار في أفضل الأذكار ٢٤، ٢٥.

(٧) الإتقان ١ /١١٧، ١١٨، البرهان في علوم القرآن ١ /٢٢٨، وانظر كلام ابن حجر في فتح الباري، كتاب فضائل القرآن باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل ٩ ٤.

الله سبحانه إنزاله في كل السنة، ثم ينزل بعد ذلك منجمًا في جميع السنة على رسول الله -صلى الله عليه وسلم.

المذهب الثالث:

أنه ابتدئ إنزاله في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك منجمًا في أوقات مختلفة من سائر الأوقات وبه قال الشعبي[1].

الحكمة من نزول القرآن جملة:

١- تفخيم شأن القرآن وشأن من سينزل إليه، وذلك بإعلام سكان السماوات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم قد قربناه إليها لننزله عليها، وهي الأمة الإسلامية، وفي هذا تنويه بشأن المنزل والمنزل عليه، والمنزل إليهم وهم بنو آدم ففيه تعظيم شأنهم عند الملائكة وتعريفهم عناية الله بهم ورحمته لهم [2] ثم إن وضعه في مكان يسمى بيت العزة يدل على إعزازه وتكريمه.

ولولا أن الحكمة الإلهية اقتضت وصوله إليهم منجمًا بحسب الوقائع لهبط به إلى الأرض جملة كسائر الكتب المنزلة قبله، ولكن الله باين بينه وبينها فجعل له الأمرين.

٢- تفضيل القرآن الكريم على غيره من الكتب السماوية السابقة وذلك بإنزاله مرتين، مرة جملة ومرة مفرقًا بخلاف الكتب السماوية السابقة فقد كانت تنزل جملةً مرة واحدة، وبذلك شارك القرآن الكتب السماوية في الأولى وانفرد في الفضل عليها بالثانية، وهذا يعود بالتفضيل لنبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- على سائر الأنبياء السابقين [3].

ثانيا: نزوله مفرقا على النبي -صلى الله عليه وسلم-

ثانيًا : نزوله مفرقًا على النبي صلى الله عليه وسلم : دل القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة أن القرآن الكريم كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم مفرقًا إلى أجزاء كل جزء منها يسمى نجمًا ، فقد صح أن الآيات العشر المتضمنة لقصة الإفك نزلت جملة ، وأن عشر آيات من أول سورة المؤمنين نزلت جملة ، وورد أيضًا أنه نزل قوله تعالى : { وَالضُّحَى }{ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى } [الضحى:١-٢] إلى قوله: { وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى } [الضحى:٥] ثم نزل باقي السورة بعد ذلك ، وبالجملة فكون القرآن لم ينزل جملة وإنما نزل مفرقًا حسب الوقائع والحوادث مما لم ينازع فيه أحد

وقد اختص القرآن الكريم من بين الكتب السماوية بأنه نزل مفرقًا كما دل على ذلك القرآن والسنة: {وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا} [الإسراء: ١٠٦]، وقوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا} [الفرقان: ٣٢]، وكما ذكر العلماء في نزول القرآن الكريم أن أول ما نزل { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ } (اقرأ: ١) ، أما الكتب السماوية السابقة فإنها نزلت جملة واحدة كما هو المشهور بين العلماء وعلى ألسنتهم حتى كاد يكون إجماعًا لما ذكرناه ولما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « قالت اليهود : يا أبا القاسم لولا أنزل هذا القرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة على موسى فنزلت»[4]. وأخرجه من وجه آخر بلفظ: "قال المشركون"، قال السيوطي: "فإن قلت : ليس في القرآن التصريح بذلك، وإنما هو على تقدير ثبوت قول الكفار، قلت : سكوته تعالى عن الرد عليهم في ذلك وعدوله إلى بيان حكمته دليل على صحته،

---

(١) الإتقان ١ /١١٧، ١١٨، البرهان في علوم القرآن ١ /٢٢٨، والشعبي هو عامر بن شراحيل الشعبي الحميري، أبو عمرو، راوية من التابعين، يضرب المثل بحفظه، من رجال الحديث الثقات، الأعلام ٣/ ٢٥١.

(٢) انظر: البرهان ١ /٢٣١،٢٣٠، الإتقان ١ /١١٩ نقلًا عن أبي شامة في المرشد العزيز، البيان في مباحث من علوم القرآن ص٥٢، ٥٣، مناهل العرفان ١ ٤٦، ٤٧، المدخل لدراسة القرآن الكريم ٥٢، ٥٣.

(٣) انظر المراجع السابقة.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم(١٥١٢٧):ص٢٦٨٩/٨.

ولو كانت الكتب كلها نزلت مفرقة لكان يكفي في الرد عليهم أن يقول : إن ذلك سنة الله في الكتب التي أنزلها على الرسل السابقين"[١].

ثم ذكر بعض الآثار والأحاديث التي تفيد بأن التوراة نزلت جملة ومنها ما أخرجه ابن أبي حاتم عن ثابت بن الحجاج [٢] قال جاءتهم التوراة جملة واحدة، فكبر عليهم، فأبوا أن يأخذوها حتى ظلل الله عليهم الجبل فأخذوها عند ذلك[٣].

ولقد استخدمت كلمة "التنزيل" في القرآن الكريم خمس عشر مرّة ويرى الباحثون في علوم القرآن والمفسّرون أنّ المراد في ستّة منها هو القرآن الكريم، فيما جاءت الاستخدامات الأُخرى لهذه الكلمة على نحو يُلامس القرآن، ولكن لا على النحو الذي يُفهم بأنّه اسم له، وإنّما جاءت على نمط يبيّن طبيعة هذا الكتاب الإلهي، وغالباً ما وردت إلى جانب كلمة "القرآن" وتسمياته الأُخر وتحمل حالة الوصف له. كما في سورة الإنسان التي تتحدّث عن الإنسان وكيفية خلقه وحياته وموقفه من الهداية، وما إلى ذلك، ومصير سلوكه وأعماله التي تمثّل تجسيداً عينياً للإيثار والسمو، وهي بالنتيجة بمثابة لوحة لهذا السلوك. وقال بعد بيان طبيعة مواقف الإنسان ومصير أعماله: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا}[الإنسان:٢٣].

نتأمّل هنا قليلاً في كيفية معنى "التنزيل" ونتحدّث عن كيفية مجيئه اسماً أو صفة للقرآن.

التنزيل في اللغة

التنزيل مصدر باب تفعيل من مادّة (نَزَلَ) ويدلّ على الانتقال من أعلى إلى أسفل.. عند القول بنزول الشيء من أعلى إلى أسفل، يتداعى إلى الأذهان عند ذكر هذه الكلمة ترجّل الراكب من مركبه، ويُذكر أيضاً بقدوم الضيف؛ لأنّه يكون قبل الدخول قد نزل من مركب.

وقال ابن فارس: (ن. ز . ل) كلمة صحيحة تدلّ على هبوط شيء ووقوعه. يقولون: نزل عن دابّته، نزل المطر من السماء، وما إلى ذلك[٤]، والنزول من نزل ينزل نزولاً ونزلة وتنزيلاً ويراد به الانحدار والانحطاط من أعلى إلى أسفل ، كما يقال : نزل عن دابته،وكقوله تعالى:{الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢)} [البقرة : ٢٢]، والمُنْزَل: بضم الميم وفتح الزاي الإنزال،والمَنْزَل موضع النزول ، وتقول : نزل بهم الأمر إذا حلَّ بهم،والنُزُل: ما هُيئ للضيف لينزل عليه ، والنَزيل: الضيف ، والنزال في الحرب : أن يتنازل الفريقان عن دوابهما للقتال ، وقيل: أن يتقابلا " [٥]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت : ٧٢٨هـ) : " ليس في القرآن ولا في السنة لفظ النزول إلا وفيه معنى النزول المعروف وهذا هو اللائق بالقرآن،فإنه نزل بلغة العرب، ولا تعرف العرب نزولاً إلا بهذا المعنى"[٦].

إذن إن النزول الذي يقابل الصعود والعروج يستخدم في المحسوسات تارة، وفي الأمور وفي الأمور الاعتبارية تارة أُخرى. أحياناً إذا هبط جسم من نقطة عُليا إلى مكان أدنى فنحن نُسمّي ذلك نزولاً، ونطلق هذه التسمية أحياناً على التدنّي من موقع أعلى إلى موقع أسفل. وأخيراً، تستخدم هذه الكلمة في الأمور الحقيقية غير المحسوسة. وهكذا الحال بالنسبة إلى نزول القرآن من لدن الله تعالى على قلب الرسول

---

(١) الإتقان في علوم القرآن: ١٢٢/١.

(٢) ثابت بن الحجاج الكلابي الجزري الرقي، من أتباع التابعين، روى عن الصحابة، تهذيب التهذيب ٢ ٤.

(٣) انظر الإتقان للسيوطي ١/ ١٢٢، ١٢٣.

(٤)معجم مقاييس اللغة ٥: ٤١٧، وأيضاً انظر: العين ٧: ٣٤٧؛ لسان العرب ١٤: ١١١.

(٥) لسان العرب (٦٥٩/١١ ـ٦٦٠) , والقاموس المحيط (٦٢٤/٣) ، ومختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (٢٧٣/١) .

(٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٥٧/١٢) جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، ط : مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة ، طبعة ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م .

. والحقيقة هي أنّ القرآن تنزّل من مقام العلم الإلهي إلى مرحلة الألفاظ والمفاهيم البشرية، ليكون مفهوماً لدى الناس.
وهكذا عندما يوصف القرآن بهذه الكلمة فذلك يدلّ على نزوله من مكانة عُليا ومن موضع سامق، لهداية الناس وإرشادهم وتوعيتهم.
ونزول القرآن في الاصطلاح: يراد به :" نزول جبريلعليه السلام بكلام الله ﷻ على النبي -صلى الله عليه وسلم- وإسماعه إياه " كما سمعه من الله سبحانه وتعالى(١) .
وبذلك فإن كلمة (التنزيل) تحمل دلالة على أن القرآن نزل من مكانة رفيعة وسامية لهداية الناس.
وقد وردت كلمة (التنزيل) لأوّل مرّة في سورة (يس) التي تقع في المرتبة الواحدة والأربعين من حيث ترتيب النزول، وجاءت كوصف للقرآن: {يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ} (يس: ١ـ٥)، فالصياغة العامة لسورة (يس) تصب في سياق تبيين وإرساء الأصول الثلاثة (التوحيد، والنبوّة، والمعاد)، حيث تبدأ بالحديث عن النبوّة وطبيعة هذه الشريعة الإلهية ووحدانية هذا الكتاب الإلهي، وتستمر في الحديث عن التوحيد، ثُمَّ المعاد وبعده عودة على الموضوعات المكورة، ثُمَّ النتيجة، وما شابه ذلك(٢).
ومن مجموع الاستخدامات الأربعة عشرة للتنزيل، قالوا: إنّ خمسة منها جاءت في الأسماء والأوصاف التي أُطلقت على القرآن. وعند التدقيق في الآيات وكيفية استخدامها يتسنى القول بأنّ تلك الاستخدامات لا تنحصر في المواضع التالية: الشعراء [١٩٢، فصّلت ٤٢، الواقعة ٥٦، الحاقة ٦٩]، بل نرى أنّ الاستخدامات الأربعة عشرة برمّتها جاءت في وصف القرآن، وفي بعض الحالات جاءت مسبوقة بكلمة القرآن (الجاثية ٢ و ...) ويظهر أنّ التنزيل وصف له، ويدلّ سياق الكلام على أنّ المراد هو كتاب الله، و (التنزيل) وصف له. وعلى هذا الأساس، فقد استخدمت كلمة (التنزيل) للمرّة الثانية في سورة (طه) التي تحتل المرتبة الخامسة والأربعين في نزول السور، وهي من السور المكّية: {طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى * تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى}.
وجاءت هذه الكلمة للمرّة الثالثة في السورة التي تحتل المرتبة السابعة والأربعين في نزول السور القرآنية، وهي سورة الشعراء، حيث ذهب الباحثون القرآنيون إلى أنَّ هذه الكلمة استخدمت هنا كتسمية للقرآن. وإذا تقبّلنا هذا الرأي تكون سورة الشعراء أوّل سورة من حيث النزول، وردت فيها كلمة (التنزيل) اسماً للقرآن أو وصفاً له. وعلى أيّة حال، فإنَّ الغرض العام الذي تهدف إليه هذه السورة هو بيان المكانة الرفيعة لكتاب الله، والتأكيد على أنّه وحي نازل من الله، وفيها تسلية للرسول' وتثبيت لفؤاده في مقابل تكذيب قومه له، إذ سردت هذه السورة قصص جمع من الأنبياء، وكيفية مواجهة الكفّار والمشركين لهم على مرّ التاريخ، وكيف كانت عاقبة أمرهم، ثُمَّ عادت الآيات الأخيرة منها إلى استرجاع ما كان قد جاء في الآيات الأولى مؤكّدة أنّ هذا القرآن تنزيل من ربّ العالمين. نزل به الروح الأمين ... [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٣]. إذ عبّرت هذه الآيات ونظائرها عن نزول القرآن باسم (التنزيل) وصيغة التفعيل دلالة على الكثرة. وفي ضوء ذلك، قال البعض: إنّ كثرة نزول القرآن إمّا هي بلحاظ تعدد الآيات، وإمّا إنّها بلحاظ كثرة مراتب النزول.
نتأمّل فيما يلي ولو لبرهة وجيزة في معنى كلمة التنزيل وكيفية اقترانها بالإنزال.

الفرق بين الإنزال والتنزيل

استَخدمت الآيات الشريفة كلمات أُخر لبيان كيفية نزول القرآن، منها كلمة (أنزل)، وكلمة (نزّل)، وعلى صيغة إفعال وردت كلمة (إنزال)، وعلى صيغة التفعيل جاءت كلمة (التنزيل). وهذا التنوّع في استخدام الألفاظ المتعددة لموضوع واحد، دفع الباحثين والمفسّرين إلى التساؤل عن وجود أو عدم وجود

(١) المنتقى في علوم القرآن ، د . طه عابدين طه (٧٠/٢) دار الأندلس للنشر والتوزيع ، حائل ، السعودية ، ط٢ ، ١٤٢٩هـ.
(٢)الميزان في تفسير القرآن ١٧: ٦٢.

فارق بين الإنزال والتنزيل، وبالنتيجة هل يتحدّث هذان النوعان من الآيات عن نوعين من النزول، أم ليس هناك فارق بينهما، وكلا الصيغتين تؤديان المعنى نفسه؟ ومن جملة أقدم مصادر العلوم القرآنية التي أشارت إلى هذا الفارق، هو كتاب مفردات ألفاظ للقرآن للراغب الأصفهاني: «الفرق بين الإنزال والتنزيل في وصف القرآن والملائكة، أنّ التنزيل يختص بالموضوع الذي يشير إليه إنزاله مُفَرّقاً مرّة بعد مرّة .... {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}، إنا أنزلناه في ليلة مباركة، شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ... خصَّ لفظ الإنزال دون التنزيل في الآيات السابقة لما روي "أنّ القرآن نزل دفعة واحدة إلى السماء الدنيا، ثُمَّ نزل نجماً نجماً» طيلة مدّة الرسالة"[١].

إنّ ما ذكره الراغب آنفاً في الفرق بين الإنزال والتنزيل، ألقى بظلاله بشكل واسع عَلى البحوث القرآنية وآراء المفسّرين من بعده[٢]مع فارق أنّ القدماء غالباً ما كانوا يوضّحون الفارق بين هاتين الكلمتين بالقول: الإنزال يدلّ على النزول جملة والتنزيل يدلّ على النزول التدريجي، وبذلك حذفوا قيد أشملية صيغة الإنزال.

وقد ذكر جار الله الزمخشري لسببٍ ما هذا الاختلاف بين كلمتي الإنزال والتنزيل على النحو التالي:

أثار الزمخشري في ذيل الآية الشريفة {نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ} السؤال التالي: «فإن قلت: لم قيل: (نزّل الكتاب) و (أنزل التوراة والإنجيل)؟ قلتُ: لأنّ القرآن نزل مُنجماً ونزل الكتابان جملة[٣].

وقد نسج على هذا المنوال المفسرون الآخرون في ذيل هذه الآيات والآيات الأخر المتعلقة بهذا الموضوع ويبدو أنّ البعض اعتقد بأنّ استخدام كلمة التنزيل جاء بسبب كثرة نزول آيات القرآن في مقابل التوراة والإنجيل، ويعزى ذلك إلى أنّ نزول القرآن جاء تدريجياً، وبالنتيجة فقد كان نزوله كثيراً، خلافاً للتوراة والإنجيل اللذين نزلا دفعة واحدة[٤].

نظرية العلامة الطباطبائي في تعدّد النزول القرآني

وبحث العلامة الطباطبائي هذا الموضوع أيضاً. فكتب في المرّة الأولى عند تفسيره الآية (١٨٥) من سورة البقرة {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ...} ما يلي: «الفرق بين الإنزال والتنزيل هو أنّ الإنزال دفعي، والتنزيل يدلّ على التدرج[٥].

وكتب في المرّة الثانية عند تفسيره الآية الثانية من سورة آل عمران: «التنزيل يدلّ على التدرج، والإنزال يبيّن النزول الدفعي[٦].

ولكنه كتب عند تفسيره الآية (١٩٢) من سورة الشعراء {وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ}: «التنزيل والإنزال بمعنى واحد، غير أنَّ الغالب على باب الأفعال الدفعة، وعلى باب التفعيل التدريج[٧].

وكتب أخيراً عند تفسيره سورة القدر: «الإنزال الظاهر في اعتبار الدفعة، دون التنزيل الظاهر في التدريج[١].

---

(١)مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٧٩٩ ـ ٨٨٠، للاطلاع على الرواية موضع الاستشهاد والروايات المشابهة راجع: الدر المنثور، الجزء ٦.

(٢) ينظر: بصائر ذوي التمييز ٢: ٤٩ و ٥: ٣٩؛ عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ٤: ١٦٤.

(٣)الكشّاف ١: ٥٢٦، مكتبة العبيكان، ١٤١٨.

(٤)راجع على سبيل المثال: الوسيط في تفسير القرآن المجيد ١: ٤١٢؛ الجامع لأحكام القرآن ٢: ٢٩٧ و٤: ٥؛ روح المعاني ٣: ١٢٣؛ التفسير الكبير ٣: ١٣٠، معالم التنـزيل ١: ٢٧٧، زاد المسير ١: ٣٤٩؛ تفسير العاملي ٢: ٥، غرائب القرآن ٣: ١٢١؛ مواهب الرحمن ٣: ٤٠.

(٥)الميزان ٢: ١٥.

(٦)المصدر السابق ٣: ٧.

(٧)المصدر السابق ٢٠: ٣٣٠.

وعندما جاء العلامة الطباطبائي على نقد وتمحيص الآراء المطروحة في هذا المضمار كتب ما ينم عن ثباته على رأيه: «والذي يعطيه التدبّر في آيات الكتاب أمر آخر؛ فإنّ الآيات الناطقة بنزول القرآن في شهر رمضان، أو في ليلة منه إنّما عبّرت عن ذلك بلفظ الإنزال على الدفعة دون التنزيل، كقوله تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ} (البقرة: ١٨٥).

تُعزى تسمية نزول القرآن جملة إلى أنّ هذا الكتاب الإلهي نزل كلّه أو قسم منه دفعة واحدة في شهر رمضان، أو أنّ لهذا الكتاب الإلهي حقيقة وراء ما نفهمه بشكل عادي له تفصيل وبسط وتدرّج. وعلى هذا الأساس، فهو إنزالي وتنزيلي أيضاً. وهذا ما يُمكن فهمه من الآيات الإلهية: {الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} [هود: ١].

الإحكام في مقابل التفصيل، والتفصيل جَعْله فصلاً فصلاً، وقطعة قطعة. إذاً إحكام القرآن يعني حالة ومرحلة لا يكون فيها القرآن مقسّماً جزءاً جزءاً، ولا تُقسم أجزاؤه عن بعضها الآخر. فهو في هذه المرحلة يرجع إلى معنى واحد بغير أجزاء وفصول. والآية تدلّ بكلّ وضوح على أنّ هذا التفصيل جاء بعد مرحلة الإحكام.

وهناك ما هو أوضح من ذلك؛ إذ تُبيّن الآيات (٥٣) من سورة الأعراف، و(٣٥ ـ ٣٧) من سورة يونس، بكلّ جلاء، أنّ التفصيل عارض على الكتاب الإلهي. فالكتاب شيء، والتفصيل شيء آخر عارض عليه. والأوضح من ذلك قوله تعالى: {حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ} (الزخرف: ١ـ٤). فإنّه ظاهر في أنّ هناك كتاباً مُبيناً عرض عليه جعله مقروء عربياً، وإنّما أُلبس لباس القراءة والعربية، ليعقله الناس وإلاّ فإنّه ـ وهو في أُمّ الكتاب ـ عند الله، عليّ لا يسعد إليه العقول، حكيم لا يوجد فيه فصل وفصل. وفي الآية تعريف للكتاب المبين وأنّه أصل القرآن العربي المبين، وفي هذا السياق أيضاً قوله تعالى {فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ} (الواقعة: ٧٥ـ٨٠)، فإنّه ظاهر في أنّ للقرآن موقعاً هو في الكتاب المكنون لا يمسّه هناك أحد إلاّ المطهرون من عباد الله، وأنّ التنزيل بعده، وأمّا قبل التنزيل فله موقع في كتاب مكنون عن الأغيار وهو الذي عبّر عنه تارة باللوح المحفوظ، وعبّر عنه تارة أُخرى بأُم الكتاب.

ثُمّ إنّ هذا المعنى، أعني: كون القرآن في مرتبة التنزيل بالنسبة إلى الكتاب المبين ـ ونحن نسمّيه بحقيقة الكتاب ـ بمنزلة اللباس من المتلبّس، وبمنزلة المثال من الحقيقة، وبمنزلة المثل من الغرض المقصود بالكلام هو الصحيح، لأن يطلق القرآن أحياناً على أصل الكتاب، كما في قوله تعالى: {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ} (البروج: ٢٢ـ٢٣)، إلى غير ذلك، وهذا الذي ذكرنا هو الموجب؛ لأن يحمل قوله: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ}، وقوله: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}، على إنزال حقيقة الكتاب إلى قلب رسول الله' دفعة، كما أُنزل القرآن المفصّل على قلبه تدريجياً في مدّة الدعوة النّبوية.

فهذا ما يهدي إليه التدبّر وتدلّ عليه الآيات. نعم، أرباب الحديث، والغالب من المتكلمين والحسّيين من باحثي هذا العصر، لمّا أنكروا أصالة ما وراء المادة المحسوسة اضطرّوا إلى حمل هذه الآيات ونظائرها كالدالّة على كون القرآن هدىً ورحمة، ونوراً وروحاً، ومواقع النجوم، وكتاباً مبيناً، وفي لوح محفوظ، ونازلاً من عند الله، وفي صحف مطهّرة، إلى غير ذلك من الحقائق على أقسام الاستعارة والمجاز، فعاد بذلك القرآن شعراً منثوراً[٢].

نقد نظرية العلامة الطباطبائي

---

(١)سورة البقرة، الآية ١٨٥.

(٢) الميزان في تفسير القرآن ٢: ١٦ ـ ١٩ مع الإيجاز.

سَجَّل العلامة الطباطبائي مثل هذا الاستدلال في مواضع أُخر، وفي مناسبات أُخر، واقتفى خطاه بعض تلامذته أيضاً، إلاّ أنّنا لا نرى صحّة أساس هذا الكلام ولا صحّة الاستدلال عليه، فخلاصة كلام العلاّمة هي أنّ القرآن في مرحلة ما لم يكن مفصّلاً ولا مفرّقاً، وكانت حقيقته بعيدة عن التفصيل. وقد نزلت هذه الحقيقة على قلب الرسول جملة (الإنزال). ومن بعد ذلك اكتسب القرآن قالب الألفاظ وتنزّل على قلب الرسول تدريجياً طيلة مدّة الرسالة (التنزيل). وهذا الكلام إنّما يصحّ فيما لو كان:

١ـ الاختلاف بين كلمتي الإنزال والتنزيل قطعياً من الناحية اللغوية.

٢ـ أن يكون هذا الاختلاف ثابتاً لا ريب فيه في الاصطلاح القرآني وفي الثقافة القرآنية التي استند إليها العلاّمة.

٣ـ ألاّ يكون هناك ما يطعن في صحّة دلالة الآيات موضع الاستشهاد على ما ذُكِر.

بيد أنّ المقدّمات الثلاثة كلّها موضع شكّ وتردّد.

١ـ نقد فكرة التمييز اللغوي بين الإنزال والتنزيل:

دوّن ابن منظور أقدم الآراء في هذا المجال عند شرحه لمعاني كلمة (نزل) على الوجه التالي:

تَنَزَّله وأنزله ونزّله بمعنىً. قال سيبويه: وكان أبو عمرو يفرّق بين نَزَّلت وأنزلت، ولم يذكر وجه الفرق. قال أبو الحسن: لا فرق عندي بين نزّلت وأنزلت إلاّ صيغة التكثير في نزّلت"[١].

وذهب الجوهري إلى أنّ هاتين الكلمتين على معنىً واحد، سوى أنّ التنزيل يحمل عنده معنى الترتيب أيضاً[٢].

وقال الفيّومي أيضاً: أنزلته ونزّلته واستنزلته، كلّها بمعنى أنزلته.

وعلى هذا المنوال ذهب الفيروز آبادي عند بيانه لهاتين الكلمتين، وهو ما سجّله الزبيدي عيناً في شرحه: ونزّله تنزيلاً وأنزله وإنزالاً ومنزلاً كمجمل واستنزله، بمعنىً[٣].

وهكذا يتّضح من خلال ما قاله علماء اللغة والأدباء العرب أنَّ القول بوجود فرق بين الإنزال والتنزيل، لا يستند إلى دليل.

٢ـ نقد فكرة التمييز القرآني بين الإنزال والتنزيل

وهنا ينبغي أن نرى هل يُمكن فهم هذا المعنى في الآيات القرآنية؟ يبدو أنّ الجواب سلبي، فقد جاء في سورة البقرة تقرير لموقف المشركين ومنطقهم الواهي في إتّباع ما كان عليه آباؤهم: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ} (البقرة: ١٧٠).

ومن الواضح أنّ الكلام يدور هنا حول مواجهة المشركين للآيات النازلة التي تُتلى على الناس، وما كان للمشركين من موقف إزاءها، ولا يُراد به تلك المرحلة من (إحكام) القرآن التي جاءت في كلام العلاّمةواعتبرت مدلولاً على الإنزال. وقال الله تعالى عزّ وجلّ في موضع آخر من القرآن الكريم في وصف التأثير العميق للآيات الإلهية: {لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ} (الحشر: ٢١). مثل هذه الآيات غير قليلة في القرآن الذي وصفه هذا العالم الجليل بأنّه اكتسى ثوب العربية، وسمّاه الإنزال[٤].ولم يطلق هذه التسمية على تلك المرحلة العلوية (أم الكتاب) التي لا يتسنّى بلوغها، وأوضحُ الآيات في هذا المجال: {...وَهُوَ الَّذِي أَنَزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً} (الأنعام: ١١٢).

---

(١)لسان العرب ١٤: ١١١.

(٢)صحاح اللغة ٥: ١٨٢٩.

(٣)ترتيب القاموس ٤: ٣٥٨؛ تاج العروس ٥: ٧٢٨.

(٤)راجع: سورة البقرة: ٩٩ و١٧٣؛ سورة الأنفال: ٤١؛ سورة الأنعام: ١١٤؛ سورة الحج: ١٦.

كتب العلامة الطباطبائي في توضيح هذا المعنى ما يلي: «وهو الذي عليكم هذا الكتاب وهو القرآن مفصّلاً متميّزاً بعض معارفه من بعض غير مختلط بعض أحكامه ببعض"[(١)].

أي إنّ الحالة و المرحلة التي جعلها العلامةفي مقابل (الإنزال) عبّرت عنها هذه الآية الشريفة بكلمة (الإنزال)، وحسب تعبير العلامةنفسه أنّ إحدى خصائص القرآن (التفصيل).

وعلى صعيد آخر استخدمت صيغة (التنزيل) للتعبير عن نزول القرآن جملة واحدة: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً} (الفرقان: ٣٢). ومن الواضح أنّ هذه الآية عبّرت عن نزول القرآن جملة واحدة بعبارة (نزّل). وبالنتيجة استخدمت كلمة (التنزيل) بمعنى الإنزال جملة واحدة.

نهى الباري تعالى الرسول' والمؤمنين عن مخالطة من يستهزئون بآيات الله، فقد جاء في سورة الأنعام ما يلي: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ}[الأنعام: ٦٨].

وأشار في موضع آخر إلى هذه الآية بقوله: {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ} [النساء: ١٤٠]. استخدمت في هذه الآية الشريفة التي تشير من غير شكّ إلى تلك الآية[(٢)].،كلمة (نَزَّل) بصيغة التفعيل، ولا يراد بها هنا النزول التدريجي أو المتعاقب.

ويفهم في ضوء ذلك أنه ليس ثمّة فارق بين معنى هاتين الكلمتين في الاستخدام القرآني، وكما ذكرنا سابقاً فإنّه اعتبر هذا الاستخدام غالباً، إلاّ أنّنا نرى أنّ هذا الكلام غير صحيح أيضاً.

٣ـ وقفة نقدية مع الشواهد القرآنية الـتي قدّمها الطباطبائي

وهنا نلقي نظرة على الآيات التي استدلّ بها العلامة الطباطبائي لإثبات مراده، لنلاحظ هل أنّها تثبت ذلك الرأي أم لا؟ الآية الأولى التي استدلّ بها هي الآية الشريفة التالية:{الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} [هود: ١].

تتحدّث هذه الآية الشريفة عن القرآن وخصائصه. فقد جعل الله تعالى لقرآن صفتين هما: الإحكام، والتفصيل، مبيّناً أنّ هذا الكتاب أُرسل من عند حكيم خبير، وتقول هذه الآية: إنّ القرآن وآياته على درجة عالية من النظم الرصين المحكم الذي لا يقع فيه نقص ولا خلل. وهنا يجب التساؤل عن الداعي لاستخدام كلمة (أُحكمت) و(الإحكام) كمرتبة من مراتب القرآن، وبمعنى أنّها مرحلة ذات حقيقة واحدة غير مفصّلة ولا مُجَزأة؟ هذان الوصفان في هذه الآية، وأشباههما من الأوصاف، من خصائص الدلالة في الكلام والألفاظ، وليستا من خصائص (الوجود العيني). فما ذكرناه حول الإحكام كان قد صَرّح به المفسّرون، ومنهم الزمخشري الذي كتب ما يلي: «نُظمت نظماً رصيناً محكماً لا يقع فيه نقض ولا خلل، ثُمَّ جعلت فصولاً سورة سورة، وآية آية"[(٣)].

وقد جاء الفخر الرازي برأي مشابه لرأي الزمخشري، وربّما يكون استقاه منه.

وذكر أمين الإسلام الطبرسي في مجمع البيان عدّة أقوال في تفسير هذه الآية، منها أنّه ذكر في معنى (أُحكمت)، أي أُتقِنت آياته فليس فيها خلل ولا باطل. بيد أنّه كتب في جوامع الجامع الذي كتبه بعد مجمع البيان، وضمّ المختار من آراء وأفكار هذا المفسّر الجليل، كتب فيه ما يلي: «نظمت محكماً لا نقص ولا خلل كالبناء المحكم، أو جعلت فصولاً آية آية وسورة سورة ... ومعنى «ثُمَّ» التراخي في الحال لا في الوقت، كما تقول: هي محكمة أحسن الإحكام ثُمَّ مفصّلة أحسن التفصيل"[(٤)].

المراد بالكتاب القرآن، والمعنى أنّ هذا الكتاب واضح المعاني محكم النظم لا نقص فيه ولا خلل[(٥)]..

---

(١) الميزان في تفسير القرآن ٧: ٣٢٧.
(٢)راجع: الجامع لأحكام القرآن ٥: ٤١٧؛ أضواء البيان ١: ٢٥٢؛ الميزان ٥: ١١٥.
(٣)الكشاف ٣: ١٨١.
(٤)مجمع البيان ٥: ١٤١؛ جوامع الجامع ٢: ١٣٤.
(٥)الكاشف ٤: ٢٠٤.

وكشف المفسّر المغربي الجليل ببيان دقيق أنّ هاتين الكلمتين تدلّان على ميزتين يتّسم بهما كتاب الله، وهما: الإحكام، وإتقان الأشياء بحيث تكون سالمة من الإخلال التي تعرض لنوعها[1]، والطريف في الأمر أنّ العلاّمة الطباطبائي عند بحثه لهذا الموضوع استقى المعنى من هذه الآية وفسّر كلمة (الإحكام) بالمعنى الذي ذكرناه.

وعند تفسيره سورة هود، وتفسير هذه الآية بالذات، نقد الآراء الأخر، ولكنه لم يذكر هذا الكلام اعتقاداً منه بأنّ وجود الآيات المحكمات في المفضّلة يدلّ على أنّ الآيات القرآنية الشريفة مع ما تنطوي عليه من اختلاف في المضامين وتنوّع في المعاني والمقاصد والأغراض، تعود كلّها إلى معنىً واحد وبسيط، وهذه الحقيقة تسري في الآيات كسريان الروح. تلك الحقيقة الواحدة الجارية هي التوحيد الذي يسري في جميع آيات العقائد وآيات الأخلاق، وما شابه ذلك.

وكذا فمن الواضح بأنّ هذه الآية الشريفة استخدمت كلمة (أُحكمت) لتُبيّن بأنّ كلّ المعارف والأحكام القرآنية ذات مصدر واحد، وأنّ المراد من الكتاب في هذه الآية هو القرآن الذي بين أيدينا، وأنّ هذا البيان بيان دقيق ومقبول. وهذا يعني (أُحكمت) و(فُصّلت) تمثّلان صفتين لهذا القرآن الذي «اكتسى ثوب العربية» وليس سواه، وقد جاء هذا الكلام في سياق إثبات الرأي الذي طرحه سماحته.

الآية الأخرى التي استشهد بها العلامة الطباطبائي هي الآية الشريفة التالية: {وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ}[يونس: ٣٧]. قال العلامة الطباطبائي: إنّ هذه الآية تبيّن بكلّ جلاء أنّ و(التفصيل) أمر عارض على القرآن، إذاً فالكتاب شيء، و (التفصيل) شيء آخر عارض عليه.

إنّ سورة يونس من السور المكّية، وكأنّها أُنزلت عقيب إنكار المشركين الوحي النازل على النَّبي' وتسميتهم القرآن بالسحر. فردَّ الله سبحانه ذلك عليهم ببيان أنّ القرآن كتاب سماوي نازل بعلمه تعالى، وأنّ الذي يتضمّنه من معارف التوحيد ممّا تدلّ عليه آيات السماء والأرض ... وذلك قول الله عزّ وجل: {وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ}. إذاً الكلام يدور حول القرآن، وهو الكتاب الذي نزل، ودخل المشركون في مواجهة معه، وما جاء فيه من ردّ إلهيّ على أقاويلهم وظنونهم. وأنَّ هذا القرآن يتّسم بالمزايا التالية:

١ـ إنّه مصدّق لما جاء من قبله.

٢ـ تفصيل الكتاب.

٣ـ لا ريب فيه.

٤ـ إنّه من رب العالمين.

وإنّما يصحّ استدلال العلاّمة الطباطبائيبهذه الآية فيما لو كان مراده من (الكتاب) القرآن الذي لم يتلبّس بثوب العربية، وإلاّ فما تأثير التفصيل العارض على الكتاب، وكون كلّ من الكتاب والتفصيل بمعزل عن الآخر، في إثبات رأي سماحته؟ ومع كلّ ذلك فنحن نعلم بأنَّ المراد من الكتاب هنا ليس القرآن، وإنّما المراد «الشرائع وما أُوجب على الإنسان»، أو «الكتب السماوية"[2].

---

(١)التحرير والتنوير ٦: ٣١٤.

(٢)إنّ ما ذكرناه هنا هو عبارة عن آراء المفسّرين في تبيين المراد من (الكتاب) في جملة >تفصيل الكتاب .<قال الطبري : >المراد تفصيل الفرائض التي أُوجبت على أُمة محمّد<'، جامع البيان؛ وهكذا رأي الشيخ الطوسي&، التبيان ٥: ٣٧٧. وراجع أيضاً: الوسيط ٢: ٥٤٨؛ البحر المحيط ٦: ٥٧. ولكن هناك مفسرون وخاصّة من المتأخّرين قالوا بأنّ «الكتاب» هنا اسم جنس، بمعنى أنّ القرآن تفصيل وشرح وبيان للكتب السماوية السابقة، وتصديق وتبيين لها. قال العلاّمة الطباطبائي : >تفصيل الكتاب<عطف على >تصديق<، والمراد بالكتاب بدلالة من السياق جنس الكتاب السماوي النازل من عند الله سبحانه على أنبيائه، الميزان ١٠: ٦٤؛ وراجع أيضاً: فتح القدير ٢: ٥٠٦؛ المنار ١١: ٣٦٨؛ في ظلال القرآن ٣: ١٧٨٥؛ التحرير والتنوير ١١: ١٦٨؛ تفسير نمونه (التفسير الأمثل) ٨: ٢٨٨.

وعلى هذا الأساس، ليس هناك أية صلة بين هذه الآية وبين ما ذكره العلامة الطباطبائي في توضيح تفسير الآية (١٨٥) من سورة البقرة. والآية ترمي إلى إثبات وحيانية القرآن وتأكيد حقيقة أنّ هذا الكتاب امتداد للكتب السماوية وتعاليمه، وآياته تفصيل، وشرح، لمعارف الكتب السابقة؛ كما أكّد العلامة صواب هذا المعنى عند تفسيره الآية نفسها في سورة يونس، ولكنه لم يُشر إلى المعنى الذي استند إليه.

ومن الآيات الأخر التي استند إليها العلامة الطباطبائي لإثبات وجهة نظره، هي الآيات (٧٧ ـ ٨٠) من سورة الواقعة: {إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ} التي تثبت أنّ للقرآن مكانة أخرى يُعبّر عنها بـ (الكتاب المكنون)، ولا يمسّه إلا المطهّرون. و(التنزيل) مرحلة أخرى جاءت في أعقابها. وقبل التنزيل كانت هذه المكانة عالية بعيدة عن متناول أيدي الأغيار، إلى أن هبط في مرحلة التنزيل واكتسى ثوب العربية.

ولكنّنا نعتقد أنّ هنالك شكّ في انطباق هذه الآية على المعنى المزعوم على الأقل.

فالله عَزَّ وَجَلَّ يُقسم ويؤكّد ذلك القسم؛ ليقول بأنّ (القرآن) كتاب كريم. وهكذا فهو عَزَّ وَجَلَّ يصف القرآن في هذه الآيات بأنّه يتّصف بمزايا خاصّة. فقد جاءت سورة الواقعة تحمل في بدايتها لهجة تتصف بالصرامة والحزم. وتتحدّث عن القيامة الكبرى والبعث والنشور، ثُمَّ تبيّن القدرة الإلهية لتبطل دعاوى المشركين المنكرين لتوحيد الله وربوبيّته وإلوهيّته وللبعث والجزاء. ومن الطبيعي أنّ هؤلاء المشركين لا يستسيغون كلّ هذه التعاليم السماوية؛ لأنّهم لا يؤمنون بكتاب الله، ولا يعتبرون القرآن وحياً نازلاً من السماء، بل يظنون أنّه من عند الرسول. وبعد الحديث عن التوحيد والبعث، أقسم الباري تعالى إيماناً مغلظة بأنّ ما تنكرونه ولا تقرّون بأنّه وحي نازل من السماء، يتصف بما يلي:

١ـ إنّه قرآن كريم زاخر بالمنافع، وفيه تعاليم كريمة قيّمة لسعادة الدنيا والآخرة.

٢ـ إنّ لهذا الكتاب جذور تمتدّ في (الكتاب المكنون)، وهو اللوح المحفوظ. ويبدو أنّ هذا الآية تتماشى مع سياق الآيتين (٢١ ـ ٢٢) من سورة البروج: {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ}، أي إنّه كتاب محجوب عن الأبصار والأفهام وعن دائرة إدراك الإنسان، أي لا تتوهموا بأنّ هذه المعارف منقطعة الأصول وليست ذات جذور، بل تمتد جذور هذا القرآن إلى الكتاب المكنون، وهذه التعاليم مستقاة من العلم الإلهي المطلق. وهذا يعني بأنّه محفوظ ومصان من الخطأ وما إلى ذلك.

٣ـ هذا القرآن عليٌّ وكريم ومستقى من العلم الإلهي وتمتد جذوره في (الكتاب المكنون) الذي لا يناله ولا يدرك أعماقه إلاّ المطهّرون، أو لا ينبغي لغير المطهّرين مدّ أيديهم إليه ولمسه.

وصلب الموضوع هنا هو هل {لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ} وصف للقرآن أم للكتاب المكنون؟ والظاهر أنّه وصف للقرآن الكريم. فقد نقل العلامة الطباطبائي كلا الرأيين قائلاً:

أـ وصف للكتاب المكنون.

ب ـ وصف ثالث للقرآن.

غير أنّه لم يعيّن صواب أحدهما، وإنّما اكتفى بذكر هذين الرأيين فحسب، خلافاً لموضع الاستشهاد حيث أكّد بشكل قاطع أنّه وصف للكتاب المكنون. و(المس) على معنيين: اللمس الظاهري، والعلم والإدراك. وهكذا فالآية تظهر من جهة أنّ علومه لا تُنال، وحقائقه لا تدرك، وغوره لا يسبره إلاّ المطهّرون، وتدعو من جهة أُخرى إلى أن لا يمسه غير المطهّرين(١).

وفي الحالة الثانية الجملة إخبارية في مقام إفادة معنى إنشائي. وقد ورد المعنى الثاني في الروايات أيضاً(٢)، ويفيد هذا النوع من الروايات أنّ جملة (لا يمسّه ...) وصف للقرآن وليس للكتاب المكنون.

---

(١)الميزان ٢٠: ١٣٧.

(٢)التهذيب ١: ١٢٧؛ مجمع البيان ٩: ٣٤١؛ البرهان ٥: ٢٧٢.

٤ـ إنّه قرآن كريم تنبثق جذوره من العلم الإلهي ولا يدرك حقائقه إلاّ المطهّرون. وهو كتاب منزل من ربّ العالمين الذي وسعت ربوبيّته كلّ العالمين، فهو ربّكم أيضاً. وهذا ما يوجب عليكم الإقرار بحقائق كتابه والإيمان به، وعدم التمرّد عليه وعصيان أوامره، وما إلى ذلك.
وخلاصة القول هي:
أوّلاً :جملة (لا يمسّه ...) ليست وصفاً للكتاب المكنون لتكون ذات دلالة على المكانة والموقع، وأنّه لا يُنال ....
ثانياً :على فرض أنّ الأمر كذلك، فمن أين كانت مرحلة الإنزال تلك، ومن بعدها جاءت مرحلة التنزيل؟ وما هو الأساس الذي يستند إليه هذا الاستخدام للكلمات؟
اتّضح ممّا ذكرناه إلى الآن بأنّ ما استدلّ به العلاّمة الطباطبائي على وجود اختلاف بين كلمتي (الإنزال) و(التنزيل) غير ثابت، وما من دليل مقنع عليه. وهكذا يبدوا أنّ كلامه النهائي لا يستند إلى دليل حين يقول بأنّ هناك من يحملون نظرة حسيّة وتجريبية ولا يدركون ما وراء الطبيعة على نحو صحيح و. ...
قال العلاّمة محمّد حسين فضل الله، بعد أن طرح العقدة الموجودة في هذا الموضوع على بساط البحث، واستعرض آراء العلماء والمفسّرين، ومنها رأي العلاّمة الطباطبائي الذي لجأ إلى القول بوجود نزولين للقرآن، عند بيانه لهذا الموضوع :والواقع أنّ الظاهر من القرآن هو أنّ إنزاله كان في ليلة من شهر رمضان، ولا نجد هناك فرقاً بين الآيات التي تتحدّث عن إنزال القرآن في ليلة القدر أو في شهر رمضان، وبين الآيات التي تتحدّث عن إنزاله على مكث أو تدريجياً.
ثُمَّ كتب، مشيراً إلى الكلام الأخير للعلاّمة الطباطبائي، ما يلي: "ولا نستطيع أن نحمل القرآن على معنىً غامض خفي في علم الله، لا من جهة أنّنا نريد أن نفسّر القرآن تفسيراً حسياً مادياً كما يفعل الحسيون، بل من جهة أنّه لا دليل على ذلك فيما حاول بعض المفسّرين أن يقيم الدليل عليه، ممّا لا مجال للخوض في النقاش فيه؛ لأنّنا لا نجد فيه كبير فائدة ... وعلى ضوء ذلك، فإنّ هذا الظهور القرآني البيّن يجعلنا لا نثق بالروايات التي توقت البعثة في رجب ولذلك فمن الممكن أن يكون المراد من الإنزال هو أوّل الإنزال، والظاهر أنّ هذا المقدار كاف من الجانب التفسيري من القضية"[١].

نظريات أخرى في الإنزال والتنزيل

بعد أن شرح المفسّر الجليل الشيخ حسن المصطفوي المعنى اللغوي لكلمة (النزول) في ضوء ما ورد في القواميس الغوية، وعلى أساس أُسلوبه في بحث معاني الكلمات، بَيّنَ المعنى الأساسي لهذه الكلمة، وعرض الاختلاف بين كلمتي (الإنزال) و(التنزيل) في ضوء الآيات التي استخدمت فيها هذه الكلمات، وأدرج مسرداً بتلك الآيات، وكتب ما يلي: الإنزال: الهبوط الذي يلاحظ فيه جهة صدور الفعل من الفاعل: {هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ}، {وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا}...

(١)من وحي القرآن ٤: ٢٢. كما أشرنا في بداية البحث أنّ مشكلة البحث تكمن في أنّ ضرورة تاريخ الإسلام وكيفية نزول الآيات الإلهية تقتضي أن تكون قد نزلت بمواكبة دعوة الرسول'. غير أنّ ظاهر بعض الآيات، مثل الآية} :**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**{، يوحي بأنّ القرآن نزل جملة واحدة في ليلة القدر. وهذه المشكلة دفعت قسماً من المفسرين إلى الانسياق نحو القول بوجود فارق بين كلمتي (الإنزال) و (التنـزيل). والروايات التي أُشير إليها في كلام العلاّمة محمّد حسين فضل الله، وعلقت في ذهن وعلى ألسنة المفسرين، اعتبرت أقوالاً ظنيّة تظهر أنّ نزول سورة العلق أو أوائل آيات البعثة (كسورة المدّثر كما يرى البعض) كان في ليلة البعثة، واعتبر البعض هذه الآيات (وردت عن طريق الشيعة أو عن طريق أهل السُنّة) (تفسير كوثر ١: ٤٦٦؛ قرآن شناسي ١: ١٠٦ الهامش). هذه الأقوال كلّها لا دليل عليها، ولا توجد رواية واحدة دالة على أنّ هناك آية نزلت في ليلة البعثة أو صادفت معها، عدا قول واحد ورد في التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري× (بحار الأنوار ١٨: ٢٠٦). وقد بحثنا نزول القرآن جملة واحدة أو نجوماً في مقالة أُخرى. وما أوردناه هنا مجرّد إشارة دعانا إليها بحث موضوع (التنـزيل|).

وأما التنزيل: فهو الهبوط الذي يلاحظ فيه جهة الوقوع، فيكون النظر إلى الفعل من جهة الوقوع وتعلّقه بالمفعول والمتعلق، كما في: {نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ}، و{نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ}.
ولو كان هذا الاختلاف يصدق على كلّ الحالات، فهو دقيق ومقبول، ولكن الأمر ليس كذلك، {إِنَّ وَلِيِّيَ اللّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ}[الأعراف: ١٩٦]، {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ}[العنكبوت: ٦٣]. وهناك آيات شريفة أُخرى استُخدمت فيها كلمة (نَزَّل) من غير أن تُلاحظ فيها جهة الوقوع والتعلّق بالمفعول.
وذهب بعض العلماء والباحثين في علوم القرآن مذهباً آخر، فقالوا: بأنّ هناك معنىً يُمكن تطبيقه على جميع الآيات من غير استثناء، وهو: إنَّ الوجه الآخر للفارق بين هاتين الكلمتين وهو ما يبدو أكثر وضوحاً هو أنّ الإنزال يدلّ على صيغة التعدّي فقط، ولا يحمل بين ثناياه مفهوم النزول جملة واحدة أو النزول نجوماً، وليس فيه دلالة على الوحدة أو الكثرة ولذلك فهو يتماشى مع الوحدة والكثرة ومع النزول نجوماً أو جملة واحدة، ولكن بالنسبة إلى كلمة التنزيل، فبما أنّها جاءت على صيغة التفعيل فقد لوحظ فيها معنى الكثرة (وليس معنى التدرّج والنزول نجوماً). وقد تأتي هذه الكثرة من ناحية الفعل تارة، مثل: (طوّفت الكعبة) أي طفت الكعبة مراراً، وتأتي تارة أُخرى من ناحية الفاعل كقولهم: (موّتت الآبال) وتأتي تارة ثالثة فيما يخصّ المفعول، مثل: (غَلَّقت الأبواب) أي أغلقت أبواباً كثيرة. بالنسبة لنزول القرآن، يمكن أن تؤخذ بنظر الاعتبار الكثرة من حيث تعدّد مراتب النزول (نوع الكثرة في الفعل)؛ لأنّه كما سبقت الإشارة هناك بَون شاسع بين المرتبة الحقيقية للقرآن (مرتبة من علم الله) وبين مرتبة الألفاظ والمفاهيم. وفي ضوء ذلك يصح استخدام كلمة التنزيل لنزول آية أو موضوع، ويصح استخدامها أيضاً لنزول مجموع القرآن حتّى بصفته وحدة اعتبارية أو حقيقية.
وهنا ينبغي أن نضيف إلى ذلك ما يأتي:
أولاً :هذا الاختلاف يقم على القول بوجود بَوْنٍ شاسع بين المرتبة الحقيقية للقرآن (مرتبة من علم الله) ومرتبة الألفاظ والمفاهيم إلى الحدّ الذي يصدق عليها عنوان (الكثرة). وهذا أمر بعيد جدّاً.
ثانياً: في الآيات التي استخدمت فيها هذه الصيغة وجاءت كنقل أقوال الآخرين، يجب أن نعلم بأنّهم كانوا يعتقدون أيضاً بوجود هذا الفارق الشاسع بين تلك المرتبة الحقيقية ومرتبة الألفاظ والمفاهيم، بحيث استخدموا تلك الصيغ: {وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ}[الحجر: ٦]، {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً} (الفرقان: ٣٢)، {وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ}[الزخرف: ٣١].
تظهر مثل هذه الموارد الأخر التي استُخدمت فيها هذه الصيغة (وليس الآيات الشريفة التي لا يُمكن أن تؤخذ فيها الكثرة بنظر الاعتبار)، وكأنّ من جملة معاني صيغة التفعيل، وخاصّة كلمة (التنزيل)، الدلالة على الكثرة، غير أنّ هذا المعنى غير عام ولا شامل، وهذا الاختلاف غير ثابت.
وبذلك وبعد أن ذكرنا الآراء المختلفة حول الفارق بين كلمتي (الإنزال) و (التنزيل) وبيّنا تهافتها، يُمكن القول بأنّ هاتين الكلمتين لا فارق بينهما في الاستخدام القرآني، كما أوضحنا ذلك آنفاً نقلاً عن علماء اللغة. ومن حيث الآيات القرآنية فهذا الفارق لا وجود له أساساً، كما أسلفنا القول، بل يُمكن القول إنّ الآيات تحمل دلالة واضحة على أنّ كلمتي (الإنزال) و (التنزيل) عبارة عن صيغة متعدية لكلمة النزول، وهما مترادفتان في معناهما تقريباً ويصحّ استخدام كلّ واحدة منهما بدل الأخرى. فالقرآن الكريم قد يُعبر عن موضوع معيّن بكلمة (الإنزال) تارة، أو بكلمة (التنزيل) تارة أخرى: {وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ} (الأنعام: ٣٧)، {وَيَقُولُونَ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ} (يونس: ٢٠).
ونحن نرى صواب آراء المفسّرين الذين قالوا في ضوء ما فهموه من الآيات القرآنية الشريفة وبعد التدبّر في معاني الكلمات وكيفية استخدامها، أنّ لكلمتي (الإنزال) و (التنزيل) معنىً واحداً.

في القرآن الكريم في الآية الثانية من سورة آل عمران جاء التعبير عن نزول القرآن بكلمة (نَزَّلَ)، وعَبَّر عن نزول التوراة والإنجيل بكلمة (أنزل)، وهذا ما دفع بعض المفسّرين إلى الظن بأنّ هذا الاختلاف في التعبير يُعزى إلى أنّ القرآن نزل منجّماً، ونزل الكتابان (التوراة والإنجيل) جمل[1]، وقد كتب أبو حيّان الأندلسي الأديب والمفسّر المعروف في القرن الثامن، في نقد هذا الرأي: إنّ التعدية بالتضعيف لا تدلّ على التكثير ولا التنجيم، وقد جاء في القرآن (نَزَل) و (أنزَل) بمعنى واحد.

وكتب الشيخ ابن عاشور: "ووقع في الكشّاف هنا وفي مواضع متعدّدة أن قال: (نَزَّل) يدلّ على التنجيم، وأن (أنزل) يدل على أنّ الكتابين أُنزلا جملة واحدة. وهذا لا علاقة له بمعنى التقوية المُدَّعى للفعل المضاعف، إلاّ أنّ يعني أنّ (نزَّل) مستعمل في لازم التكثير، وهو التوزيع، وردّه أو حيّان الأندلسي وبيّن وهنه"[2].

وذكر ابن منظور في لسان العرب أن نزل وأنزل بمعنى واحد[22].

وعلى هذا فالتنزيل يدلّ على نزول آيات الله من موضع رفيع ومن مقامٍ ملكوتي، وهذا لا يختلف عن الإنزال الذي يدلّ على هذا المعنى نفسه، وكما ذكرنا في بداية البحث أنّ هناك موارد متعدّدة في القرآن وردت فيها كلمة (التنزيل) لوصف كتاب الله، وقد اعتبر العلماء خمسة منها اسماً للقرآن أو وصفاً مباشراً له. وأحد هذه الموارد الآية (٤٣) من سورة الحاقة، حيث قال الله عَزَّ وَجَلَّ بعد القسم بكلّ ما يبصره الناس : {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ}، إذ تحمل (الحاقة) لهجة تهويل وتنبيه وتوعية. وهي تبدأ بأحد أسماء يوم القيامة. وهي رمز وتعبير واضح لتمرد قوم ثمود على الحق وتكذيبهم لنبيّهم والنهاية المهلكة التي انتهوا إليها، وكذلك العذاب الذي أصاب قوم عاد. وجرى وصف كلّ تلك الأهوال بكلمات مثيرة تقرع الأسماع، ثُمَّ تتحدّث أيضاً عن مشهد يوم القيامة وعرض الناس للحساب، واستلام كلّ شخص صحيفة أعماله وما سُجّل عليها في الدنيا ونتيجة ذلك وموقف الإنسان في ذلك اليوم، ثُمَّ جاء القَسَم بالأرض وما عليها أنّ كلّ ما جرى وصفه حق، وما هو بقول شاعر ولا كهانة كاهن، بل هو تنزيل من ربّ العالمين، لعلّ الإنسان يتنبّه ويتذكّر ويصغي إلى تعاليم القرآن وما فيه من رسالة موقظة للضمائر، عساه أن يدرك بكلّ وجوده حقيقة كلام الله وما ينطوي عليه بين سطوره[3].

نستنتج مما سبق أنّ الحالات المتعدّدة لكلمة التنزيل التي وردت في الآيات الشريفة (وهي أربعة عشر مورداً) جاءت كوصف للقرآن الكريم. ونحن من جهة نعتبر كلّ هذه الكلمات وصفاً للقرآن وليست اسماً له، ومن جهة أُخرى لا نرى أي فارق بين المواضع الخمسة التي وردت فيها هذه الكلمة وبين المواضع الأُخر. وأخيراً اتّضح أنّ الاستخدام اللغوي والقرآني لكلمة التنزيل لا يختلف عن كلمة الإنزال[4].

رابعا:- مراحل جمع القرآن الكريم وترتيبه.

المراد بجمع القرآن عند العلماء أحد معنيين : أولهما الحفظ، وهذا المعنى هو الذي ورد في قوله عز وجل في خطابه لنبيه صلى الله عليه وسلم «لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه»[5].

---

(١) البحر المحيط ٣: ١٦.

(٢)التحرير والتنوير ٣: ١٤٨.

(٢٢) انظر: اللسان، "نزل".

(٣)المواضع الأُخر التي وردت فيها كلمة التنـزيل عدا ما ذكرناه سابقا:

سورة السجدة: الآية ١٢، سورة الزمر: ١؛ سورة غافر: ٢؛ سورة الإسراء: ١٠٦؛ سورة الإنسان: ٢٣، وفي كلّ هذه المواضع جاءت كلمة التنـزيل بمثابة وصف للقرآن الكريم.

(٤) ينظر: الإنزال والتنزيل في القرآن، محمد علي مهدوي(مقال منشور في الشبكة الالكترونية).(بتصرف بسيط).

(٥) : القيامة الآيات : ١٦ ـ ١٧ ـ ١٨.

وثانيهما : الكتابة والتدوين، أي كتابة القرآن كله مفرق الآيات والسور، أو مرتب الآيات والسور في صحائف مجتمعة تضم السور جميعا[١].

وقد اجتمع للقرآن الكريم ما لم يجتمع لغيره من الكتب السابقة فاعتمد في طريقة نقله المشافهة والحفظ والكتابة والتدوين، وتعتبر مسألة المشافهة والحفظ وهي أولى مراحل الجمع، من أعظم خصيصة شرفت بها الأمة الإسلامية دون سائر الملل والنحل.

جمع القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

اعتبرت طريقة الحفظ* والمشافهة الوسيلة الوحيدة التي اعتمد عليها في جمع القرآن الكريم في العهد النبوي، فالقرآن الكريم لما نزل بروعة نظمه ونقاء ألفاظه وشدة تأثيره على العقول والمشاعر اشتد اهتمام العرب به، وخاصة الذين كانوا من السابقين إلى الإيمان به، وكانوا يترقبون كل جديد ينزل به الوحي يجمعون بين حفظه والعمل به، وهكذا اهتم جم غفير من الصحابة كالخلفاء الأربعة ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت ... بجمع القرآن الكريم وحفظه، وكان النبي صلى الله عليه وسلم كلما نزل عليه شيء من الوحي أمر كتبة الوحي بكتابته فورا، سماعا من فمه ثم ينتشر ما نزل بين الناس، فكانت العلاقة بين المسلمين وكتاب ربهم هي الحفظ استنادا لما سمعوه من في رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذه خصيصة خص الله بها الأمة المحمدية. قال بن الجزري : «إن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور لا على خط المصاحف والكتب أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة»[٢].

ومع حرص الصحابة على مدارسة القرآن واستظهاره، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يشجعهم على ذلك، ويختار لهم من يعلمهم القرآن، عن عبادة بن الصامت قال : «كان الرجل إذا هاجر دفعه النبي صلى الله عليه وسلم إلى رجل منا يعلمه القرآن، وكان يسمع لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ضجة بتلاوة القرآن، حتى أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا»[٣].

وكان الصحابة يعرضون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لديهم من القرآن حفظا وكتابة، ولم تكن الوثائق التي كتبوها في العهد النبوي مجتمعة في مصحف عام بل عند هذا ما ليس عند ذاك، وهذا يعزى إلى اختلاف قراءات الصحابة لكون القرآن أنزل على سبعة أحرف.

وقبض النبي عليه الصلاة والسلام والقرآن محفوظ في الصدور ومكتوب في الصحف، مفرق الآيات والسور، أو مرتب الآيات فقط وكل سورة في صحيفة على حدة، بالأحرف السبعة الواردة، ولم يجمع في مصحف عام، حيث كان القرآن ينزل فيحفظه القراء ويكتبه الكتبة، ولم تدع الحاجة إلى تدوينه في مصحف واحد، لأنه عليه الصلاة والسلام كان يترقب نزول الوحي من حين لآخر، وقد يكون منه الناسخ لشيء نزل من قبل، وكتابة القرآن لم يكن ترتيبها بترتيب النزول بل تكتب الآية بعد نزولها حيث يشير صلى الله عليه وسلم إلى موضع كتابتها بين آية كذا وآية كذا في سورة كذا قال الزركشي: «وإنما لم يكتب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم مصحف لئلا يقضي إلى تغييره في كل وقت، فلهذا تأخرت كتابته إلى أن كمل نزول القرآن بموته صلى الله عليه وسلم»[٤]، وبهذا يفسر ما روي عن زيد بن ثابت قال : «قبض النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن القرآن جمع في شيء»[٥] وقال الخطابي : " إنما لم يجمع صلى الله عليه وسلم القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته، فلما انقضى نزوله بوفاته ألهم الله

---

(١) : أنظر مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ١١٩ وكذلك الإتقان للسيوطي.

* : المقصود به الحفظ في الصدور والسطور.

(٢) : مباحث في ع. القرآن ص ١٢٣.

(٣) : نفسه، ص ١٢١.

(٤) : مباحث في علوم القرآن ص ١٢٥.

(٥) : نفسه.

الخلفاء الراشدين ذلك، وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة* فكان ابتداء ذلك على يد الصديق بمشورة عمر "(١).

خلاصة القول أن الهدف من الجمع الأول كان هو حفظ القرآن واستظهاره خشية أن يفلت منه شيء، قال تعالى : «لا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضي إليك وحيه وقل ربي زدني علما».

جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-

بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم واستقرار نصوص الوحي دعت الضرورة إلى كتابة القرآن الكريم وترتيبه بمحضر من حفظته لاسيما بعد استشهاد كثير من حملته وظهور حركة الردة من جهة، ومن جهة أخرى دخول الناس في دين الله أفواجا وهم لا يعرفون من القرآن شيئا.

وبعد أن استحر القتل بالقراء في معركة اليمامة وخشية أن يضيع القرآن أو يلتبس الأمر على المسلمين في شأن من آياته أشار عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- على الخليفة أبو بكر الصديق بجمع القرآن وكتابته خشية الضياع، فتردد أبو بكر في قبول ذلك خشية أن يفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد تردد شرح الله صدره لذلك، فكلف زيد بن ثابت -وهو ممن شهد العرضة الأخيرة مع النبي صلى الله عليه وسلم- بجمع القرآن ولا يخفى ما في هذا التكليف من مشقة قال زيد " والله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان علي أثقل مما أمرت به من جمع القرآن "(٢).

ويتجلى جمع أبي بكر في جمع الوثائق التي كتبها كتبة الوحي في حضرة رسول الله، بمعنى تنسيق وثائق كل سورة مرتبة آياتها على نسق نزولها، ولا معنى لهذا الجمع الاما تم ذكره، وإطلاق وصف المصحف عليه إطلاق مجازي القصد منه أن يكون مرجعا موثوقا به عند اختلاف الحفاظ.

ومما يجب التنبيه إليه أن الجمع في هذه المرحلة لم يضف شيئا أو يحذفه من تلك الوثائق الخطية التي تم تدوينها في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وإملاء منه على كتبة وحيه الأمناء الصادقين.

وكان عمل الصديق رضي الله عنه محل إكبار الصحابة كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه " أعظم الناس في المصاحف أجراً أبو بكر رحمة الله على أبي بكر هو أول من جمع كتاب الله "(٣).

جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه اتسعت رقعة الدولة الإسلامية وامتد سلطانها واختلطت شعوبها، وتداخلت لغاتها وأخذ كل إقليم يلتفت حول صحابي ليعلمه القرآن، فكان من الطبيعي أن تتعدد القراءات وتتباعد اللهجات ويقع الاختلاف في القرآن خاصة في وجود مصاحف الصحابة التي لم يمكن ترتيبها وضبط تلاوتها ورسمها لتباعد الأمصار الإسلامية عن المدينة، وخشي بعض الصحابة أن تتسع دائرة الخلاف فطلبوا من الخليفة أن يوحد الناس على مصحف واحد قال حذيفة ابن اليمان لعثمان : " يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى "(٤). فأدرك عثمان عظم الأمر وقال للصحابة، اجتمعوا يا أصحاب محمد واكتبوا للناس إماما. فأرسل إلى حفصة أن إرسل إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأمر طائفة من الصحابة (كزيد بن ثابت، عبد الله بن الزبير، سعيد بن العاص ...) فنسخوها في المصاحف وقام عثمان بإرسال نسخ منها إلى كل الأمصار(٥).

---

* : إشارة إلى قوله عز وجل : " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ".
(١) : مباحث في علوم القرآن ص ١٢٥.
(٢) : مباحث في علوم القرآن ص ١٢٧.
(٣) : www.al-islam.com/articles/articles.asp?fname=ALISLAM_L١١_A
(٤) : مباحث في علوم القرآن ص ١٣٠.
(٥) : أنظر مباحث في علوم القرآن لمناع القطان وصبحي الصالحي، والإتقان للسيوطي.

واتفق الصحابة رضي الله عنهم على هذا العمل وعدوه من مفاخر عثمان وحسناته، من ذلك قول الإمام علي -رضي الله عنه- " لا تقولوا في عثمان إلا خيرا فو الله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا على ملإ منا "[١].

وكان هدف عثمان من هذا الجمع هو توحيد الأمة على القراءات الصحيحة التي قرأها النبي عليه الصلاة والسلام في العرضة الأخيرة على جبريل، وهذا ما يؤكده الباقلاني من أن ما قصد عثمان هو جمع المسلمين على القراءات الثابتة المعروفة وإلغاء ما ليس كذلك وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير[٢].

وهكذا عمل الخليفة عثمان على " حمل الناس على القراءة بوجه واحد، على اختيار وقع بينه وبين من شهده من المهاجرين والأنصار، لما خشي الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات "[٣] وبهذا قطع عثمان دائرة الفتنة وحسم مصدر الاختلاف، وحض القرآن من أن يتطرق إليه شيء من الزيادة والتحريف على مر العصور وتعاقب الأزمان.

---

(١) : www.al-islam.com/articles/articles.asp?fname=ALISLAM_L١١_A

(٢) : أنظر إعجاز القرآن للباقلاني.

(٣) : أنظر مباحث في علوم القرآن ص ١٢٩ - ١٣٠.

خامسا:- إعجاز القرآن

الإعجاز -لغة واصطلاحاً- :

الإعجاز لغة : أصله التأخر عن الشيء ، وهو ضد القدرة ، بمعنى الضعف ، يقال : أعجزه الأمر إذا حاوله فلم يستطعه ولم تتسع له قدرته وجهده [1] يقول تعالى : {وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ} [سبأ: ٥].

والإعجاز اصطلاحاً : كون القرآن الكريم أمراً خارقاً للعادة لم يستطع أحداً معارضته برغم تصدي الناس له [2] ، أو هو ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة ، ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن [3] .

أ- الإعجاز البياني :

يعتبر الإعجاز البياني من أعظم وجوه الإعجاز لأنه ينتظم في القرآن كله ، فلا تخلو منه سورة على قصرها أو على طولها ، بل هو في كل آية من آيات القرآن الكريم ، وقد تحدث العلماء والمفسرون عن الإعجاز القرآني قديماً وحديثاً حيث أجمع هؤلاء أن القرآن الكريم معجزة بيانية تحدى الله بها العرب وغيرهم فثبت عجز البشر جميعاً أمام إعجازه [4] ، وقد سجل القرآن الكريم هذه الحقيقة بقوله : {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً} [الإسراء ٨٨] .

والاعجاز البياني هو بيان القرآن وفصاحته وبلاغته ، وفي أسلوبه المتميز عن باقي أساليب العرب حيث جاء القرآن الكريم بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف ، متضمناً أصح المعاني ، كذلك ترتيب ألفاظ القرآن الكريم في آياته وجمله ، ثم ترتيب هذه الجمل للآيات في السورة [5] .

ويمثل الإعجاز البياني في حروف القرآن وأصواتها ، والكلمات ومخارجها [6] ، يقول ابن عطية : "وكتاب الله تعالى لو نزعت منه لفظة في أدير لسان العرب على لفظة غيرها لم يوجد" [7] .

وكذلك يمثل الإعجاز البياني في طريقة التعبير التي انفرد بها القرآن الكريم ، وأيضاً يتمثل في وجود الفاصلة القرآنية التي تعني مناسبة ختم الآية لما سبق [8] .

ونزل القرآن الكريم على العرب وكانوا أصحاب وأرباب البلاغة والبيان وذلك لأنهم تميزوا بسلامة السليقة وسرعة البديهة ، فعندما تحداهم القرآن على أن يأتوا بمثله لم يستطيعوا ووقفوا عاجزين حائرين لا يستطيعون ذلك على الرغم من أن القرآن الكريم نزل باللغة التي يعرفونها ويتكلمون بها ، لذا نجد أن القرآن تحداهم أن يأتوا بمثل القرآن ، يقول تعالى {فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ} [الطور : ٣٤].

ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور فقال تعالى : {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [هود : ١٣-١٤].

فلما عجزوا تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة قال تعالى : {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [يونس : ٣٨].

---

(١) لسان العرب لابن منظور – ج٢٣٦/٧ .
(٢) فكرة الإعجاز – نعيم الحمصي – ص ٩ .
(٣) إعجاز القرآن للرافعي – ص ١٣٩ .
(٤) مباحث في إعجاز القرآن الكريم– ص١٦٥ بتصرف،أ. د. مصطفى مسلم ص ١٥٤.
(٥)موجز في إعجاز القرآن – المرجع السابق ص ١٥٤ .
(٦) موجز في إعجاز القرآن – أ. د. مصطفى مسلم ص ١٥٤ .
(٧) فكرة الإعجاز – نعيم الحمص – ص ٩٥ .
(٨) إعجاز القرآن – د. فضل عباس – ص ٦٥ وما بعدها .

ثم أخيراً تحداهم أن يأتوا بسورة تشبه القرآن فقال سبحانه وتعالى : {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ} [البقرة : ٢٣-٢٤] (١) .

ب- الإعجاز التشريعي :

- التشريع لغة : مصدر شرّع : بمعنى سنَّ ، وقد سمي ما شرع الله لعباده شريعة كالصلاة والصوم والزكاة والحج وغير ذلك (٢).

- التشريع اصطلاحاً : هو شرعة الله لعباده من أحكام اعتقادية أو عملية أو خُلقية (٣) .

- الإعجاز التشريعي : هو سمو التشريعات القرآنية وشمولها وكمالها إلى الحد الذي تعجز عنه كل القوانين البشرية مهما بلغت على أن تأتي بمثل تشريعات القرآن الكريم (٤) .

أو هو عجز البشر محاكاة التشريع القرآني ، وإدراكهم كل ما فيه من أسرار تشريعية (٥) .

ومن نماذج من الإعجاز التشريعي :

١- في العبادات : الوضوء والتيمم والغسل : أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين بالوضوء عند القيام إلى الصلاة ، وجعل الوضوء شرطاً للصلاة ، فإذا لم يتمكنوا من استعمال الماء فعليهم بالتيمم قال تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ....}[المائدة : ٦].

وتشير الآية إلى الحكمة من هذا التشريع يقول تعالى : { مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ .....}[المائدة : ٦].

إن اشتراط الاغتسال للجنب هو تطهيره وليتم نعمته عليه ، وحتى يشكره على نعمه الكثيرة ، والحكمة من الوضوء والتيمم والغسل ليس النظافة فحسب بل العبادة (٦)، يقول سيد قطب : (يبدو أن حكمة الوضوء أو الغسل ليست هي مجرد النظافة ، وإلا فإن البديل من أحدهما أو من كليهما لا يحقق هذه الحكمة فلا بد إذن من حكمة أخرى للوضوء أو الغسل تكون متحققة

كذلك في التيمم . وأما حكمة الاغتسال من الجنابة {وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا ...}[المائدة: : ٦]. فهي حركة عملية عن معنى نفسي ، إن الإنسان عندما يقضي شهوته فإنه يحقق حاجة فطرية ونفسية أصيلة في كيانه ، ثم إن كل جزء من أعضاء جسمه متلذذ من قضاء الشهوة ويشارك في هذه العملية الجنسية ، لذا كان الاغتسال شكر لله الذي يسر له قضاء شهوته ، شكر لله

لأن كل جزء شارك في الاستمتاع والتلذذ عند قضاء الشهوة ، لذلك ختمت الآية بقوله : {ولعلكم تشكرون} (٧) .

٢- في المعاملات : تحريم الربا : حرم الله الربا في آيات صريحة وأعلن الحرب على المرابين ، وتوعد بمحق الربا يقول تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ...}[البقرة : ٢٧٨-٢٧٩]، على الرغم أن الربا هو السمة البارزة للاقتصاد العالمي المعاصر ، وقاعدة التعامل الاقتصادي بين الدول ، إلا أن التشريع الإسلامي هو الحق والصواب في تحريم الربا ومحاربته وتحريمه .... ، فالربا بلاء وآفة ، يدمر الاقتصاد ويقطع الروابط ، ويوقع العداوة والبغضاء بين الناس ، والربا يقضي على إنسانية الإنسان

---

(١) إعجاز القرآن – د. فضل عباس – ص ٣١-٣٢ .
(٢) لسان العرب – ج٣/٢٣٨ .
(٣) التشريع الإسلامي – مصادره وأدواته – د. سفيان إسماعيل – ص ٧ .
(٤) الإعجاز التشريعي في معالجة مشكلة الفقر – ص ٦ .
(٥) القرآن وإعجازه – ص ١٠٢ .
(٦) مباحث في إعجاز القرآن – أ. د. مصطفى السباعي – ص ١٥٥ .
(٧) الظلال – سيد قطب – ج٥/٢٢٥٢١.

وقلبه ودينه وإيمانه ، والمرابون مصاصي الدماء والأموال [١] . يقول سيد قطب : "إن النظام الربوي نظام معيب من الوجهة الاقتصادية البحتة ..." [٢] .

٣- في الحدود : شرع الله تبارك وتعالى الحدود حتى يعيش الإنسان المسلم وغير المسلم أميناً على نفسه وماله وعرضه وعقله ، لذلك حرم على المسلم قتل أخيه المسلم ، يقول تعالى : {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً} [النساء : ٩٢] . فإذا اعتقد القاتل بأنه سيُقتل فإنه لا يقدم على القتل ، وكذلك عندما حرّم السرقة ، فإنه حفظ للناس أموالهم ، فعندما يعتقد المؤمن أنه إذا سرق سوف تقطع يده ، فإنه لا يسرق وبذلك حفظ للناس أموالهم . وكذلك عندما شرع عقوبة الزنا مائة جلدة لغير المتزوج كما قال تعالى : {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي....} [النور: ٢]، والرجم حتى الموت للمتزوج رجلاً كان أو أنثى .

وكذلك عندما شرع عقوبة الخمر الجلد ثمانين جلدة ليحفظ العقل[٣] ، يقول الرسول -صلى الله عليه وسلم- : "إذا شرب إنسان الخمر فاجلدوه ثمانين جلدة ، إذا شرب سكر ، وإذا سكر هذى ، وإذا هذى افترى ، وحد المفتري ثمانون" [٤].

يقول الأستاذ رشيد رضا : "يشتمل القرآن الكريم على العلوم الإلهية وأصول القواعد الدينية ، وأحكام العبادات ، وقوانين الفضائل والآداب وقواعد التشريع السياسي والمدني والاجتماعي الموافقة لكل زمان ومكان ، وبذلك يفضل على كل ما سبقه من الكتب السماوية والشرائع الأرضية والآداب الفلسفية"[٥].

ت- الإعجاز العلمي :

لقد حث الإسلام على العلم والتعلم ، فآيات القرآن الأولى في النزول تأمر باستخدام القلم وتشجع على القراءة وذلك لما للقلم والقراءة من أهمية في حياة الأمم والشعوب . قال تعالى : {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)} [العلق : ١ - ٥].

الأمة الإسلامية منوط بها قيادة البشرية بأسرها في جميع مناحي الحياة ، لذلك ينبغي أن تتصدر الأمم والشعوب في مجال العلم والإيمان والأخلاق حتى تصل إلى ذلك المركز القيادي الذي أُعدّت له .

لذلك جاءت التوجيهات القرآنية في العديد من الآيات تشجع الأمة كل الأمة على العلم والبحث والتحري عن المجهول في هذا الكون الفسيح . قال تعالى : {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُون}[الزمر: ٩]. وجعل الحق تبارك وتعالى شهادة العلماء مع شهادته وشهادة الملائكة في الإقرار بالوحدانية لله في الألوهية والربوبية ، قال تعالى : { شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [آل عمران :١٨] ، وأمر -صلى الله عليه وسلم- بطلب العلم النافع للبشرية وشجع على تحصيله ، قال -صلى الله عليه وسلم- : "طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة" ، وجاء عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول : "من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سهّل الله له طريقاً إلى الجنة"[٦].

والاعجاز العلمي: هو ما يتعلق بإشارة القرآن في كثير من آياته إلى حقائق علمية ثابتة كشف عنها العلم الحديث ، ووافقت أحدث ما انتهى إليه الكشف العلمي في هذا العصر ،مع أنها كانت مجهولة في عصرة النبوة وما بعده لقرون عديدة[٧].

---

(١) مباحث في إعجاز القرآن – أ.د. مصطفى السباعي – ص ١٦٢.
(٢) الظلال ح٢٢٥٢/٥ .
(٣) الإعجاز القرآني في تشريع الحدود .
(٤)الموطأ للإمام مالك – ح٦٤٢/٢ كتاب الأشربة باب حد الخمر – ص ٢٥ .
(٥)تفسير المنار – ح٢٠٦/١ ، ٢٠٧ .
(٦) رواه الترمذي (جزء من حديث طويل) وقال عنه : حديث حسن .
(٧) انظر ثقافة الداعية للقرضاوي – ص ١٥ .

وقد ذكر د. عبد السلام تعريفاً فقال : "تلك الموافقة بين المكتشفات الحديثة للسنن الإلهية ،وبين ما أشار إليه القرآن مع تمام المطابقة بينهما"[(١)].

ب- الضوابط العلمية المنهجية للإعجاز العلمي :

١- اعتقاد أن القرآن كتاب هداية وإرشاد أولاً وليس كتاب علوم وكونيات .

٢- عدم الإفراط والتفريط عند النظر في الآيات الكونية ، والاكتفاء بالحقائق العلمية في الاستدلال وعدم الاستدلال بالنظريات والفرضيات العلمية .

٣- الوقوف على مرونة الأسلوب القرآني في توضيح المضامين العلمية بحيث يحتمل ذلك الأسلوب وجوهاً من التأويل .

٤- عدم حصر دلالة الآية القرآنية على الحقيقة الواحدة ، بل إبقاء الآية مفتوحة الدلالة بحيث تحتمل كل ما يتفق مع معناها .

٥- اليقين باستحالة التصادم بين الحقائق القرآنية والحقائق العلمية .

٦- اتباع المنهج القرآني في طلب المعرفة من خلال النظر في الآيات الربانية في الكون والنفس والآفاق والتعرف على سنن الله في هذا الوجود .

٧- الإعجاز العلمي يُثبت عالمية رسالة القرآن الكريم ، وذلك لأن القرآن يدعو الناس في كل عصر لدين الله[(٢)].

أمثلة على الإشارات العلمية في القرآن :

أ- قال تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً} [النساء: ٥٦] هذه الآية فيها من التهديد والوعيد بعذاب أليم للكافرين يوم القيامة وجاء هذا العذاب في صورة تعذيب للجلود ، فلماذا اختار الله سبحانه التعبير بعذاب الجلود دون غيره من ألوان العذاب ، إن في ذلك لحكمة حيث استطاع العلم التوصل إلى وجود أوعية ناقلة للإحساس وهي تحت الجلد مباشرة وتصل على خمسة عشر نوعاً كل نوع له وظيفته وطبيعته ، لهذا فإن الألم الذي يحصل لجسم الإنسان يذوقه كل الجسم .

ب- قال تعالى : {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ} [الأنعام: ١٢٥]، بفضل الطيران والبالونات استطاع الإنسان التعرف على ظاهرة طبيعية وهي نقص أوكسجين الهواء في طبقات الجو العليا حيث إن الصاعد يشعر بصعوبة وضيق في التنفس والآية القرآنية صرحت بهذه الظاهرة منذ زمن بعيد ، وهذا يدعونا إلى الإيمان الراسخ بأن ما جاء به محمدٌ إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى[(٣)].

ت- قال تعالى : {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ} [البقرة: ٢٣٣]، الرضاعة أوجبها الله سبحانه على الأم لأطفالها حفاظاً على الأطفال من الناحية الجسدية والنفسية والعقلية فقد تحدث الطب الحديث عن مقارنة بين الإرضاع الطبيعي والحليب الصناعي وذكر الآتي :-

١- أن مميزات اللبن الطبيعي أنه يتناسب من يوم لآخر عند الأم مع حاجة الطفل على مدار العامين الذي يرضع فيها الطفل .

---

(١) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم – ص ١٤ .

(٢) انظر هذه الضوابط بالتفصيل – الإعجاز العلمي – د. عبد السلام اللوح – ص ١٦٢-١٦٥ .

(٣) انظر روح الدين الإسلامي – ص ٥٤ ، وانظر بالتفصيل أمثلة متنوعة – الإعجاز العلمي – د. عبد السلام اللوح – ص ١٦٦-٢٣٤ .

٢- أما الإرضاع الصناعي فهو ثابت التركيز ولا يتناسب مع نمو الطفل ، لذلك أشار الأطباء إلى أهمية إرضاع الطفل من أمه وخاصة في الأيام الأولى من ولادته لأن اللبن في هذه الفترة يحتوي على عناصر ومواد لها دخل كبير في تكوين المناعة من الأمراض عند الطفل .
٣- إن حليب الأم لا يحتاج إلى تعقيم ولا تعلق به الجراثيم بينما الحليب الصناعي فهو عرضة من خلال أي إساءة في استعمال الأدوات .
٤- لبن الأم أسهل في الهضم على الطفل من اللبن الصناعي حيث إن اللبن الصناعي يحتاج هضمه من ثلاث إلى أربع ساعات [١] .

هذا بالإضافة لهذه الأنواع من الإعجاز يوجد أنواع أخرى منها : الإعجاز التاريخي ، والإعجاز الأخلاقي ، والإعجاز النفسي والروحي ، والإعجاز التربوي ، والإعجاز بأخبار الغيب والمستقبل وغير ذلك (٢) .

فيمكن القول بأن أوجه إعجاز القرآن هي:

١- النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب.
٢- الأسلوب العجيب المخالف لجميع الأساليب العربية.
٣- الجزالة التي لا يمكن لمخلوق أن يأتي بمثلها.
٤- التشريع الدقيق الكامل الذي يفي بحاجات البشر.
٥- الإخبار عن المغيبات الماضية والمستقبلة، التي لا تعرف إلا بالوحي.
٦- الوفاء بكل ما أخبر عنه القرآن من وعد ووعيد.
٧- عجز المخلوقين عن أن يأتوا بمثله.
٨- كونه محفوظًا من الزيادة والنقصان ومن التبديل والتغيير {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩].
٩- تيسيره للحفظ {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ} [القمر: ١٧].
١٠- تأثيره في قلوب الأتباع والأعداء حتى قال قائلهم(٣)، «والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر وإنه ليعلو وما يعلى عليه وما تقوله بشر».
١١- كونه لا يمله قارئه ولا سامعه على كثرة الترديد بخلاف سائر الكلام(٤).

والقرآن أولاً وآخرًا هو الذي صير العرب رعاة الشاء والغنم ساسة شعوب وقادة أمم، وهذا وحده إعجاز، والقرآن الكريم هو أساس الدين ومصدر التشريع وحجة الله البالغة في كل عصر ومصر، بلغه رسول الله لأمته امتثالاً لأمر ربه واحتوى القرآن على الأمر الصريح بوجوب اتباعه والعمل بما تضمنه من الأحكام في غير موضع وبغير أسلوب {اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ} [الأعراف: ٣] {اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ} [العنكبوت: ٤٥].

كما وقداحتوى القرآن الكريم على كثير من نواحي الحياة المختلفة من ذلك ما يأتي:
١- العقائد التي يجب الإيمان بها في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وهي الحد الفاصل بين الإيمان والكفر.
٢- الإرشاد إلى النظر والتفكر في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء لتعرف أسرار الله في كونه وإبداعه في خلقه فتمتلئ القلوب إيمانا بعظمته عن نظر واستدلال لا عن تقليد ومجاورة.

---

(١) انظر لمحات في إعجاز القرآن – ص ٤٤-٤٥ .
(٢) إعجاز القرآن – أ.د. فضل عباس – ص ٢٥٠ .
(٣) هو: الوليد بن المغيرة المخزومي.
(٤) التبيان في علوم القرآن للصابوني (١٠٣) وانظر: البيان في إعجاز القرآن ومقدمة تفسير ابن جزي (١/ ٢٣).

٣- قصص الأولين أفرادا وأمما، فقد ورد في القرآن كثير من القصص الذي يثير الاعتبار والاتعاظ ويرشد إلى سنن الله في خلقه نجاة للصالحين وهلاكا للمفسدين.
٤- الأخلاق الفاضلة التي تهذب النفوس وتصلح من شأن الفرد والجماعة كالصبر والصدق والوفاء وأداء الأمانة مع التحذير من الأخلاق السيئة التي تودي بمعاني الحياة الإنسانية الفاضلة وتسبب لها الشقاء كالكذب والخيانة وإخلاف الوعد ونقض العهد.
٥- العبادات على اختلاف أنواعها من صلاة وزكاة وصوم وحج وجهاد وجاء في ذلك ما يقرب من مائة وأربعين آية.
٦- نظام الأسرة كأحكام الزواج والطلاق وما يتبعها من مهر ونفقة وحضانة ورضاع ونسب وعدة ووصية وإرث، وجاء في ذلك ما يقرب من سبعين آية.
٧- أحكام المعاملات المالية كالبيع والإجارة والرهن والمداينة والتجارة، جاء في ذلك ما يقرب من سبعين آية أيضا.
٨- أحكام الجنايات والحدود والسرقة والزنا والقذف ومحاربة الله في أرضه وجاء في ذلك ما يقرب من ثلاثين آية.
٩- أحكام الحرب والسلم وما يتبع ذلك من جهاد وغنيمة وأسر وعهود وجزية.
١٠- نظام الحكم فيما يجب على الحكام من الشورى والعدل والمساواة والحكم بما أنزل الله وما يجب على الناس لهم من طاعة.
١١- تنظيم الحياة الاجتماعية في علاقة الأغنياء بالفقراء فيما يحقق العدل الاجتماعي بين الناس، ولم يتفق العلماء على عدد آيات الأحكام وقيل إنها: خمس مائة آية أو قريب منها(١) والله سبحانه وتعالى أعلم.
وقد قال -صلى الله عليه وسلم- «إنها ستكون فتنة» قيل: وما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم»(٢)، وورد في الحديث ما معناه: أن القرآن اشتمل على ذكر الحلال والحرام والمحكم والمتشابه والأمثال، فأحلوا حلاله وحرموا حرامه، وعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه واعتبروا بأمثاله، وقال بعضهم: اشتمل القرآن على تسعة أشياء:

فقال: لا إنما القرآن تسعة أحرف   سأنبئكما في بيت شعر بلا خلل

حلال حرام محكم متشابه   بشير نذير عظة قصة مثل

وأصل علوم القرآن ثلاثة: توحيد وتذكير وأحكام، فالتوحيد يدخل فيه معرفة المخلوقات ومعرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله، والتذكير منه الوعد والوعيد والجنة والنار.
والأحكام منها التكاليف كلها وتبيين المنافع والمضار والأمر والنهي والندب، ولهذا كانت الفاتحة أم القرآن لأن فيها الأقسام الثلاثة، وسورة الإخلاص ثلثه لأن فيها أحد الأقسام وهو التوحيد(٣).
وقال ابن جزي في مقدمة تفسيره: معاني القرآن سبعة:
١- علم الربوبية، ومنه إثبات وجود الباري جل جلاله والاستدلال عليه بمخلوقاته.
٢- والنبوة وإثبات نبوة الأنبياء عليهم السلام على العموم وإثبات نبوة نبينا محمد على الخصوص وإثبات الكتب التي أنزلها الله عليهم ووجود الملائكة الذين كانوا وسائط بين الله وبينهم.

---

(١) تاريخ التشريع والفقه الإسلامي للشيخ مناع خليل القطان (٦٧، ٦٨).
(٢) أخرجه الترمذي(٢٩٠٦):ص١٧٢/٥.
(٣) «مختصر الإتقان في علوم القرآن» (٩٦-٩٨).

٣- المعاد: وهو إثبات الحشر وذكر ما في الآخرة من الحساب والجزاء وصحائف الأعمال وكثرة الأهوال والجنة والنار.
٤- الأحكام: وهي الأوامر والنواهي وتنقسم خمسة أنواع، واجب ومندوب وحرام ومكروه ومباح، ومنها ما يتعلق بالأبدان كالصلاة والصيام، وما يتعلق بالأموال كالزكاة وما يتعلق بالقلوب كالإخلاص والخوف والرجاء وغير ذلك.
٥- الوعد: ومنه وعد بخير الدنيا كالنصر على الأعداء والحياة الطيبة والأمن والاستقرار ومنه وعد بخير الآخرة كأوصاف الجنة ونعيمها.
٦- الوعيد: ومنه تخويف بالعقاب في الدنيا كالخوف والمرض والجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات، ومنه وعيد، بعقاب الآخرة كعذاب القبر، وأهوال يوم القيامة، وشدة الحساب، ودخول النار، وتأمل القرآن تجد الوعد مقرونا بالوعيد كقوله: {إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ*وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ} [الانفطار: ١٣، ١٤] ليبعث على الخوف والرجاء.
٧- القصص: وذكر أخبار الأنبياء مع قومهم وماجرى لهم من نجاة المصدقين وهلاك المكذبين ليعتبر اللاحقون بالسابقين فلا يعملون مثل عملهم فيصيبهم ما أصابهم[١].

وبعد فإن القرآن أولاً وآخرًا هو الذي صير العرب رعاة الشاء والغنم ساسة شعوب وقادة أمم، وهذا وحده إعجاز، والقرآن الكريم هو أساس الدين ومصدر التشريع وحجة الله البالغة في كل عصر ومصر، بلغه رسول الله لأمته امتثالاً لأمر ربه واحتوى القرآن على الأمر الصريح بوجوب اتباعه والعمل بما تضمنه من الأحكام في غير موضع وبغير أسلوب {اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ} [الأعراف: ٣] {اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ} [العنكبوت: ٤٥].

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٩).

المحور الثاني: التعريف بأسماء القرآن والسور، وبيان فضائل القرآن

أولا:- أسماء القرآن الكريم وأوصافه.

ثانيا:- أسماء السور

ثالثا:- فضائل القرآن الكريم

أولا:- أسماء القرآن الكريم وأوصافه:

من خصائص القرآن الكريم أن له أسماء عدة وهذا يدل على شرفه وعلو منزلته، فكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى وعلو قدره. ولقد اختار الله لوحيه أسماء جديدة مخالفة لما سمى العرب به كلامهم جملة وتفصيلاً.

وروعيت في تلك الألقاب أسرار التسمية وموارد الاشتقاق. وقد بلغت هذه الأسماء خمسة وخمسين اسماً ذكرها كل من الزركشي ونسب هذا التعداد إلى القاضي أبي المعالي المعروف بشيذلة. ولكل اسم من هذه الأسماء تفسير وبيان وهي برمتها معالم جامعة لكتاب الله تعالى.

وفيما يأتي نذكر أشهر تلك الأسماء، مستدلا عليها بنصوص من القرآن الكريم:

١- القرآن:

وهو من أشهر الأسماء قاطبة، ولم يسمَ به كتابٌ آخر ، كلفظ الجلالة - الله - لم يسمَّ به أحد من البشر.

وقد اختلفت آراء العلماء في سبب تسمية القرآن بهذا الاسم ومعناه، فبعض العلماء يرون أن كلمة قرآن هي اسم علم غير مشتق وهي كلمة خاصة بكلام الله وحده، وأنها تكتب غير مهموزة فتكتب "القران"، لأنه غير مشتق من كلمة قرأ.

وقال بعض العلماء أن كلمة "قرآن" مشتقه من قرن الشيء بالشيء ، وأنه سمي كذلك لأنه لقران السور والآيات والحروف فيه.

وقال البعض أن كلمة قرآن مشتقة من "القرائن" لأن كل آيات القرآن يصدق بعضها بعض، ويشبه بعضها بعض وهي قرائن.

وقال البعض أن كلمة قرأن تكتب مهموزة لأنها مشتقة من كلمة "القرء " وتعني الجمع وقد سمي بذلك لأنه جمع السور بعضها مع بعض.

وقد ورد لفظ "قرآن" في القرآن الكريم تسعة وستين مرة في (٣٨) سورة ، وقد تكرر لفظ " قرآن" في سورة الإسراء (١٠) مرات، وفي سورة النمل (٤) مرات وفي سورة القمر(٤) مرات، وفي كل مرة ذكر فيها لفظ "قرآن" كان يقصد به كلام الله الذي أنزل على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، إلا في آيتين وهما:{أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا} [الإسراء : ٧٨].

والموضع الأخر في سورة القيامة:{إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨)} [القيامة : ١٧ - ١٨].

وقد ورد لفظ "قرآن" في عدة سياقات مختلفة منها:

- سياق الوحي والتنزيل.
- سياق الكتب السماوية التي أنزلت على الأنبياء والرسل عليهم السلام.
- سياق التلاوة والترتيل والتدبر والاستماع.
- سياق الإشارة إلى مضمون القرآن وما فيه من الحكم والمواعظ.

فسمي قرآنا، لجمعه الأحكام والقصص والمواعظ والأمثال وغير ذلك، قال تعالى: {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ} [البروج: ٢١]، {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} [الإسراء: ٩].

٢- الفرقان:

وهو مصدر، من: فرق يفرق. سمي به القرآن، لأنه كلام فارق بين الحق والباطل والمسلم والكافر والمؤمن والمنافق. كما أنه مفروق بعضه عن بعض في النزول، حيث لم ينزل جملة واحدة كما هو الحال في الكتب الأخرى، وذلك ليسهل حفظه ويكون أعون على الفهم. يقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الأنفال :

٢٩]. ويقول: {وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا} [الإسراء : ١٠٦]، وقال تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} [الفرقان: ١]، سمي بذلك لأنه يفرق بين الحق والباطل والهدى والضلال والحلال والحرام.

٣- الكتاب:

وهو مصدر: كتب يكتب كتابة، وأصلها: الجمع. وسميت الكتابة لجمعها الحروف فاشتق منها لذلك لأنه يجمع أنواعاً من القصص والآيات والأحكام والأخبار على أوجه مخصوصة. ويسمى المكتوب كتاباً مجازاً. قال الله تعالى: {فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ} [الواقعة : ٧٨]، أي: اللوح المحفوظ.

فهو الكتاب على الحقيقة الجامع لما تفرق في غيره، قال تعالى: {الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ} [البقرة: ١، ٢].

٤- الذكر:

وهو الشرف كما يفيد معنى الموعظة التحذير والأخبار عن الأمم الماضية، يقول الله تعالى:{لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [الأنبياء : ١٠]. وقال تعالى: {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ} [الزخرف: ٤٤]، أي: وإن القرآن لشرف لك ولقومك، وقيل فيه ذكركم أي ذكر أمر دينكم وأحاكم شرعكم وما تصيرون إليه من ثواب أو عقاب.

٥- التنزيل:

وسمي بذلك لأنه منزل من عند الله تعالى على لسان جبريل عليه السلام ولأن الله تعالى أسمع جبريل كلامه وفهمه إياه كما شاء من غير وصف ولا كيفية نزل به على نبيه «صلى الله عليه وسلم»، فأداه هو كما فهمه وعلمه يقول الله تعالى: {وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء : ١٩٢]، وقال تعالى:{تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ} [يس : ٥]، وقال تعالى:{تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [فصلت : ٢]، {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت : ٤٢].

٦- المجيد:

أي: الشريف، لأنه محفوظ عن التغيير والتبديل والزيادة والنقصان وجعله معجزا في نفسه عن أن يؤتى بمثله. يقول الله تعالى:{ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ} [ق : ١]، {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ} [البروج : ٢١].

٧- الوحي:

أي: الموحى به من عند الله وقد ورد ذكره في خمس وأربعين آية. يقول الله: {إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} [النجم : ٤].

هذا والأسماء كثيرة. وبعضهم خلط بين الاسم والصفة وجعل لهما مفهوماً واحداً. فمن ذلك مثلا: نور، هدى، شفاء، رحمة، موعظة، مبارك، مبين، بشرى، العزيز، البشير، النذير، القصص، الروح، المثاني، البيان، التبيان، الحكيم، وغيرها كثير(١). وقد أوصلها بعضهم إلى نيف وتسعين اسماً. وكل تسمية أو وصف إنما هو باعتبار معنى من معاني القرآن الكريم.

---

(١) وقد قسم جلال الدين السيوطي أسماء القرآن الكريم إلى ٥٥ اسم، كلها وردت في آياته، وهذه الأسماء هي:

١. الكتاب
٢. والمبين: {حم والكتب المبين} [سورة الدخان ١-٢].
٣. كلام الله :{حتى يسمع كلم الله} سورة التوبة ٦
٤. قرآن
٥. والكريم: {إنه لقرآن كريم} الواقعة ٧٧.
٦. نورًا " [وأنزلنا إليكم نورًا مبينًا} (النساء ١٧٤)
٧. هدى.
٨. ورحمة: {وهدي ورحمة للمؤمنين} [يونس ٥٧].

9. الفرقان: {نزل الفرقان على عبده} (الفرقان 1].
10. شفاء: { وننزل القرءان ما هو شفاء} [الإسراء 82].
11. موعظة: {قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور} [يونس 57].
12. ذكر
13. ومباركًا :{وهذا ذكر مبارك أنزلنه} [الأنبياء 50].
14. عليًا :{ وإنه في أم الكتب لدينا لعلي}[الزخرف 4].
15. حكمة: {حكمة بلغه}[القمر 5].
16. حكيما: { تلك ءايت الكتاب الحكيم }[يونس 2].
17. مهيمنا: {مصدقا لما بين يديه من الكتب ومهيمنا عليه}[المائدة 48].
18. حبل الله {واعتصموا بحبل الله }[آل عمران 103].
19. صراطًا مستقيما: {وأن هذا صراطي مستقيما}[الأنعام 153].
20. قيما : {قيما لتنذر بأسا شديدًا} [الكهف 2].
21. قولًا
22. وفصلًا : { إنه لقول فصل}[الطارق 13].
23. نبأ
24. وعظيم: {سورة النبأ [1-2].
25. أحسن الحديث
26. ومتشابهًا
27. ومثاني: وردت جميعها في [سورة الزمر أية 23].
28. تنزيلًا :[سورة الشعراء أية 192].
29. روحًا : [سورة الشورى 52].
30. وحيًا [سورة الأنبياء 45].
31. عربيا : [سورة يوسف 2].
32. بصائر : [الأعراف 203].
33. بيانا : [آل عمران 138]
34. علما : [البقرة 145]
35. حقًا : " آل عمران 62]
36. هديًا" " الإسراء 9]
37. عجبًا [الجن 1]
38. تذكرة: {الحاقة 48]
39. العروة الوثقى : [البقرة 256].
40. صدقًا : [الزمر 33]
41. عدلًا: [الأنعمام 115]
42. أمرًا : [الطلاق 5]
43. مناديًا: [آل عمران 193]
44. بشرى: [النمل 2]
45. مجيد : [البروج 21]
46. زبورا : [الأنبياء 105]
47. بشيرًا: [فصلت 3-4]
48. نذيرًا: [فصلت "3-4]
49. عزيزًا [فصلت 41]
50. بلاغا: [إبراهيم 52]
51. قصصًا [يوسف 3]
52. صحف

أما تسمية القرآن بالمصحف فقد كانت زمن أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-،حكى المظفري في تاريخه قال: "لما جمع أبو بكر القرآن قال: سموه فقال بعضهم: سموه إنجيلا فكرهوه وقال بعضهم: سموه سفرا فكرهوه من يهود. فقال ابن مسعود: رأيت بالحبشة كتابا يدعونه المصحف فسموه به "، فكان أبو بكر-رضي الله عنه- أول من جمع القرآن في المصحف" (١).

وبهذه العناية المزدوجة التي بعثها الله في نفوس الأمة اقتداء بنبيه «صلى الله عليه وسلم» بقي القرآن محفوظاً في حرز إنجازاً لوعد الله الذي تكفل بحفظه فلم يصبه ما أصاب الكتب الماضية من التبديل والتحريف وانقطاع السند.

---

٥٣. مكرمة

٥٤. مرفوعة

٥٥. مطهرة : أربعة أسماء وردت في سورة عبس، قال تعالى:{فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (١٤)} [عبس : ١٣ - ١٤].

(١)البرهان في علوم القرآن، للزركشي (١/٢٨١ - ٢٨٢)، والإتقان في علوم القرآن: ١/١٤٨.

ثانيا:- أسماء السور

١- السورة-لغة واصطلاحا-

أ-السورة لغة:

يرجع اشتقاق كلمة "السورة" إلى: سُور البناء، وقد جاء في لسان العرب أن السورة من البناء هي: كلّ ما حَسُن وطال، وقيل: إنها كلّ منزلة من البناء[١]. وقيل: إنها من سور المدينة؛ لإحاطته بآياتها واجتماعها، كاجتماع البيوت بالبيوت، ومنه السِّوار؛ لإحاطته بالساعد[٢].

وقيل أن "السورة" من مادة "س أ ر" لتكون "سُؤْرة" بهمز الواو، والتي تدلّ على بقية الشيء، يقول ابن منظور: «ومَن هَمَز السُؤْرة من سور القرآن جعلها بمعنى بقية من القرآن وقطعة» [٣]. ويذكر الزبيدي هذا المعنى، ويضيف إليه ما قيل من أن (سؤرة) مأخوذة من "سؤرة المال"، أي: المال الجَيِّد، وأنه «تُرِك هَمْزُها لمَّا كَثُر الاستعمال» [٤].

ب-السورة اصطلاحا:

السورة-اصطلاحا-: هي قطعة من القرآن معينة بمبدأ ونهاية لا يتغيران، مسماة باسم مخصوص، تشتمل على ثلاث آيات فأكثر، في غرض تام ترتكز عليه معاني آياتها، ناشيء عن أسباب النزول أو مقتضيات ما تشتمل عليه من المعاني المتناسبة"[٥].

ومناسبة هذه التسمية للقطعة من القرآن أنها مأخوذة من السور، وهو الجدار المحيط بالمدينة أو بمحلة قوم، وزادوه هاء تأنيث في آخره مراعاة لمعنى القطعة من الكلام. وقيل: مأخوذ من السؤر، وهو البقية مما يشرب الشارب، بمناسبة أن السؤر جزء مما يشرب، ثم خففوا الهمزة الساكنة بعد الضمة فصارت واوا، وهذه التسمية من مبتكرات القرآن أيضا.

وفائدة التسوير، كما يقول صاحب الكشاف، أن الجنس إذا انطوت تحته أنواع، كان أحسن وأنبل من أن يكون شيئا واحدا، وأن القارئ إذا ختم سورة ثم أخذ في أخرى كان أنشط له وأهز لعطفه، كالمسافر إذا علم أنه قطع ميلا أو طوى فرسخا [٦].

وتسوير القرآن من السنة في زمن النبي-صلى الله عليهو سلم-، فقد كان القرآن يومئذ مقسما إلى مئة وأربع عشرة سورة بأسمائها، ولم يحفظ عن جمهور الصحابة حين جمعوا القرآن أنهم ترددوا ولا اختلفوا في عددها، إلا ما روي من آثار لا تصح عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - من إنكاره المعوذتين، وإثباته دعاء القنوت في مصحفه.. وقد نهض علماؤنا من قديم لدحض هذه المرويات السقيمة - سندا ومتنا - ، وبقى الأمر على الإجماع على سور القرآن العظيم التي بين دفتي المصحف[٧].

---

(١)لسان العرب، ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرّم)، مادة (س و ر)، تحقيق: علي عبد الله الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠١هـ-١٩٨١م

(٢)الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، المجلد الأول، ص١٥٠.

(٣)لسان العرب، ابن منظور، مادة "س أ ر".

(٤)تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي (محمد مرتضى الحسيني)، مادة "س أ ر"، الجزء الحادي عشر، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، وزارة الإعلام، الكويت، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.

(٥)مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، عادل بن محمد أبو العلاء: ٢٤.

(٦)انظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، تصوير دار الفكر - بيروت، ١/ ٢٤٠، ٢٤١.

(٧)انظر في براءة هذا الصحابي الجليل مما نسب إليه من إنكار السورتين، وأنه لا خلاف في شيء من كتاب الله تعالى: الانتصار للقرآن، أبوبكر الباقلاني، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية بألمانيا، ١٩٨٦م، (وهي نسخة مصورة عن مخطوطة الكتاب الوحيدة في استانبول، بعناية الأستاذ فؤاد سزكين) .و: إعجاز القرآن، للباقلاني أيضا، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف - القاهرة، ص ٤٤١، ٤٤٥ ومقدمتان في علوم القرآن، نشرهما: آرثر جفري، الخانجي، ط٢،

٢- ترتيب السور

وأما ترتيب السور [١]؛ فالجمهور على أنه بتوقيف كذلك عن النبي –صلى الله عليه وسلم- غير أن بعض العلماء نازع في ذلك، ومنهم الإمام القاضي أبوبكر الباقلاني في كتابه العظيم "الانتصار للقرآن"، غير أنه نفى أن يكون لذلك مدخل للطعن فيه، بل ما أداه إلى القول بهذا إلا الرد على مطاعن الملحدة والمتشككين في أمر القرآن الكريم [٢]، غير أن الصحيح هو ما ذهب إليه الجمهور، وأما ما تعلق به المتشككون فله أجوبة شافية، ولكن لا مجال هنا لتفصيل القول فيها [٣].

٣-أقسام سور القرآن:

قسم العلماء سور القرآن إلى أربعة أقسام:

أولا:- السبع الطوال، وهي: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف، واختلف في السابعة أهي الأنفال وبراءة لعدم الفصل بينهما بالبسملة؟ أو هي سورة يونس؟

ثانيا:- المئون: وهي السور التي تزيد آياتها عن مئة آية أو تقاربها.

ثالثا:- المثاني: وهي التي تلي المئين في عدد الآيات.

رابعا:- المفصل: وهي من سورة الحجرات إلى آخر القرآن، وهو ثلاثة أقسام: طوال المفصل وهو من سورة الحجرات إلى سورة النبأ، وأوساط المفصل من سورة النبأ إلى سورة الضحى وقصار المفصل من سورة الضحى إلى آخر القرآن.

عن واثلة بن الأسقع أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني وفضلت بالمفصل» رواه الطبراني بإسنادين أحدهما صحيح قال ابن جرير الطبري: وبمثل ما جاءت به الرواية عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بأسماء السور جاء شعر الشعراء، فقال بعضهم:

حلفت بالسبع اللواتي طولت وبمئين بعدها قد أمئت [٤]

وبمثان ثنيت فكررت وبالطواسين التي قد ثلثت [٥]

وبالحواميم اللواتي سبعت وبالمفصل اللواتي فصلت [٦]

وسمي المفصل لكثرة الفصول التي بين السور ببسم الله الرحمن الرحيم.

٤- ورود السور:

تنوّع موقع ورود اسم السورة في القرآن الكريم من السورة على النحو الآتي:

١٩٧٢م، ولاسيما الفصل الرابع من المقدمة الأولى ص ٧٨: ١١٧. وانظر كذلك: مصاعد النظر، للبقاعي، ٣١١/٣: ٣١٦.. وسوى ذلك كثير جدا، لا سبيل إلى استقصائه في هذا المقام.

(١)وكذلك ترتيب الآيات: الإجماع على أن اتساق الحروف والآيات كله بالتوقيف عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم- والذي تلقاه عن جبريل - عليه السلام -، عن رب العزة - سبحانه وتعالى - وليس في ذلك خلاف بين أحد من أهل القبلة، ولكن لما كان تعيين الآيات التي أمر النبي –صلى الله عليه وسلم-بوضعها في موضع معين غير مروى إلا في البعض منها، كان حقا على المفسر أن يتطلب مناسبات لمواقع الآيات، ما وجد إلى ذلك سبيلا موصلا، وإلا فليعرض عنه، ولا يكن من المتكلفين، فالإجماع على صحة الترتيب يكفينا عن التكلف في إظهار أسبابه.

(٢)انظر تفصيل ذلك في كتابه (الانتصار للقرآن) ص ١٦٥: ١٨٣.

(٣)انظر في ذلك :لإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، د. محمد أحمد يوسف قاسم، ط ١٩٧٩/١م، ص ٢٥٧: ٢٨٦.

(٤) أكمل عددها حتى بلغت مئة آية.

(٥) يعني: طسم الشعراء، وطس النمل، وطسم القصص.

(٦) الحواميم التي سبعت: سبع سور من سورة غافر إلى سورة الأحقاف.

أ- ورَدت بعض أسماء السور أول كلمة في السورة، وذلك في إحدى وعشرين سورة، هي: طه، ويس، والصافات، و(ص)، و(ق)، والذاريات، والطور، والنجم، والرحمن، والحاقة، والمرسَلات، والنازعات، وعَبَس، والفجر، والشمس، والليل، والضحى، والتين، والعاديات، والقارعة، والعصر.
ب- جاءت بعض أسماء السور ضمن الآية الأولى للسورة، لكن ليس أول كلمة فيها، وذلك في ثلاث وأربعين سورة، هي: النساء، والأنفال، والإسراء، والمؤمنون، والفرقان، وفاطر، والفتح، والقمر، والواقعة، والمجادلة، والمنافقون، والطلاق، والتحريم، والمُلك، والقلم، ونوح، والجن، والمزمل، والمدثر، والقيامة، والإنسان، والتكوير، والانفطار، والمطففين، والانشقاق، والبروج، والطارق، والأعلى، والغاشية، والبلد، والشرح، والقَدْر، والبَيِّنة، والزلزلة، والتكاثر، والهُمَزة، والفيل، وقريش، والكوثر، والكافرون، والنصر، والفلق، والناس.
ت- ورَدت بعض أسماء السور ضمن الآية الأخيرة للسورة، وذلك في أربع سور، هي: النساء، والماعون، والمسد، والناس.
ث- جاءت بعض أسماء السور داخل السورة، وذلك في سبع وأربعين سورة، هي: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والتوبة، ويونس، وهود، ويوسف، والرعد، وإبراهيم، والحِجر، والنحل، والكهف، ومريم، والحج، والنور، والشعراء، والنمل، والقصص، والعنكبوت، والروم، ولقمان، والسجدة، والأحزاب، وسبأ، والزمر، وغافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف، ومحمد، والحجرات، والحديد، والحشر، والممتحنة، والصف، والجمعة، والتغابن، والمعارج، والنبأ، والعلق.

٥-صيغ اسماء السور:

لقد اتسمت صيغ أسماء سور القرآن الكريم بالتنوّع والتعدّد، ومن أهم الظواهر ما يأتي:

أ- شملت أسماء سور القرآن الكريم جميع أنواع الكلمة؛ إذ تنوَّعت بين الحرف والفعل والاسم. وقد ورَد في نوع (الحرف) اسمان لسورتين، هما: سورة (ص)، وسورة (ق). واختُصّت سورتان بحرفين في اسم كلّ منهما، وهما: سورة طه، وسورة يس، والحرفان في كلّ منهما من الأحرف المُقطَّعة. وجاء في نوع (الفعل) اسمان لسورتين، أحدهما: في صيغة الفعل الماضي المبني للمفعول، وذلك في اسم: سورة (فُصِّلت)، والثاني: في صيغة الفعل الماضي المبني للفاعل، وذلك في اسم: سورة (عَبَسَ). وأتت أسماء باقي السور في نوع (الاسم)، ويبلغ عدد السور التي وردت تحت هذا النوع مائة وثمان سور. وهكذا فإن أسماء سور القرآن الكريم لم تترك نوعًا من أنواع الكلام الثلاثة: (الاسم، والفعل، والحرف)، وإن كانت الغلبة لنوع (الاسم)، وتضمنت أسماء السور (الفعل، والحرف) للدلالة على أن القرآن الكريم يشتمل على جميع أنواع الكلام العربي.
ب- جاءت بِنْية أسماء جميع السور في كلمة واحدة، ما عدا سورة واحدة ورد اسمها في صيغة التركيب الإضافي المكون من كلمتين: (مضاف ومضاف إليه)، وهي: سورة (آل عمران).
ت- من الظواهر اللافتة في أسماء سور القرآن الكريم ورود عدد منها في صيغة المصدر، وذلك في ثمان عشرة سورة: التوبة، والرعد، والإسراء، والحج، والفتح، والمجادلة، والحشر، والتغابن، والطلاق، والتحريم، والتكوير، والانفطار، والانشقاق، والشرح، والزلزلة، والتكاثر، والنصر، والإخلاص.
ث- ذُكر اسم السورة في متن بعض السور بصيغة مختلفة، وهذه السور جاءت أسماؤها جميعًا في صيغة المصدر. ووردت معظم الكلمات المرتبطة باسم السورة في المتن بصيغة الفعل الماضي؛ ففي سورة الإسراء نجد: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ}[الإسراء: ١]، حيث جاء الفعل (أسرى) في صيغة الماضي، في حين أن اسم السورة (الإسراء) في صيغة المصدر. كما ورد الفعل الماضي

المرتبط بأسماء السور في كلّ من: سورة التكوير، وسورة الانفطار، وسورة الانشقاق، وسورة الزلزلة. وجاءت صيغة الفعل المضارع المرتبط باسم السورة، في سور: المجادلة، والتحريم، والشرح [1]. وجاء الفعل بصيغة الأمر في سورة الممتحنة، في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ}[الممتحنة: ١٠].

ج- تنوّعت صيغ الجموع في أسماء سور القرآن الكريم، فقد جاءت صيغة جمع المذكر السالم في أسماء أربع سور، هي: المؤمنون، والمنافقون، والمطففين، والكافرون. ووردت صيغة جمع المؤنث السالم في ستّ سور، هي: الصافات، والحجرات، والذاريات، والمرسلات، والنازعات، والعاديات. وكانت الغلبة لصيغة جمع التكسير، حيث جاءت في تسع سور، هي: الأنعام، والأعراف، والأنفال، والأنبياء، والشعراء، والقصص، والأحزاب، والأحقاف، والمعارج. وجاءت بعض أسماء السور في صيغة (اسم الجمع)، وذلك على نوعين؛ **الأول**: ما يدلّ على أكثر من اثنين وليس له مفرد من لفظه ومعناه، كما في اسم سورة: النساء (مفرده: المرأة). **والثاني**: ما له مفرد، ولكن عند عطفه على المفرد المماثل لا يدلّ على الكثرة، كما في اسم سورة: قريش (المفرد: قُرَشيّ) [2]. ووردت بعض أسماء سور القرآن الكريم في صيغة (اسم الجنس الجمعي)، وذلك على نوعين؛ **الأول**: ما يُفرق بينه وبين المفرد بتاء التأنيث، وذلك في سورتي: النحل (مفردها: النحلة)، والنمل (مفردها: النملة). **والثاني**: ما يُفرق بينه وبين المفرد بياء النسب، وذلك في سورة: الروم (مفردها: الروميّ).

ح- تضمنت سور القرآن الكريم خمسة من أسماء الله الحسنى، منها ثلاثة مُعرَّفة بالألف واللام، هي: النور [3]، والرحمن، والأعلى. والاسمان الرابع والخامس بدون الألف واللام، وذلك في سورتي: فاطر [4]، وغافر.

---

(١)الفعل في هذه السورة في صيغة المضارع، لكن المعنى يدلّ على الماضي؛ لدخول أداة النفي (لم) عليه، وذلك في قوله تعالى: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ}[الشرح: ١].

(٢)يشير الأستاذ عباس حسن إلى أنه «يدخل في اسم الجمع ما له مفرد من لفظه، ولكن إذا عُطف على هذا المفرد مماثلان أو أكثر كان معنى المعطوفات مخالفًا لمعنى اللفظ الدالّ على الكثرة، نحو: قريش، فإن مفرده قرشي. فإذا قيل: قرشي، وقرشي، وقرشي... كان معنى هذه المعطوفات، هو: جماعة منسوبة إلى قبيلة (قريش)، وهو معنى يختلف اختلافًا واسعًا عن معنى (قبيلة قريش)، فليس مدلول قبيلة قريش مساويًا مدلول: جماعة منسوبة إلى قريش». النحو الوافي، عباس حسن، الجزء الرابع، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٤م، ص٦٨٠.

(٣)حدث اختلاف حول تفسير كلمة (نور) الواردة في قول الحق سبحانه وتعالى: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}[النور: ٣٥]. وأشار الزجاج إلى وجود فريقين؛ الأول: يقول: (الله ذو نور السماوات)، أي: إنه خالق هذا النور الذي في الكواكب كلها، لا أنه ضياء له وأنوار لأجسامها، والثاني: يرى أن المعنى في الآية أنه بما بيَّن وأوضح بحججه وبراهين وحدانيته نَوَّر السماوات والأرض. تفسير أسماء الله الحسنى، الزجاج (أبو إسحق إبراهيم بن السري)، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، الطبعة الثانية، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م، ص٦٢. وردَّ القرطبي على المجسمة الذين قالوا: إن الله نور لا كالأنوار وجسم لا كالأجسام، وأوضح أن «هذا محال على الله تعالى عقلًا ونقلًا». الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الجزء الخامس عشر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ص٢٥٥.

(٤)ذكره البيهقي ضمن الأسماء التي تتبع إثبات الإبداع والاختراع لله عز وجل. كتاب أسماء الله وصفاته، المعروف بـ: الأسماء والصفات، البيهقي (الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين)، حققه وعلق عليه: محمد محب الدين أبو زيد، الجزء الأول، مكتبة التوعية، دار الشهداء، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص١٥٨. وأشار إليه الغزالي عند حديثه عن أن أسماء الله الحسنى من حيث التوقيف غير مقصورة على تسعة وتسعين. المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، الغزالي (أبو حامد)، دراسة وتحقيق: محمد عثمان الخشت، مكتبة القرآن، القاهرة، ١٩٨٥م، ص١٤٧. وأوضح الكردي أن اسم الله تعالى (الفاطر) معناه: «موجد السماوات والأرض وما فيهن وكلّ ما يؤثر فيهن، لا على مثال سابق على وجه السرعة والتكوين»، انظر: أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم، عبد الحميد راجح الكردي، دار المأمون، عمَّان، ٢٠٠٦م، ص١٣٦.

خ- اشتملت أسماء سور القرآن على ثمانية أعلام، منها ستة أنبياء، وذلك في سور: يونس، وهود، ويوسف، وإبراهيم، ومحمد، ونوح. والاسمان المتبقيان، أولهما لمريم والدة نبي الله عيسى -عليه السلام-، وثانيهما للقمان الحكيم.

د- وردت ستة أسماء خاصة بأسماء الدواب ضمن سور القرآن الكريم، منها ثلاثة للحيوانات، هي: البقرة، والأنعام، والفيل. وثلاثة للحشرات، هي: النحل، والنمل، والعنكبوت.

٦-دلالات أسماء السور:

هناك بعض الدلالات التي نلاحظها من خلال النظر في أسماء سور القرآن الكريم، منها ما يأتي:

أ- جاءت أسماء سور القرآن الكريم مُتضَمَّنة في المتن، فيما عدا ثلاث سور؛ هي: الفاتحة، والأنبياء، والإخلاص؛ إذْ يدل اسم كل منها على معنى السورة دون أن يرد فيها لفظًا؛ فاسم (الفاتحة) دالّ على أن آيات السورة هي التي تفتتح سور القرآن الكريم، وتتضمّن المعاني والمقاصد التي يشتمل عليها الكتاب العظيم، وقد أشار السيوطي إلى عدّة أسباب واحتمالات لتسميتها بهذا الاسم، إذ يقول: «وسميت بذلك لأنه يفتتح بها في المصاحف، وفي التعليم، وفي القراءة في الصلاة، وقيل: لأنها أول سورة نزلت، وقيل: لأنها أول سورة كُتبت في اللوح المحفوظ» (١). وقريب من هذا ما ذكره (القرطبي) من أنها سميت فاتحة الكتاب: «لأنه تفتتح قراءة القرآن بها لفظًا، وتفتتح بها الكتابة في المصحف خطًّا، وتفتتح بها الصلوات» (٢). وأمّا سورة الأنبياء، فقد ورد فيها الحديث عن عدد من الأنبياء دون ذكر اسم (الأنبياء) فيها. وفيما يخصّ سورة الإخلاص، فقد أشار (الرازي) إلى أنها سميت بهذا الاسم؛ لأنه ذُكرت فيها صفات الجلال، ومَن اعتقد بما فيها كان مخلصًا في دين الله، ومن مات على هذا الإخلاص يكون جزاؤه الخلاص من النار (٣).

ب- جاءت بعض الأسماء دالّة على أوقات اليوم، وذلك في أربع سور، هي: الفجر، والليل، والضحى، والعصر.

ت- السورة الوحيدة التي دلّ اسمها على يوم من أيام الأسبوع، هي: سورة الجمعة؛ وذلك لقدر وعظمة هذا اليوم عند الله -عز وجل-.

يتضح مما سبق أن أسماء سور القرآن الكريم تتميّز بالتنوّع، وأنها وردت ضمن بعض آيات السورة، فيما عدا ثلاث سور لم ترد فيها مطلقًا، هي: الفاتحة، والأنبياء، والإخلاص، وتنوع موقع ورود اسم السورة في المتن، حيث ترد أحيانًا أول كلمة في السورة، أو في الآية الأولى ولكن ليس أول كلمة، أو في الآية الأخيرة، أو داخل السورة. وتبيَّن أن أسماء السور شملت جميع أنواع الكلمة، فقد تنوّعت بين الحرف والفعل والاسم. وتكوّنت بِنْية أسماء السور من كلمة واحدة، ما عدا سورة واحدة، هي: آل عمران. وتنوعت الصيغ الصرفية في أسماء سور القرآن؛ فمنها ما جاء في صيغة المصدر، ومنها ما ورَد في صيغ الجموع. وتضمنت أسماء السور: بعض أسماء الله الحسنى، وأسماء أعلام؛ منهم ستة أنبياء، إضافة إلى أسماء دواب، وأسماء دالّة على الوقت، واسم دالّ على يوم واحد هو يوم الجمعة الذي اختُص بإحدى سور القرآن الكريم لعظمته ومكانته بين أيام الأسبوع.

---

(١)الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، الجزء الأول، ص١٥١.

(٢)تفسير القرطبي: ١٧٢/١.

(٣)تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الرازي (فخر الدين بن ضياء الدين عمر)، الجزء الثاني والثلاثين، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، ص١٧٥

ويحتاج البحث في موضوع أسماء سور القرآن إلى مزيد من التوسّع والنظر والدراسة، لا سيما أن هناك أسماء أخرى للسور غير الواردة في المقال، وأن هناك أقوالًا حول الأسماء وهل هي من باب التوقيف أم الاجتهاد؟ [١].

ويمكن عند البحث اللغوي المفصَّل في أسماء سور القرآن الكريم أن نتبين مدى صلة معنى اسم السورة بالسورة نفسها، وكيفية بناء اسم السورة، وهو ما يحتاج إلى المزيد من الدرس [٢].

اشكالية في تسمية السور:

اختلف العلماء في جواز تسمية السور، بسورة البقرة، وسورة آل عمران، وسورة النساء، وهكذا..

فالقول الصحيح جواز أن يقال سورة البقرة: وآل عمران والنساء، والأعراف، وهكذا بدون كراهة، وثبت عن بعض السلف كراهة أن يقال في تسمية السورة باسمها المباشر، كأن يقال: سورة البقرة، سورة آل عمران، ونحو ذلك، ورأى هؤلاء أن يقال: السورة التي تذكر فيها البقرة، وهكذا.

روى البخاري عن الأعمش، قال: "سمعت الحجاج، يقول على المنبر: السورة التي يذكر فيها البقرة، والسورة التي يذكر فيها آل عمران، والسورة التي يذكر فيها النساء.قال: فذكرت ذلك لإبراهيم ، فقال: حدثني عبد الرحمن بن يزيد أنه كان مع ابن مسعود رضي الله عنه حين رمى جمرة العقبة، فاستبطن الوادي ، حتى إذا حاذى بالشجرة اعترضها، فرمى بسبع حصيات ، يكبر مع كل حصاة ثم قال: من ها هنا ، والذي لا إله غيره ، قام الذي أنزلت عليه سورة البقرة صلى الله عليه وسلم" [٣].

وبوب البخاري في صحيحه بابًا فقال: " باب من لم ير بأسا أن يقول: سورة البقرة، وسورة كذا وكذا"[٤]، وأورد فيه عدة أحاديث، منها:

١- عن أبي مسعود الأنصاري، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأ بهما في ليلة كفتاه»[٥].

٢- عن حديث المسور بن مخرمة، وعبد الرحمن بن عبد القاري ، أنهما سمعا عمر بن الخطاب، يقول: " سمعت هشام بن حكيم بن حزام، يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة، لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت أساوره في الصلاة ، فانتظرته حتى سلم ، فلببته فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ ؟ قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت له: كذبت فوالله إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لهو أقرأني هذه السورة ، التي سمعتك فانطلقت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أقوده ، فقلت: يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، وإنك أقرأتني سورة الفرقان، فقال: "يا هشام اقرأها"، فقرأها القراءة التي سمعته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هكذا أنزلت" ، ثم قال: (اقرأ يا عمر) فقرأتها التي أقرأنيها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هكذا أنزلت"، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرءوا ما تيسر منه"[٦].

---

(١)انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الجزء الأول، مكتبة دار التراث، القاهرة، د. ت.، ص٢٧٠، والإتقان في علوم القرآن، السيوطي، المجلد الأول، ص١٥٠ و١٥١، والسورة القرآنية، د. عبد البديع أبو هاشم، بحث في: الموسوعة القرآنية المتخصصة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ص٢٢١ و٢٢٢.

(٢)انظر: أسماء سور القرآن، د. إبراهيم عبدالمعطي(بحث منشور في الشبكة الإلكترونية).

(٣)صحيح البخاري(١٧٥٠):ص١٧٨/٢.

(٤)صحيح البخاري: ١٩٤/٦.

(٥)صحيح البخاري(٥٠٤٠):ص١٩٤/٦.

(٦)صحيح البخاري(٥٠٤١):ص١٩٤/٦.

٣- عن عائشة رضي الله عنها، قالت: " سمع النبي صلى الله عليه وسلم قارئا يقرأ من الليل في المسجد، فقال: " يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية أسقطتها من سورة كذا وكذا"[١].

قال ابن حجر: " أشار بذلك إلى الرد على من كره ذلك وقال لا يقال إلا السورة التي يذكر فيها كذا " [٢].

وقال الإمام النووي: " يجوز أن يقول : سورة البقرة، وسورة آل عمران، وسورة النساء، وسورة العنكبوت، وكذلك الباقي، ولا كراهة في ذلك. وقال بعض السلف: يُكره ذلك، وإنما يُقال: السورة التي تُذكر فيها البقرة، والتي يُذكر فيها النساء، وكذلك الباقي. والصواب الأوّل، وهو قولُ جماهير علماء المسلمين من سلف الأمة وخلفها، والأحاديثُ فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من أن تحصر، وكذلك عن الصحابة فمن بعدهم" [٣].

ولا يصح في هذه المسألة حديث مرفوع، وإنما هو اجتهاد لبعض السلف، خالفه من هو أولى وأكثر ، مع دلالة السنة الصحيحة على خلافه أيضا.

وأما الحديث الوارد عن أنس بن مالك مرفوعًا: " لا تقولوا: سورة البقرة، ولا سورة آل عمران، ولا سورة النساء، وكذا القرآن كله، ولكن قولوا: السورة التي يذكر فيها البقرة، والتي يذكر فيها آل عمران، وكذا القرآن كله" : فلا يصح، قال ابن كثير: " هذا حديث غريب لا يصح رفعه، وعيسى بن ميمون هذا هو أبو سلمة الخواص، وهو ضعيف الرواية، لا يحتج به" [٤].

وشرع ابن كثير في إيراد بعض الأحاديث التي ثبت فيها إطلاق سورة البقرة ، سورة آل عمران ، ونحو ذلك.

وقال السيوطي عن الحديث السابق: " وإسناده ضعيف، بل ادعى ابن الجوزي أنه موضوع، وقال البيهقي: إنما يعرف موقوفًا على ابن عمر، ثم أخرجه عنه بسند صحيح.وقد صح إطلاق سورة البقرة وغيرها عنه صلى الله عليه وسلم، وفي الصحيح عن ابن مسعود أنه قال: "هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة ومن ثم لم يكرهه الجمهور"[٥].

وقال الشيخ أبو شهبة: " والصحيح جواز أن يقال سورة البقرة: وآل عمران والنساء، والأعراف، وهكذا بدون كراهة، ولا يشترط أن يقال السورة التي يذكر فيها البقرة، وهكذا سائر السور "[٦].

والخلاصة : أن الصحيح جواز أن يقال سورة البقرة: وآل عمران والنساء، والأعراف، وهكذا بدون كراهة. والله أعلم.

ادراج أسماء السور في المصاحف:

يظهر أن تسمية السور كان قديما جدا ، حيث كان مع بدايات النزول ، فالتسمية كانت مكية المنشأ ؛ لأن الصحابة المكيين قد رووا أحاديث كثيرة فيها أسماء للسور ، ومن ذلك حديث جعفر الطيارمع النجاشي ملك الحبشة ، حيث قرأ عليه سورة مريم. والمقصود من التسمية تمييز المسمى عمن يشابهه، ويمكن تقسيم التسميات - من حيث المسمِّي - إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول : ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم-، وهذا كثير ، ومن أمثلته:

---

(١)صحيح البخاري(٥٠٤٢):ص١٩٤/٦.
(٢)فتح الباري:٩/ ٨٧.
(٣)الأذكار:١٠٩.
(٤)تفسير ابن كثير: ١/ ١٥٦.
(٥)"الإتقان" (١/ ١٨٧)، "معترك الأقران" (٢/ ٢٧٦).
(٦)المدخل لدراسة القرآن: ٣١٨.

- ما رواه مسلم عن أبي أمامة الباهلي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم- : "اقرؤوا القرآن ، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه . اقرؤوا الزهراوين : البقرة وسورة آل عمران ، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان - أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف - تُحَاجَّان عن أصحابهما . اقرؤوا سورة البقرة ، فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا يستطيعها البطلة"[١].
- وما رواه البخاري بسنده عن أبي هريرة، قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : " أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم"[٢].

القسم الثاني : ما ثبتت تسميته عن الصحابي ، ومثال ذلك ما رواه البخاري بسنده عن سعيد بن جبير قال : "قلت لابن عباس:سورة الحشر، قال: «قل سورة النضير»" [٣].

القسم الثالث : تسمية من دون الصحابي إلى وقتنا هذا ، وغالب تسمياتهم تأتي حكاية لبداية السورة ؛ كقولهم : سورة (أرأيت) ، سورة (لم يكن)، وهكذا ؛ حيث إنه لم يرد النهي عن تسمية السور بأسماء تدل عليها ، وعلى هذا مضى السلف والخلف ، حتى صار ما رأيتَ من تسمية السورة بحكاية أولها ، وذلك هو الغالب على الكتاتيب ، ودور تحفيظ القرآن الكريم.

ومما يحسن عِلْمُه في هذا الموضوع ما يأتي:

١- أن بعض السور لها أكثر من اسم ، وهي إما أن تكون مما أُخِذَ عن الصحابة ، أو يكون شيءٌ منها مما ثبت عنهم أو عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ، ثم اشتهر عند المتأخرين اسم آخر.

٢- أن تسميات السور لها علاقة بشيء مذكور في السورة ، وهي على أقسام:

- منها ما يكون موضوعه مذكورا في السورة ؛ كسورة (التوبة)؛ سميت بهذا الاسم لورود موضوع التوبة على النبي -صلى الله عليه وسلم- والذين معه والذين خُلِّفوا ، في قوله تعالى:{لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١١٧) وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١١٨)} [التوبة : ١١٧ - ١١٨].
- ومنها ما يكون لفظ الاسم واردا فيها ، وعلى هذا أغلب التسميات ؛ كتسمية سورة (التوبة) بسورة (براءة) ؛ لأن افتتاحها بهذا اللفظ في قوله تعالى:{بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [التوبة : ١].
- ومنها ما يكون حكاية لمطلع السورة ، وهو على قسمين:

  الأول : أن يكون حكاية لألفاظ أول السورة بنصِّها ؛ كقولهم : سورة قل هو الله أحد.

  الثاني : أن يُشتق اسم من ألفاظ أول السورة ؛ كقولهم : سورة الزلزلة.

٣- أن بعض السور التي تعددت أسماؤها قد يكون بسبب من الأسباب المذكورة في الفقرة السابقة ، وقد تكون واردة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ، وقد تكون واردة عن الصحابة ، وقد تكون عمن دونهم.

ومن الواردة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ما سبق في تسمية "الفاتحة" ، إذ قال -صلى الله عليه وسلم- : "هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته"[٤]، وهي تسمى بهذه الأسماء الثلاثة.

---

(١)صحيح مسلم(٨٠٤):ص٥٥٣/١.
(٢)صحيح البخاري(٤٧٠٤):ص٨١/٦.
(٣)صحيح البخاري(٤٠٢٩):ص٨٨/٥.
(٤)صحيح البخاري(٤٤٧٤):٦/١٧.

وهذا التعدد في الأسماء يرجع إلى ذات واحدة ، لكن كل اسم فيها يحمل من الصفة ما لا يحمله الاسم الآخر ، وهذا هو سبب تعداد المسميات للشيء الواحد ، والله أعلم.

ومن الوارد عن الصحابة ، ما رواه مسلم بسنده عن سعيد بن جبير :" قلت لابن عباس: سورة التوبة، قال: آلتوبة قال: «بل هي الفاضحة ما زالت تنزل، ومنهم ومنهم حتى ظنوا أن لا يبقى منا أحد، إلا ذكر فيها»، قال: قلت: سورة الأنفال، قال: «تلك سورة بدر» قال: قلت: فالحشر قال: «نزلت في بني النضير"[١].

ولا شك أن المتأمل في أسماء السور يجد لطائف من العلم ، وتبرز له استفسارات تدعوه إلى البحث ، فعلى سبيل المثال : لِمَ سُميت سورة النمل بهذا الاسم ، ولم تُسمَّ بسورة سليمان ، وهو نبي عظيم من أنبياء بني إسرائيل ؟!ومثل هذا النظر مدعاة للتدبر في أسماء السور ، لكن لا يخفاك أنه قد لا يخلو من تكلف[٢]، والله أعلم.

وقد اختلف المؤرخون في أول من نقط المصحف: فمنهم من يرى أن الإعجام [٣] كان معروفا قبل الإسلام لتمييز الحروف المتشابهة، غير أنه ترك عند كتابة المصاحف لما ذكرنا، ومنهم من يرى أن الإعجام لم يعرف إلا من طريق أبي الأسود الدؤلي، ثم اشتهر ووضع في القرآن في عهد عبد الملك بن مروان والظاهر الأول، لأنه يبعد جدّا أن لا يكون للحروف علامات تميز المتشابهات بعضها عن بعض. ومهما يكن من شيء فقد اشتدت الحاجة إليه حينما اتسعت رقعة الإسلام، واختلط العرب بالعجم، وبدأ اللبس والإشكال في قراءة المصاحف، حتى ليشق على الكثير منهم أن يميزوا بين حروف القرآن وقراءاته في مثل قوله تعالى: {فَتَبَيَّنُوا}،و {فتثبتوا}، فاهتم عبد الملك بن مروان بذلك وأمر الحجاج أن يعنى بهذا الأمر الجليل، فاختار الحجاج له رجلين من خيرة المسلمين نصر بن عاصم الليثي، ويحيى بن يعمر العدواني، تلميذي أبي الأسود الدؤلي، وكانا من الورع والصلاح؛ وبلوغ الغاية في العربية، والقراءات بمكان، فوضعا النقط من واحدة إلى ثلاث للحروف المتشابهة، وكان في هذا توفيق عظيم للأمة إلى هذا العمل الذي يتوقف عليه حفظ القرآن الكريم.

وقيل أن أول من نقط المصحف أبو الأسود الدؤلي وأن ابن سيرين كان له مصحف نقطه له يحيى بن يعمر، ويمكن التوفيق بين هذا وما تقدم بأن أبا الأسود أول من نقط المصحف بصفة شخصية، وتبعه في ذلك ابن سيرين، وأما عبد الملك فأول من أمر بنقط المصحف بصفة عامة رسمية شاعت وذاعت بين الناس قاطبة.

ومن المعلومات المشتهرة جداً أن الحجاج بن يوسف الثقفي الطاغية المبير كان أول من نقط المصحف، وعمدة من قال هذا رواية مرسلة معضلة في كتاب "التصحيف" للعسكري أن الناس غبروا يقرؤون في مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه نيفاً واربعين سنة إلى أيام عبد الملك بن مروان، ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق، ففزع الحجاج بن يوسف الثقفي إلى كتابه وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات، فيقال: إن نصر بن عاصم قام بذلك فوضع النقط أفراداً وأزواجاً وخالف بين أماكنها، فغبر الناس بذلك زماناً لا يكتبون إلا منقوطاً، فكان مع استعمال النقط أيضاً يقع التصحيف، فأحدثوا الإعجام، فكانوا يتبعون النقط الإعجام،وكذا أوردها دون إسناد وتشكك في بعض حيثياتها.

---

(١)صحيح البخاري(٣٠٣١):ص٢٣٢٢/٤.

(٢)انظر: المحرر في علوم القرآن، مساعد بن سليمان الطيار ، ص ١٦٩ - ١٧٢ ، ط٢ ، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م ، نشر مركز الدراسات بمعهد الإمام الشاطبي.

(٣)الإعجام هو ما يدل على ذوات الحروف، وتمييز الحروف المتماثلة في الرسم بعضها عن بعض.

قال الداني في كتابه "المحكم في نقط المصحف":" أخبرنَا يُونُس بن عبد الله قَالَ نَا مُحَمَّد بن يحيى قَالَ نَا أَحْمد بن خَالِد قَالَ نَا عَليّ بن عبد الْعَزِيز قَالَ نَا الْقَاسِم بن سَلام قَالَ نَا حجاج عَن هَارُون عَن مُحَمَّد بن بشر عَن يحيى بن يعمر وَكَانَ أول من نقط الْمَصَاحِف"[١].

أخبرنَا عبد بن أَحْمد بن مُحَمَّد فِي كِتَابه قَالَ نَا احْمَد بن عَبْدَان قَالَ نَا مُحَمَّد بن سهل قَالَ نَا مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل قَالَ قَالَ حُسَيْن بن الْوَلِيد عَن هَارُون بن مُوسَى: أول من نقط الْمُصحف يحيى بن يعمر"[٢].

أخبرنَا خلف بن إِبْرَاهِيم بن مُحَمَّد الْمُقْرِئ فِي الْإِجَازَة قَالَ نَا مُحَمَّد بن عبد الله الْأَصْبَهَانِيّ قَالَ أخْبرت عَن أبي بكر مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن الْفضل التستري قَالَ نَا مُحَمَّد بن سهل بن عبد الْجَبَّار قَالَ نَا أَبُو حَاتِم قَالَ قَرَأَ يَعْقُوب على سَلام أبي الْمُنْذر وَقَرَأَ سَلام على أبي عَمْرو وَقَرَأَ أَبُو عمر على عبد الله بن ابي إِسْحَاق الْحَضْرَمِيّ وعَلى نصر بن عَاصِم اللَّيْثِيّ وَنصر أول من نقط الْمَصَاحِف وعشرها وخمسها"[٣].

قَالَ أَبُو عَمْرو يحْتَمل أَن يكون يحيى وَنصر أول من نقطاها للنَّاس بِالْبَصْرَةِ وأخذا ذَلِك عَن أبي الْأسود إِذْ كَانَ السَّابِق إِلَى ذَلِك والمبتدئ بِهِ، وهو الذي جعل الحركات والتنوين لا غير على ما تقدم في الخبر عنه ثم جعل الخليل بن احمد الهمز والتشديد والروم والإشمام وقفا الناس في ذلك أثرهما واتبعوا فيه سنتهما وانتشر ذلك في سائر البلدان وظهر العمل به في كل عصر وأوان والحمد لله على كل حال"[٤].

وقيل: أنه أبو الأسود الدؤلي:

قال الداني حدّثنَاهُ مُحَمَّد بن أَحْمد بن عَليّ الْبَغْدَادِيّ قَالَ ثَنَا مُحَمَّد بن الْقَاسِم الانباري قَالَ ثَنَا ابي قَالَ حَدثنَا أَبُو عِكْرِمَة قَالَ قَالَ الْعُتْبِي كتب مُعَاوِيَة رَضِي الله عَنهُ إِلَى زِيَاد يطْلب عبيد الله ابْنه فَلَمَّا قدم عَلَيْهِ كَلمه فَوَجَدَهُ يلحن فَرده إِلَى زِيَاد وَكتب إِلَيْهِ كتابا يلومه فِيهِ وَيَقُول أمثل عبيد الله يضيع فَبعث زِيَاد إِلَى ابي الْأسود فَقَالَ يَا أَبَا الْأسود إِن هَذِه الْحَمْرَاء قد كثرت وأفسدت من ألسن الْعَرَب فَلَو وضعت شَيْئا يصلح بِهِ النَّاس كَلَامهم ويعربون بِهِ كتاب الله تَعَالَى فَأبى ذَلِك أَبُو الْأسود وَكره إِجَابَة زِيَاد إِلَى مَا سَأَلَ فَوجه زِيَاد رجلا فَقَالَ لَهُ اقعد فِي طَرِيق أبي الْأسود فَإِذا مر بك فاقرأ شَيْئا من الْقُرْآن وتعمد اللّحن فِيهِ فَفعل ذَلِك فَلَمَّا مر بِهِ أَبُو الاسود رفع الرجل صَوته فَقَالَ {أَن الله بَرِيء من الْمُشْركين وَرَسُوله} فاستعظم ذَلِك أَبُو الْأسود وَقَالَ عز وَجه الله أَن يبرأ من رَسُوله ثمَّ رَجَعَ من فوره إِلَى زِيَاد فَقَالَ يَا هَذَا قد أَجَبْتُك إِلَى مَا سَأَلت وَرَأَيْت أَن أبدأ بإعراب الْقُرْآن إِلَيّ ثَلَاثِينَ رجلا فأحضرهم زِيَاد فَاخْتَارَ مِنْهُم أَبُو الْأسود عشرَة ثمَّ لم يزل يخْتَار مِنْهُم حَتَّى اخْتَار رجلا من عبد الْقَيْس فَقَالَ خُذ الْمُصحف وصبغا يُخَالف لون المداد فَإِذا فتحت شفتي فانقط وَاحِدَة فَوق الْحَرْف وَإِذا ضممتهما فَاجْعَلْ النقطة إِلَى جَانب الْحَرْف وَإِذا كسرتهما فَاجْعَلْ النقطة فِي أَسْفَله فَإِن اتبعت شَيْئا من هَذِه الحركات غنة فانقط نقطتين، فابتدأ بالمصحف حَتَّى أَتَى على آخِره ثمَّ وضع الْمُخْتَصر الْمَنْسُوب إِلَيْهِ بعد ذَلِك"[٥].

ولم يذكر الداني في كتابه هذا الحجاج نهائياً.

وقال ابن أبي داود في "المصاحف" حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَخْزُومِيُّ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ نَصْرِ بْنِ مَالِكٍ، حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الْوَلِيدِ، عَنْ هَارُونَ بْنِ مُوسَى قَالَ: "أَوَّلُ مَنْ نَقَّطَ الْمَصَاحِفَ يَحْيَى بْنُ يَعْمُرَ"[٦].

ولم أجد أي رواية تقول أن يحيى فعل ذلك بأمر من الحجاج وإنما لفق الناس تلفيقاً بين رواية العسكري وهذه الرواية، وبعضهم يذكر الحسن البصري في كتاب الحجاج الذين نقطوا! وهذا مستبعد جداً،

---

(١)المحكم في نقط المصحف: ٥.
(٢)المحكم في نقط المصحف: ٥.
(٣)المحكم في نقط المصحف: ٥-٦.
(٤)المحكم في نقط المصحف: ٦.
(٥)المحكم في نقط المصحف: ٣-٤.
(٦)سبق تخريجه.

وقال العسكري في "الأوائل":"أن أول من نقط المصحف أبو الأسود الدؤلي". فهو نفسه لا يعتد بتلك الرواية التي أرسلها بلا إسناد.

نستنتج بأن هناك ثلاثة أقوال في أول من نقط المصحف:

الأول: أن أول من نقط المصحف أبو الأسود الدؤلي.

الثاني: نصر بن عاصم الليثي،وذلك في رواية معضلة أنه فعل ذلك بأمر الحجاج وهي رواية ممرضة بـ"يقال".

الثالث: يحيى بن يعمر، ولا ذكر للحجاج في روايته ولكن بعض المتأخرين وهم وخلط بينه وبين نصر الذي سبقه.

من هذا نعرف أن القول بأن الحجاج أول من نقط المصحف لا يصح، لأنها رواية معضلة معارضة بروايات متصلة أخرى-والله أعلم-.

والخلاصة: أن أول من وضع النقط في المصحف هو أبو الأسود الدؤلي ولكنه للشكل والضبط .أما نقط الإعجام الذي بين أيدينا فأول من وضعه هو الخليل بن أحمد.

وأما ما استحدث في كتابة المصاحف من التحزيب والتجزئة والتخميس والتعشير وكتابة فواتح السور وخواتمها، ونحو ذلك فكل ذلك مما زيد لغرض التيسير على القارئ، ولكن ليس له من الأهمية ما للشكل والنقط قال قتادة: بدءوا فنقطوا ثم خمسوا وعشروا، وقال غيره: أول ما أحدثوا النقط عند آخر الآي ثم الفواتح والخواتم.

وقد جزأ العلماء القرآن تجزئات شتى: منها التجزئة إلى ثلاثين جزءا وأطلقوا على كل واحد منها اسم الجزء بحيث لا يخطر بالبال عند الإطلاق غيره، فإذا قال قائل: قرأت جزءا من القرآن تبادر للذهن أنه قرأ جزءا من الأجزاء الثلاثين، ثم جزؤا كل واحد من هذه الأجزاء الثلاثين إلى جزءين، وقد أطلقوا على كل واحد منها اسم الحزب؛ فصارت الأحزاب ستين حزبا، فمثلا من أول الفاتحة إلى قوله تعالى :{سَيَقُولُ السُّفَهاءُ} جزء: ومن{سَيَقُولُ السُّفَهاءُ} إلى {تِلْكَ الرُّسُلُ} جزء وهكذا، ومن أول الفاتحة إلى قوله} :وَمَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ {حزب، ومن} أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ} إلى {وَلا تُسْئَلُونَ عَمَّا {كانُوا يَعْمَلُونَ}حزب، وهكذا وجعلوا الجزء ثمانية أرباع، والحزب أربعة أرباع؛ وقد جرت عادة كثير من نساخ المصاحف أن يذكروا اسم الأجزاء والأحزاب والأرباع في حاشية المصحف غير أنهم يكتبون ذلك بخط مخالف لخطه ومداد مخالف لمداده تحوطا من أن يظن أنه من القرآن.

وفيما يأتي بعض الآثار في هذه المسألة عن الصحابة والتابعين:

- قالَ أبو بكرٍ عبدُ الله بنُ سليمانَ بنِ الأشعثِ السِّجِسْتَانِي (ت: ٣١٦هـ") :حدثنا إسحاق بن وهب ، حدثنا يزيد قال : أخبرنا حماد، عن أبي حمزة قال: أتيت إبراهيم بمصحف لي مكتوب فيه سورة كذا، وكذا آية، فقال إبراهيم: امح هذا؛ فإن ابن مسعود كان يكره هذا، ويقول: لا تخلطوا بكتاب الله ما ليس منه" [(١)].
- قالَ أبو بكرٍ عبدُ الله بنُ سليمانَ بنِ الأشعثِ السِّجِسْتَانِي (ت: ٣١٦هـ"):حدثنا محمد بن حاتم بن بزيع ، حدثنا أبو الجواب ، حدثنا عمار، عن الأعمش قال :سألت إبراهيم -وهو النخعي- عن التعشير في المصحف، وتكتب سورة كذا وكذا؛ فكرهه ، وكان يقول: جردوا القرآن"[(٢)].

(١)المصاحف: ٥١٢/٤.

(٢)المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

- قال أبو عبيدالقاسم بن سلام الهَرَوِيُّ (ت: ٢٢٤هـ") :حدثنا يحيى بن سعيد، عن أبي بكر السراج، قال: قلت لأبي رزين: أكتب في مصحفي سورة كذا وكذا؟قال : لا ، إني أخاف أن ينشأ قوم لا يعرفونه فيظنوا أنه من القرآن"[١].
- قالَ أبو بكرٍ عبدُ الله بنُ سليمانَ بن الأشعثِ السِّجِسْتَانِي (ت: ٣١٦هـ) :"حدّثنا عبد اللّه حدّثنا محمّد بن بشّارٍ، حدّثنا يحيى، حدّثنا أبو بكرٍ قال: قلت لأبي رزينٍ: أكتب في مصحفي خاتمة سورة كذا وكذا؟ قال: أخشى أن ينشأ نشوءٌ يحسبون أنّه نزل من السّماء.أبو بكرٍ هو الزّبرقان السّرّاج"[٢].

أقوال العلماء في هذه المسألة

- قال محيي الدين يـحيى بنُ شَرَفٍ النَّوَوِيُّ (ت: ٦٧٦هـ) :" وإثبات نحو أسماء السور والأعشار من بدع الحجاج" [٣].
- قال محيي الدين يـحيى بنُ شَرَفٍ النَّوَوِيُّ (ت: ٦٧٦هـ)- في حديثه عن البسملة:"واحتج أصحابنا بأن الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا على إثباتها في المصحف جميعاً في أوائل السور سوى براءة بخط المصحف بخلاف الأعشار وتراجم السور؛ فإن العادة كتابتها بحمرة ونحوها، فلو لم تكن قرآنا لما استجازوا إثباتها بخط المصحف من غير تمييز لأن ذلك يحمل على اعتقاد أنها قرآن فيكونون مغررين بالمسلمين حاملين لهم على اعتقاد ما ليس بقرآن قرآنا فهذا مما لا يجوز اعتقاده في الصحابة رضي الله عنهم.قال أصحابنا: هذا أقوى أدلتنا في إثباتها" [٤].
- قال أحمدُ بنُ عبدِ الحَليمِ ابنُ تيميَّة الحرَّانيُّ (ت:٧٢٨هـ) : "ولهذا أمرَ الصحابةُ والعلماءُ بتجريد القرآن وأن لا يكتب في المصحف غير القرآن فلا يكتب أسماءُ السورِ ولا التخميس والتعشير ولا آمين ولا غير ذلك، والمصاحف القديمة كتبها أهل العلم على هذه الصفة، وفي المصاحف من قد كَتب ناسخُها أسماءَ السورِ والتخميس والتعشير والوقف والابتداء وكتب في آخر المصحف تصديقه ودعا وكتب اسمه ونحو ذلك وليس هذا من القرآن"[٥].
- قالَ إسمَاعيلُ بنُ عمرَ بن كثيرٍ القُرَشِيُّ (ت:٧٧٤هـ) : "واختلفوا في الشكل والنقط فمن مرخص ومن مانع، فأما كتابة السور وآياتها والتعشير والأجزاء والأحزاب فكثير في مصاحف زماننا، والأولى اتباع السلف الصالح" [٦].
- قال محمد الشربيني الخطيب (ت:٩٧٧هـ) في حديثه عن البسملة: "وهي آية من كل سورة إلا براءة لإجماع الصحابة على إثباتها في المصحف بخطه أوائل السور سوى براءة دون الأعشار وتراجم السور والتعوذ"[٧].
- قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ) : "واعلم أنّ الصّحابة لم يثبتوا في المصحف أسماء السّور بل اكتفوا بإثبات البسملة في مبدأ كلّ سورةٍ علامةً على الفصل بين السّورتين، وإنّما فعلوا ذلك كراهة أن يكتبوا في أثناء القرآن ما ليس بآيةٍ قرآنيّةٍ، فاختاروا البسملة لأنّها مناسبة للافتتاح مع كونها آيةً من القرآن وفي «الإتقان» أنّ سورة البيّنة سمّيت في مصحف أبيٍّ سورة أهل الكتاب،

---

(١)فضائل القرآن: ٢/٢٣٣.
(٢)المصاحف: ٤/٥١٣، ٥١٤.
(٣)**نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج: ١/٤٧٩.**
(٤)المجموع:٣/٣٣٦.
(٥)مجموع الفتاوى: ١٣/١٠٥.
(٦)تفسير ابن كثير: ١/٣٥.
(٧)الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع: ١/١٣٣.

وهذا يؤذن بأنّه كان يسمّي السّور في مصحفه. وكتبت أسماء السّور في المصاحف باطّرادٍ في عصر التّابعين ولم ينكر عليهم ذلك. قال المازريّ في «شرح البرهان» عن القاضي أبي بكرٍ الباقلّانيّ: إنّ أسماء السّور لمّا كتبت المصاحف كتبت بخطٍّ آخر لتتميّز عن القرآن، وإنّ البسملة كانت مكتوبةً في أوائل السّور بخطٍّ لا يتميّز عن الخطّ الّذي كتب به القرآن "[١].

وهكذا فإن العلماء في الصدر الأول كانوا يرون كراهة نقط المصحف وشكله ونحوهما مبالغة منهم في المحافظة على القرآن من التزيد، وكتابته في المصاحف على هيئة ما كتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم.

ولكن الحال قد تغيرت عما كان في العهد الأول: فاضطر المسلمون إلى نقطه وشكله للمحافظة على القرآن من اللحن والتغيير والتصحيف، وللتيسير على الحفاظ والقارئين، وبعد أن كانوا يكرهون ذلك صار واجبا أو مستحبا، لما هو مقرر في علم الأصول من أن الحكم يدور مع علته وجودا وعدما، قال الإمام النووي في التبيان ما نصه: قال العلماء: ويستحب نقط المصحف وشكله، فإنه صيانة من اللحن فيه وتصحيفه، وأما كراهة الشعبي والنخعي النقط فإنما كرها ذلك في ذلك الزمان خوفا من التغيير فيه، وقد أمن ذلك اليوم، فلا منع، ولا يمنع من ذلك لكونه محدثا، فإنه من المحدثات الحسنة فلا يمنع منه كنظائره، مثل تصنيف العلم وبناء المدارس والرباطات، وغير ذلك والله أعلم والخطب في هذا ونحوه مثل التنبيه على الوقوف والسكتات سهل ما دام الغرض هو التيسير والتسهيل على القارئ، وما دام الأمر بعيدا عن اللبس والتزيد والاختلاق وما دام الأمن متوفرا.

ثالثا:- فضائل القرآن:

إن للقرآن في حياتنا فضائل عظيمة، ينبغي أن نغتنمها من أجل الانتفاع بها في الدنيا وفي القبر وفي الآخرة. فنكون مُمْتَثِلِين لتعاليم ديننا الحنيف، المؤسسة حثما على قرآننا العظيم، ولقد صحَّ عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أحاديث كثيرة، تناول فيها، صلوات الله وسلامه عليه، فضل تلاوة القرآن، والعمل به، باعتبارهما من أعظم القُرُبات إلى الله. ولِمَ لا، وقد قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (٣٠)} [فاطر: ٢٩-٣٠]، قال القرطبي:" "هذه آية القراء العاملين العالمين، الذين يقيمون الصلاة: الفرض والنفل، وكذا في الإنفاق"[٢].

وحول موضوع الفضائل القرآنية، وردت بالخصوص عدة أحاديث نبوية. بعضُها من الصحيح، وفي بعضِها الآخر الكثير من الضعيف، بل من الموضوع أيضا، خصوصا في شأن بعض السور والآيات، لدرجة يَضيق المقام هنا للتفصيل فيها، لكن من أبْلغ التعبيرات عن هذا الواقع الغريب، أن أحد الوضّاعين لأحاديث في فضل القرآن وسوره، سُئل: لِم تضع أحاديث؟، فقال: رأيت الناس زهدوا في القرآن فأحببت أن أرغبهم فيه. فقيل له: إن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار"[٣]، فقال: أنا ما كذبت عليه، إنما كذبت له!"[٤].

---

(١)التحرير والتنوير: ٩١/١.

(٢)تفسير القرطبي: ٣٤٥/١٢٤.

(٣)متفق عليه، في صحيح البخاري(١٠٧):ص٣٣/١، كتاب العلم-باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم، وفي صحيح مسلم(١):ص٩/١، باب في التحذير من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٤)والحق الكذب من رذائل الصفات وقبائح الأخلاق، وقد حرمه الله عز وجل في كتابه الكريم، وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، وهو من أقصر الطرق إلى النار، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :)عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً (رواه البخاري .قال المناوي)" :وإيَّاكم والكذب (اجتنبوه واحذروا الوقوع فيه، فإنَّه مع الفُجُور.

قال القرطبي في كتابه: "المُفْهِم" لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم "في شرح حديث عليّ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال:" لا تكذبوا عليَّ، فإنه من يكذب عليَّ يلج النار"، قال: "صَدْرُ هذا الحديث نهيٌ، وعجزه وعيدٌ شديد، وهو عامٌّ في كلِّ كاذبٍ على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومطلقٌ في أنواع الكذب، ولمَّا كان كذلك، هاب قومٌ من السلف الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كعمر، والزبير بن العوَّام، وأنس بن مالك، وابن هرمز رضي الله عنهم، فإن هؤلاء سمعوا كثيراً وحدَّثوا قليلاً، كما قد صرَّح الزبير رضي الله عنه بذلك لمّا قال له ابنه عبد الله رضي الله عنه: إني لا أَسْمَعُك تحدِّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ كما يُحَدِّث فلانٌ وفلان؟ فقال: أَمَا أنِّي لم أفارقه، ولكنْ سمعته يقول :مَنْ كَذَب عليَّ، فليتبوَّأ مقعده من النار .وقال أنس :إنَّه يمنعني أن أحدِّثَكُم حديثاً كثيرا أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :من كَذَب عليَّ ...الحديث، ومنهم: مَنْ سَمِع وسكت، كعبد الملك بن إياس، وكأنَّ هؤلاء تخوَّفوا من إكثار الحديث الوقوع في الكذب والغلط، فقلَّلوا، أو سَكَتوا .. غير أنَّ الجمهور: خصَّصوا عموم هذا الحديث، وقيَّدوا مطلقَهُ بالأحاديث التي ذُكِرَ فيها :متعمِّداً، فإنَّهُ يُفْهَم منها أنَّ ذلك الوعيد الشديد، إنما يتوجَّه لمن تعمَّد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذه الطريقة هي المرضيَّة، فإنَّها تجمع بين مختلفات الأحاديث.. هذا مع أن القاعدة الشرعيّة القطعيّة تقتضي أن المخطيء والناسي غير آثمَيْن، ولا مؤاخذيْن، لا سيّما بعد التحرّز والحذر"[1].

وفي "فتح الباري" في شرح حديث عبد الله بن الزبير، قال: قلت للزبير :إني لا أسمعك تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يحدث فلان وفلان؟ قال: أمَا إني لم أفارقه، ولكن سمعته يقول :من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار، ـ قال ابن حجر ـ: "وفي تمسك الزبير بهذا الحديث على ما ذهب إليه من اختيار قلة التحديث دليل للأصح في أن الكذب هو الإخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه، سواء كان عمداً أم خطأ، والمخطيء وإن كان غير مأثوم بالإجماع، لكن الزبير خشي من الإكثار أن يقع في الخطأ وهو لا يشعر، لأنه وإن لم يأثم بالخطأ لكن قد يأثم بالإكثار، إذِ الإكثار مظنة الخطأ، والثقة إذا حدَّث بالخطأ فحُمِل عنه وهو لا يشعر أنه خطأ يعمل به على الدوام للوثوق بنقله، فيكون سبباً للعمل بما لم يقله الشارع، فمن خشي من الإكثار الوقوع في الخطأ لا يؤمن عليه الإثم إذا تعمد الإكثار، فمن ثم توقف الزبير وغيره من

أي: الخروج عن الطَّاعة، وهما في النَّار يُدْخِلان نار جهنَّم". والكذب هو إخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه، قال النووي في كتابه "الأذكار": "واعلم أن مذهب أهل السنة أن الكذب هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو، سواء تعمدت ذلك أم جهلته، لكن لا يأثم في الجهل، وإنما يأثم في العمد ."

وإذا كان الكذب حرام على عموم الناس، فإن الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد وأعظم، فإنه من أقبح المنكرات، ومن أكبر الكبائر، فمن خصائصه صلوات الله وسلامه عليه أن الكذب عليه ليس كالكذب على غيره، لقوله صلى الله عليه وسلم) :إن كذِبًا عليَّ ليس ككذب على أحد، من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار (رواه البخاري .قال القاضي عياض : "وإذا كان الكذبُ ممنوعاً فى الشرع جملة فهو على النبى عليه السلام أشد، لأن حقَّه أعظم، وحق الشريعة آكد، وإباحة الكذب عليه ذريعة إلى إبطال شرعه، وتحريف دينه."

وقد توعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من يكذب عليه متعمداً بأشد العذاب، وقد تواترت الأحاديث في بيان عِظم حرمة وجريمة الكذب عليه صلى الله عليه وسلم, وأن الكذب عليه ليس ككذب على أحد، وأن من كذب عليه متعمداً فقد تبوأ مقعده من النار. فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال) :إن كذبا عليَّ ليس ككذب على أحد، من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار (رواه البخاري، ورواه مسلم في مقدمة صحيحه. وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال) :لا تكذبوا عليَّ، فإنه من كذب عليَّ فليَلِج النار (رواه البخاري .وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال) :إن من أعظم الفِرى أن يدعي الرجل إلى غير أبيه، أو يُريَ عينه ما لم ترَ، أو يقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل (رواه البخاري .وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال) :من حدَّث عنِّي حديثًا وهو يرَى أنَّه كذِبٌ فهو أحدُ الكاذبَيْن (رواه ابن ماجه وصححه الألباني .

(١)المُفْهِم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم: ٢٩٥/١

الصحابة عن الإكثار من التحديث، وأما من أكثر منهم فمحمول على أنهم كانوا واثقين من أنفسهم بالتثبت، أو طالت أعمارهم فاحتيج إلى ما عندهم فسُئِلوا فلم يمكنهم الكتمان - رضي الله عنهم -." [١].

نبينا صلى الله عليه وسلم أكمل البشر في جميع أقواله وأحواله، فما تركه من قول وفعل فتركه أوْلى من فعله، وما فعله ففعله أكمل من تركه، ومن ثم فليحذر المسلم من أن ينسب ولو من قبيل الخطأ للنبي صلى الله عليه وسلم حديثاً وكلاماً لم يقله، أما الذي يكذب عليه صلى الله عليه وسلم متعمداً فهو على خطرٍ عظيم، لقوله صلوات الله وسلامه عليه:"إن كذبا عليَّ ليس ككذب على أحد، من كذب عليَّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"،ومن المعلوم أن من حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على المسلم نصرته وتحقيق محبته واتباعه، ولا شك أن من صور ذلك: تحري الصواب والصدق في نقل أقواله وأخباره صلى الله عليه وسلم، والمحافظة على نقاء شريعته وسنته..

فكان من المفارقات، انتشار كثير من الأحاديث الضعيفة والموضوعة بين المسلمين، خاصة في فضائل السور والآيات، رغم أن في الصحيح ما يُغني. لذا، لزم التركيز في هذا المبحث، على الصحيح من فضائل القرآن عموما. وحيث قد يتعذر استقراؤها كلها، يُكتفى بإيراد أغلبها أو أهمها، وذلك كالآتي:

١- عن أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه قال: "خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أبشروا وأبشروا أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ قالوا: نعم، قال: فإن هذا القرآن سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به، فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبدًا" [٢].[صحيح]

٢- عن عمران بن حصين، أنه مر على قارئ يقرأ، ثم سأل فاسترجع، ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من قرأ القرآن فليسأل الله به، فإنه سيجيء أقوام يقرءون القرآن يسألون به الناس» [٣].[حسن]

٣- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرأ القرآن وفينا الأعرابي والأعجمي فقال: "اقرؤوا فكل حسن وسيجيء أقوام يقيمونه كما يقام القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه" [٤]. [حسن]

٤- عن أبو هريرة رضي الله عنه قال: "حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل إذا كان يوم القيامة نزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثية فأول من يدعو به رجل جمع القرآن ورجل يقتل في سبيل الله ورجل كثير المال فيقول الله للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي، قال: بلى يا رب، قال: فماذا عملت فيما علمت، قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار فيقول الله له كذبت، وتقول الملائكة له: كذبت، فيقول الله عز وجل: أردت أن يقال: فلان قارئ فقد قيل، ويؤتى بصاحب المال فيقول: ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد، قال: بلى، قال: فماذا عملت فيما آتيتك، قال: كنت أصل الرحم وأتصدق، فيقول الله: كذبت، وتقول الملائكة كذبت، ويقول الله: بل أردت أن يقال: فلان جواد فقد قيل ذلك، ويؤتى بالرجل الذي قتل في سبيل الله فيقال له: فيم قتلت، فيقول: أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت، فيقول الله: كذبت، وتقول الملائكة له: كذبت ويقول الله: بل أردت أن يقال: فلان جريء فقد قيل ذلك، ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه

(١)فتح الباري: ٢٦٨/٢.

(٢)أخرجه ابن حبان في صحيحه: حديث/ ١٢٢، ١/ ٣٢٩، وابن أبي شيبة: حديث/ ٣٠٠٠٦، ٦/ ١٢٥، والطبراني في الكبير: حديث/ ٤٩١، ٢٢/ ١٠٨، والبيهقي في شعب الإيمان: حديث/ ٢٠١، ٢/ ٣٥٢. [صحيح].

(٣)أخرجه الترمذي: حديث/ ٢٩١٧، ٥/ ١٧٥، والطبراني في الكبير: حديث/ ٣٧٤، ١٨/ ١٦٧، والبيهقي في شعب الإيمان: حديث/ ٢٦٢٧، ٢/ ٥٣٣.[حسن]

(٤)أخرجه أبو داود: حديث/ ٨٣٠، ١/ ٢٢٠، وأحمد: حديث/ ١٤٨٩٨، ٣/ ٢٥٧، والبيهقي في شعب الإيمان: حديث/ ٢٦٤٢، ٢/ ٨٣٥. [حسن].

وسلم على ركبتي فقال: يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة" (١). [حسن]

٥- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلا جاءه، فقال: أوصني، فقال: "سألتني عما سألت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبلك، أوصيك بتقوى الله فانه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد فإنها رهبانية الاسلام، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فانه روحك في السماء وذكرك في الأرض" (٢). [حسن]

٦- عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها" (٣).

٧- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مثل الذي يقرأ القرآن كالأترجة طعمها طيب، وريحها طيب، والذي لا يقرأ القرآن كالتمرة طعمها طيب، ولا ريح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب، وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر، ولا ريح لها" (٤).

٨- عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف" (٥).[صحيح]

٩- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن لله أهلين من الناس، قالوا يا رسول الله: من هم، قال: هم أهل القرآن أهل الله وخاصته" (٦). [صحيح]

١٠- عن أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه، اقرؤوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما، اقرؤوا سورة البقرة فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة... قال معاوية: بلغني أن البطلة السحرة" (٧).

---

(١)أخرجه الترمذي: حديث/ ٢٣٨٢، ٤/ ٥٩١، وقال حسن غريب، والحاكم: حديث/ ١٥٢٧، ١/ ٥٧٩،وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وابن حبان: حديث/ ٤٠٨، ٢/ ١٢٥. [صحيح].

(٢)أخرجه أحمد: حديث/ ١١٧٩١، ٣/ ٨٢، [حسن].

(٣)أخرجه مسلم: حديث/ ٢٢٣، ١/ ٢٠٣، وابن حبان: حديث/ ٨٤٤، ٣/ ١٢٤، والترمذي: حديث/ ٣٥١٧، ٥/ ٥٣٥ والنسائي في الكبرى: حديث/ ٢٢١٧، وابن ماجة: حديث/ ٢٨٠، ١/ ١٠٢، والدارمي: حديث/ ٦٥٣، ١/ ١٧٤.

(٤)أخرجه البخاري: حديث/ ٤٧٣١، ٤/ ١٩١٧، ومسلم: حديث/ ٧٩٧، ١/ ٥٤٩، وابن حبان: حديث/ ٧٧٠، ٣/ ٤٧، والترمذي: حديث/ ٢٨٥٦، والنسائي في الكبرى: حديث/ ١١٧٦٩، ٦/ ٥٣٨، وأبو داود: حديث/ ٤٨٢٩، وابن ماجة: حديث/ ٢١٤، ١/ ٧٧، وأحمد: حديث/ ١٩٦٣٠، ٤/ ٤٠٣، والدارمي: حديث/ ٣٣٦٤، ٢/ ٥٣٥.

(٥)أخرجه الترمذي بهذا المتن: حديث/ ٢١٩٠، ٥/ ١٧٥، وقال حديث حسن صحيح غريب، والبيهقي في شعب الإيمان: حديث/ ١٩٨٤، ٢/ ٣٤٢. [صحيح].

(٦)أخرجه ابن ماجة: حديث/ ٢١٥، ١/ ٧٨، وأحمد، حديث/ ١٣٥٦٦، ٢/ ٢٤٢، والدرامي: حديث/ ٣٣٢٦، ٢/ ٥٢٥، والطيالسي في مسنده: حديث/ ٢١٢٤، ١/ ٢٨٣، ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان: حديث/ ٢٦٨٨، ٢/ ٥٥١. [صحيح].

(٧)أخرجه مسلم في صحيحه: حديث/ ٨٠٤، ١/ ٥٥٣، وأحمد: حديث/ ٢٢٢٤٦، ٥/ ٢٥٤، والبيهقي في الصغرى: حديث/ ٩٩٨، ١/ ٥٤٧، والطبراني في الأوسط: حديث/ ٤٦٨، ١/ ١٥٠.

١١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أيحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد فيه ثلاث خلفات عظام سمان، قلنا: نعم، قال فثلاث آيات يقرأ بهن أحدكم في صلاته خير له من ثلاث خلفات عظام سمان" (١).

١٢- عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" (٢).

١٣- عن على رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خياركم من تعلم القرآن وعلمه" (٣).[صحيح]

١٤- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يقال لصاحب القرآن: إقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها" (٤).

١٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يجيء القرآن يوم القيامة فيقول: يا رب حله، فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يا رب زده، فيلبس حلة الكرامة، ثم يقول: يا رب أرض عنه فيرضى عنه، فيقال له اقرأ وارق وتزاد بكل آية حسنة" (٥). [حسن]

١٦- عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في الصفة فقال: "أيكم يحب أن يغدو كل يوم بطحان أو العقيق فيأتي بناقتين كوماوين في غير إثم بالله ولا قطع رحم؟ فقلنا: يا رسول الله كلنا نحب ذلك فقال: فلئن يغدو أحدكم كل يوم إلى المسجد فيتعلم آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين وثلاث خير له من ثلاث وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل" (٦).

١٧- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس منا من لم يتغن بالقرآن وزاد غيره يجهر به" (٧).

١٨- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا وهم ذو عدد فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل منهم ما معه من القرآن فأتى على رجل منهم من أحدثهم سنا، فقال: ما

---

(١)أخرجه مسلم: حديث/ ٨٠٢، ١/ ٥٥٢، وابن ماجة: حديث/ ٣٧٨٢، ٢/ ١٢٤٣، وأحمد: حديث/ ٩١٤١، ٢/ ٢٩٦، والدارمي: حديث/ ٣٣١٤، ٢/ ٥٢٣.

(٢)أخرجه البخاري: حديث/ ٤٧٣٩، ٤/ ١٩١٩، وابن حبان: حديث/ ١١٨، ١/ ٣٢٤، والترمذي: حديث/ ٢٩٠٧، والنسائي في الكبرى: ٨٠٣٧، ٥/ ١٩، وأبو داود: حديث/ ١٤٥٢، ٢/ ٧٠، ٥/ ١٧٣، وأحمد: حديث/ ٥٠٠، ١/ ٦٩، والدارمي: حديث/ ٣٣٣٧، ٢/ ٥٢٨. وفي رواية عند البخاري أيضاً: عن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه.

(٣)أخرجه أحمد: حديث/ ١٣١٧، ١/ ١٥٣، والدرامي: حديث/ ٣٣٣٧، ٢/ ٥٢٨، وابن أبي شيبة: ٣٠٠٧٢، ٦/ ١٣٢. [صحيح]

(٤)أخرجه الترمذي: حديث/ ٣٩١٤، ٥/ ١٧٧، وأبو داود: حديث/ ١٤٦٤، ٢/ ٧٣. [صحيح].

(٥)أخرجه الترمذي: حديث/ ٢٩١٥، ٥/ ١٧٨وقال حسن صحيح، والحاكم في المستدرك: حديث/ ٢٠٢٩، ١/ ٧٣٨، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والدارمي: حديث: ٣٣١١، ٢/ ٥٢٢، والبيهقي في شعب الإيمان: حديث/ ٢٩٩٦، ٢/ ٣٤٦. [حسن].

(٦)أخرجه مسلم: حديث/ ٨٠٣، ١/ ٥٥٢، وابن حبان: حديث/ ١١٥، ١/ ٣٢١، والنسائي في السنن الصغرى: حديث/ ٩٨٥، ١/ ٥٤٢، وأبو داود: حديث/ ١٤٥٦، ٢/ ٧١، وأحمد في المسند: حديث/ ١٥٤٤٤، ٤/ ١٥٤.

(٧)أخرجه البخاري: حديث/ ٧٠٨٩، ٦/ ٧٣٧، وابن حبان: حديث/ ١٢٠، ١/ ٣٢٦، والنسائي في الصغرى: حديث: حديث/ ١٠٤٢، ١/ ٥٥٨، وأبو داود: حديث/ ١٤٦٩، وأحمد: حديث/ ١٥١٢، والدارمي: حديث/ ١٤٩١، ١/ ٤١٧، والبيهقي في شعب الإيمان: حديث/ ٢٦١٣، ٢/ ٥٢٨.

معك يا فلان قال معي كذا وكذا وسورة البقرة، قال: أمعك سورة البقرة، فقال: نعم قال فاذهب فأنت أميرهم، فقال رجل من أشرافهم: والله يا رسول الله ما منعني أن أتعلم سورة البقرة إلا خشية ألا أقوم بها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تعلموا القرآن فاقرؤه وأقرئوه فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه وقام به كمثل جراب محشو مسكا يفوح بريحه كل مكان، ومثل من تعلمه فيرقد وهو في جوفه كمثل جراب وكئ على مسك" (1). [حسن]

١٩- عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: أتت النبي صلى الله عليه وسلم امرأة فقالت: إنها قد وهبت نفسها لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، فقال: "ما لي في النساء من حاجة، فقال رجل: زوجنيها، قال: أعطها ثوبا، قال: لا أجد، قال: أعطها ولو خاتما من حديد، فاعتل له، فقال: ما معك من القرآن: قال: كذا وكذا قال: فقد زوجتكها بما معك من القرآن" (2).

٢٠- نافع بن عبد الحارث لقي عمر رضي الله عنه بعسفان، وكان عمر يستعمله على مكة فقال: من استعملت على أهل الوادي، فقال: بن أبزي، قال: ومن بن أبزي، قال: مولى من موالينا، قال: فاستخلفت عليهم مولى، قال: إنه قارئ لكتاب الله عز وجل، وإنه عالم بالفرائض، قال: عمر أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال: "إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين" (3).

٢١- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "بئس ما لأحدهم أن يقول نسيت آية كيت وكيت بل نسي واستذكروا القرآن فإنه أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم"(4).

٢٢- عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "تعلموا كتاب الله وتعاهدوا واقتنوه وتغنوا به فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفلتا من المخاض في العقل" (5).

٢٣- عن بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت" (6).

٢٤- عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله يقول: "حسنوا القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنًا" (7).[صحيح]

---

(١)أخرجه الترمذي: حديث/ ٢٨٧٦، ٥/ ١٥٦، وقال: حديث حسن، والنسائي في الصغرى: حديث/ ٨٧٤٩. [حسن].

(٢)أخرجه البخاري: حديث/ ٤٧٤١، ٤/ ١٩١٩، والترمذي/ ١١١٤، ٣/ ٤٢١، والنسائي في الصغرى: حديث/ ٣٢٠٠، ٦/ ٥٤، وأبو داود: حديث/ ٣١١١، ٢/ ٢٣٦، وابن ماجة: حديث/ ١٨٨٩، ١/ ٦٠٨، وأحمد: حديث/ ٦٦٨٠، ٢/ ١٧٩ ومالك في الموطأ: حديث/ ١٠٩٦، ٢/ ٥٢٦، والدارمي: حديث/ ٢٢٠١، ٢/ ١٩٠.

(٣)أخرجه مسلم: حديث/ ٨١٧، ١/ ٥٥٩، وابن ماجة: حديث/ ٢١٨، ١/ ٧٩، وأحمد: حديث/ ٢٣٢، والدارمي: حديث/ ٣٣٦٥، والبيهقي في شعب الإيمان: حديث٢٦٨٢، ٢/ ٥٥٠.

(٤)أخرجه البخاري: حديث/ ٤٧٤٤، ٤/ ١٩٢١، ومسلم: حديث/ ٧٩٠، ١/ ٥٤٤، وابن حبان: حديث/ ٧٦٣، ٣/ ٤١، والترمذي: حديث/ ٢٩٤٢، ٥/ ١٩٣، والنسائي في الكبرى: حديث/ ١٠١٥، ١/ ٣٢٧، وأحمد: حديث/ ٣٦٢٠، ١/ ٣٨١، والدارمي: حديث/ ٥٧٥، ١/ ١٥٢.

(٥)أخرجه النسائي في الكبرى: حديث/ ٨٠٤٩، ٥/ ٢١، وأحمد: حديث/ ١٧٣٥٥، ٤/ ١٤٦، والدارمي: حديث/ ٣٣٤٩، ٢/ ٥٢١.

(٦)أخرجه البخاري: حديث/ ٤٧٤٣، ٤/ ١٩٢٠، ومسلم: حديث/ ٧٨٩، ١/ ٥٤٣، وابن حبان: حديث/ ٧٦٤، ٢/ ٤١، والنسائي في الصغرى: حديث/ ٩٤٢، ٢/ ١٥٤، وأحمد: حديث/ ٥٣١٥، ٢/ ٦٤، ومالك في الموطأ: حديث/ ٤٧٤، ١/ ٢٠٢.

(٧)أخرجه الدارمي: حديث/ ٣٥٠١، ٢/ ٥٦٥، والبيهقي في شعب الإيمان: حديث/ ٢١٤١، ٢/ ٣٦٨. وفي رواية عند ابن حبان والنسائي، وابن ماجة والحاكم والبيهقي: زينوا القرآن بأصواتكم.[صحيح].

٢٥- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "حسن الصوت زينة القرآن" (١). [حسن]

٢٦- عن أسيد بن حضير رضي الله عنه أنه كان يقرأ وهو على ظهر بيته، وهو حسن الصوت، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "بينا اقرأ إذ غشيني شيء كالسحاب والمرأة في البيت والفرس في الدار فتخوفت أن تسقط المرأة وتنفلت الفرس فانصرفت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقرأ يا أسيد فإنما هو ملك استمع القرآن" (٢). [صحيح]

٢٧- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا حسد إلا في اثنتين رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار فسمعه جار له فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل ورجل آتاه الله مالا فهو يهلكه في الحق فقال رجل ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل" (٣).

٢٨- عن عبد الرحمن بن شبل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "تعلموا القرآن فإذا علمتموه فلا تغلوا فيه، ولا تجفوا عنه ولا تأكلوا به ولا تستكثروا به" (٤).[صحيح]

٢٩- عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تَقدُمُهُ سورة البقرة وآل عمران، وضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد قال كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق أو كأنهما حزقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما" (٥).

٣٠- عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أقرأني جبريل على حرف فراجعته ثم لم أزل أستزيده فيزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف" (٦).

٣١- عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن وهو يشتد عليه له أجران" (٧).

٣٢- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كُتِب له كأنما قرأه من الليل" (٨).

---

(١)أخرجه الطبراني في الكبير: حديث/ ١٠٠٢٣، ١٠/ ٨٢. [حسن].

(٢)أخرجه عبد الرزاق: ٤١٨٢، ٢/ ٤٨٦، والحاكم في المستدرك: ٥٢٥٩، ٣/ ٣٢٦، والطبراني في الكبير: حديث/ ٥٦٣، ١/ ٢٠٧. [صحيح].

(٣)أخرجه البخاري: حديث/ ٤٧٣٨، ٤/ ١٩١٩، ومسلم: حديث/ ٨١٥، ١/ ٥٥٩، وابن حبان: حديث/ ٩٠، ١/ ٢٩٢، والترمذي: حديث/ ١٩٣٦، ٤/ ٣٣٠، والنسائي في الكبرى: حديث/ ٥٨٤١، ٣/ ٤٢٦، وابن ماجة: حديث/ ٤٢٠٩، ٢/ ١٤٠٨، وأحمد: حديث/ ٤٥٥٠، ٢/ ٨.

(٤)أخرجه النسائي: حديث/ ٩٩٠، ١/ ٥٤٤، وأحمد: حديث/ ١٥٥٦٨، ٣/ ٤٢٨، والبيهقي في شعب الإيمان: حديث/ ٢٦٨٧، ٢/ ٥٥١. [صحيح].

(٥)أخرجه مسلم: حديث/ ٨٠٥، ١/ ٥٥٤، والترمذي: حديث/ ٢٨٨٣، ٥/ ١٦٠.

(٦)أخرجه البخاري: حديث/ ٣٠٤٧، ٣/ ١١٧٧، ومسلم/ ٨١٨، ١/ ٥٦١، وابن حبان: حديث/ ٧٣٧، ٣/ ١١، والنسائي في الصغرى: حديث/ ١٠٤٥.

(٧)أخرجه البخاري: حديث/ ٤٦٥٣، ٤/ ١٨٨٢، ومسلم: حديث/ ٧٩٨، ١/ ٥٤٩، وابن حبان: حديث/ ٧٦٧، ٣/ ٤٤، والترمذي/ ٢٩٠٤، ٥/ ١٧١، والنسائي في الصغرى: حديث/ ٩٨٦، ١/ ٥٤٢، وأبو داود: حديث: ١٤٥٣، ٢/ ٧٠، وابن ماجة: حديث/ ٣٧٧٩، ٢/ ١٢٤٢، وأحمد: حديث/ ٢٤٢٥٧، والدارمي: حديث/ ٣٣٦٨.

(٨)أخرجه مسلم: حديث/ ٧٤٧، ١/ ٥١٥، وابن حبان: حديث/ ٢٦٤٣، ٦/ ٣٦٩، والترمذي: حديث/ ٥٨١، ٢/ ٤٧٤ والنسائي في الكبرى: حديث/ ١٦٤٣، ١/ ٤٥٧، وأبو داود: حديث١٣١٣، ٢/ ٣٤، وابن ماجة: حديث/ ١٣٤٣، والدارمي:

٣٣- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إقرأ القرآن في شهر، قلت إني لأجد قوة حتى قال: إقرأه في سبع ولا تزد على ذلك"[(١)].

٣٤- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفقهه"[(٢)]. [صحيح]

٣٥- عن بن عباس رضي الله عنهما قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة"[(٣)].

٣٦- عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ قطع آية آية. الحمد لله رب العالمين، ثم يقف، الرحمن الرحيم، ثم يقف، قال بن أبي مليكة: وكانت أم سلمة تقرأها ملك"[(٤)]. [صحيح]

٣٧- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه، والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط"[(٥)]. [حسن]

٣٨- عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سيخرج أقوام من أمتي يشربون القرآن كشربهم اللبن"[(٦)]. [حسن]

٣٩- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الجدال في القرآن كفر"[(٧)]. [صحيح]

٤٠- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول: "أيهم أكثر أخذا للقرآن، فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد"[(٨)].

حديث/ ١٤٧٧، ١/ ٤١٢.

(١)أخرجه البخاري: حديث/ ٤٧٦٧، ٤/ ١٩٢٤، ومسلم: حديث/ ١١٥٩، ٢/ ٤١٨، وابن حبان: حديث/ ٧٥٧، ٣/ ٣٤، والنسائي في الصغرى: حديث/ ١٠٣٥، ١/ ٥٦١، وأبو داود: حديث: ١٣٩٠، ٣/ ٥٤، وابن ماجة: حديث/ ١٣٤٦، ١/ ٤٢٨، وأحمد: حديث/ ٦٥٤٦، ٢/ ١٦٥.

(٢)أخرجه الترمذي: حديث/ ٢٩٤٦، ٥/ ١٩٦، والنسائي في الصغرى: حديث/ ١٠٣٧، وابن ماجة: حديث/ ١٣٤٧، ١/ ٤٢٨، والبيهقي في شعب الإيمان: حديث/ ٢١٦٨، ٢/ ٣٩٤.[صحيح].

(٣)أخرجه البخاري: حديث/ ٦، ١/ ٦، ومسلم: حديث/ ٢٣٠٨، ٤/ ١٨٠٣، وابن حبان: حديث/ ٣٤٤٠، ٨/ ٢٢٥، والنسائي في الكبرى: حديث/ ٢٤٠٦، ٢/ ٦٤، وأحمد: حديث/ ٢٠٤٢، ١/ ٢٣٠.

(٤)أخرجه الحاكم في المستدرك: حديث/ ٢٩١٠، ٢/ ٢٥٢، وأبو داود: حديث/ ٤٠٠١، ٤/ ٣٧، وأحمد: حديث/ ٢٦٦٢٥، ٦/ ٣٠٢، والبيهقي في شعب الإيمان: حديث/ ٢٥٨٧، ٢/ ٥٢٠. [صحيح].

(٥)أخرجه أبو داود: حديث/ ٤٨٣٤، ٤/ ٢٦١، والبيهقي في شعب الإيمان: حديث/ ٢٦٨٥، ٢/ ٥٥٠، والبزار: حديث/ ٣٠٧٠، ٨/ ٧٤، والطبراني في الأوسط: حديث/ ٦٧٣٦، ٧/ ٢١. [حسن].

(٦)أخرجه الطبراني في الكبير: حديث/ ٨٢١، ١٧/ ٢٩٧، والروياني في المسند: حديث/ ٢٤٩، ١/ ١٨٨. [حسن].

(٧)أخرجه أبو داود: حديث/ ٤٦٠٣، ٤/ ١٩٩، والحاكم في المستدرك: حديث/ ٢٨٠٣، ٢/ ٢٤٣، والبيهقي في شعب الإيمان: حديث/ ٢٢٥٦، ٢/ ٤١٦. [صحيح].

(٨)أخرجه البخاري: حديث/ ١٢٨٢، ١/ ٤٥٢، ومسلم: حديث/ ٢٢٩٦، وابن حبان: حديث/ ٣١٨٣، ٧/ ٤٥٦، والترمذي: حديث/ ١٠٣٦، ٣/ ٣٥٤، والنسائي: حديث/ ٢٨٠٢، ١/ ٦٣٥، وغيرهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة «الفاتحة»

هي السورة الأولى من حيث الترتيب في المصحف الشريف، التي جمع الله فيها كل مقاصد القرآن، وأجمل معانيه في تلك الآيات السبع المثاني، بالأسلوب المعجز؛ واللفظ الموجز، والقول السلس الذي لا يحتاج إلى كثير معاناة بحث، ولا يستدعي عميق فهم وعويص تفكير؛ فهي نموذج القرآن الذي يرسم أسسه وحقائقه في كل نفس، ويصور معانيه في كل قلب: العلماء والدهماء على اختلاف منازلهم، وتباين درجاتهم، إذا ما لفتوا أفهامهم بعض اللفت، ووجهوا قلوبهم نوع توجيه، آتتهم هذه الفاتحة المباركة ذلك النموذج القرآني، وتلك الصورة الحقة لمقاصد الكتاب الحكيم.

وأما عدد آياتها، "فهي سبعُ آياتٍ كما دلَّ عليه قولُه تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي}الحجر:٨٧]، وفسَّرها النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- بالفاتحة، ونقل غيرُ واحدٍ الاتفاق على أنَّها سبعٌ، منهم ابنُ جرير[١] وغيرُه"[٢].

واختلف أهل العلم في الآي التي صارت بها سبع آيات، وفيه قولان[٣]:

أحدهما: أنها صارت سبع آيات بـ{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}، وها قول عظم أهل الكوفة.

قال الطبري:"وقد رُوي ذلك عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين"[٤].

والثاني:أنها سبع آيات ، وليس منهن { بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } ولكن السابعة { أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}. وذلك قول عُظْم قَرَأةِ أهل المدينة ومُتْقنيهم.

وفي عددها قولان شاذّان[٥]:

أحدُهما: أنَّها ستُّ آياتٍ، حُكي عن حسين الجُعْفِيِّ[٦].

والثاني: أنَّها ثمانُ آياتٍ، وأنَّ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} آيةٌ. قاله عمرو بن عبيد[٧].

قال ابن رجب:" نُقل عن عمرو بن عبيد أنَّها ثمانُ آياتٍ، ولا يعبأ به"[٨].

قال أبو حيان:" وشذ عمرو بن عبيد ، فجعل آية {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} ، فهي على عده ثمان آيات"[٩].

قال ابن عطية:" وقول الله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي} [الحجر: ٨٧] هو الفصل في ذلك"[١٠].

وأمَّا كلماتُها: فهي خمسٌ وعشرون كلمةً[١١].

وأمَّا حروفُها: فمائةٌ وثلاثة عشر حرفًا[١٢].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٠٩/١-١١٠.تفسير الطبري: ٤٨/١.
(٢) تفسير سورة الفاتحة لابن رجب: ١٩.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٠٩/١.
(٤) تفسير الطبري: ١٠٩/١.
(٥) انظر: المحرر الوجيز: ٦١/١-٦٢، والبحر المحيط: ١٧/١، وتفسير سورة الفاتحة لابن رجب:١٩-٢٠.
(٦) انظر: المحرر الوجيز: ٦١/١-٦٢، والبحر المحيط: ١٧/١، وتفسير سورة الفاتحة لابن رجب:١٩-٢٠.
(٧) انظر: المحرر الوجيز: ٦١/١-٦٢، والبحر المحيط: ١٧/١، وتفسير سورة الفاتحة لابن رجب:١٩-٢٠.
(٨) انظر: تفسير سورة الفاتحة لابن رجب:١٩-٢٠.
(٩) البحر المحيط: ١٧/١.
(١٠) المحرر الوجيز: ٦١/١-٦٢.
(١١) انظر: تفسير سورة الفاتحة لابن رجب:١٩-٢٠.
(١٢) انظر: تفسير سورة الفاتحة لابن رجب:١٩-٢٠.

وإن هذه السُّورة العظيمة لها فضائلٌ وخصائصٌ عديدةٌ، قال ابن رجب:"ولم يثبت في فضائلِ شيءٍ من السُّور أكثر مما ثبت في فضلِها، وفضلِ سورة (الإخلاص)"[١].

ثم سرد مجموعة من فضائلِها[٢].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- أسماؤها التوقيفية:**

ولهذه السورة أسماءٌ متعددةٌ، نذكر منها:

١- فاتحةُ الكتابِ:

ورد في "الصَّحيحين" عن عُبادة بن الصَّامِت أنَّ النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- قال: " لا صَلاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ"[٣].

---

(١) تفسير سورة الفاتحة:٣٥.

(٢) انظر: تفسير سورة الفاتحة لابن رجب: ٣٥ وما بعدها.

(٣) صحيح البخاري: (٧٥٦)، و صحيح مسلم: (٣٩٤). وقد احتج العلماء بهذا الحديث على أن الفاتحة ركن في الصلاة لابد منها في حق الإمام والمنفرد، وحاصل المسألة أن المنفرد والإمام يجب عليهما قراءة الفاتحة مطلقا في الصلاة السرية والجهرية ، أما المأموم فيجب عليه أن يقرأ حال الركعات السرية كالظهر والعصر والأخيرتين من العشاء وثالثة المغرب ، أما في الركعات التي يجهر فيها الإمام فلا يجب عليه القراءة ولا يجب عليه السكوت، ولكن المستحب المتأكد في حقه الإنصات والاستماع إلى قراءة الإمام ، فإن لم يسمع قراءة الإمام لبُعْد المكان أو لتَعَطُّل مُكَبِّر الصوت أو لصَمَمٍ فيجب عليه قراءة الفاتحة عملا بالأصل.

وتجدر الإشارة بأن قراءة الفاتحة خلف الإمام حال الجهر للعلماء فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: ليس للمأموم أن يقرأ في الصلاة الجهرية إذا كان يسمع الإمام لا بالفاتحة ولا بغيرها وهذا قول جمهور العلماء من السلف والخلف وهو مذهب أبي حنيفة ومالك وأحمد وأحد قولي الشافعي، وممن قال بهذا القول من المعاصرين العلامة الألباني والشيخ أبو بكر الجزائري والشيخ سيد سابق والشيخ محمود المصري.

القول الثاني: يجب على المأموم أن يقرأ الفاتحة في الصلاة الجهرية كالسرية وهو المذهب عند الشافعية وقول البخاري وابن حزم من الظاهرية ،وقال بصحته القرطبي، وممن قال بهذا القول من المعاصرين : العلامة ابن باز وابن عثيمين ، والشيخ عبد الله بن قعود ،والشيخ عبد الله بن غديان والشيخ عبد الرزاق عفيفي و الشيخ محمد بن عبد المقصود.

القول الثالث: يستحب للمأموم قراءتها وهو قول جماعة من أهل العلم منهم الأوزاعي.

والذي يبدو لي أن أعدل الأقوال وأقربها للصواب هو القول الأول قول الجمهور وأن المأموم لا يقرأ في حال الجهر لا بالفاتحة ولا بغيرها إذا كان يسمع قراءة الإمام هذا ما يدل عليه عمل أكثر الصحابة رضي الله عنهم وتتفق عليه أكثر الأحاديث ولأن الله تعالى أمر بالإنصات لقراءة الإمام في الصلاة فقال تعالى:{وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الأعراف:٢٠٤] ويؤيد دلالة الآية على وجوب الإنصات لقراءة الإمام ما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبنا فبين لنا سنتنا وعلمنا صلاتنا فقال: أقيموا صفوفكم ثم ليؤمكم أحدكم فإذا كبر فكبروا.. وذكر الحديث الطويل" وزاد بعض رواته: "وإذا قرأ فأنصتوا" وقد ذكرها في صحيحه. وقد رواها أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة مرفوعاً: "إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا وإذا قرأ فأنصتوا" وقد سئل مسلم بن الحجاج عن حديث أبي هريرة هذا فقال: هو عندي صحيح. ومما يدل على منع المأموم من القراءة حال جهر الإمام ما رواه أصحاب السنن وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه "أن النبي صلى الله عليه وسلم انصرف من صلاة جهر فيها بالقراءة فقال: هل قرأ معي أحد منكم آنفاً؟ فقال رجل: نعم يارسول الله. فقال: إني أقول: مالي أنازع القرآن قال: فانتهى الناس عن القراءة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جهر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلوات بالقراءة حين سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم"، وقد تكلم في هذا الحديث بعض أهل العلم من جهة ابن أكيمة الراوي عن أبي هريرة وليس ذلك بشيء فقد قال عنه يحيى بن سعيد عمرو بن أكيمة ثقة ووثقه غير واحد من أهل العلم. كما أنه طعن في الحديث من جهة أن قوله في الحديث: "فانتهى الناس... "مدرج من كلام الزهري كما قاله البخاري والذهلي وأبو داود وغيرهم والجواب عن هذا أن ذلك لا يسقط الاحتجاج بالحديث سواء كان ذلك من قول أبي هريرة أو من قول الزهري، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (٢٣ / ٢٧٤): "وهذا إذا كان من كلام الزهري فهو من أدل الدلائل على أن الصحابة لم يكونوا يقرؤون في الجهر مع النبي صلى الله عليه وسلم فإن الزهري من أعلم أهل زمانه أو أعلم أهل زمانه بالسنة وقراءة الصحابة خلف النبي صلى الله عليه وسلم إذا كانت مشروعة واجبة أو

وإنَّما سُمِّيت "فاتحة الكتاب" لافتتاح سُور القرآن بها كتابةً، وقراءةً في الصلاة، وهذا ممَّا استدلَّ به من قال: إن ترتيب سُور القرآن منصوصٌ عليه كترتيب الآيات إجماعًا.
وفي سبب تسميتها بـ"فاتحة الكتاب" أقوال[1]:

مستحبة تكون من الأحكام العامة التي يعرفها عامة الصحابة والتابعين لهم بإحسان فيكون الزهري من أعلم الناس بها فلو لم يبينها لاستدل بذلك على انتفائها فكيف إذا قطع الزهري بأن الصحابة لم يكونوا يقرؤون خلف النبي في الجهر" انتهى كلامه رحمه الله.
ومما يستأنس به في عدم وجوب القراءة على المأموم في الجهرية الحديث المشهور "من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة" وهذا الحديث أخرجه جمع من الأئمة بطرق متعددة مسنداً ومرسلاً عن جماعة من الصحابة أمثلها حديث جابر على ضعف فيه وكثرة كلام النقاد فيه ومع ذلك فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله في مجموع الفتاوى (١٨/٢٧١-٢٧٢): "وهذا الحديث روي مرسلاً ومسنداً لكن أكثر الأئمة الثقات رووه مرسلاً عن عبد الله بن شداد عن النبي صلى الله عليه وسلم وأسنده بعضهم ورواه ابن ماجه سندا وهذا المرسل قد عضده ظاهر القرآن والسنة وقال به جماهير أهل العلم من الصحابة والتابعين ومثل هذا المرسل يحتج به باتفاق الأئمة الأربعة وغيرهم". وممن استوعب الكلام في الحديث وطرقه الدار قطني رحمه الله في علله ومما تقدم يتبين أن ما رواه البخاري ومسلم وغيرها من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب" ليس على عمومه بل هو مخصوص بما تقدم من النصوص ومثله ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القران فهي خداج ثلاثاً غير تمام" فكل هذا وأمثاله محمول على غير المأموم جمعاً بين الأحاديث ومما يؤيد عدم العموم فيها ما حكاه الإمام أحمد رحمه الله من إجماع. قال رحمه الله: "ما سمعنا أحداً من أهل الإسلام يقول: إن الإمام إذا جهر بالقراءة لا تجزئ صلاة من خلفه إذا لم يقرأ".
أما حديث عبادة بن الصامت "أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الصبح فثقلت عليه القراءة فلما انصرف قال: إني أراكم تقرؤون وراء إمامكم قلنا: يا رسول الله إي والله. قال: لا تفعلوا إلا بأم القرآن فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها" وقد أخرجه أحمد وأصحاب السنن إلا ابن ماجه وفيه محمد بن إسحاق وقال عنه أحمد: لم يرفعه إلا ابن إسحاق. وقال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٢٣/ ٢٨٦): "هذا الحديث معلل عند أئمة الحديث بأمور كثيرة ضعفه أحمد وغيره من الأئمة". وقال بعد ذكر من صحّح الحديث وحسنه (٢٣/ ٣١٥): " ففي هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يعلم هل يقرؤون وراءه بشيء أم لا؟ ومعلوم أنه لو كانت القراءة واجبة على المأموم لكان قد أمرهم بذلك وأن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز ولو بيّن ذلك لهم لفعله عامتهم ولم يكن يفعله الواحد أو الاثنان منهم. ولم يكن يحتاج إلى استفهامه فهذا دليل على أنه لم يوجب عليهم القراءة خلفه حال الجهر ثم إنه لما علم أنهم يقرؤون نهاهم عن القراءة بغير أم الكتاب وما ذكر من التباس القراءة عليه تكون بالقراءة معه حال الجهر سواء كان بالفاتحة أو غيرها فالعلة متناولة للأمرين فإن ما يوجب ثقل القراءة والتباسها على الإمام منهي عنه".
ولذلك فالذي يظهر لي أن المأموم لا يجوز له القراءة حال جهر الإمام بالقراءة لما تقدم من الأدلة ولما في حديث عبادة من معنى النهي لكن إن تمكن المأموم من القراءة في سكتات الإمام فهذا المطلوب وإلا فلا شيء عليه لتركه القراءة أخذ بما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم" وهذا الحديث أخرجه أحمد ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، والله تعالى أعلم .
.(انظر في هذه المسألة: مجموع الفتاوى لابن تيمية مجلد ٢ ص ١٤١- ١٥٠ مسألة القراءة خلف الإمام دار الفكر ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، ومجموع فتاوى ورسائل العثيمين : ١٣/ ١٣١، انظر مبحث ألفاظ العموم ودلالة العام في علم أصول الفقه للشيخ عبد الوهاب خلاف ٢١٠- ٢١٢ دار الحديث ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م ، وفي الوجيز في أصول الفقه د.عبد الكريم زيدان ٣٠٥- ٣١٠ مؤسسة الرسالة الطبعة السابعة ١٤٢١هـ ٢٠٠٠ ،وفي علم أصول الفقه د. محمد الزحيلي ٢٥٦- ٢٦١ دارالقلم الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م وفي شرح الأصول من علم الأصول لابن عثيمين ١٩٠- ٢٠٥ المكتبة التوفيقية وفي مذكرة في أصول الفقه للشنقيطي ١٩٥ -١٩٨ مكتبة العلوم والحكم الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م).
وينبغي أن يتنبه أن هذه المسألة هي من مسائل الاجتهاد ، فمن كان عنده القدرة على النظر في الأدلة والترجيح بينها : فإنه يعمل بما ترجح لديه ، ومن لم يكن عنده القدرة على ذلك فإنه يقلد عالما يثق في دينه وعلمه ، ولا يجوز أن تُتخذ هذه المسألة الاجتهادية مثارا للطعن في العلماء ، أو الجدال المؤدي إلى التعصب والتفرق واختلاف القلوب. والله تعالى أعلم.
(١) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي/ دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م:١/١٢٦، وتفسير الطبري: ١/١٠٧.

أحدها: أنها سمّيت بذلك، لأنه يفتتح بها في المصاحف والتعليم والقراءة في الصلاة، وهي مفتتحة بالآية التي تفتتح بها الأمور تيمّنا وتبرّكا وهي التسمية.

قال الطبري:" فهي فَواتح لما يتلوها من سور القرآن في الكتابة والقراءة"[١].

الثاني: أنها سمّيت بذلك، لأن الحمد فاتحة كل كتاب كما هي فاتحة القرآن.

الثالث:أنها سميت بذلك،لأنها أول سورة نزلت من السماء. قاله الحسين بن الفضل[٢].

وتجدر الإشارة بأن الأمة الإسلامية أجمعت على أن ترتيب الآيات في سورها على ما هو عليه المصحف اليوم توقيفي بأمر من النبي-صلى الله عليه وسلم-، فقد كانت الآيات تنزل عليه، وجبريل يدله على مواضعها، ويبلغها رسول الله صحابته، ويأمر كتاب الوحي بنسخها في مواضعها، وكان جبريل يعارضه بالقرآن في رمضان كل عام مرة، حتى عارضه في السنة التي توفي فيها رسول الله مرتين مرتبا الآيات كما هي عليه الآن، وقد حفظه الصحابة بعده وأجمعوا على هذا الترتيب[٣].

ولقد نقل غير واحد من العلماء الإجماع في ذلك، فلقد جاء في البرهان للزركشي قوله: "فأما الآيات في كل سورة، ووضع البسملة في أوائلها، فترتيبها توقيفي بلا شك، ولا خلاف فيه، ولهذا لا يجوز تعكيسها"[٤]، وممن نقل الإجماع أيضا حول هذه المسألة أبو جعفر ابن الزبير الغرناطي، حيث قال: "ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه صلى الله عليه وسلم، وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين"[٥].

فالإجماع والنصوص المترادفة كلها على أن ترتيب الآيات توقيفي، لا شبهة في ذلك، قال مكي[٦] وغيره: ترتيب الآيات في السور بأمر النبي-صلى الله عليه وسلم-، ولما لم يأمر بذلك في أول براءة تركت بدون بسملة، وقال القاضي أبو بكر الباقلاني: "ترتيب الآيات أمر واجب، وحكم لازم، فقد كان الرسول بأمر من جبريل-عليه السلام- يقول ضعوا آية كذا في موضع كذا"[٧].

ويقول السيوطي: "والذي نذهب إليه أن جميع القرآن الذي أنزله الله وأمر بإثبات رسمه، ولم ينسخه، ولا رفع تلاوته بعد نزوله، هو الذي بين الدفتين، الذي حواه مصحف عثمان، وأنه لم ينقص منه شيئا، ولا زيد فيه، وأن ترتيبه، ونظمه ثابت على ما نظمه الله تعالى، ورتبه عليه رسوله من آي السور، لم يقدم من ذلك مؤخر ولم يؤخر مقدم، وأن الأمة ضبطت على النبي rترتيب آي كل سورة وموضعها وعرفت موقعها، كما ضبطت عنه نفس القراءات، وذات التلاوة، وأنه يمكن أن يكون الرسول-صلى الله عليه وسلم- قد رتب سوره، وأن يكون قد وكل ذلك إلى الأمة بعده، ولم يتول ذلك بنفسه"[٨].

كما أن ترتيب السور في القرآن فيه خلاف بين أهل العلم على خلاف ترتيب الآيات، فيقول: "...وإنما اختلف في ترتيب السور على ما هي عليه، وكما ثبت في مصحف عثمان بن عفان الذي بعث بنسخه[٩] إلى الآفاق، وأطبقت الصحابة على موافقة عثمان في ترتيب سوره وعمله فيه"[١]، ثم قال: "فكيفما

(١) تفسير الطبري: ١٠٧/١.

(٢) انظر: تفسير الثعلبي:١٢٦/١.

(٣)الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن وسوره، محمد أحمد القاسمي، ط١، ١٩٧٩م، مصر، ص: ٢٤٤.

(٤)البرهان في علوم القرآن ، الزركشي، دار النشر بيروت، (د،ط)، ج١، ص: ٢٥٦.

(٥)البرهان في ترتيب سور القرآن، ابن الزبير الغرناطي، تحقيق: محمد شعباني، طبعة وزارة الأوقاف المغربية، سنة: (١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ص: ١٨٢.

(٦)هو مكي بن أبي طالب حمش بن محمد بن مختار، أبو سمر القيسي، كان من أهل التبحر في علوم القرآن والعربية، حسن الفهم، كثير التأليف في علوم القرآن، محسنا لذلك، توفي سنة: ٤٧٣هـ، أنظر ابن بشكوال، الصلة: ق٢، ص: ٦٣١.

(٧)الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: فؤاد أحمد زمولي، دار الكتاب العربي، ٢٠٠٤م، بيروت، ص: ١٦٣.

(٨) الإتقان في علوم القرآن: ١٦٣

(٩)والراجح أنها أربع نسخ، وقال أبو عمر الداني في: "المقنع في رسم القرآن، ص: ١٠: «قيل أربع وقيل خمس، والأول أصح، وعليه الأمة».أنظر: السيوطي الإتقان، ص: ١٥٩، و-الزركشي: البرهان، ج١، ص: ٢٤٠ .والداني هو: الحافظ الإمام

دار الأمر فمنه صلى الله عليه وسلم عُرفَ ترتيب السور، وعلى ما سمعوه منه بنوا جليل ذلك النظر"[٢]، وإنما الخلاف وقع في فعلهم في ترتيب السور هل كان بتوقيف قولي، أو بمجرد استناد فعلي حيث بقي لهم فيه مجال نظر؟ وحتى لو كان هذا الأمر اجتهادا من الصحابة، فإن الأمر مسلم فيه أيضا، لأنه لا يوجد من هو أفصح، وأعلم بكتاب الله، وبآياته، وسوره، ونزوله من الصحابة رضي الله عنهم، كما أنهم أعملوا في ذلك اجتهادهم الأقصى، وهم الأعلياء بعلمه، والمسلم لهم في وعيه، وفهمه، وهم العارفون بأسباب النزول، ومواقع الكلمات، وإنما ألفوه على ما كانوا يسمعون منه، وهو رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، وقد كان نظرهم هذا في ما استقر عليه النبي-صلى الله عليه وسلم- من كان فعله الأكثر، والسند في ذلك بان الترتيب في السور قد روعي فيه التناسب، وإن كان لم يُراعى فيه أسباب النزول، وزمانه ومكانه، بأدلة، وأحاديث رويت منها في صحيح مسلم[٣]، وما روى في مصنف ابن أبي شيبة[٤]، وما نُقل عن الخطابي[٥] والقاضي ابن العربي[٦]، والتأمل بالعقل في ذلك التناسب الموجود بين عدة سور كالأنفال، وبراءة، والتناسب الموجود بين الطلاق، والتحريم، والضحى، والشرح...مما لا يتوقف في وضوحه من له أدنى نظر، كما نقل عن أبي

شيخ الإسلام، أبو عمر عثمان بن سعيد الأموي، مولاهم القرطبي المقرئ، صاحب التصانيف، عُرف بالداني لمسكنه بدانية، قال: «ولدت سنة: ٣٧١هـ، وبدأت طلب العلم سنة: ٣٨٦هـ، ورحلت إلى المشرق سنة: ٣٩٧هـ، وسكنت القيروان أربعة أشهر، ودخلت مصر في شوال فمكثت بها سنة، ثم حججت، ورجعت إلى الأندلس في ذي القعدة سنة: ٣٩٩هـ»، قرأ على عبد العزيز بن جعفر الفارسي، وابن غلبون، وسمع من أبي مسلم، والبزار، وابن النحاس، كان أحد الأئمة في القرآءات، ورواية الحديث والتفسير، كان مالكي المذهب، له ١٢٠مصنف، كانت وفاته بدانية في النصف من شوال، سنة٤٤٤هـ. مقدمة كتاب التيسير.

(١)البرهان في ترتيب سور القرآن، ابن الزبير الغرناطي: ١٨٢.

(٢) المصدر نفسه: ١٨٣.

(٣) إشارة إلى حديث حذيفة في صلاة القيام: عن حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قال:(صَلَّيْتُ مع النبي صلى الله عليه وسلم ذَاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ فقلت يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ ثُمَّ مَضَى فقلت يُصَلِّي بها في رَكْعَةٍ فَمَضَى فقلت يَرْكَعُ بها ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا إذا مَرَّ بِآيَةٍ فيها تَسْبِيحٌ سَبَّحَ وإذا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ وإذا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ ثُمَّ رَكَعَ فَجَعَلَ يقول سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا من قِيَامِهِ ثُمَّ قال سمع الله لِمَنْ حَمِدَهُ ثُمَّ قام طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ ثُمَّ سَجَدَ فقال سُبْحَانَ رَبِّيَ الأعلى فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا من قِيَامِهِ ...)رواه مسلم(٧٧٢).

(٤) عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أنّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم : "كَانَ يَقْرَأُ فِى صَلاَةِ الْجُمُعَةِ سُورَةَ الْجُمُعَةِ وَالْمُنَافِقِينَ" (أخرجه مسلم: ٨٩٧).

وقد روى محمد بن أحمد بن حبان البستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط ٢، ٥ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٤ هـ)، ح ١٨٤١، كتاب الصلاة باب صفة الصلاة، ذكر ما يستحب أن يقرأ به من السور ليلة الجمعة في صلاة المغرب والعشاء، ١٤٩، من حديث جابر بن سمرة قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقرأ في صلاة المغرب ليلة الجمعة بقل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد، ويقرأ في العشاء الآخرة ليلة الجمعة , الجمعة، والمنافقين). والحديث ضعفه الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة , ح ٥٥٩ , والأرنؤوط في تعليقه على ابن حبان.

(٥)هو الإمام أحمد بن إبراهيم ابن الخطاب السبتي، أبو سليمان الفقيه، المحدث اللغوي، وله عدة مصنفات، من آثاره: "معالم السنن"، و"إصلاح غلط المحدثين"، و"غريب الحديث" وله شرح على البخاري، توفي سنة: ٣٨٨هـ. أنظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٣، ص: ١٠١٨، حيث نُقل عنه قوله: «أن الصحابة لما اجتمعوا على القرآن وضعوا سورة القدر عقب العلق، واستدلوا بذلك على أن المراد بها الكتابة في قوله:{إنا أنزلناه في ليلة القدر} القدر آية١، إشارة إلى قوله: إقرأ".

(٦)ابن العربي هو محمد بن عبد الله بن محمد بن العربي الإشبيلي، المالكي، ولد بالأندلس، ورحل إلى المشرق، وعاد إلى وطنه سنة٤٩١هـ، وتولى القضاء، وذكر ابن بشكوال في الصلة أن له مصنفات عديدة منها: "عارضة الأحوذي" و"أحكام القرآن" و" العواصم، وشرح موطأ مالك، و"قانون التأويل"، توفي سنة: ٥٤٣هـ بفاس، ونُقل عنه قوله: «..وهذا بديع جدا، قلت ومن ظن ممن اعتمد القول بأن ترتيب السور اجتهاد من الصحابة، أنهم لم يراعوا في ذلك التناسب، والإشتباه، فقد سقطت مخاطبته، وإلا فما المراعى في ترتيب النزول؟ وهو غير واضح في ذلك بالقطع، بل هذا معلوم في ترتيب آي القرآن الواقع ترتيبه بأمره عليه الصلاة والسلام، وتوقيفه بغير خلاف...».(أنظر ابن الزبير، البرهان، ص: ١٨٤.و تاربخ قضاة الأندلس، ص: ١٠٥. ونفح الطيب، ج٢، ص: ١٩٩. و الأعلام، ج٦، ص: ٢٣٠).

محمد بن عطية[١] قوله بتفصيل في المسألة، وساق له ابن الزبير في كتابه البرهان بعض ما يؤيد هذا الرأي، منه قول رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "إقرأوا الزهروان البقرة، وآل عمران"[٢]، وحديث يؤتى بالقرآن يوم القيامة تقدمه سورة البقرة[٣]، وحديث: صلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم- بالسبع الطوال في ركعة[٤]، وحديث كان يجمع المفصل في ركعة[٥]، وحديث رواه البخاري من طريق عائشة: "أن النبي كان إذا آوى إلى فراشه كل ليلة قرأ المعوذتين.."[٦] ، وكأنه يؤيد الرأي القائل بأن ترتيب السور، إن لم يكن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، قد أمر به بلسان المقال، فإنه قد أشار إليه بلسان الحال، وهو ما كان عليه أكثر عمله، وأن العبرة بما ورد على الأكثر والإجمال، لا على القلة والتفصيل، وقليل بقي فيه الخلاف.

٢- أم الكتاب:

جاء في "المسند" و"سنن ابن ماجه" عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعتُ رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- يقولُ: "مَنْ صَلَّى صلاةً لم يَقْرَأ فيها بأمِّ الكتابِ فهي خِدَاجٌ"[٧].

وفي "سنن أبي داود" من حديث أبي هريرة: "{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} أمُّ القرآن، وأمُّ الكتاب، والسَّبعُ المثاني"[٨].

وفي هذا الاسم خلاف، جوّزه الجمهور[٩]، وقد سمَّاها ابنُ عبَّاسٍ وغيرُه: أمَّ الكتاب.

وكرهه أنس والحسن، وابن سيرين[١٠]، قال الحسن:"أمُّ الكتاب الحلال والحرام"[١١].

قال القرطبي:"يشيرُ إلى قوله تعالى:{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ}[آل عمران:٧]، وربما وجه بأنَّ أمَّ الكتاب هو اللوحُ المحفوظ، كما في قوله تعالى: {يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ}[الرعد:٣٩]، وقوله تعالى: {وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ}[الزخرف:٤]"[١٢].

---

(١)هو عبد الحق بن غالب ابن عبد الرحمن ابن عطية الأندلسي المحاربي الغرناطي، كان فقيها نبيها مفسرا أديبا شاعرا ذكره صاحب الصلة، وقال: كان مولده سنة: ٤٨١هـ، وتوفي في ٢٥ رمضان، سنة٥٤١هـ، بمدينة يورقة، من أشهر مصنفاته: "المحرر الوجيز" أنظر: تاريخ قضاة الأندلس، ص: ١٠٩. و- الأعلام، ج٣، ص: ٢٨٢.

(٢)رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، وقصرها، باب: فضل قرآءة القرآن، وسورة البقرة، برقم: (٨٠٤) من حديث معاوية بن سلام عن أخيه زيد، ورواه الحاكم في المستدرك، كتاب: فضائل القرآن، أخبار في فضل سورة البقرة، برقم: (٢٠٧١)، ورواه أحمد في المسند من حديث أبي أمامة البهلي، برقم: (٢١٧١٠/ ٢١٦٤٢/٢١٦٥٣)، و- في شعب الإيمان فصل في إدمان تلاوة القرآن برقم: (١٩٨٠).

(٣) رواه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين باب فضل قرآءة القرآن الكريم، برقم: (٨٠٥)، ورواه أحمد في المسند من حديث النواس بن سمعان، برقم: (١٧١٨٥)، ورواه في الشعب، الكتاب : التاسع عشر ، باب: تعظيم القرآن برقم: (٢٣٧٣).

(٤)المصنف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبة، تحقيق: عامر العمري الأعظمي، الدار السلفية بندي بازار بومباي، الهند، في كتاب: الصلوات في الرجل يقرن السورة في الركعة:٣٦٧/١.

(٥)المصدر نفسه: ٣٦٨/١.

(٦) أخرجه البخاري، ج٩، ص: ٦٢، وأبو داود في سننه برقم: (٥٠٥٦)، والترمذي في الجامع ج٤، ص: ٢٣١، والنسائي في عمل اليوم والليلة برقم: (٧٨٨)، وابن ماجة برقم: (٣٨٧٥)، وأخرجه الإمام أحمد ج٦، ص: ١١٦-١٥٤، وابن حبان برقم: (٥٥٤٣-٥٥٤٤).

(٧) المسند: (١٤٣/٦)، و سنن ابن ماجه: (٨٤٠).

(٨) سنن أبي داود: (١٤٥٢).

(٩) انظر: تفسير القرطبي: ١١١/١.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ٤٦/١، وتفسير القرطبي: ١١١/١.

(١١) انظر: النكت والعيون: ٤٦/١، وتفسير القرطبي: ١١١/١.

(١٢)تفسير القرطبي: ١١١/١.

وقال أنس وابن سيرين: "أم الكتاب: اسم اللوح المحفوظ. قال الله تعالى: {وإنه في أم الكتاب} [الزخرف: ٤]"[١].

وهذا لا يدلُّ على مَنْع تسمية الفاتحة بذلك. والله أعلم.

وقد اختلف في معنى تسميتها بأمِّ الكتاب، على ثلاثة أقوال[٢]:

أحدهما: أنها سميت بذلك، لأنَّها تتقدم على بقيَّة سُورِ الكتاب في الخطِّ، فهي توَمُّ السور بتقدمها عليها، فالكتاب كله راجع إلى معانيها، فهي كالأصل له، كما سُمِّيت مكَّة أمّ القرى، لأن البلدان دُحِيت من تحتها.

والقرآن سمّيت بذلك لأنها أوّل القرآن والكتب المنزلة، فجميع ما أودعها من العلوم مجموع في هذه السورة فهي أصل لها كالأم للطفل.

الثاني: أنها سمّيت بذلك، لأنها أفضل سور القرآن كما أن مكة سميت أم القرى لأنها أشرف البلدان.

الثالث: أنها سمّيت بذلك، لأنها مجمع العلوم والخيرات، كما أن الدماغ يسمى أمّ الرأس لأنها مجمع الحواس والمنافع.

يقول أبو بكر البريدي: "الأم في كلام العرب: الراية ينصبها العسكر، قال قيس بن الخطيم:

نصبنا أمّنا حتى ابذعرّوا   وصاروا بعد إلفتهم شلالا

فسمّيت أم القرآن لأن مفزع أهل الإيمان إليها كمفزع العسكر إلى الراية.

ومنه قول ذي الرمة[٣]:

وَأَسَمْرَ ، قَوَّامٍ إذَا نَام صُحْبَتِي ،   خَفِيفِ الثِّيابِ لا تُوَارِي لَهُ أَزْرَا

عَلَى رَأْسِهِ أمٌّ لنا نَقْتَدِي بِهَا ،   جِماعُ أمورٍ لا نُعاصِي لَهَا أَمْرَا

إذَا نزلتْ قِيلَ : انزلُوا ، وإذا غدَتْ   غَدَتْ ذاتَ بِرْزِيقٍ نَنَال بِهَا فَخْرَا

يعني بقوله : على رأسه أمٌّ لنا ، أي على رأس الرمح رايةٌ يجتمعون لها في النزول والرحيل وعند لقاء العدوّ[٤].

والعرب تسمي الأرض: أمّا، لأنّ معاد الخلق إليها في حياتهم وبعد مماتهم، قال أمية بن أبي الصلت[٥]:

والأرض نوّخها الإله طروقة للماء حتّى كلّ زند مسفد

والأرض معقلنا وكانت أمّنا   فيها مقابرنا وفيها نولد

وأنشد أحمد بن عبيدة[٦]:

نأوي إلى أمّ لنا تعتصب   كما ولها أنف عزيز وذنب

وحاجب ما إن نواريها الغصب   من السحاب ترتدي وتنتقب

يعني: نصبه كما وصف لها. وسميت الفاتحة أمّا لهذه المعاني.

وقال الحسين بن الفضل: "سميت بذلك لأنها إمام لجميع القرآن تقرأ في كل صلاة و تقدم على كل سورة، كما أن أمّ القرى إمام لأهل الإسلام، وقال ابن كيسان: سميت بذلك لأنها تامة في الفضل"[٧].

---

(١)تفسير القرطبي: ١١١/١.
(٢) انظر: النكت والعيون: ٤٥/١-٤٦، وتفسير الطبري:١٠٧/١.
(٣)ديوانه : ١٨٣.
(٤)انظر: تفسير الطبري:١٠٧/١-١٠٨.
(٥) ديوان أمية بن أبي الصلت ٣٥٦، والأول في اللسان والتاج (سفد) ، والثاني في المخصص ١٨٠/١٣، وبلا نسبة في المذكر والمؤنث للأنباري ١٨٧، في ديوانه: (نوّخها: أبركها. والطروقة: أنثى الفحل، شبه الماء والأرض بالأنثى والفحل) والبيت الثاني ذكره القرطبي في تفسيره، انظر: تفسير القرطبي: ١/ ١١٢.
(٦)لسان العرب: ١٥/ ١٦٨
(٧) تفسير الثعلبي:١٢٧/١.

وقيل: أصالتها من حيث أنَّها محكمةٌ لم يتطرَّق إليها نسخٌ، من قوله تعالى: {مِنْهُ آَيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ} [آل عمران:٧](١).

٣- أمُّ القرآن:

واختلف فيه أيضا، فجوزه الجمهور ومنهم الحسن الذي كره تسميتها بأمِّ الكتاب، وكرهه أنس وابن سيرين، والأحاديث الثابتة ترد هذين القولين(٢).

وقد ورد تسميتُها بذلك في أحاديث كثيرة:

منها حديث أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: "كلُّ صلاةٍ لا يُقرأ فيها بأمِّ القرآن فهي خِدَاجٌ" خرَّجه مُسْلِمٌ(٣).

وخرَّج من حديث عُبادة أنَّ النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- قال: "لا صلاة لمن لم يقرأ بأمِّ القرآن"(٤).

٤- السبع المثاني:

وقد فسَّرها النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- بالفاتحة كما سيأتي ذكره، وذكر وكيع في "كتابه" عن سفيان عن عمرو بن ميمون عن أبي مسعود الأنصاريِّ عن النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- قال: "{وَلَقَدْ آَتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآَنَ الْعَظِيمَ}[الحجر:٨٧]، قال: فاتحة الكتاب".

وممن قال "الفاتحة هي السبع المثاني": ابنُ عبَّاسٍ وابنُ عمر والحسن ومجاهدٌ وعكرمةُ وخلقٌ كثيرٌ.

واختلف في سبب تسميتها بالمثاني على أقوال:

أحدها: إذ هي سبع آياتٍ اتّفاقاً(٥)، وليس في القرآن ما هو كذلك سواها(٦)، إنْ غَيَّر بعضُهم عَدّ التَّسمية آية دون {صراط الذين أنعمتَ عليهم}، وبعضُهم عَكَس(٧)، وهذا القول هو المشهور(٨).

---

(١) انظر: تفسير الفاتحة، الحافظ أبو الفرج عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الدمشقي الحنبلي: ١٦.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١١٢/١.

(٣) صحيح مسلم: (٣٩٥).

(٤) صحيح مسلم: (٣٩٤).

(٥) اتفق القراء والمفسرون بأنها سبع آيات، ولم يشذ عن ذلك إلا الحسن البصري فقال هي ثمان آيات، وإلا الحسين الجعفي فقال هي ست آيات، وقال البعض أنها تسع آيات، ويتعين حينئذ كون البسملة ليست من الفاتحة لتكون سبع آيات ومن عدّ البسملة أدمج الآيتين.(انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور: ١٣٥/١).

(٦) ليس في القرآن سورة هي سبع آيات سوى " الفاتحة "، و " أرأيت " ولا ثالث لهما. قال جعفر بن أحمد بن الحسين السرّاج البغدادي في أرجوزته التي نظم فيها النظائر:

فَسُوْرَةُ الحَمْدِ لَهَا نَظِيْرَهْ أَرَأَيْتَ إِنْ أَنْتَ قَرَأْتَ السُّوْرَه

كلاهما إذا عددتَّ سبعُ. وليس للحق اليقين دفعُ

(انظر: أرجوزة في نظائر القرآن العظيم ل٢٠ نسخة مكتبة بلدية الإسكندرية، ومنها نسخة مصورة بمعهد البحوث العلمية برقم ١١٤٣) وهو جعفر بن أحمد بن الحسين أبو محمد السراج البغدادي القارئ، كان عالما بالقراءات والنحو واللغة، كثير التصنيف، توفي سنة خمسمائة. سير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٨٨ وبغية الوعاة ١/ ٤٨٥.

(٧)انظر في: البيان في عد آي القرآن، لأبي عمرو الداني ١٣٩.

(٨)وأما تأويل اسمها أنها " السَّبْعُ " ، فإنها سبعُ آيات ، لا خلاف بين الجميع من القرَّاء والعلماء في ذلك،وإنما اختلفوا في الآي التي صارت بها سبع آيات :

القول الأول : فقال معظم أهل الكوفة ومكة : صارت سبع آيات بـ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) ورُوِي ذلك عن جماعة من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والتابعين والشافعي يعد البسملة آية منها.

القول الثاني : قالوا هي سبع آيات ، وليس منهن (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) ولكن السابعة (أنعمت عليهم)، وذلك قول معظم قرَأَةِ أهل المدينة والبصرة والشام ومُتْقنيهم ومنهم الإمام مالك.

قال الطيبي: وعدّ التسمية أولى؛ لأن (أنعمت عليهم) لا يناسب وزانه وزان فواصل السور، ولما روى البغوي(هو الحسن بن مسعود بن محمد محيي السنة أبو محمد البغوي الشافعي المفسر، كان سيدا إماما، عالما علامة، زاهدا قانعا بالسير، توفي سنة

وتجدر الإشارة بأن الإمام أبو عمر ابن عبد البر قد ألف رسالة في البسملة سماها "الإنصاف فيما بين علماء المسلمين في قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في فاتحة الكتاب من الاختلاف" سرد فيها مذاهب العلماء في البسملة، في قرآنيتها وعدم قرآنيتها، في الجهر بها والإسرار بها، وساق فيها ما استدل به كل على مذهبه، ولم يمل فيها إلى مذهب الشافعي كما قاله المؤلف، وسبقه إليه عبد الرحمن بن إسماعيل شهاب الدين أبو محمد المشهور بأبي شامة في كتاب البسملة، بل مال إلى مذهب إمامه مالك بن أنس، فإنه قال فيها[١]: أجمع علماء المسلمين على أنها سبع آيات، فدل هذا الحديث على أن أنعمت عليهم آية، وبسم الله الرحمن الرحيم ليست آية من أول السورة، وهذا عد أهل المدينة والشام والبصرة، وأما أهل مكة وأهل الكوفة من العلماء والقراء فيعدون بسم الله الرحمن الرحيم أول آية من أم القرآن، وليست أنعمت عليهم بآية عندهم، فهذا حديث قد رفع الإشكال في سقوط: بسم الله الرحمن الرحيم، ورجاله ثقات: أبو حامد الغزالي[٢] ، والفقيه سلطان بن إبراهيم المقدسي[٣]، وأبو الفتح سليم بن أيوب الرازي، وأبو المعالي مُجَلّي صاحب[٤] " الذخائر "، والحافظ أبو شامة[٥].

وعليه قراء مكة: كابن كثير[٦]والكوفة: كعاصم[٧] حمزة[٨] والكسائي[٩].
وممن خالفهم من قراء المدينة: كنافع[١]، والبصرة: كأبي عمرو[٢]،والشام كابن عامر[٣].

ست عشرة وخمسمائة. سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٣٩ وطبقات الشافعية الكبرى ٧/ ٧٥.) في " شرح السنة " عن ابن عباس أنه قال: " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الآية السابعة "(رواه الشافعي في المسند ٧٩ ومن طريقه البغوي في شرح السنة ٣/ ٥٠ من طريق عبد المجيد، والطبري في تفسير الطبري ١٤/ ٥٥ من طريق يحيى الأموي، والحاكم في المستدرك ٢/ ٢٥٧ من طريق حفص بن غياث، والبيهقي في السنن الكبرى ٢/ ٤٤ من طريق حجاج بن محمد الأعور، وحفص بن غياث، والطحاوي في شرح معاني الآثار ١/ ٢٠٠ من طريق أبي عاصم كلهم (عبد المجيد، ويحيى وحفص، وحجاج، وأبو عاصم) عن ابن جريج عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي. وصحح السيوطي سنده في الإتقان ١/ ٢٤٦ وفي التصحيح نظر، فإن في سنده عبد العزيز بن جريج، قال الحافظ بن حجر عنه: لين، التقريب ٦١١).

(١) في صفحة: ١٩٢.

(٢)سرد العلامة محمد بن محمد الحسيني الزبيدي في مقدمة شرح إحياء علوم الدين "إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين" مؤلفات الغزالي، ثم ألف عبد الرحمن بدوي كتابا حافلا في مؤلفات الغزالي، ولم يرد في واحد من الكتابين كتاب مفرد للغزالي في البسملة، بيد أن الغزالي تعرض لمسألة البسملة في كتابه "المستصفى" ٢/ ١٣ - ٢٣ وذكر أنه أورد أدلة كون البسملة من القرآن في كتاب حقيقة القولين، فلعله التصنيف الذي عناه السيوطي.

(٣)هو سلطان بن إبراهيم بن المسلم أبو الفتح المقدسي، كان من أفقه الفقهاء بمصر، تفقه عليه صاحب الذخائر، توفي سنة خمس وثلاثين وخمسمائة. طبقات الشافعية الكبرى ٧/ ٩٤ وحسن الخاضرة في أخبار مصر والقاهرة ١/ ٤٠٥.

(٤)هو مُجَلّي بن جميع بضم الجيم بن نجا أبو المعالي المخزومي، صاحب الذخائر وغيره من المصنفات، له إثبات الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، توفي سنة خمسين وخمسمائة. سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٢٥ وطبقات الشافعية الكبرى ٧/ ٢٧٧.

(٥)هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم شهاب الدين أبو شامة الدمشقي، كان أحد الأئمة، برع في فنون العلم، توفي سنة خمس وستين وستمائة. طبقات الشافعية الكبرى ٨/ ١٦٥ وبغية الوعاة ٢/ ٧٧.

(٦)هو عبد الله بن كثير بن عمرو أبو معبد الكناني المكي المقرئ، انتهت إليه الإمامة بمكة في تجويد الأداء، توفي سنة اثنتين وعشرين ومائة. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ١/ ١٩٧ وغاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٤٤٣.

(٧)هو عاصم بن أبي النجود بهدلة أبو بكر الأسدي الكوفي المقرئ، واسم أبيه بهدلة على الصحيح، وقيل هي أمه، وليس ذا بشيء، انتهت إليه الإمامة في القراءة بالكوفة، توفي سنة سبع وعشرين ومائة. معرفة القراء الكبار ١/ ٢٠٤ وغاية النهاية ١/ ٣٤٦.

(٨)هو حمزة بن حبيب بن عمارة أبو عمارة القارئ، كان إماما حجة، قيما بحفظ كتاب الله، توفي سنة ست وخمسين ومائة. معرفة القراء ١/ ٢٥٠ وغاية النهاية ١/ ٢٦١.

(٩)هو علي بن حمزة بن عبد الله أبو الحسن الكسائي الكوفي المقرئ النحوي، انتهت إليه الإمامة في القراءة والعربية، توفي سنة تسع وثمانين ومائة. معرفة القراء ١/ ٢٦٩ وغاية النهاية ١/ ٥٣٥.

أما سبب الاختلاف في البسملة فمرده" أنه قد وقع الإجماع على استحباب ذكر الله تعالى عند ابتداء كل أمر له بال حين الشروع فيه، وقد ورد فيه خبر عن النبي صلى الله عليه وسلّم.

وقد كانت العرب في الجاهلية تفعل ذلك فيقولون: باسمك اللهم، ويدلّ عليه ما في قصة هدنة الحديبية[٤]، ثم إنه شرع للنبي صلى الله عليه وسلّم في ذلك لفظ البسملة. وذكر الله تعالى في كتابه حكاية عن كتاب سليمان عليه السلام أنها كانت في أوله. ثم أثبتها الصحابة في المصحف خطًّا في أوّل كل سورة سوى براءة، فاختلف العلماء هل كان ذلك لأنها أنزلت حيث كتبت، أو فعل ذلك للتبرك كما في غيره، ولم يكتف بها في أول الفاتحة، بل أعطيت كل سورة حكم الاستقلال إرشادا لمن أراد افتتاح أيّ سورة منها إلى البسملة في أولها، ولما فقد هذا المعنى حين التلاوة بوصل السورة اختلف القراء فيه: فمنهم من اتبع المصحف فبسمل مستمرا على ذلك، إذ القراءة في اتباع الرسم شأن يُخَالَفُ لأجله قياس اللغة، على ما قد عرف في علم القراءة، فما الظن بهذا؟ وقد كان تقرر عندهم أن المصحف لم تكتبه الصحابة إلاّ ليرجع إليه فيما كانوا اختلفوا فيه، ومنهم من فهم المعنى فلم يبسمل إلاّ في أوّل سورة يبتدئ بها[٥]،وقد صحّ أن النبي صلى الله عليه وسلّم لما أنزلت الكوثر وتلاها على الناس بسمل في أوّلها[٦]،وكذا لما قرأ سورة حم السجدة على عتبة بن ربيعة[٧]، ولما تلا سورة المجادلة على امرأة [٨] أوس بن الصامت [٩]، ولما قرأ سورة الروم على

---

(١)هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المقرئ المدني، قرأ على سبعين من التابعين، توفي سنة تسع وستين ومائة. معرفة القراء /١ ٢٤١ وغاية النهاية ٢/ ٣٣٠.

(٢)هو زبان بن العلاء بن عمار أبو عمرو البصري المقرئ النحوي، شيخ القراء بالبصرة، توفي سنة أربع وخمسين ومائة. معرفة القراء ١/ ٢٢٣ وغاية النهاية ١/ ٢٨٨.

(٣)هو عبد الله بن عامر بن يزيد أبو عمران اليحصبي الدمشقي، إمام الشاميين في القراءة، توفي سنة ثماني عشرة ومائة. معرفة القراء ١/ ١٨٦ وغاية النهاية ١/ ٤٢٣.

(٤)بضم الحاء وفتح الدال وياء ساكنة وباء موحدة مكسورة وياء اختلفو فيها، فمنهم من شددها، ومنهم من خففها، قرية متوسطة ليست بالكبيرة، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تحتها، وبين الحديبية ومكة مرحلة، ويقال لها اليوم: الشميسي. معجم البلدان ٢/ ٢٢٩ وصحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار ٢/ ١٣٩ وانظر هدنة الحديبية في صحيح البخاري ٤/ ١٥٢٤ وصحيح مسلم ٣/ ١٤١٠.

(٥)قال أبو شامة في إبراز المعاني من حرز الأماني ١/ ٢٢٧ في شرح بيت:

وبسمل بين السورتين بسنة رجال نموها درية وتحملا

لمبسملون من القراء هم الذين رمز لهم في هذا البيت من قوله: بسنة، رجال، نموها، درية [وهم قالون والكسائي، وعاصم، وابن كثير] وعلم من ذلك أن الباقين لا يبسملون، لأن هذا من قبيل الإثبات والحذف.

(٦)رواه مسلم ١/ ٣٠٠ ح ٥٤ وأبو داود ١/ ٥٠٧ ح ٧٨٠ والنسائي ٢/ ١٣٤ ح٩٠٤ من حديث أنس.

(٧)رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٤/ ٢٩٥ وعنه عبد بن حميد في مسنده (المنتخب ٣/ ٦٢) وأبو يعلى في مسنده ٣٤٩/٣ من طريق علي بن مسهر، عن الأجلح، عن الذيال بن حرملة، عن جابر بن عبد الله قال. فذكره. ورواه أبو نعيم في دلائل النبوة ١/ ٢٩٩ من طريق منجاب بن الحارث، عن علي بن مسهر، ورواه البيهقي في دلائل النبوة ٢/ ٢٠٢ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٨/ ٢٤٢ من طريق يحيى بن معين، عن محمد بن فضيل، عن الأجلح، ورواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٢٥٣ من طريق جعفر بن العون، عن الأجلح. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦/ ١٧ فيه الأجلح الكندي، وثقه ابن معين وغيره، وضعفه النسائي وغيره، وبقية رجاله ثقات. وقال الحافظ ابن حجر: صدوق شيعي. التقريب ١٢٠ قلت: الحديث حسن إذن.

(٨)هي: خولة بنت ثعلبة، ويقال: خويلة، وخولة أكثر، وقيل: خولة بنت حكيم، وقيل: خولة بنت مالك بن ثعلبة، وقيل: جميلة، وقيل: بل هي خولة بنت دليج، ولا يثبت شيء من ذلك، والله أعلم، والذي قدمنا أثبت وأصح إن شاء الله. الاستيعاب ٤/ ١٨٣٠ والإصابة ٧/ ٦١٨.

(٩)هو أوس بن الصامت بن قيس الأنصاري، أخو عبادة بن الصامت، شهد بدرا وأحدا وسائر المشاهد مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وهو الذي ظاهر من امرأته فوطئها قبل أن يكفر، مات في أيام عثمان، وله خمس وثمانون سنة. الاستيعاب ١/ ١١٨ والإصابة ١/ ١٥٦. وقصة ظهاره من امرأته رواها أحمد ٤٥/ ٣٠٠ وأبو داود ٣/ ٨٣ ح ٢٢٠٩ وابن حبان (الإحسان ١٠/ ١٠٧) والطبري في تفسير الطبري ٢٨/ ٥ من طريق يوسف بن عبد الله بن سلام، عن خولة. وليس فيها

المشركين[1]، ولإيلاف قريش -أخرج البيهقي حديثهما في " الخلافيات "[2] - ولما قرأ سورة الحجر أخرجه ابن أبي هاشم[3] بسنده[4].

البسملة، ورواها ابن أبي حاتم -وفيها البسملة- في تفسير القرآن العظيم (تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨/ ٣٨) والبيهقي في السنن الكبرى ٧/ ٣٨٥ عن داود بن أبي هند، عن أبي العالية مرسلاً. وزاد السيوطي في الدر المنثور ٧/ ٧٧ نسبته إلى عبد بن حميد -ولم أرها في المسند المنتخب- وابن مردويه.

(١)رواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد ١/ ٤٠٤ ومن طريقه البيهقي في الخلافيات ل٤٤ وأبو القاسم الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة ١/ ٢٩١ من طريق محمد بن يحيى، عن سريج بن النعمان، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن عروة بن الزبير، عن نيار بن مكرم مرفوعاً. وفيه البسملة.

ورواه البخاري في كتاب التاريخ الكبير ٨/ ١٣٩ من طريق إسماعيل بن أبي أويس، وأبو الحسن بن قانع في معجم الصحابة ٣/ ١٧٢ والطحاوي في شرح مشكل الآثار ٧/ ٤٤٢ من طريق محمد بن سليمان لوين، والطبراني في المعجم الأوسط ٧/ ٢٠٠ من طريق ابن جريج، وعبد الله بن أحمد في كتاب السنة ١/ ١٤٣ ومن طريقه البيهقي في كتاب الأسماء والصفات ١/ ٥٨٥ وفي الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ١٠/ ١٠٨ من طريق أبي معمر الهذلي، عن سريج بن النعمان، وأبو نعيم في معرفة الصحابة ٥/ ٢٧٠٤ من طريق محمد بن العباس المؤدب، عن سريج بن النعمان كلهم عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه به، وليس في هذه الطرق البسملة، وهي المحفوظة.

(٢)رواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٥٣٦ وعنه البيهقي في الخلافيات ل٤٤ من طريق يعقوب بن محمد الزهري والبسملة في روايته والبخاري في التاريخ الكبير ١/ ٣٢١ والطبراني في المعجم الكبير ٢٤/ ٤٠٩ وابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال ١/ ٢٦٠ من طريق أبي مصعب الزهري، كلاهما (يعقوب بن محمد، وأبو مصعب الزهري) عن إبراهيم بن محمد، عن عثمان بن عبد الله بن أبي عتيق، عن سعيد بن عمرو بن جعدة، عن أبيه، عن جدته أم هانئ قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. قال الذهبي: يعقوب ضعيف، وإبراهيم صاحب مناكير، هذا أنكرها. تلخيص المستدرك.

وخالفه سليمان بن بلال فروى البخاري في التاريخ الكبير من طريق سليمان بن بلال، عن عثمان بن عبد الله بن أبي عتيق، عن ابن جعدة المخزومي، عن ابن شهاب عن النبي - صلى الله عليه وسلم - نحوه. قال أبو عبد الله: هذا بإرساله أشبه.

قال الحافظ العراقي في محجة القرب إلى محبة العرب ٢٣٣: هذا حديث حسن، ورجاله كلهم ثقات معروفون إلا عمرو بن جعدة بن هبيرة فلم أجد فيه تعديلاً ولا جرحاً، وهو ابن ابن أخت علي بن أبي طالب، وهو أخو يحيى بن جعدة بن هبيرة أحد الثقات.

وهنا وقفات:

الأولى: إن رواية البسملة في الحديث ضعيفة، تفرد بها يعقوب بن محمد الزهري، قال الحافظ ابن حجر عنه: صدوق كثير الوهم والرواية عن الضعفاء. التقريب ١٠٩٠.

الثانية: إن إبراهيم بن محمد اختلف فيه، فقال عنه ابن عدي في الكامل: مدني، روى عنه عمرو بن أبي سلمة وغيره مناكير، وقال أيضاً: وأحاديثه صالحة محتملة، ولعله أتي ممن قد روى عنه. وقال عنه الذهبي: ذو مناكير. الميزان ١/ ٥٦ وسبق قوله فيه في تلخيص المستدرك. ثم إنه خالف سليمان بن بلال الثقة، فروايته حينئذٍ منكرة، ورواية سليمان معروفة، ولهذا رجح البخاري رواية سليمان فقال: هذا بإرساله أشبه.

الثالثة: قول الحافظ العراقي: هذا حديث حسن ورجاله كلهم ثقات معروفون. فيه نظر يعرف مما سبق، لكن يشهد لمرسل ابن شهاب هذا حديث الزبير الذي رواه الطبراني في المعجم الأوسط ٩/ ٧٦ من طريق عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن الزبير نحوه. قال الحافظ العراقي فيه: هذا حديث يصلح أن يخرج للاعتبار والاستشهاد، فإن عبد الله بن مصعب بن ثابت ذكره ابن حبان في الثقات، وضعفه ابن معين.

قلت: وخلاصة القول أن رواية البسملة في حديث أم هانئ ضعيفة، وباقي الحديث حسن لغيره.(نواهد الأبكار وشوارد الأفكار: ٥٦/١).

(٣)هو عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبي هاشم أبو طاهر البغدادي المقرئ، انتهى إليه الحذق بأداء القرآن، قرأ بالروايات على ابن مجاهد، له كتاب البيان، وكتاب الفصل بين أبي عمرو والكسائي، ورسالة في الجهر بالبسملة، توفي سنة تسع وأربعين وثلاثمائة. معرفة القراء الكبار ٢/ ٦٠٣ وغاية النهاية ١/ ٤٧٥ وإيضاح المكنون ٥/ ٥٦٢.

(٤)رواه الطبري في تفسير الطبري ١٤/ ٢ من طريق علي بن سعيد بن مسروق الكندي، وأبو بكر ابن أبي عاصم في السنة ١/ ٥٨٢ والطبراني في المعجم الكبير (تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٥٢٥) والحاكم في المستدرك ٢/ ٢٤٢ وعنه البيهقي في كتاب البعث والنشور القسم الثاني ١/ ٢٠٧ من طريق أبي الشعثاء علي بن الحسن كلاهما عن خالد بن نافع

الثاني: أن تلك الآيات تثنى في كل ركعة أي تضم إليها السورة في كل ركعة. اختاره ابن عاشور قائلا : "ووجه الوصف به أن تلك الآيات تثنى في كل ركعة كذا في الكشاف[١] قيل وهو مأثور عن عمر بن الخطاب[٢]، وهو مستقيم لأن معناه أنها تضم إليها السورة في كل ركعة" [٣][٤].

الثالث:وإمَّا لأنَّها تَثنَّى نزولها، فمَرَّة بمكَّة حين فُرضَت الصَّلاة وأخرى بالمدينة حين حُوِّلت القِبلة[٥]، قال ابن عاشور: " وَهَذَا قَوْلٌ بَعِيدٌ جِدًّا وَتَكَرُّرُ النُّزُولِ لَا يُعْتَبَرُ قَائِلُهُ، وَقَدِ اتُّفِقَ عَلَى أَنَّهَا مَكِّيَّةٌ فَأَيُّ مَعْنًى لِإِعَادَةِ نُزُولِهَا بِالْمَدِينَةِ"[٦].

الرابع:وإمَّا لاشتمال كلٍّ مِن آياتها السَّبع على الثناء عليه جلَّ شأنُه؛ إمّا تصريحاً أو تلويحاً، وهو مبنيٌّ على ما هو الصَّحيح مِن عَدِّ التَّسمية آية منها، وعَدِّ {صراط الذين أنعمت عليهم} بعضاً من السَّابعة، وإلَّا فتَضمُّنها الثناء غير ظاهر .

الخامس:وإمّا لتكرُّر ما تضمَّنته من المقاصد: فالثَّناء عليه سبحانه قد تَكَرَّر في جُملتَي البسملة والحمدِ لَه. وتخصيصُه عزَّ وعلا بالإقبال عليه وحده والإعراض عمَّا سواه قد تكرَّر في جملتَي العبادة والإستعانة. وطلبُ الهداية إلى الصِّراط المُستقيم مُكرَّر بـ{صراط الذين أنعمت عليهم}، كما أنَّ سؤال البُعد عن الطَّريق غير القويم مُكرَّر بذِكر {المغضوب عليهم ولا الضالين}[٧].

فهذه وجوه خمسة في تسميتها بالسَّبع المثاني.

والمثاني تحتمل واحدا من ستة معان:

أحدها: المثاني من الثناء، والثناء لا يكون إلا على الله.

الأشعري، عن سعيد بن أبي بردة، عن أبيه، عن أبي موسى مرفوعاً، وليس فيه البسملة قال الحافظ ابن كثير: ورواه ابن أبي حاتم من حديث خالد بن نافع به، وزاد فيه: بسم الله الرحمن الرحيم.

قال الهيثمي: وفيه خالد بن نافع الأشعري، قال أبو داود: متروك. مجمع الزوائد ٧/ ١٣١, قال الذهبي: وهذا تجاوز في الحد، فإن الرجل قد حدث عنه أحمد بن حنبل، ومسدد، فلا يستحق الترك، ميزان الاعتدال ١/ ٦٤٤.

(١) يقول الامام الزمخشري: " وسورة الحمد والمثاني لأنها تثنى في كل ركعة"(عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، العلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى (٤٦٧ ـ ٥٣٨ هـ)، : دار الكتاب العربي ـ بيروت، ١٤٠٧م:ص١/١).

(٢) قال السيوطي في حاشيته على تفسير البيضاوي:" أخرجه ابن جرير في تفسيره بسند حسن عنه قال: " السبع المثاني الكتاب تثنى في كل ركعة"، ولم أر هذا اللفظ في تفسير الطبري عن عمر، ولكن رأيت فيه: ما لهم رغبة عن فاتحة الكتاب، وما يبتغي بعد المثاني: ١٤/ ٥٤.(انظر: نواهد الأبكار وشوارد الأفكار = حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، جامعة أم القرى - كلية الدعوة وأصول الدين،المملكة العربية السعودية (٣ رسائل دكتوراة)، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٥ م:ص٤٩/١.

(٣)تفسير التحرير والتنوير، الشيخ محمد بن الطاهر ابن عاشو، دار التنوسية للنشر، التونس، ١٩٨٤:ص١٣٥/١.

(٤) وقيل أن في كلام صاحب (الكشّاف): "لأنّها تُثنَّى في كلِّ ركعة"، وهو بظاهره غير صحيح، ووجوه التَّكلُّف لتوجيهه مشهورة، أجودُها حمل الرَّكعة على الصّلاة تسمية لِلكلّ باسم الجزء، ولا يردُ عليه الوتْر إذ ليست في مذهبه، ولا صلاة الجنازة، وإنْ جُعِلت صلاة حقيقة لعدم إطلاقه الرَّكعة عليها .

(٥)قال السيوطي في الإتقان: الأكثرون على أنها مكية ... واستدل لذلك بقوله تعالى "ولقد آتيناك سبعا من المثاني" وفسرها - صلى الله عليه وسلم - بالفاتحة كما في الصحيح، وسورة الحجر مكية بالإتقان، وقد امتن على رسوله فيها بها، فتدل على تقدم نزول الفاتحة عليها، إذ يبعد أن يمتن عليه بما لم ينزل بعد.

وانظر في: صحيح البخاري ٤/ ١٥٢٥ ح٣٩١٩ وتفسير الطبري ٢٦/ ٦٩ والمحرر الوجيز ١٣/ ٤٢٧ وزاد المسير ٧/ ٤١٨ والتفسير الكبير ١/ ١٧٧ وتفسير القرآن العظيم ٧/ ٣٢٥ والإتقان في علوم القرآن ١/ ٣٤.

(٦) تفسير التحرير والتنوير، الشيخ محمد بن الطاهر ابن عاشو، دار التنوسية للنشر، التونس، ١٩٨٤:ص١٣٥/١.

(٧) انظر: الاتقان في علوم القرآن: ١٥٠/١.

والثاني: المثاني من الثنيّ والإنثناء، وهذه لا تكون إلا في أطراف الأشياء، وأيضا تعني المعاني الخفية أو المتخفية في الإنثناءات، أو المعاني الباطنة، أو المعاني غير الظاهرة للعيان آنيا، أو هي تلك التي لم يأن آوان ظهورها بعد، والتي سوف تظهر تباعا في القادم من الأزمنة.
والثالث: المثاني من الإزدواجية، أي ثنائية التكوين.
والرابع: المثاني من التثنية، أي العد مثنى مثنى، أو إثنتين إثنتين.
والخامس: وهو امتداد أو هو تفصيل للمعنى الثاني (من الإنثناء)، وحيث تكون المثاني من ظهور معنى ثان لها، وهذا المعنى بدوره يظهر له معنى جديد وهكذا ، إلى سبعة أعماق، أو سبعة أبعاد، أو سبعة معاني وكلها صحيح، مما يشير إلى معني المتشابه من الآيات.
والسادس: وهو معنى لا يخص المثاني بذاتها، لكنه يخص العددية الدالة عليها (سبعة)، مما يعني أن مجرد ظهور خاصية معينة متميزة في آيات وسور كتاب الله، في سبعة أشكال أو سبعة تكرارات، أو سبعة سور، أو سبعة آيات، أو سبعة خصال، يصون لها إحتمال كونها من السبع المثاني.
وقيل "أنَّ المثاني تُطلقُ باعتبار معنيين:
أحدهما: باعتبار ما ثُنِّي لفظُه وكرِّرَ.
والثاني: باعتبار ما ثُنِّيَتْ أنواعُه وأقسامُه، وكرِّرَتْ، فإنَّ التثنية يُرَادُ بها مطلقُ العدد مِنْ غير تخصيصٍ بعدد الاثنين، كما في قوله تعالى: {ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ}[الملك:٤]، أي: مرَّةً بعد مرَّةٍ"[(١)].
والقرآن نوعان:
أحدُهما: ما كُرِّر لفظُه لفائدةٍ مجدَّدةٍ، فهذا هو المتشابه.
والثاني: ما نُوِّع وقُسِم ولم يُكرِّر لفظُه، فهذا المثاني، وقد جَمَعَ اللهُ بين هذين الوصفين في قوله تعالى: {نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ}[الزمر:٢٣]، فوصف الكتاب كلَّه بأنَّه متشابهٌ ومثاني، فإمَّا أن يكون تنويعًا إلى هذين النوعين، وهما: النظائر المتماثلة، والمثاني في الأنواع، وإمَّا أن يكون المراد أنَّ آياته المتماثلة ثُنِّيَتْ فيه في مواضع لحِكَمٍ وفوائد متجدّدةٍ، وسورةُ الفاتحة على المثاني بهذين التفسيرين، لأنَّها تضمنت الأنواع والأقسام المعدّدة وذكر العبادة والاستعانة، وذكر المغضوب عليهم والضالين، وتضمنت ذكر النظائر المتماثلة، وثُنِّيت فيها كتكرير {إِيَّاكَ}، و{الصِّرَاطَ}، و{عَلَيْهِمْ}، وتكرير: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} على قول من يقول إنَّ البسملة منها، فإن قيل: قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي} [الحجر:٨٧] يدلُّ على أنَّها من جملة المثاني لا كلها، وفي الحديث: أنَّ النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- قال في الفاتحة: "هي السبع المثاني"[(٢)].
فالجواب: أنَّ القرآنَ كلَّه أربعةُ أقسامٍ: السبع الطُوَل، والمئون، والمثاني، والمفصّل، كما في "المسند" وغيره عن واثلة بن الأسقع أنَّ النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- قال: "أُعطيتُ مكان التوراةِ السَّبعَ الطُوَلَ، وأُعطيتُ مكان الزَّبورِ المئين، وأُعطيتُ مكان الإنجيلِ المثانيَ، وفُضِّلتُ بالمفصّلِ"[(٣)]، وقد رُوي نحو ذلك عن ابن عبَّاسٍ وغيره[(٤)].
والسَّبع الطُوَلُ هي: البقرة، وآل عمران، والنِّساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس، كذا قال ابنُ عبَّاسٍ وسعيدُ بنُ جبيرٍ، وقيل: إنَّ السابعة: الأنفال وبراءة.
والمئون: ما كان بعد ذلك من السُّور يبلغُ عددُه مائة، مائة، أو يزيدُ عليها قليلاً أو ينقصُ قليلاً.

---

(١) تفسير الفاتحة، ابن رجب: ١٨.
(٢) عن أبي سعيد بن المعلى ... "الحمد لله رب العالمين هي السبع المثانى والقرآن العظيم الذي أوتيته" رواه البخاري ٤/ ١٦٢٣ ح٤٢٠٤ وأبو داود ٢/ ٢٧٠ ح١٤٥٢ والنسائي ٢/ ١٣٩ ح٩١٣ وابن ماجة ٣/ ٥٨٧ ح٣٨٥٣.
(٣) المسند: (١٠٧/٤).
(٤) تفسير سورة الفاتحة، ابن رجب: ١٩.

والمثاني: ما سوى ذلك، وسوى المفصل، وسُمِّي مثاني قيل: لأنَّه يتلوُ المئين، فكأنَّ المئين أوائل وهذه ثواني، وقيل: لأنَّه تُثنَّى فيه القَصَصُ والأمثالُ والفرائضُ والحدودُ، ونُقل عن ابنِ عبَّاسٍ وسعيدِ بنِ جبيرٍ.

فالفاتحة من قِسْمِ المثاني، لأنَّها ليست من السَّبْع الطِّوالِ، وليست من المئين، ولا من المفصَّل، فتعيَّن أنَّها من المثاني، وإنَّما سمَّاها النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- السبع المثاني لاختصاصها من بين بقيَّة سُور المثاني بمعاني أخر تقتضي أنَّها أحَقّ بهذا الاسم من غيرها من السُّور كتثنيتِها في الصلاة وغير ذلك، فصارت نوعًا مستقلاً بنفسِه فلذلك سُمِّيت: "السبع المثاني"، مع أنَّ في لفظ التِّرمذيِّ أنَّ النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- قال: "إنَّها سبعٌ من المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيتُه"[1].

٥- القرآنُ العظيم:

وذلك لقولُ النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- في الفاتحة: "هي السَّبعُ المثاني والقرآن العظيم الذي أُوتيتُه"[2]، ففسَّر السَّبعَ المثاني والقرآن العظيم بالفاتحة، فيكونُ هذا العطفُ حينئذٍ من بابِ: عطفِ الصِّفاتِ على الصِّفاتِ، لا من: عطفِ الموصوفاتِ على الموصوفاتِ، ونظيرُه قولُه سبحانه وتعالى: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى * وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى}[الأعلى:١-٤]، وكذلك قراءةُ عائشة وغيرِها من الصحابةِ: (حافظوا على الصَّلوات والصَّلاةِ الوُسطى وصلاةِ العصرِ)، ومن المفسِّرين من قال: إنَّ القرآن العظيم المرادُ به بقيةُ القرآن، فجعله من باب ذكر الخاص قبل العاموهو قليلٌ، والمعروف عكسُه، وهو ذكر الخاصِّ بعد العامِّ.

٦- الصَّلاة:

فقد ثبت في حديث أبي هريرة عن النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- قال: "قال الله تعالى: قُسمت الصَّلاةُ بيني وبين عبدي نصفين، فنصفُها لي، ونصفُها لعبدي، ولعبدي ما سأل" خرَّجه مسلمٌ[3].

وإنَّما سُمِّيت "صلاةً" لأنَّ الصلاةَ لا تخلوُ عنها، ولا تصحُّ إلاَّ بها، فسُمِّيت "صلاةً"، كما تسمَّى الصلاةُ "قرآناً"، كما في قوله تعالى: {وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا}[الإسراء:٧٨].

وقد سمَّاها بهذا الاسم جماعةٌ من الأئمةِ.

قال أبو شَامَةَ في أثناء كلامٍ له: "هذا إذا سلَّمنا توجُّه التنصيف إلى آيات الفاتحة، وذلك ممنوعٌ من أصلِه، وإنَّما التنصيف متوجِّهٌ إلى الصلاة بنصِّ الحديث، فإن قيل: المرادُ قراءة الصلاةِ، قلنا: بل المراد قسمةُ ذِكْرَ الصلاةِ، أي: الذِّكْرُ المشروع فيها وهو ثناءٌ ودعاءٌ، فالثناءُ: منصرفٌ إلى الله تعالى، سواء ما وقع منه في القراءةِ، وما وقع منه في الركوعِ والسجودِ، وغيرِهما، والدعاءُ منصرفٌ إلى العبدِ، سواء ما وقع منه في القراءة والسجود وغيرهما.

وأقرّه عليه النوويُّ مع تسميته الفاتحة بـ (الصلاة)"[4].

السابع:- رقية الحقِّ:

وقد ثبت عن النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- أنَّه قال للذي رَقَى بالفاتحة: "وما يدريك أنَّها رقية"، وثبت أنَّه قال: "لقد أكلتَ برقيةِ حقٍّ"[5].

---

(١) الجامع: (٢٨٧٥).

(٢) صحيح البخاري: (٤٤٧٤).

(٣) صحيح مسلم: (٣٩٥).

(٤) "المجموع"، وقد نقل كلام أبي شامة (٣٣٩/٣)، وانظر تسميته الفاتحة بـ "الصلاة" فيه (٣٣١/٣)، وفي "شرح مسلم" (١٠٣/٤).

(٥)أخرجه أبو داود (٣٨٩٧،٣٨٩٦،٣٤٢٠)، والنسائي في"عمل اليوم والليلة (١٠٣٢)، وعنه ابن السني(رقم:٦٢٤)، والطحاوي في" شرح المعاني"(٢٦٩/٢)، والحاكم (٥٥٩/١-٥٦٠)، والطيالسي(١٣٦٢)، وأحمد(٢١٠/٥-٢١١)، من طريق الشعبي نْ خَارِجَة بْنِ الصَّلْتِ عَنْ عَمِّهِ أَنَّهُ مَرَّ بِقَوْمٍ فَأَتَوْهُ فَقَالُوا: إِنَّكَ جِئْتَ مِنْ عِنْدِ هَذَا الرَّجُلِ بِخَيْرٍ فَارْقِ لَنَا هَذَا الرَّجُلَ فَأَتَوْهُ

٨- سورة الحمد:

وقد اشتهر تسميتُها بذلك، وحَمَلَ كثيرٌ من النَّاس حديثَ: (كان يفتتحُ الصَّلاة بـ {الحمد لله رب العالمين} على أنَّه أُريد ذكر اسم السُّورة.

فإن قيل: ففي القرآن سُورٌ كثيرةٌ أوَّلُها: {الحمد لله}، فما وجهُ تسمية الفاتحة بـ "سورة الحمد" دون غيرها ؟

فالجواب: أنَّ الثناء على الله سبحانه في هذه السُّورة هو المقصودُ الأعظم من سائر معانيها، وقد استوعب نحو شطرها، فهو الغالب عليها، فسمِّيت بما غَلَبَ عليها، بخلافِ غيرها.

- **ثانيا:- أسماؤها الاجتهادية:**

١- الشفاء:

ذكره غيرُ واحدٍ، وذكروا من حديث ابنِ سيرين عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ أنَّ رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "فاتحةُ الكتابِ شفاءٌ من كلِّ داءٍ"[١]، وفي رواية: "من كل شيءٍ إلا السَّامَ"[٢]، وهو الموت، وقيل: إن الدارمي خرَّجه[٣]، وروي مرسلا عن عبد الملك بن عمير أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "في فاتحة الكتاب: شفاء من كل داء"[٤]، وأخرج سعيد بن منصور والبيهقي وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري: "فاتحة الكتاب شفاء من السم"[٥].

وتُسمَّى **"الشافية"** أيضًا.

قال الرَّازيُّ: "وأقول: الأمراضُ منها ما هو روحانيَّة، ومنها ما هو جسمانيَّة، بدليل تسميتِه تعالى الكفرَ مرضًا، في قولِه تعالى: {فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} [البقرة:١٠]،وهذه السورة مشتملة على معرفةِ الأصول والفروع والمكاشفات، فهي في الحقيقة شفاءٌ، بل الشفاءُ[٦] في هذه المقامات الثلاثة"[٧].

وقال ابن القيم: "فقد أثر هنا الدواء في هذا الداء وأزاله، حتى كأنه لم يكن، وهو أسهل دواء وأيسَره، ولو أحسن العبد التداوي بالفاتحة لرأى لها تأثيراً عجيباً في الشفا، ومكثت بمكة مدة تعتريني أدواء، ولا أجد طبيباً ولا دواء، فكنت أعالج نفسي بالفاتحة، فأرى لها تأثيراً عجيباً، فكنت أصف ذلك لمن يشتكي ألماً، فكان كثير منهم يبرأ سريعاً" [٨].

ولكن هاهنا أمر ينبغي التفطن له، وهو أن الأذكار والآيات أو الأدعية التي يُستشفى بها، ويُرقى بها هي نفسها نافعة شافعة ، ولكن تستدعي قبول المحل، وقوة همة الفاعل، وتأثيرَه، فمتى تخلف الشفاء كان

بِرَجُلٍ مَعْتُوهٍ فِي الْقُيُودِ فَرَقَاهُ بِأُمِّ الْقُرْآنِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ غُدْوَةً وَعَشِيَّةً وَكُلَّمَا خَتَمَهَا جَمَعَ بُزَاقَهُ ثُمَّ تَفَلَ فَكَأَنَّمَا أُنْشِطَ مِنْ عِقَالٍ فَأَعْطَوْهُ شَيْئًا فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَهُ لَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلْ فَلَعَمْرِي لَمَنْ أَكَلَ بِرُقْيَةٍ بَاطِلٍ لَقَدْ أَكَلْتَ بِرُقْيَةٍ حَقٍّ" وقال الحاكم : " صحيح الإسناد ،و وافقه الذهبي. قال الألباني : و هو كما قالا إن شاء الله ، فإن رجاله ثقات رجال الشيخين غير خارجة بن الصلت ، فروى عنه مع الشعبي عبد الأعلى بن الحكم الكلبي ، و ذكره ابن حبان في" الثقات " ، لكن قال ابن أبي خيثمة : " إذا روى الشعبي عن رجل و سماه فهو ثقة ، يحتج بحديثه " . ذكره الحافظ في " التهذيب " و أقره ، و كأنه لذلك قال الذهبي في " الكاشف " : " ثقة. " (قاله الألباني في: " السلسلة الصحيحة " ٥ / ٤٤).

(١) حديث ضعيف: ضعيف الجامع الصغير: ٣٩٤٩.

(٢) أخرجه الخلعي في فوائده، من حديث جابر بن عبدالله:(*تهذيب وترتيب الإتقان* في *علوم القرآن* للسيوطي، محمد بن عمر بن سالم بازمول، دار الهجرة للنشر والتوزيع، ٤٠).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (٨٠/١).

(٤) سنن الدارمي من كتاب فضائل القرآن، باب فضل فاتحة الكتاب، رقم الحديث(٣٢٤٧): (٤٤٥/٢).أخرجه البيهقي في "الشعب"(٢٣٧٠)، وحكم الألباني بضعفه في ضعيف الجامع الصغير: ٨٨/٤.

(٥) حديث موضوع(ضعيف الجامع الصغير:٨٨/٤).

(٦) في التفسير الكبير:: (فهي في الحقيقة سبب لحصول الشفاء)

(٧) التفسير الكبير: (١٤٧/١).

(٨)الجواب الكافي: ٣

لضعف تأثير الفاعل، أو لعدم قبول المنفعل، أو لمانع قوي فيه يمنع أن ينجح فيه الدواء، كما يكون ذلك في الأدوية والأدواء الحسية، فإن عدم تأثيرها قد يكون لعدم قبول الطبيعة (أي طبيعة البدن) لذلك الدواء، وقد يكون لمانع قوي يمنع من اقتضائه أثره، فإن الطبيعة (أي الأجسام) إذا أخذت الدواء لقبول تام كان انتفاع البدن به بحسب ذلك القبول، فكذلك القلب إذا أخذ الرقى والتعاويذ بقبول تام، وكان للراقي نفسٌ فعالة، وهمة مؤثرة في إزالة الداء .

٢- الوافية:

حُكِي عن سفيان بن عُيينَة، لأنَّها لا تقبلُ الحذف، فلا بدَّ من الإتيان بها وافيةً تامَّةً، وقال الزَّمخشريُّ: إنَّما سُمِّيت وافيةً لاشتمالِها على المعاني التي في القرآن من الثناء على الله عزَّ وجلَّ بما هو أهلُه، ومن التعبُّد بالأمرِ والنَّهي، ومن الوعد والوعيد[١].

٣- الأساس:

رُوِي عن الشَّعبيِّ أنَّه سمَّاها: الأساس، وأنَّه قال: "سمعتُ ابنَ عبَّاسٍ يقول: أساسُ الكُتُبِ القرآن، وأساسُ القرآن الفاتحة، وأساسُ الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم"[٢].

قال الرَّازيُّ: وسُمِّيت أساسًا لوجهين: أحدُهما: أنَّها أوّلُ سورةٍ من القرآن، فهي كالأساس، والثاني:[أن أشرف العبادات بعد الإيمان هو الصلاة[٣]، وهذه السورة مشتملة على[٤] ما لا بد منه في الإيمان، والصلاة لا تتم إلا بها[٥].

٤- الكنز

واستدل بذلك بما رواه أنس بن مالك-رضي الله عنه- عن النبي-صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله أعطاني فيما منّ به عليّ، أني أعطيتك فاتحة الكتاب، وهي من كنوز عرشي، ثم قسمتها بيني وبين عبدي نصفين"[٦].

وأخرج الواحدي في أسباب النزول عن علي قال: "نزلت فاتحة الكتاب بمكة عن كنز تحت العرش"[٧]، وعنه -رضي الله عنه- أنه سئل عن فاتحة الكتاب، فقال: "حدثنا نبي الله-صلى الله عليه وسلم- أنها أنزلت من كنز تحت العرش"[٨].

وقد ذكرت هذا التسمية في بعض كتب التفاسير وعلوم القرآن[٩].

---

(١) الكشاف: (٤٥/١).

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١١٣/١، والدر المنثور: ٣/١، ونسبه للثعلبي، قال ابن كير: إن في كتب الثعلبي من الغرائب الشيء الكثير". [البداية والنهاية:٤٠/١٢].

(٣) ما بين المعكوفتين بياض بالأصل، واستدرك من التفسير الكبير:، وقد ذكر الرازي وجها ثالثا أيضا، ولكنه ذكره بعد الوجه الأول، فقال: (الثاني: أنها مشتملة على أشرف المطالب) ثم ذكر هذا الوجه، والله أعلم.

وجاء في هامش الأصل: (الثالث عشر: الكافية، سمّاها به لأنها تكفي عن غيرها، فإن أم القرآن عوض من غيرها، وليس غيرها منها عوضا) ا.هـ ولا أدري هل هذا الهامش من إلحاقات المصنف، أم أنه من الناسخ ؟

(٤) في التفسير الكبير:: (على كل).

(٥) التفسير الكبير: (١٤٧/١).

(٦) أخرجه البيهقي في الشعب، باب تعظيم القرآن، فصل(في فضائل السور والآيات) حديث رقم(٢٣٦٣):٦٤٨/٢)، وابن الضريس في فضائله، باب(في فضائل فاتحة الكتاب)، حديث رقم(١٤٣): ص٧٩، وانظر: كنز العمال حديث رقم(٢٥٢١): ص٥٦٠/١.

(٧) أخرجه الثعلبي في تفسيره، مخطوطة-الكشف والبيان-:٣٥/١، والواحدي في أسباب النزول: ١٩.

(٨) أورده السيوطي في الدر: ١٦/١، وعزاه إلى إسحاق بن راهويه في مسنده.

(٩) انظر في هذه التسميات في كتب التفاسير وعلوم القرآن كتفسير: الزمخشري: ٤/١ ، والنسفي:٣/١، وابن كثير:١٥/١، والبيضاوي:٥/١، والشوكاني:٢٣/١، والآلوسي:٣٨/١، وذكرها السيوطي في الإتقان:١٧٠/١، والبقاعي في نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:١٩/١، والزركشي في البرهان:٢٧٠/١.

وقيل سميت بذلك لاشتمالها على المعاني التي في القرآن، وهي بمثابة الجواهر المكنوزة فيه(١).

وهذه الأحاديث التي وردت في التسمية لم يصرح فيها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بتسميتها بالكنز، إنما ذكر أنها نزلت من كنوز العرش، فهي وصف للسورة وليست اسما لها(٢).

٥- الشكر

ذكر هذه التسمية بعض المفسرين كالرازي(٣)، وأبي مسعود(٤)، والألوسي(٥)، كما ذكرها السيوطي(٦)، والبقاعي(٧).

ووجه التسمية بذلك لاشتمالها على الشكر، قال الرازي: وذلك لأنها ثناء على الله بالفضل والكرم والإحسان"(٨).

وتجدر الإشارة بأن هذه التسمية مجرد أجتهاد من السادة المفسرين لما تضمنته االسورة من معاني الشكر والثناء لله، دون الإستناد في تسميتها إلى حديث أو أثر صحيح.

٦- الثناء:

قال بهذه التسمية الفيروزآبادي(٩)، ولك لاشتمال السورة على الثناء على الله تعالى في قوله تعالى:{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤)} [الفاتحة : ٢ - ٤]، دون أن يذكر مستنده في ذلك.

٧-المناجاة:

ذكر هذا الاسم كل من السيوطي(١٠)، والآلوسي(١١)، وعللا بأن العبد يناجي فيها ربه بقوله:{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥)} [الفاتحة : ٥]، وهذه التسمية من باب الإجتهاد ولم يثبت ذلك عن الرسول-صلى الله عليه وسلم- ولا صحابته الكرام-رضي الله تعالى عنهم-.

٨- التفويض:

ذكره كل من السيوطي(١٢) والألوسي(١٣)، فقالوا أنها سميت بذلك، لأنه يحصل بها التفويض(١٤) فهي مشتملة عليه في قوله تعالى:{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥)} [الفاتحة : ٥]، وها أيضا اجتهاد منها -رحمهما الله- دون استناد على دليل.

٩- الدعاء:

وردت هذه التسمية في بعض كتب التفسير: كتفسير الرازي(١)، والبيضاوي(٢)، وأبي مسعود(٣)، والألوسي(٤)، كما ذكرها البقاعي في نظمه(٥)، والسيوطي في الإتقان(٦)، وعللوا في وجه تسميتها : "

---

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن: ١٧٠/١، وتفسير الألوسي: ٣٨/١.
(٢) انظر: أسماء سور القرآن وفضائلها، د.منيرة محمد ناصر الدوسري، دار ابن الجوزي، رسائل جامعية(٤٧)، ط١، ١٤٢٦هـ:ص ١٤١.
(٣) انظر تفسيره: ٤٧/١.
(٤) انظر نفسيره: ٨١/١.
(٥) انظر تفسيره: ٣٨/١.
(٦) انظر الإتقان: ١٧٠/١.
(٧) انظر تفسيره: ١٩/١.
(٨) مفاتيح الغيب: ١٤٧/١.
(٩) انظر: بصائر ذوي التمييز، فيروزآبادي: ١٢٩/١.
(١٠) انظر: الإتقان في علوم القرآن: ١٧١/١.
(١١) تفسير الألوسي:٣٨/١.
(١٢)انظر: الإتقان في علوم القرآن: ١٧١/١
(١٣)تفسير الألوسي:٣٨/١.
(١٤) جاء في الصحاح: "فوض إليه الأمر، أي ردّه إليه".(مادة: "ف و ض": ١٠٩٩/٣).

لاشتمالها عليه في قوله تعالى:{اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦)} [الفاتحة : ٦]، وأخرج أبو عبيد عن مكحول: "أم القرآن قراءة ومسألة ودعاء"[٧].

قلت: لا شك بأن الدعاء من المعاني التي اشتملت عليها سورة الفاتحة، أما كون الدعاء اسما لها، فلم يثبت ذلك عن الرسول -صلى الله عليه وسلم-، بل مجرد اجتهاد واستنباط من السادة العلماء-رحمهم الله تعالى-.

١٠- النور

ذكرها كل من السيوطي[٨]، والألوسي[٩]، وعلل هذا الأخير سبب تسميتها بذلك، لظهورها بكثرة استعمالها أو لتنويرها القلوب لجلالة قدرها، أو لأنها لما اشتملت عليه من المعاني عبارة عن النور بمعنى القرآن.

وهذا اجتهاد، ولم اجد سندا صحيحا في تسميتها بالنور، إنما هو وصف للسورة كما في حديث ابن عباس: "قال فيه جبريل: أبشر بنورين أوتيتها لم يؤتها نبي قبلك: فتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة.."[١٠].

التاسعة عشر:- تعليم المسألة:

أوردت هذه التسمية، كل من: البيضاوي[١١]، وأبي مسعود[١٢]، والألوسي[١٣]، كما ذكرها السيوطي في الإتقان[١٤]، ونسب إلى المرسي قوله في وجه التسمية: "لأن فيها آداب السؤال، لأنها بدئت بالثناء قبله"[١٥].

وقد أخرج أبو عبيد عن مكحول قوله: "أم القرآن قراءة ومسألة ودعاء"[١٦].

قلت: وهذه التسمية أيضا من باب الاجتهاد، لأن تعليم المسألة هو من المعاني التي تضمنتها السورة، ولم يرد حديث عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- في ذلك.

١١- السؤال:

سماها بذلك كل من: الرازي[١٧]، والسيوطي[١٨]، والألوسي[١٩]، ووجه التسمية بلك لكونها اشتملت على الدعاء الذي هو السؤال لله تعالى.

---

(١) انظر تفسيره: ١٤٧/١.
(٢)انظر تفسيره: ٥/١.
(٣)انظر تفسيره: ٨/١.
(٤)انظر تفسيره: ٣٨/١.
(٥) انظر: الإتقان: ١٩/١.
(٦) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:١٧١/١.
(٧) باب(فضل فاتحة الكتاب): ١١٨.
(٨)انظر تفسيره: ١٧٠/١.
(٩)انظر تفسيره: ٣٨/١.
(١٠)أخرجه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها - باب: فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة (٨٠٦) (ج ١ / ص ٥٥٤).
(١١)انظر تفسيره: ٥/١
(١٢)انظر تفسيره: ٨/١.
(١٣)انظر تفسيره: ٣٨/١.
(١٤)انظر الإتقان: ٧٠/١.
(١٥) اسماء سور القرآن وفضائلها: ١٤٥.
(١٦) باب(فضل فاتحة الكتاب): ١١٨.
(١٧) انظر: تفسيره: ١٤٧/١.
(١٨) انظر: الإتقان: ١٧١/١.
(١٩) انظر: تفسيره: ٣٨/١.

قال الرازي: " روي أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حكي عن رب العزة-سبحانه وتعالى- أنه قال: "من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين"(١)، وقد فعل الخليل-عليه السلام- ذلك حيث قال:{الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ} [الشعراء : ٧٨]، إلى أن قال:{رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ} [الشعراء : ٨٣]، ففي هذه السورة أيضا وقعت البداءة بالثناء عليه سبحانه وتعالى، وهو قوله: {الحمد لله} إلى قوله:{مالك يوم الدين}، ثم ذكر العبودية وهو قوله:{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥)} [الفاتحة : ٥]، ثم وقع الختم على طلب الهداية وهو قوله تعالى:{اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦)} [الفاتحة : ٦]، وهذا يدل على أن أكمل المطالب هو الهداية في الدين.."(٢).

قلت وهذه التسمية أيضا من اجتهاد العلماء-رحمهم الله- وهو مشابه للاسم الذي قبله.

هذه كانت أسماء سورة الفاتحة التي ذكرها المفسرون التوفيقية والاجتهادية وأشهرها وأكثرها تداولا هي:(فاتحة الكتاب، والسبع المثاني، وأم الكتاب، وأم القرآن، وأشهر هذه الأسماء هي "الفاتحة")، أما باقي التسميات فهي من باب الاجتهاد لكون السورة تضمنت لمعانيها. والله تعالى أعلم.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

اختلف العلماء في مواضع نزول "سورة الفاتحة"، وفيه ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنَّها نزلت بمكَّة.

نُقل عن عليٍّ وابن عبَّاسٍ وأبي هريرة والأكثرين، حتى قال أبو ميسرة: "هي أوَّل سورة نزلت من القرآن بمكَّة، وأنَّها ابتدئت بـ {بسم الله الرحمن الرحيم}". أخرجه البيهقي(٣)، وهذا قول جمهور العلماء، ودليلهم(٤):

أولا: ما أخرجه أبو بكر بن الأنباري في المصاحف عن عبادة قال: "فاتحة الكتاب نزلت بمكة"(٥).

ثانيا: أخرج الواحدي في أسباب النزول عن عليّ، قال: "نزلت فاتحة الكتاب بمكة عن كنز تحت العرش"(٦)، وعنه -رضي الله عنه- أنه سئل عن فاتحة الكتاب، فقال: "حدثنا نبي الله-صلى الله عليه وسلم- أنها أنزلت من كنز تحت العرش"(٧).

الثالث: أخرج أبو نعيم في الدلائل عن رجل من بني سلمة قال: "لما أسلمت فتيان بني سلمة... فسأله فقرأ عليه: الحمد لله رب العالمين، وكان ذلك قبل الهجرة(٨)".

الرابع: وقالوا: لم تكن صلاة في الإسلام بدون فاتحة الكتاب، ومن المعلوم أن الصلاة شرعت في الأيام الأولى من البعثة، وفرضت الصلوات الخمس في ليلة الإسراء والمعراج، وكانت قبل الهجرة بثلاث سنوات.

قال جلال الدين: "ولم يحفظ صلاة بغير فاتحة الكتاب"(٩).

---

(١) حديث ضعيف، أخرجه البخاري في "التاريخ" (١/ ٢/ ١١٥) ، والبيهقي في "الشعب" (١/ ٣٣٧) من طريقين عن صفوان بن أبي الصهباء ، عن بكير بن عتيق عن سالم ابن عبد الله بن عمر عن أبيه عن جده .(الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، الألباني: (٤٩٨٩).

(٢) انظر: تفسيره: ١٤٧/١.

(٣) انظر: دلائل النبوة: (١٥٨/٢).

(٤) انظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني: ١٥/١.

(٥)فتح القدير:١٥/١.

(٦) أخرجه الثعلبي في تفسيره، مخطوطة-الكشف والبيان-:٣٥/١، والواحدي في أسباب النزول: ١٩، وانظر: الإتقان: ١٢/١.

(٧) أورده السيوطي في الدر: ١٦/١، وعزاه إلى إسحاق بن راهويه في مسنده.

(٨)فتح القدير:١٥/١.

(٩) الإتقان:١٢/١.

قال ابن كثير: "وهي مكية قاله ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما-، وقتادة، وأبو العالية، لقوله تعالى:{وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي} [الحجر:٨٧][١].

ووجه الاستدلال بهذه الآية على أن سورة الفاتحة مكية، هو أن هذه الآية من سورة الحجر، وسورة الحجر سورة مكية، فهي تتحدث عن الفاتحة، فهذا دليلٌ من القرآن على أن سورة الفاتحة نازلة بمكة، وهذا هو المعروف عند أهل العلم، ولا يلتفت إلى غيره.

واختلف في أول ما نزل من القرآن على أقوال:

أحدها: أن أول ما نزل: {بسم الله الرحمن الرحيم} منفردة.

قال الفخر الخطيب[٢]: "وهو قول الأكثرين من الذين قالوا: لم تنزل (المدثر) و(اقرأ) أولا"[٣]. ونقله في موضع آخر عن ابن عبَّاس[٤].

الثاني: ان أول ما نزل: {يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ} [المدثر: ١]، كما جاء في حديث جابر الصحيح[٥].

والثالث: وقيل: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}، وهذا هو الصحيح، فإنه لما أنزل عليه: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} رجع فتدثر، فنزل: {يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ}[٦].

واتفق العلماء أن أول ما نزل القرآن على وجه الإطلاق قطعاً الآيات الخمس الأولي من سورة العلق، وهي قوله تعالي : {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)} [العلق : ١ - ٥]، ثم فتر الوحي مدة ، ثم نزلت الآيات الخمس الأولى من سورة المدثر ، وهي قوله تعالى : {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ(٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ(٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ(٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ(٥)} [المدثر:١-٥]، ففي الصحيحين: عن عائشة رضي الله عنها في بدء الوحي قالت : "أول ما بُدِئ به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الوحي هو الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلوة، وكان يخلو في غار حراء، يتحنث [يتعبد] فيه الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجَهد، ثم أرسلني فقال اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، قال فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال:{ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ }[العلق ١-٣]، فرجع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يرجف فؤاده، فدخل على زوجته خديجة بنت خويلد ـ رضي الله عنها ـ، فقال: زملوني، زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة : لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَل، وتكسب المعدوم، وتَقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل ابن عمها، وكان امرأً تنصر بالجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله له أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة : يا ابن أخي ما ذا ترى؟ فأخبره رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما رأى، فقال له ورقة : هذا الناموس (جبريل عليه السلام) الذي نزّل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعا (شابا)، ليتني

(١) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.
(٢) هو الرازي، والمعروف أنه يلقب: (بابن الخطيب) أو (ابن خطيب الري).
(٣) مفاتيح الغيب: ١٤٧/١.
(٤) انظر: مفاتيح الغيب: ١٤٧/١.
(٥) صحيح البخاري: (٦٧٦/٨-٦٧٧- رقم:٤٩٢٢).
(٦) انظر: تفسير الخطيب الشربيني: ٤٢٥/٤.

أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال: أوَ مُخرجي هم؟، قال نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا، ثم لم ينشب (يلبث) ورقة أن توفي، وفتر الوحي [1].

وفيهما عن جابر رضي الله عنه ، أن النبي صلي الله عليه وسلم قال وهو يحدث عن فترة الوحي : "بَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي، فَإِذَا المَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَرُعِبْتُ مِنْهُ، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي " فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:{يَا أَيُّهَا المُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنْذِرْ} [المدثر: ٢] إِلَىقوله {وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ} [المدثر: ٥]. فَحَمِيَ الوَحْيُ وَتَتَابَعَ تَابَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، وَأَبُو صَالِحٍ، وَتَابَعَهُ هِلاَلُ بْنُ رَدَّادٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، وَقَالَ يُونُسُ، وَمَعْمَرٌ بَوَادِرُهُ"[1] ، وفيه ، فأنزل الله تعالى: [يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّر (١) قُمْ فَأَنْذِرْ(٢)} إلى {وَالرُّجْزَ فَاهْجُر}[المدثر:١-٥].

وثمت آيات يقال فيها : أول ما نزل، والمراد أول ما نزل باعتبار شيء معين ، فتكون أولية مقيدة مثل : حديث جابر رضي الله عنه في الصحيحين، إن أبا سلمة بن عبد الرحمن سأله: أي القرآن أنزل أول؟ قال جابر:{يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ}[المدثر:١}، قال أبو سلمة : أنبئت أنه {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}[العلق:١] فقال جابر : لا أخبرك إلا بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" جاورت في حراء فلما قضيت جواري هبطت ..." فذكر الحديث وفيه : "فأتيت خديجة فقلت : دثروني ، وصبوا علي ماء بارداً ، وأنزل علي : {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ}[المدثر:١] إلى قوله :{وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ}[المدثر:١-٥]"[2].

فهذه الأولية التي ذكرها جابر رضي الله عنه باعتبار أول ما نزل بعد فترة الوحي ، أو أول ما نزل في شأن الرسالة ؛ لأن ما نزل من سورة اقرأ ثبتت نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ، وما نزل من سورة المدثر ثبتت به الرسالة في قوله { قُمْ فَأَنْذِرْ} [المدثر:٢].

ولهذا قال أهل العلم : إن النبي صلى الله عليه وسلم نبئ بـ(اقْرَأْ) [العلق:١]، وأرسل بـ(الْمُدَّثِّرُ) [المدثر:١].

القول الثاني: أنها أنزلت بالمدينة.

قاله أبو هريرة ومجاهد وعطاء بن يسار والزهري[1]، روى منصور عن مجاهد قال: "إن إبليس رنَّ أربعَ رنَّاتٍ: حين لُعِنَ، وحين أُهبط من الجنَّة، وحين بُعث النبيُّ -صلى الله عليه وسلم-، وحين أُنزلت فاتحة الكتابِ، وأُنزلت بالمدينة"[2].

قال الحسين بن الفضل: "هذه هفوة من مجاهد، لأنّ العلماء على خلاف قوله"[3].

وروى الطَّبرانيُّ في "الأوسط": "حدثنا عُبيد بن غنَّام ثنا أبو بكر بن أبي شَيْبَة ثنا أبو الأحْوَص عن منصورٍ عن مجاهدٍ عن أبي هريرة: أنَّ إبليسَ رنّ حين أُنزلت فاتحةُ الكتابِ، وأُنزلت بالمدينة، وقال: لم

---

(١) أخرجه البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب ١ : كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم ... ، أصول في التفسير ، حديث رقم ٣ ؛ ومسلم كتاب الإيمان باب ٧٣: بدء الوحي إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم ، حديث رقم ٤٠٣ (٢٥٢) ١٦٠ .

(١)أخرجه البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب ١ : كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم ، حديث رقم ٤ ؛ ومسلم كتاب الإيمان باب ٧٣: بدء الوحي إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم ، حديث رقم ٤٠٦ { ٢٥٥} ١٦١ .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب التفسير ، باب ٣ قوله : (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) حديث رقم٤٩٢٤ ؛ ومسلم كتاب الإيمان باب ٧٣: بدء الوحي إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم ، حديث رقم ٤٠٩ { ٢٥٧} ١٦١

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ١٠١/١، ومجمع البيان: ١٧/١.

(٢) انظر: الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، ار الفكر - بيروت:١١/١.

(٣) الإتقان: ١٢/١.

يروه عن منصور إلا أبو الأحوص، تفرّد به أبو بكر بن أبي شيبة"[١]، ورواه سفيان وغيره عن منصور ووقفُوه على مجاهدٍ.

واستدلوا على هذا بحديث مشهور في صحيح مسلم: "بينما جبريل قاعد عند النبي -صلى الله عليه وسلم- سمع نقيضاً من فوقه فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة"[٢].

فإن قيل: هذا كان في المدينة، فكيف جاء بفاتحة الكتاب وهي نزلت بمكة؟

يقال: هو لم يأتِ بها أصلاً، وإنما بشر النبي -صلى الله عليه وسلم- بذلك، والبشارة يمكن أن تكون أيضاً على أمرٍ قد مضى، فبين له المزية لسورة الفاتحة وآخر آيتين أوتيهما -صلى الله عليه وسلم- من سورة البقرة، فالبشارة يمكن أن تكون عن شيء كان في الماضي، وهو كذلك، فلا يفهم منه أنه هو الذي نزل بها كما قال بعض المعاصرين: إن بعض القرآن قد ينزل به غير جبريل، فالأمر واضح أن جبريل هو الذي نزل به كما قال تعالى:{نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ} [الشعراء:١٩٣]، فالقول بأن هذا في الجملة ولا يؤثر على ذلك أن ينزل غيره بآيةٍ أو نحو هذا، فهذا قول غير صحيح.

ومعروف قطعاً أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يصلي بمكة، وكان يقرأ الفاتحة، وآية الحجر تدل على نزولها بمكة.

القول الثالث: أنها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة:

أراد بعض أهل العلم أن يوفق وأن يجمع فقال: نزلت مرتين، مرة بمكة ومرة بالمدينة.

قال الشوكاني:"وقيل: إنّها نزلت مرّتين مرّةً بمكّة ومرّةً بالمدينة جمعًا بين هذه الرّوايات"[٣].

قال الزركشي(ت: ٧٩٤هـ):" وقد ينزل الشيء مرتين تعظيما لشأنه، وتذكيرا به عند حدوث سببه خوف نسيانه، وهذا كما قيل في الفاتحة نزلت مرتين، مرة بمكة، وأخرى بالمدينة"[٤].

قال أحمدُ بنُ عبد الكريمِ بن محمّدٍ الأَشْمُونِيُّ (ت: ق١١هـ):"مكية مدنية؛ لأنها نزلت مرتين مرة بمكة حين فرضت الصلاة ومرة بالمدينة حين حولت القبلة."[٥].

القول الرابع: أن نصفها الأول نزل بمكة ونصفها الآخر نزل بالمدينة:

وحكى أبو اللّيث السّمرقنديّ:" أنّ نصفها نزل بمكّة ونصفها الآخر نزل بالمدينة"[٦].

قال ابن كثير:"وهو غريبٌ جدًّا، نقله القرطبيّ عنه[٧]"[٨].

والصحيح أنَّها أُنزلت بمكَّة، وذلك لأمرين[٩]:

أحدهما: فإنَّ سورة (الحِجْر) مكِّيَّة بالإجماع، وقد أنزل الله فيها: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ}[الحجر:٨٧]، وقد فسَّرها النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- بالفاتحة، فعُلم أنَّ نزولهَا متقدمٌ على نزول (الحِجْر).

---

(١) المعجم الأوسط: (٥/١٠٠- رقم:٤٧٨٨).
(٢)أخرجه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها - باب: فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة (٨٠٦) (ج ١ / ص ٥٥٤).
(٣) فتح القدير: ٧٣/١-٧٤.
(٤)البرهان في علوم القرآن:٢٧/١.
(٥) منار الهدى: ٢٧.
(٦) بحر العلوم: ٣٩/١، وتفسير ابن كثير: ١٠١/١، وتفسير القرطبي: ١١٥/١.
(٧) انظر: تفسير القرطبي: ١١٥/١.
(٨) تفسير ابن كثير: ١٠١/١.
(٩) انظر: أسباب النول للواحدي: ٢١.

والثاني: وأيضًا فإنَّ الصَّلاةَ فُرضت بمكَّة، ولم يُنقل أنَّ النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- وأصحابَه صلَّوا صلاةً بغير فاتحة الكتاب أصلاً، فدلَّ على أنَّ نزولهَا كان بمكَّة.

قال ابن رجب:"وأمَّا الرِّواية بأنَّها أوَّل سورة أُنزلت من القرآن فالأحاديث الصَّحيحة تردُّه"(١).

سبب نزول السورة:

بيان سبب نزول {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}، وأنها للفصل بين السور.

روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما-؛ قال: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يعرف ختم السورة؛ حتى ينزل عليه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"(٢). [صحيح]

---

(١) تفسير سورة الفاتحة لابن رجب: ١٨.

(٢)أخرجه أبو داود في "سننه" (١/ ٢٠٩ رقم ٧٨٨) -ومن طريقه البيهقي في "السنن الكبرى" (٢/ ٤٢)، و"السنن الصغير" (١/ ١٥٢، ١٥٣ رقم ٣٩٠)، و"شعب الإيمان" (٥/ ٢٧١، ٢٧٢ رقم ٢١٢٥)، وابن طاهر المقدسي في "مسألة التسمية" (ص ٦٤)، والضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (١٠/ ٣١٥ رقم ٣٣٦) -، والطحاوي في "مشكل الآثار" (٣/ ٤٠٥، ٤٠٦ رقم ١٣٧٥)، والبزار في "مسنده" (٣/ ٤٠ رقم ٢١٨٧ - "كشف")، والطبراني في "المعجم الكبير" (١٢/ ٦٤ رقم ١٢٥٤٤ - ١٢٥٤٦)، والواحدي في "أسباب النزول" (ص ١٠)، و"الوسيط" (١/ ٦١، ٦٢)، والحاكم في "المستدرك" (١/ ٢٣١، ٢/ ٦١١) -وعنه البيهقي في "معرفة السنن والآثار" (١/ ٥١٤ رقم ٧٠٦)، و"شعب الإيمان" (٥/ ٢٧٢ رقم ٢١٢٦، ٢١٢٧) -، والضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (١٠/ ٣١٦، ٣١٧ رقم ٣٣٧ - ٣٣٩)، وغيرهم من طرق عن عمرو بن دينار وسالم الأفطس، عن سعيد بن جبير، عن عبد الله بن عباس به.

قال الحاكم: "صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه".

وقال الذهبي: "أما هذا؛ فثابت".

وأخرجه الحاكم (٢/ ٦١١) من طريق مثنى عن عمرو بن دينار به.

وقال: "صحيح الإسناد، ولم يخرجاه". وتعقبه الذهبي بقوله: "مثنى؛ قال النسائي: متروك".

قلنا: لكنه لم ينفرد؛ فقد توبع.

وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٤/ ١٠٩، ٦/ ٣١٠): "اقتصر أبو داود منه على قوله: "لا يعرف خاتمة السورة حتى تنزل بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"، رواه البزار بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح".

قلنا: وقد فاته -رحمه الله- أنه عند الطبراني؛ فليستدرك؛ فإنه على شرطه.

وقال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- في "تفسير القرآن العظيم" (١/ ١٧): "وفي "سنن أبي داود" بإسناد صحيح عن ابن عباس (وذكره) ".

وقال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في "العجاب" (١/ ٢٢٤): "وهذا رواته ثقات ".

وقال في "فتح الباري" (٩/ ٤٢): "أخرجه أبو داود وصححه ابن حبان والحاكم".

وقال شيخنا الألباني -رحمه الله- في "صحيح أبي داود" (٧٠٧): "صحيح".

قلنا: وهو كما قالوا.

ورواه الحميدي في "مسنده" (١/ ٢٤٢ رقم ٥٢٨)، والطحاوي في "مشكل الآثار" (٣/ ٤٠٧ رقم ١٣٧٦)، وأبو داود في "سننه" (رقم ٧٨٨)، و"المراسيل" (٩٠/ ٣٦) -ومن طريقه ابن طاهر المقدسي في "مسألة التسمية" (ص ٦٤) - وغيرهم من طريق عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير به مرسلاً.

قلنا: والوصل زيادة؛ فالحكم لها، وبخاصة أن الذي يرجح الوصل هو الكثرة، وهو كذلك في حديثنا.

قال أبو داود: "قد أسند هذا، وهذا أصح".

وكلامه متعقب بأن جمع من الثقات رووه عن عمرو بن دينار موصولاً، أضف إلى هذا: أن عمراً لم يتفرد بالوصل بل تابعه سالم الأفطس؛ فالحكم للوصل.

وللحديث شاهدان:

١ - حديث عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-: أخرجه الواحدي في "أسباب النزول" (ص ١٠)، والبيهقي في "شعب الإيمان" (٥/ ٤٧٤ رقم ٢١٢٩).

٢ - حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-: أخرجه الواحدي في "أسباب النزول" (ص ١١).

قال الحافظ في "العجاب" (١/ ٢٢٤، ٢٢٥): "وأورد الواحدي له شاهدين بسندين ضعيفين".

قلنا: وهو كمال قال، وفي الصحيح غنية عن غيره.

مناسبة السورة في ترتيب القرآن:

من جماليات الترتيب السور في القرآن الكريم: علاقة أول الفاتحة بنهاية المصحف، إذ ترى في سورة "الفاتحة":{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة : ٢]، و في "سورة الناس": {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} [الناس : ١]،فقد بدأ المصحف برب العالمينو اختتم المصحف برب الناس.

أغراض السورة ومقاصدها[١]:

اشتملت سورة الفاتحة على مقاصد القرآن الكريم إجمالا رغم قصر حجمها، وقلة آياتها، فهي تتناول أصول الدين وفروعه، والتشريع، والإيمان باليوم الآخر، وإفراد الله تعالى بالعبادة، والاستعانة والدعاء، والتوجه إليه جل وعلا بطلب الهداية إلى الدين الحق، والصراط المستقيم، والتضرع إليه بالتثبيت على الإيمان ونهج سبيل الصالحين، وتجنب طريق المغضوب عليهم والضالين، وفيها الإخبار عن قصص الأمم السابقين، والاطلاع على معارج السعداء ومنازل الأشقياء، وفيها شفاء للقلوب والأبدان.

وفيما يأتي اهم مقاصد السورة الكريمة:

١- توحيد الله سبحانه : اشتملت السورة على التعريف بالمعبود جل في علاه، على توحيد الخالق سبحانه، وتضمنت سورة الفاتحة خلاصة وجيزة لعقائد الإسلام، واجتثاث جذور الشرك التي كانت فاشية في الأمم، ومقتضى ذلك توحيد العبادة، والتوجه بها إلى الله سبحانه، فهو جل شأنه المعبود بحق دون سواه، يرشد إلى ذلك قوله تعالى:{الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين}، ففيها تعليم وإرشاد إلى كيفية التمجيد والثناء والحمد لله تعالى، ولا يكون ذلك إلا عن نعمة، وأهمها نعمة الخلق والإيجاد، ومن كان كذلك فهو جدير بالعبادة وحده؛ ولذلك فقد اشتملت السورة على ثلاثة أسماء لله تعالى، هي مرجع الأسماء الحسنى والصفات العليا، وعليها مدارها، وهي:"الله، الرب، الرحمن"، والحمد يتضمن الاعتراف بالألوهية والربوبية والأسماء والصفات وتوحيدها...إلخ، وربوبيته سبحانه لخلقه ليست مبنية على القهر والجبروت، بل مبنية على الرحمة، فهو سبحانه الرحمن الرحيم، وهذا بيان لحقيقة العلاقة بين الله تعالى وبين خلقه، وأنها مبنية على الرحمة التي تغمر الخلائق كلهم، وبخاصة العبد المؤمن.

وقد فصل القرآن الكريم جانب التوحيد، ونهى عن الشرك في عشرات السور منه، واعتنى بذلك أيما عناية، حيث كان التوحيد هو المهمة الأساس في الفترة المكية، وهي أطول مدتي الرسالة.

٢- الإيمان باليوم الآخر : واشتملت السورة على أهم أركان الإيمان، بعد الإيمان بالله تعالى؛ وهو إثبات المعاد والجزاء على الأعمال، والإيمان باليوم الآخر وما فيه من بعث وسؤال وحشر ونشر وحساب

---

(١) لقد اشتملت السورة على كل معاني القرآن وهذا هوسر الفاتحة. فمعاني القرآن ثلاثة: (١- العقيدة: " الحمد لله رب العالمين،الرحمن الرحيم"٢- العبادة: " إياك نعبد وإياك نستعين"٣- مناهج الحياة: "اهدنا الصراط المستقيم، صراط اللذين أنعمت عليهم"، و كل ما بعد الفاتحة من قرآنيشرح هذه المحاور الثلاثة، و الفاتحة تذكرنا بكل أساسيات الدين:

١- نعم الله: "الحمد لله رب العالمين"٢- الإخلاص: " إياك نعبد وإياك نستعين"٣- الصحبةالصالحة" صراط اللذين أنعمت عليهم"٤- التحذير من صحبه السوء: " غير المغضوبعليهم"٥- أسماء الله الحسنى: " الرحمن الرحيم"٦- أصل صلة الله بك: "الرحمن الرحيم"٧- الاستقامة: " اهدنا الصراط المستقيم"٨- الآخرة: "الصراط"٩- أهمية الدعاء.١٠-وحدة الأمة: " نعبد......نستعين" فجاءتالصيغة هنا جماعة و ليست مفردا للتأكيد على وحدة الأمة.

و الفاتحة تعلمنا كيف نتعامل معالله: فجاءت نصفها ثناء والنصف الآخر دعاء، فحتى لو قسمت حروفها لوجدت أننصف الحروف ثناء والنصف الثاني دعاء. فعند دعائنا لله تعالى يجب أن نبدأهبالثناء على الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته ثم نتوجه بما نريد من الدعاء.

ومن جماليات الأسلوب القرآني: علاقة أول الفاتحة بنهاية المصحف، إذ ترى في سورة الفاتحة " الحمد الله ربالعالمين" و في سورة الناس " قل أعوذ برب الناس"فقد بدأ المصحف برب العالمينو اختتم المصحف برب الناس.

وجنة ونار، وغير ذلك مما فصله القرآن الكريم في العديد من السور والآيات، لاسيما القرآن المكي، الذي يُعنى بغرس العقيدة في النفوس أولًا، في مثل جزأي"عم، وتبارك".

وإذا كان في الدنيا نوع من التقاضي بين الناس، وألوان من الجزاء على الأعمال، فإن الله سبحانه هو المتفرد بالحكم العادل يوم القيامة، وهو سبحانه ملك هذا اليوم ومالكه، ومن يملك مصير العباد، ومآلهم الدائم يوم الآخرة، فهو المالك الحقيقي لما قبله في الدنيا من باب أولى، وإذا كان في الدنيا نوع ملك لبعض ملوك الأرض، فإن الملك كله لله تعالى في الدنيا والآخرة ، وهو ملك حقيقي لا يحول ولا يزول وإلى هذا يشير قوله تعالى: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}. ويوم الدين هو يوم الحساب والجزاء، الذي يُدان فيه العباد إلى رب الأرض والسماء. وقد أشار القرآن الكريم إلى الإيمان بالله تعالى والإيمان باليوم الآخر، إلى جوار العمل الصالح في كثير من آياته، وبين أن ذلك هو أساس الفوز بالسعادة الأخروية، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: ٦٢]

والمراد : إيمان كل أمة برسولها قبل أن تنسخ رسالته، ولا يقبل الله تعالى إيمان أي من أرباب الشرائع السابقة بعد مجيء الرسالة الخاتمة، إلا بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والعمل بشريعته. قال تعالى: {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران: ٨٥].وما من أحد يسمع برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ثم لا يؤمن بها إلا مات كافرًا والعياذ بالله.

٣- التكاليف الشرعية : أما جانب العبادات : مما يتعلق بالصلاة والزكاة والصيام والحج والأذان والذبح والنذر والدعاء والاستغاثة والاستعاذة والرجاء والخوف والتوكل والاستعانة وما إلى ذلك، وتوجيه هذه العبادات إلى الله تعالى وحده، فقد أشار إليه قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِين}، وقد تضمنت هذه الآية عهدًا وثيقًا بين الناس وربهم، يحقق رسالتهم في الوجود، فلا عبادة إلا لله، ولا توكل إلا على الله، ولا استعانة إلا بالله، وقد فصّل القرآن الكريم أنواع العبادة في أكثر سوره، في حديثه عن أركان الإسلام الأربعة، وفصل القرآن الاستعانة بالله تعالى في آيات التوكل والإنابة ونحوها.

٤- قصص الأنبياء والمرسلين : أما جانب النبوات والرسالات في سورة الفاتحة، فيشير إليه قوله تعالى: {اهدِنَــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ}، فالقرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد، يهدي للتي هي أقوم، ويدعو إلى الطريق المستقيم، ويأمر بالعدل والقسط والوسطية والاستقامة، والسعادة في الدارين لا تتم إلا بترك الانحراف والضلال وسبل الغواية والاعوجاج، ولا يكون ذلك إلا عن طريق الرسل والكتب المنزلة، والرسل هم أول الذين أنعم الله عليهم، ولا سبيل إلى هداية البشر، ولا إلى معرفة الحق من الضلال، والخير من الشر، إلا عن طريق الرسل.

وقد فصّل القرآن الكريم ما أجملته سورة الفاتحة من الحديث عن أنبياء الله ورسله في عشرات السور، إلى جانب الحديث عن الصديقين والشهداء والصالحين، مما يأخذ بيد المسلم إلى طريق الهداية وسبيل الرشاد، وطريق الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

وهذا الجانب من قصص الأنبياء والمرسلين تناولته السور المكية، فالهداية هي التطبيق العملي لدعوة الأنبياء، وهي طريق الإنسان إلى معرفة ربه سبحانه،ولعل هذا هو السر في اختيار هذه السورة؛ ليقرأها المسلم في صلاته وجوبًا في اليوم الواحد سبع عشرة مرة، ثم يُكثر منها في النوافل وغيرها ما شاء الله له.

٥- أهل الكتاب: أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين فصّل القرآن الكريم الحديث عنهم في سوره المدنية، وأوضح زيغهم وضلالهم، وأسباب غضب الله تعالى عليهم، فقد أجملت سورة الفاتحة هذه المعاني في قوله تعالى: {غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ }.

ومعلوم أن مقاصد القرآن الكريم تتناول جانب العقيدة والنبوة والرسالة والعبادة والهداية، التي هي الهدف من القصص والأخبار القرآنية، وهذا ما أجملته سورة الفاتحة، وفصله القرآن الكريم.

وبعد فإن هذه السورة المباركة قد اشتملت على كل معاني القرآن وهذا هوسر الفاتحة. فمعاني القرآن ثلاثة:

١- العقيدة: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة : ٢]،{الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [الفاتحة : ٣].
٢- العبادة: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة : ٥].
٣- مناهج الحياة:{اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [الفاتحة : ٦]، {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِم} [الفاتحة : ٧].

وكل ما بعد الفاتحة من قرآنيشرح هذه المحاور الثلاثة، و الفاتحة تذكرنا بكل أساسيات الدين:

١- نعم الله: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة : ٢].
٢- الإخلاص: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة : ٥].
٣- الصحبةالصالحة:{صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِم}
٤- التحذير من صحبه السوء:{غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِم} [الفاتحة : ٧]
٥- أسماء الله الحسنى: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [الفاتحة : ٣].
٦- أصل صلة الله بك: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [الفاتحة : ٣].
٧- الاستقامة: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [الفاتحة : ٦]،
٨- الآخرة: "الصراط".
٩- أهمية الدعاء.
١٠- وحدة الأمة: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة : ٥]، فجاءتالصيغة هنا جماعة و ليست مفردا للتأكيد على وحدة الأمة.

والفاتحة تعلمنا كيف نتعامل معالله: فجاءت نصفها ثناء والنصف الآخر دعاء، فحتى لو قسمت حروفها لوجدت أننصف الحروف ثناء والنصف الثاني دعاء. فعند دعائنا لله تعالى يجب أن نبدأهبالثناء على الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته ثم نتوجه بما نريد من الدعاء.

قال الفيروزآبادي:" المقصود من نزول هذه السورة تعليم العباد التيمن والتبرك باسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء الأمور، والتلقين بشكر نعم المنعم؛ والتوكل عليه في باب الرزق المقسوم، وتقوية رجاء العبد برحمة الله تعالى، والتنبيه على ترقب العبد الحساب والجزاء يوم القيامة، وإخلاص العبودية عن الشرك، وطلب التوفيق والعصمة من الله، والاستعانة والاستمداد في أداء العبادات، وطلب الثبات والاستقامة على طريق خواص عباد الله، والرغبة في سلوك مسالكهم، وطلب الأمان من الغضب، والضلال فى جميع الأحوال، والأفعال، وختم الجميع بكلمة آمين، فإنها استجابة للدعاء، واستنزال للرحمة، وهى خاتم الرحمة التي ختم بها فاتحة كتابه"[(١)].

الناسخ والمنسوخ:

وأما الناسخ والمنسوخ فليس فيها شيء منهما.

قال هبة الله بن سلامة:" ليس في أم الكتاب شيء، لأن أولها ثناء وآخرها دعاء"[(٢)].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ١٢٩/١.
(٢) الناسخ والمنسوخ: ٣٠.

فضائل السورة:

إن لسورة الفاتحة أهمية عظيمة، وفضائلها كثيرة ، فمن ذلك:

- أنها ركن من أركان الصلاة ، لا تصح الصلاة إلا بها ؛ فروى عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ"(١).

-أنها أفضل سورة في القرآن ؛ فروى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ : "أَتُحِبُّ أَنْ أُعَلِّمَكَ سُورَةً لَمْ يَنْزِلْ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَيْفَ تَقْرَأُ فِي الصَّلَاةِ ؟ قَالَ : فَقَرَأَ أُمَّ الْقُرْآنِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا"(٢).

- عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ مِثْلَ أُمِّ الْقُرْآنِ، وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي". قَالَ اللهُ: «وَهِيَ مَقْسُومَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ"(٣).

-أنها السبع المثاني التي قال الله فيها : {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ}[الحجر:٨٧]، روي عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى -رضي الله عنه-: أن رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ قَالَ له : "لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ"، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ قُلْتُ لَهُ : أَلَمْ تَقُلْ لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ ؟ قَالَ : "الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ ، هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي ، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ"(٤).

- عن ابن عباس، قال: "بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: "هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَه"(٥).

- عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانُوا فِي سَفَرٍ، فَمَرُّوا بِحَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُمْ فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ، فَعَرَضَ لِإِنْسَانٍ مِنْهُمْ فِي عَقْلِهِ - أَوْ لُدِغَ - قَالَ: فَقَالُوا لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ فِيكُمْ مِنْ رَاقٍ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: نَعَمْ، فَأَتَى صَاحِبَهُمْ فَرَقَاهُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ فَبَرَأَ، فَأُعْطِيَ قَطِيعًا مِنْ غَنَمٍ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ، حَتَّى أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا رَقَيْتُهُ إِلَّا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، قَالَ: فَضَحِكَ، وَقَالَ: " مَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟ " قَالَ: ثُمَّ قَالَ: " خُذُوا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ مَعَكُمْ "(٦).

---

(١) رواه البخاري (٧٥٦)، ومسلم (٣٩٤).

(٢) رواه الترمذي (٢٨٧٥) وصححه.

(٣) رواه الترمذي (٣١٢٥) وصححه.

(٤) رواه البخاري (٤٤٧٤).

(٥) صحيح مسلم(٨٠٦).

"نقيضا"، أي: صوتا كصوت الباب إذا فتح.

(٦) أخرجه احمد في المسند(١٠٩٨٥):ص٥/١٧، إسناده صحيح على شرط الشيخين. هشيم: هو ابن بشير، وقد صرح، بالتحديث، فانتفت شبهةُ تدليسه، وأبو بشر: هو جعفر بن أبي وحشية، وأبو المتوكل: هو الناجي على بنُ داود، ويقال: ابن دؤاد.

وأخرجه مسلم (٢٢٠١) (٦٥) ، والنسائي في "الكبرى" (١٠٨٦٨) -وهو في "عمل اليوم والليلة" (١٠٢٩) -، وابنُ ماجه (٢١٥٦) ، والطحاوي في "شرح معاني الآثار" ١٢٦/٤-١٢٧ من طريق هُشيم، بهذا الإسناد.

(تنبيه: وقع في إسناد المطبوع من ابن ماجه زيادة: عن ابن أبي المتوكل، بين أبي بشر وأبي المتوكل، وهو خطأ) .

وتابع هُشيماً أبو عوانة، فأخرجه البخاري (٢٢٧٦) و (٥٧٤٩) ، وأبو داود (٣٤١٨) و (٣٩٠٠) ، والبيهقي في "السنن" ١٢٤/٦، وفي "شعب الإيمان" (٢٥٧٢) من طريق أبي عوانة، عن أبي بشر، به.

وتابعهما شعبة أيضاً فأخرجه مسلم (٢٢٠١) ، والترمذي (٢٠٦٤) ، والنسائي في "الكبرى" (١٠٨٦٧) ،- وهو في "عمل اليوم والليلة" (١٠٢٨) -، وابن ماجه (٢١٥٦) ، من طريق شعبة، عن أبي بشر، به.
قال الترمذي: هذا حديث صحيح، وهذا أصح من حديث الأعمش، عن جعفر بن إياس، وهكذا روى غير واحد هذا الحديث عن أبي بشر، عن أبي المتوكل، عن أبي سعيد.
قلنا: حديث الأعمش هو عن أبي بشر، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد، يعني بذكر أبي نضرة بدل أبي المتوكل، وسيرد برقم (١١٠٧٠) ونتكلم عليه هناك.
وفي الباب عن ابن عباس عند البخاري (٥٧٣٧) ، والبيهقي في "السنن" ٦/ ١٢٤.
وعن عم خارجة بن الصلت عند أبي داود (٣٩٠١) ، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" (١٠٣٢) ، سيرد ٢١١/٥.
وقد ذكر الحافظ في "الفتح" ٤٥٥/٤ و١٩٩/١٠ أن حديث أبي سعيد وحديث ابن عباس إنما هما في قصة واحدة وقعت لهم مع الذي لُدغ، وحديث عم خارجة بن الصلت في قصة أخرى مع رجل مصاب بعقله.
قال السندي: قوله: بحي من أحياء العرب، أي: بقبيلة من قبائلهم.
فاستضافوهم: أي: طلبوا منهم الضيافة على عادة ذلك الوقت.
فأبوا أن يضيفوهم: بتشديد الياء، أو تخفيفها، من ضيفه أو أضافه: أي: أنزله، وجعله ضيْفا.
فعُرض لإنسان: على بناء المفعول، أي: عرض له عارض.
أو لُدغ: شك من الراوي، والمشهور هو الثاني. قلنا: قد قال الحافظ في "الفتح " ٤٥٥/٤: ما وقع في رواية هشيم أنه مصاب في عقله. أو لديغ شك من هشيم، وقد رواه الباقون فلم يشكوا في أنه لديغ، ولا سيما تصريح الأعمش بالعقرب. قلنا: قد مر أن حديث من أصيب في عقله إنما هو في قصة أخرى.
من راق: يعرض الرقية.
فبرأ: في "المشارق بفتح الراء، أي: صح، مهموز، وقال ابن دريد: بُهمز ولا يُهمز، وهذا على لغة أهل الحجاز، وأما تميم فيقولون بكسر الراء، وحكي بالضم، ويروى غير مهموز، وأما من الدين وغيره، فبالكسر لا غير.
فأعطي: على بناء المفعول، ونائب الفاعل ضمير الراقي.
قطيع: بالنصب، وكتابته على صورة غير المنصوب على عادة أهل الحديث، ويحتمل أن يكون بالرفع على أنه نائب الفاعل، والمفعول الأول ضمير منصوب محذوف راجع إلى الراقي.
والقطيع: طائفة من الغنم، من عشرة إلى أربعين، والمراد ثلاثون.
واضربوا لي بسهم معكم: قاله تطيبياً لقلوبهم، ولبيان أنه حلال طيب. وأخذ منه حل أجرة تعليم القرآن، وضعف بأنه لا يدل إلا على حل أجرة الطب بالقرآن. والله تعالى أعلم.
قلنا: وقد جاء في تعليق المُحققيْن أحمد شاكر وحامدٍ الفقي على "مختصر المنذري" ٧١/٥ ما نصه: ليس في الحديث دلالة على أخذ الأجرة لا على قراءة القرآن، ولا على تعليمه، فإن أهل الحي ما طلبُوا أبا سعيد ليقرأ لهم قرآنا ولا ليعلمهم، وإنما طلبوه ليعالج مريضهم، فطلبوه طبيباً لا قارئاً ولا معلماً وهو لم يجهر بما قرأ، ولم يُعلمهم ما قرأ، ولم يكن يعلم أن في ذلك شفاء المريض، ولكنه أيقن أن الله عاقب أهل الحي على منعهم أبا سعيد ورفقته حقهم من الضيافة، فسلط على رئيسهم ما لسعهُ من الهوام ليلجئهم إلى أبي سعيد ورفقته، ويضطرهم إلى أن يرْضخوا لحكمه في ما يطلب من الجُعْل لأنه ورفقته بأشد الحاجة إلى الطعام، كل هذا فهمه أبو سعيد وصحبه، وعلى ذلك لم يقع من
أبي سعيد ولا غيره من صحبه أنهم فعلوا مرة أخرى ولو أنهم فهموا ذلك على أنه قاعدة مضطردة لفعلوه، وتتابعوا على فعله ولاشتهر ذلك، والله أعلم.
قلنا: وقد ثبت عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النهى عن أخذ الأجرة على تلاوة القرآن، وعلى تعليمه، فقد روى ابن أبي شيبة ٤٠٠/٢، وأبو عبيد في "فضائل القرآن" ص٢٠٥، وأحمد ٤٢٨/٣ و٤٤٤، وأبو يعلى (١٥١٨) ، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٤٣٣٢) ، وفي "شرح معاني الآثار" ١٨/٣ عن عبد الرحمن بن شبل الأنصاري، قال: سمعتُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: "اقرؤوا القرآن، ولا تغْلُوا فيه، ولا تجْفُوا عنه، ولا تأكُلُوا به، ولا تستكثروا به" وإسناده قوي كما قال الحافظ في "الفتح" ١٠١/٩.
وروى أحمد ٣٢٤/٥، والحاكم ٣٥٦/٣ عن عبادة بن الصامت، قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُشْغَلُ، فإذا قدم رجل مهاجر على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دفعه إلى رجل منا يُعلمُهُ القرآن، فدفع إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلاً، وكان معي في البيت أعشيه عشاء أهل البيت، فكنت أقرئه القرآن، فانصرف انصرافةً إلى أهله، فرأى إن عليه حقا، فأهْدى إليَّ قوساً لم أر أجود منها عوداً ولا أحسن منها عطفاً، فأتيتُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقلت: ما ترى يا رسول الله فيها؟ قال: "جمرة بين كتفيك تقلدتها أو تعلقتها". وإسناده صحيح، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

قال ابن رجب:"ولم يثبت في فضائلِ شيءٍ من السُّور أكثر مما ثبت في فضلِها، وفضلِ سورة (الإخلاص)"[1].

وانظر "صحيح البخاري" كتاب فضائل القرآن: باب إثم من راءى بقراءة القرآن أو تأكل به، أو فجر به.
وانظر أيضا الرسالة السابعة من مجموعة رسائل ابن عابدين الموسومة بـ "شفاء العليل وبل الغليل في حكم الوصية بالختمات والتهاليل".
(١) تفسير سورة الفاتحة:٣٥.

سورة «البقرة»

سورة «البقرة»:هي السورة الثانية من حيث الترتيب في المصحف الشريف، وعدد آياتها مائتان وست وثمانون آية، وعدد كلماتها ستَّة آلاف كلمة، ومائة وإحدى وعشرون كلمة، وحروفها خمس وعشرون ألفاً وخَمْسمائة حرف، وبها أطول آية في القرآن وهي آية «الدين» رقم (٢٨٢)، مجموع فواصل (نهايات) آياتها (ق م ل ن د ب ر) ويجمعها (قم لندّبر)، وعلى اللاَّم آية واحدة:{أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ} [البقرة : ١٠٨]، وعلى القاف آية واحدة: {وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ} [البقرة : ٢٠٠]، آخر الآية المائتين[١].

- **اسماء السورة:**

أولا:- أسماؤها التوقيفية:

١- سورة «البقرة»:

سميت"سورة البقرة" بهذا الاسم، بسبب ما ورد فيها من قصة موسى عليه السلام مع قومه، بشأن القتيل الذي لم يعرف قاتله، فأمر الله موسى أن يأمر قومه أن يذبحوا بقرة أياً كانت، ويبين ذلك القرآن الكريم في قوله تعالي: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [البقرة: ٦٧]، ولكنهم كعادتهم في صد الحق شدّدوا في طلب أوصافها فشدّد الله عليهم وهذه القصة مما انفردت بها هذه السورة.

ومن السنة جاءت التسمية في أحاديث منها:

- حديث أبي مسعود البدر[٢] رضي الله عنه قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه"[٣].

- وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنْ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ"[٤].

- وعن أبي أمامة[٥] تعالى قال: " سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، المحقق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة:ص١٣٣/١-١٣٤.

(٢)قال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء "ولم يشهد بدرا على الصحيح، وإنما نزل ماء ببدر، فشهر بذلك. وكان ممن شهد بيعة العقبة، وكان شابا من أقران جابر في السن. روى أحاديث كثيرة. وهو معدود في علماء الصحابة. نزل الكوفة. واسمه: عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة بن عسيرة الأنصاري. وقيل: يسيرة بن عسيرة - بضمهما - بن عطية بن خدارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج

(٣)البخاري رقم/٣٧٠٧- باب شهود الملائكة بدر، ومسلم رقم/ ١٣٤٠- بَاب فَضْلِ الْفَاتِحَةِ وَخَوَاتِيمِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ.

(٤)مسلم رقم(١٣٠٠): بَاب اسْتِحْبَابِ صَلَاةِ النَّافِلَةِ فِي بَيْتِهِ وَجَوَازِهَا فِي الْمَسْجِدِ.

(٥)أبو أمامة الباهلي صاحب رسول الله -صلى الله عليه وسلم - ونزيل حمص. روى: علما كثيرا. وحدث عن: عمر، ومعاذ، وأبي عبيدة. روى عنه: خالد بن معدان، والقاسم أبو عبد الرحمن، وسالم بن أبي الجعد، وشرحبيل بن مسلم، وسليمان بن حبيب المحاربي، ومحمد بن زياد الألهاني، وسليم بن عامر، وأبو غالب حزور، ورجاء بن حيوة، وآخرون. وروي: أنه بايع تحت الشجرة.-سير أعلام النبلاء للذهبي مختصرا.(٣/٣٥٩) .

غَمَامَتَانِ[١] أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ[٢] تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ"[٣].

- روي في الصحيح عن ابن مسعود أنه قال: " هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة"[٤].

٢- سورة الزهراء:

كما واشتهرت تسمية السورة مع آل عمران بالزهراوين، والزهراوان أي: المضيئتان، واحدتها زهراء[٥]، ووجه تسميتهما بذلك لنورها وهدايتهما وعظيم أجرهما[٦].

وقد وردت تسميتها بذلك في حديث النبي صلى الله عليه وسلم، فيما رواه أبو أمامة الباهلي، إذ قال: "سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ ..الحديث"[٧].

وذكر القرطبي في وجه التسمية ثلاثة أقوال[٨]:

أحدها: إنهما النيرتان، مأخوذ من الزّهْر والزُّهْرة ؛ فإما لهدايتهما قارئهما بما يزهر له من أنوارهما، أي من معانيهما.

الثاني: وإما لما يترتب على قراءتهما من النور التام يوم القيامة.

الثالث: سميتا بذلك لأنهما اشتركتا فيما تضمنه اسم الله الأعظم[٩] ؛ كما ذكره أبو داود وغيره عن أسماء بنت يزيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين {وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} والتي في آل عمران {اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} "[١][٢].

---

(١)قال أهل اللغة: الغمامة والغياية، كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه من سحابة وغبرة وغيرهما. قال العلماء: المراد أن ثوابهما يأتي كغمامتين.

(٢)قال النووي في شرح مسلم " ومعناهما واحد، وهما قطيعان وجماعتان، يقال في الواحد: فرق وحزق وحزيقة أي جماعة" .

(٣)أخرجه مسلم برقم/ ١٣٣٧- بَاب فَضْلِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَسُورَةِ الْبَقَرَةِ.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: (١٧٤٨): ٨٧/٩، والحديث بتمامه(عَنْ ابْنِ مَسْعُود أَنَّهُ رَمَى الْجَمْرَةَ مِنْ بَطْنِ الْوَادِي فَجَعَلَ الْبَيْتَ عَنْ يَسَاره وَمِنًى عَنْ يَمِينه ثُمَّ قَالَ هَذَا مَقَام الَّذِي أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَة الْبَقَرَة).

(٥) انظر: اللسان، مادة(ز هـ ر): ٣٣٢/٤.

(٦) انظر: شرح النووي لمسلم: ٨٩/٦.

(٧)أخرجه مسلم برقم/ ١٣٣٧- بَاب فَضْلِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَسُورَةِ الْبَقَرَةِ.

(٨) أنظر: تفسير القرطبي: ٣/٤.

(٩) ورد في خصوص " اسم الله الأعظم " عدة أحاديث ، أشهرها:

١- عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (اسْمُ اللَّهِ الأعظمُ فِي سُوَرٍ مِنَ الْقُرآنِ ثَلاثٍ : فِي " الْبَقَرَةِ " وَ " آلِ عِمرَانَ " وَ " طَهَ). رواه ابن ماجه (٣٨٥٦) وحسَّنه الألباني في " صحيح ابن ماجه".

٢- عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا وَرَجُلٌ يُصَلِّي ثُمَّ دَعَا " اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ " ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لَقَدْ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى. (رواه الترمذي (٣٥٤٤) وأبو داود (١٤٩٥) والنسائي (١٣٠٠) وابن ماجه (٣٨٥٨) ، وصححه الألباني في " صحيح أبي داود").

٣- عن بُرَيْدَةَ بن الحُصَيْب أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ " اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ " ، فَقَالَ : (لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ بِالاسم الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ. (رواه الترمذي (٣٤٧٥) وأبو داود (١٤٩٣) وابن ماجه (٣٨٥٧) ، وصححه الألباني في " صحيح أبي داود. " قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله: - وهو أرجح من حيث السند من جميع ما ورد في ذلك. (فتح الباري : ١١ / ٢٢٥).

٤- عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ : (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) ، وَفَاتِحَةِ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ (الم . اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ. (رواه الترمذي (٣٤٧٨) وأبو داود (١٤٩٦) وابن ماجه (٣٨٥٥).

والحديث ضعيف ، فيه عبيد الله بن أبي زياد وشهر بن حوشب ، وكلاهما ضعيف.
ثانياً: قد اختلف أهل العلم في " اسم الله الأعظم " من حيث وجوده على أقوال:
القول الأول: إنكار وجوده أصلاً ! لاعتقادهم بعدم تفضيل اسم من أسماء الله تعالى على آخر ، وقد تأول هؤلاء الأحاديث الواردة السابقة فحملوها على وجوه:
الوجه الأول : من قال بأن معنى " الأعظم " هو " العظيم " وأنه لا تفاضل بين أسماء الله تعالى.
قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله: - وقد أنكره قوم كأبي جعفر الطبري وأبي الحسن الأشعري وجماعة بعدهما كأبي حاتم بن حبان والقاضي أبي بكر الباقلاني فقالوا : لا يجوز تفضيل بعض الأسماء على بعض ، ونسب ذلك بعضُهم لمالك ؛ لكراهيته أن تعاد سورة أو تردد دون غيرها من السور لئلا يُظن أن بعض القرآن أفضل من بعض فيؤذن ذلك باعتقاد نقصان المفضول عن الأفضل ، وحملوا ما ورد من ذلك على أن المراد بالأعظم : العظيم ، وأن أسماء الله كلها عظيمة ، وعبارة أبي جعفر الطبري : " اختلفت الآثار في تعيين الاسم الأعظم والذي عندي : أن الأقوال كلها صحيحة إذ لم يرد في خبر منها أنه الاسم الأعظم ، ولا شيء أعظم منه " ، فكأنه يقول : كل اسم من أسمائه تعالى يجوز وصفه بكونه أعظم ، فيرجع إلى معنى عظيم كما تقدم.
الوجه الثاني : أن المراد بالأحاديث السابقة بيان مزيد ثواب من دعا بذلك الاسم .
قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله: - وقال ابن حبان : الأعظمية الواردة في الأخبار : إنما يراد بها مزيد ثواب الداعي بذلك ، كما أطلق ذلك في القرآن ، والمراد به : مزيد ثواب القارئ.
الوجه الثالث : أن المراد بالاسم الأعظم حالة يكون عليها الداعي ، وهي تشمل كل من دعا الله تعالى بأي اسم من أسمائه ، إن كان على تلك الحال.
قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله: - وقيل : المراد بالاسم الأعظم : كل اسم من أسماء الله تعالى دعا العبد به مستغرقاً بحيث لا يكون في فكره حالتئذ غير الله تعالى ، فإن من تأتَّى له ذلك : استجيب له ، ونقل معنى هذا عن جعفر الصادق ، وعن الجنيد، وعن غيرهما.
القول الثاني: قول من قال بأن الله تعالى قد استأثر بعلم تحديد اسمه الأعظم ، وأنه لم يُطلع عليه أحداً من خلقه، قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله: - وقال آخرون : استأثر الله تعالى بعلم الاسم الأعظم ولم يطلع عليه أحداً من خلقه. انظر: " فتح الباري " ، للحافظ ابن حجر (١١ / ٢٢٤).
القول الثالث: قول من أثبت وجود اسم الله الأعظم وعيَّنه ، وقد اختلف هؤلاء المعينون في الاسم الأعظم على أربعة عشر قولاً ! وقد ساقها الحافظ ابن حجر رحمه الله في كتابه " فتح الباري " (١١ / ٢٢٤ ، ٢٢٥) وهي:
١. هو ! ٢. الله ٣. الله الرحمن الرحيم ٤. الرحمن الرحيم الحي القيوم ٥. الحي القيوم ٦. الحنان المنان بديع السماوات والأرض ذو الجلال والاكرام الحي القيوم ٧. بديع السماوات والأرض ذو الجلال والاكرام ٨. ذو الجلال والإكرام ٩. الله لا إله إلا هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ١٠. رب رب ١١. دعوة ذي النون في بطن الحوت " لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين " ١٢. هو الله الله الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم ١٣. هو مخفي في الأسماء الحسنى ١٤. كلمة التوحيد " لا إله إلا الله" .
قال الشيخ الألباني رحمه الله: واعلم أن العلماء اختلفوا في تعيين اسم الله الأعظم على أربعة عشر قولاً ، ساقها الحافظ في " الفتح " ، وذكر لكل قول دليله ، وأكثرها أدلتها من الأحاديث ، وبعضها مجرد رأي لا يلتفت إليه ، مثل القول الثاني عشر ؛ فإن دليله : أن فلاناً سأل الله أن يعلّمه الاسم الأعظم ، فرأى في النوم ؛ هو الله ، الله ، الله ، الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم. !!
وتلك الأحاديث منها الصحيح ، ولكنه ليس صريح الدلالة ، ومنها الموقوف كهذا ، ومنها الصريح الدلالة ؛ وهو قسمان:
قسم صحيح صريح ، وهو حديث بريدة : (الله لا إله إلا هو الأحد الصمد الذي لم يلد ...) إلخ ، وقال الحافظ : " وهو أرجح من حيث السند من جميع ما ورد في ذلك " ، وهو كما قال رحمه الله ، وأقره الشوكاني في " تحفة الذاكرين " (ص ٥٢) ، وهو مخرج في " صحيح أبي داود "(١٣٤١).
والقسم الآخر : صريح غير صحيح ، بعضه مما صرح الحافظ بضعفه ؛ كحديث القول الثالث عن عائشة في ابن ماجه (٣٨٥٩) ، وهو في " ضعيف ابن ماجه " رقم (٨٤١) ، وبعضه مما سكت عنه فلم يحسن ! كحديث القول الثامن من حديث معاذ بن جبل في الترمذي ، وهو مخرج في " الضعيفة " برقم (٤٥٢٠).
وهناك أحاديث أخرى صريحة لم يتعرض الحافظ لذكرها ، ولكنها واهية ، وهي مخرجة هناك برقم (٢٧٧٢ و ٢٧٧٣ و ٢٧٧٥. (سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة " (١٣ / ٢٧٩).

ثانيا:-أسماؤها الاجتهادية:

ولهذه السورة عدة تسميات اجتهادية:

١-سنام القرآن:

سنام كل شيء أعلاه، والجمع:«أسنة»[٣].وردت تسميتها بـ«سنام القرآن»، لدى بعض العلماء كالألوسي[٤] والسيوطي[٥]، ولعل وجه التسمية تعود إلى كون سورة البقرة أطول سور القرآن، ومن أوله، وهي تشمل على العديد من المقاصد والأحكام الشرعية والمواعظ والعبر والله أعلم، وهو بذلك وصف تشريفي للسورة.

واستدلوا بما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحاديث منها:

-عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن لكل شيء سناماً وإن سنام القرآن البقرة وإن من قرأها في بيته ليلة لم يدخله الشيطان ثلاث ليال ومن قرأها في بيته نهاراً لم يدخله الشيطان ثلاثة أيام"[٦].

-عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " البقرة سنام القرآن وذروته، نزل مع كل آية منها ثمانون ملكاً، واستخرجت " ٱللَّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ " [آل عمران:٢] من تحت العرش فوصلت بها ـ أو فوصلت بسورة البقرة ـ ويس قلب القرآن لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له، واقرؤوها على موتاكم "[٧].

ثالثاً: لعل ألأقرب من تلك الأقوال أن الاسم الأعظم هو " الله " ؛ فهو الاسم الجامع لله تعالى الذي يدل على جميع أسمائه وصفاته تعالى ، وهو اسم لم يُطلق على أحد غير الله تعالى ، وعلى هذا أكثر أهل العلم.

١- قال ابن القيم – رحمه الله: - اسم " الله " دالٌّ على جميع الأسماء الحسنى والصفات العليا بالدلالات الثلاث. ... (مدارج السالكين : ١ / ٣٢). والدلالات الثلاث هي : المطابقة والتضمن واللزوم.

٢- وقال ابن أمير حاج الحنفي – رحمه الله: - عن محمد بن الحسن قال : سمعتُ أبا حنيفة رحمه الله يقول : اسم الله الأعظم هو " الله " , وبه قال الطحاوي وكثير من العلماء , وأكثر العارفين. " التقرير والتحبير " (١ / ٥)

٣-وقال أبو البقاء الفتوحي الحنبلي – رحمه الله: - فائدتان:

الأولى : أن اسم " الله " علم للذات , ومختص به , فيعم جميع أسمائه الحسنى.

الثانية : أنه اسم الله الأعظم عند أكثر أهل العلم الذي هو متصف بجميع المحامد. (شرح الكوكب المنير: ٤)

٤- وقال الشربيني الشافعي – رحمه الله: - وعند المحققين أنه اسم الله الأعظم ، وقد ذكر في القرآن العزيز في ألفين وثلثمائة وستين موضعاً. "مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج " (١ / ٨٨ ، ٨٩).

٥- وقال الشيخ عمر الأشقر – رحمه الله: - والذي يظهر من المقارنة بين النصوص التي ورد فيها اسم الله الأعظم أنّه : (الله) ، فهذا الاسم هو الاسم الوحيد الذي يوجد في جميع النصوص التي قال الرسول صلى الله عليه وسلم إنّ اسم الله الأعظم ورد فيها.

ومما يُرجِّح أن (الله) هو الاسم الأعظم أنه تكرر في القرآن الكريم (٢٦٩٧) سبعاً وتسعين وستمائة وألفين - حسب إحصاء المعجم المفهرس - وورد بلفظ (اللهم) خمس مرات ، في حين أنّ اسماً آخر مما يختص بالله تعالى وهو (الرحمن) لم يرد ذكره إلا سبعاً وخمسين مرة ، ويرجحه أيضاً : ما تضمنه هذا الاسم من المعاني العظيمة الكثيرة ". العقيدة في الله " (ص ٢١٣).

ويأتي في الدرجة الثانية من القوة في كونه اسم الله الأعظم " الحي القيوم " ، وهو قول طائفة من العلماء ، ومنهم النووي ، ورجحه الشيخ العثيمين رحمه الله. والله أعلم

(١) تفسير القرطبي: ٤/٣.

(٢)رواه الترمذي (٣٤٧٨) وأبو داود (١٤٩٦) وابن ماجه (٣٨٥٥)

(٣) اللسان: مادة (س ن م): ٣٠٦/١٢).

(٤) ينظر تفسيره: ٩٨/١.

(٥) انظر: الإتقان في علوم القرآن: ١٧١/١، والبصائر: ١٣٤/١.

(٦)رواه ابن حبان في صحيحه (١٨٨/١).

(٧)رواه النسائي في اليوم والليلة ص:٢٠١.

-روى الترمذي من حديث حكيم بن جبير وفيه ضعف عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لكل شيءٍ سنام وإن سنام القرآن سورة البقرة وفيها آية هي سيدة آي القرآن آية الكرسي"(١).

-عنْ عبدِاللَّهِ بن مسعود:" أنَّهُ قالَ: إنَّ لكلّ شيءٍ سَناماً، وإنَّ سنامَ القرآنِ سورةُ البقرةِ، وإنَّ لكلّ شيءٍ لُباباً، وإنَّ لبابَ القرآنَ المفصَّلُ"(٢).

قال ابن منظور: " سنام كل شيء أعلاه؛ وفي شعر حسَّان(٣):

وإن سَنامَ الـمَـجْدِ من آلِ هاشِمٍ بَنُو بِنتِ مَخْزومٍ ووالدُك العَبْدُ

أي : أعلى الـمجد، وقوله أنشده ابن الأعرابي: "قَضى القُضاة أنها سَنامُها " فسَّره فقال معناه خِيارُها لأَن السَّنام خِيارُ ما في البعير سَنَّم الشيءَ رَفَعَه "(٤).

٢- ذروة القرآن:

وتعود هذه التسمية لحديث معقل بن يسار سبق ذكره: " البقرة سنام القرآن وذروته.. " (٥).

٣- فسطاط القرآن:

الفسطاس- بالضم والكسر- المدينة التي فيها مجتمع الناس، وكل مدينة فسطاس(٦)، وسميت هذه السورة بفسطاس القرآن، وذلك لعظمها وبهائها، ولإحاطتها بأحكام ومواعظ كثيرة لم تذكر في غيرها(٧)، ولهذا قيل بأن " ابن عمر تعلم سورة البقرة في أربع سنين"(٨).

---

(١)سنن الترمذي الحديث رقم (٢٨٧٨).

(٢) رواه الدارمي رقم الحديث (٣٣٧٢).

(٣)ديوانه ط بيروت: ٨٩، ولسان العرب: ٣٠٦/١٢.

(٤) لسان العرب(٣٠٦/١٢) النهاية في غريب الحديث لابن الاثير(٤٠٩/٢).

(٥) رواه النسائي في اليوم والليلة ص:٢٠١.

(٦) انظر: النهاية: ٤٤٥/٣. وفي الفائق: "الفسطاس ضرب من الأبنية في السفر دون السرادق".(١١٦/٣).

(٧) انظر: المحرر الوجيز: ٨١/١، تفسير القرطبي: ١٥٢/١، الإتقان: ١٧١/١.

(٨)قاله ابن سعد في الطبقات، طبعة دار صادر: ١٦٤/٤. وهنا تجب الاشارة إلى أمرين:

١- أن الخبر المشهور أن عمر تعلم البقرة في اثنتي عشرة سنة: وهذا الخبر مشهور جداً وتتداوله الألسنة والأقلام والصحيح أنه لا يثبت؛فقد روى البيهقي في الشعب(١٣١/٤ ط.وزاة الأوقاف القطرية :(٨٠٥)، وأخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان، حدثنا أبو علي محمد بن أحمد بن الحسن الصواف، حدثنا بشر بن موسى حدثنا أبو بلال الأشعري، حدثنا مالك بن أنس، عن نافع، عن ابن عمر قال:(تعلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه البقرة في اثنتي عشرة سنة، فلما ختمها نحر جزوراً). أقول: إسناده ضعيف بسبب أبي بلال الأشعري فقد نص على ضعفه الدارقطني في سننه (حديث رقم٨٤٦ ط.دار الفكر)، وقد سقطت في نسخة المكتبة الشاملة الموافقة للمطبوع كلمة حدثنا بين بشر بن موسى الأسدي وأبي بلال الأشعري- والتصحيح من المطبوع- فلينتبه لهذا.فعليه الأثر لا يثبت.

٢- أثر تعلم عبد الله بن عمر البقرة في ثماني سنين قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مقدمة التفسير(ص٣١ تحقيق عدنان زرزور):"وأقام ابن عمر على حفظ البقرة عدة سنين قيل ثمان سنين ذكره مالك". أقول: الخبر الذي فيه أن ابن عمر رضي الله عنه حفظها في ثمان سنين جاء بلاغاً في موطأ مالك؛فعن مالك(٤٨٨تحقيق خليل مأمون) أنه بلغه أن عبد الله بن عمر مكث على سورة البقرة ثماني سنين يتعلمها، وهذا لا يثبت من وجه مسند-بحسب بحثي وتصدير ابن تيمية له بقيل يُشعر أنه لا يثبت عنده-وقد أشار السيوطي في تنوير الحوالك(١٦٢/١) إلى خبر موصول عند ابن سعد في الطبقات حيث قال ابن سعد في الطبقات(١٦٤/٤ ط دار صادر):أخبرنا أخبرنا عبد الله بن جعفر قال: حدثنا أبو المليح، عن ميمون أن ابن عمر تعلم سورة البقرة في أربع سنين. أقول:وهذا إسناد صحيح ولا يضر الكلام عن اختلاط عبد الله بن جعفر الرقي فقد نص ابن حبان أنه كان يسيراً.والله أعلم.

والعلة في أنه حفظها في أربع سنين ليس لبطء حفظ فهو أحد الحفاظ المكثرين من حديث المطصفى صلى الله عليه وسلم لكن كما قال الباجي فيما نقل عنه السيوطي في التنوير:" ليس ذلك لبطء حفظه معاذ الله بل لأنه كان يتعلم فرائضها وأحكامها وما يتعلق بها" ولهذا أشار شيخ الإسلام ابن تيمية في المقدمة فبعدما قال ما نقلته عنه أولاً قال(ص٣١-٣٢): "وذلك أن الله تعالى قال:(كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته)وقال:(أفلا يتدبرون القرآن) وقال: (أفلم يدبروا القول)وتدبر الكلام بدون فهم

وقد ذكر هذا الاسم جماعة من المفسرين مثل: ابن عطية[١] والقرطبي[٢]، والثعالبي[٣]، والألوسي[٤]، كما ذكره الكرماني[٥] في العجائب، والسيوطي في الإتقان. واستدلوا في قولهم على:
-ما رواه الديلمي عن أبي سعيد الخدري مرفوعا : " السورة التي تذ كر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها؛ فإن تعلمها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة"[٦].
-وما روى الدارمي عَنْ خالدِ بن معدانَ قالَ:"سورةُ البقرةِ تعليمُهَا بركَةٌ وتركُهَا حسرةٌ، وَلاَ يستطيعُهَا البَطَلَةُ وهِيَ فُسطاطُ القرآن"[٧].
و(الفُسْطاط) بالضم والكسر: "المدينة التي فيها مُجْتَمَع الناس. وكل مدينة فُسْطاط، وقال الزمخشري: هو ضَرْب من الابنْية في السَّفر دون السُّرادِق وبه سُمِّيت المدينه. ويقال لمِصْروالبَصْرة: الفُسْطاط " [٨].

٤- سيدة سورالقرآن:

روي عن علي مرفوعا: " سيدُ البشر آدمُ وسيد العربِ محمدٌ ولا فخرٌ وسيدُ الفُرس سلمانُ وسيدُ الرومِ صُهيبٌ وسيدُ الحبشةِ بلالٌ وسيد الجبال الطورُ وسيدُ الأيام يومُ الجمعة وسيدُ القرآنِ سورةُ البقرة وسيدُ البقرةِ آيةُ الكرسي "[٩].

٥- كرسي القرآن

تفرد بهذا الاسم الفيروزآبادي[١٠]، وعلل في تسميتها بهذا الاسم لاشتمالها على آية الكرسي وهي أعظم آيات القرآن، دون أن يذكر مستنده في ذلك.
نستنتج مما سبق بأن الأسماء التوفيقية للسورة هي (البقرة والزهراء)، أما بقية الأسماء فهي اجتهادية ومستنبطة من الأحاديث التي وردت فيها.

مكية السورة ومدنيتها:

اتفق أهل العلم على أنها مدنية[١١]، وأنها أول سورة أنزلت بها[١].

معانيه لا يمكن"اهـ كلامه رحمه الله، فهو يشير رحمه الله أن هذه المدة التي قضاها ابن عمر في حفظ القرآن كان يحفظ ألفاظها ويتعلم أحكامها ويعمل بما فيها لا كما يفعل كثير من الجهلة اليوم الذين يتعاملون مع مسألة حفظ القرأن وكأنه لعبة من الألعاب من ينتهي قبل الثاني في أسرع وقت ممكن !!! فيخرج هذا الجاهل حافظاً للألفاظ فقط فلا علم ولا عمل فلم يزد إلا أن أقام حججاً عليه بعدد الآيات التي حفظها والله المستعان.

(١) انظر: تفسيره: ٨١/١.
(٢) انظر: تفسيره: ١٥٢/١.
(٣) انظر: تفسيره الجواهر الحسان: ٢٨/١.
(٤) انظر تفسيره: ٩٨/١.
(٥) انظر غرائب التفسير وعجائب التأويل:١٠٧/١.:
(٦)في مسند الفردوس ص:٥٥.
(٧) سنن الدارمي رقم الحديث (٣٣٧١).
(٨)النهاية في غريب الحديث لابن الأثير(٤٤٥/٣)لسان العرب (٣٧٢/٧).
(٩)مفاتيح الغيب للرازي (٥٦/٢).
(١٠) انظر: البصائر: ١٣٤/١.
(١١) ذكر الاتفاق على مدنيتها: الماوردي في النكت والعيون: ٦٣/١، والعز بن عبد السلام في تفسير القرآن: ٩٣/١، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم: ٤٩/١ و٥٠، وحكاه السيوطي في الإتقان: ١٤/١-١٥ عن أبي الحسن بن الحصار في كتابه الناسخ والمنسوخ، كما ذكر الاتفاق على مدنيتها القاسمي في محاسن التأويل: ٣١/٢، وابن عاشور في التحرير والتنوير: ٢٠١/١. والقول بمدنيتها قول ابن عباس وزيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير والحسن ومجاهد وعكرمة وجابر بن زيد وقتادة ومقاتل. انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٥٠/١، زاد المسير لابن الجوزي: ١٩/١-٢٠، الدر المنثور للسيوطي: ٤٦/١ والإتقان له: ١٢/١-١٥. وقد قال بذلك أيضاً: ابن عطية في المحرر الوجيز: ٩٣/١، والزركشي في البرهان في علوم القرآن: ١٩٤/١، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن: ١٥٢/١، والألوسي في روح المعاني: ٩٨/١. واستثنى الماوردي في النكت والعيون: ٦٣/١، والعز في تفسير القرآن: ٩٣/١ وقوم كما ذكر ذلك ابن الجوزي في زاد المسير: ٢٠/١ قوله-عز وجل-:

قالت عائشة[٢]-رضي الله تعالى عنها-: "ما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده صلى الله عليه وسلم"[٣]، ولم يدخل عليها إلا بالمدينة[٤].

ويجدر القول بأن سورة البقرة قد استمر نزولها في العهد المدني، لذا لا يتصور إمكانية حصر أسباب نزولها في سبب واحد لتعدد الأسباب في نزول الآيات، وسوف نذكر أسباب النزول إن وجدت في سياق تفسير الآيات ومرجعيتنا في ذلك، والله المستعان.

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومن وجوه المناسبة بين هذه السورة وبين سورة «الفاتحة» التي قبلها:

١- أن «الفاتحة» مشتملة على بيان وصوف الربوبية أولا، وأحكام العبودية ثانيا، وطلب الهداية في الدنيا والآخرة لسبيل الفالحين وصراط المهتدين ثالثا. وكذلك سورة «البقرة» مشتملة على بيان معرفة الرب؛ وأدب المعاملة معه سبحانه؛ والأمر بتوحيده والتحذير من الكفر به، وتشتمل على العبادات وتفصيلها وما يتعلق بها، وعلى بيان ما يحتاج العبد إليه في الدنيا والآخرة لهدايته الصراط المستقيم الذي يطلبه المؤمنون في آخر سورة الفاتحة، وفي أول البقرة يومئ السياق القرآني الحكيم إلى ذلك في قوله تعالى: {ذلك الكتاب لا ريب فيه هُدىً لِلْمُتَّقِينَ} [البقرة: ٢].

٢- لما افتتح سبحانه «الفاتحة» بالأمر الظاهر المحكم الذي يلتبس {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة : ٢]؛ وكان وراء كل ظاهرٍ في عالم الشهادة غيب وباطنٌ يجب على المتقين الإيمان به. افتتح الله تعالى سورة «البقرة» بما بطن سره وخفي أمره إلا على من شاء الله تعالى فقال سبحانه:{الم} [البقرة : ١]، وهى الحروف المقطعة التي يجب الايمان بحكمتها وتفويض معانيها للرب العلى إيمانا بالغيب الذي امتحن الله تعالى المتقين به ومدحهم على الإيمان به وبأمثاله من الغيب.. ولهذا قال الشعبي: " لكل كتاب سر، وسر القرآن: حروف التهجي في فواتح السور "[٥]، وقال أيضا: "سر الله تعالى فلا تطلبوه"[١].

{وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ} [البقرة:٢٨١]، قالوا: فإنها أنزلت يوم النحر بمنى في حجة الوداع. وليست بمستثناة على التعريف المختار، وهو: أن المكي ما نزل قبل الهجرة وإن كان بالمدينة، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان بمكة، نبه على ذلك الزركشي في البرهان في علوم القرآن: ١٨٧/١، وانظر: الإتقان للسيوطي: ١١/١-١٢. وإنما يدل ذلك على أن سورة البقرة لم تنزل جملة واحدة بل في مدد شتى كما ذكر ذلك ابن عطية في المحرر الوجيز: ٩٣/١ والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن: ١٥٢/١. كما ذكر السيوطي في الإتقان: ١٩/١ أنه اُستثني منها آيتان: {فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا} [البقرة:١٠٩]، {لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ} [البقرة: ٢٧٢] وهذا خلاف ما ذكره ابن كثير في تفسيره: ٤٩/١ من أن سورة البقرة جميعها مدنية بلا خلاف. وعلى القول بعدم مدنية هاتين الآيتين فإن ذلك لا يخرج السورة عن كونها مدنية، انظر: روح المعاني للألوسي: ٩٨/١. وقد ذكر الصابوني في تعليقه على معاني القرآن للنحاس: ٧٣/١ أن القول بمدنيتها قول الجمهور، ولم يأت على ذكر مخالف.

(١) حكى الاتفاق على ذلك ابن عاشور في التحرير والتنوير: ٢٠١/١ وهو قول ابن عباس وعكرمة. انظر: زاد المسير لابن الجوزي: ١٩/١، والدر المنثور للسيوطي: ٤٦/١، وقال به ابن كثير في تفسيره: ٤٩/١، والزركشي في البرهان: ١٩٤/١.

(٢) هي: أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق القرشية التيمية، أم عبد الله، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وبنى بها في المدينة، وكانت أحب أزواجه إليه، ولم يتزوج بكراً غيرها، أعلم نساء الأمة وأفقههن على الإطلاق، توفيت عام: ٥٧ أو ٥٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٣٥/٢، البداية والنهاية لابن كثير: ٩١/٨، الإصابة لابن حجر: ٣٤٨/٤.

(٣) البخاري-فتح-: ٦٥٥/٨ رقم: ٤٩٩٣.

(٤) ذكر ابن حجر في الفتح: ٦٥٧/٨ والسيوطي في الإتقان: ١٦/١ الاتفاق على ذلك، وكان بناء النبي صلى الله عليه وسلم بعائشة بعد بدر في شوال من السنة الثانية من الهجرة، وقيل: في السنة الأولى. انظر: المصادر المذكورة في الهامش رقم: (١).

(٥)ذكره السمعاني في تفسيره:١٦٣/٢، ونسبه إلى الشعبي، ونسبه البقاعي إلى أبي بكر الصديق، ولفظه:" لكل كتاب سر وسر القرآن هذه الحروف، ولا يعلم ما هي إلا واضعها سبحانه"، انظر: نظم الدرر :٢٧٤/٢٠، وكذا الآلوسي نسبه إلى الصديق، انظر: روح المعاني:١٠٣/١.وانظر: تفسير الطبري:٢٠٩/١، ولم ينسبه. وذكره القرطبي :١٥٤/ ١، في تفسير سورة البقرة،

يقول ابن عاشور:" وإذ قد كان نزول هذه السورة في أول عهد بإقامة الجامعة الإسلامية واستقلال أهل الإسلام بمدينتهم كان من أول أغراض هذه السورة تصفية الجامعة الإسلامية من أن تختلط بعناصر مفسدة لما أقام الله لها من الصلاح سعيا لتكوين المدينة الفاضلة النقية من شوائب الدجل والدخل"[٢]،ولعل هذا يدلك دلالة صريحة على اهمية ومكانة سورة البقرة ما يجعلها السورة الثانية بعد الفاتحة.

أغراض السورة ومقاصدها:

تتكوّن سورة البقرة بوحدتها الكاملة من مقدمة ثم أربعة مقاصد رئيسية تعقبها خاتمة، وفيها مقاصد الإسلام الكلية، ودلالات على أنّ القرآن الكريم كتاب هداية، وعلى لزوم الإيمان بالغيب. فأما مقدمتها فقد اعتنت بالتعريف بالقرآن الكريم وبيان ما فيه من هدىً وفلاحٍ للناس، وتأكيد أنّ ذلك بيّن واضح، لا يُنكره إلا من لا قلب له أو أن في قلبه مرض، وأما مقاصدها ففي ما يلي بيانها:

أولا:- دعوة الناس جميعاً لدين الإسلام، وترك ما كانوا عليه من أديان وعقائد أخرى، وإرشادهم إلى أنّ دين الإسلام هو الدين الحق الوحيد المقبول عند الله تعالى.

ثانيا:- الحديث حول أهل الكتاب ودعوتهم إلى التزام الحق الذي يدعو إليه القرآن الكريم واتّباعه، وترك أهوائهم وباطلهم واتباع دين الإسلام.

ثالثا:- التفصيل في الكلام والشرح عن شرائع دين الإسلام.

رابعا:- الحديث حول الدافع والوازع الديني الذي يدفع الإنسان للالتزام بشرع الله عز وجل، وينهاه عن تركه أو إهماله ومخالفته.

وقد خُتمت سورة البقرة بخاتمة تبيّن حقيقة الذين استجابوا واتبعوا هذه الدعوة الشاملة وهي دعوة الإسلام والتزموا بما فيها من مقاصد وتشريعات، وتوضّح ما يُرجى لهم في الدنيا وفي الآخرة.

وقد ورد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه" مكث على سورة البقرة، ثماني سنين يتعلمها"[٣].

فظلّ الإمام ابن عمرثماني سنين يتعلم ويحفظ سورة البقرة، ويسعى جاهداً لتحقيق ما فيها من أحكام وفرائض، وفي هذا دليل على أهمية مقاصد هذه السورة، وعظمة ما اشتملت عليه من أحكام في العبادات والمعاملات والعقيدة كذلك[٤].

وقد ثبت عن ابن عمر رضي الله عنه بإسناد صحيح متصل أنه مكث أربع سنين في تعلُّم سورة البقرة ، فقد روي ابن سعد عن عبد الله بن جعفر حدثنا أبو المليح عن ميمون " أن ابن عمر تعلّم سورة البقرة في أربع سنين"[٥].

وهل التعلم في الأثرين هو الحفظ أم الفقه والفهم ؟ الأمر محتمل ، وقد كان هدي الصحابة ، وهممهم منصرفة إلى التفقه والفهم.

قال أبو عبد الرحمن السلمي - أحد أكابر التابعين - :" حدثنا الذين كانوا يُقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا:فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً"[١].

عن أبي بكر وعلي-رضي الله عنها-،وفي هذا النسب ضعف، وذكره من أقوال عامر الشعبي وسفيان الثوري وجماعة من المحدثين فهو قول موقوف على هؤلاء العلماء إن صح عنهم.

(١) انظر: تفسير الألوسي ١/ ١٠٣.

(٢)التحرير والتنوير:١/ ٢٠٢..

(٣) موطأ الإمام مالك(٦٩٥):ص٢٨٧/٢. تحقيق: الأعظمي.

(٤) انظر: مقاصد سورة البقرة، إسلام ويب.[بتصرف]

(٥)الطبقات الكبرى:(٤ / ١٦٤).

روى الطبري بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : "كان الرجلُ منّا إذا تعلمَ عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرفَ معانيهن والعمل بهن"[٢].

وهذا يدلُّ على أن الصحابة - رضي الله عنهم - نقلوا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا يتعلمون منه التفسير مع التلاوة[٣] ؛ فبين لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه{وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} [النحل : ٤٤]، فنقل معاني القرآن عنه صلى الله عليه وسلم كنقل ألفاظه سواء ،بدليل قوله – تعالى:{وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} [النور : ٥٤]، وهذا يتضمن بلاغ المعنى ، وأنه في أعلى درجات البيان[٤].

قال الزرقاني – رحمه الله - : " ليس ذلك لبطء حفظه - معاذ الله - بل لأنه كان يتعلم فرائضها وأحكامها وما يتعلق بها ، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم كراهة الإسراع في حفظ القرآن دون التفقه فيه ، ولعل ابن عمر خلط مع ذلك من العلم أبواباً غيرها ، وإنما ذلك مخافة أن يتأوله على غير تأويله"[٥].

الناسخ والمنسوخ:

ذكروا فيها ثلاثين آية منسوخة[٦]:

- أولها قوله تعالى: {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُون} [البقرة : ٣]، اختلف أهل العلم في ذلك فقال طائفة وهم الأكثرون هي الزكاة المفروضة وقال مقاتل ابن حيان وجماعة هذا ما فضل عن الزكاة نسخته الزكاة المفروضة وقال أبو جعفر يزيد بن القعقاع نسخت الزكاة المفروضة كل صدقة في القرآن ونسخ صيام شهر رمضان كل صيام في القرآن ونسخ ذبيحة الأضحى كل ذبح.
- الآية الثانية قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا} [البقرة : ٦٢]، والناس في ذلك قائلان فقالت طائفة منهم مجاهد والضحاك ابن مزاحم هي محكمة وقدرونها ويقرؤونها بالمحذوف المقدر فيكون التقدير على قولهما: إن الذين آمنوا ومن آمن من الذين هادوا والنصارى، وقال الأكثرون هي منسوخة وناسخة عندهم :{وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ} [آل عمران : ٨٥].
- الآية الثالثة: قوله تعالى: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا} [البقرة : ٨٣]، و{حسنا} فيها قولان:

قال عطاء بن أبي رباح وأبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: هي محكمة، واختلفا بعد ما أجمعا على إحكامها، فقال محمد بن علي رضي الله عنه {وَقُولُوا لِلنَّاسِ}، أي: قولوا لهم إن محمدا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

وقال عطاء بن أبي رباح: "وقولوا للناس ما تحبون أن يقال لكم"[٧].

وقال ابن جريج: "قلت لعطاء: إن مجلسك هذا قد يحضره البر والفاجر أفتأمرني أن أغلظ على الفاجر، فقال: لا، ألم تسمع إلى قول الله تعالى: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا}"[٨].

وقال جماعة هي منسوخة وناسخها عندهم قوله تعالى: {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} [التوبة : ٥] الآية.

---

(١)الإتقان ، ٣٨٩/٢ ، التفسير الكبير ، ١٣٢/٢.
(٢) تفسير الطبري(٨١):ص٨٠/١.
(٣)التفسيرالكبير ، ١٣٢/٢.
(٤) الصواعق المرسلة ، ٤٤٠. .
(٥)شرح الزرقاني على موطأ الامام مالك: ٢٧/٢.
(٦) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ٣١-٥٩.
(٧) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ٣٢.
(٨) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ٣٣.

- الآية الرابعة: قوله تعالى: {فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا } [البقرة : ١٠٩]، نسخ ما فيها من العفو والصفح بقوله تعالى:{قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ} [التوبة : ٢٩] إلى قوله: {وَهُمْ صَاغِرُونَ} [التوبة : ٢٩]، وباقي الآية محكم.
- الآية الخامسة: قوله تعالى: {وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِب} [البقرة : ١١٥]، هذا محكم والمنسوخ منها قوله تعالى: {فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّه} [البقرة : ١١٥]، وذلك أن طائفة أرسلهم النبي -صلى الله عليه وسلم- في سفر فعميت عليهم القبلة فصلوا إلى غير جهتها فلما تبينوا ذلك رجعوا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأخبروه فنزلت هذه الآية: {وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّه} [البقرة : ١١٥].

وقال قتادة والضحاك وجماعة: "لما قدم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المدينة صلى نحو بيت المقدس سبعة عشر شهرا ثم حول الى الكعبة"(١).

قال هبة الله:" وهذا قول الأكثرين من أهل التاريخ منهم معقل بن يسار والبراء بن عازب وقال قتادة ثمانية عشر شهرا وفيها رواية أخرى عن ابراهيم الحربي قال فيها ثلاثة عشر شهرا وقال آخرون قالت اليهود بعد تحويل القبلة لا يخلو محمد من أمرين إما أن يكون كان على حق فقد رجع عنه وإما أن يكون على باطل فما كان ينبغي له أن يقيم عليه فأنزل الله تعالى: {وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ}، الآية، ثم نسخت بقوله: {وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَه} [البقرة : ١٤٤]"(٢).

- الآية السادسة: قوله تعالى:{وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُم} [البقرة : ١٣٩]، نسخ هذا بآية السيف على قول الجماعة.
- الآية السابعة: قوله تعالى:{إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ الله} [البقرة : ١٥٨]: هذا محكم، والمنسوخ قوله:{فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا} [البقرة : ١٥٨]، ومعناها: أن لا يطوف بهما، وكان على الصفا صنم يقال له إساف وعلى المروة صنم يقال له نائلة وكانا رجلا وأمرأة في الجاهلية فدخلا الكعبة فزنيا الكعبة فيها فمسخهما الله تعالى صنمين فوضعت المشركون الصنم الذي كان رجلا على الصفا والصنم الذي كان امرأة على المروة وعبدوهما من دون الله تعالى فلما أسلمت الأنصار تحرجوا أن يسعوا بينهما فأنزل الله تعالى:{إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ الله} [البقرة : ١٥٨]، الآية، ثم نسخ الله تعالى ذلك بقوله:{وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ} [البقرة : ١٣٠]، الآية.
- الآية الثامنة: قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى} [البقرة : ١٥٩]، إلى قوله:{وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ} [البقرة : ١٥٩]، نسخها الله تعالى عمن أسلم بالاستثناء وهو قوله تعالى {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا} [البقرة : ١٦٠].

وقال أبو هريرة:" لولا هذه الآية ما حدثتكم بشيء"(٣).

قال هبة الله:" ويقال من ورع العالم أن يتكلم ومن ورع الجاهل أن يسكت"(٤).

- الآية التاسعة: قوله تعالى:{إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّم} [البقرة : ١٧٣] الآية، نسخ الله تعالى بالسنة بعض الميتة والدم بقوله عليه السلام:"أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال"(٥)،

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة:٣٤ .
(٢) الناسخ والمنسوخ:٣٤-٣٥.
(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ٣٧.
(٤) الناسخ والمنسوخ: ٣٨.
(٥)أخرجه أحمد (٢/ ٩٧) أو رقم (٥٧٢٣) - شاكر- وابن ماجة (٣٢١٨، ٣٣١٤) والبيهقي في «السنن» (١/ ٢٥٤) وعبد بن حميد في «المنتخب من المسند» (٨٢٠) والبغوي في «شرح السنة» (١١/ ٢٤٤) والشافعي في «مسنده: (ص ٢٤٠ -

ثم قال:{وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ} [البقرة : ١٧٣]، ثم رخص للمضطر وللجائع غير الباغي والعادي بقوله تعالى {فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ} [البقرة : ١٧٣].

- الآية العاشرة: قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِ} [البقرة : ١٧٨] الآية، وذلك أن حيين اقتتلا قبل الإسلام بقليل وكان لأحدهما على الآخر طول فلم يقتص أحدهما من صاحبه حتى جاء الإسلام فقال الأكثرون لا نرضى أن يقتل بالعبد منا إلا الحر منهم وبالمرأة منا إلا الرجل منهم فسوى الله تعالى بينهما في القصاص ونزل:{كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى} [البقرة : ١٧٨] إلى ههنا موضع النسخ وباقي الآية محكم وأجمع المفسرون على نسخ ما فيها من المنسوخ واختلفوا في ناسخها قال العراقيون وجماعة ناسخها الآية التي في المائدة وهي قوله تعالى:{وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ} [المائدة : ٤٥] الآية. فإن قيل هذا كتب على بني إسرائيل كيف يلزمنا حكمه فالجواب على ذلك أن آخر الآية ألزمنا ذلك وهو قوله تعالى:{وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [المائدة : ٤٥].

وقال الحجازيون وجماعة: إن ناسخها الآية التي في بني إسرائيل وهي قوله تعالى:{وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ} [الإسراء : ٣٣]، وقتل المسلم بالكافر إسراف وكذلك قتل الحر بالعبد لا يجوز عند جماعة من الناس.

وقال العراقيون: يجوز واحتجوا بحديث ابن البيلماني أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قتل مسلما بكافر معاهد وقال أنا أحق من وفي بعهده.

- الآية الحادية عشرة: قوله تعالى:{كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ} [البقرة : ١٨٠]، نسخت بالكتاب والسنة فالكتاب قوله تعالى:{يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ} [النساء : ١١] الآية، والسنة قوله عليه السلام:"ألا لا وصية لوارث"[١].

العلمية) والدارقطني (٢/ ٢٧١) وابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٥٨٢). من طريق: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن ابن عمر مرفوعا.

وإسناده ضعيف؛ لأجل عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف جدا.

وتابعه أخوه عبد الله عند الدارقطني (٢/ ٢٧٢) وابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٥٠٣) والبيهقي (١/ ٢٥٤) وكذا أخوه أسامة.

قال البيهقي: «أولاد زيد كلهم ضعفاء، جرحهم يحيى بن معين، وكان أحمد بن حنبل وعلي بن المديني يوثقان عبد الله بن زيد، إلا أن الصحيح من هذا الحديث الأول».

قلت: يريد الموقوف على ابن عمر، فقد أخرجه (١/ ٢٥٤) من طريق: ابن وهب، عن سليمان بن بلال، عن زيد بن أسلم، عن ابن عمر موقوفا.

وأخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخه» (١٣/ ٢٤٥) من طريق: يحيى بن حسان، عن مسور بن الصلت، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري مرفوعا، بنحو منه.

وإسناده ضعيف جدا لأجل مسور بن الصلت؛ فهو متروك كما قال النسائي وغيره.

خلاصة القول أن الحديث لم يصحّ مرفوعا، ولكنه صحّ موقوفا والموقوف هنا له حكم المرفوع، لأن قول الصحابي: «أحلّ لنا كذا» أو «حرم علينا كذا». هو من نوع المرفوع كما هو مقرر في الأصول.

والحديث صحّحه موقوفا؛ أبو حاتم الرازي والدارقطني والبيهقي والنووي وابن حجر وأحمد شاكر والألباني وغيرهم.

انظر «المجموع» (٩/ ٢٥) و «التلخيص الحبير» (١/ ٣٦) و «فتح الباري» (٩/ ٥٣٦) و «كشف الخفاء» (١/ ٦٠ - ٦١/ ١٤٨) و «نصب الراية» (٤/ ٢٠٢) وتعليق العلامة أحمد شاكر على «المسند» (٨/ ١٠٢ - ١٠٥/ ٥٧٢٣) فقد أسهب في الكلام على الحديث و «الصحيحة» (١١١٨).

(١)أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٧) وأبو داود (٢٨٧٠) و (٣٥٦٥) والترمذي (٢١٢٠) وابن ماجة (٢٧١٣) وغيرهم، من حديث أبي أمامة الباهلي. وهو حديث صحيح، وفي الباب عن غيره من الصحابة تخريجها في «نصب الراية» (٤/ ٤٠٣).

وقال جماعة الآية كلها محكمة ذهب الى ذلك الحسن البصري وطاووس وقتادة والعلاء بن زيد ومسلم بن يسار[1].

- الآية الثانية عشرة: قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة : ١٨٣]، اختلف الناس في الإشارة إلى من هي فقال بعضهم الإشارة الى الأمم الخالية وهو قول الأكثرين، وذلك أن الله تعالى ما أرسل نبيا إلا فرض عليه وعلى أمته صيام شهر رمضان فكفرت به الأمم كلها وآمنت به أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) فيكون التنزيل على هذا الوجه مدحا لهذه الأمة، وقال بعضهم الاشارة الى النصارى وذلك أنهم كانوا إذا أفطروا وأكلوا وشربوا جامعوا النساء ما لم يناموا وكان المسلمين كذلك وزيادة عليهم كانوا إذا أفطروا وأكلوا وشربوا جامعوا النساء ما لم يناموا ويصلوا العشاء الآخرة فعمد أربعون رجلا من المهاجرين والأنصار فجامعوا نساءهم بعد النوم منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك أنه رواد امرأته عن نفسها فقالت إني كنت قد نمت وكان أي الزوجين إذا نام حرم على الآخر فلم يلتفت الى قولها فجامعها فجاءت الأنصار فأقرت على أنفسها عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بفعالها وأقر عمر على نفسه بفعله فقال له النبي (صلى الله عليه وسلم) لقد كنت يا عمر جديرا أن لا تفعل فقام يبكي وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) يمشي بالمدينة فرأى شيخا كبيرا من الأنصار يقال له صرمة بن قيس يكنى أبا قيس من بني النجار وهو يهادي بين رجلين ورجلاه تخطان الأرض خطا فقال له النبي (صلى الله عليه وسلم) ما لي أراك يا أبا قيس طليحا قال الشيخ هبة الله والطليح الضعيف فقال يا رسول أني دخلت على امرأتي البارحة فقالت علي رسلك أبا قيس حتى أسخن لك طعاما قد صنعته لك فمضت لإسخانه فحملتني عيناي فنمت فجائتني بالطعام فقالت الخيبة الخيبة حرم والله عليك الطعام والشراب فأصبحت طاويا وعملت في أرضي فغشي علي من الضعف فرق له النبي (صلى الله عليه وسلم) حتى دمعت عيناه وكان قصة صرمة قبل قصة عمر والأنصار فبدأ الله بقصة عمر والأنصار لأن الجناح في الوطء أعظم منه في الأكل والشرب فنزل:{أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ} [البقرة : ١٨٧]، إلى قوله:{فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُم} [البقرة : ١٨٧] في شأن عمر والأنصار، ونزل في قصة صرمة قوله تعالى:{وَكُلُوا وَاشْرَبُوا} [البقرة : ١٨٧]، إلى قوله:{ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ} [البقرة : ١٨٧]، فصارت هذه الآية ناسخة لقوله تعالى:{كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُم} [البقرة : ١٨٣] الآية[2].

- الآية الثالثة عشرة: قوله تعالى:{وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ} [البقرة : ١٨٤]، وهذه الآية نصفها منسوخ ونصفها محكم وقد قرأت "يطوقونه"، فمن قرأ {يطيقونه} أراد يطيقون صيامه ومن قرأ يطوقونه يعني يكلفونه وكان الرجل في بدء الإسلام مخيرا إن شاء صام وإن شاء أفطر وأطعم مكان يومه مسكينا حتى قال الله تعالى فمن تطوع خيرا وأطعم مسكينا بمكان يومه كان أفضل والإطعام مد من طعام على قول أهل الحجاز وعلى قول أهل العراق نصف صاع حتى أنزل الله تعالى الآية التي تليها وهي قوله تعالى:{فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ} [البقرة : ١٨٥]، وهذا الظاهر يحتاج إلى كشف، ومعناه -والله أعلم- من شهد منكم الشهر حاضرا عاقلا بالغا صحيحا فليصمه فصار هذا ناسخا لقوله تعالى {وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ}

- الآية الرابعة عشرة: قوله تعالى:{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا} [البقرة : ١٩٠]، أي: فتقاتلوا من لا يقاتلكم كان هذا في الابتداء ثم نسخ الله تعالى ذلك بقوله تعالى:{فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُم} [البقرة : ١٩٤]، وبقوله:{وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ٤٠.

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ٤٢-٤٣.

كَافَّةً} [التوبة : ٣٦]، أي: جميعا، وبقوله:{فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ} [التوبة : ٥] الآية.

- الآية الخامسة عشرة: قوله تعالى :{وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ} [البقرة : ١٩١]، صارت هذه الآية منسوخة بآية السيف.
- الآية السادسة عشرة قوله تعالى:{فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [البقرة : ١٩٢]، هذا من الأخبار التي معناها الآمر وتقديره: فاعفوا عنهم واصفحوا لهم صار ذلك العفو والصفح منسوخا بآية سيف.
- الآية السابعة عشرة: قوله تعالى:{وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ } [البقرة : ١٩٦]، نزلت في كعب بن عجرة الأنصاري وذلك أنه قال لما نزلنا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- الحديبية مر بي النبي -صلى الله عليه وسلم- وأنا أطبخ قدرا لي والقمل يتهافت على وجهي فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:"يا كعب بن عجرة لعلك يؤذيك هوام رأسك"، فقلت نعم يا رسول الله فقال:"ادع بحلاق فاحلق رأسك"[1]، ونزلت:{فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ} [البقرة : ١٩٦]، وفي الكلام محذوف تقديره: فحلق فعليه ما في قوله تعالى:{فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ} [البقرة : ١٩٦].
- الآية الثامنة عشرة: قوله تعالى:{يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ} [البقرة : ٢١٥] الآية، كان هذا قبل أن يفرض الله الزكاة فلما فرضت الزكاة نسخ الله بها كل صدقة في القرآن فقال الله تعالى إنما الصدقات للفقراء والمساكين الآية قال أبو جعفر يزيد بن القعقاع نسخت الزكاة كل صدقة في القرآن ونسخ شهر رمضان كل صيام ونسخ ذباحة الأضحى كل ذبح فصارت هذه ناسخة لما قبلها.
- الآية التاسعة عشرة: قوله تعالى:{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ} [البقرة : ٢١٧]، وذلك أنهم كانوا يمتنعون عن القتال في الجاهلية في الأشهر الحرم حتى خرج عبد الله ابن جحش وأمره النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يخرج الى بطن نخله يلقي بها عمرو الحضرمي فقاتله فقتله فعير المشركون المسلمين بقتل هذا الرجل لعمرو بن الحضرمي وكان قد قتل في آخر يوم من جمادى الآخرة وكان ذلك في ابتداء رجب، فأنزل الله تعالى هذه الآية يعظم الله شأن الشهر الحرام والقتل فيه ثم صارت منسوخه بقوله :{فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُم} [التوبة : ٥]، يعني: في الحل والحرام.
- الآية العشرون: قوله تعالى:{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ} [البقرة : ٢١٩]، فالخمر: كل ما خامر العقل وغطاه والميسر القمار كله وذلك أن الله تعالى حرم الخمر في اوطان خمسة فأولهن قوله تعالى:{وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا} [النحل : ٦٧]، فمعناها: وتتركون رزقا حسنا وهو تعيير من الله تعالى لهم فظاهرها تعدد النعم وليس كذلك فلما نزلت هذه الآية امتنع عن شربها قوم وبقي آخرون حتى قدم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المدينة فخرج حمزة بن عبد المطلب وقد شرب الخمر فلقيه رجل من الأنصار وبيده ناضح له والأنصاري يتمثل ببيتين لكعب بن مالك في مدح قومه وهما:

جمعنا مع الإيواء نصرا وهجرة ... فلم ير حي مثلنا في المعاشر
فأحياؤنا من خير أحياء من مضى ... وأماوتنا في خير أهل المقابر

فقال له حمزة: أولئك المهاجرون، فقال له الأنصاري: بل نحن الأنصار فتنازعا فجرد حمزه سيفه وعدا على الأنصار فلم يمكن الأنصاري أن يقوم له فترك ناضحه وهرب فظفر حمزة بالناضح وجعل يقطعه فجاء الأنصاري الى النبي -صلى الله عليه وسلم- مستعديا فأخبره بخبر

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ٤٦.

حمزه وفعاله بالناضح فغرم النبي -صلى الله عليه وسلم- له ناضحا، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله أما ترى الى ما نلقي من أمر الخمر إنها مذهبة للعقل متلفة للمال، فأنزل الله تعالى بالمدينة :{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِير} [البقرة : ٢١٩] ،وقد قريء:"كثير"، والمعنيان متقاربان،{وَمَنَافِعُ لِلنَّاس} [البقرة : ٢١٩]، وعلى هذا معارضة لقائل يقول أين المنفعة منها وقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن الله تعالى:"لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها". فالجواب على ذلك أنهم كانوا يبتاعونها في الشام بالثمن اليسير ويبيعونها في الحجاز بالثمن الثمين وكانت المنافع فيها من الأرباح وكذلك قال الله تعالى { قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِير}، فانتهى عن شربها قوم وبقي آخرون، حتى دعا محمد ابن عبد الرحمن بن عوف الزهري قوما فأطعمهم وسقاهم حتى سكروا فلما حضر وقت الصلاة صلوا المغرب فقدموا رجلا منهم يصلي بهم وكان أكثرهم قرآنا يقال له ابن أبي جعونه حليف الأنصار فقرأ فاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون فمن أجل سكره خلط فقال في موضع:{لَا أَعْبُدُ} [الكافرون : ٢]،"أعبد"، وفي موضع {أعبد} "لا أعبد"، فبلغ ذلك رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فشق عليه فأنزل الله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ} [النساء : ٤٣]الآية، فكان الرجل منهم يشرب الخمر بعد العشاء الأخيرة ثم يرقد ويقوم عند صلاة الفجر وقد صحا ثم كان يشربها إن شاء بعد صلاة الفجر فيصحوا منها عند صلاة الظهر فإذا كان وقت الظهر لم يشربها البتة حتى يصلي العشاء الأخيرة حتى دعا سعد بن أبي وقاص الزهري وقد عمل وليمة على رأس جزور فدعا أناسا من المهاجرين والأنصار فأكلوا وشربوا وسكروا وافتخروا فعمد رجل والأنصار فأخذ أحد لحيي الجزور فضرب به أنف سعد ففزره وجاء سعد مستعديا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأنزل الله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [المائدة : ٩٠]، وهذه الآية تدل على تحريم الخمر في القرآن لأن الله تعالى ذكره مع المحرمات واختلف المفسرون في موضع التحريم أهو ههنا أم غيره فقال الأكثرون ههنا وقال آخرون التحريم عند قوله تعالى:{فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُون} [المائدة : ٩١]، فقالوا: أنتهينا يا رسول الله، والمعنى: انتهوا كما قال في "الفرقان"{أَتَصْبِرُونَ } [الفرقان : ٢٠]، والمعنى اتقوا اصبروا وفي "الشعراء"{قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ} [الشعراء : ١١]، والمعنى: اتقوا وأكد تحريها بقوله تعالى:{قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقّ} [الأعراف : ٣٣]، والإثم: الخمر، فهذا تحريم الخمر وانتقاله في مواطنه.

- الآية الحادية والعشرون: قوله تعالى:{وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ} [البقرة : ٢١٩]، ومعنى العفو : الفضل من المال، وذلك أن الله تعالى فرض عليهم قبل الزكاة إذا كان للإنسان مال أن يمسك منه ألف درهم أو قيمتها من الذهب ويتصدق بما بقي وقال آخرون فرض عليهم أن يمسكوا ثلث أموالهم ويتصدقوا بما بقى وإن كان من أهل زراعة الأرض وعمارتها أمرهم أن يمسكوا ما يقيتهم حولا ويتصدقوا بما بقي وإن كان ممن يلي عمله بيديه أمسك ما يقوته يومه ويتصدق بما بقى فشق ذلك عليهم حتى أنزل الله تعالى الزكاة ففرض في المال الذهب والفضة إذا حال عليه الحول ربع عشرة إذا بلغ من الذهب عشرين دينارا أو من الورق مائتي درهم فيكون من كل عشرين دينارا نصف دينار ومن كل مائتي درهم خمسة دراهم فأسقط عنهم الفضل في ذلك فصارت آية الزكاة وهي قوله تعالى:{خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا} [التوبة : ١٠٣]، فبينت السنة أعيان الزكاة من الذهب والفضة والنخل والزرع والماشية فصارت هذه الآية ناسخة لما قبلها.
- الآية الثانية والعشرون: قوله تعالى :{وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنّ} [البقرة : ٢٢١]، هذا عام في جميع انواع الكفر فنسخ الله تعالى بعض أحكامها من اليهوديات والنصرانيات بالآية التي في سورة المائدة وهي قوله تعالى:{الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ

حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ} [المائدة : ٥] الى والطعام الذبائح فقط وهو عموم الآية، لأن الشرك يعم الكتابيات والوثنيات لأن المفسرين أجمعوا على نسخ الآية التي في سورة البقرة المذكورة وعلى إحكام الآية التي في المائدة غير عبد الله بن عمر فإنه يقول الآية التي في سورة البقرة محكمة والآية التي في سورة المائدة منسوخة وما تابعه على هذا القول أحد فإن كانت المرأة الكتابية عاهرة لم يجز نكاحها وإن كانت عفيفة جاز.

- الآية الثالثة والعشرون: قوله تعالى:{وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ} [البقرة : ٢٢٨] الآية، أجمع الناس على إحكام أولها وآخرها إلا كلمات في وسطها وذلك أن الله تعالى جعل عدة المطلقة ثلاثة قروء إذا كانت ممن تحيض وإن كانت أيسة فثلاثة أشهر وإن كانت ممن لم تحض فمثل ذلك والحوامل وضع حملهن فجيع ذلك محكم وهو أي المنسوخ من الآية قوله تعالى:{وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ} [البقرة : ٢٢٨]، وذلك أن الرجل كان يطلق المرأة وهي حامل وكان يخير في مراجعها ما لم تضع نزلت في رجل من غفار أو من أشجع يعرف بإسماعيل بن عبد الله جنى على امرأته فطلقها وهي حامل ثم لم يطل حكمها كما طال في حكم المنسوخ فكان أحق برجعتها ما لم تضع يقال أنه لم تضع امرأته حتى نسخت وناسخها الآية التي تلتها وبعض الثالثة وهي قوله تعالى:{الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ} [البقرة : ٢٢٩]، فإن قال قائل فأين الثالثة قيل هي قوله تعالى:{فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ} [البقرة : ٢٢٩]، يروى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال أخرون: بل نسخها الله تعالى بالآية التي تليها وهي قوله تعالى:{فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ} [البقرة : ٢٣٠].
- الآية الرابعة والعشرون: قوله تعالى:{وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا } [البقرة : ٢٢٩]، ثم استثنى بقوله تعالى:{إِلَّا أَنْ يَخَافَا} [البقرة : ٢٢٩]، يعني: يعلما {أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ} [البقرة : ٢٢٩]، وهو أن تقول المرأة تعني بعلها: والله لا أطأ لك فراشا ولا اغتسل لك جنابة ولا أطيع لك أمرا، وإذا قالت ذلك فقد أحل الله له الفدية ولا يحل له أن يأخذ أكثر مما ساق إليها من المهر فصارت الآية ناسخة لحكمها بالاستثناء.
- الآية الخامسة والعشرون: قوله تعالى:{وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ} [البقرة : ٢٣٣]، ثم نسخ الله الحولين بقوله:{فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا} [البقرة : ٢٣٣]، فصارت هذه الآية ناسخة للحولين الكاملين بالاتفاق.
- الآية السادسة والعشرون: قوله تعالى:{وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ} [البقرة : ٢٤٠]- كان رجل إذا مات عن أمرأته أنفق عليها من ماله حولا كاملا وهي في عدته ما لم تخرج فإن خرجت انقضت العدة ولا شيء لها وكانوا إذا أقاموا بعد الميت حولا عمدت المرأة فأخذت بعرة فألقتها في وجه كلب تخرج بذلك من عدتها عندهم فنسخ الله تعالى ذلك بالآية التي قبلها في النظم وهي قوله تعالى:{وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا} [البقرة : ٢٣٤]، فصارت الأربعة أشهر والعشر ناسخة للحول وليس في كتاب الله تعالى آية ناسخة في سورة إلا والمنسوخ قبلها إلا هذه الآية وآية أخرى في سورة الأحزاب وهي قوله تعالى:{لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ} [الأحزاب : ٥٢]، نسختها الآية التي قبلها وهي قوله: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ} [الأحزاب : ٥٠] الآية هذه الناسخة، والمنسوخة:{لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ} [الأحزاب : ٥٢]، ونسخ النفقة بالربع والثمن، فقال:{وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُم} [البقرة : ٢٣٤]، الى قوله:{وَعَشْرًا } [البقرة : ٢٣٤]، جميعها محكم غير أولها.
- الآية السابعة والعشرون: قوله تعالى:{لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} [البقرة : ٢٥٦] الآية، نسخها الله تعالى بآية السيف وذلك أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لما أجلى اليهود إلى أذرعات من الشام كان لهم

في أولاد الأنصار رضاع فقال أولاد الأنصار نخرج مع أمهاتنا أين خرجن فمنعهم آباؤهم فنزلت هذه الآية:{لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}، ثم صار ذلك منسوخا نسخته آية السيف.

- الآية الثامنة والعشرون: قوله تعالى:{وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ} [البقرة : ٢٨٢]، فأمر الله بالشهادة وقد كان جماعة من التابعين يرون أن يشهدوا في كل بيع وابتياع منهم الشعبي وإبراهيم النخعي كانوا يقولون إنا نرى أن نشهد ولو على جرزة بقل ويروي حزمة ثم نسخت الشهادة بقوله تعالى:{فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَه} [البقرة : ٢٨٣].
- الآية التاسعة والعشرون: قوله تعالى:{لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} [البقرة : ٢٨٤] هذا محكم، والمنسوخ قوله:{وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ ال} [البقرة : ٢٨٤] الآية، اختلف المفسرون في معناها فروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: إن الله تعالى يخبر الخلق يوم القيامة بما عملوا في الدنيا سرا وجهرا فيغفر للمؤمن ما أسر ويعاقب الكافر على ما أسر، وقال ابن مسعود: هي عموم في سائر أهل القبلة". وقال المحققون: لما نزلت هذه الآية شق نزولها عليهم وقالوا إنه يجول الأمر في نفوسنا لو سقطنا من السماء إلى الأرض لكان ذلك أهون علينا وقال المسلمون يا رسول الله لا نطيق فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-:" لا تقولوا كما قالت اليهود سمعنا وعصينا ولكن قولوا سمعنا واطعنا"[1]. فنزلت:{لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} [البقرة : ٢٨٦] الآية.
- الآية الثلاثون: قوله تعالى:{لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} [البقرة : ٢٨٦] ، علم الله تعالى أن الوسع لا يطاق فخفف الوسع بقوله تعالى:{يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} [البقرة : ١٨٥]، وقد قيل إن الله تعالى نسخ بآخر آية الدين أولها وقد روى عن النبي -صلى الله عليه وسلم- حجة لمن ذهب الى نسخ قوله:{أَوْ تُخْفُوهُ} [البقرة : ٢٨٤]، وهو قول النبي -صلى الله عليه وسلم-"إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يكلم به أو يعمل وعن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه"[2]، فهذا ما ورد في منسوخ سورة البقرة -والله تعالى أعلم-.

فضائل السورة:

ولسورة البقرة فضائل كثيرة وردت في القرآن والسنة الصحيحة منها:

١- أن فيها أعظم آية في القرآن وهي آية الكرسي قال تعالي:{ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ } [البقرة: ٢٥٥].

---

(١)أخرجه مسلم (١٢٥) وأحمد (٢/ ٤١٢) وأبو عوانة في «مسنده» (١/ ٧٥ - ٧٦/ ٢٢٢) وابن حبان (١/ ٢٥٠ - ٢٥١/ ١٣٩) والواحدي في «أسباب النزول» (ص ٩٤) وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٧٣/ ٣٠٦٠). من طرق؛ عن العلاء بن عبد الرحمن به.

(٢) الحديث:" إن الله تجاوز عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه".

حديث أبى ذر: أخرجه ابن ماجه (٦٥٩/١، رقم ٢٠٤٣) قال الحافظ فى التلخيص (٢٨٢/١) : فيه شهر بن حوشب، وفى الإسناد انقطاع. وقال البوصيرى (١٢٥/٢) : هذا إسناد ضعيف لاتفاقهم على ضعف أبى بكر الهذلى.

حديث ابن عباس: أخرجه الطبرانى (١٣٣/١١، رقم ١١٢٧٤) ، والدارقطنى فى الأفراد كما فى أطراف ابن طاهر (٢٢٠/٣ رقم ٣٤٧٩) ، والحاكم (٢١٦/٢، رقم ٢٨٠١) وقال: صحيح على شرط الشيخين. والبيهقى (٦٠/١٠، رقم ١٩٧٩٨) . وأخرجه أيضا: الطبرانى فى الصغير (٥٢/٢، رقم ٧٦٥).

وروي:" إن الله تجاوز لأمتى عما توسوس به صدورهم ما لم تعمل أو تتكلم به وما استكرهوا عليه".

أخرجه ابن ماجه (٦٥٩/١، رقم ٢٠٤٤) ، والبيهقى (٦١/١٠، رقم ١٩٧٩٩) .

وعن أبي بن كعب[١]قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ ". قال: قلت الله ورسوله أعلم قال: "يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟". قال: قلت {الله لا إله إلا هو الحي القيوم}، قال فضرب في صدري وقال: " والله ليهنك العلم أبا المنذر "[٢].

٢-وهي حافظة وكافية من شياطين الأنس والجن ودليل ذلك:

- حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال "وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقص الحديث فقال إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي لن يزال معك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح وقال النبي صلى الله عليه وسلم صدقك وهو كذوب ذاك شيطان[٣].
- وحديث أبي مسعود -رضي الله عنه- قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه"[٤].

٣- سورة البقرة وآياتها تطرد الشياطين من البيوت عند سماعها لأن وقعها عليهم شديداً ودليل ذلك:
حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنْ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ"[٥].
٤-أنهاتشفع للعبد يوم لا ينفع مال ولا بنون، إذ ثبت في السنة الصحيحة أنها تشفع للمسلم يوم القيامة لمن قرأها لبركتها ودليل ذلك:
حديث أبي أمامة[٦] تعالى قال: " سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ[٧] أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ[٨] تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ"[٩].

---

(١)أبي بن كعب بن قيس بن عبيد، من بني النجار، من الخزرج، أبو المنذر: صح أبي أنصاري.
كان قبل الإسلام حبرا من أحبار اليهود، مطلعا على الكتب القديمة، يكتب ويقرأ - على قلة العارفين بالكتابة في عصره - ولما أسلم كان من كتاب الوحي. وشهد بدرا واحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يفتي على عهده. وشهد مع عمر بن الخطاب وقعة الجابية، وكتب كتاب الصلح لأهل بيت المقدس. وأمره عثمان بجمع القرآن، فاشترك في جمعه. وله في الصحيحين وغيرهما ١٦٤ حديثا. وكان نحيفا قصيرا أبيض الرأس واللحية. مات بالمدينة - الأعلام للزركلي بتصرف يسير.
(٢)أخرجه مسلم برقم(١٣٤٣) بَاب فَضْلِ سُورَةِ الْكَهْفِ وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ، وصححها الألباني في الصحيحة برقم (٣٤١٠).
(٣)أخرجه البخاري برقم/ ١٠٢- باب إذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئا فأجازه الموكل.
(٤)البخاري رقم/٣٧٠٧- باب شهود الملائكة بدر، ومسلم رقم/ ١٣٤٠- بَاب فَضْلِ الْفَاتِحَةِ وَخَوَاتِيمِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ.
(٥)مسلم رقم(١٣٠٠)- بَاب اسْتِحْبَابِ صَلَاةِ النَّافِلَةِ فِي بَيْتِهِ وَجَوَازِهَا فِي الْمَسْجِدِ.
(٦)أبو أمامة الباهلي صاحب رسول الله -صلى الله عليه وسلم - ونزيل حمص. روى: علما كثيرا. وحدث عن: عمر، ومعاذ، وأبي عبيدة. روى عنه: خالد بن معدان، والقاسم أبو عبد الرحمن، وسالم بن أبي الجعد، وشرحبيل بن مسلم، وسليمان بن حبيب المحاربي، ومحمد بن زياد الألهاني، وسليم بن عامر، وأبو غالب حزور، ورجاء بن حيوة، وآخرون. وروي: أنه بايع تحت الشجرة.-سير أعلام النبلاء للذهبي مختصرا.(٣/٣٥٩) .
(٧)قال أهل اللغة: الغمامة والغياية، كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه من سحابة وغبرة وغيرهما. قال العلماء: المراد أن ثوابهما يأتي كغمامتين.
(٨)قال النووي في شرح مسلم " ومعناهما واحد، وهما قطيعان وجماعتان، يقال في الواحد: فرق وحزق وحزيقة أي جماعة" .
(٩)أخرجه مسلم برقم/ ١٣٣٧- بَاب فَضْلِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَسُورَةِ الْبَقَرَةِ.

٥- المواظبة علي قراءة أية الكرسي بعد الصلوات سبباً لدخول الجنة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة، لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت"(١).
وتجدر الإشارة بأن هناك عدة أحاديث منتشرة علي ألسنة العامة وهي ضعيفة لا تصح، وأذكر منها هنا علي سبيل المثال لا الحصر ما يلي:
- حديث "آيتان هما قرآن، وهما يشفعان، و هما مما يحبهما الله، الآيتان في آخر سورة البقرة"(٢).
- وحديث "من قرأ سورة البقرة، توج بتاج في الجنة (٣).
- وحديث "إن لكل شيء سناما، وإن سنام القرآن، سورة البقرة، من قرأها في بيته ليلا لم يدخله الشيطان ثلاث ليال، و من قرأها في بيته نهارا لم يدخله الشيطان ثلاثة أيام"(٤).

(١)انظر حديث رقم: ٦٤٦٤ في صحيح الجامع للألباني- رحمه الله.
(٢))ضعيف جدا) انظر حديث رقم ١٨ :في ضعيف الجامع للألباني- رحمه الله.
(٣)انظر حديث رقم: ١٠٦٩ في ضعيف الجامع للألباني- رحمه الله.
(٤)أنظر: السلسلة الضعيفة و الموضوعة " (٥٢٤/٣)، أخرجه ابن حبان في صحيحه (٧٨٠) (ج ٣ / ص ٥٩)، والطبراني في الكبير (٥٨٦٤) (ج ٦ / ص ١٦٣) وأبو يعلى في مسنده (٧٥٥٤) (ج ١٣ / ص ٤٦٥)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (ج٢ / ص ٨٧): حسن لغيره.
وهذا الحديث أيضاً فيه ضعف في الإسناد، ولكن الجملة الأولى: ((إن لكل شيء سناماً، وإن سنام القرآن البقرة)) ورد فيه أيضاً روايات أخرى ضعيفة عن ابن مسعود وعن ثلاثة من الصحابة أو أربعة، وكلها لا يخلو من ضعف، ولكن بعض أهل العلم يري أن هذه الجملة تتقوى بغيرها من الروايات، وهذه الروايات الضعيفة يقوي بعضها بعضاً، فيرون أن هذه الجملة: ((إن لكل شيء سناماً وإن سنام القرآن البقرة)) ترتقي إلى مرتبة الحسن.

سورة «آل عمران»

سورة «آل عمران»: هي السورة الثالثة من سور القرآن الكريم في ترتيب المصحف، وعدد آياتها مئتان بإجماع القُرَّاء، وكلماتها: ثلاثة آلاف وأربعمائة وثمانون. وحروفها: أربعة عشر ألفاً وخمسمائة وخمسة وعشرون حرفاً[1].

والآيات المختلف فيها سبع: {الم} [آل عمران : ١]، {الْإِنْجِيلَ} [آل عمران : ٤٨]الثاني، }أَنْزَلَ الْفُرْقَانَ} [آل عمران : ٤]، {وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ} [آل عمران : ٤٩] ، {مِمَّا تُحِبُّونَ} [آل عمران : ٩٢]، {مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ} [آل عمران : ٩٧]، {وَالْإِنْجِيلَ} [آل عمران : ٣] الأول -في قول بعضهم[2].

ومجموع فواصل آياتها (ل ق د اط ن ب م ر) يجمعها قولي: (لقد أطنب مُرّ) والقاف آخر آية واحدة:{ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} [آل عمران : ١٨١]، والهمز آخر ثلاث آيات {إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ} [آل عمران : ٥]، {إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ} [آل عمران : ٣٨]، {كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} [آل عمران : ٤٠][3].

أسماء السورة:

١- أسماؤها التوقيفية:

ولهذه السورة اسمان توقيفيان:

أحدهما: سورة «آل عمران»:

اشتهرت تسمية هذه السورة بـ«سورة آل عمران»، وبذلك عنونت في المصاحف وفي كتب التفسير والحديث، وقد ثبت تسميتها بهذا الاسم في حديث الرسول-صلى الله عليه وسلم-، وفي كلام الصحابة- رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

روي عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-:" اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه اقرءوا الزَّهْرَاوَيْنِ البقرة وآل عمران"[4].

وروي عنه-صلى الله عليه وسلم-:" يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران ... الحديث "[5].

وقد سماها الإمام عثمان بن عفان سرو آل عمران، إذ أخرج الدارمي في سننه عنه، أنه قال:" من قرأ سورة آل عمران في ليلة كتب له قيام ليلة"[6].

وقد وردت هذه التسمية عن الإمام ابن عباس-رضي الله عنهما، إذ قال:" بت عند خالتي ميمونة فاضطجعت في عرض الوسادة واضطجع النبي - صلى الله عليه وسلم - وأهله في طولها فنام النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل ثم استيقظ فجلس يمسح النوم عن وجهه بيديه ثم قرأ العشر الآيات الخواتيم من سورة آل عمران ثم قام إلى شن معلق فتوضأ منها فأحسن وضوءه ثم قام يصلى فصنعت مثل ما صنع ثم ذهبت فقمت إلى جنبه فوضع يده على رأسى وأخذ بأذنى يفتلها فصلى

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزي، للفيروزآبادي:١٥٨/١.

(٢) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٣) انظر: المصدر نفسه: ١٥٩/١.

(٤)أورده أبو عبيد فى غريب الحديث (٩٣/١) ، وأخرجه أحمد (٢٤٩/٥، رقم ٢٢٢٠٠) ، وابن الضريس فى فضائل القرآن (ص ٥٩، رقم ٩٨) ، وابن حبان (٣٢٢/١، رقم ١١٦) ، والطبرانى (١١٨/٨، رقم ٧٥٤٢) ، والحاكم (٧٥٢/١، رقم ٢٠٧١) ، والبيهقى (٣٩٥/٢، رقم ٣٨٦٢) . وأخرجه أيضاً: مسلم (٥٥٣/١، رقم ٨٠٤) ، والطبرانى فى الأوسط (١٥٠/١، رقم ٤٦٨) ، والرويانى (٣٠٥/٢، رقم ١٢٥٤) وأورده الغمارى فى المداوى (١٢٩/٢) وعزاه لحميد بن زنجويه..

(٥)أخرجه أحمد (١٨٣/٤، رقم ١٧٦٧٤) ، ومسلم (٥٥٤/١، رقم ٨٠٥).

(٦) سنن الدارمي، كتاب فضائل القرآن، باب"في فضل آل عمران، حديث(٣٣٩٦):ص٥٤٤/٢.

ركعتين ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم أوتر فاضطجع حتى جاءه المؤذن فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم خرج فصلى الصبح"[١].

ووجه تسميتها بسورة «آل عمران»، أنها ذكرت فيها أسرة آل عمران وفضائلها، وقد جاء ذكر «عمران» في هذه السورة مرتين في آيتين متاليتين، وذلك في قوله:{إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٣٤) إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥)} [آل عمران : ٣٣ - ٣٥].

واختلف في «عمران» المذكور هنا، على قولين:

أحدهما: أنه موسى وهارون ابنا عمران. قاله مقاتل[٢].

والثاني: أنه المسيح، لأن مريم بنت عمران، وهذا قول الحسن[٣].

قال ابن كثير: " المراد بـ«عمران» هذا: هو والد مريم بنت عمران، أم عيسى ابن مريم، عليهم السلام"[٤].

قال الزمخشري: " وآل عمران موسى وهرون ابنا عمران ابن يصهر. وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان، وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة"[٥].

قال الآلوسي:" يرجح كون المراد به أبا مريم أن الله تعالى ذكر اصطفاءها بعد ونص عليه وأنه قال سبحانه: {إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرانَ} [آل عمران: ٣٥]، والظاهر أنه شرح لكيفية الاصطفاء المشار إليه بقوله تعالى:{وَآلَ عِمْرانَ}"[٦].

والثاني:- سورة «الزهراء»:

وهي تشترك بهذه التسمية مع سورة«البقرة»، وتسمى بذلك، لأنها كشفت عما التبس على أهل الكتابين من شأن عيسى عليه السلام.

وقد وردت تسميتها بذلك في حديث النبي صلى الله عليه وسلم، فيما رواه أبو أمامة الباهلي، إذ قال: " اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه اقرءوا الزهراوين البقرة وآل عمران ..الحديث"[٧].

وذكر القرطبي في وجه التسمية ثلاثة أقوال[٨]:

أحدها: إنهما النيرتان، مأخوذ من الزّهْر والزُّهْرة ؛ فإما لهدايتهما قارئهما بما يزهر له من أنوارهما، أي من معانيهما.

والثاني: وإما لما يترتب على قراءتهما من النور التام يوم القيامة.

والثالث: سميتا بذلك لأنهما اشتركتا فيما تضمنه اسم الله الأعظم؛ كما ذكره أبو داود وغيره عن أسماء بنت يزيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين {وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} والتي في آل عمران {اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} "[١][٢].

---

(١)أخرجه مالك (١٢١/١، رقم ٢٦٥) ، أخرجه عبد الرزاق (٣٧/٣، رقم ٤٧٠٨).
(٢)انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١/ ٢٧١.
(٣)انظر: النكت والعيون: ١/ ٣٨٦.
(٤)تفسير ابن كثير: ٢/ ٣٣.
(٥)الكشاف: ١/ ٣٥٤.
(٦) روح المعاني:١٢٧/٢.
(٧)أورده أبو عبيد فى غريب الحديث (٩٣/١) ، وأخرجه أحمد (٢٤٩/٥، رقم ٢٢٢٠٠) ، وابن الضريس فى فضائل القرآن (ص ٥٩، رقم ٩٨) ، وابن حبان (٣٢٢/١، رقم ١١٦) ، والطبرانى (١١٨/٨، رقم ٧٥٤٢) ، والحاكم (٧٥٢/١،رقم ٢٠٧١) ، والبيهقى (٣٩٥/٢، رقم ٣٨٦٢) . وأخرجه أيضا: مسلم (٥٥٣/١، رقم ٨٠٤) ، والطبرانى فى الأوسط (١٥٠/١، رقم ٤٦٨) ، والرويانى (٣٠٥/٢، رقم ١٢٥٤) وأورده الغمارى فى المداوى (١٢٩/٢) وعزاه لحميد بن زنجويه.
(٨) أنظر: تفسير القرطبي: ٣/٤.

٢-أسماؤها الاجتهادية:

ولهذه السورة عدة تسميات اجتهادية:

إحداها:- سورة«طيبة»

لم يثبت هذا الاسم عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، ولا عن الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين-، وإنماوردت هذه التسمية في كتب المفسرين واستدلوا بما أخرجه سعيد بن منصور عن أبي عطاف، قال:"اسم آل عمران في التوراة طيبة"[٣].

وفي الدارمي عن ابي السليل، قال:" أصاب رجل دما، قال: فأوى إلى وادي مجنة-واد لا يمشي فيه أحد إلا أصابته حية-، وعلى شفير الوادي راهبان، فلما أمسى، قال أحدهما لصاحبه: هلك والله الرجل، قال: فافتتح سورة«آل عمران»، قالا: فقرأ سورة طيبة لعله سينجو، قال: فأصبح سليما"[٤].

ومن المفسرين الذين ذكروا هذا الاسم في كتبهم: ابن عطية[٥]، وأبو حيان[٦]، والقاسمي[٧]، والسيوطي في الإتقان[٨].

وتسمى بذلك، لجمعها من أصناف الطيبين في قوله: {الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ} [آل عمران : ١٧][٩].

ثانيا:-سورة«الكنز»

وردت هذه التسمية عند بعض المفسرين كأبي حيان[١٠]، والآلوسي[١١]، وكما يبدو أنهم اقتبسوها من حديث عبدالله بن مسعود موقوفا، قال:" نعم كنز الصعلوك سورة آل عمران، يقوم بها الرجل في آخر الليل"[١٢]، كما ذكر القرطبي في تفسيره أنها كنز الصعلوك[١٣].

وسبب تسميتها بـ«الكنز»، لتضمنها الأسرار العيسوية[١٤].

ثالثا:- سورة«الأمان»

سميت بذلك، لأن من تمسك بما فيها أمن من الغلط في شأنه[١٥].

رابعا:- سورة «المجادلة»

وتسمى بذلك، لنزول نيّف وثمانين آية منها في مجادلة رسول الله صلّى الله عليه وسلم نصارى نجران[١٦].

خامسا:- سورة «الاستغفار»

---

(١) تفسير القرطبي: ٤/٣.
(٢)رواه الترمذي (٣٤٧٨) وأبو داود (١٤٩٦) وابن ماجه (٣٨٥٥)
(٣) سنن سعيد بن منصور، كتاب التفسير، تفسير"سورة آل عمران"، حديث رقم(٥٥٣):ص١١٣٨/٣.
(٤) سنن الدارمي، كتاب فضائل القرآن، باب" في فضل آل عمران"، حديث(٣٣٩٩):ص٥٤٤/٢.
(٥) انظر: المحرر الوجيز:٣٩٦/١.
(٦) انظر: البحر المحيط:٩/٣.
(٧)انظر: محاسن التأويل:٧٤/٣.
(٨) انظر: الاتقان:١٧٢/١.
(٩) انظر: تفسير المهايمي:١٠١/١.
(١٠)انظر: البحر المحيط:٩/٣ .
(١١) انظر: روح المعاني:٧٣/٣.
(١٢) أخرجه الدارمي، كتاب فضائل القرآن، باب"في فضل آل عمران"، حديث(٣٣٩٨):ص٥٤٤/٢.
(١٣) انظر: تفسير القرطبي:٢/٤.
(١٤) انظر: تفسير المهايمي:١٠١/١.
(١٥) انظر: تفسير المهايمي:١٠١/١.
(١٦) انظر: تفسير المهايمي:١٠١/١.

وذلك لما فيها من قوله:{ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحارِ} [آل عمران: ١٧] [(١)].

سادسا: سورة «المعينة»

ذكرها الآلوسي في تفسيره دون أن يورد وجه تسميتها بذلك[(٢)].

ويجدر القول بأن هذه التسميات التي ذكرها المفسرون لم ترد فيها أحاديث عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، ولا عن صحابته-رضوان الله عليهم-، وإنما هي اوصاف وصفت بها السورة، ولعلهم اقتبسوها من القرطبي فيما ساقه من أوصاف هذه السورة في المسألة الثالثة، إذ يقول:" هذه السورة ورد في فضلها آثار وأخبار، فمن ذلك ما جاء أنها أمان من الحيات، وكنز للصعلوك، وأنها تحاج عن قارئها في الآخرة، ويكتب لمن قرأ آخرها في ليلة كقيام ليلة، إلى غير ذلك."[(٣)].

مكية السورة ومدنيتها:

وهذه السّورة مَدَنية باتّفاق جميع المفسرين[(٤)].

أخرج الطبري وابن أبي حاتم[(٥)]عن الربيع:أن "النصارى أتو النبي صلى الله عليه وسلم، فخاصموه في عيسى ابن مريم، وقالوا: من أبوه؟ فقالوا على الله الكذب والبهتان، لا إله إلا الله لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: ألستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت، وأن عيسى يأتي عليه الفناء؟ قالوا: بلى. قال: ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شيء يكلأه ويحفظه ويرزقه؟ قالوا: بلى. قال: فهل يملك عيسى من ذلك شيء؟ قالوا: لا، قال: أفلستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء؟ قالوا بلى: قال: فهل يعلم عيسى من ذلك شيء إلا ما علم؟ قالوا لا: قال: فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف يشاء، ألستم تعلمون أن ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث؟ قالوا: بلى، قال: ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها، ثم غذي كما يغذى الصبي، ثم كان يطعم الطعام، ويشرب الشراب ويحدث الحدث؟ قالوا: بلى، قال: فكيف يكون هذا كما زعمتم؟ فعرفوا ثم أبوا إلا جحودا، فأنزل الله: {الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم}"[(٦)].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

فمن وجوه المناسبة بين هذه السورة وبين سورة «البقرة» التي قبلها:

أولا:- تسميتهما بالزهراوين.

روى الإمام مسلم في "صحيحه" عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:"اقرؤوا الزهراوين: البقرة، وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صوافّ، تحاجَّان عن أصحابهما"[(٧)].

ففي هذا الحديث، وغيره من الأحاديث الواردة في حق هاتين السورتين، ما يدل على ترابط وتناسب وتلازم بين هاتين السورتين الكريمتين.

---

(١) انظر: تفسير المهايمي:١٠١/١.
(٢) انظر: روح المعاني:٧٣/٣.
(٣) تفسير القرطبي:٢/٤.
(٤) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزي، للفيروزآبادي:١٥٨/١.
(٥) انظر:تفسير ابن أبي حاتم(٣١٢٤):ص٥٨٥/٢.
(٦) انظر: تفسير الطبري(٦٥٤٤):ص١٥٤/٦، واخرجه الطبري بنحوه عن جعفر بن الزبير، وفيه تسمية رؤساء وفد نجران، انظر: تفسير الطبري(٦٥٤٣):ص١٥١/٦-١٥٤، وانظر: النكت والعيون: ٣٦٧/١، وأسباب النزول، الواحدي: ٩٧-٩٨، والعجاب في بيان الاسباب: ٦٥٧/٢-٦٥٨.
(٧) سبق تخريجه.

ثانيا:- أنهما افتتحتا بذكر الكتاب - وهو القرآن - فجاء في سورة البقرة مجملاً في قوله تعالى:{ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ} [البقرة : ٢]، بينما جاء ذكر الكتاب في سورة آل عمران مؤكّدًا ومفصِّلاً لما في البقرة، قال تعالى :{نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ} [آل عمران : ٣] .
ثالثا:- ومن وجوه المناسبات بين السورتين، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: {وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} ، وفاتحة سورة آل عمران:{ الم . اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}"(١).
وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "اسْمُ اللَّهِ الأعظَمُ فِي سُوَرٍ مِنَ القُرآنِ ثَلَاثٍ : فِي «البَقَرَةِ» وَ«آلِ عِمرَانَ» وَ«طَهَ»"(٢).
وبذلك قد اشتملت السورتان الكريمتان على اسم الله الأعظم، الذي إذا دُعي به أجاب.
رابعا: ولما كانت سورة البقرة قد عالجت شبهات اليهود وادعاءاتهم بشيء من البسط والتفصيل، وتعرضت لشبهات النصارى على وجه الإجمال؛ جاءت -بالمقابل- سورة آل عمران تواجه وتعالج شبهات النصارى بشي من التفصيل، وبخاصة ما يتعلق منها بـ عيسى عليه السلام، وما يتعلق بعقيدة التوحيد الخالص، كما جاء به دين الإسلام. وتصحح لهم ما أصاب عقائدهم من انحراف وخلط وتشويه. وتدعوهم إلى الحق الواحد الذي تضمنته كتبهم الصحيحة التي جاء القرآن بتصديقها؛ مع إشارات وتقريعات لليهود، وتحذيرات للمسلمين من دسائس أهل الكتاب .
وقد قال أصحاب كتب أسباب النزول: إن الآيات الأوَل من سورة آل عمران نزلت في وفد نجران، وكانوا يدينون بالنصرانية، وكانوا من أصدق قبائل العرب تمسكًا بدين المسيح عليه السلام .
وذكر الإمام السيوطي بناء على قاعدته، أن كل سورة تالية شارحة لمجمل ما جاء في السورة قبلها، العديد من أوجه المناسبات، نختار منها الأوجه التالية(٣) :
اولا:- أنه سبحانه ذكر في سورة البقرة إنزال الكتاب مجملاً، في قوله:{ذلك الكتاب}[البقرة:٢] بينما ذكره في سورة آل عمران مفصلاً، قال تعالى:{منه آيات محكمات هنَّ أم الكتاب وأُخَرُ متشابهات}[آل عمران:٧].
ثانيا:-جاء في سورة البقرة قوله سبحانه:{وما أُنزل من قبلك}[البقرة:٤]مجملاً، في حين جاء في سورة آل عمران مفصلاً، قال تعالى:{وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس}[آل عمران:٤]، فصرح هنا بذكر الإنجيل؛ لأن السورة خطاب للنصارى، ولم يقع التصريح بالإنجيل في سورة البقرة، وإنما صرح فيها بذكر التوراة خاصة؛ لأنها خطاب لليهود.
ثالثا:-أنه تعالى ذكر الشهداء في سورة البقرة على وجه الإجمال، فقال تعالى:{ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات}[البقرة:١٥٤]، بينما فصَّل القول في أحوالهم، وما صاروا إليه في سورة آل عمران، فقال سبحانه:{بل أحياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون * يستبشرون بنعمة من الله وفضل}[آل عمران:١٦٩-١٧١].
رابعا:-أنه سبحانه افتتح سورة البقرة بقصة آدم وخلقه من تراب، دون أب ولا أم؛ وذكر فى سورة آل عمران نظيره فى الخلق من غير أب وهوعيسى عليه السلام؛ ولذلك ضَرَب له المثل بـ آدم .قالوا: وقد اختصت سورة البقرة بذكر آدم عليه السلام؛ لأنها أول السور، وهو أول فى الوجود وسابق؛ ولأنها الأصل، وهذه كالفرع والتتمة لها، فاختصت بالأغرب، ولأنها خطاب لليهود الذين قالوا في مريم عليها السلام ما قالوا، وأنكروا وجود ولد بلا أب؛ ففُوتحوا بقصة آدم؛ لتثبت فى أذهانهم، فلا تأتى قصة عيسى عليه السلام،

(١)رواه الترمذي (٣٤٧٨)، وأبو داود (١٤٩٦)، وابن ماجه (٣٨٥٥). والحديث ضعيف ، فيه عبيد الله بن أبي زياد وشهر بن حوشب ، وكلاهما ضعيف. .
(٢)رواه ابن ماجه (٣٨٥٦) وحسَّنه الألباني في " صحيح ابن ماجه " .
(٣) انظر: تناسق الدرر في تناسب السور:٧٠ وما بعدها [بتصرف].

إلا وقد ذُكِر عندهم ما يشهد لها من جنسها، ولأن قصة عيسى عليه السلام قيست على قصة آدم، والمقيس عليه لا بد وأن يكون معلومًا، لتتم الحجة بالقياس، فكانت قصة آدم، والسورة التى هي فيها، جديرة بالتقديم .
خامسا:-ومما يقوي المناسبة والتلازم بين السورتين الكريمتين، أن خاتمة سورة آل عمران جاءت مناسبة لفاتحة سورة البقرة؛ وبيان ذلك أن سورة البقرة افتتحت بذكر المتقين، وأنهم هم المفلحون، بينما خُتمت سورة آل عمران بقوله تعالى:{واتقوا الله لعلكم تفلحون}[آل عمران:٢٠٠] وأيضًا افتتحت سورة البقرة بقوله سبحانه:{والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك}[البقرة:٤] وختمت سورة آل عمران بقوله سبحانه:{وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم}[آل عمران:١٩٩]
سادسا:- وقد ورد أن يهود لما نزل قول الله جلَّ وعلا:{من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا}[البقرة:٢٤٥]، قالوا: يا محمد، افتقر ربك يسأل عباده القرض، فنزل ردٌّ الله عليهم:{لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء}[آل عمران:١٨١] وهذا مما يقوي التلازم بين السورتين أيضًا.
سابعا: أنه وقع فى سورة البقرة، حكاية قول إبراهيم عليه السلام:{ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم آياتك}[البقرة:١٢٩] ووقع في سورة آل عمران قوله سبحانه:{لقد مَنَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم}[آل عمران:١٦٤] والتلازم بين الآيتين هنا في غاية الظهور .
ولا شك أن وراء ما ذكرنا من مناسبات بين السورتين، أمورًا أُخر، لكن حسبنا ما أتينا عليه من أوجه المناسبات، كدلالة على التلازم والتناسب بين سور القرآن الكريم، والذي يدل قبل هذا على أن القرآن الكريم تنزيل من رب العالمين.

أغراض السورة ومقاصدها:

لقد تضمنت هذه السورة الكريمة جملة من المقاصد، نذكر منها :
أولاً:-تقرير أصول الشريعة المتمثلة في عقيدة التوحيد والعدل والنبوة والمعاد، دل على ذلك قوله سبحانه:{الله لا إله إلا هو الحي القيوم}[آل عمران:٢]، وقوله سبحانه:{شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط}[آل عمران:١٨]. وقوله عز وجل:{إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين}[آل عمران:٣٣]. وقوله سبحانه:{ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد}[آل عمران:٩].
كما أنها قصدت إلى تقرير بعض الأحكام التكليفية كالحج :{ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا}[آل عمران:٩٧]، والجهاد:{ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون}[آل عمران:١٦٩]، وغيرهما. وأيضاً فقد قصدت إلى بيان جملة من الآداب السلوكية، وهو ما قررته الآية الجامعة وهي قوله تعالى:{يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون}[آل عمران:٢٠٠].
ثانياً:- من المقاصد الرئيسة التي نزلت لأجلها هذه السورة مجادلة النصارى فيما هم فيه من عقائد باطلة، وإبطال مذهبهم، ونفي الشبهات التي تضمنتها معتقداتهم المنحرفة، أو التي تعمدوا نثرها حول صحة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم. وقصة عيسى عليه السلام -وما جاء من القصص مكملاً لها- تؤكد هذه الحقيقة، وتنفي فكرة الولد والشريك، وتستبعدهما استبعاداً كاملاً؛ وتظهر زيف هذه الشبهة، وسخف تصورها؛ وتبسط مولد مريم عليها السلام وتاريخها، ومولد عيسى عليه السلام وتاريخ بعثته وأحداثها، بطريقة لا تدع مجالاً لإثارة أية شبهة في بشريته الكاملة. فكان من مقاصد هذه السورة الأساسية، بيان فيصل التفرقة بين عقيدة التوحيد الخالصة الناصعة، وبين عقائد أصحاب الديانات المنحرفة والمضللة.
ثالثاً :من مقاصد هذه السورة كشف الصراع الأصيل والدائم بين أهل الإيمان والتوحيد وبين أهل الكفر والشرك. هذا الصراع الذي لم يفتر منذ ظهور الإسلام، بل هو صراع مستمر ومتطور، يبذل فيه أعداء هذا الدين ما وسعهم من جهد وحيلة ومكيدة وخداع وكذب وتدبير؛ للبس الحق بالباطل، وبث الريب والشكوك، وتبييت الشر والضر لهذه الأمة، من غير ملل ولا كلل. وقد بصَّرت هذه السورة المؤمنين بحقيقة ما هم عليه

من الحق، وحقيقة ما عليه أعداؤهم من الباطل، وشرحت طباع أعداء هذه الأمة وأخلاقهم وأعمالهم ونياتهم، وفضحت ما يضفونه على أنفسهم من مظاهر العلم والمعرفة والتقدم .

رابعاً :من مقاصد هذه السورة بيان حال المؤمنين مع ربهم؛ حيث عرضت جملة صالحة من أخبار النخبة المختارة من البشر، التي اصطفاها سبحانه لأداء رسالته، وجعلها ذرية بعضها من بعض. وتتمثل هذه الصور المشرقة في حديث امرأة عمران مع ربها، ومناجاته في شأن وليدتها. وفي حديث مريم مع زكريا عليه السلام. وفي دعاء زكريا عليه السلام ونجواه ربه. وفي رد الحواريين على نبيهم، ودعائهم لربهم.

خامساً :قصدت هذه السورة إلى ولوج ميدان النفس المؤمنة، من حيث تصوراتها، ومشاعرها، وأطماعها، وشهواتها، ودوافعها، وكوابحها. وقد عالجت السورة هذه النفس بكل رفق وتلطف وإرشاد وتوجيه، نلمس ذلك في الآيات التي تحدثت عن وقائع غزوة أُحد، وما جرى فيها من تمحيص للنفوس، وفحص للقلوب، وتمييز للصفوف، وتحرير لكثير من آفات الفكر والسلوك والمشاعر في الصف المسلم؛ وذلك بتميز المنافقين من المؤمنين، وتوضيح سمات النفاق وسمات الصدق، في القول والفعل، وفي الشعور والسلوك، وتبيين تكاليف الإيمان، وتكاليف الدعوة إليه، ومقتضيات ذلك كله من الاستعداد بالعلم والعمل، والتزام الطاعة والاتباع بعد هذا كله، والتوكل على الله وحده، في كل خطوة من خطوات الطريق، ورد الأمر إلى الله وحده في النصر والهزيمة، وفي الموت والحياة، وفي كل أمر وفي كل اتجاه.

سادساً :هدفت هذه السورة إلى تقرير سُنَّة بالغة الأهمية في حياة المسلم، وهي أن وقائع الحياة وأحداثها - نصراً وهزيمة، نجاحاً وفشلاً، تقدماً وتأخراً- إنما تجري وفق سنن الله الجارية التي أقام على وفقها هذا الكون، أنها سُنَّة الأخذ بالأسباب الظاهرة، وهذا ما عبرت عنه الآية الكريمة، وهي قوله تعالى:{أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم}[آل عمران:١٦٥]، فالأمور كلها منوطة بالعمل وَفْق سنن الله التي وضعها، فإذا أخذ بها المسلم نجح وتقدم، وإذا أعرض عنها أو تجاهلها خسر وتأخر، وما أصاب الإنسان من شر، إنما هو بما كسبت يداه.

سابعاً :من مقاصد هذه السورة بيان أن هذا الكون كتاب مفتوح، يحمل بذاته دلائل الإيمان وآياته; ويوحي بأن وراء هذه الحياة الدنيا حياة أخرى وحساباً وجزاء. يرشد لهذا المقصد ما جاء من آيات في أواخر هذه السورة، التي ابتدأت بقوله سبحانه:{إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب}[آل عمران:١٩٠]، وخُتمت بقوله تعالى:{ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار}[آل عمران:١٩٣].

فجاءت هذه الآيات لتوجه القلوب والأنظار إلى هذا الكتاب المفتوح -كتاب الكون-؛ الذي لا تفتأ صفحاته تقلب على مر السنين والأيام، فتتبدى في كل صفحة آية موحية، تستجيش في الفطرة السليمة إحساساً بالحق المستقر في صفحات هذا الكتاب، وفي روعة صنع هذا النظام، ورغبة في الاستجابة لخالق هذا الكون[١].

الناسخ والمنسوخ:

السورة تحتوي من المنسوخ على عشر آيات:

- الآية الأولى: قوله تعالى: {فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا} [آل عمران : ٢٠] هذا محكم، والمنسوخ قوله تعالى {وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ} [آل عمران : ٢٠]، نسختها آية السيف
- الآية الثانية: قوله تعالى: {لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ} [آل عمران : ٢٨] هذا محكم، والمنسوخ قوله تعالى: {إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً} [آل عمران : ٢٨]، نسختها أية السيف

(١) انظر: مقاصد سورة آل عمران، إسلام ويب.

- الآية الثالثة والرابعة والخامسة متصلات أولهن بآخرهن، قوله تعالى: {كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِم} [آل عمران : ٨٦] الى قوله تعالى: {وَلَا هُمْ يُنْظَرُون} [آل عمران : ٨٨]، نزلت في ستة رهط ارتدوا عن الإسلام ثم استثنى الله واحدا منهم يقال له سويد ين الصامت من الأنصار وذلك أنه ندم على فعاله وأرسل إلى أهله يسألون رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هل له من توبة فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:" نعم"، فصارت فيه وفي كل نادم إلى يوم القيامة.
- الآية السادسة: قوله تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ} [آل عمران : ٩٧]، قال السدي: فهذه على العموم ثم استثنى الله بما بعدها فصار ناسخا لها وهو قوله تعالى: {مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا } [آل عمران : ٩٧]، فخص المستطيعين فسئل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن السبيل ما هو فقال: "هو الزاد والراحلة"(١).
- الآية السابعة: قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ} [آل عمران : ١٠٢]، وذلك أنه لما نزلت ألآية لم يعلموا ما تأويلها حتى سألوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم)-، فقالوا: يا رسول الله ما حق تقاته؟ فقال صلى الله عليه وسلم:"حق تقاته أن يطاع فلا يعصى وأن يذكر فلا ينسى وأن يشكر فلا يكفر"(٢). فشق نزولها عليهم فقالوا يا رسول الله إننا لا نطيق ذلك فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:" لا تقولوا كما قالت اليهود سمعنا وعصينا ولكن قولوا سمعنا وأطعنا"(٣). ونزل وبعدها بيسير:{وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ} [الحج : ٧٨] ، فكان هذا أعظم عليهم من الأول، ومعناها: اعملوا حق عمله وكادت عقولهم تذهل حتى يسر الله تعالى ذلك وسهل فنزل:{فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُم} [التغابن : ١٦]، فصارت ناسخة لما كان قبلها.
- الآية الثامنة: قوله تعالى:{لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى} [آل عمران : ١١١] الآية، نسختها:{قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ} [التوبة : ٢٩].
- الآية التاسعة: قوله تعالى:{وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلً} [آل عمران : ١٤٥] هذا محكم، والمنسوخ قوله تعالى: {وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا} [آل عمران : ١٤٥]، فنسخ ذلك قوله تعالى:{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ} [الإسراء : ١٨].
- الآية العاشرة: قوله تعالى:{لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ } [آل عمران : ١٨٦] هذا محكم الى قوله تعالى:،{أَذًى كَثِيرًا} [آل عمران : ١٨٦]، قوله تعالى:{وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُور} [آل عمران : ١٨٦] نسخ ذلك بقوله تعالى:{قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ} [التوبة : ٢٩](٤).

فضائل السورة:

---

(١)حديث ابن عمر: أخرجه ابن جرير (١٦/٤) ، والبيهقي (٣٢٧/٤، رقم ٨٤٠٦) .
حديث الحسن: أخرجه ابن جرير (١٦/٤) ، والبيهقي (٣٢٧/٤، رقم ٨٤٠٧).
حديث الحسن عن أمه عن عائشة: أخرجه البيهقي (٣٣٠/٤، رقم ٨٤٢٣).
(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ٦٢.
وأخرج ابن أبي حاتم (٣٩٠٨):٧٢٢/٣، عن عبد الله :" {اتقوا الله حق تقاته}، قال: أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر. قال: قال ابن أبي حاتم: وروي عن مرة الهمداني والربيع بن خثيم، وعمرو بن ميمون، والحسن، وطاوس، وقتادة، وإبراهيم النخعي وأبي سنان، والسدي نحو ذلك".
(٣) . قال ابن كثير: هذا إسناد صحيح موقوف ٢/ ٧١
(٣) سبق تخريجه.
(٤) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ٦٠-٦٤.

ورد في هذه السورة مجموعة من الفضائل:
أولا:- عن النواس بن سمعان، عن النبي-صلى الله عليه وسلم-: " يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران كأنها غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق أو كأنها فرقان من طير صاف يحاجان عن صاحبهما"[١].
ثانيا:- عن أبي أمامه قال:سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه اقرءوا الزهراوين البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن أصحابهما...الحديث"[٢].
ثالثا:- عن عائشة- رضي الله عنها- أن النبي عليه الصلاة والسلام قال:" من أخذ السبع الأول من القرآن فهو حَبر"[٣].
ومعنى:«من أخذ السبع» :قيل: حفظها, وعمل بها, وجعل تلاوتها وردًا له، وقيل معنى أخْذِهَا: المواظبة على تلاوتها, والتدبر في معانيها, والعمل بما فيها.
فهو حبر :أي: عالم. وفي بعض روايات الحديث :فهو خير .أي: في أخذها خير كثير وأجر عظيم.
قال الإمام المناوي:" «من أخذ السَّبع»، أي: السور السبع الأول من القرآن كما في رواية أحمد وغيره «فهو خير له»، أي: من حفظها واتخذ قراءتها وردا فذلك خير كثير، يعني بذلك: كثرة الثواب عند الله تعالى"[٤].
والسور السبع الطوال من أول القرآن هي: «البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والتوبة»[٥].
رابعا:- وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام قال :"أعطيت السبع الطّوَل مكان التوراة"[٦].
قال الإمام المناوي:" «مكان التوراة»، أي: بدل ما فيها"[٧].
خامسا:- عن مكحول، قال:" من قرأ سورة آل عمران يوم الجمعة، صلّت عليه الملائة إلى الليل"[٨].
سادسا:- وقال عبدالله بن مسعود:" نعم كنز الصعلوك سورة آلأ عمران، يقوم بها في آخر الليل"[٩].

---

(١)أخرجه أحمد (١٨٣/٤، رقم ١٧٦٧٤) ، ومسلم (٥٥٤/١، رقم ٨٠٥)..
(٢)أورده أبو عبيد فى غريب الحديث (٩٣/١) ، وأخرجه أحمد (٢٤٩/٥، رقم ٢٢٢٠٠) ، وابن الضريس فى فضائل القرآن (ص ٥٩، رقم ٩٨) ، وابن حبان (٣٢٢/١، رقم ١١٦) ، والطبرانى (١١٨/٨، رقم ٧٥٤٢) ، والحاكم (٧٥٢/١، رقم ٢٠٧١) ، والبيهقى (٣٩٥/٢، رقم ٣٨٦٢) . وأخرجه أيضا: مسلم (٥٥٣/١، رقم ٨٠٤) ، والطبرانى فى الأوسط(١٥٠/١، رقم ٤٦٨) ، والرويانى (٣٠٥/٢، رقم ١٢٥٤) وأورده الغمارى فى المداوى (١٢٩/٢) وعزاه لحميد بن زنجويه..
(٣)رواه أحمد (٢٤٤١٢) ورجاله ثقات سوى حبيب بن هند ، وثق. ورواه الحاكم (٢١١٤) بلفظ (من أخذ السبع الأول من القرآن فهو خير) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. قال المحدث الألباني في السلسلة الصحيحة(٢٣٠٥): الحديث حسن أو قريب منه.اهـ.
(٤) فيض القدير:٤١/٦.
(٥) انظر: السلسلة الصحيحة للشيخ العلامة الالباني(٢٣٠٥).
(٦)رواه أبو عبيد في فضائل القرآن (١٢٠)، والطبراني في الكبير(١٨٧/١٧) والبيهقي في الشعب (٢٢٥٦)، قال المحدث أحمد شاكر في تفسير الطبري(١٠٠/١): إسناده صحيح. وقال المحدث الألباني في الصحيحة(١٤٨٠): الحديث بمجموع طرقه صحيح.
(٧) فيض القدير:٥٦٥/١.
(٨) أخرجه الدارمي في سننه، كتاب فضائل القرىن، باب"في فضل آل عمران"، حديث(٣٣٩٧):ص٥٤٤/٢، والحديث رجاله كلهم ثقات.
(٩) اخرجه الدارمي في سننه، كتاب فضائل القرآن باب" في فضل آل عمران"، حديث(٣٣٩٨):ص٥٤٤/٢، كما أخرجه أبو عبيد في فضائله:ص١٢٧، باب "فضل سورة البقرة وآل عمران والنساء"، والبيهقي (٢٦١٦):ص٥٢٩/٢، وعبدالرزاق في

مصنف:٣٧٥/٣.
والحديث إسناده ضعيف، لاجل جابر بن زيد، وهو ضعيف كما قال الحافظ في التقريب:١٣٧، وقال النسائي وغيره: متروك، وقال يحيى: لايكتب حديثه، واتهم بالكذب. انظر: الميزان:٣٧٩/١، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه على الاعتبار ولا يحتج به، وقال أبو زرعة: جابر الجعفي لين. انظر: الجرح والتعديل: ٤٩٧/٢.

سورة «النساء»

سورة «النساء»: هي الرابعة في ترتيب المصحف، فقد سبقتها سورة الفاتحة، والبقرة، وآل عمران، وعدد آياتها: مائة وخمس وسبعون، في عدّ الكوفىّ، وستّ فى عدِّ البصرىّ، وسبع فى عدّ الشَّامىّ، وكلماتها: ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمس وأربعون، وحروفها: ستَّة عشر ألفاً وثلاثون حرفاً[1].

والآيات المختلف فيه منهما آيتان[2]:

إحداهما: {أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيل}[النسا:٤٤].

وثانيتهما:{عَذَابًا أَلِيْمًا}[النساء:١٧٣].

فالكوفيون يثبتون الأولى آية فقط، والشاميون يثبتون الثانية أيضا، وأما علماء الحجاز والبصريون فيرون أن ما ذكره الكوفيون والشاميون إنما هو جزء من آية وليس آية كاملة.

ومجموع فواصل الآيات: «م، ل، ان»، يجمعها قولك: «مِلَنَا»، فعلى اللاَّم آية واحدة:{السَّبِيلَ} [النساء : ٤٤]، وعلى النُّون آية واحدة: {مُهِينٌ} [النساء : ١٤]، وخمس آيات منها على «الميم» المضمومة، وهي: الآيات:[١٢، ١٣، ٢٥، ٢٦، ١٧٦]، وسائر الآيات على «الألف».

أسماء السورة:

١-سورة النساء

عرفت السورة بـ«سورة النساء»، وهو اسم توقيفي عنونت به في المصاحف وكتب التفسير والسنة، وقد عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- تسميتها بهذا الاسم، فقد روي أنه قال لعمر-رضي الله عنه- لما كرر السؤال عن الكلالة: :«تكفيك آية الصيف التي أنزلت في آخر سورة النساء» [3].

وعن أبي مليكة أنه سمع ابن عباس-رضي الله عنه- يقول:"سلوني عن سورة النساء، فغني قرأت القرآن وانا صغير"[4].

وعن ابن عباس –أيضا- :"من قرأ سورة النساء فعلم ما يحجب مما لا يحجب علم الفرائض"[5].

كما جاءت في ملام بعض الصحابة رضوان الله عليهم كعائشة وابن عباس، فقد أخرج البخاري عن عائشة-:"ما نزلت سورة النساء إلا وأنا عنده"[6].

وسورة «النساء» سميت بهذا الاسم، لأن ما نزل منها في أحكام النساء أكثر مما نزل في غيرها.

٢-سورة النساء الطولى أو الكبرى

و يطلق عليها اسم «سورة النساء الكبرى»، تمييزا لها عن سورة أخرى عرضت لبعض شئون النساء، وهي: «سورة الطلاق» التي كثيرا ما يطلق عليها اسم «سورة النساء الصغرى»[7].

وفي صحيح البخاري عن عبدالله بن مسعود:"أنزلت سورة النساء القصرى بعد الطولى"[8].

مكان نزول السورة:

---

(١) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١٦٩/١، وروح المعاني، للآلوسي:٣٨٩/٢.

(٢) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١٦٩/١، وروح المعاني، للآلوسي:٣٨٩/٢.

(٣) أخرجه الطبري(١٠٨٨٦):ص٤٤١/٩.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك(٣١٧٨):ص٣٣٠/٢.

(٥) أخرجه ابن ابي شيبة في مصنفه:٢٣٤/١١.

(٦) صحيح البخاري(٤٩٩٣):ص٤٠/٢٤، والحديث ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» :٢/ ٣، والسيوطي في «الدر المنثور» :٢/ ٢٠٥، وعزاه للبخاري، وانظر: تفسير القرطبي:١/٥، وزاد المسير:٣٦٦/١، والجواهر الحسان، للثعالبي:١٥٩/٢.

(٧) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١٦٩/١، والتفسير الوسيط لطنطاوي:٨/٣

(٨) صحيح البخاري(٤٩١٠):ص٣٧٦/٦.

إن هذه السّورة مدنيّة بإجماع القُرَّاءِ[١]،وكان نزولها بعد سورة الممتحنة، وفي مكان نزولها أقوال:
أحدها: أنها مكية، رواه عطية عن ابن عباس[٢]، وهو قول الحسن[٣]، ومجاهد[٤]، وجابر بن زيد[٥]، وقتادة[٦]، واختاره النحاس[٧]، والسمرقندي[٨].
والثاني: أنها مدنية، رواه عطاء عن ابن عباس[٩]، وهو قول مقاتل[١٠].
قال الطنطاوي:" والحق، أن الذي يقرأ سورة النساء من أولها إلى آخرها بتدبر وإمعان، يرى في أسلوبها وموضوعاتها سمات القرآن المدني. فهي زاخرة بالحديث عن الأحكام الشرعية: من عبادات ومعاملات وحدود. وعن علاقة المسلمين ببعضهم وبغيرهم. وعن أحوال أهل الكتابوالمنافقين، وعن الجهاد في سبيل الله. إلى غير ذلك من الموضوعات التي يكثر ورودها في القرآن المدني"[١١].
والثالث: وقيل: إنها مدنية، إلا آية نزلت بمكة في عثمان بن طلحة حين أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يأخذ منه مفاتيح الكعبة، فيسلمها إلى العباس، وهي قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} [النساء : ٥٨]. ذكره الماوردي[١٢]، وابن عطية[١٣].
واختاره القرطبي، وقال:"هي مدنية إلا آية واحدة نزلت بمكة عام الفتح في عثمان بن طلحة الحجبي وهي قوله: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} [النساء : ٥٨]"[١٤].
والرابع: أنها مدنية إلا آية واحدة، وهي آية الكلالة[١٥]، وهذا القول منسوب للطبرسي[١٦].
والخامس: وقيل: أنها مدنية إلا آيتين[١٧]:
الآولى: قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} [النساء : ٥٨]، نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف في شأن مفتاح الكعبة ليرده إلى بني شيبة[١].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٣٥٣/١، وغريب القرآن لابن قتيبة:١١٨/١، وتفسير الطبري:٣٣٩/٦، ومعاني القرآن للنحاس:٥/٢، وتفسير القرطبي: ١/٥، والكشف والبيان:٢٤١/٣، والبيان في القرآن:١٤٦/١، والوسيط للواحدي:٣/٢، وتفسير البغوي:١٨٥/٢، والكشاف:٤٦١/١، وزاد المسير: ٣٦٦/١، ومصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور للبقاعي: ٨٦/٢، والدر المنثور: ٤٢٣/٢، وغيرها.
(٢)انظر: وزاد المسير: ٣٦/١.
(٣)انظر: وزاد المسير: ٣٦/١.
(٤)انظر: وزاد المسير: ٣٦/١.
(٥)انظر: وزاد المسير: ٣٦/١.
(٦)انظر: وزاد المسير: ٣٦/١.
(٧) انظر: معاني القرآن:٧/٢.
(٨) انظر: تفسير السمرقندي:٢٧٨/١.
(٩)انظر: وزاد المسير: ٣٦/١.
(١٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٣٥٣/١.
(١١) التفسير الوسيط:٨/٣.
(١٢) انظر: وزاد المسير: ٣٦/١، ولم أجده في تفسيره النكت والعيون.
(١٣) انظر: المحرر الوجيز: ٣/٢..
(١٤) تفسير القرطبي:١/٥..
(١٥) وهي قوله:{يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [النساء : ١٧٦].
(١٦) انظر: تفسير الآلوسي:٣٨٩/٢، الهامش..
(١٧) ذكره مرعي بن يوسف المقدسي، انظر: قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن، مرعي بن يوسف بن أبى بكر بن أحمد الكرمى المقدسي الحنبلى (المتوفى: ١٠٣٣هـ):ص٨٢.

والثانية: قوله تعالى:{وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا} [النساء : ١٢٧]، نزلت بمكة في سؤال جابر بن عبد الله الأنصاري[٢].

والراجح أنها مدنية، فقد روي عن عائشة أنها قالت: "ما نزلت سورة النساء إلا وأنا عنده"[٣]. تقصد عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قال القرطبي:"تعني قد بنى بها، ولا خلاف بين العلماء أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما بنى بعائشة بالمدينة، ومن تبين أحكامها علم أنها مدنية لا شك فيها، وأما من قال: إن قوله: {يا أيها الناس}، مكي حيث وقع، فليس بصحيح، فإن البقرة مدنية وفيها قوله: {يا أيها الناس} في موضعين[٤]، وقد تقدّم. والله أعلم"[٥].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومن وجوه المناسبة بين هذه السورة وبين سورة "آل عمران" التي قبلها[٦]:

أولا: أن سورة "آل عمران" اختتمت بالأمر بالتقوى في قوله- تعالى-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران : ٢٠٠]

وسورة "النساء" افتتحت بالأمر بالتقوى، قال- تعالى-:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} [النساء : ١].

قال الألوسي:"وذلك من آكد وجوه المناسبات في ترتيب السور، وهو نوع من أنواع البديع يسمى في الشعر تشابه الأطراف، وقوم يسمونه بالتسبيغ[٧]، وذلك كقول ليلى الأخيلية[٨]:

إذا نزل الحجاج أرضا مريضة ... تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذي بها ... غلام إذا هز القناة رواها
رواها فأرواها بشرب سجالها ... دماء رجال حيث نال حشاها"[٩].

ثانيا: ومن وجوه المناسبة كذلك: أن في "آل عمران" ذكر قصة "أحد" مستوفاة، وفي هذه السورة ذكر ذيلها، وهو قوله تعالى: {فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ} [النساء: ٨٨]، فإنه نزل فيما يتعلق بتلك الغزوة على ما ستسمعه إن شاء الله تعالى مرويا عن البخاري ومسلم وغيرهما.

---

(١) انظر الخبر في: تفسير الطبري(٩٨٤٦):ص٤٩١/٨-٤٩٢، و تفسير ابن المنذر(١٩٢٠):ص٧٦٢/٢. [وسنده ضعيف جداً؛ فيه علتان. الأولى: الإعضال، والثانية ضعف سنيد الذي أخرجه الطبري من طريقه].

(٢) انظر: الخبر في :تفسير الطبري(١٠٥٥٢): ص٢٥٧/٩.[وسنده ضعيف، يه علتان: الأولى: الإعضال. والثانية: ضعف أسباط]. وفي سبب نزول الآية أختلاف كما سياتي بيانه في تفسير الآية إن شاء الله.

(٣) صحيح البخاري(٤٩٩٣):ص٤٠/٢٤، والحديث ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» :٢/ ٣، والسيوطي في «الدر المنثور» :٢/ ٢٠٥، وعزاه للبخاري، وانظر: تفسير القرطبي:١/٥، وزاد المسير:٣٦٦/١، والجواهر الحسان، للثعالبي:١٥٩/٢.

(٤) وهو قوله:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة : ٢١، و{يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} [البقرة : ١٦٨].

(٥) تفسير القرطبي:٥/٥، وانظر: تفسير العز بن عبدالسلام:٣٠١/١.

(٦) انظر: روح المعاني:٣٨٩/٢، والتفسير الوسيط لطنطاوي:٨/٣.

(٧)وهو :"أن يختم الكلام بما يناسب ابتداءه فى المعنى؛ نحو: {لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}[الأنعام:١٠٣]". انظر: عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاءالدين السبكي:٢٣٤/٢.

وفي الشعر :"أن يجعل الشاعر قافية بيته الأوّل أوّل البيت الثانى، وقافية الثانى أوّل الثالث، وهكذا إلى انتهاء كلامه". انظر: نهاية الإرب في فنون الادب، النزيري:١٨١/٧.

(٨) انظر: الأغاني:٢٤٨/١١، والبحر المحيط:١٤١/٦، وتفسير القرطبي:٨٠/٤.

(٩) روح المعاني:٣٨٩/٢.

ثالثا: ومنها: أن في "آل عمران" ذكر الغزوة التي بعد "أحد"، كما أشرنا إليه في قوله تعالى: {الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ} [آل عمران: ١٧٢] إلخ، وأشير إليها هاهنا بقوله سبحانه: {وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغاءِ الْقَوْمِ} [النساء: ١٠٤] الآية.
رابعا: ومنها: أن في كلتا السورتين محاجة لأهل الكتاب، وبيانا لأحوال المنافقين، وتفصيلا لأحكام القتال[(١)].
وبذلك يظهر أن تأخير سورة "النساء" عن "آل عمران" أنسب من تقديمها عليها كما في مصحف ابن مسعود، لأن المذكور هنا ذيل لما ذكر هناك وتابع، فكان الأنسب فيه التأخير[(٢)].
قال الألوسي:"ومن أمعن نظره وجد كثيرا مما ذكر في هذه السورة مفصلا لما ذكر فيما قبلها، فحينئذ يظهر مزيد الارتباط وغاية الاحتباك"[(٣)].

مقاصد السورة:

سورة النساء تعتبر أطول سورة مدنية بعد سورة البقرة. وإنك لتقرؤها بتدبر وتفهم فتراها قد اشتملت على مقاصد عالية، وآداب سامية. وتوجيهات حكيمة، وتشريعات جليلة، وفيما يأتي مجمل ما اشتملت عليه سورة النساء[(٤)]:
أولا:-بيان خلقة آدم وحواء، والأمر بصلة الرحم، والنهى عن أكل مال اليتيم وما يترتب عليه من عظم الإثم والعذاب لآكليه، وبيان المناكحات، وعدد النساء وحكم الصداق، وحفظ المال من السفهاء، وتجربة اليتيم قبل دفع المال إليه، والرفق بالأقارب وقت قسمة الميراث، وحكم ميراث أصحاب الفروض وذكر ذوات المحارم وبيان طول الحرة، وجواز التزوج بالأمة واجتناب الكبائر، وفضل الرجال على النساء، وبيان الحقوق، وحكم السكران وقت الصلاة. وآية التيمم.
ثانيا:- ذم اليهود وتحريفهم التوراة، ورد الأمانات إلى أهلها. في الآيات [١- ٥٨]، وصفة المنافقين فى امتناعهم عن قبول أوامر القرآن. في الآيات:[٦٠- ٦٨].
ثالثا:-الأمر بالقتال. في الآيات: [٧١- ٨٥].
رابعا:- وجوب رد السلام والنهى عن موالاة المشركين، وتفصيل قتل العمد والخطأ. في الآيات: [٨٦- ٩٣].
خامسا:- فضل الهجرة ووزر المتأخرين عنها، والإشارة إلى صلاة الخوف حال القتال. في الآيات: [٩٤- ١٠٣] .
سادسا:-النهى عن حماية الخائنين، وإيقاع الصلح بين الأزواج والزوجات وإقامة الشهادات، ومدح العدل في الآيات: [١٠٤- ١٣٥].
سابعا:- ذم المنافقين. وذم اليهود، وذكر قصدهم من قتل عيسى- عليه السلام- في الآيات: [١٣٦- ١٦١].
ثامنا:- فضل الراسخين فى العلم وإظهار فساد اعتقاد النصارى وافتخار الملائكة والمسيح بمقام العبودية، وذكر ميراث الكلالة. في الآيات: [١٦٢-١٧٦].

الناسخ والمنسوخ:

السورة تحتوي من المنسوخ على أربع وعشرين آية[(٥)]:

- الآية الأولى قوله تعالى:{لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُون} [النساء : ٧] إلى قوله: {مَفْرُوضًا} [النساء : ٧]، نزلت: في أم كحة الأنصارية وفي ابنتيها وفي ابني عمها وذلك أن بعلها مات وخلف مالا فأخذه أبنا أخيه ولم يعطيا البنات منه شيئا وكان ذلك

---

(١) انظر: التفسير الوسيط لطنطاوي:٨/٣.
(٢) انظر: روح المعاني:٣٨٩/٢.
(٣)روح المعاني:٣٨٩/٢.
(٤) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١٧٠/١-١٧٧.
(٥) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ٦٥-٧٨.

سنتهم في الجاهلية فجاءت أمهما تشتكي الى النبي (صلى الله عليه وسلم) وتشكو ضعف الأبنتين إليه فرق لها النبي -صلى الله عليه وسلم- ، فنزلت هذه الآية، ثم نسخت بقوله تعالى:{يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ} [النساء : ١١]، وبين معناها وحد القسم كما هو.

- الآية الثانية: قوله تعالى:{وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا} [النساء : ٨]، وقد اختلف المفسرون في معنى ذلك، فقالت طائفة: أمروا أن يجعلوا لليتامى والمساكين شيئا من المال يرضخون بذلك، وقال آخرون: أمروا أن يعطوا من المال لذوي القربي وأن يقولوا لليتامى والمساكين قولا معروفا وقالت طائفة بل نسخها الله تعالى بأية المواريث قوله تعالى:{يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُم} [النساء : ١١] الآية.
- الآية الثالثة قوله تعالى: {وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِم} [النساء : ٩] الآية، وذلك أن الله تعالى أمر الأوصياء بإمضاء الوصية على ما رسم الموصي ولا يغيروها ثم نسخ الله تعالى بالآية التي في سورة البقرة وهو قوله تعالى: {فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا} [البقرة : ١٨٢]، أي: علم من موص جورا أو إثما، {فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ} [البقرة : ١٨٢]، أي: لا حرج على الموصي إليه أن يأمر الموصي بالعدل في ذلك فكانت هذه ناسخة لقوله تعالى:{وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّ} [النساء : ٩].
- الآية الرابعة: قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا} [النساء : ١٠] الآية، لما نزلت هذه الآية عزلت الأنصار الأيتام فلم يخالطوهم في شيء من أموالهم فلحق الضرر بالأيتام فأنزل الله تعالى {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُم} [البقرة : ٢٢٠] في الدين، في ركوب الدابة وشرب اللبن لأن اللبن إذا لم يحلب والدابة إذا لم تركب لحق الضرر والأذى بصاحبها فرخص الله تعالى في ذلك لما فيه من الضرر ولم يرخص في أكل الأموال بالظلم فقال:{وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِف} [النساء : ٦] عن أكل مال اليتيم، {وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوف} [النساء : ٦]، والمعروف ههنا القرض فإن أيسر رده فإن مات وليس بموسر فلا شيء عليه فصارت هذه الآية ناسخة لقوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا} [النساء : ١٠] الآية.
- الآية الخامسة قوله تعالى:{وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ} [النساء : ١٥]، إلى قوله:{لَهُنَّ سَبِيلًا} [النساء : ١٥].، كان الرجل والمرأة في بدء الإسلام إذا زنيا حبسا في بيت فلا يخرجان منه حتى يموتا وهذه الآية نسخت بالسنة لا بالكتاب فكنى الله تعالى بذكر النساء عن ذكر النساء والرجال فخرج النبي -صلى الله عليه وسلم)- يوما على أصحابه فقال: خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب الرجم، فصارت هذه السنة ناسخة لتلك الآية.
- الآية السادسة: قوله تعالى:{وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا} [النساء : ١٦]، كان البكران إذا زنيا عيرا وشتما فجاءت الآية التي في سورة النور وهي قوله تعالى:{الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ} [النور : ٢]، فهذا منسوخ بالكتاب وعلى هذه الآية معارضة لقائل يقول كيف بدأ الله سبحانه وتعالى بالمرأة قبل الرجل في الزنا وبالرجل قبل المرأة في السرقة الجواب عن ذلك أن فعل الرجل في السرقة أقوى وحيلته فيها أغلب وفعل المرأة في الزنا أقوى وحيلتها فيه أسبق لأنها تحتوي على إثم الفعل وإثم المواطأة.
- الآية السابعة: قوله تعالى:{إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ} [النساء : ١٧]، فقيل للنبي -صلى الله عليه وسلم- ما حد التائبين، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-:"من تاب قبل موته بسنة قبل الله توبته"، ثم قال:"ألا وإن ذلك لكثير"، ثم قال:"من تاب قبل موته بنصف سنة

قبل الله تعالى توبته". ثم قال:" ألا وإن ذلك لكثير"، ثم قال:"من تاب قبل موته بشهر قبل الله توبته"، ثم قال:" ألا وإن ذلك لكثير"، ثم قال:"من تاب قبل موته بجمعة قبل الله توبته"، ثم قال:" ألا وإن ذلك لكثير"، ثم قال:"من تاب قبل موته بساعة قبل الله توبته". ثم قال:"ألا وإن ذلك لكثير"، ثم قال:"من تاب قبل أن تغرغر نفسه قبل الله توبته"(١)، ثم تلا قوله تعالى:{ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ} [النساء : ١٧]، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: كل ما كان قبل الموت فهو قريب". فكان خبره في هذه الآية عاما ثم احتجز التوبه في الآية التي بعدها على أهل المعصية فقال:{وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} [النساء : ١٨]، فنسخت في أهل الشرك وبقيت محكمة في أهل الإيمان.

- الآية الثامنة: قوله تعالى:{وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ} [النساء : ٢٢]، الناس فيه قائلان: فقالت طائفة هي محكمة، وقالت طائفة هي منسوخه، فمن جعلها محكمة قال: معناها لكن ما قد سلف فقد عفوت عنه ومن قال إنها منسوخة قال يكون معناها ولا ما قد سلف فانزلوا عنه وعلى هذا العمل.
- الآية التاسعة: قوله عز وجل:{وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ} [النساء : ٢٣]، ثم استثنى بقوله تعالى:{إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ} [النساء : ٢٣].
- الآية العاشرة: قوله تعالى في متعة النساء:{فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً} [النساء : ٢٤]، وذلك أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم)- نزل منزلا في بعض اسفاره فشكوا فيه اليه العزبة قال: استمتعوا من هؤلاء النساء وكان مدة ذلك ثلاثة أيام لا قبل ولا بعد، فلما نزل خيبر حرم فيه متعة النساء واكل لحوم الحمر الأهلية وأباح لنا أكل لحوم الخيل وقال -صلى الله عليه وسلم-:" أحللت لكم هذه المتعة ألا وإن الله ورسوله قد حرماها عليكم ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب"(٢)،فنسخ هذه الآية ذكر ميراثالربع والثمن ولم يكن لها نصيب في ذلك وتحريمها في موضع جريان الربع والثمن قال الأمام محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه موضع تحريمها عند قوله:{وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ(٥)إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُم} [المؤمنون : ٥-٦]، الى قوله :{فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُون} [المؤمنون : ٧]، ثلاث آيات قد أجمعوا أنها ليست زوجة ولا ملك يمين.
- الآية الحادية عشرة: قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُم} [النساء : ٢٩]، وذلك أن هذه الآية لما نزلت قالت الأنصار: إن الطعام من أفضل الأموال لأن به تقوم الهياكل فتحرجوا أن يؤاكلوا الأعمى والمريض والأعرج قالوا لأن الأعمى لا

---

(١) الحديث:" ما من إنسان يتوب إلى الله قبل أن يغرغر بنفسه فى سوقه إلا قبل الله توبته".
أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (٣٩٨/٥، رقم ٧٠٦٩).

(٢) روي عن علي بن أبي طالب -عليه السلام- قال: «نهى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن متعة النساء يوم خيبر، وعن لحوم الحمر الأهلية». وهذا أثر صحيح؛ مروي في كتب السنة والشيعة.
رواه من علماء السنة كل من: مالك في «الموطأ» كتاب النكاح، باب نكاح المتعة. والبخاري (٤٢١٦ و ٥١١٥ و ٥٥٢٣ و ٦٩٦١) ومسلم (١٤٠٧) وأحمد (١/ ٧٩) والنسائي (٧/ ١٢٦، ٢٠١ - ٢٠٢) والحميدي في «مسنده» (٣٧) والترمذي (١١٢١) وسعيد بن منصور (٨٤٨) والبيهقي (٧/ ٢٠١ - ٢٠٢) وأبو يعلى (٥٧٦) والدارمي (٢/ ١٨٩/ ٢١٩٧) وابن حبان (١٠/ ٤٥٠/ ٤١٤٣) وابن شاهين في «ناسخ الحديث ومنسوخه» (٤٢٤) وغيرهم. من طرق؛ عن عبد الله والحسن ابني محمد بن علي، عن أبيهما، عن علي به.
ومن علماء الشيعة الذين رووه؛ الطوسي في «التهذيب» (٢/ ١٨٦) وصاحب كتاب «الاستبصار» (٣/ ١٤٢) والحر العاملي في «وسائل الشيعة» (١٤/ ٤٤١).
فبهذا تعلم أيها المسلم أن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم هو الذي حرّم المتعة، وليس عمر كما يدّعيه البعض. وتفصيل هذا وبيانه في مصنّف مستقل عن هذا الموضوع يسّر الله ذلك.

ينظر الى أطايب الطعام وأن الأعرج لا يتمكن في المجلس فيتهنأ بأكله والمريض لا يشبهنا في الأكل والبلع وامتنعوا عن مؤاكلتهم حتى انزل الله تعالى في سورة النور:{لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ} [النور : ٦١] الآية، ومعناها ليس على مؤاكلة الأعمى حرج فالحرج مرفوع عنه وهو في المعنى عن غيره {وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ} [النور : ٦١]، أي: ولا على من أكل مع الأعرج حرج {وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ} [النور : ٦١]، فصارت هذه الآية ناسخة لما وقع لهم في تحريم الآية، وقوله تعالى:{لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ}، اللفظ للأعمى والمراد لغيره.

- الآية الثانية عشرة: قوله تعالى:{وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ} [النساء : ٣٣]، كان الرجل في الجاهلية وفي أول الإسلام يعاقد الآجل فيقول دمي دمك وهدمي هدمك فإن مت قبلك فلك من مالي كذا وكذا ما شاء أن يسميه فكانت هذه سنتهم في الجاهلية فإن مات ولم يسمه أخذ من ماله سدسه فأنزل الله تعالى {وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ} [الأنفال : ٧٥]، فنسخت هذه الآية كل معاهدة ومعاقدة كانت بينهم.
- الآية الثالثة عشرة: قوله تعالى :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى} [النساء : ٤٣] الآية، وذلك أن الله تعالى حرمها عليهم في اوقات الصلاة وقد ذكر في البقرة ثم نسخ تحريمها في وقت دون وقت بقوله تعالى:{فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [المائدة : ٩٠]، وقال آخرون نسخها الله تعالى بقوله {فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ} [المائدة : ٩١].
- الآية الرابعة عشرة: قوله تعالى:{فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ} [النساء : ٦٣]، فهذا مقدم ومؤخر ومعناه فعظهم وأعرض عنهم كان هذا في بدء الإسلام ثم صار الوعظ والإعراض منسوخين بآية السيف.
- الآية الخامسة عشرة: قوله تعالى:{وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا} [النساء : ٦٤]، نسخ ذلك بقوله تعالى:{اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ} [التوبة : ٨٠]، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-:"لأزيدن على السبعين"[(١)]، فأنزل الله عز وجل:{سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ } [المنافقون : ٦] فصار هذا ناسخا لما قبله.
- الآية السادسة عشرة: قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا} [النساء : ٧١]، الآية والثبات العصب المتفرقون فصارت الآية التي في سورة التوبة ناسخة لها وهي قوله تعالى:{وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً} [التوبة : ١٢٢] الآية.
- الآية السابعة عشرة: قوله تعالى:{مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} [النساء : ٨٠] هذا محكم.{وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا} [النساء : ٨٠] نسخ بآية السيف.
- الآية الثامنة عشرة: قوله تعالى:{فَأَعْرِضْ عَنْهُم} [النساء : ٨١] هذا منسوخ.{وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّه} [النساء : ٨١] هذا محكم، نسخ {فَأَعْرِضْ عَنْهُم} بآية السيف.
- الآية التاسعة عشرة: قوله تعالى:{فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ} [النساء : ٨٤]، نسخ بآية السيف.
- الآية العشرون: قوله تعالى :{إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ} [النساء : ٩٠]، إلى قوله {سَبِيلًا} [النساء : ٩٠] نسخ بآية السيف.
- الآية الحادية والعشرون: قوله تعالى:{سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ} [النساء : ٩١] الآية نسخ أيضا بآية السيف.

---

(١)صحيح البخاري مع الفتح ٩/ ٤٠٦ - ٤٠٧.

- الآية الثانية والعشرون: قوله تعالى:{فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ} [النساء : ٩٢] الى أخر الآية نسخ بقوله تعالى:{بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [التوبة : ١]الآية.
- الآية الثالثة والعشرون: قوله تعالى:{وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا} [النساء : ٩٣] الآية، وذلك أن مقيس ابن أبي صبابة التيمي قتل قاتل أخيه بعد أخذ الدية ثم ارتد كافرا فلحق بمكة فانزل الله تعالى فيه هذه الآية، وأجمع المفسرون من الصحابة والتابعين على نسخ هذه الآية إلا عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر فإنهما قالا إنها محكمة، قال الشيخ هبة الله والدليل على ذلك تكاثف الوعيد فيها وروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه-: أنه ناظر ابن عباس فقال من اين لك انها محكمة، قال ابن عباس: لتكاثف الوعيد فيها فكان ابن عباس مقيما على إحكامها، وقال أمير المؤمنين علي -كرم الله وجهه-: نسخها الله تعالى بآيتين، آية قبلها وآية بعدها في النظم وهو قوله تعالى :{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء : ٤٨]، الى قوله {إِثْمًا عَظِيمًا} [النساء : ٤٨]، وبآية بعدها في النظم وهو قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء : ١١٦]، الى قوله:{ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء : ١١٦]، وقال المفسرون نسخها الله تعالى بقوله:{وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ} [الفرقان : ٦٨]، الى قوله:{وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا} [الفرقان : ٦٩]، ثم استثنى بقوله:{إِلَّا مَنْ تَابَ} [الفرقان : ٧٠].
- الآية الرابعة والعشرون: قوله تعالى:{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا} [النساء : ١٤٥]، ثم أستثنى فقال:{إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ} [النساء : ١٤٦] الآية.

فضائل السورة

ورد في فضل هذه السورة مجموعة من الاخبار:

أحدها:- أن سورة "النساء" هي من السَّبع الطُّوال التي ورد في فضلها أحاديثُ عن النبي صلى الله عليه وسلم عظيمة؛ فعن عائشة رضي الله عنها، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "من أخذ السَّبعَ الأُوَلَ من القرآن، فهو حَبْرٌ"[(١)].

وعن عبدالله بن مسعود-رضي الله عنه-:"من قرآ آل عمران فهو الغني، والنساء محبرة"[(٢)].

والثاني:- وقد ورد حديث في فضل آيية من هذه السورة في قوله تعالى:{فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا} [النساء : ٤١].

عن عبد الله بن مسعود قال: "قال لي -صلى الله عليه وسلم-: «اقرأ علي»، قلت: يا رسول الله، أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: "نعم، إني أحب أن أسمعه من غيري" فقرأت سورة النساء، حتى أتيت إلى هذه الآية: {فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا} قال: «حسبك الآن»، فإذا عيناه تذرفان"[(٣)].

والثالث:-عن عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، قال : " في خمس آيات من سورة النساء: لَهُنَّ أحب إليَّ من الدنيا جميعًا: {إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ} وقوله: {إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا} [سورة النساء: ٤٠]، وقوله: {إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَلِمَنْ يَشَاءُ} [سورة النساء: ٤٨، ١١٦]، وقوله: {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا

---

(١)أخرجه أحمد (٢٤٥٧٥)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٧٩).

(٢) أخرجه الدارمي في سننه(٣٣٩٥):ص٥٤٤/٢، وابو عبيد في فضائله:١٢٧، والبيهقي في الشعب:(٢٦١٥):ص٥٢٩/٢، وأورده السيوطي في الدر:١٤٠/٢، وعزاه للدارمي ومحمد بن نصر والبيهقي في الشعب.[والحديث فيه إسرائيل بن يونس روي عن شيخه أبي إسحاق السبيعي وقد اختلط بآخره كما قال الحافظ في "التقريب":٤٢٣.

(٣)صحيح البخاري برقم (٥٠٥٠) وصحيح مسلم برقم (٨٠٠)، وسنن أبي داود برقم (٣٦٦٨) وسنن النسائي الكبرى برقم (٨٠٧٨) والشمائل للترمذي برقم (٣٠٦) .

رَحِيمًا} [سورة النساء: ١١٠]، وقوله: {وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [سورة النساء: ١٥٢]"[١].

والرابع:- عن ابن عباس قال: "ثمانِ آيات نزلت في سورة النساء، هي خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت، أولاهن: {يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [سورة النساء: ٢٦]، والثانية: {وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا} [سورة النساء: ٢٧]، والثالثة: {يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا} [سورة النساء: ٢٨]، ثم ذكر مثل قول ابن مسعود سواء، وزاد فيه: ثم أقبل يفسرها في آخر الآية: وكان الله للذين عملوا الذنوب غفورًا رحيمًا"[٢].

---

(١) أخرجه الطبري(٩٢٣٣):ص٨/٣٥٦-٣٥٧، والحاكم في المستدرك (٣٠٥/٢)، وقال:" هذا إسناد صحيح إن كان عبد الرحمن سمع من أبيه ، فقد اختلف في ذلك".

(٢) أخرجه الطبري(٩٢٣٤):٨/٢٥٧.

سورة «المائدة»

سورة «المائدة»: هي السورة الخامسة من سور القرآن الكريم في ترتيب المصحف، فقد سبقتها سور: الفاتحة، والبقرة، وآل عمران، والنساء.

وعدد آياتها عشرون ومائة آية عند الكوفيين، ويرى الحجازيون والشاميون أن عدد آياتها اثنتان وعشرون ومائة آية، ويرى البصريون أن عدد آياتها ثلاث وعشرون ومائة آية(١).

اختلافها ثلاث آيات:

- {بِالْعُقُودِ } [المائدة: ١]، {وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ} [المائدة: ١٥]- تركهما كوفي.
- {فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ} [المائدة: ٢٣]، عدها بصري.

أسما السورة:

ولهذه السورة الكريمة أسماء أشهرها:

١-المائدة

وهو الاسم التوقيفي لهذه السوورة، وسميت بهذا الاسم، لأنها انفردت بذكر قصة المائدة التي طلب الحواريون من عيسى- عليه السلام- نزولها من السماء، وقد حكى الله- تعالى- ذلك في آخر السورة في قوله- تعالى-: {إِذْ قالَ الْحَوارِيُّونَ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ} [الآيات من ١١٢: ١١٥].

قال المهايميّ:"سميت بها، لأن قصتها أعجب ما ذكر فيها، لاشتمالها على آيات كثيرة ولطف عظيم على من آمن، وعنف شديد على من كفر"(٢).

وقد سميت هذه السورة «سورة المائدة» في كتب التفسير، وكتب الستة، وهي أشهر أسمائها، ووقعت تسميتها في كلام الصحابة كعبدالله بن عمر، وعائشة أم المؤمنين، وابن عباس، وأسماء بنت يزيد، وغيرهم، كما ورد في كتب السنة، منها:

أ- ما رواه بن نفير، قال: "حججت فدخلت على عائشة، فقالت لي: يا جبير تقرأ المائدة؟ فقلت: نعم، قالت: أما إنها آخر سورة نزلت، فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه، وما وجدتم فيها من حرام فحرموه"(٣).

ب- وقد جاء عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها، قالت: "إني لآخذة بزمام العضباء ناقة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ نزلت عليه المائدة كلها، وكادت من ثقلها تدق عضد الناقة"(٤).

ت- كما جاء من حديث عبد الله بن عمرو، قال: "أنزلت على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سورة المائدة وهو راكب على راحلته، فلم تستطع أن تحمله فنزل عنها"(٥).

ث- وعن ابن عباس-رضي الله عنه-:"أن النبي-صلى الله عليه وسلم- قرأ في خطبته سورة المائدة والتوبة"(٦).

---

(١) انظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للدمياطي ص: ٣٥١.

(٢) تفسير المهايمي:١٧٧/١.

(٣) مستدرك الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، ٣١١/٢، قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

ورواه الإمام أحمد، ٥٤/٦، برقم ٢٦٠٦٣، وزاد: "وسألتها عن خلق رسول الله ﷺ؟ فقالت: القرآن".

(٤)أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٧٦١٦)، وقال عنه الأرنؤوط : "حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف لضعف ليث بن أبي سليم وشهر بن حوشب"، وكذلك أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (٧|١٣).

(٥)أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٦٦٤٣)، وقال عنه شعيب الأرنؤوط: "حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف لضعف ابن لهيعة وحيي بن عبدالله"، وصححه الألباني في صحيح السيرة ص:١٠٧.

(٦) أخرجه عبد بن حميد كما في الدر المنثور:٣/٣.

٢-سورة العقود

وتسمى أيضا بسورة «العقود»، لأنها السورة الوحيدة التي افتتحت بطلب الإيفاء بالعقود، قال- تعالى- :{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ }[المائدة:١].

ذكر هذه التسمية بعض المفسرين كأبي حيان[١]، والآلوسي[٢]، والسخاوي[٣]، والسيوطي[٤]، والبقاعي[٥].

٣- سورة المنقذة

وتسمى- أيضا- «المنقذة»، ووجه تسميته بذلك أنها تنقذ صاحبها من ملائكة العذاب، واستندوا في تسميتها بسورة"المنقذة" على حديث ذكره ابن عطية[٦]، والقرطبي[٧]، في تفسيرهما، وهو ما روي عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، أنه قال: «سورة المائدة تدعى في ملكوت الله المنقذة. تنقذ صاحبها من أيدى ملائكة العذاب"[٨].

وقد ذكر هذا الاسم بعض المفسرين في كتبهم، كابن عطية[٩]، وأبي حيان[١٠]، والآلوسي[١١]، كما ذكره السيوطي في الإتقان[١٢].

٤- سورة الأحبار

ورد تسميتها بسورة «الأحبار»، لاشتالها على ذكرهم في قوله:{ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ} [المائدة: ٤٤]، وقوله تعالى:{لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ} [المائدة: ٦٣][١٣].

والأحبار هم العلماء، قال جرير[١٤]:

إن البعيث وعبد آل مقاعس لا يقرآن بسورة الأحبار

أي: لا يفيان بالعهود، يعني بقوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ} [المائدة: ١][١٥].

٥- تسميات أخرى

وقد وردت تسميات أخرى أقل شهرة، منها:

أولا:- سورة الأخيار

قال ابن عاشور:" وفي كتاب «كنايات الأدباء» لأحمد الجرجاني[١]:«يقال: فلان لا يقرأ سورة الأخيار، أي لا يفي بالعهد، وذلك أن الصحابة- رضي الله عنهم- كانوا يسمون سورة المائدة سورة الأخيار"[٢].

---

(١)انظر: البحر المحيط:١٥٦/٤ .

(٢) انظر: روح المعاني:٤٧/٥.

(٣) انظر: جمال القراء وكمال الإقراء:٣٦/١.

(٤) انظر: الإتقان: ١٧٢/١.

(٥) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:٣٢٥/٢

(٦) انظر: المحرر الوجيز:١٤٣/٢.

(٧) انظر: تفسير القرطبي:٣٠/٦.

(٨) لم أقف على تخريجه، قال محقق تفسير القرطبي٣٠/٦:"لم اجده، والظاهر أنه من رواية النقاش، وهو موضوع بكل حال".

(٩) انظر: المحرر الوجيز:٣١٢/٤.

(١٠) انظر: البحر المحيط:١٥٦/٤.

(١١).انظر: روح المعاني:٤٧/٥

(١٢)انظر: الإتقان في علوم القرآن:١٧٢/١.

(١٣) انظر: بصائر ذوي التمييز:١٧٦/١.

(١٤) ديوانه:٣٩٠، شرح: د. يوسف عبد، يعني بـ"عبد آل مقاعس": الفرزدق".

(١٥) انظر: النهاية:٣٢٨/١.

ثانيا:سورة المبعثرة

ورد هذه التسمية عند أبي حيان، ولم يعلل سبب تسميتها بـ«المبعثرة»، ودون ذكر سنده في ذلك[٣].

ثالثا:-سورة المائة وعشرون آية

جاءت تسميتها بذلك في مصحفين، احدها نسخت سنة(١٢٥٨هـ)[٤]، والآخر في القرن الثالث عشر الهجري[٥]، ولم أقف على هذا الاسم عند السادة المفسرين، كما انه من الغريب تسمية السورة بعدد آياتها- والله أعلم-.

نستنتج مما سبق بأن اسم السورة التوفيقي، هو: سورة«المائدة»، وأما الأسماء الاخرى، فجميعها من إجتهاد العلماء ولم يرد فيها حديث من النبي-صلى الله عليه وسلم-، أو اثر من صحابته-رضوان الله تعالى عليهم-.

مكان نزول السورة:

في مكان نزول السورة أقوال:

القول الاول: أنها مدنية. وهذا قول ابن عباس[٦]، والضحاك[٧]، وقتادة[٨]، وجمهور العلماء[٩]، وذلك بناء على سببين:

أحدهما: القول الذي رجحه العلماء من أن القرآن المدني هو الذي نزل على رسول الله صلّى الله عليه وسلم بعد الهجرة ولو كان نزوله في غير المدينة.

قال ابن عطية:" هذه السورة مدنية بإجماع... ومن هذه السورة ما نزل في حجة الوداع، ومنها ما نزل عام الفتح، وهو قوله تعالى: {ولا يجرمنكم شنآن قوم} [المائدة: ٢] الآية، وكل ما نزل من القرآن بعد هجرة النبي -صلى الله عليه وسلم- فهو مدني سواء ما نزل بالمدينة أو في سفر من الأسفار أو بمكة، وإنما يرسم بالمكي ما نزل قبل الهجرة"[١٠].

قال القرطبي:" وهي مدنية بإجماع... وكل ما أنزل من القرآن بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم فهو مدني، سواء نزل بالمدينة أو في سفر من الأسفار. وإنما يرسم بالمكي ما نزل قبل الهجرة"[١١].

والثاني: أن السورة بدأت بقوله تعالى: { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [المائدة: ١]، وهذه الخصلة لاتكون غلا في السور المدنية.

قال ابن العربي:" قال علماؤنا: قال علقمة: إذا سمعت: {يا أيها الذين آمنوا} [المائدة: ١] فهي مدنية، وإذا سمعت: {يا أيها الناس} [النساء: ١] فهي مكية؛ وهذا ربما خرج على الأكثر"[١٢].

وقد أورد الإمام السيوطي كثيرا من الأحاديث والآثار تدل صريحا على أنها آخر ما نزل من القرآن[١٣].

---

(١)انظر: كنايات الأدباء، أحمد الجرجاني: ١٢١.
(٢) التحرير والتنوير:٦٩/٦.
(٣) انظر: البحر المحيط:١٥٦/٤.
(٤) والمصحف بجامعة الإمام بالرياض برقم(١٨٤٢).
(٥) والمصحف بجامعة الإمام برقم(٦٧١).
(٦) انظر: زاد المسير:٥٠٥/١.
(٧) انظر: زاد المسير:٥٠٥/١.
(٨) انظر: تفسير الطبري(١١١١٠):ص٥٣١/٩.
(٩) انظر: المحرر الوجيز: ١٤٣/٢، وتفسير القرطبي:٣٠/٦، وغيرها.
(١٠) المحرر الوجيز:١٤٣/٢.
(١١) تفسير القرطبي:٣٠/٦.
(١٢) أحكام القرآن:٣/٢.
(١٣)انظر : الدر المنثور:٣|٤..

والقول الثاني: أنها مدنية كلها إلا قوله تعالى:{ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} [الآية: ٣]، فإنها نزلت بـ«عرفات». وهذا قول مقاتل بن حيان[١]، وشهاب الخفاجي[٢].

قال أبو سليمان الدمشقي: "فيها من المكي:{ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ}[الآية: ٣]"[٣].

قال ابن الجوزي:"والصحيح أن قوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ}، نزلت بعرفة يوم عرفة، فلهذا نسبت إلى«مكة»"[٤].

واعترض القاسمي على القول الثاني، من خلال نظرين[٥]:

الأول:- إن هذا بناء على أن المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة. والمدني ما نزل بالمدينة، وهو اصطلاح لبعض السلف. ولكن الأشهر كما في "الإتقان" أن المكي ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعدها، سواء نزل بمكة أم بالمدينة، عام الفتح أو عام حجة الوداع، أم بسفر من الأسفار[٦].

الثاني:- بقي عليه، لو مشي على ذاك الاصطلاح، آيات آخر.

القول الثالث:أنها مدنية كلها إلا قوله تعالى:{ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ}[الآية: ٣]، وهذا قول أبي سليمان الدمشقي[٧].

قال السدي:" عن السدي قوله: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ}، هذا نزل يوم عرفة، فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام. ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات"[٨].

القول الرابع: أنها نزلت عند منصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية.

ذكر النقاش عن أبي سلمة أنه قال: "لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية قال:«يا علي أشعرت أنه نزلت علي سورة المائدة ونعمت الفائدة»"[٩].

قال ابن عطية:"وهذا عندي لا يشبه كلام النبي -صلى الله عليه وسلم- "[١٠].

قال ابن العربي: "هذا حديث موضوع، لا يحل لمسلم اعتقاده، أما أنا نقول: سورة المائدة نعمت الفائدة فلا نؤثره عن أحد، ولكنه كلام حسن"[١١].

القول الخامس: أنها نزلت في حجة الوداع فيما بين مكة والمدينة. وهذا قول محمد القرظي[١٢].

وأخرج الطبري عن الربيع بن أنس قال: "نزلت«سورة المائدة» على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسير في حجة الوداع، وهو راكب راحلته، فبركت به راحلته من ثقلها"[١٣].

والراجح-والله أعلم- انهما مدنية، وهذا قول الجمهور، باعتبار أن السور المدنية هي ما نزلت بعد الهجرة، وهذه السورة نزلت بعد سورة «الفتح»، وكان نزول سورة «الفتح» بعد صلح «الحديبية» فى السنة السادسة من الهجرة، فيكون نزول سورة «المائدة» فيما بين صلح «الحديبية» وغزوة «تبوك».

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٤٤٧/١.
(٢) انظر: محاسن التأويل:٣/٤.
(٣) زاد المسير:٥٠٥/١.
(٤) زاد المسير:٥٠٥/١.
(٥) انظر: محاسن التأويل:٣/٤.
(٦) انظر: الإتقان:٧٣/١.
(٧) انظر: زاد المسير:٥٠٥/١.
(٨) أخرجه الطبري(١١٠٨٠):ص٥١٨/٩.
(٩) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز:١٤٣/٢، والقرطبي في تفسيره:٣٠/٦، وأبو حفص سراج الدين، في اللباب في علوم الكتاب:١٦٠/٧.
(١٠) المحرر الوجيز:١٤٣/٢.
(١١) أحكام القرآن:٣/٢.
(١٢) انظر: الدر المنثور:٣/٣-٤.
(١٣) تفسير الطبري(١١١١٢):ص٥٣١/٩.

والظاهر أن سورة المائدة لم تنزل دفعة واحدة في وقت معين أو في زمان معين، وإنما نزل بعضها في السنوات التي سبقت صلح الحديبية، ونزل معظمها بعد هذا الوقت، وأن الروايات التي تقول بنزولها دفعة واحدة أو في وقت معين وزمان معين من الممكن أن تحمل على أن المراد بها مجموع السورة لا جميعها(١). والله أعلم.

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومن وجوه المناسبة بين هذه السورة وبين سورة "آل عمران" التي قبلها(٢):

أولا:-لما كانت سورة «النساء» مشتملة على عدة عقود، بدأت سورة المائدة بالأمر بالوفاء بالعقود.

ثانيا:-اتحدت سورة النساء والمائدة في تقرير الفروع الحكمية.

ثالثا:- مهدت سورة النساء لتحريم الخمر، وحرمته سورة المائدة البتة.

رابعا:- بدأت سورة النساء ببدء الخلق، وختمت سورة المائدة بالانتهاء من البعث والجزاء.

أغراض السورة ومقاصدها:

وفيما يأتي مجمل ما اشتملت عليه سورة النساء:

اولا:- تعد سورةالمائدة أجمع سورة في القرآن لفروع الشرائع من التحليل والتحريم، والأمر والنهي حيث تضمنت بيان تمام الشرائع، ومكملات الدين، والوفاء بعهود الرسل، وما أخذ على الأمة، وبها تم الدين، فهي سورة التكميل؛ لأن فيها تحريم الصيد على المحرم الذي هو من تمام الإحرام، وتحريم الخمر الذي هو من تمام حفظ العقل والدين، وعقوبة المعتدين من السُّراق والمحاربين الذي هو من تمام حفظ الدماء والأموال، وإحلال الطيبات الذي هو من تمام عبادة الله تعالى، ولهذا ذُكر فيها ما يختص بشريعة محمد ﷺ؛ كالوضوء والتيمم، والحكم بالقرآن على كل دين، ولهذا كثر فيها لفظ الإكمال والإتمام، وذكر فيها أن من ارتد عوض الله بخير منه، ولا يزال هذا الدين كاملا.

الثاني:- تطرقت السورة أيضا إلى جوانب العقيدة وقصص أهل الكتاب، وتناولت أحكام العقود، والذبائح، والصيد، والإحرام، ونكاح الكتابيات، والردة، وأحكام الطهارة، وحد السرقة، والبغي، والإفساد في الأرض، وتحريم الخمر والميسر والأنصاب والأزلام، وكفارة اليمين، وحكم من ترك تحكيم شريعة الله تعالى، والوصية عند الموت، وغير ذلك من الأحكام والتشريعات.

والثالث:- تضمنت السورة قصة موسى عليه السلام مع بني إسرائيل في دخول بيت المقدس وردهم القبيح ومفارقة موسى عليه السلام لهم، وفيها أيضاً قصة ابني آدم «قابيل وهابيل»، وهي تعرض نموذجين من نماذج البشر: نموذج النفس الشريرة الأثيمة، ونموذج النفس الخيِّرة الكريمة.

وتطرقت السورة لقصة المائدة التي كانت من معجزات عيسى عليه السلام.

والرابع:- ختمت السورة بالموقف الرهيب يوم الحشر حيث يُدعى المسيح عيسى عليه السلام رؤوس الأشهاد، ويسأله ربه تبكيتاً للنصارى الذين عبدوه من دون الله تعالى، ويا له من موقف مخزٍ لأعداء الله تشيب لهوله الرؤوس، وتتفطر من فزعه النفوس!

الناسخ والمنسوخ:

السورة تحتوي من المنسوخ على تسع آيات:

- الآية الأولى: قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ} [المائدة : ٢] هذا محكم، {وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ} [المائدة : ٢] الى قوله: {وَرِضْوَانًا } [المائدة : ٢] منسوخ، وباقي الآية محكم نسخ المنسوخ منها بآية السيف وذلك أن الخطيم واسمه شريح بن ضبيعة بن شرحبيل البكري أتى النبي -صلى الله عليه وسلم-، فقال: يا محمد اعرض علي أمرك فعرض عليه

---

(١) انظر: التفسير الوسيط، للطنطاوي:١٠/٤.

(٢) انظر: روح المعاني:٢٢٢/٣.

الدين فقال أرجع الى قومي فأعرض عليهم ما قلته فإن أجابوني كنت معهم وأن أبوا علي كنت معهم فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-:" لقد دخل علي بوجه كافر وخرج بعقبي غادر"[1]، فمر بسرح لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- فاستاقه وخرج المسلمون في إثره فأعجزهم فلما كانت عمرة القضاة وهو العام السابع سمع المسلمون تلبية المشركين وكانت كل طائفة من العرب تلبي على حدتها فسمعوا بكر بن وائل تلبي ومعهم الخطيم فقالوا يا رسول الله لا يذهب أو تغير عليه فأنزل الله عز وجل :{وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِم} [المائدة : ٢]، يعني: الفضل في التجارة {وَرِضْوَانًا } [المائدة : ٢]، وهو لا يرضى عنهم فصار ذلك منسوخا بآية السيف.

- الآية الثانية قوله تعالى: {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَح} [المائدة : ١٣]، نزلت في اليهود ثم نسخ العفو والصفح بقوله تعالى :{قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّه} [التوبة : ٢٩] الى قوله: {وَهُمْ صَاغِرُونَ} [التوبة : ٢٩].
- الآية الثالثة: قوله تعالى: {إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَه} [المائدة : ٣٣] الآية، نسخها الله تعالى بالاستثناء وهو قوله تعالى :{إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ} [المائدة : ٣٤] الآية.
- الآية الرابعة: قوله تعالى: {فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ} [المائدة : ٤٢]، اختلف المفسرون على وجهين فقال الحسن البصري والنخعي وهي محكمة خير بين الحكم والإعراض وقال مجاهد وسعيد تنسخها الآية التي بعدها وهي قوله تعالى: {وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّه} [المائدة : ٤٩].
- الآية الخامسة: قوله تعالى: {مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ } [المائدة : ٩٩] نسخ ذلك بآية السيف وباقيها محكم.
- الآية السادسة: قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلّ} [المائدة : ١٠٥]، الى -ههنا-: منسوخ وباقيها محكم.

قال أبو عبيد القاسم بن سلام: " فلم نجد في القرآن كله آية واحدة جمعت الناسخ والمنسوخ غيرها وهو قوله: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ}"[2].

قال الشيخ هبة الله:" ليس كما قال بل في كتاب الله هذه الآية وغيرها وقد روي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قرأ هذه الآية وقال: "يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها في غير موضعها فو الذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليعمكم الله بعقابه أو لتدعن فلا يجاب لكم". والناسخ منها قوله تعالى: {إِذَا اهْتَدَيْتُم} [المائدة : ١٠٥] ، والهدي -ها هنا-: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[3].

- الآية السابعة: قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ} [المائدة : ١٠٦] الى قوله :{ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ} [المائدة : ١٠٦] هذا محكم. والمنسوخ قوله تعالى: {أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُم} [المائدة : ١٠٦]، كان في أول الإسلام تقبل شهادة اليهودي والنصراني في السفر ولا تقبل في الحضر وذلك أن تميما الداري وعدي بن بداء النصرانيين أرادا أن يركبا البحر فقال لهما قوم من أهل مكة أن نخرج معكما مولى لنا نعطيه بضاعة وهم آل العاص فأبضعوه بضاعة واخرجوه معهما فشرها الى ما معه فأخذاه وقتلاه فلما رجعا اليهم قالوا ما فعل مولانا قالا مات قالوا فما كان من ماله قالا ذهب فخاصموهما إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأنزل الله هذه الآية: {أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُم} [المائدة : ١٠٦]، إلى آخر الآية، ثم صار ذلك منسوخا بقوله: {وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُم} [الطلاق : ٢]، فصارت شهادة الذميين منسوخة في السفر والحضر.

---

(١) أخرجه الطبري(١٠٩٥٨):ص٤٧٢/٩.
(٢) انظر:الناسخ والمنسوخ: ٢٨٦ .
(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة:٨٢ .

- الآية الثامنة: قوله عز وجل: {فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا} [المائدة : ١٠٧]، أي: علم واطلع على أنهما استحقا إثما يعني، الشاهدين الأولين، {فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ} [المائدة : ١٠٧]، وذلك أن عدي بن بداء وتميم بن أوس الداريين عمدا إلى مولى آل العاص فقتلاه واخذا ماله ثم شهد لهم شاهدان، وظهر لهم بعد ذلك قعب وجد بمكة يباع في سوق الليل فقبضوا على المنادي فقالوا له من أين لك هذا فقال دفعه الي تميم الداري وعدي بن بداء فرفعوا ذلك إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فنزلت هذه الآية وامر النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يشهد على الشاهدين الاولين شاهدان آخران فتبطل به شهادة الأولين فهذا في غير شهادة الاسلام ثم نسخ ذلك بالآية التي في سورة النساء الصغرى من قوله تعالى:{وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُم} [الطلاق : ٢]، فبطلت شهادة الذميين في الحضر والسفر.
- الآية التاسعة: قوله تعالى: {ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا} [المائدة : ١٠٨] ، أي: على حقيقتها، {أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ} [المائدة : ١٠٨]، الى -ها هنا- منسوخ، والباقي محكم نسخ المنسوخ منها بقوله تعالى: {وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُم} [الطلاق : ٢] [١].

فضائل السورة:

ورد في فضل هذه السورة مجموعة من الأخبار:

أحدها:- ورد في فضلها حديث أسماء بنت يزيد -رضي الله عنها-، قالت: "إني لآخذة بزمام العضباء ناقة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ نزلت عليه المائدة كلها، وكادت من ثقلها تدق عضد الناقة"[٢].

والثاني:- تعدّ سورة المائدة من طوال سور القرآن، ومن أجلها منزلة وأعلاها مكانة، وكغيرها من السور المدنية تناولت القضايا التشريعية، كما هو شأن سورة البقرة، والنساء، والأنفال، إلى جانب احتضانها موضوع العقيدة، وقصص أهل الكتاب.

والثالث:- أنها آخر سورة نزلت من القرآن الكريم.

قال الرازي:"أكثر الأمة على أن سورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن، وليس فيها منسوخ"[٣].

قال أبو ميسرة: "المائدة من آخر ما نزل من القرآن، ليس فيها منسوخ وفيها ثمان عشرة فريضة"[٤].

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ٧٩-٨٤.

(٢)أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٧٦١٦)، وقال عنه الأرنؤوط : "حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف لضعف ليث بن أبي سليم وشهر بن حوشب"، والطبري(١١١٠٧):٥٢٩/٩، والطبراني (٤٤٩):ص١٢٨/٢٤، والبيهقي في الشعب(٢٤٣٠):ص٤٦٩/٢، وكذلك أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (٧|١٣)، وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور:٣/٣، إلى عبد بن حميد، ومحمد بن نصر في الصلاة، وابي نعيم في الحلية.

والحديث إسناده فيه ليث بن أبي سليم، قال الحافظ عنه:"صدوق اختلط جدا ولم يتميز حديثه فترك، وقال أحمد:مضطرب الحديث ولكن حدث عنه الناس". انظر: الميزان:٣٤٠/٤. وقال بحبى بن معين:"ليس حديثه بذاك ضعيف، وقال أبو زرعة: ليث لا يشتغل به، وهو مضطرب الحديث". انظر: الجرح والتعديل:١٧٧/٧.

وفيه ايضا شهر بن حوشب: صديق كثير الإرسال والاوهام، كما قال الحافظ في التقريب:٢٦٩، وقال ابن معين: ثقة، وقال النسائي وابن عدي: ليس بالقوي، وقال البخاري: شهر حسن الحديث، وقوي أمره. انظر: الميزان:٤٧٤/٢، وقال أبو حاتم:" لايحتج بحديثه، وقال أبو زرعة: لا بأس به. انظر: الجرح والتعديل: ٣٨٢/٤.

والحديث له شواهد منها: ما اخرجه البيهقي في الدلائل عن أم عمرو بنت عبس عن عمتها، باب (ذكر السور التي نزلت بمكة والتي نزلت بالمدينة):ص١٤٥/٧، وما اخرجه أبو عبيد في فضائله، باب(المائدة والأنعام):ص١٢٨، عن محمد بن كعب القرظي مرسلا، والطبري في تفسيره(١١١٠٦):ص٥٢٨/٩، عن الربيع بن انس، وبجموع هذه الشواهد يقوي الحديث ويرفعه إلى درجة الحسن لغيره.

(٣) مفاتيح الغيب:٤٥٢/١٢.

(٤) الجامع أحكام القرآن:٣٠/٦.

وكذلك يقول ابن تيمية: " سورة المائدة أجمع سورة في القرآن لفروع الشرائع من التحليل والتحريم والأمر والنهي؛ ولهذا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:«هِيَ آخِرُ الْقُرْآنِ نُزُولًا فَأَحِلُّوا حَلَالَهَا وَحَرِّمُوا حَرَامَهَا"، وهذا افتتحت بقوله:{ أَوْفُوا بِالْعُقُودِ}، والعقود هي العهود وذكر فيها من التحليل والتحريم والإيجاب ما لم يذكر في غيرها"[1].

(١)مجموع الفتاوى:٤٤٨/١٤

سورة «الأنعام»

سورة «الأنعام»:هي السورة السادسة من سور القرآن الكريم في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة: «الحجر»، وقبل سورة: «الصافات»[1]، وعدد آياتها: (١٦٥)خمسة وستون ومائة آية عند القرّاء الكوفيين، ويرى البصريون والشاميون أن عدد آياتها: (١٦٦)ستة وستون ومائة آية، وعندالحجازيين، عدد آياتها: (١٦٧)سبعة وستون ومائة آية[2]، وعدد كلماته:(٣٠٥٢) ثلاثة آلاف واثنتان وخمسون كلمة، عدد حروفها: (١٢٢٤٠)اثنا عشر ألفاً ومائتا وأربعون حرفاً[3].

أسماء السورة:

ولهذه السورة أسماء أشهرها:

أولا:- اسمها التوقيفي: سورة «الأنعام»

النّعَم: واحد الانعام، وهي المال الراعية، أو المال السائم، وقيل: النعم: الإبل، والشاء، يذكر ويؤنث، والجمع أنعام، وقيل: الإبل خاصة، والأنعام: الإبل والبقر والغنم، وأكثر ما يقع الاسم على الإبل[4]، وقيل: لا يقال لها أنعام ، حتى يكون فى جملتها الإبل[5].

وهذا الاسم هو توقيفي من رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، كما دلت عليه الاحاديث الواردة فيه، وكما وردت في كلام بعض الصحابة-رضوان الله عليهم-[6].

وتسمى هذه السورة بسورة «الأنعام»، لوجهين:

أحدهما: لما ورد فيها من ذكر الأنعام مكرراً،[7] ومفصلاً لأحوالها [8][9]، إذ لم يرد في غيرها من السور، فقد ورد ذكر «الأنعام» في مواضع[10] عدة من القرآن ولكن دون تفصيل، أما سورة الأنعام فقد تكرر فيها لفظ «الأنعام» ست مرات، وجاءت بحديث طويل عنها، استغرق خمس عشرة آية، من أول الآية(١٣٦) من قوله تعالى:{وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا} [الأنعام : ١٣٦]، إلى آية (١٥٠) وهي قوله:{قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا...} [الأنعام : ١٥٠].

كما أن التفصيل الوارد فى ذكر «الأنعام» قوله تعالى :{وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} [الأنعام : ١٤٢]،لم يرد فى غيرها[11].

والثاني: لأنأكثر احكامها الموضحة لجهالات المشركين تقربا بها إلى أصنامهم مذكورة فيها.

قال المهايمي: "سميت بها؛ لأن أكثر أحكامها وجهالات المشركين فيها، وفي التقرب بها إلى أصنامهم مذكورة فيها، وقد اشتملت على أكثر جهالاتهم ويتم ظهورها بها"[12].

ثانيا: سورة «الحجة»

---

(١) انظر: الكشاف:٣/٢.

(٢) انظر: الإتقان للسيوطي:١٢٤٥/٢، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر:٢٦٠.

(٣) انظر: بصائر ذوى التمييز: ١٨٧/١.

(٤) انظر: الصحاح، مادة"ن ع م":ص٢٠٤٣/٥، واللسان، مادة" ن ع م":ص٥٨٥/١٢، والقاموس:١٥٠١، والمعجم الوسيط:٩٣٥/٢، والمفردات للأصفهاني، مادة "نعم".

(٥) انظر: المفردات للأصفهاني، مادة "نعم".

(٦) سوف يأتي بيان تلك الآثار في محور:" مكية السورة ومدنيتها".

(٧)فى الآيات ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٢. .

(٨)فى الآيات ١٤٢-١٤٤ .

(٩) انظر: جمال القراء للسخاوي:٣٦/١، وبصائر ذوي التمييز، للفيروز آبادي:١٨٧/١.

(١٠) مثلا: سورة النحل آية: (٥، ٦٦، ٨٠)، وسورة الحج آية(٢٨، ٣٠، ٣٤)، وسورة المؤمنون آية(٢١)، وسورة الزمر آية(٦)، وغافر آية(٧٩)، وغيرها من سور القرآن الكريم.

(١١) انظر: البرهان للزركشي:١٤، والإتقان:١٧.

(١٢)تفسير القرآن الكريم المسمى تبصرة الرحمن وتيسير المنان، المهايمي:٢٠٧/١، وانظر: محاسن التأويل للقاسمي:٣٠٨/٤.

ذكره الفيروزآبادي، ولم نجد من المنقول فيما يؤيد بهذه التسمية، وقد علّل الآبادي تسميتها بذلك من وجهين [(١)]:
أحدهما: لأنها مقصورة على ذكر حجة النبوة.
والثاني: تكررت فيها الحجة ، فى قوله تعالى:{وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ} [الأنعام : ٨٣]، وقوله تعالى:{قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ} [الأنعام : ١٤٩].
وأيضاً : فهى أصل فى محاجة المشركين وغيرهم من المبتدعين ، ومن كذب بالبعث والنشور.

مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة أقوال:
أحدها: أنها مكية قيل: إلا آية واحدة هي قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ} [الأنعام : ١١١] فإنها مدنية. رواه ابن المنذر عن أبي جحيفة[(٢)].
والثاني: انها مكية قيل: إلا آيتين ومن ثم اختلفوا فيهما على ثلاثة أقوال:
القول الأول: أن الآيتين نزلتا في المدينة في رجل من اليهود قال: ما أنزل الله على بشر من شيء، فنزل فيهم: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ}[الأنعام : ٩١] الآيتين، وهو قول الكلبي في رواية أبي الشيخ عنه[(٣)].
وأخرج أبو الشيخ عن سفيان مثل ذلك وزاد: "هو فنحاص اليهودي أو مالك بن الصيف[(٤)]"[(٥)].
القول الثاني: وقيل: هما قوله تعالى:{قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ} [الأنعام : ١٥١] إلى آخر الآيتين، رواه إسحاق بن راهويه في مسنده عن شهر بن حوشب[(٦)]، والفريابي عن بشر[(٧)].
قال محمد رشيد رضا:"وما قبله أقوى من جهة معنى الآيتين، فإنه في محاجة اليهود الذين كانوا في المدينة، وأما {قل تعالوا} الآيتين، فمعناهما من موضوع السور المكية، وهم متصلتان بما بعدهما"[(٨)].
القول الثالث: وقيل: هما قوله تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ}[الأنعام : ٩١]، والأخرى، قوله:{وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ} [الأنعام : ١٤١]. حكاه القرطبي عن ابن عباس[(٩)]، وقتادة[(١٠)].
وجاءت في الأخبار، أن قوله:{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ}[الأنعام : ٩١]، نزلت في مالك بن الصيف[(١١)] وكعب ابن الأشرف اليهوديين[(١)]، وقيل نزلت في فنحاص اليهودي[(٢)]،وقوله:{وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ

---

(١) انظر: بصائر ذوى التمييز: ١٨٧/١ ، ١٨٦.
(٢) انظر: الدر المنثور:٢٤٤/٣.
(٣) انظر: الدر المنثور: ٢٤٥/٣، والإتقان:٥٧/١. وهو: محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث الكلبي، صاحب التفسير، ضعّفه الأئمة، ورمي بالرفض، توفي سنة[١٤٦هـ]. انظر: تهذيب التهذيب:١٧٨/٩، والجرح والتعديل:٢١٠/٧، وميزان الاعتدال:٥٥٦/٣.
(٤) أخرج الطبري(١٣٥٣٥):ص٥٢١/١١-٥٢٢، والواحدي في اسباب النزول:٢٢٠، أن هذا الرجل هو مالك بن الصيف، وانظر: تفسير ابن كثير:٣٠٠/٣.
(٥) انظر: الدر المنثور:٢٤٥/٣.
(٦) انظر: مسند إسحاق بن راهويه(٢٢٩٨):ص١٧٤/٥، والدر المنثور:٢٤٥/٣.
(٧) انظر: الإتقان:٥٧/١.
(٨) تفسير المنار:٢٣٧/٧.
(٩) انظر: تفسير القرطبي:٣٨٢/٦.
(١٠) انظر: تفسير القرطبي:٣٨٢/٦.
(١١)أخرج الطبريبرقم (١٣٥٣٥):ص٥٢١/١١-٥٢٢،عن سعيد بن جبير، وبرقم (١٣٥٣٦):ص٥٢٢/١١، عن عكرمة. وأخرجه الواحدي في اسباب النزول:٢٢٠، عن سعيد بن جبير أن هذا الرجل هو مالك بن الصيف، وانظر: تفسير ابن

جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ} [الأنعام : ١٤١]، نزلت في ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري[٣]. وقيل: نزلت في معاذ بن جبل[٤].

والثالث: وقيل: أنها مكية إلا ثلاثآيات نزلت بالمدينة، وهي: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ} [الأنعام : ١٥١]إلى تمام الآيات الثلاث.رواه النحاس عن مجاهد عن ابن عباس[٥].

قال السيوطي:"وقد صحّ النقل عن ابن عباس باستثناء{قُلْ تَعَالَوْا} الآيات"[٦].

والرابع:وقال الثعلبي[٧]: أنها مكية إلا ست آيات، هي: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ} [الأنعام : ١٥١] الآيات الثلاث, وقوله: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِه} [الأنعام : ٩١], وقوله: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى} [الأنعام : ٩٣], الآيتين.

وهذا جمع بين الأقوال السابقة كلها.

والخامس: وذكر البغوي عن ابن عباس[٨] أنها مكية إلا ست آيات هي: قوله: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِه} [الأنعام : ٩١] إلى آخر ثلاث آيات، وقوله تعالى: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ} [الأنعام : ١٥١]، إلى قوله:{لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام : ١٥٣].

والسادس: وفي رواية عن ابن عباس[٩]، أنها مكية إلا خمس آيات، هي: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ} [الأنعام : ١٥١]، وقوله: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِه} [الأنعام : ٩١], وقوله: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى}{وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ } [الأنعام : ٩٣]، وقوله:{وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّك} [الأنعام : ١١٤]، وقوله:{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ} [الأنعام : ٢٠].

والسابع: وقال مقاتل: انها مكية إلا سبع آيات، هي: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ} [الأنعام : ١٥١] الآيات الثلاث, وقوله: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِه} [الأنعام : ٩١], وقوله: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى} [الأنعام : ٩٣], وقوله:{وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَق} [الأنعام : ١١٤]، وقوله:{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ} [الأنعام : ٢٠][١٠].

والثامن: وقال الزمخشري:" سورة الأنعام مكية إلا الآيات:«٢٠ و ٢٣ و ٩١ و ٩٣ و ١١٤ و ١٤١ و ١٥١ و ١٥٢ و ١٥٣ »، فمدنية"[١١].

كثير:٣٠٠/٣.

(١) انظر: تفسير القرطبي:٣٨٢/٦.

(٢) أخرجه الطبري(١٣٥٣٧):ص٥٢٢/١١، عن السدي.

(٣) قاله ابن جريج، أخرج الخبرسنيد في "تفسيره" –ومن طريقه الطبري في "جامع البيان" (١٤٠٤٠):١٧٤/١٢ -: ثنا حجاج عنه به.

قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ لإعضاله،وضعف سنيد صاحب "التفسير".

وأخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥/ ١٣٩٩ رقم ٧٩٦٦) من طريق عبدالرزاق عن ابن جريج: جدّ معاذ بن جبل –رضي الله عنه- نخلة، فلم يزل يتصدق من ثمره حتى لم يبق منه شيء؛ فنزلت: {وَلَاتُسْرِفُوا}.

قلنا: وهذا معضل..

(٤) انظر: النكت والعيون:١٧٩/٢، وتفسير القرطبي:٣٨٢/٦.

(٥)الناسخ والمنسوخ: ١٦٧، وانظر الإتقان:٣٩/١-٤٠، قال السيوطي:"وإسناده جيد رجاله كلهم ثقات من علماء العربية المشهورين".

(٦) الإتقان:٥٧/١.

(٧) انظر: الكشف والبيان:١٣١/٤.

(٨) انظر: تفسير البغوي:١٢٥/٣، .

(٩) حكاه عنه ابن عطية في المحرر الوجيز:٢٦٥/٢.

(١٠) انظر:تفسير مقاتل بن سليمان:٥٤٧/١-٥٤٨. قال:"هذه الآيات مدنيات، وسائرها مكي".

(١١) الكشاف:٣/٢.

والتاسع: وذكر ابن العربي: أن قوله تعالى:{قُلْ لا أَجِدُ} [الأنعام : ١٤٥]، مدنية مكية في قول الأكثر، نزلت على النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم نزل عليه قوله: {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي} [المائدة: ٣] وذلك يوم عرفة(١).

أخرج ابن الضريس وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال: "أنزلت سورة الأنعام بمكة"(٢).

قال ابن كثير:" قال العَوْفيّ وعِكْرِمة وعَطاء ، عن ابن عباس : أنزلت سورة الأنعام بمكة"(٣).

قال العلامة ابن عاشور: " واعلم أن نزول هذه السورة جملة واحدة على الصحيح لا يناكد ما يذكر لبعض آياتها من أسباب نزولها، لأن أسباب نزول تلك الآيات إن كان لحوادث قبل الهجرة فقد تتجمع أسباب كثيرة في مدة قصيرة قبل نزول هذه السورة، فيكون نزول تلك الآيات مسببا على تلك الحوادث، وإن كان بعد الهجرة جاز أن تكون تلك الآيات مدنية ألحقت بسورة الأنعام لمناسبات. على أن أسباب النزول لا يلزم أن تكون مقارنة لنزول آيات أحكامها فقد يقع السبب ويتأخر تشريع حكمه، وعلى القول الأصح أنها مكية فقد عدت هذه السورة الخامسة والخمسين في عد نزول السور. نزلت بعد سورة الحجر وقبل سورة الصافات"(٤).

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومن وجوه المناسبة بين هذه السورة وبين سورة «المائدة» التي قبلها(٥):

أولا:- إنها افتتحت بالحمد وتلك اختتمت بفصل القضاء وهما متلازمان كما قال سبحانه: {وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ} [الزمر: ٧٥](٦).

ثانيا:- إنه تعالى لما ذكر في آخر المائدة:{لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما فِيهِنَّ} [المائدة: ١٢٠] على سبيل الإجمال افتتح جل شأنه هذه السورة بشرح ذلك وتفصيله فبدأ سبحانه بذكر خلق السماوات والأرض وضم تعالى إليه أنه جعل الظلمات والنور وهو بعض ما تضمنه ما فيهن ثم ذكر عز اسمه أنه خلق النوع الإنساني وقضى له أجلا وجعل له أجلا آخر للبعث وأنه جل جلاله منشيء القرون قرنا بعد قرن ثم قال تعالى: {قُلْ لِمَنْ ما فِي السَّماواتِ} [الأنعام: ١٢] إلى آخره فأثبت له ملك جميع المظروفات لظرف المكان. ثم قال عز من قائل: {وَلَهُ ما سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهارِ}[الأنعام: ١٣] فأثبت أنه جل وعلا ملك جميع المظروفات لظرف الزمان. ثم ذكر سبحانه خلق سائر الحيوان من الدواب والطير ثم خلق النوم واليقظة والموت. ثم أكثر عز وجل في أثناء السورة من الإنشاء والخلق لما فيهن من النيرين والنجوم وفلق الإصباح وفلق الحب والنوى وإنزال الماء وإخراج النبات والثمار بأنواعها وإنشاء جنات معروشات وغير معروشات إلى غير ذلك مما فيه تفصيل ما فيهن.

ثالثا:- أنه سبحانه لما ذكر في سورة المائدة:{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ} [المائدة: ٨٧] إلى آخره، وذكر جل شأنه بعده :{ما جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ} [المائدة: ١٠٣] إلى آخره، فأخبر عن الكفار أنهم حرموا أشياء مما رزقهم الله تعالى افتراء على الله عز شأنه وكان القصد بذلك تحذير المؤمنين أن يحرموا شيئا من ذلك فيشابهوا الكفار في صنعهم وكان ذكر ذلك على سبيل الإيجاز ساق جل جلاله هذه السورة لبيان حال الكفار في صنعهم فأتى به على الوجه الأبين والنمط الأكمل ثم جادلهم فيه وأقام الدلائل

---

(١) انظر احكام القرآن:٢/٢٩٠.
(٢) الدر المنثور:٣/٢٤٣.
(٣) تفسير ابن كثير:٣/٢٣٦.
(٤) التحرير والتنوير:٧/١٢٣.
(٥) انظر: أسرار ترتيب القرآن للسيوطي:٨٠-٨٣، وتفسير البيضاوي:٣/٣٠٧، وروح المعاني:٤/٧٣-٧٤، وتفسير المنار:٧/٢٤٢، والتحرير والتنوير:٧/١٢٣.
(٦) انظر: أسرار تريب القرآن للسيوطي:٨٠.

على بطلانه وعارضهم وناقضهم إلى غير ذلك مما اشتملت عليه القصة فكانت هذه السورة شرحا لما تضمنته تلك السورة من ذلك على سبيل الإجمال وتفصيلا وبسطا وإتماما وإطنابا، وافتتحت بذكر الخلق والملك لأن الخالق المالك هو الذي له التصرف في ملكه ومخلوقاته إباحة ومنعا وتحريما وتحليلا فيجب أن لا يعترض عليه سبحانه بالتصرف في ملكه، ولهذه السورة.

رابعا: ولهذه السورة أيضا اعتلاق من وجه بالفاتحة لشرحها إجمال قوله تعالى: {رَبِّ العالَمِينَ} [الفاتحة: ٢] وبالبقرة لشرحها إجمال قوله سبحانه: {الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ} [البقرة: ٢١] وقوله عز اسمه:{الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً} [البقرة: ٢٩] وبآل عمران من جهة تفصيلها لقوله جل وعلا: {وَالْأَنْعامِ وَالْحَرْثِ} [آل عمران: ١٤] وقوله تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ} [آل عمران: ١٨٥، الأنبياء: ٣٥، العنكبوت: ٥٧] إلى آخره، وبالنساء من جهة ما فيها من بدء الخلق والتقبيح لما حرموه على أزواجهم وقتل البنات وبالمائدة من حيث اشتمالها على الأطعمة بأنواعها[1].

قال الألوسي:"ومن اللطائف أنه سبحانه وتعالى جعل في كل ربع من كتابه الكريم المجيد سورة مفتتحة بالتحميد"[2].

وهذه خصائص كتاب الله المجيد وقرآنه الكريم وكلامه القديم، الذى لا يأتيه الباطل ولا يعتريه التعارض؛ بل الإحكام والإتقان، والتناسُق والتناسُب، والتمام والكمال والجمال، وهكذا في كل سوره ونظْمِه وترتيبه المُعجِز بلفظه ومعناه، والله الموفِّق والمَرجو ثوابه .

أغراض السورة ومقاصدها:

إن أهم أغراض الرئيسة التي استهدفتها السورة هي التركيز على العقائد الاساسية الثلاث التي كان المشركون يومئذ يتنازعون فيها، وهذه العقائد الأساسية هي[3]:

أولا:- التوحيد، وإثبات أصول الاعتقاد:

إن سورة الأنعام ممثلة بحق للقرآن المكي الذي يعرض العقيدة ناصعة ممارسة ومحاجة، فهي أولى سورة في هذا المنهج وأوفاها، حيث بسطت الحُجّة على عظمة الله تعالى وبديع صنعه وكامل قدرته، وأقامت الدليل على وحدانيته عز وجل وألوهيته وذلك من طريق الإقناع والتأثير والمناظرة والجدل والجواب عن سؤال، كوجود الله وتوحيده وصفاه وآياته في الانفس والآفاق.

وقد تتبع الأسلوب القرآنيفي إثبات التوحيد ونقض الاعتقادات الشركية من خلالإثبات أنّ الله سبحانه هو الواحدُ المتصفُ بجميعِ الكمالاتِ، المستحقُ للعبادةِ والحمدِ، المختصُّ بالحكمِ والتشريعِ والتحليلِ والتحريمِ.؛ لأنه الخالقُ لكلِّ شيءِ الربُّ الحقُّ، المنعمُ بالنعمِ التي لا تحصى.

قال البيضاوي:" قطب هذه السورة يدور على إثبات الصانع، ودلائل التوحيد"[4].

قال الطيبي:"واعلم أن قطب هذه السورة الكريمة يدور مع إثبات الصانع، ودلائل التوحيد وما يتصل بها، انظر كيف جعل احتجاج الخليل على قومه، ومآله إلى قوله: {إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وجَّهْتُ وجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ حَنِيفًا}[الأنعام: ٧٨ – ٧٩]. وكيف أوقع أمر حبيبه صلوات الله عليه بقوله تعالى: {فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ}[الأنعام: ٩٠] بعد ذكر معظم الأنبياء واسطة العقد، ولجة بحر التوحيد! ثم تفكر في قوله: {قُلْ إِنَّ صَلاتِي ونُسُكِي ومَحْيَايَ ومَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وبِذَلِكَ أُمِرْتُ وأَنَا

---

(١)الأطعمة ذكرت هنا مفصلة من قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ} إلى قوله: {إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ} [١٤١-١٤٨].

(٢) روح المعاني:٧٤/٤.

(٣) انظر: أهداف كل سورة ومقاصدها:٨٧/١، والتفسير المنير، وهبة الزحيلي:١٢٨/٧.

(٤) تفسير البيضاوي:٣٠٧/٣.

أوَّلُ المُسْلِمِينَ}[الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣] كيف جاءت خاتمة لها! فسبحان من له تحت كل سورةٍ من كتابه كريم، بل كل آيةٍ وكلمةٍ، أسرار ينفد دون نفاد بيانها الأبحر!"[١].

قال البقاعي: "مقصودها الاستدلال على ما دعا إليه الكتابُ في السورة الماضية من التوحيد بأنه الحاوي لجميع الكمالات: من الإيجاد والإعدام والقدرة عل البعث وغيره، وأنسب الأشياء المذكورة فيها لهذا المقصد الأنعام.؛لأن الإذن فيها مسبب عما ثبت له من الفلق والتفرد بالخلق، تضمن باقي ذكرها إبطال ما اتخذوه من أمرها ديناً.؛ لأنه لم يأذن فيه ولا أذن لأحد معه.؛لأنه المتوحد بالإلهية،لا شريك له،وحصر المحرمات من المطاعم التي هي جُلُّها في هذا الدين وغيره فدل ذلك على إحاطة علمه"[٢].

قال الطباطبائي: " غرض السورة هو توحيده تعالى بمعناه الأعم أعني: أن للإنسان ربا هو رب العالمين جميعًا منه يبدأ كل شيء وإليه ينتهي ويعود كل شيء، أرسل رسلًا مبشرين ومنذرين يهدي بهم عباده المربوبين إلى دينه الحق، ولذلك نزلت معظم آياتها في صورة الحجاج على المشركين في التوحيد والمعاد والنبوة، واشتملت على إجمال الوظائف الشرعية والمحرمات الدينية"[٣].

قال أبو إسحاق الأسفراييني: "في سورة الأنعام كل قواعد التوحيد، ولما كانت نعمه تعالى مما تفوت الحصر إلا أنها ترجع إجمالاً إلى إيجاد وابقاء في النشأة الأولى، وإيجاد وابقاء في النشأة الآخرة، ولما أشير في الفاتحة إلى الجميع ابتدئت بالتحميد لأنها ديباجة نعمه المذكورة في كتابه المجيد ثم أشير في الأنعام إلى الإيجاد الأوّل وفي الكهف إلى الإبقاء الأوّل وفي سبأ إلى الإيجاد الثاني، وفي فاطر إلى الإبقاء الثاني فلهذا ابتدئت هذه السور الخمس بالتحميد فقال جل ثناؤه: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ}"[٤].

وقد احتضنت هذه السورة المباركة جملة من الرموز والإشارات للدلالة على أن العقيدة محورها الشامل، من ذلك:

- تكرار لفظ الجلالة فيها نصف مرات عدد آياتها، يعني: (٨٧) مرة في حين أن عدد آياتها يناهز(١٦٥)آية.
- تعدد فعل الأمر: {قُلْ} في ثناياها؛ حيث ذكر فيها ٤٤ مرة، فكانت أكثر سورة في القرآن تردد فيها هذا اللفظ :{قُلْ} ، أمرا للرسول صلى الله عليه وسلم وأمته من بعده أن يبلّغوا ما فيها من عقائد وحِكَم وأحكام.
- ورود كلمة "الرب" فيها عدة مرات؛ حيث تكررت فيها أكثر من (٥٠) مرة.
- تكرر مشتقات مادة النظر والإبصار والرؤية فيها مرات عديدة؛ حيث جاءت متكررة في ثناياها أكثر من (٤٤) مرة.

فهذا الكم الهائل من الكلمات المكررة بأعداد تجاوزت العشرات ينبئ عن رمي حثيث إلى إثبات مصطلحات عقدية، وترسيخ مفاهيم إيمانية، وإعداد بيئة منهجية لايكاد قارئ السورة أن ينهيها حتى تترسخ لديه مفاهيم جديدة ويتكون عنده معجم مصطلحات ويتضح له سبيل المحجة، وقد تعززت هذه الجوانب في السورة برديء من القصص التي طفقت السورة تسرد بعضها، كما هو الشأن في محاجة إبراهيم لقومه، وتشير إلى بعضها الآخر إشارات عابرة، متبعة إياه بكوكبة من المرسلين تثمينا للاقتداء والائتساء. وتنويها بعظمة منة الله تعالى بهم لهداية البشرية قبل بعثة خاتمهم صلى الله عليه وسلم.

ثانيا:- إثبات الوحي والرسالة والرد على شبهات المشركين بالأدلة العقلية والحسية:

---

(١) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)/ شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٦/ ١٦). ونقله السيوطي في حاشيته على البيضاوي نواهد الأبكار(٣/ ٣٣٠).

(٢)نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي:٢/ ٩٠٥..

(٣)تفسير الميزان، الطباطبائي:٧/ ٢.

(٤)حاشية شهاب على سورة الانعام:٢/٤، وانظر: تفسير البيضاوي:٣٠٧/٣.

فأثبتالسورة أن محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ رسولٌ من رسل الله، وانه تعالى أرسل رسلًا مبشرين ومنذرين يهدي بهم عباده المربوبين إلى دينه الحق وإثبات أن القرآنَ من عند الله، واليومَ الآخر حقٌّ، وإرشادُه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتسليته في طريق الدعوة إلى ملة إبراهيم التوحيد، ونقض الشرك اعتقادًا وعملًا.

قال ابن عاشور:" وهي أجمع سور القرآن لأحوال العرب في الجاهلية، وأشدها مقارعة جدال لهم واحتجاج على سفاهة أحوالهم من قوله: وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا [الأنعام: ١٣٦] ، وفيما حرموه على أنفسهم مما رزقهم الله"[١].

وروي عن ابن عباس قال: " إذا سرك أن تعلم جهل العرب، فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الأنعام، {قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم} [الأنعام: ١٤٠] إلى قوله {قد ضلوا وما كانوا مهتدين} [الأنعام: ١٤٠]"[٢].

ثالثا:- إثبات البعث والحساب والجزاء والقيامة:

قال الإمام القرطبي:"قال العلماء: هذه السورة أصل في محاجة المشركين وغيرهم من المبتدعين ومن كذب بالبعث والنشور"[٣].

قال صاحب المنار:" لو سميت سور القرآن بما يدل على جل ما تشتمل عليه كل سورة أو على أهمه لسميت هذه السورة سورة عقائد الإسلام، أو سورة التوحيد، على ما جرى عليه العلماء من التعبير عن علم العقائد بالتوحيد لأنه أساسها وأعظم أركانها، فهي مفصلة لعقيدة التوحيد مع دلائلها، وما تجب معرفته من صفات الله تعالى وآياته، ولرد شبهات الكفار على التوحيد وما يتبع ذلك من هدم هياكل الشرك وتقويض أركانه، ولإثبات الرسالة والوحي وتفنيد شبهاتهم على الرسول صلى الله عليه وسلم، وإلزامهم الحجة بآية الله الكبرى وهي القرآن المشتمل على الآيات الكثيرة من عقلية وعلمية، ومبينة لوظائف الرسول ودعوته وهديه في الناس على اختلاف طبقاتهم وأحوالهم، وللبعث والجزاء والوعد والوعيد، ولأحوال المؤمنين والكافرين وأعمالهم، ولأصول الدين ووصاياه الجامعة في الفضائل والآداب"[٤].

الناسخ والمنسوخ:

السورة تحتوي من المنسوخ على خمس عشرة آية:

- الآية الأولى: قوله تعالى: {قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} [الأنعام : ١٥]، نسخت بقوله تعالى :{لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ} [الفتح : ٢].
- الآية الثانية: قوله تعالى: {وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَق} [الأنعام : ٦٦] هذا محكم، والمنسوخ قوله تعالى: {قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ} [الأنعام : ٦٦] نسخ بآية السيف
- الآية الثالثة: قوله تعالى: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ} [الأنعام : ٦٨] ،الى قوله تعالى:{وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [الأنعام : ٦٩]، نسخ ذلك بقوله تعالى: {فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ} [النساء : ١٤٠].
- الآية الرابعة :قوله تعالى: {وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا} [الأنعام : ٧٠] ، يعني: اليهود والنصارى، نسخها قوله تعالى :{قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ} [التوبة : ٢٩].
- الآية الخامسة قوله تعالى: {قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ} [الأنعام : ٩١] فيها محذوف تقديره: قل الله انزله ثم ذرهم فأمر الله بالإعراض عنهم. ثم نسخ ذلك بآية السيف.

---

(١) التحرير والتنوير:١٢٥/٧.
(٢)صحيح البخاري برقم (٣٥٢٤).
(٣) تفسير القرطبي:٣٨٣/٦.
(٤) تفسير المنار:٢٣٨/٨-٢٣٩.

- الآية السادسة: قوله تعالى: {وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ} [الأنعام : ١٠٤] نسخ بآية السيف.
- الآية السابعة: قوله تعالى :{اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} [الأنعام : ١٠٦] هذا محكم، وقوله تعالى :{وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} [الأنعام : ١٠٦] نسخ ذلك بآية السيف.
- الآية الثامنة: قوله تعالى: {وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ} [الأنعام : ١٠٧] نسخ بآية السيف.
- الآية التاسعة: قوله تعالى: {{وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ} [الأنعام : ١٠٨] نهاهم الله تعالى عن سب المشركين، هذه الآية ظاهرها ظاهر الأحكام وباطنها باطن المنسوخ لأن الله أمرنا بقتلهم والسب يدخل في جنب القتل وهو أشنع وأغلظ نسخت بآية السيف.
- الآية العاشرة: قوله تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوه} [الأنعام : ١١٢] هذا محكم، والمنسوخ: {فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُون} [الأنعام : ١١٢] نسخ ذلك بآية السيف
- الآية الحادية عشرة: قوله تعالى: {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} [الأنعام : ١٢١]، نسخ ذلك بقوله تعالى: {الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ} [المائدة : ٥]، والطعام –ههنا-: الذبائح.
- الآية الثانية عشرة: قوله تعالى: {قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ} [الأنعام : ١٣٥] إلى قوله: {لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} [الأنعام : ١٣٥] نسخ بآية السيف
- الآية الرابعة عشرة: قوله تعالى: {قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ} [الأنعام : ١٥٨]، نسخت بآية السيف.
- الآية الخامسة عشرة: قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى الله} [الأنعام : ١٥٩]، نسخ آية السيف.

وقد اختلف الناس في قوله تعالى :{فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُون} [الأنعام : ١١٢]، قالت طائفة هي على طريق التهديد وقال آخرون نسخت بآية السيف(١).

قال هبة الله:" وآية السيف نسخت في القرآن مائة آية وأربعا وعشرين آية(٢).

فضائل السورة:

ورد في هذه السورة مجموعة من الفضائل:

أحدها: أنها نزلت جملة واحدة، وشيّعها جمع غفير من الملائكة وهم يسبحون لله العظيم، ، مما يدل على أن لها مكانة مميزة وشأن فريد.

وهو ما لا نعرف له نظيراً مع باقي السور الطوال، إذ لم تنزل وفود الملائكة مشيعة لسورة إلا سورة الأنعام، وهذه خاصية عظيمة تدل على المكانة السامقة والمنزلة الرفيعة لهذه السورة، فمن الأخبار التي وردت في ذلك:

- قال جابر رضي الله عنه: "لما نزلت سورة الأنعام سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: "لقد شيع هذه السورة من الملائكة ما سد الأفق"(٣).

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ٨٥-٨٩.

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ: ٨٩.

(٣)رواه الحاكم في مستدركه (٣٢٢٦)، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم فإن إسماعيل هذا هو السدي و لم يخرجه البخاري"، أما تعليق الذهبي قي التلخيص فكان مغايرا لذلك حيث قال: "لا والله لم يدرك جعفر السدي وأظن هذا موضوعا"، وأخرجه البيهقي في الشعب (٢٤٣١)، وذكرهالسيوطيفيالدرالمنثور : ٢٤٤/٣، وزاد نسبته إلى الإسماعيلي في معجمه. وأما قول الذهبي فهو ظنّ، ولا يمكن أخذه على وجه التسليم، وإنما الحكم يكون من خلال القواعد الحديثية.

- وعن أَنَس بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "نزلت [سورة الأنعام] بمكة جملة واحدة ليلاً ونزل معها سبعون ألف ملك قد سدّوا ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والتحميد والتمجيد فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:«سبحان ربي العظيم»، وخرّ ساجداً"(١).
- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «نزلت سورة الأنعام بمكة ليلة، جملة واحدة، حولها سبعون ألف ملك يجأرون حولها بالتسبيح»(٢).
- وأخرج أبو الشيخ عن أبي كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"أنزلت علي سورة الأنعام جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل"(٣).
- وأخرج أبو الشيخ عن عطاء قال: "أنزلت الأنعام جميعا ومعها سبعون ألف ملك"(٤).
- وأخرج ابن مردويه عن أسماء قالت:"نزلت سورة الأنعام على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مسير في زجل من الملائكة وقد نظموا ما بين السماء والأرض"(٥).
- وأخرج الطبراني وابن مردويه عن أسماء بنت يزيد قالت: "نزلت سورة الأنعام على النبي صلى الله عليه وسلم جملة واحدة وأنا آخذة بزمام ناقة النبي صلى الله عليه وسلم أن كادت من ثقلها لتكسر عظام الناقة"(٦).
- وأخرج الطبراني وابن مردويه عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"نزلت علي سورة الأنعام جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد"(٧).
- وأخرج عبد الرزاق والفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وأبو الشيخ عن مجاهد قال: "نزلت سورة الأنعام كلها جملة معها خمسمائة ملك يزفونها ويحفونها"(٨).

قال الشربيني:" قال بعض العلماء: واختصت هذه السورة بنوعين من الفضيلة أحدهما: أنها نزلت دفعة واحدة، والثاني: أنها شيعها سبعون ألفاً من الملائكة والسبب فيها أنها مشتملة على دلائل التوحيد والعدل والنبوّة والمعاد وإبطال مذاهب المبطلين والملحدين"(٩).

والذي يظهر أن حديث جابر ثابتٌ من حيث الجملة, إذا ضممْنا إليه حديث ابن عباس وأنس بن مالك, فيكون حسناً لغيره إن شاء الله تعالى، وبقية الشواهد لا ترقى لتقوية الحديث.

قال السيوطي -بعد أن أورد بعضَ شواهد الحديث-:"فهذه شواهد يقوي بعضها بعضاً"(١٠).

والثاني: وردت في فضائلها مجموعة من الآثار، منها:

---

(١)أخرجه البيهقي في السنن الصغرى (٩٨١)، وفي الشعب (٢٤٣٣)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٦|٢٩٢)، قال الهيثمي: "رواه الطبراني عن شيخه محمد بن عبد الله بن عرس عن أحمد بن محمد بن أبي بكر السالمي، ولم أعرفهما، وبقية رجاله ثقات". انظر: مجمع الزوائد:٢٠/٧. وذكره السيوطي في الدر المنثور:٢٤٣/٣-٢٤٤، وزاد نسبته إلى أبي الشيخ وابن مردويه، والسلفي في المطيوريات.

والزجل ـ بفتح الزاي والجيم: الصوت الرفيع العالي، انظر: اللسانمادة "ز ج ل":ص ٦|٢٣.

(٢)انظر: المعجم الكبير:(٢١٥/١٢)، وفضائل القرآن لأبي عبيد (ص١٢٨)، ولابن الضريس (ص٩٤)، عمدة التفسير:(١١/٥)، موسوعة الفضائل:(٢٥٧/١).

(٣) الدر المنثور:٢٤٤/٣.

(٤) الدر المنثور:٢٤٥/٣.

(٥) الدر المنثور:٢٤٣/٣.

(٦) الدر المنثور:٢٤٣/٣.

(٧) الدر المنثور:٢٤٣/٣.

(٨) الدر المنثور:٢٤٤/٣.

(٩) السراج المنير:٤٠٩/١.

(١٠) الإتقان:٨٨.

- أنها من السبع الأول من القرآن، ومن الأحاديث التي بينت اشتراك هذه السورة مع غيرها في الفضل:

أولا:- عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من أخذ السبع الأول فهو حبر"(١). والأنعام من هذه السبع.

ثانيا:- أنها من السبعِ الطِّوالِ التي أوتيها النبي صلى الله عليه وسلم مكانَ التوراة، كما جاء عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أعطيت مكان التوراة السبع..." (٢).

ثالثا:- أنها من المثاني الطوالِ التي أوتيها النبيُّ صلى الله عليه وسلم «مقابلَ ألواحِ موسى»(٣).

- ومما وردت في فضائلها ما ذكره عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث قال: "الأنعام من نجائب القرآن"(٤).
- وما قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "من قرأ سورة الأنعام فقد انتهى في رضى ربه"(٥).
- وأخرج البيهقي في الشعب وضعفه والخطيب في تاريخه عن علي بن أبي طالب قال: "أنزل القرآن خمسا خمسا ومن حفظ خمسا خمسا لم ينسه إلا سورة الأنعام فإنها نزلت جملة في ألف يشيعها من كل سماء سبعون ملكا حتى أدوها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما قرئت على عليل إلا شفاه الله"(٦).
- وأخرج محمد بن نصر عن ابن مسعود قال: "الأنعام من مواجب القرآن"(٧).
- وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال: "نزلت سورة الأنعام يشيعها سبعون ألفا من الملائكة"(٨).
- ويقول كعب الأحبار: "فاتحة التوراة الأنعام، وخاتمتها هود" (٩).
- وأخرج الديلمي عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: « من صلى الفجر في جماعة ، وقعد في مصلاة ، وقرأ ثلاث آيات من أول سورة الأنعام ، وكل الله به سبعين ملكاً ، يسبحون الله ، ويستغفرون له ، إلى يوم القيامة»(١٠).
- وأخرج أبو الشيخ عن حبيب بن محمد العابد قال: "من قرأ ثلاث آيات من أول الأنعام إلى تكسبون بعث الله له سبعين ألف ملك يدعون له إلى يوم القيامة وله مثل أعمالهم فإذا كان يوم القيامة أدخله الله الجنة وسقاه من سلسبيل وغسله من الكوثر وقال: أنا ربك حقا وأنت عبدي حقا"(١).

---

(١)أخرجه الإمام أحمد في المسند(٢٤٥٧٥) من حديث عائشة رضي الله عنها، وقال عنه شعيب الأرنؤوط في تعليقه على المسند: "إسناده حسن"، وأخرجه الحاكم في مستدركه (٢٠٧٠)، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه".
والحبر: العالم، ومعناه العالم بتحبير الكلام، والأحبار: هم العلماء، انظر: النهاية (٣٢٨/١)، واللسان مادة (ح ب ر).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند(١٧٠٢٣)، وقال عنه شعيب الأرنؤوط في تعليقه عليه: "إسناده حسن"، وأخرجه البيهقي في الشعب(٢٤١٥)، وكذلك في سننه الصغرى(٩٧٨)، والطبراني في معجمه الكبير(١٨٦)، وقال الشيخ الألباني: "الحديث بمجموع طرقه صحيح"، السلسلة الصحيحة (٣|٤٦٩).

(٣) الأحاديث الثابتة في فضائل السور، ص: ٢٩.

(٤)أخرجه أبو عبيدة في فضائله والدارمي في مسنده ومحمد بن نصر في كتاب الصلاة وأبو الشيخ، كما في الدر المنثور:٢٤٥/٣.

(٥)المحرر الوجيز:٢|٣١١.

(٦) الدر المنثور:٢٤٤/٣.

(٧) الدر المنثور:٢٤٥/٣.

(٨) الدر المنثور:٢٤٣/٣.

(٩)أخرجه الدارمي (٣٤٠٢)، قال حسين سليم أسد: "إسناده صحيح إلى كعب وهو موقوف عليه".

(١٠) ضعيف جدا، أخرجه الديلمي في مسند الفردوس - كما في "تمهيد الفرش للسيوطي"، والدر المنثور:٢٤٦/٣، فيه محمد بن عمر الوراق، وهو ضعيف، محمد بن علي بن عثمان التمار ، الظاهر أنه : محمد بن السري بن عثمان ، أبو بكر التمار ، وهو مجهول الحال ، وانظر ترجمته في "تاريخ بغداد":٣٦٥/٢.

- وأخرج ابن الضريس عن حبيب بن عيسى عن أبي محمد الفارسي قال: "من قرأ ثلاث آيات من أول سورة الأنعام بعث الله سبعين ألف ملك يستغفرون له إلى يوم القيامة وله مثل أجورهم فإذا كان يوم القيامة أدخله الله الجنة أظله في ظل عرشه وأطعمه من ثمار الجنة وشرب من الكوثر واغتسل من السلسبيل وقال الله: أنا ربك وأنت عبدي"(٢).
- وأخرج السلفي بسنده واه عن ابن عباس مرفوعا قال من قرأ إذا صلى الغداة ثلاث آيات من أول سورة الأنعام إلى {ويعلم ما تكسبون}، نزل إليه أربعون ألف ملك يكتب له مثل أعمالهم وبعث إليه ملك من سبع سموات ومعه مرزبة من حديد، فإن أوحى الشيطان في قلبه شيئا من الشر ضربه حتى يكون بينه وبينه سبعون حجابا، فإذا كان يوم القيامة قال الله تعالى: أنا ربك وأنت عبدي: امش في ظلي واشرب من الكوثر واغتسل من السلسبيل وادخل الجنة بغير حساب ولا عذاب"(٣).
- وأخرج الديلمي بسند ضعيف عن أنس مرفوعا:" ينادي مناديا: قارىء سورة الأنعام هلم إلى الجنة بحبك إياها وتلاوتها"(٤).
- قال البغوي: وروي مرفوعاً "من قرأ سورة الأنعام يصلي عليه أولئك السبعون ألف ملك ليله ونهاره"(٥).

قال الألوسي: وهذه الاخبار"غالبها في هذا المطلب ضعيف وبعضها موضوع كما لا يخفى على من نقر عنها، ولعل الأخبار بنزول هذه السورة جملة أيضا كذلك. وحكى الإمام اتفاق الناس على القول بنزولها جملة ثم استشكل ذلك بأنه كيف يمكن أن يقال حينئذ في كل واحدة من آياتها إن سبب نزولها الأمر الفلاني مع أنهم يقولونه. والقول بأن مراد القائل بذلك عدم تخلل نزول شيء من آيات سورة أخرى بين أوقات نزول آياتها مما لا تساعده الظواهر بل في الأخبار ما هو صريح فيما يأباه.

والقول بأنها نزلت مرتين دفعة وتدريجا خلاف الظاهر ولا دليل عليه، وخبر تشييع الملائكة لها رواه جمع من المحدثين إلا أن منهم من روى أن المشيعين سبعون ألفا ومنهم من روى أنهم كانوا أقل ومنهم من روى أنهم كانوا أكثر "(٦).

قال ابن الصلاح في فتاويه:" والخبر المذكور في ذلك[أي: نزول سورة الأنعام جملة] قد رويناه من حديث أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي إسناده ضعف ولم نر له إسنادا صحيحا وقد روى ما يخالفه"(٧).

ويمكن ان يجاب عن قول ابن الصلاح: بأن ضعف السند لا يلزم منه ضعف الحديث إذ قد يكون له شواهد تقويه, والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(١) الدر المنثور:٢٤٥/٣.
(٢) الدر المنثور:٢٤٥/٣.
(٣) الدر المنثور:٢٤٥/٣-٢٤٦.
(٤) الدر المنثور:٢٤٤/٣.
(٥) تفسير البغوي:١٢٥/٣، والخبر أخرجه الثعلبي من حديث أبي بن كعب. وفيه: أبو عصمة، وهو متهم بالكذب. وأوله عند الطبراني في الصغير.. وفيه: يوسف بن عطية وهو ضعيف،وعنه أخرجه ابن مردويه في التفسير، وأبو نعيم في الحلية. انظر: الكافي الشاف لابن حجرص (٦٣)، والدرالمنثور: ٣ / ٢٤٦.
(٦) روح المعاني:٧٢/٤.
(٧) فتاوى ابن الصلاح:٢٤٩/١.

سورة «الأعراف»

سورة «الأعراف»: هي السورة السابعة في ترتيب المصحف، وسادسة السبع الطول، والثالثة من حيث الطول بعد سورتي البقرة والنساء، نزلت بعد سورة «ص»، وعدد آياتها: (٢٠٦) مائتان وستٌّ آيات فى عدّ قرّاءِ كوفة والحجاز، و(٢٠٥) مائتان خمس فى عدّ الشَّام والبصرة، وعدد كلماتها (٣٣٢٥) ثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمس وعشرون كلمة، وحروفها(١٤٣١٠) أربعة عشر ألفا وثلاثمائة وعشرة أحرف، والآيات المختَلف فيها خمس: المص {بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ} {مُخْلِصِينَ لَهُ الدين} {ضِعْفاً مِّنَ النار} على بنى إسرائيل. ومجموع فواصل آياتها (م ن د ل)[١].

أسماء السورة:

أولا:- اسمها التوقيفي: سورة «الأعراف»

«الأعراف» في اللغة: جمع: عُرف، وكل عال مرتفع[٢]، قال الزجاج:"الأعراف: أعالي السور، ويقال لكل عال عرف وجمعه: «أعراف»"[٣].

قال الطبري:" «الأعراف»: جمع، واحدها:«عُرْف»، وكل مرتفع من الأرض عند العرب فهو«عُرْف»، وإنما قيل لعُرف الديك:«عرف»، لارتفاعه على ما سواه من جسده، ومنه قول الشماخ بن ضرار[٤]:

وَظَلَّتْ بِأَعْرَافٍ تَغَالَى، كَأَنَّهَا ... رِمَاحٌ نَحَاهَا وِجْهَةَ الرِّيحِ رَاكِزُ

يعني بقوله:"بأعراف"، بنشوز من الأرض، ومنه قول الآخر[٥]:

كُلُّ كِنَازٍ لَحْمُهُ نِيَافِ ... كَالْعَلَمِ المُوفِي عَلَى الأَعْرَافِ

وكان السدي يقول: «إنما سمي"الأعراف" أعرافًا، لأن أصحابه يعرفون الناس»[٦]"[٧].

والأعراف: هو السور الذي بين الجنة والنار كما ذكره المفسرون[٨]، وهو قول ابن عباس[٩]، ومجاهد[١٠]، وأبي جعفر[١١]، والضحاك[١٢].

---

(١)انظر :بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٢٠٣.

(٢) انظر: اللسان"عرف":ص٢٤١/٩.

(٣) معاني يالقرآن:٣٤٢/٢.

(٤)ديوانه: ٥٣، مجاز القرآن لأبي عبيدة ١: ٢١٥، وتفسير الطبري:٤٤٩/١٢، ورواية ديوانه وغيره "وظلت تغالي باليفاع كأنها" . وهذا البيت من آخر القصيدة في صفة حمر الوحش، بعد أن عادت من رحلتها الطويلة العجيبة في طلب الماء، يقودها العير، فوصفه ووصفهن، فقال:

مُحَامٍ على عَوْرَاتِهَا لا يَرُوعُها ... خَيَالٌ، وَلا رَامِي الوُحُوشِ المنَاهِزُ

وأصْبَحَ فَوْقَ النَّشْزِ، نَشْزِ حَمَامةٍ، ... لهُ مَرْكَضٌ فِي مُسْتَوَى الأَرْضِ بَارِزُ

وَظَلَّتْ تغَالَي بِاليَفَاع.......... ... .

و "تغالي الحمر": احتكاك بعضها ببعض.يصف ضمور حمر الوحش، كأنها رماح مائلة تستقبل مهب الرياح..

(٥) لم أتعرف على قائله، والبيت من شواهد مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١/ ٢١٥، وتفسير الطبري:٤٥٠/١٢، واللسان "نوف". و"الكناز" المجتمع اللحم القوية. و "النياف" ، الطويل، يصف جملا. و "العلم" الجبل.

(٦) أخرجه الطبري(١٤٦٧٢):٤٥٠/١٢.

(٧) تفسير الطبري:٤٤٩/١٢-٤٥٠.

(٨) انظر: تفسير الطبري:٤٤٩/١٢، والنكت والعيون: ٢٢٥/٢، وزاد المسير:٢٢٠٤/٣، وتفسير القرطبي:٢١٢/٧، وتفسير ابن كثير:٣٤٦/٢

(٩) انظر: تفسير الطبري(١٤٦٧٩):ص٤٥١/١٢.

(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٤٦٧٧):ص٤٥١/١٢.

(١١) انظر: تفسير الطبري(١٤٦٨٣):ص٤٥٢/١٢.

(١٢) انظر: تفسير الطبري(١٤٦٨٤):ص٤٥٢/١٢.

و«الأعراف» هو الاسم الذي اشتهرت به هذه السورة من عهد الرسول-صلى الله عليه وسلم- في كلام أصحابه، إذ روي عن عائشة-رضي الله عنها-، أنها قالت: "قرأ رسول الله-صلى الله عليه وسلم- في صلاة المغرب بسورة الأعراف فرّقها في ركعتين"[(١)].

وعن زيد بن ثابت: "أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ في المغرب بسورة الأعراف في الركعتين كلتيهما"[(٢)].

وعن عروة بن الزبير: "أن مروان أخبره: أن زيد بن ثابت قال له: «ما لى أراك تقرأ فى المغرب بقصار السور؟ قد رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقرأ فيها بطولى الطوليين» . قال ابن أبى ملكية: وما طولى الطوليين؟ قال: الأعراف"[(٣)].

وبهذا الاسم دونت السورة في المصاحف وكتب التفسير والحديث، ووجه تسميته بالأعراف، لأنه ذكر فيها لفظ «الأعراف»، وهو السور الذي بين الجنة والنار، وذلك في قوله تعالى:{وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ} [الأعراف : ٤٦].

ولقد تفردت بذكر شأن أهل الأعراف في الآخرة، ولك يذكر في غيرها من السور بهذا اللفظ، ولكنه بلفظ«سور» في سورة الحديد، وذلك في قوله تعالى:{يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ} [الحديد : ١٣].

واختلف في الأعراف من هم، وفيه أقوال:

أحدها: أنهم قوم من بني آدم، استوت حسناتهم وسيئاتهم، فجعلوا هنالك إلى أن يقضي الله فيهم ما يشاء، ثم يدخلهم الجنة بفضل رحمته إياهم. وهذا قول حذيفة[(٤)]، وابن مسعود[(٥)]، وابن عباس[(٦)]، وسعيد بن جبير[(٧)]، والضحاك[(٨)]، والشعبي[(٩)]، وابي علقمة[(١٠)]، وهو قول أكثر المفسرين[(١١)].

روي عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من زادت حسناته على سيئاته مثقال دخل الجنة، ومن زادت سيئاته على حسناته مثقال دخل النار، ومن استوت حسناته وسيئاته فأولئك من أصحاب الأعراف لم يدخلوها وهم يطمعون»[(١٢)].

والثاني: أنهم كانوا قتلوا في سبيل الله عصاة لآبائهم في الدنيا. وهذا قول شرحبيل بن سعد[(١)].   وروي عن محمد بن عبد الرحمن، عن أبيه قال: "سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف،

---

(١)أخرجه النسائي في المجتبى من السنن ٢/ ١٧٠، كتاب الافتتاح (١١)، باب القراءة في المغرب. . . (٦٧). وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٢/ ٣٩٢، كتاب الصلاة، باب من لم يطيق القراءة فيها بأكثر مما ذكرنا.

(٢)أخرجه الحاكم في المستدرك "٢٣٧/١"، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين إن لم يكن فيه إرسال ولم يخرجاه بهذا اللفظ، وقال الذهبي: فيه انقطاع.

(٣) أخرجه أحمد ١٨٨/٥ (٢١٩٨٠) قال: حدثنا محمد بن جعفر. وفي ١٨٩/٥ (٢١٩٨٥) قال: حدثنا عبد الرزاق، وابن بكر. و"البخاري" ١٩٤/١ (٧٦٤) قال: حدثنا أبو عاصم. و"أبو داود" ٨١٢ قال: حدثنا الحسن بن علي، قال: حدثنا عبد الرزاق.

(٤) انظر: تفسير الطبري(١٤٦٨٦)-(١٤٦٨٩):ص٤٥٣/١٢.

(٥) انظر: تفسير الطبري(١٤٦٩٠):ص٤٥٣/١٢-٤٥٤.

(٦) انظر: تفسير الطبري(١٤٦٩٢):ص١٢/ ٤٥٥، وتفسير ابن ابي حاتم(٨٥٠١):ص١٤٨٥/٥.

(٧) انظر: تفسير الطبري(١٤٧٠٠):ص٤٥٦/١٢-٤٥٧.

(٨) انظر: تفسير الطبري(١٤٦٩٩):ص٤٥٦/١٢.

(٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨٤٩٩):ص١٤٨٤/٥-١٤٨٥.

(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٤٧٠٢):ص٤٥٧/١٢.

(١١) انظر: النكت والعيون:٢٢٥/٢، وزاد المسير:٢٠٤/٣، وتفسير القرطبي:٢١٢/٧، وتفسير ابن كثير:٣٤٦/٢.

(١٢)مسند أبي حنيفة (ص ٢٠٣).

فقال: قوم قتلوا في سبيل الله بمعصية آبائهم، فمنعهم قتلهم في سبيل الله عن النار، ومنعتهم معصية آبائهم أن يدخلوا الجنة"[٢].
والثالث: أنهم قوم صالحون فقهاء علماء. قاله مجاهد[٣].
والرابع: أنهم ملائكة يعرفون الفريقين جميعًا بسيماهم، أهل النار وأهل الجنة، وهذا قبل أن يدخل أهل الجنة الجنة. وهذا قول أبي مجلز[٤].
قال الإمام الطبري:" والصواب من القول في أصحاب الأعراف أن يقال كما قال الله جل ثناؤه فيهم: هم رجال يعرفون كُلا من أهل الجنة وأهل النار بسيماهم، ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصح سنده،ولا أنه متفق على تأويلها، ولا إجماع من الأمة على أنهم ملائكة.
فإذ كان ذلك كذلك، وكان ذلك لا يدرك قياسًا، وكان المتعارف بين أهل لسان العرب أن«الرجال» اسم يجمع ذكور بني آدم دون إناثهم ودون سائر الخلق غيرهم، كان بيِّنًا أن ما قاله أبو مجلز من أنهم ملائكة، قولٌ لا معنى له، وأن الصحيح من القول في ذلك ما قاله سائر أهل التأويل غيره. هذا مع مَنْ قال بخلافه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومع ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك من الأخبار، وإن كان في أسانيدها ما فيها"[٥].
عن أبي زرعة عمرو بن جرير، قال: "سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف فقال: هم آخر من يقضي لهم من العباد، فإذا فرغ رب العالمين من القضاء بين العباد قال لهم: أنتم قوم أخرجتكم أعمالكم من النار وعجزت أن تدخلكم الجنة، فاذهبوا فأنتم عتقاي، فارعوا من الجنة حيث شئتم"[٦].

ثانيا: اسماءها الاجتهادية:

ا-سورة«الميقات»

ذكره الفيروزآبادي وعلل تسميتها بذلك لاشتمالها على ذكر يقات موسى في قوله تعالى:{وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا} [الأعراف : ١٤٣][٧].

ب-سورة«الميثاق»

وتسمى بذلك لاشتمالها على حديث الميثاق في قوله تعالى:{ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى} [الأعراف : ١٧٢][٨].
وهذان الاسمان اجتهاديان ولم يثبت فيهما شيء عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، قال الفيروزآبادي:" وأشهرها الأعراف"[٩].

مكية السورة ومدنيتها:

---

(١) انظر: تفسير الطبري(١٤٧٠٣):ص٤٥٧/١٢.
(٢)حديث عبد الرحمن المزني: أخرجه سعيد بن منصور (١٤٣/٥، رقم ٩٥٤) ، وابن منيع، والحارث كما فى المطالب العالية (٦٦٤/١٤، رقم ٣٦٠٨، ٣٦٠٩) ، والطبرانى كما فى مجمع الزوائد (٢٤/٧) قال الهيثمى: فيه أبو معشر نجيح، وهو ضعيف. والبيهقى فى البعث والنشور (ص ١٠٦، رقم ١٠٤) . وأخرجه أيضا: الطبري في جامع البيان ١٤٧٠٥):ص٤٥٨/١٢-واللفظ له- ، والخرائطى فى مساوئ الأخلاق (ص ١٠٤، رقم ٢٥١) ، وأبو نعيم فى المعرفة من طريق الطبرانى (١٨٦٠/٤، رقم ٤٦٨٤) . وعزاه ابن كثير فى التفسير (٢١٧/٢) لسعيد بن منصور، وابن مردويه، وابن جرير، وابن أبى حاتم.
(٣) انظر: تفسير الطبري(١٤٧٠٦):ص٤٥٨/١٢.
(٤) انظر: تفسير الطبري(١٤٧٠٧)-(١٤٧١٤):ص٤٥٩/١٢-٤٦٠.
(٥) تفسير الطبري:٤٦٠/١٢-٤٦١.
(٦) أخرجه الطبري(١٤٧١٥):ص٤٦١/١٢، وابن ابي حاتم(٨٥٠٠):ص١٤٨٥/٥.
(٧) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز:٢٠٣/١-٢٠٤.
(٨) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز:٢٠٤/١.
(٩) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على أربعة أقوال:
أحدها: أنها مكية، وهذا قول ابن عباس(١)، وعن عبد الله بن الزبير(٢).
والثاني: أنها مكية إلا آية واحدة، وهي:{وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ} [الأعراف : ١٦٣]، إلى آخر الآية وسائرها مكية. وهذا قول قتادة(٣).
والثالث: أنها مكية إلا ثمان آيات، وهي: {وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ} [الأعراف : ١٦٣]، إلى قوله:{وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ} [الأعراف : ١٧١]. وهذا قول الإمام الشوكاني(٤).
والرابع: أنها مكية إلا إحدى عشر آية، وهي: {وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ} [الأعراف : ١٦٣]، إلى قوله:{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ} [الأعراف : ١٧٢]، فهذه الآيات مدنيات. وهذا قول مقاتل(٥).
قال الفيروزآبادي:" هذه السّورة نزلت بمكة إجماعاً"(٦). وحكي الإجماع أيضا البغوي وابن الجوزي(٧).

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومن وجوه المناسبة بين هذه السورة وبين سورة «المائدة» التي قبلها:
أولا:- قال تعالى في أواخر الأنعام:{وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الأنعام : ١٥٥]، {قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [الأنعام : ١٦١].
فهذه خواتيم الأنعام، وآخرها {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ} [الأنعام : ١٥٥].
وفي أول الأعراف، قال: {كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٣)} [الأعراف : ٢ - ٣].
فقوله تعالى في الأنعام: {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ} [الأنعام : ١٥٥]، مترابط مع قوله تعالى في الأعراف: { اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ}[الأعراف:٣].
إذ تناولت الآيتان قضية اتباع الوحي والعمل بما فيه.
ثانيا: ومن وجوه الترابط بين السورتين أنه سبحانه وتعالى أخذ يستدل على ما ختم به سورة الأنعام من سرعة العقاب وعموم البر والثواب(٨)، وما تَقدَّمه، فقال مخبرًا عن مبتدأ تقديره: هو {كِتَابٌ} [الأعراف : ٢]؛ أي: عظيم أوضح الطريق المستقيم، فلم يدع بها لبسًا، ولم يَذَر خيرًا إلا أمر به، ولا شرًّا إلا نهى عنه، فإنزاله من عظيم رحمته، ثم وصفه بما أكَّد ما أشار إليه من رحمته بقوله :{أُنْزِلَ إِلَيْكَ}؛ أي: وأنت أكرم

(١) انظر: الدر المنثور:٤١٢/٣، أخرجه عنه ابن الضريس والنحاس في ناسخه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.
(٢)أخرجه ابن مردويه، كما في الدر المنثور:٤١٢/٣.
(٣)أخرجه عنه ابن المنذر وأبو الشيخ، كما في الدر المنثور:٤١٢/٣.
(٤) انظر: فتح القدير:٢١٣/٢.
(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٢٧/٢-٢٨.
(٦)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز:٢٠٣/١.
(٧) انظر: تفسير البغوي:٥٥٥/٥- وزاد المسير:٣ / ٧.
(٨)ختَم الله تعالى سورة الأنعام باتباع كتابه والتزامه إلى أن قال تعالى :(وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ)]الأنعام: ١٦٥[.
ثم قال في بداية سورة الأعراف :(المص * كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)]الأعراف: ١، ٢[.

الناس نفسًا وأوسعهم صدرًا، وأجملهم قلبًا وأعرقهم أصالة، وأعرفهم باستعطاف المباعد، واستجلاب المنافر المباغض، وهذا شيء قد خصَّك به، فرفعك على جميع الخلق درجات لا تُحصى ومُراتب لا حدَّ لها [1].
ثالثا: يقول ومن التناسب أيضا: إن الابتلاء الذي ينزله الله على عباده، وما يترتب عليه من عقاب أوثواب، لا يكون إلا بعد أن تُوضَّح التكاليف الشرعية، ويُبرهن عليها ويُدلل، ولمَّا كان ذلك في السورة نفسها :{وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ} [الأنعام: ١٥٥]، أعاد سبحانه في مطلع سورة الأعراف التأكيد والتدليل على ما اختتمت به الأنعام من الامتثال والثبات على التكاليف الشرعية التي مصدرها كتاب الله، ولذلك كان الحديث في بدء سورة الأعراف كما تقدَّم عن كتابه ووجوب التزامه؛ قال تعالى مدللاً على ما تقدَّم :{المص * كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ} [الأعراف: ١ – ٣]"[2].
رابعا: في خاتمة الأنعام قال: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}[الأنعام:١٦٥].
وفي بداية الأعراف{وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ} [الأعراف : ٤].
فوجه الترابط بين الآيتين: ان الاستخلاف في الأرض يكون من خلال إهلاك القرون السابقة من الأمم الخالية، وهذا المعنى الأخير أكدته الآية الثانية التي في الأعراف، فقال: {وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا}، معناه: " وكم من أهل قرية أهلكناهم"[3]. ، وفي هذا من الترابط ما لا يخفى.
خامسا: قال تعالى في آخر سورة «الأنعام»:{إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ} [الأنعام : ١٦٥]، أي:" لسريع العقاب لمن أسخطه بارتكابه معاصيه "[4].
وقال تعالى في الآيات الأولى في «الأعراف»:{وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ} [الأعراف : ٤]، معناه:" فجاءتهم عقوبتنا ونقمتنا ليلا قبل أن يصبحوا"[5].
فوجه الترابط بين الآيتين: سرعة نزول العقاب وتحققه في المستحقين.
وهذه خصائص كتاب الله المجيد وقرآنه الكريم وكلامه القديم، الذى لا يأتيه الباطل ولا يعتريه التعارض؛ بل الإحكام والإتقان، والتناسُق والتناسُب، والتمام والكمال والجمال، وهكذا في كل سوره ونظْمِه وترتيبه المُعجِز بلفظه ومعناه، والله الموفّق والمَرجو ثوابه .

أغراض السورة ومقاصدها:

قصدت هذه السورة الطويلة إلى تقرير جملة من المقاصد الكلية، كأصول العقائد وكليات الدين، وخاصة قضية التوحيد والشرك، قال البقاعي" :ومقصودها: إنذار من أعرض عما دعا إليه الكتاب في السور الماضية من التوحيد، والاجتماع على الخير...وتحذيره بقوارع الدارين. وأدل ما فيها على هذا المقصد: أمر الأعراف، فإن اعتقاده يتضمن الإشراف على الجنة والنار، والوقوف على حقيقة ما فيها، وما أعد لأهلها الداعي إلى امتثال كل خير، واجتناب كل شر، والاتعاظ بكل مرقق.
على الجملة، فإن المتأمل في هذه السورة الكريمة، يجد أنها تطوف حول تقرير المقاصد التالية[6]:
أولاً :أنه سبحانه أنزل القرآن للإنذار به والتذكير؛ فهو كتاب للصدع بما فيه من الحق، ولمجابهة العقائد فاسدة، والشرائع باطلة، والتقاليد بالية، ولمعارضة نُظُمٍ ظالمة، وأوضاع جائرة، ومجتمعات سادرة. فالحرج في طريقه كثير، والمشقة في الإنذار به قائمة.

---

(١)انظر: نظم الدرر، البقاعي:٣٤٨/٧.
(٢)التناسب القرآني عند البقاعي؛ للدكتور مشهور موسى، ص ١١٠.
(٣) معاني القرآن للزجاج:٣١٧/٢.
(٤) تفسير الطبري:٢٨٩/١٢.
(٥) تفسير الطبري:٢٩٩/١٢.
(٦) انظر:مقاصد سورة الأعراف، إسلام ويب، [موقع التكروني].

ثانياً: وجهت السورة القلوب والعقول إلى توحيد الله تعالى إيماناً، وعبادة، وتشريعاً، وبينت صفاته سبحانه وشؤون ربوبيته، وأمرت بعبادته وحده، وترك عبادة غيره.
ثالثاً :قررت السورة أنه سبحانه خالق الأرض وخالق الناس، هو الذي مكن لهم في الأرض، وأودع فيها خصائص البقاء والحياة، التي تسمح بحياة الإنسان وتقوته وتعوله، بما فيها من أسباب الرزق والمعايش.
رابعاً :قصدت السورة إلى توجيه الأبصار والبصائر إلى مكنونات هذا الكون وأسراره، وظواهره وأحواله، وبيان سنة الله التي جرت بها مشيئته بالمكذبين، وهي سنة واحدة، يأخذ الله بها المكذبين بالبأساء والضراء؛ لعل قلوبهم ترق وتلين وتتجه إلى الله، وتعرف حقيقة ألوهيته. فإذا لم يستجيبوا، أخذهم بالنعماء والسراء، وفتح عليهم أبواب كل شيء، حتى إذا انتهى بهم اليسر والعافية إلى الاستهتار وقلة المبالاة، وحسبوا أن الأمور تمضي جزافاً بلا قصد ولا غاية، أخذهم بغتة، وهم غافلون. لم يدركوا حكمة الله في الابتلاء بالضراء والسراء، ولم يتدبروا حكمته في تقلب الأمور بالعباد، ولم يتقوا غضبه على المستهترين الغافلين، وعاشوا كالأنعام، بل أضل حتى جاءهم بأس الله.
خامساً :تضمنت السورة تقرير عقيدة البعث والإعادة في الآخرة، ووزن الأعمال يوم القيامة، وترتيب الجزاء على ثقل الموازين وخفتها، وسؤال الرسل في الآخرة عن التبليغ وأثره، وسؤال الأمم عن إجابة الرسل. وبيان كون الجزاء بالعمل، جزاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وإيراثهم الجنة وحالهم ومقالهم فيها، وإقامة أهل الجنة الحجة على أهل النار، وضرب الحجاب بين أهل الجنة وأهل النار، والتنبيه على مسألة قيام الساعة، وكونها تأتي بغتة .
سادساً :بينت السورة أصول التشريع الكلية، وبعض قواعد الشرع العامة؛ فقررت بداية أن شارع الدين هو الله تعالى، وحرمت التقليد في الدين، والأخذ فيه بآراء البشر، وبالمقابل عظمت من شأن النظر العقلي والتفكر; لتحصيل العلم بما يجب الإيمان به، ومعرفة آيات الله وسننه في خلقه وفضله على عباده .
سابعاً :الأمر بأخذ الزينة عند كل مسجد، والأكل والشرب من الطيبات المستلذات، والإنكار على من حرم زينة الله، التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق، وبيان أنها حق للذين آمنوا في الحياة الدنيا، وقيدها بعدم الاعتداء والإسراف فيها. وبيان مِنَّة الله على البشر بإنزال اللباس لستر العورات، وتيسير الزينة للتجمل بها بين الناس. وبالمقابل حصرت أنواع المحرمات الدينية العامة من الفواحش الظاهرة والباطنة، والإثم والبغي .
ثامناً :بيان أن الإيمان بما دعا الله إليه، والتقوى في العمل بشرعه فعلاً وتركاً، سبب اجتماعي طبيعي لسعة بركات السماء والأرض وخيراتها على الأمة.
تاسعاً :قررت السورة سُنَّة اجتماعية أخرى، حاصلها أن الأرض ليست رهن تصرف الملوك والدول بقدرتهم الذاتية فتدوم لهم، وإنما هي لله سبحانه، وله وحده - بمحض مشيئته وحكمته - سلبها من قوم، وجعلها إرثاً لقوم آخرين. ومدار هذه السُّنَّة على أن العاقبة في التنازع بين الأمم للمتقين، أي: الذين يتقون أسباب الضعف والخذلان والهلاك، كاليأس من روح الله، والتخاذل والتنازع والفساد في الأرض والظلم والفسق، ويتلبسون بضدها، وبسائر ما تقوى به الأمم من الأخلاق والأعمال، وأعلاها الاستعانة بالله الذي بيده ملكوت كل شيء، والصبر على المكاره مهما عظمت. وأن الأمم المستضعفة مهما يكن عدوها الظالم لها قوياً، فليس لها أن تيأس من الحياة .
عاشراً :بيان أن سنة الله في الأمم التي ترث الأرض من بعد أهلها الأصلاء، هي سُنَّته تعالى في أهلها، فإذا كان هؤلاء قد غلبوا عليها; بسبب ظلمهم وفسادهم وجهلهم وعمى قلوبهم، فكذلك يكون شأن الوارثين لها من بعدهم، إذا صاروا مثلهم في ذلك.
حادي عشر :بيان أصول الفضائل الأدبية والتشريعية الجامعة بأوجز عبارة معجزة، والدعوة إلى السماحة واليسر، وبالواضح من الأمر، الذي تعرفه فطرة البشر في بساطتها، بغير تعقيد ولا تشديد. والإعراض عن الجاهلين، بعدم مؤاخذتهم، أو مجادلتهم، أو الاحتفال بهم.

ثاني عشر :توجيه المؤمنين إلى أدب الاستماع لهذا القرآن؛ وأدب ذكر الله تعالى، مع التنبيه إلى مداومة هذا الذكر، وعدم الغفلة عنه.
هذه المقاصد لا تعدو كونها إشارات لكثير من المقاصد التي تضمنتها هذه السورة خصوصاً، والقرآن الكريم عموماً.

الناسخ والمنسوخ:

السورة تحتوي من المنسوخ على آيتين منسوختين:
- الآية الأولى: قوله تعالى: {وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ} [الأعراف : ١٨٣]، موضع النسخ –ههنا- : {وَأُمْلِي لَهُمْ}، أي: خل عنهم ودعهم، وباقي الآية محكم نسخ المنسوخ منها بآية السيف.
- الآية الثانية قوله تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ} [الأعراف : ١٩٩]، هذا منسوخ، يعني: الفضل من اموالهم نسخ بآية الزكاة.

قال هبة الله بن سلامة: "وهذه الآية من أعجب المنسوخ لأن أولها منسوخ وآخرها منسوخ وأوسطها محكم وآخرها قوله {وأعرض عن الجاهلين} نسخ بآية السيف ووسطها محكم وهو قوله {وأمر بالعرف} والعرف المعروف هذا محكم وقد روي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أن جبريل عليه السلام أتاه فقال يا محمد إني جئتك بمكارم الأخلاق من ربك قال وما ذلك يا جبريل قال إن الله يأمرك أن تقرأ :{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ} [الأعراف : ١٩٩] الآية، قال: وما ذلك يا جبريل؟ قال: إن الله يقول لك: صل من قطعك وأعط من حرمك واعف عمن ظلمك". وقد روى عن عبد الله بن الزبير أنه قال: أمر أن نأخذ العفو من أخلاق الناس"[١].

فضائل السورة:

ورد في هذه السورة مجموعة من الفضائل، نذكر منها:
أولا:- أنها من السبع الأول من القرآن، ومن الأحاديث التي بينت اشتراك هذه السورة مع غيرها في الفضل:
أ- ما رواه واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال:" أعطيت مكان التوراة السبع الطول وأعطيت مكان الزبور المئين وأعطيت مكان الإنجيل المثانى وفضلت بالمفصل"[٢].
ب- عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من أخذ السبع الأول فهو حبر"[٣].
والأعراف من هذه السبع.
ثانيا:- ومما وردت في فضائلها ما روته عائشة رضي الله عنها، أنه "قرأ رسول الله-صلى الله عليه وسلم- في صلاة المغرب بسورة الأعراف فرّقها في ركعتين"[٤].
ثالثا:- عن مروان بن الحكم، قال: "قال لي زيد بن ثابت:«ما لى أراك تقرأ فى المغرب بقصار السور؟ قد رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقرأ فيها بطولى الطوليين» . قال ابن أبى ملكية: وما طولى الطوليين؟ قال: الأعراف"[١].

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ٩٠-٩١.
(٢)أخرجه أحمد (١٠٧/٤، رقم ١٧٠٢٣) . قال الهيثمى (٤٦/٧) : فيه عمران القطان وثقه ابن حبان وغيره وضعفه النسائى وغيره وبقية رجاله ثقات. وأخرجه الطبرانى (٧٥/٢٢ رقم ١٨٦) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٤٦٥/٢، رقم ٢٤١٥ مكرر) . وأخرجه أيضا: الطيالسى (ص ١٣٦ رقم ١٠١٢) وأبو نعيم فى معرفة الصحابة (٢٧١٦/٥ رقم ٦٤٨٥) . وقال المناوى (٥٦٦/١) : فيه عمرو بن مرزوق، أورده الذهبى فى الضعفاء وقال: كان يحيى بن سعيد لا يرضاه.
(٣)أخرجه الإمام أحمد في المسند(٢٤٥٧٥) من حديث عائشة رضي الله عنها، وقال عنه شعيب الأرنؤوط في تعليقه على المسند: "إسناده حسن"، وأخرجه الحاكم في مستدركه (٢٠٧٠)، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه".
والحبر: العالم، ومعناه العالم بتحبير الكلام، والأحبار: هم العلماء، انظر: النهاية (٣٢٨/١)، واللسان مادة (ح ب ر).
(٤)أخرجه النسائي في المجتبى من السنن ٢/ ١٧٠، كتاب الافتتاح (١١)، باب القراءة في المغرب. . . (٦٧). وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٢/ ٣٩٢، كتاب الصلاة، باب من لم يطيق القراءة فيها بأكثر مما ذكرنا.

عن سعيد بن جبير في هذه الآية:"{وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ} [الحجر : ٨٧]، قال: البقرة، وآل عمران، والنساء والمائدة والأنعام، والأعراف، ويونس، فيهنّ الفرائض والحدود"[٢].

---

(١) أخرجه أحمد ١٨٨/٥ (٢١٩٨٠) قال: حدثنا محمد بن جعفر. وفي ١٨٩/٥ (٢١٩٨٥) قال: حدثنا عبد الرزاق، وابن بكر. و"البخاري" ١٩٤/١ (٧٦٤) قال: حدثنا أبو عاصم. و"أبو داود" ٨١٢ قال: حدثنا الحسن بن علي، قال: حدثنا عبد الرزاق.
(٢) أخرجه الطبري:١٣٠/١٧.

تفسير سورة الأنفال

سورة «الأنفال»: هي السورة الثامنة في ترتيب المصحف، ووضعت موضع السابعة من السبع الطوال، مع أن آياتها دون المائة، لأنها مع قصرها قدمت على سورة «براءة»، لأنها مشتملة على البسملة، لتكون قطعة منها، وتكون«براءة» لخلوها من البسملة كتتمتها وبقيتها، ولهذا قال جماعة من السلف: إنهما سورة واحدة[1].

ووضعت«براءة» موضعها لمناسبة الكل، فإنه ليس بعد الست السابقة سورة أطول منها.

ولهذا كان جواب عثمان لابن عباس-رضي الله عنهما- عندما سأله: "ما حملكم على أن عمدتم إلى «الأنفال»-وهي من المثاني- وإلى «براءة» -وهي من المئين-ففرقتم بينهما، ولم تكتبوا البسملة بينهما ووضعتموهما من السبع الطوال؟

فقال عثمان-رضي الله عنه-: كان رسول الله-صلى الله عليه وسلم- ينزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا أنزل عليه الشيء، دعا من كان يكتب فيقول:«ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا».

وكانت «الأنفال» من أوائل ما نزل بالمدينة، وكانت «براءة» من آخر القرآن نزولا، وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها، فقبض رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولم يبين أنها منها، فمن اجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر: «بسم الله الرحمن الرحيم»، ووضعتها من السبع الطوال"[2].

نزلت بعد نزول سورة «البقرة»، وعدد آياتها: (٧٧) سبع وسبعون عند الشّاميّين، و(٧٥) وخمس وسبعون عند الكوفيّين، وعدد كلماتها (٣٣٢٥) ألف ومائة وخمس وتسعون كلمة، وحروفها(١٤٣١٠) خمسةُ آلاف ومائتان وثمانون أحرف، والآيات المختَلف فيها ثلاث {يُغْلَبُونَ } [الأنفال : ٣٦]، { بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ} [الأنفال : ٦٢]، { أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا} [الأنفال : ٤٢].

ومجموع فواصل آياتها (ن د م ق ط ر ب) يجمعها «نَدِمَ قُطْرُب»، أو «نطق مدبر»، على «الدّال» منها آية واحدة: {لِلْعَبِيدِ} [الأنفال : ٥١]، وعلى «القاف» آية واحدة: {الْحَرِيقِ} [الأنفال : ٥٠]، وعلى «الباءِ» أربع آيات آخرها {الْعِقَابِ} [الأنفال : ١٣، ٢٥، ٤٨، ٥٢][3].

أسماء السورة:

أولا:- اسمها التوقيفي: سورة «الأنفال»

«الأنفال»: جمع «نفل»، وهي الغنيمة، والهبة، يقال: نفلّت فلانا تنفيلا: أعطيته نفلا وغنما[4].

قال ابن عطية:" و«النافلة» في كلام العرب: الزيادة على الواجب وسميت «الغنيمة» نفلا، لأنها زيادة على القيام بالجهاد وحماية الدين والدعاء إلى الله عزّ وجل"[5].

واشتهرت سورة «الأنفال» بهذا الاسم في عهد الرسول-صلى الله عليه وسلم- في كلام أصحابه-رضوان الله تعالى عليهم- فعن سعد بن أبي وقاص-رضي الله عنه-، قال:" لما كان يوم بدر قتل أخي عمير وقتلت سعيد بن العاص بن أمية، وأخذت سيفه وكان يسمى ذا الكثيفة، فأعجبني فجئت به إلى النبي صلى الله

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير:٣٥٦/٣.

(٢) الحديث أخرجه الترمذي رقم (٣٠٨٦) في التفسير، باب ومن سورة التوبة، وأبو داود رقم (٧٨٦) في الصلاة، باب من جهر بها، أي: بسم الله الرحمن الرحيم، وقال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث عوف عن يزيد الفارسي عن ابن عباس، ويزيد الفارسي: هو من التابعين من أهل البصرة، قد روى عن ابن عباس غير حديث. نقول: ويزيد الفارسي: لم يوثقه غير ابن حبان، وكذا رواه أحمد والنسائي، وابن حبان في صحيحه، والحاكم من طرق أخر عن عوف الأعرابي به، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣)انظر :بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٢٢٢.

(٤) انظر: اللسان، مادة "ن ف ل":ص٦٧٠/١١-٦٧١.

(٥)المحرر الوجيز: ٤٩٦/٢.

عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله إن الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف، فقال: «ليس هذا لي ولا لك اذهب فاطرحه في القبض» ، فطرحته ورجعت وبي ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلاحي، وقلت: عسى أن يعطى هذا السيف من لم يبل ببلائي، فما جاوزت إلا قليلا حتى جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أنزل الله عز وجل: يسئلونك عن الأنفال الآية. فخفت أن يكون قد نزل في شيء فلما انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يا سعد إنك سألتني السيف وليس لي وإنه قد صار لي فاذهب فخذه فهو لك»"[1].

وعن سعيد بن جبير، قال:" قلت لابن عباس: سورةُ التَّوبة؟ فقال: بل هي الفَاضِحَةُ، مازالتْ تنزل {ومنهم} ، {ومنهم} حتى ظنُّوا أن لا يبقي أحدٌ إلا ذُكِرَ فيها، قال: قلت: سورةُ الأنفال؟ قال: نَزَلَتْ في بَدْرٍ، قال: قلتُ: سورة الحَشْرِ؟ قال: نزلت في بني النَّضِيرِ.

وفي رواية: قلت لابن عباس: سورةُ الحشرِ؟ قال: قل: سورةَ النَّضير"[2].

فـ«الأنفال» هو الاسم الذي عرفت به بين المسلمين، وبه كتبت في المصاحف حين كتبت أسماء السور، وكتبت في كتب التفسير والحديث.

وسميت سورة الانفال، لأنها افتتحت بآية ورد فيها اسم «الأنفال» وكررت فيها، ومن أجل أنها ذكر فيها حكم الانفال في قوله تعالى:{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [الأنفال : ١]، ولم يرد لفظ«الأنفال» في غيرها من سور القرآن العظيم.

ثانيا: اسماءها الاجتهادية:

ا-سورة«بدر»

ذكرها السيوطي في «الإتقان»[3]، واستدل بما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، انه قال له:«سورة الانفال»؟، قال: تلك سورة بدر»[4].

وذكره الفيروزآبادي وعلل تسميتها بذلك "لأن معظمها في ذكر حرب بدر وما جرى فيها"[5].

ب-سورة«الجهاد»

سمّاها بذلك البقاعي[6]، دون ذكر سنده في التسمية، ولعله سماها بذلك لأن معظم ما في السورة هو الجهاد واحكامه.

---

(١)صحيح. أخرجه ابن أبي شيبة (١٢/ ٣٧٠) وسعيد بن منصور ٢٦٨٩ وأحمد (١/ ١٨٠) والطبري (١٥٦٥٩):ص٣٧٣/١٣، والواحدي في أسباب النزول"سورة الانفال":ص٢٣١، من طرق عن أبي إسحاق الشيباني عن محمد بن عبيد الله الثقفي عن سعد بن أبي وقاص به، ورجاله ثقات.

وورد من وجه آخر بنحوه من حديث سعد عند مسلم (١٧٤٨)، وأبي داود (٢٧٤٠)، والترمذي (٣٠٧٩)، والنسائي في «التفسير» (٢١٦).

(٢) صحيح، أخرجه أخرجه البخاري، كتاب التفسير، سورة الحشر، حديث(٤٨٨٢): ص٣٦٤/٦، ومسلم، كتاب التفسير، باب"في سورة براءة والأنفال والحشر"، حديث(٣٠٣١):ص٢٣٢٢/٤.

قال الحافظ: قوله: ما زالت تنزل، ومنهم، ومنهم، أي: كقوله: {ومنهم من عاهد الله} ، {ومنهم من يلمزك في الصدقات} ، {ومنهم الذين يؤذون النبي} ، وقوله: قل: سورة النضير، كأنه كره تسميتها بالحشر لئلا يظن أن المراد: يوم القيامة، وإنما المراد به هنا: إخراج بني النضير

وعزاه السيوطي في الدر المنثور: (٤ / ١٢٠) لأبي عبيد وابن المنذر وابن مردويه، مختصرا.

(٣) انظر الإتقان:١٧٢/١.

(٤) سبق تخريجه في اسمها التوقيفي.

(٥) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز:٢٢٢/١.

(٦)انظر: نظم الدرر:٢١٤/٨.

وهذان الاسمان اجتهاديان ولم يثبت شيء عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، أنه سماها بهذين الاسمين.

مكية السورة ومدنيتها:

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على قولين:

أحدهما: أنها مدنية. وهذا قول ابن عباس(١)، وابن الزبير(٢)، والحسن(٣)، وعكرمة(٤)، وجابر(٥)، وعطاء(٦).

عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-؛ قال: "نزلت في بدر"(٧).

والثاني: انها مدنية إلا سبع آيات، من قوله تعالى:{وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [الأنفال : ٣٠]، إلى آخر السبع آيات(٨). قاله ابن عباسأيضا(٩).

قال الفيروزآبادي:" هذه السّورة مدَنيّة بالإِجماع"(١٠).

قال ابن الجوزي:" وهي مدنية بإجماعهم"(١١).

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومن وجوه المناسبة بين هذه السورة وبين سورة «الأعراف» التي قبلها:

أولا:- في سورة الأعراف :{وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ} [الأعراف: ١٩٩]، وفي سورة الأنفال: تحذير من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قوله تعالى:{وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}[الأنفال: ٢٥]، قال ابن عباس: "أمر الله المؤمنين ألا يُقِرُّوا المنكر بين أظهرهم فيَعُمَّهم العذاب"(١٢).

ثانيا: في سورة الأعراف ذكر قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم، وفي سورة الأنفال ذكر النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم مع قومه، كما في قوله تعالى:{وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}[الأنفال: ٣٠]، وقوله تعالى:{كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ}[الأنفال: ٥٢].

---

(١)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤/ ٣) ونسبه للنحاس في "ناسخه" وأبي الشيخ وابن مردويه.

(٢)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤/ ٣) ونسبه لابن مردويه.

(٣) انظر: تفسير القرطبي:٣٦٠/٧، والمحرر الوجيز:٤٩٦/٢.

(٤) انظر: تفسير القرطبي:٣٦٠/٧، والمحرر الوجيز:٤٩٦/٢.

(٥) انظر: تفسير القرطبي:٣٦٠/٧، والمحرر الوجيز:٤٩٦/٢.

(٦) انظر: تفسير القرطبي:٣٦٠/٧، والمحرر الوجيز:٤٩٦/٢.

(٧)أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨/ ٣٠٦ رقم ٤٦٤٥ - فتح).

(٨) وهي: {فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٦٩) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٠) وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٧١) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٧٢) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (٧٣) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٧٤) وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧٥)} [الأنفال : ٦٩ - ٧٥].

(٩) انظر: زاد المسير:١٨٦/٢، تفسير القرطبي:٣٦٠/٧، والمحرر الوجيز:٤٩٦/٢.

(١٠)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز:٢٢٢/١.

(١١) زاد المسير:١٨٦/٢.

(١٢) ذكره القرطبي في تفسيره:٣٩١/٧.

ثالثا: وفي أواخر سورة الأعراف :{وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ }[الأعراف: ٢٠٤].

وفي أوائل سورة الأنفال:{وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ }[الأنفال: ٢]، إذ تُنَاقِشُ سورة الأعراف قضية الاتّباع لما أنزل الله؛ فقد استُهلّت بقوله تعالى :{اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ }[الأعراف: ٣]، وتُبَيِّن موانع الهدى أو أعداء الدعوة، وهي في السورة ثلاثة:

١- الشيطان:

في سورة الأعراف حديث عن الشيطان وجهوده في الدعوة إلى الكفر فيما يقرُب من عشرين آية، من قوله تعالى :{وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ }[الأعراف: ١١]، إلى قوله تعالى :{فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ }[الأعراف: ٣٠].

وفي سورة الأنفال :قال تعالى :{وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ }[الأنفال: ٤٨]، ففي سورة الأعراف بيان جهود الشيطان ومحاولاته في الإغواء والوسوسة، والتغرير بكل الطرق وكافة الأساليب والوسائل الشيطانية؛ كما في قوله تعالى :{قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ }[الأعراف: ١٦، ١٧]، وفي سورة الأنفال :{وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ }[الأنفال: ٤٨]، يقول ابن كثير في تفسير الآية: "حسَّن لهم - لعنه الله - ما جاؤوا له وما هموا به ، وأطمعهم أنه لا غالب لهم اليوم من الناس ، ونفى عنهم الخشية من أن يؤتوا في ديارهم من عدوهم بني بكر فقال : أنا جار لكم ، وذلك أنه تبدى لهم في صورة سُرَاقة بن مالك بن جُعْشُم ، سيد بني مُدْلج ، كبير تلك الناحية ، وكل ذلك منه ، كما قال اللهتعالى عنه : { يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلا غُرُورًا } [النساء : ١٢٠].

قال ابن جريج :قال ابن عباس في هذه الآية : «لما كان يوم بدر سار إبليس برايته وجنوده مع المشركين ، وألقى في قلوب المشركين : أن أحدا لن يغلبكم ، وإني جار لكم. فلما التقوا ، ونظر الشيطان إلى إمداد الملائكة ، { نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ } قال : رجع مدبرا ، وقال : { إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ } الآية»[(١)]"[(٢)].

٢- الملأ:

الملأ: هم الكبراء والسادة الذين جعلوا أنفسهم أضدادَ الأنبياء، وهم الذين يملؤون صدور المجالس، وتمتلئ القلوب من هيبتهم، وتمتلئ الأبصار من رؤيتهم، وتتوجه العيون في المحافل إليهم، وتحدثت سورة الأعراف عن جهود الملأ في الدعوة إلى الكفر بالله تعالى وتكذيب الأنبياء واتهامهم بما لا يليق بهم، كما يأتي:

- مع نوح عليه السلام :{قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ }[الأعراف: ٦٠].
- مع هود عليه السلام :{قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ }[الأعراف: ٦٦].
- مع صالح عليه السلام :{قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ

---

(١) أخرجه الطبري(١٦١٨٨):ص٩/١٣.
(٢)تفسير ابن كثير:٧٣/٤.

كَافِرُونَ * فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ }[الأعراف: ٧٥ - ٧٧].

- ومع شعيب عليه السلام :{قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ }[الأعراف: ٨٨].
- وفي قصة موسى عليه السلام :{وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ }[الأعراف: ١٢٧].
- وفي سورة الأنفال؛ فإن الملأ من قريش هم الذين قالوا: والله لا نرجع حتى نَردَ بدرًا، فنقيم ثلاثًا، فننحر الجُزُر، ونُطعِم الطعام، ونُسقي الخمر، وتَعْزِف القِيَان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبدًا بعدها[(١)].
- وكما بيَّنَت سورة الأعراف كيف انتقم الله من الملأ، فإنه في غزوة بدر أذن الله تعالى بإهانة الملأ، والانتقام من تلك الغطرسة، وأن تُطرَح في القليب، ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يُخَاطِب الجِيَف المتغطرسة أو التي كانت: " يا أهل القليب هل وجدتم ما وعد ربكم حقا، فإني وجدت ما وعدني ربى حقا"[(٢)]، ولعل قوله هذا صلى الله عليه وسلم يناسب ما جاء في سورة الأعراف :{وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ }[الأعراف: ٤٤].

٣- الهوى.

سُمِّي «الهوى» هوًى؛ لأنه يهوي بصاحبه إلى النار، وسئل ابن المقفَّع عن الهوى، فقال: هوانٌ سُرِقتْ نونه، فأخذه الشاعر وانتظمه، وقال[(٣)]:

نُوْنُ الْهَوَانِ مِنَ الْهَوَى مَسْرُوْقَةٌ   فَأَسِيْرُ كُلِّ هَوًى أَسِيْرُ هَوَانِ

وإذا كانت النفس تهوى الغنائم، فإن حكمها لله والرسول، وفي ذلك كبحُ جماح النفس وطمعها، وحبها للمال، وكان الرضا بحكم الله تعالى بعد السؤال، وكمال الإيمان حينما يكون الهوى تبعًا لحكم الله والرسول.

كما أن النفس لا تحب ولا تهوى القتال {كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ }[الأنفال: ٥]، لكن التربية الإيمانية تجعل النفس المؤمنة تهوى القتل في سبيل الله، وتحب لقاء الله تعالى، وتعشق التضحية من أجل الإسلام، وتبيع الدنيا وعَرَضَها الزائل؛ طمعًا في الجنة، وقد تجلى ذلك عمليًّا في الغزوة المباركة، ومن ذلك ما ذكره ابن هشام، قال: ثم خرج رسول صلى الله عليه وسلم إلى الناس فحَرَّضَهُم، وقال: "والذي نفسُ محمد بيده، لا يقاتلهم اليوم رجلٌ فيُقْتَل صابرًا محتسبًا، مقبلاً غيرَ مُدبر، إلا أدخله الله الجنة"، فقال عُمَير بن الحُمَام وفي يده تمرات يأكلهن: بَخٍ بَخٍ، أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء؟! ثم قذف التمرات، وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قُتِلَ"[(٤)].

---

(١)انظر: زاد المعاد؛ ابن القيم، المطبعة المصرية٢/ ٨٦-٩٠.

(٢)أخرجه الحاكم (٢٤٩/٣، رقم ٤٩٩٥) وقال: صحيح على شرط مسلم. وأخرجه أيضا: أحمد (٢٧٦/٦، رقم ٢٦٤٠٤) ، وإسحاق بن راهويه (٥٧٣/٢، رقم ١١٤٨) ، وابن حبان (٥٦٢/١٥، رقم ٧٠٨٨).

ومن غريب الحديث: "القليب": هى البئر التى لم تطو.

(٣)لم أتعرف على قائله، وانظر: البيت في: تفسير الثعلبي: ٨/ ٣٦٢، وتفسير القرطبي: ١٦/ ١٦٨، والتمثيل والمحاضرة للثعالبي ص ١٠٣.

(٤) صحيح، رواه: مسلم، وأحمد، وابن سعد، والحاكم، والبيهقي في ((الدلائل)) ؛ مع اختلاف يسير.

انظر: صحيح مسلم (١٥٠٩/٣ و١٥١٠/رقم١٩٠١- عبد الباقي)، والمسند (١٣٦/٣)، وزاد المعاد: (١٨٢/٣) ، والسيرة النبوية لابن هشام:١٩٨/٢.

وفي سورة الأعراف مَثَلٌ لمن باع دينه بعَرَضٍ من الدنيا قليل، وأخلد إلى الأرض واتَّبع هواه؛ قال تعالى :{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }[الأعراف: ١٧٥، ١٧٦]، وقوله تعالى :{وَاتَّبَعَ هَوَاهُ}، قال القرطبي: أي: "ما زيَّنَ له الشيطان، وهذا المثل في قول كثير من أهل العلم بالتأويل عامٌّ في كل من أوتي القرآن فلم يعملْ به"(١).

وبعد فإن هذه خصائص كتاب الله المجيد وقرآنه الكريم وكلامه القديم، الذى لا يأتيه الباطل ولا يعتريه التعارض؛ بل الإحكام والإتقان، والتناسُق والتناسُب، والتمام والكمال والجمال، وهكذا في كل سوره ونظْمِه وترتيبه المُعجِز بلفظه ومعناه، والله الموفِّق والمَرجو ثوابه .

أغراض السورة ومقاصدها:

قررت هذه السورة العديد من المقاصد والأحكام المتعلقة بالقتال والغنائم، وقواعد التشريع، وسنن التكوين والاجتماع، والولاية العامة والخاصة، والعهود، وصلة الأرحام، وأصول الحكم المتعلقة بالأنفس ومكارم الأخلاق والآداب. هذا ما قصدت إليه السورة من حيث الجملة، وتفصيل هذا الإجمال نسوقه على النحو الآتي (٢):

أولاً: كون الأنفال لله والرسول؛ حيث قررت السورة خُمْس الغنائم لله وللرسول. وفي اقتران الرسول في هذا القسمة بالله تشريف له، وإعلاء لمكانته ومنزلته عليه الصلاة والسلام.

ثانياً: أن الإيمان الصادق يقتضي العمل الصالح من تقوى الله، وإصلاح ذات البين، وطاعة الله ورسوله. وأن المؤمنين الصادقين الذين يكون لإيمانهم مثل هذه الثمرات الثلاث هم:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣)} [الأنفال : ٢ - ٣]، التي قصروا أنفسهم عليها.

ثالثاً: أن الله تعالى يبلو المؤمنين بلاء حسناً بمثل النصر والغنيمة، كما يبلوهم أحياناً بلاء شديداً بالبؤس والهزيمة؛ تربية لهم، قال تعالى:{وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا } [الأنفال : ١٧]، وبكلا البلاءين يتم تمحيص المؤمنين.

رابعا: إرشاد المؤمنين إلى أن الحياة المعنوية، التي يرتقون بها عن أنواع الحياة الحيوانية، إنما هي فيما يدعوهم إليه الرسول من الإيمان والعمل بكتاب الله تعالى{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [الأنفال : ٢٤].

خامسا:إرشاد المؤمنين إلى سنة اجتماعية، وهي جعل الأموال والأولاد فتنة، أي: امتحاناً شديد الوقع في النفس، وتحذيراً لهم من الخروج في أموالهم ومصالح أولادهم عن الحق والعدل. فالافتتان بالأموال والأولاد مدعاة لضروب من الفساد، فإن حب المال والولد من الغرائز التي يعرض للناس فيها الإسراف والإفراط، إذا لم تهذب بهداية الدين، ولم تشذب بحسن التربية والتعليم. وهذا أصل عظيم في تربية المؤمن نفسه على التزام الحق، وكسب الحلال، واجتناب الحرام، واتقاء الطمع والدناءة في سبيل جمع المال والادخار للأولاد .

سادسا: تذكير المؤمنين بماضيهم، وما كان من ضعف أمتهم، واستضعاف الشعوب لهم، وخوفهم من تخطف الناس إياهم؛ ليعلموا ما أفادهم الإسلام من عزة وقوة ومَنَعة، وتمكن سلطانه في الأرض. ومعرفة تاريخ الأمة في ماضيها أكبر عون لها على إصلاح حالها، واستعدادها لمستقبلها .

---

(١)تفسير القرطبي:٣٢٣/٧، وانظر: مناسبة سورة الأنفال لسورة الأعراف، د. أمين الدميري، شبكة الآلوكة.

(٢) انظر:مقاصد سورة الأعراف، إسلام ويب، [موقع التكروني].

سابعا:إرشاد المؤمنين إلى ما يكتسبون به ملكة الفرقان العلمي الوجداني، وهو تقوى الله،{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا} [الأنفال : ٢٩] ، فتقوى الله تُكسب صاحبها مَلَكة، يفرق بها بين الحق والباطل، والخير والشر، والمصلحة والمفسدة، فيجري في أعماله على مراعاة ذلك في ترجيح الحق والخير والمصلحة على ما يقابلها من الباطل والشر والفساد.

ثامنا:امتنان الله على رسوله الأعظم، بتأييده وبنصره وبالمؤمنين، وبتأليفه بين قلوبهم، ويا لها من منة عظيمة من مننه تعالى عليهم، ومنقبة هي أعظم مناقبهم،{هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٣)} [الأنفال : ٦٢ - ٦٣].

تاسعا: بيان حال الكفار من المشركين وأهل الكتاب{سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ} [الأنفال : ١٢] ، أي: عند لقاء المؤمنين في القتال، وما علله به بعده من مشاقتهم لله ولرسوله، وتوعدهم بعذاب النار،{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٣) ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ (١٤)} [الأنفال : ١٣ - ١٤]، وفي هذا بيان لخذلانه تعالى لهم، وتمكين المؤمنين من قتلهم، وبيان عناية الله تعالى بهم.

عاشرا: وصف حال الكفار بالدواب التي لا تسمع ولا تعقل،{إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ} [الأنفال : ٢٢]، فوصفهم بتعطيل مشاعرهم ومداركهم الحسية والعقلية، ووصفهم في آية أخرى بعدم الإيمان:{إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [الأنفال : ٥٥]

حادي عشر:تقرير العديد من قضايا عالم الغيب، كالبعث والجزاء والملائكة والشياطين؛ فقد ذُكِرَ جزاء المؤمنين، وجزاء الكافرين، وجزاء الفاسقين المرتكبين لكبائر الإثم والفواحش. وذُكِرَ إمداد المؤمنين بالملائكة يثبتونهم في المعركة. وذُكِرَ إذهاب رجز الشيطان ووسوسته عن المؤمنين.

ثاني عشر: فضح موقف الذين كفروا، الذين ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله، وبيان عاقبة بذلهم للمال في مقاومة الإسلام، أنهم يغلبون في الدنيا، ثم يصيرون في الآخرة إلى عذاب النار.

ثالث عشر: تحذير المؤمنين من سلوك مسلك الكافرين، وهو مسلك البطر وإظهار الكبرياء والعظمة ومراءاة الناس، وهي مقاصد سافلة إفسادية، لا تليق بصفات المؤمنين، الذين إنما يقاتلون لإعلاء كلمة الله، وتقرير الفضيلة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

رابع عشر: تقرير سُنَّة من سنن النفس، وهي تفاوت البشر في الاستعداد للإيمان والكفر، وفي الاستعداد للخير والشر، وبيان أن جزاء الله تعالى لهم على أعمالهم في الدنيا والآخرة، إنما يجري بمقتضى هذا التفاوت.

خامس عشر:تقرير سنة من سنن الاجتماع، وهي كون الظلم في الأمم يقتضي عقابها في الدنيا بالضعف والاختلال، الذي قد يفضي إلى الزوال، أو فَقْدِ الاستقلال، وكون هذا العقاب على الأمة بأسرها، لا على مقترفي الظلم وحدهم منها؛ وذلك أن الفتن في الأمم، والظلم الذي ينتشر فيها، ولا يقوم من أفرادها وجماعاتها من يقاومه، يعم فساده، فكما أن الجسد يتداعى ويتألم كله لما يصيب بعضه، كذلك الأمم.

سادس عشر: تقرير سنة من سنن الاجتماع، وهي كون تغير أحوال الأمم، وتنقلها في الأطوار من نِعَمٍ ونِقَمٍ، وشدة ورخاء أثراً طبيعيًّا فطريًّا لتغييرها ما بأنفسها من العقائد والأخلاق والمَلَكات التي تطبعها في الأنفس العادات، وتترتب عليها الأعمال، قال تعالى{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الأنفال : ٥٣].

سابع عشر:تقرير سنة من سنن الاجتماع، وهي كون ولاية الأعداء من دون المؤمنين من أعظم مثارات الفتنة والفساد في الأمة، والاختلال والانحلال في الدولة، كولاية المؤمنين في النصرة والقتال للكافرين الذين يوالي بعضهم بعضاً على المؤمنين في الحروب، فبعد أن بينت الآيات صفات المؤمنين بأنهم يوالي بعضهم

بعضاً، وينصر بعضهم بعضاً، حذرت من ترك هذه الموالاة:{إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ} [الأنفال : ٧٣].

ثامن عشر: بيان وجوب إعداد الأمة كل ما تستطيعه من قوة لقتال أعدائها؛ وفي مقدمة ذلك المرابطة في ثغور البلاد حماية لها. وهذه المرابطة تشمل المرابطة المادية بالاستعداد العسكري، والمرابطة المعنوية وذلك بالتحصين الثقافي والفكري{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} [الأنفال : ٦٠] .

تاسع عشر: بيان أن القصد الأول من إعداد هذه القوة والمرابطة، إرهاب الأعداء وإخافتهم من عاقبة التعدي على الأمة ومصالحها؛ لأجل أن تكون آمنة في عقر دارها، مطمئنة على مصالحها، وهذا ما يُسمى بـ (السلم المسلح)، {تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ} [الأنفال : ٦٠].

عشرون:بيان أن شريعة الإسلام تفضل السلم على الحرب، إذا جنح العدو لها؛ إيثاراً لها على الحرب، التي لا تُقصد لذاتها، بل هي ضرورة من ضرورات الاجتماع تقدر بقدرها؛{وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [الأنفال : ٦١].

واحد وعشرون: دعت السورة المؤمنين إلى المحافظة على الوفاء بالعهود، والالتزام بالمواثيق في الحرب والسلم، وتحريم الخيانة فيها سراً أو جهراً، وتحريم الخيانة في كل أمانة مادية أو معنوية، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [الأنفال : ٢٧].

ثاني وعشرون: جعل الغاية من القتال في الإسلام حرية الدين، ومنع فتنة أحد واضطهاده؛ لأجل إرجاعه عن دينه، {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [الأنفال : ٣٩].

ثالث وعشرون: كون الثبات في القتال، وذكر الله عند لقاء العدو، وطاعة الله ورسوله، والصبر في ساحات القتال، كل ذلك من الأسباب المعنوية، التي يحصل بها النصر، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الأنفال : ٤٥].

رابع وعشرون: بيان أن الفشل والخسران، وذهاب القوة، مرده إلى التنازع والشقاق، ومن ثم التفرق والتشرذم والضعف،{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال : ٤٦] .

هذه المقاصد لا تعدو كونها إشارات لكثير من المقاصد التي تضمنتها هذه السورة خصوصاً، والقرآن الكريم عموماً.

الناسخ والمنسوخ:

السورة تحتوي على سِتّ آيَات من المَنْسُوخ:

- الآية الأولى: قوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ} [الأنفال : ١]، والأنفال: الغنائم، و"عن" –ههنا-: صلة في الكلام، تقديره: يسألونك الأنفال، قال الله تعالى:{قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ} [الأنفال : ١]، وإنما سألوه أن ينفلهم الغنيمة وذلك أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لما رأى ضعفهم وقلة عدتهم يوم بدر فقال مرغبا لهم ومحرضا من قتل قتيلا فله سلبه ومن أسر أسيرا فله فداؤه فلما وضعت الحرب أوزارها نظر في الغنيمة فإذا هي أقل من العدد فنزلت هذه الآية ثم صارت منسوخة بقوله تعالى: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ} [الأنفال : ٤١] الآية.
- الآية الثانية: قوله تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [الأنفال : ٣٣] ، ثم نزلت بعدها آية ناسخة لها وهي التي تليها قوله تعالى:{وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ} [الأنفال : ٣٤].
- الآية الثالثة: قوله تعالى: {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا } [الأنفال : ٦١]، الى –ههنا- :النسخ، وباقي الآية محكم نزلت في اليهود ثم صارت منسوخة بقوله تعالى: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ} [التوبة : ٢٩] إلى قوله: {وَهُمْ صَاغِرُونَ} [التوبة : ٢٩].

- الآية الرابعة: قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ} [الأنفال : ٦٥] هذا محكم، والمنسوخ قوله: {إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ} [الأنفال : ٦٥] الى آخر الآية، وكان فرضا على الرجل أن يقاتل عشرة فمتى فر كان موالياً للدبر فعلم الله تعالى عجزهم فيسر وخفف فنزلت الآية التي بعدها فصارت ناسخة لها فقال: {الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا} [الأنفال : ٦٦]، والتخفيف: لا يكون إلا من ثقل، فصار فرضا على الرجل أن يقاتل رجلين فان انهزم منهما كان موليا للدبر وإن انهزم عن أكثر لم يكن موليا للدبر بدليل ظاهر الآية.
- الآية الخامسة: قوله تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا} [الأنفال : ٧٢]، وكان الناس يتوارثون بالهجرة لا بالنسب ثم قال: {إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِير} [الأنفال : ٧٣]، حتى أنزل الله تعالى: {وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ ال} [الأنفال : ٧٥]، فصارت ناسخة للآية التي كانوا يتوارثون بها وصاروا بعد ذلك يتوارثون بالنسب.
- الآية السادسة: قوله تعالى: {وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ} [الأنفال : ٧٢]، الى قوله:{وَفَسَادٌ كَبِيرٌ} [الأنفال : ٧٣]، وكان بين النبي -صلى الله عليه وسلم- وبين أحياء من العرب خزاعة وهلال بن عمير وجماعة من أحياء العرب موادعة لا يقاتلهم ولا يقاتلونه وحالفهم إن كان له حرب أعانوه وإن كان لهم حرب أعانهم فصار ذلك منسوخا بآية السيف وقد روي في قوله تعالى {قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف} إنها منسوخة نسخت بقوله تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ} [الأنفال : ٣٩]، وذهب آخرون إلى أنها وعيد وتهديد(١).

فضائل السورة:

وردت عدة أحاديث في فضائل هذه السورة، منها:

أولا:- عن النَّبيِّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- فيما جاء عن عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- أنَّهُ سئل عن الأنفال، فقال: "فينا معشرَ أصحابِ بدرٍ نزلتْ، حين اختلفنا في النفل، وساءتْ فيهِ أخلاقُنا، فانتزعَهُ الله من أيدينا، وجعلَهُ إلى رسول الله -صلَّى الله عليه وسلَّم-، فقسَّمه رسول الله -صلَّى الله عليه وسلَّم- بين المسلمين"(٢)، فكانَ فضلُها واضحًا في تقسيم الغنائم على المسلمين المنتصرين في بدر، قسمة عادلةً كما أرادها الله تعالى، والله أعلى وأعلم.

ثانيا:- عن أبي بن كعب، عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-:" من قرأ سورة الأنفال وبراءة، فأنا له شفيع وشاهد يوم القيامة أنه برئ من النفاق، وأعطي من الأجر بعدد كل منافق ومنافقة في دار الدنيا عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ويرفع له عشر درجات، وكان العرش وحملته يصلون عليه أيام حياته في دار الدنيا"(٣).

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ٩٢-٩٦.

(٢)رواه: ابن إسحاق، وابن جرير، وأحمد، وعبد الرزاق، وابن حبان، والواحدي، والحاكم، ومن طريقه البيهقي، وعزاه السيوطي في "الدر المنثور" لعبد بن حميد وأبي الشيخ وابن مردويه؛ من حديث عبادة ابن الصامت رضي الله عنه، بألفاظ مختلفة، مطولاً ومختصراً.

انظر: تفسير الطبري:(٣٧٠/١٣)، وصحيح ابن حبان: (١٩٣/١١- شعيب)، واسباب النزول للواحدي (ص٢٦٦) ، والسيرة النبوية: (٣٤٣/٢)، وفقه السيرة: (ص٢٥١، ٢٥٢) ، والدر المنثور: (٥/٤).

(٣) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان:٣٢٤/٤، وانظر: مجمع البيان:٤٢٢/٤، وفضائل القرآن للمستغفري(١١٧٥):ص٧٧٧/٢، وأخرجه الواحدي في التفسير الوسيط(٣٨٤):ص٤٤٣/٢، و رواه الزمخشري في الكشاف : ٢٤٠/٢ مرسلا.

وحديث ابي بن كعب من قرأ سورة كذا، اعطي من الاجر كذا فذكر فضل سور القران سورة سورة وثواب قارئها إلى آخر القرآن، هذا الحديث أخرجه بطوله ابن الشجري في الأمالي الشجرية (١/٧٩) ، وابن عدي في الكامل (٧/ ٢٥٨٨)، وأخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (١/٢٤٠)، وقال بعده: "قد فرَّق هذا الحديث أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره، فذكر عند كل سورة

منه ما يخصها، وتبعه أبو الحسن الواحدي في ذلك، ولا أعجب منهما لأنهما ليسا من أصحاب الحديث، وإنما عجبت من أبي بكر بن أبي داود كيف فرَّقه على كتابه الذي صنفه في فضائل القرآن، وهو يعلم أنه حديث مُحال".
ثم قال: "حديث فضائل السور مصنوع بلا شك" وقال: "نَفَس الحديث يدل على أنه مصنوع؛ فإنه قد استنفد السور، وذكر في كل واحدة ما يناسبها من الثواب بكلام ركيك في نهاية البرودة، لا يناسب كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم".
قلت: والحديث له طرق كلها تالفة:
الطريق الأولى: تفرد بها أبو الخليل بزيع بن حبان، قال الدارقطني: وهو متروك.
الطريق الثانية: تفرد بها مخلد بن عبد الواحد،قال ابن حبان في «المجروحين»: منكر الحديث جدا ينفرد بأشياء مناكير لا تشبه أحاديث الثقات، فبطل الاحتجاج به.
الطريق الثالثة: تفرد بها ميسرة بن عبد ربه،قال عبد الرحمن بن مهدي: قلت لميسرة بن عبد ربه: من أين جئت بهذه الأحاديث: «من قرأ كذا فله كذا»؟ قال: وضعته أرغب الناس فيه.
الطريق الرابعة: تفرد بها هارون بن كثير، قال ابن عدي: وهارون غير معروف، ولم يحدث به عن زيد بن أسلم غيره، وهذا الحديث غير محفوظ عن زيد.
وروى العقيلي في الضعفاء (١٧٥/١): عن عبد الله بن المبارك قال في حديث أبي بن كعب في فضائل السور: "أظن الزنادقة وضعته".
وقال العجلوني في كشف الخفا (٢/٤١٩): "فضيلة قراءة كل سورة، رووا ذلك وأسندوه إلى أبي بن كعب، ومجموع ذلك مفترى وموضوع بإجماع أهل الحديث".

سورة «التوبة»

سورة «التوبة»: هي السورة التاسعة في ترتيب المصحف،تأتي بعد سورة «الأنفال»، وبعد «المائدة» في ترتيب النزول[1]، وعدد آياتها (١٢٩) مائة وتسع وعشرون آية عند الكوفيّين، ومائة وثلاثون عند الباقين، عدد كلماتها (٢٤٩٧)ألفان وأربعمائة وسبع وتسعون كلمة. وحروفها (١٠٧٨٧)عشرة آلاف وسبعمائة وسبع وثمانون حرفاً، والآيات المختَلف فيها ثلاث:{ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [التوبة : ٣]، {عَادٍ وَثَمُودَ} [التوبة : ٧٠]، {عَذَابًا أَلِيمًا } [التوبة : ٧٤] [2].

مجموع فواصل آياته (ل م ن ر ب) يجمها «لم نربّ» على «اللاَّم» منها آية واحدة {إِلَّا قَلِيلٌ} [التوبة : ٣٨]، وعلى «الباءِ» آية {وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ} [التوبة : ٧٨]، وكلّ آية منها آخرها «راء» فما قبل «الرّاءِ» «ياء»[3].

أسماء السورة:

أولا:- اسمها التوقيفي:

١- سورة «التوبة»

اشتهرت هذه السرة باسم«سورة التوبة»، وبذلك كتبت في اكثر المصاحف وكتب التفسير والسنة، وقد وردت تسميتها في كلام الصحاب-رضي الله عنهم-.

- فعن حذيفة-رضي الله عنه- قال:"التي تسمون سورة«التوبة» هي سورة العذاب، والله ما تركت أحدا إلا نالت منه، ولا تقرءون منها مما كنا نقرأ إلا ربعها"[4].
- عن سعيد بن جبير-رضي الله عنه- قال:" قلت لابن عباس-رضي الله عنهما- سورة التوبة؟ قال: التوبة هي الفاضحة..."[5].

وقد ترجم لها الترمذي في جامعه[6]، باسم التوبة في كتاب التفسير، والحاكم في المستدرك[7]، في كتاب التفسير.

وسُميت بهذا الاسم لتكرار الحديث فيها عن التوبة والتائبين؛ ومن ذلك قوله: {فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ} [التوبة : ٣]، وقوله: { فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ} [التوبة : ٥، ١١]، وقوله: {ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ } [التوبة : ٢٧]، وقوله: {فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ} [التوبة : ٧٤]، وقوله: {عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ} [التوبة : ١٠٢]، وقوله: {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ} [التوبة : ١١٧]، وقوله: {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ} [التوبة : ١٠٤]، وقوله: {التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ} [التوبة : ١١٢].

كما ورد فيها حدث عظيم وهو توبة الله تعالى على الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة «تبوك»، وفيهم يقول تعالى:{وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [التوبة : ١١٨].

٢- سورة «براءة»

---

(١) انظر: الكشاف: ٢٤١/٢.

(٢)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٢٢٧، و عمدة القاري:٣٤٤/١٨.

(٣)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٢٢٧.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، تفسير سورة التوبة، حديث رقم(٣٢٧٤):ص٣٦١/٢، وأبو عبيد في فضائله، باب"فضل سورة براءة":ص١٣٠، وأورده السيوطي في الدر المنثور:١٢٠/٤، وعزاه للطبراني وأبي الشيخ وابن مردويه.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة الحشر، حديث رقم(٤٨٨٢):ص٣٦٤/٦، ومسلم كتاب التفسير، باب"في سورة براءة والأنفال والحشر"، حديث رقم(٣٠٣١):ص٢٣٢٢/٤.

(٦) انظر: سنن الترمذي:٢٧٢/٥.

(٧) انظر: المستدرك:٣٦١/٢.

براءة: مصدر الفعل«برأ»، يقال: برا من العهد، بمعنى: خَلِص، وقيل: برئ، إذا تخلص، ومنه قوله تعالى: {أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ} [القمر : ٤٣]، أي: "براءة من عقابه تعالى، وأمان منه"[١].

، ويقال: برئ، إذا تنزه وتباعد، وبرئ، إذا أعذر وأنذر، ومنه قوله تعالى:{بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [التوبة : ١]، أي: إعذار وإنذار[٢].

وسُميت بذلك في بعض المصاحف[٣]، وقد جاءت هذه النسمية في كلام الصحابة-رضي الله عنهم-:

- عن ابي هريرة في قصة حج ابي بكر بالناس-:"فأذّن معنا عليّ يوم النحر في أهل منى ببراءة...الحديث"[٤].
- وعن البراء-رضي الله عنه-، قال:"آخر سورة نزلت سورة البراءة...الحديث"[٥].
- وعن أبي عطية الهمداني، قال:"كتب عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-: تعلموا سورة براءة، وعلموا نساءكم سورة النور"[٦].
- وعن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال:" سألت علي بن ابي طالب-رضي الله عنه- لِمَ لَمْ تكتب «بسم الله الرحمن الرحيم؟» قال: لأن «بسم الله الرحمن الرحيم» أمان، وبراءة نزلت بالسيف"[٧].

وقد ذكر هذا الاسم معظم المفسرين في كتبهم وبعضهم عنون بها السورة كالقرطبي[٨]، والكلبي[٩]، والثعالبي[١٠]، وأبي السعود[١١]، وسماها السخاوي[١٢]، والسيوطي[١٣]، في كتابيهما بسورة«براءة» ثم ذكرا بقية اسمائها، وبذلك ترجم لها البخاري في كتاب التفسير في صحيحه[١٤].

ووجه تسميتها بذلك، لافتتاحها بقوله سبحانه: {بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}، وهي تسمية لها بأول كلمة منها، ولأنها نزلت بإظهار البراءة من الكفار.

وهذان الاسمان: «التوبة»، و«البراءة» هما الاسمان التوفيقيان للسورة، وهما اشهر أسمائها، وذكر لها ابن الجوزي تسعة أسماء مع عز وكل قول لقائله ..قال: "والمشهور بين الناس: «التوبة وبراءة»"[١٥].

وقد وقع الاسمان(التوبة، والبراءة) معا في حديث زيد بن ثابت في صحيح البخاري، قال زيد:" «أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده»، قال أبو بكر رضي الله عنه: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: «كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟» قال عمر: هذا والله خير، «فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح

---

(١) محاسن التأويل:٩٥/٩.
(٢) انظر: اللسان، مادة" برأ":ص٣٣/١.
(٣) انظر: التحرير والتنوير: ٩٥/١٠.
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير"سورة البارءة"، حديث رقم(٥٦٥٥):ص٢٤٥/٥.
(٥) أخرجه البخاري، كتاب التفسير"سورة النساء"، ديث رقم(٤٦-٥):ص٢٢٣/٥.
(٦) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان باب في تعظيم القرآن"فضائل السور والآيات"، حديث رقم(٢٤٣٧):ص٤٧٢/٢، وأبو عبيد في فضائله:ص١٣٠، وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور:١٢٠/٤، لسعيد بن منصور وأبي الشيخ.
(٧) أورد السيوطي في الدر المنثور:١٢٠/٤، وعزاه لأبي الشيخ وابن مردويه.
(٨) انظر: تفسيره:٩١/٨ .
(٩) انظر: تفسيره:٧٠/٢ .
(١٠) انظر: تفسيره: ١١٤/٢.
(١١) انظر: تفسيره: ٣٩/٣.
(١٢) انظر: جمال القرآء: ٣٦/١.
(١٣) انظر: الإتقان: ١٧٢/١.
(١٤)صحيح البخاري: ٢٤٤/٥.
(١٥)زاد المسير: ٣/ ٣٨٩.

الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر»، قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتتبع القرآن فاجمعه، «فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن»، قلت: «كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟»، قال: هو والله خير، " فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف، وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره، {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ} [التوبة: ١٢٨] حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنه "[(١)].

ثانيا: اسماءها الاجتهادية:

---

(١) رواه الزهري، عن عبيد بن السباق، عن زيد بن ثابت في قصة جمع القرآن في عهد أبي بكر وقال فيه: حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة الأنصاري - وفي رواية: أبي خزيمة، وفي رواية على الشك: خزيمة أو أبي خزيمة - لم أجدها مع أحد غيره: {لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم} [التوبة: ١٢٨ - ١٢٩] حتى خاتمة براءة.

أخرجه أبو عبيد في "فضائل القرآن" ص٢٨٣، والبخاري (٤٦٧٩) ، والطبراني في "الشاميين" (٣١٩٠) من طريق أبي اليمان، عن شعيب، عن الزهري، عن عبيد بن السباق، به. وقال فيه: خزيمة الأنصاري.

وأخرجه البخاري (٧١٩١) ، والبيهقي ٤٠/٢ - ٤١ من طريق محمد بن عبيد الله أبو ثابت، وأبو بكر المروزي (٤٥) من طريق سويد بن سعيد، والطبراني (٤٩٠٣) ، والبيهقي ٤١/٢ من طريق أبي الوليد الطيالسي - وقرن البيهقي بالطيالسي إبراهيم بن مرة - أربعتهم عن إبراهيم بن سعد، عن الزهري، به، وقرن البيهقي بأبي الوليد الطيالسي إبراهيم بن حمزة. ولم يسق لفظه.

وقالوا فيه: خزيمة أو أبو خزيمة على الشك.

وأخرجه أبو عبيد ص٢٨١، والترمذي (٣١٠٣) ، وأبو يعلى (٦٤) ، وابن أبي داود في "المصاحف" ص١٣ - ١٤ من طريق عبد الرحمن بن مهدي، وأبو يعلى (٩١) من طريق عبد العزيز بن أبي سلمة، وابن أبي داود ص١٢ - ١٣ من طريق أبي داود الطيالسي، ثلاثتهم عن إبراهيم بن سعد، عن الزهري، به.

وقالوا فيه: خزيمة بن ثابت.

وأخرجه أبو عبيد ص٢٨٤، وابن أبي داود ص١٤ - ١٥، وأبو يعلى (٧١) ، والطبراني (٤٩٠٢) من طريق يونس بن يزيد الأيلي، والطبراني (٤٩٠١) من طريق عبد الرحمن بن خالد بن مسافر، كلاهما عن الزهري، به. وقالا فيه: خزيمة بن ثابت.

وأخرجه ابن أبي داود ص١٤، والطبراني (٤٩٠٤) من طريق إبراهيم بن إسماعيل الأنصاري، عن الزهري، به. وقال فيه: رجل من الأنصار، ورواية الطبراني مختصرة: سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم آية، وطلبتها فلم أجدها حتى وجدتها مع رجل من الأنصار: {لقد جاءكم رسول من أنفسكم} الآية.

قلنا: ومما سبق من التفصيل يتبين أن معظم الرواة الثقات متفقون على أن اسم الصحابي هو خزيمة بن ثابت الأنصاري إلا رواية واحدة عند البخاري انفرد بها موسى بن إسماعيل، عن إبراهيم بن سعد، فقال: أبو خزيمة الأنصاري، ولعل الصواب ما عليه الأكثر.

وأما الآية، فقد وردت بانها الآية التي في الاحزاب: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ} [الأحزاب: ٢٣] ، اخرجه احمد(٢١٦٤٠):ص٥٠١/٣٥-٥٠٢، وأخرجه أبو عبيد في "فضائل القرآن" ص٢٨٣، والبخاري (٢٨٠٧) و (٤٧٨٤) ، والطبراني في "الشاميين" (٣٢١٣) من طريق الحكم بن نافع، بهذا الإسناد.

وأخرجه البخاري (٢٨٠٧) من طريق سليمان بن بلال، عن محمد بن أبي عتيق، عن الزهري، به.

وأخرج الطبراني (٤٨٤٣) من طريق خالد بن خداش، عن عبد العزيز بن محمد الدراوردي، عن عمرو بن أبي عمرو، و (٤٨٤٤) من طريق إبراهيم بن محمد، عن عبد العزيز الدراوردي، عن عمارة بن غزية، كلاهما عن الزهري، به، قصة نسخ القرآن في عهد أبي بكر دون قصة خزيمة.

وسواء كانت الآية التي في سورة التوبة، أو التي في سورة الأحزاب، فقد ثبت كونها قرآنا بإقرار الصحابة زيدا على إثباتها في المصحف وإجماعهم على تداولها وقراءتها فيما بعد في الأمصار، ومعنى قول زيد: "فلم أجدها إلا مع خزيمة" أي: أنه لم يجدها مكتوبة عند أحد إلا عند خزيمة، فالذي انفرد به خزيمة هو كتابتها لا حفظها، وليست الكتابة شرطا في المتواتر بل المشروط فيه أن يرويه جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب، ولو لم يكتبه واحد منهم. انظر "الفتح" ١٥/٩. [انظر: مسند احمد:٥٠٢/٣٥-٥٠٤. الهامش].

ا-سورة«الفاضحة»

«الفاضحة»: مصدر من الفعل«فضح»، ويقال: افتضح الرجل يفتضح افتضاحا: إذا ركب امرا سيئا فاشتهر به، والفضيحة: ايم لكل امر سيء يشهر صاحبه بما يسوء[١].

وقد ورد هذه التسمية عند بعض الصحابة:

- عن سعيد بن جبير، قال:"قلت لابن عباس سورة التوبة؟ قال التوبة، هي الفاضحة، ما زالت تنزل: ومنهم، ومنهم، حتى ظنوا أنها لم تبق أحدا منهم إلا ذكر فيها...الحديث"[٢].
- عن عكرمة، قال: قال عمر-رضي الله عنه-: "ما فرغ من تنزيل براءة حتى ظننا أنه لم يبق منا احد إلا سينزل فيه، وكانت تسمى الفاضحة[٣].
- عن قتادة، قال:" كانت هذه السورة تسمى الفاضحة، فاضحة المنافقين.."[٤].

وقد وردت هذه التسمية في كتب التفسير، كتفسير الماوردي[٥]، والزمخشري[٦]، وابن عطية[٧]، وابن الجوزي[٨]، والرازي[٩]، والقرطبي[١٠]، والنسفي[١١]، والكلبي[١٢]، والبيضاوي[١٣]، والثعالبي[١٤]، وأبي السعود[١٥]، والشوكاني[١٦]، والألوسي[١٧]، كما ذكرها الكرماني في غرائب التفسير[١٨]، والفيروزآبادي في البصائر[١٩]، والسيوطي في الإتقان[٢٠]، والسخاوي في جمال القراء[٢١].

ووجه تسميتها بسورة«الفاضحة»، لأنها فضحت المنافقين عند نزولها بإظهار نفاقهم وكشف اسرارهم، وأنبائهم بما في قلوبهم من الكفر وسوء النيات.

قال ابن عاشور:" وأحسب أن ما تحكيه من أحوال المنافقين يعرف به المتصفون بها أنهم المراد فعرف المؤمنون كثيرا من أولئك مثل قوله تعالى: ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني [التوبة: ٤٩] فقد قالها

---

(١) اللسان، مادة"ف ض ح":ص٥٤٥/٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة الحشر، حديث رقم(٤٨٨٢):ص٣٦٤/٦، ومسلم كتاب التفسير، باب"في سورة براءة والأنفال والحشر"، حديث رقم(٣٠٣١):ص٢٣٢٢/٤.

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور:١٢١/٤، وعزاه لأبي الشيخ.

(٤) انظر: الإتقان:١٧٣/١.

(٥) انظر: ٣٣٦/٢.

(٦)انظر:١٣٦/٢.

(٧)انظر:٣/٢.

(٨)انظر:٣٨٩/٣.

(٩)انظر:١٧٢/١٥.

(١٠)انظر:٦١/٨.

(١١)انظر:١١٤/٢.

(١٢)انظر:٧٠/٢.

(١٣)انظر:٣٩٤/١.

(١٤)انظر:١١٤/٢.

(١٥)انظر:٣٩/٣.

(١٦)انظر:٤٨١/٢.

(١٧)انظر:٤٠/٦.

(١٨)انظر:٤٤٧/١.

(١٩)انظر:٢٢٧/١.

(٢٠)انظر:١٧٢/١.

(٢١)انظر:٣٦/١.

بعضهم وسمعت منهم، وقوله: ومنهم الذين يؤذون النبيء ويقولون هو أذن [التوبة: ٦١] فهؤلاء نقلت مقالتهم بين المسلمين. وقوله: وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم [التوبة: ٤٢]"[١].

٢-سورة «العذاب»

إذ سماها بذلك بعض الصحابة، ومما ورد في ذلك:

- عن ابن عباس:" أن عمر-رضي الله عنه- قيل له:" سورة التوبة؟ قال: هي إلى العذاب اقرب، ما أقلعت عن الناس حتى ما كادت تدع منهم احدا"[٢].
- عن ابن مسعود-رضي الله عنه- قال:" يسمونها سورة التوبة ، وإنها لسورة العذاب، يعني: براءة"[٣].

وذكر هذه الاسم بعض المفسرين في كتبهم كتفسير الزمخشري[٤]، وابن عطية[٥]، وابن الجوزي[٦]، والرازي[٧]، والخازن[٨]، وأبي السعود[٩]، والشوكاني[١٠]، والالوسي[١١]، وذكرها ابن العربي الأحكام[١٢]، والسيوطي[١٣]، والسخاوي[١٤]، والفيروزآبادي[١٥]، في كتبهم.

ووجه تسميتها بذلك، لأنها نزلت بعذاب الكفار وتكرر فيها.

قال الفيروزآبادي:"وذلك لما فيها من إنعقاد الكفاربالعذاب مرة بعد أخرى في قوله تعالى: {سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ} (التوبة: ١٠١]"[١٦].

٣- سورة«المقشقشة»

المقشقشة: من الفعل"قشقش"، يقال: قد قشقش المريض: إذا افاق وبرا، والقشقشة: تهيؤ البرء، وفي الحديث:" كان يقال لسورتي: قل هو الله احد، وقل يا ايها الكافرون، المقشقشان"، أي: المبرئتان من النفاق والشرك، كا يبرأ المريض من علته[١٧].

قال أبو عبيدة:"ومعناه المبرئتان من الكفر والشك والنفاق كما يقشقش الهناء الجرب فيبرئه"[١٨].

قال السخاوي:" وتسمى المقشقشة؛ لأنها تقشقش من النفاق أي تبرئ منه"[١٩].

قال الزمخشري:" وهي تقشقش من النفاق: أي تبرئ منه"[١].

---

(١) التحرير والتنوير:٩٦/١٠.
(٢) اورده السيوطي في الدر المنثور:١٢١/٤، وعزاه إلى أبي عوانة وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه، وانظر: مسند الفاروق(١١٤):ص٦١/١
(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور:١٢١/٤، وعزاه لابي عوانة وابن المنذر، وابي الشيخ، وابن مردويه.
(٤) انظر: تفسبره: ١٣٦/٢.
(٥) انظر: تفسبره: ٣/٢.
(٦) انظر: تفسبره: ٣٨٩/٣.
(٧) انظر: تفسبره: ٦/١٠.
(٨) انظر: تفسبره: ٣٣٢/٢.
(٩) انظر: تفسبره: ٣٩/٣.
(١٠) انظر: تفسبره: ٤٨١/٢.
(١١) انظر: تفسبره: ٤٠/٩.
(١٢) انظر: ٨٩١/٢.
(١٣) انظر: ١٧٢/١ .
(١٤) انظر: ٣٦/١ .
(١٥) انظر:٢٢٨/١ .
(١٦) البصائر: ٢٢٨/١.
(١٧) انظر: اللسان، مادة" ق ش ش":ص٣٣٧/٦، والنهاية:٦٦/٤.
(١٨)مجاز القرآن ١/ ٦، وانظر: اللسان «قشقش» ٦/ ٣٣٧.
(١٩) جمال القراء:١٩٨/١.

وأسماها بذلك ابن عمر-رضي الله عنهما-، فعن زيد بن اسلم:" ان رجلا قال لعبدالله: سورة التوبة؟ فقال ابن عمر-رضي الله عنهما-:وأيتهن سورة التوبة، فقال: براءة، فقال ابن عمر: وهل فعل بالناس الأفاعيل إلا هي، ما كنا ندعوها إلا المقشقشة"[٢].

وقد وردت هذه التسمية في كتب المفسرين وعلوم القرآن[٣].

ووجه تسميتها بذلك، لأنها تخلص وتبرئ من آمن بها من النفاق والشرك، لما فيها من الدعاء إلى الإخلاص، ولما فيها من وصف أحوال المنافقين[٤].

٤- سورة«البحوث»

«البحث» لغة: أن تسأل عن شيء وتستخبر، وتبحّث عن الشيء، اي: فتشتّت عنه، والبحوث: جمع بحث[٥].

جاء في النهاية:"ورأيت في الفائق[٦]: سورة البحوث-بفتح الباء- فإن صحت فهي فعول من ابنية المبالغة، ويقع على الذكر والأنثى كامرأة صبور، ويكون من باب غضافة الموصوف إلى الصفة"[٧].

وسمّاها بذلك المقداد كما اخرج الحاكم عنه أنه قيل له:"لوقعدت العام عن الغزو، قال:" أتت علينا البَحوث يعني سورة التوبة، قال الله عزّ وجل:{انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا}[٨]، ولا أجدني إلا خفيفا"[٩].

ونسب هذه التسمية إلى ابي أيوب الأنصاري[١٠]، كما عدّها المفسرون[١١] من بين اسماء السورة.

ووجه تسميتها بسورة«البَحوث»، لما تضمنته من ذكر المنافقين ونفاقهم والبحث عن أسرارهم.

٥- سورة«المنقرة»:

«التنقير» لغة: التفتيش، انتقر الشيء ونقر عنه: بحث عنه، والتنقير عن الامر: البحث عنه، و«المنقرة»-بكسر القاف- المشددة من نقّر الطائر الشيء ينقره، إذا خربه[١٢].

وأسماها بـ«المنقرة» عبدالله بن عبيد بن عمير، كما اخرجه عنه ابو الشيخ، قال:"كانت براءة تسمة المنقرة، نقرت عما ي قلوب المشركين"[١٣].

كما وردت هذه التسمية للسورة في بعض كتب المفسرين، كتفسير الزمخشري[١٤]، والرازي[١٥]، والبيضاوي[١٦]، وابي السعود[١٧]، والالوسي[١]، وذكرها الكرماني في العجائب[٢]، والسخاوي[٣]، والسيوطي[٤] في كتابيهما.

---

(١) الكشاف:١٧١/٢.
(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور:١٢١/٤، وعزاه لابي الشيخ واين مردويه.
(٣) انظر: اسماء المفسرين في الاسم الثاني من الاسماء الاجتهادية، «سورة العذاب».
(٤) انظر:.جمال القراء: ١٩٨/١، وروح المعاني:٢٣٥/٥
(٥) انظر: اللسان، مادة: بحث":ص١١٥/٢.
(٦) الفائق في غريب الحديث للزمخشري:٤٠٧/٢.
(٧) النهاية:٩٩/١.
(٨)[التوبة : ٤١].
(٩) المستدرك، كتاب التفسير"سورة التوبة"، حديث رقم(٣٢٨٢):ص٣٦٣/٢.
(١٠) نسب تسميتها إليه الطبرسي في مجمع البيان:٦/١٠، والفيروزآبادي في البصائر:٢٨٨/١.
(١١) انظر: اسماء المفسرين الاسم الثاني من الاسماء الإجتهادية"سورة العذاب".
(١٢) انظر: اللسان، مادة"نقر":ص٢٢٧/٥.
(١٣) الدر المنثور:١٢١/٤.
(١٤) انظر: تفسيره: ١٣٦/٢.
(١٥) انظر: تفسيره: ١٧٢/١٥.
(١٦) انظر: تفسيره: ٣٩٤/١.
(١٧) انظر: تفسيره: ٣٩/٣.

ووجه تسميتها بـ«المنقرة»، لأنها نقرت عما في قلوب المشركين، أي: بحث كما قال عبدالله بن عبيد، ولعله يعني: من نوايا الغدر بالمسلمين، والتمالي على نقض العهد[٥].

٦- سورة«الحافرة»:

حفر الشيء يحفره حفرا، واحتفره: نقاه كما تحفر الارض بالحديدة، وكانت سورة «براءة» تسمى«الحافرة»، وذلك أنها حفرت عن قلوب المنافقين[٦].

ونسب الالوسي[٧] هذه التسمية إلى الحسن البصري، وذكرها ابن الفرس[٨]، وذكرها بعض المفسرين كالزمخشري[٩]، والطبرسي[١٠]، وابن الجوزي[١١]، والرازي[١٢]، والنسفي[١٣]، والبيضاوي[١٤]، وابي السعود[١٥]، وذكرها السخاوي[١٦]، والفيروزآبادي[١٧].

ووجه تسميتها بذلك، لأنها حفرت عن قلوب المنافقين ما كانوا يسترونه، فبحثت عنها فأظهرته للمسلمين، وذلك أنه لما فرض القتال تبين المنافق من غيره، ومن يوالي المؤمنين ممن يوالي اعدائهم، قال الفيروزآبادي:"الحافرة، لأنها تحفر قلوب أهل النفاق بمثل قوله: { إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيم} [التوبة : ١١٠]، {فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِم} [التوبة : ٧٧]" [١٨].

قال السخاوي:" والحافرة؛ لأنها حفرت عن أسرارهم"[١٩].

٧- سورة«المثيرة»

وردت هذه التسمية عند قتادة، وذلك في قوله:" كانت هذه السورة تسمي: الفاضحة- فاضحة المنافقين- وكان يقال لها: المثيرة- أنبأت بمثالبهم وعوراتهم- فقال: المثالب: العيوب"[٢٠].

كما وردت هذه التسمية في كتب التفسير وعلوم القرآن[٢١]، وذكرها الكرماني في العجائب[٢٢].

ووجه تسميتها بذلك، لأنها أثارت مخازي المنافقين وكشفت عن أحوالهم وهتكت أستارهم[٢٣].

---

(١) انظر: تفسيره: ٤٠/٩.
(٢) انظر: العجائب:٤٤٧/١.
(٣) انظر: جمال القراء:٣٦/١.
(٤) انظر: الإتقان:١٧٢/١.
(٥) انظر: التحرير والتنوير:٩٦/١.
(٦) انظر: اللسان، مادة"حفر":ص٢٠٤/٤.
(٧) انظر: تفسيره: ٤٠/٩.
(٨) كما في الإتقان للسيوطي:١٣٧/١.
(٩) انظر: تفسيره: ١٣٦/٢.
(١٠) انظر: تفسيره: ٦/١٠.
(١١) انظر: تفسيره: ٣٨٩/٣.
(١٢) انظر: تفسيره: ١٧٢/١٥.
(١٣) انظر: تفسيره: ١١٤/٢.
(١٤) انظر: تفسيره: ٣٩٤/١.
(١٥) انظر: تفسيره: ٣٩/٣.
(١٦) انظر: جمال القرىء:٣٦/١.
(١٧) انظر: البصائر:٢٢٨/١.
(١٨) البصائر:٢٢٨/١.
(١٩) جمال القراء:١٩٨/١.
(٢٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٥):ص١٨٢٩/٦.
(٢١) انظر: أسماء المفسرين في الاسم الثاني من الاسماء الغجتهادية"العذاب".
(٢٢) انظر: العجائب: ٤٤٧/١
(٢٣) انظر: مجمع البيان للطبرسي:٦/١٠.

٨- سورة«المبعثرة»

قال ابن العربي:" يقال: بعثرت المتاع، إذا جعلت أعلاه أسفله، وقلبت جميعه وقلبته، ومنه قوله تعالى:{وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ} [الانفطار : ٤]"[١].

وعن ثابت بن الحارث الانصاري:" ماكانوا يدعون سورة التوبة إلا المبعثرة، فإنها تبعثر أخبار المنافقين"[٢].

وسماها بهذا الاسم ابن عباس[٣]، والحارث بن يزيد[٤]، وروي عن محمد بن إسحاق:" كانت براءة تسمى في زمان النبي-صلى الله عليه وسلم-«المبعثرة»، لما كشفت من سرائر الناس"[٥].

وذكر هذه التسمية كثير من المفسرين[٦]، كما ذكرها الكرماني في العجائب[٧]، والسخاوي[٨].

وفي وجه التسمية بـ«المبعثرة»، يقول السخاوي:" وتسمى المبعثرة؛ لأنها بعثرت عن أسرار المنافقين"[٩].

وقال السيوطي:- أثناء ذكره لأسماء براءة- "وحكى ابن الفرس من أسمائها المبعثرة- وأظنه تصحيف المنقرة- فإن صح كملت الأسماء عشرة، ثم رأيته كذلك- يعني المبعثرة- بخط السخاوي في «جمال القراء» وقال: لأنها بعثرت عن أسرار المنافقين"[١٠].

قال الزمخشري:" وتبعثر عن أسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها"[١١].

٩- سورة«المدمدمة»

يقال: دمدمهم ودمدم عليهم، أي: طحنهم وأهلكهم، وفي التنزيل:{فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا} [الشمس : ١٤]، أي: أهلكهك[١٢].

ونسبها الالوسي إلى سفيان بن عيينة[١٣]، وذكرها كثير من المفسرين في كتبهم[١٤]، كما ذكرها السخاوي[١٥]، والسيوطي في كتابيهما[١٦].

ووجه تسميتها بذلك، لأن فيها هلاك المنافقين.

١٠- سورة«المخزية»

المخزي:-بضم الميم وسكون الخاء- : المذلّ المحقور، والخزي: الهوان، وقد أخزاه الله: أي: أهانه الله[١٧].

---

(١) أحكام القرآن:٨١٩/٢.
(٢) أحكام القرىن لان العربي:٨٩١/٢.
(٣) انظر: البصائر: ٢٢٨/١.
(٤) عزاه غليه ابن الجوزي في زاد المسير:٢٢٨/٣.
(٥) أخرجه ابن المنذر كما في الدر المنثور:١٢١/٤، وانظر: زاد المسير:٢٢٨/٣.
(٦) انظر: أسماء المفسرين في الاسم الأول من الاسماء الغجتهادية"الفاضحة".
(٧) انظر: العجائب:٤٤٨/١.
(٨) انظر :جمال القراء:١٩٨/١.
(٩) جمال القراء:١٩٨/١.
(١٠) الإتقان:١٥٥/١-١٥٦.
(١١) الكشاف:١٧١/٢.
(١٢) انظر: اللسان، مادة"دم دم":ص٢٠٨/١٢.
(١٣) انظر: روح المعاني:٤٠/٩.
(١٤) انظر: اسماء المفسرين فيالاسم الاول من الأسماء الإجتهادية"الفاضحة".
(١٥) انظر: جمال القراء:٣٦/١.
(١٦) انظر: الإتقان:١٧٣/١.
(١٧) انظر: اللسان، مادة"خزي":ص٢٢٦/١٤.

وذكر هذه التسمية بعض المفسرين كالزمخشري[١]، والرازي[٢]، والنسفي[٣]، والخازن[٤]، والبيضاوي[٥]، وابي السعود[٦]، والشوكاني[٧]، والألوسي[٨]، كما ذكرها السخاوي[٩]، والسيوطي[١٠] في كتابيهما، دون نسبتها إلى أحد.

ووجه تسميتها بـ«المخزية»، لأنها فيها خزيا للمنافقين، وذلك في قوله تعالى:{وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ} [التوبة : ٢]، أي:" واعلموا أن الله مُذلُّ الكافرين، ومُورثهم العارَ في الدنيا، والنارَ في الآخرة"[١١].

١١- سورة«المنكِّلة»

يقال: نكّل به تنكيلا، إذا جعله نكالا وعبرة لغيره، ويقال: نكّلت بفلان إذا عاقبته في جرم اجرمه، تنكّل غيره عن ارتكاب مثله[١٢].

وقد وقعت هذه التسمية في بعض كتب التفسير وعلوم القرآن[١٣]، دون أن ينسب هذا الاسم إلى قائل.

ووجه تسميتها بذلك، لأنها معاقبة لهم ومنكّلة بهم.

١٢- سورة«المشردة»

يقال: شرد البعير والدابة، نفر، فهو شارد، والجمع شرد، والتشريد: الطرد، رجل شريد: طريد، قال تعالى:{فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} [الأنفال : ٥٧]، أي: فرّق وبدّد جكعهم[١٤].

وذكر هذا الاسم قسم من المفسرين في كتبهم وفي كتب علوم القرآن[١٥]، دون الإشارة غلى من سماه بذلك.

وسميت بذلك" لأنها شردت جموع المنافقين وفرّقتهم"[١٦].

وبعد فغن سائر هذه الأسماء إنما هي ألقاب وصفات للسورة لاهم ما اشتملت عليه، وقد شمل الزمخشري معانيها في تفسيره بقوله:" لها عدة أسماء: براءة، التوبة، المقشقشة، المبعثرة، المشردة، المخزية، الفاضحة، المثيرة، الحافرة، المنكلة، المدمدمة، سورة العذاب، لأن فيها التوبة على المؤمنين، وهي تقشقش من النفاق أى تبرئ منه، وتبعثر عن أسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشرد بهم وتخزيهم وتدمدم عليهم"[١٧].

---

(١) انظر: تفسيره: ٢،١٣٦.
(٢) انظر: تفسيره: ١٧٢/١٥.
(٣) انظر: تفسيره: ١١٤/٢.
(٤) انظر: تفسيره: ٣٣٢/٢.
(٥) انظر: تفسيره: ٣٩٤/١.
(٦) انظر: تفسيره: ٣٩/٣.
(٧) انظر: تفسيره: ٤٨١/٢.
(٨) انظر: تفسيره: ٤٠/٩.
(٩) انظر: جمال القراء:٣٦/١.
(١٠) انظر: الإتقان:١٧٣/١.
(١١) تفسير الطبري:١١٢/١٤.
(١٢) انظر: اللسان، مادة"نكل":ص٦٧٧/١١.
(١٣) انظر: اسماء المفسرين في الاسم السابق"المخزية".
(١٤) انظر: اللسان، مادة"شردط:ص٢٣٦/٣.
(١٥) انظر: أسماء المفسرين الاسم الأول من الاسماء الإجتهادية"الفاضحة"..
(١٦) تفسير الخازي:٣٣٢/٢.
(١٧) الكشاف:٢٤١/٢.

وتشترك هذه السورة مع سورة الانفال باسم«القرينتين»، كما سماها بهذا الاسم عثمان بن عفان-رضي الله عنه-، إذ أخرج عنه النحاس في ناسهـ قال:" وكانتا تدعيان في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم القرينتين فلذلك جعلتهما في السبع الطوال "[1].

مكية السورة ومدنيتها:

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على قولين:

أحدهما: أنها مَدَنيّة. وهذا قول ابن عباس[2]، وعبدالله بن الزبير[3]، وقتادة[4]، وعليه جمهور المفسرين[5].

قال الفيروزآبادي:"هذه السورة مَدَنيّة بالاتّفاق"[6].

والثاني: أنها مدنية إلا الآيتين الأخيرتين فمكيتان، وهما:{لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٢٨) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (١٢٩)} [التوبة : ١٢٨ - ١٢٩]. قاله مقاتل[7]، وبه قال الزمخشري[8]، والفخر الرازي[9]، وابن جزى الكلبي[10].

قال العز بم عبدالسلام:" سورة التوبة مدنية اتفاقاً، أو إلا آيتين في آخرها، {لَقَدْ جَاءَكُمْ..} [١٢٨، ١٢٩] ، نزلتا بمكة"[11].

قال ابن الجوزي:" هي مدنية بإجماعهم، سوى الآيتين اللتين في آخرها:{لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُم..}[12]، فانها نزلت بمكة"[13].

روى البخاري في «صحيحه» من حديث البراء قال: "آخر سورة نزلت براءة، وآخر آية نزلت: {يَسْتَفْتُونَكَ قُلْ: اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الكَلالَةِ} [النساء: ١٧٦]"[14].

وقد نقل عن بعض العرب أنه سمع قارئا يقرأ هذه السورة، فقال الأعرابي: "إني لأحسب هذه من آخر ما نزل من القرآن. قيل له: ومن أين علمت؟ فقال: إني لأسمع عهودا تنبذ، ووصايا تنفذ"[15].

واختلفوا في أول ما نزل من (براءة) على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن أول ما نزل منها قوله تعالى: {لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ} [التوبة : ٢٥]، يعرِّفهم نصره، ويوطّنهم لغزوة «تَبُوك»، قاله مجاهد[16].

والثاني: {انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا} [التوبة : ٤١]، قاله مسلم بن صبيح[1]، وأبو الضحى[2]، وأبو مالك[3].

---

(١) الناسخ والمنسوخ: ٤٧٨.
(٢) انظر: الدر المنثور:١١٩/٤، وعزاه لابن مردويه، وانظر: بحر العلوم:٣٧/٢.
(٣)انظر: الدر المنثور:١١٩/٤، وعزاه لابن مردويه.
(٤)انظر: الدر المنثور:١١٩/٤، وعزاه لابن المنذر.
(٥) انظر: بحر العلوم:٣٧/٢، والكشف والبيان:٥/٥، والتفسير الوسيط للواحدي:٤٧٥/٢، ودرج الدرر:٨٥٧/٢، وتفسير النسفي:٦٦١/١، وتفسير ابن كثير:١٠١/٤، وغيرهم.
(٦) انظر: البصائر:٢٢٧/١.
(٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:١٥٣/٢-١٥٤.
(٨) انظر: الكشاف:٢٤١/٢.
(٩) انظر: مفاتيح الغيب:٥٢١/١٥.
(١٠) انظر: التسهيل:٣٣١/١.
(١١) تفسير العز بن عبدالسلام:٥/٢.
(١٢)[التوبة : ١٢٨-١٢٩].
(١٣) زاد المسير:٢٣٠/٢.
(١٤) صحيح البخاري(٤٦٠٥):ص٥٠/٦، وأخرجه مسلم في الفرائض باب آخر آية أنزلت آية الكلالة رقم (١٦١٨)
(١٥) زاد المسير:٢٣٠/٢.
(١٦) انظر: تفسير الطبري(١٦٧٥٩):ص٢٧٠/١٤.

والثالث: {إِلَّا تَنْصُرُوه} [التوبة : ٤٠]، قاله مقاتل[٤].

قال ابن الجوزي:"وهذا الخلاف إنما هو في أول ما نزل منها بالمدينة، فانهم قد قالوا: نزلت الآيتان اللتان في آخرها بمكة"[٥].

مناسبة السورة لما قبلها:

إن سورة«التوبة» كالمتممة لسورة«الانفال» في معظم ما في أصول الدين وفروعه، وفى التشريع الذي جلّه في أحكام القتال والاستعداد له، وأسباب النصر فيه، وأحكام المعاهدات والمواثيق من حفظها ونبذها عند وجود المقتضى لذلك، وأحكام الولاية في الحرب وغيرها بين المؤمنين بعضهم مع بعض، والكافرين بعضهم مع بعض، وأحوال المؤمنين الصادقين والكفار والمذبذبين من المنافقين ومرضى القلوب، فما بدىء به في الأولى أتم في الثانية، **و**يمكن تأشير أهم أوجه المناسبة بين السورتين، كما يأتي[٦]:

١- تفصيل الكلام في قتال المشركين وأهل الكتاب.

ومن هنا، فإن هناك وجهَ مناسبةٍ ورابطة عضوية وموضوعية بين السورتين الكريمتين، فموضوعهما واحد، وهو القتال، إلا أن سورة الأنفال تُمَثِّل أول مراحل تشريع القتال، وسورة التوبة تُمَثِّل آخر مرحلة من مراحل تشريع القتال، فقد جاء فيها آية السيف، وهي قوله تعالى :{ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ }[التوبة: ٥]، قال القرطبي: "نسخت هذه الآية كل آية في القرآن فيها ذِكْرُ الإعراض والصبر على أذى الأعداء [٧].

٢- تحدثت سورة الأنفال عن غزوة بدر، وهي فاتحة الغزوات، وتناولت سورة التوبة غزوةَ تبوكَ، وهي خاتمة الغزوات.

٣- ذكر في الأولى صدّ المشركين عن المسجد الحرام، وأنهم ليسوا بأوليائه، وجاء في الثانية « ما كانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَساجِدَ اللَّهِ » إلى آخر الآيات.

٤- ذكرت العهود في سورة الأنفال، وافتتحت سورة التوبة بتفصيل الكلام فيها.

٥- ذكر في سورة الأنفال الترغيب في إنفاق المال في سبيل الله، وجاء ذلك بأبلغ وجه في براءة.

٦- جاء في الأولى ذكر المنافقين والذين في قلوبهم مرض - وفصل ذلك في الثانية أتمّ تفصيل.

٧- جاء ذكر المنافقين ودورهم في الإرجاف في قوله تعالى } :إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }]الأنفال: ٤٩]، فإن سورة التوبة فضحت المنافقين وكشفت أسرارهم؛ ولهذا سمِّيت" الفاضحة "و"الْبَحُوث"[٨].

وقد ذكروا في عدم كتابة البسملة في بداية سورة التوبة، أقوال[٩]:

أحدهما: أنه لم يكتب الصحابة ولا من بعدهم البسملة في أولها، لأنها لم تنزل معها كما نزلت مع غيرها من السور.

والثاني: رعاية لمن كان يقول إنها مع الأنفال سورة واحدة.

---

(١) انظر: تفسير الطبري(١٦٧٥٧):ص١٤/٢٦٩.
(٢) انظر: تفسير الطبري(١٦٧٥٨):ص١٤/٢٧٠.
(٣) انظر: زاد المسير:٢/٢٣٠.
(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٢/١٧١.
(٥) زاد المسير:٢/٢٣٠.
(٦) انظر: تفسير المراغي:١٠/٥٠-٥١.
(٧) انظر: تفسير القرطبي:٨/٧٣.
(٨) انظر: أسماء السورة الإجتهادية.
(٩) انظر: زاد المسير: ٢/٢٣١، وتفسير المراغي:١٠/٥٠-٥١.

روي عن يزيد الفارسي، قال: "قال لنا ابن عباس- رضي الله عنهما- قلت لعثمان: "ما حملكم إلى أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم. فقال عثمان: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه من السورة ذوات العدد فكان إذا نزل عليه يدعو بعض من يكتب فيقول: ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا. وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها؟ فمن أجل ذلك فرقت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم"[(١)].

وكان قتادة يقول: "هما سورة واحدة"[(٢)].

والثالث: لأنها جاءت لرفع الأمان والابتداء بالبسملة مذكورا فيها اسم الله موصوفا بالرحمة يوجبه.

عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال:" سألت علي بن ابي طالب-رضي الله عنه- لِم لَمْ تكتب «بسم الله الرحمن الرحيم؟» قال: لأن «بسم الله الرحمن الرحيم» أمان، وبراءة نزلت بالسيف"[(٣)].

وعن ابن الحنفية، قال: "قلت لأبي: لم لم تكتبوا في «براءة» «بسم الله الرحمن الرحيم» ؟ فقال: يا بني، إن (براءة) نزلت بالسيف، وإن «بسم الله الرحمن الرحيم» أمان"[(٤)].

وسئل سفيان بن عيينة عن هذا، فقال: "لأن التسمية رحمة، والرحمة أمان، وهذه السورة نزلت في المنافقين"[(٥)].

والرابع: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما كتب في صلح الحديبية «بسم الله الرحمن الرحيم» ، لم يقبلوها وردوها، فما ردها الله عليهم، قاله عبد العزيز بن يحيى المكي[(٦)].

والقول الأخير لا يصح، وهو رأي لعبد العزيز، وليس بشيء وحديث صلح الحديبية متفق عليه. والله أعلم.

أغراض السورة ومقاصدها:

---

(١)أخرجه أحمد (١/ ٥٧)، وأبو داود (٧٨٦، ٧٨٧)، والترمذي (٣٠٨٦)، وابن حبان (٤٣)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٣٠)، والبيهقي في سننه (٢/ ٤٢) وغيرهم.

من طريق عوف، عن يزيد الفارسي، عن ابن عباس به.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، لا نعرفه إلا من حديث عوف، عن يزيد الفارسي، عن ابن عباس، ويزيد الفارسي قد روى عن ابن عباس غير حديث، ويقال: هو يزيد بن هرمز.

ويزيد الرقاشي؛ هو: يزيد بن أبان الرقاشي ولم يدرك ابن عباس وإنما روى عن أنس بن مالك وكلاهما من أهل البصرة، ويزيد الفارسي أقدم من يزيد الرقاشي.

قلت: وقد خولف الترمذي في تصحيحه لهذا الحديث.

قال الشيخ أحمد شاكر -رحمه اللّه- في تعليقه على المسند (١/ ١٩٧ - ١٩٨) في إسناده نظر كثير، بل هو عندي ضعيف جدًا، بل هو حديث لا أصل له ..... ثم قال: فهذا يزيد الفارسي الذي انفرد برواية هذا الحديث، يكاد يكون مجهولًا حتى شُبِّهَ على مثل ابن مهدي وأحمد والبخاري أن يكون وابن هرمز أو غيره، ويذكره البخاري في الضعفاء.

فلا يقبل منه مثل هذا الحديث ينفرد به، وفيه تشكيك في معرفة سور القرآن الثابتة بالتواتر القطعي، قراءة وسماعًا وكتابة في المصاحف، وفيه تشكيك في إثبات البسملة في أوائل السور، كأن عثمان كان يثبتها برأيه وينفيها برأيه، وحاشاه من ذلك.

فلا علينا إذا قلنا إنه حديث لا أصل له تطبيقًا للقواعد الصحيحة التي لا خلاف فيها بين أئمة الحديث، أهـ.

والحديث مختلف في إسناده على عوف الأعرابي. وانظر علل الدارقطني (٢٧٦). وضعّف إسناده أيضًا الشيخ الألباني في ضعيف سنن أبي داود (١٦٨، ١٦٩).

(٢) سقط من الأصل، والاستدراك من المعرفة للبيهقي (٢/ ٣٧٢).

(٢) زاد المسير:٢٣١/٢.

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور:١٢٠/٤، وعزاه لأبي الشيخ وابن مردويه.

(٤) زاد المسير:٢٣١/٢.

(٥) انظر: زاد المسير:٢٣١/٢.

(٦) انظر: زاد المسير:٢٣١/٢.

قال ابن عاشور" :افتتحت السورة كما تفتتح العهود وصكوك العقود بأدل كلمة على الغرض الذي يراد منها، كما في قولهم: هذا ما عهد به فلان، وهذا ما اصطلح عليه فلان وفلان، وقول الموثقين: باع، أو وكَّل، أو تزوَّج، وذلك هو مقتضى الحال في إنشاء الرسائل والمواثيق ونحوها"(١).

وبالفعل فإن هذه السورة ابتدأت حديثها بإعلان البراءة من أفعال الكافرين، وأعلنت المفاصلة بين أهل الحق وأهل الباطل، وأهل الإيمان وأهل الشرك، وأهل الإسلام وأهل النفاق .

هذا من حيث فاتحة السورة، وتحديد هدفها العام، ثم وراء ذلك تضمنت السورة مقاصد أُخر، نذكر منها(٢):

أولا:- معاداة من أعرض عن اتباع الداعي إلى الله في توحيده، واتباع ما يرضيه، وموالاة من أقبل عليه. يدل على هذا المقصد: قصة الثلاثة المخلَّفين، فإنهم هُجروا، وأُعرض عنهم بكل اعتبار، حتى بالكلام وبالسلام، إلى أن تاب الله عليهم .

ثانيا:- تضمنت السورة من أسماء الله الحسنى وصفاته العلى الكثير؛ وذلك لتذكير تالي القرآن وسامعه المرة بعد المرة بربه وخالقه، وما هو متصف به من صفات الكمال، الذي يثمر له زيادة تعظيمه وحبه والرجاء في رحمته وإحسانه، والخوف من عقابه، لمن أعرض عن هداية كتابه، أو خالف حكمته وسننه في خلقه، وهذا أعلى مقاصد القرآن، في إكمال الإيمان، وإعلاء شأن الإنسان .

ثالثا:- تقرير عدة عقائد من أصول الإيمان، وكمال التوحيد، وحصول اليقين، جُمعت كلها في آية واحدة من هذه السورة، وهي قوله تعالى:{قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [التوبة : ٥١]. فالمؤمن يعتقد أن الله تعالى هو مولاه الذي يتولى نصره وتوفيقه; فهو بمقتضى إيمانه يتوكل عليه ويفوض أمره إليه.

رابعا:- بيان أن من مقتضى الإيمان الصحيح، تحري المؤمن إرضاء الله ورسوله معاً; ذلك بأن كل ما يرضي رسوله صلى الله عليه وسلم يرضي الله سبحانه، فرضا الله ورضا رسوله متلازمان، لا ينفكان، ولا يقبل إيمان عبد من غير اجتماعهما.

خامسا:- بيان علو مكانة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعناية الله تعالى به وحفظه ورعايته وتكريمه وتأديبه وتكميله إياه.

سادسا:- حظر التخلف عن هديه صلى الله عليه وسلم وسنته، والرغبة بالنفس عن نفسه، وبيان أن كل من يصون نفسه عن جهاد وعمل، بذل الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه فيه، فهو مفضل لنفسه على نفسه الكريمة في عهده، ومن ثم فإنه ينبغي لكل مؤمن أن يتأسى به صلى الله عليه وسلم في بذله ماله ونفسه لله والجهاد في سبيل الله بقدر إمكانه.

سابعا:- تقرير أن دين الإسلام هو نور الله تعالى العام، وهداه الكامل التام، الذي نسخ به ما تقدمه من الأديان، ووعد الله عز وجل بإتمامه، وخذلان مريدي إطفائه.

ثامنا:- بيان أن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة هما مدخل الإسلام ومفتاحه وما يتحقق به، وهو قوله تعالى في المشركين:{فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [التوبة : ١١].

تاسعا:- بيان أن بناء الإسلام على العلم الصحيح، دون التقليد الذي ذمه القرآن:{اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [التوبة : ٣١].

---

(١) التحرير والتنوير:١٠٢/١٠.

(٢) انظر:مقاصد سورة التوبة، إسلام ويب، [موقع التكروني].

عاشرا:-التأكيد على المساواة بين الرجال والنساء في ولاية الإيمان المطلقة ، في قوله{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} [التوبة : ٧١]، والمساواة بينهما في جميع نعيم الآخرة تبعاً للمساواة في التكليف، يفهم ذلك من قوله سبحانه:{وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة : ٧٢].
الحادي عشر:- كون بذل الأموال في سبيل الله آية الإيمان الصحيح وقِوام الدين الحنيف، وفضل النفقة في الجهاد قلّت أو كثرت، وكون الجزاء عليها أحسن الجزاء. وكون البخل والامتناع عن الإنفاق في سبيل الله آية الكفر والنفاق.
الثاني عشر:- بيان فوائد الزكاة المفروضة والصدقات، وإصلاح الإسلام النظام المالي للبشر، وامتيازه بذلك على جميع الأديان .
الثالث عشر:- إعلان البراءة من المشركين، لدفع المفاسد المترتبة على بقائها .
الرابع عشر:- التأكيد على أهمية الجهاد في سبيل الله؛ لنشر دينه، وقتال من يقف في وجه دعوة الإسلام، وتوعد الذين يتقاعسون عن الجهاد بحياة الذل والعذاب الأليم في الدنيا والآخرة.
الخامس عشر:- عقد المعاهدات مع الدول والأمم من حقوق الأمة، لها غُنْمها، وعليها غُرمها، وإنما يعقدها الإمام أو نائبه من حيث إنه هو الممثل لوحدة الأمة. ووجوب الوفاء بالمعاهدة ما دام الطرف الآخر من الأعداء يفي بها، ولا ينقص منها شيئاً .
السادس عشر:- بينت السورة أن الهدنة بين المسلمين ومن حاربهم مشروعة، وللمسلمين أن يبدؤوا بها إذا اقتضت مصلحتهم ذلك .
السابع عشر:- تأمين الحربي، بالإذن له بدخول دار الإسلام جائز للمصلحة، فإذا استأمن لأجل سماع كلام الله، أو الوقوف على حقيقة الإسلام، وجبت إجارته ثم إبلاغه مأمنه عند الخروج من دار الإسلام .
الثامن عشر:- ذم القرآن للكفار والمنافقين، ونزاهته في ذمهم عن السب والشتم، ووصفهم بأنهم لا يرقبون ولا يراعون في أحد من المؤمنين قرابة ولا عهداً، وأنهم يصدون عن سبيل الله، وأن أكثرهم فاسقون، وأنهم هم المعتدون، وأشد ما وصفهم به أنهم رجس، وأنه كلما نزلت سورة من القرآن زادتهم رجساً إلى رجسهم، حتى ماتوا على كفرهم .
التاسع عشر:- بيان سياسة الإسلام في التعامل مع المنافقين، وأن من أظهر الإسلام منهم يعامل كما يعامل سائر المسلمين؛ لأن قاعدة الإسلام في هذا الصدد: أن الحكم على الظواهر، وأن الله تعالى وحده هو الذي يحاسب، ويعاقب على السرائر.

الناسخ والمنسوخ:

السورة تحتوي على إِحْدَى عشرَة آيَة مَنْسُوخَة:

- الآية الأولى: قوله تعالى :{بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ(١)فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ} [التوبة : ١-٢]، والآية التي تليها، نزلت هذه ثم نزلت هذه فمن كانت بينه وبينهم موادعة جعل الله مدتهم أربعة أشهر من يوم النحر إلى عشر من شهر ربيع الآخر فهذا مدة لمن كان بينه وبينهم عهد وجعل مدة من لم يكن بينه وبينهم عهد خمسين يوما من يوم النحر إلى آخر المحرم وهو تفسير قوله تعالى: {فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ} [التوبة : ٥]، يعني: المحرم وحده ثم صار ذلك منسوخا بقوله تعالى: {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} [التوبة : ٥]، وانما يريد بذلك شهر المحرم لا غير سمي باسم الشهور وهو شهر واحد لأمرين احدهما أنه متصل بشهرين حرامين سمي باسمهما والوجه الآخر إنما سماه على مذهب العرب والعرب تقول ركبنا البغال ولا تركب إلا بغلا واحدا وركبنا السفن وهو لا يركب إلا سفينة واحدة وهذا على وجه المجاز والقرآن من هذا مملوء.

- الآية الثالثة: قوله تعالى: {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} [التوبة : ٥]، الآية مستثنى منها بقوله تعالى: {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ} [التوبة : ٥]، فإقامة الصلاة –ههنا-: الإقرار بها وكذلك إيتاء الزكاة. وهذه الآية من أعاجيب أي القرآن لأنها نسخت من القرآن لأنها نسخت من القرآن مائة وأربعا وعشرين آية ثم نسخها الله تعالى بعد ثم استثنى من ناسخها فنسخه بقوله تعالى:{وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ} [التوبة : ٦]، وهي آية السيف نسخت من القرآن مائة وأربعا وعشرين آية ثم صار آخرها ناسخا لأولها وهو قوله تعالى:{فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ} [التوبة : ٥].
- الآية الرابعة: قوله تعالى:{إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ} [التوبة : ٧]، نسخت بقوله تعالى:{فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} [التوبة : ٥].
- الآية الخامسة والسادسة: قوله تعالى:{وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [التوبة : ٣٤]، ثم هددهم بالآية التي تليها:{يَوْمَ يُحْمَى } [التوبة : ٣٥]، ثم نسختا بالزكاة المفروضة فبينت السنة أعيانها.
- الآية السابعة والثامنة قوله تعالى:{إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ} [التوبة : ٣٩]، وقوله تعالى:{انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا} [التوبة : ٤١]، نسختا جميعا بقوله تعالى:{وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً} [التوبة : ١٢٢] الآية، وقوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا} [النساء : ٧١].
- الآية التاسعة قوله تعالى:{عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لك} [التوبة : ٤٣] الآية، ثم رخص له بعد ذلك بقوله تعالى:{فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النور : ٦٢].
- الآية العاشرة: قوله تعالى:{اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ} [التوبة : ٨٠]، فقال -عليه السلام-:"لأزيدن على السبعين"(١)، فنسخها الله بقوله:{سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ} [المنافقون : ٦].
- الآية الحادية عشرة: قوله تعالى:{الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ} [التوبة : ٩٧]، هذه الآية والتي تليها وهي:{وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ} [التوبة : ٩٨]، نسخهما الله تعالى بقوله:{وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [التوبة : ٩٩] الآية. هذا جميع ما في هذه السورة من المنسوخ(٢).

فضائل السورة:

وردت عدة أحاديث في فضائل هذه السورة، منها:

أولا:- ذكر ابن رجب أن عبد الله ابن الإمام أحمد، وسعيد بن منصور أخرجا عن أُبيٍّ بن كعب-رضي الله عنه-: أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ يوم الجمعة «براءة» وهو قائم يذكر بايام الله"(٣).

---

(١)صحيح البخاري مع الفتح ٩/ ٤٠٦ - ٤٠٧.

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ٩٧-١٠١.

(٣) اخرجه احمد(٢١٢٨٧):ص٣٥/٢٠٨-٢٠٩، حديث صحيح، وإسناد قوي إن ثبت سماع عطاء بن يسار من أُبيٍّ بن كعب، عبد العزيز بن محمد -وهو الدراوردي- وشيخه شريك بن عبد الله صدوقان لا بأس بهما.
وأخرجه ابن ماجه (١١١١)، وذكر فيه سورة الملك، وأخرجه ابن خزيمة (١٨٠٧) و (١٨٠٨) ، والحاكم ١/٢٨٧-٢٨٨ و٢/٢٢٩-٢٣٠، والبيهقي ٣/٢١٩-٢٢٠ من طرق عن سعيد بن أبي مريم، عن محمد بن جعفر بن أبي كثير، عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر، عن عطاء بن يسار عن أبي ذر قال: دخلت المسجد يوم الجمعة ... فذكره. فجعله من حديث أبي ذر.
قلنا: قال الذهبي في "تلخيص المستدرك": ما أحسب عطاءً أدرك أبا ذر، ومثله قال الحافظ في "إتحاف المهرة" ١٤/١٧٢-١٧٣.

ثانيا:- عن أبي بن كعب عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، قال:" ما نزل من القرآن إلا آية آية وحرف حرف، ما خلا سورة براءة وقل هو الله أحد، فإنها أنزلت عليّ ومعهما سبعون ألف صف من الملائكة"[1].
ثالثا:- وروي عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال: " من قال إذا أصبح وإذا أمسى: «حسبي الله لا إله إلا هو؛ عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم»؛ سبع مرات؛ كفاه الله ما أهمه، صادقاً كان أو كاذبا"[2].

قال البيهقي: ورواه عبد الله بن جعفر، عن شريك، عن عطاء، عن أبي الدرداء، عن أُبي بن كعب وجعل القصة بينهما، ورواه حرب بن قيس، عن أبي الدرداء، وجعل القصة بينه وبين أُبي، ورواه عيسى بن جارية، عن جابر ابن عبد الله فذكر معنى هذه القصة بين ابن مسعود وأُبي بن كعب، ورواه الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس فجعل معنى هذه القصة بين رجل غير مسمى وبين عبد الله بن مسعود، وجعل المصيب عبد الله بن مسعود بدل أُبي. وليس في الباب أصح من هذا الحديث الذي ذكرنا إسناده، والله أعلم، فقد رواه أبو سلمة بن عبد الرحمن مرسلاً بين أبي ذر وبين أُبي بن كعب في شيءٍ سأله عنه، وأسنده محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة.
قلنا: أما رواية عبد الله بن جعفر فلم نجدها.
وأما رواية حرب بن قيس فستأتي في مسند أبي الدرداء ١٩٨/٥. وإسنادها ضعيف.
وأما رواية عيسى بن خارجة، فأخرجها أبو يعلى (١٧٩٩) و (١٨٠٠) ، ومن طريقه أخرجها ابن حبان (٢٧٩٤) ، وإسنادها ضعيف.
وأما رواية الحكم بن أبان، فأخرجها ابن خزيمة (١٨٠٩) ، وإسنادها ضعيف.
وأما رواية أبي سلمة المرسلة فأخرجها عبد الرزاق (٥٤٢٤) ، وإسنادها ضعيف.
وأما رواية محمد بن عمرو الموصولة فأخرجها الطيالسي (٢٣٦٥) ، والبزار (٦٤٣-كشف الأستار) ، والطحاوي ٣٦٧/١، والبيهقي ٢٢٠/٣. وإسنادها حسن.
قلنا: ولم ينفرد محمد بن عمرو بوصله، بل توبع، فأخرجه الطبراني في "مسند الشاميين" (٢٨٤٠) من طريق معاوية بن سلام، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، به مختصراً. وإسناده صحيح.
وأخرجه عبد الرزاق (٥٤٢١) عن معمر، عن عمرو وغيره، عن الحسن، فذكر القصة بين ابن مسعود وأُبي بن كعب، مثل رواية عيسى بن خارجة.
وفي باب الإنصات إلى الخطيب يوم الجمعة عن أبي هريرة سلف برقم (٧٣٣٢) ، وانظر تتمة شواهده هناك.
قال التهانوي في أعلام السنن٧٣/٤:"رواه عبدالله بن احمد من زياداته، ورجاله رجال الصحيح كذا في "مجمع الزوائد"(٢١٧/١)، وهو صحيح، كذا في كنز العمال:٢٧٥/٤.
(١) أخرجه الثعلبي عن عائشة، في الكشف والبيان:٥/٥، وذكره الزمخشري في الكشاف:١٧٩/٢، والحديث موضوع، انظر: تحقيقه في فضل سورة الانفال، والحديث وغن كان موضوعا إلا أنه مذكور في فضل هذه السورة ولهذا اتيت به في هذا المقام وهكذا في جميع السور.
(٢) حديث منكر، أخرجه أبو داود (٥٠٨١) - عن يزيد بن محمد الدمشقي -، وابن عساكر في "التاريخ" (١٠/ ١٤٦/ ٢) - من طريق أبي زرعة وإبراهيم بن عبد الله بن صفوان - ثلاثتهم قالوا: حدثنا عبد الرزاق بن عمر بن مسلم - زاد يزيد بن محمد الدمشقي: وكان من ثقات المسلمين من المتعبدين -: أخبرنا مدرك بن أبي سعد (وقال يزيد: ابن سعد، شيخ ثقة) عن يونس بن ميسرة بن حلبس عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال: ... فذكره موقوفاً عليه.
وخالفهم أحمد بن عبد الله بن عبد الرزاق المقرىء فقال: أخبرنا جدي عبد الرزاق ابن عمر بإسناده المذكور عن أبي الدرداء مرفوعاً.
أخرجه ابن السني في "عمل اليوم والليلة" (رقم ٧١) ، وابن عساكر (١٠/ ١٥٧/ ١) من طريقين عنه؛ إلا أن ابن السني لم يذكر فيه قوله:
"صادقاً كان أو كاذباً".
وكذلك لم يذكر هذه الزيادة في رواية أبي داود الحافظ ابن كثير في "التفسير"، والسيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٢٩٧) . ولما ذكرها ابن كثير من رواية ابن عساكر الأولى الموقوفة؛ قال:
"وهذه زيادة غريبة". ثم قال في حديث ابن عساكر هذا المرفوع - وفيه الزيادة -.
"وهذا منكر، والله أعلم".
وجملة القول في هذا الحديث: أن إسناد الموقوف رجاله ثقات، بخلاف المرفوع؛ فإن مداره على أحمد بن عبد الله بن عبد الرزاق المقرىء، ولم أعرفه، ولا ذكره ابن الجزري في "غاية النهاية في طبقات القراء".

ومع ذلك؛ فقد خالف الثقات الذين أوقفوه؛ كما رأيت، فحري بمثله أن يكون ما رفعه منكراً.
وأما قول المنذري في "الترغيب" (١/ ٢٢٧) :
"رواه أبو داود هكذا موقوفاً، ورفعه ابن السني وغيره، وقد يقال: إن مثل هذا لا يقال من قبل الرأي والاجتهاد، فسبيله سبيل المرفوع"!
فأقول: ذلك من الممكن بالنسبة لأصل الحديث، بخلاف الزيادة؛ فإنها غريبة منكرة؛ كما قال ابن كثير، وهو ظاهر جداً؛ إذ لا يعقل أن يؤجر المرء على شيء لا يصدق به، بل هذا شيء غير معهود في الشرع. والله أعلم.
ثم رأيت الحديث قد روي مرسلاً بلفظ:
"من قال: حسبي الله لا إله إلا هو، عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم؛ قال الله عز وجل: لأكفين عبدي؛ صادقاً كان أو كاذباً".
أخرجه الطبراني في "الدعاء" (ق ١١٨/ ٢) ، وعنه عبد الغني المقدسي في "السنن" (٢٣٥/ ١) من طريق هشام بن عمار: حدثنا مدرك بن أبي سعد الفزاري عن يونس بن ميسرة بن حلبس قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ... فذكره.
وهذا إسناد مرسل، رجاله ثقات؛ على ضعف في هشام بن عمار؛ فإنه كان يتلقن.
فهذه علة أخرى في الحديث؛ وهي الإرسال والاضطراب في متنه. والله سبحانه وتعالى أعلم.
وأما المقدسي فقال:
"هذا حديث مرسل، ورجاله كلهم ثقات"! [انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة(٥٢٨٦):ص١١/٤٤٩-٤٥١]

سورة «يونس»

سورة «يونس»: هي السورة العاشرة في ترتيب المصحف،تأتي بعد سورة «التوبة»، وبعد «الإسراء» في ترتيب النزول[1]، وعدد آياتها (١١٠) مائة وعشر آيات عند الشاميِّين، و(١٠٩) مائة وتسع عند الباقين، عدد كلماتها (١٤٩٩) ألف وأربعمائة وتسع وتسعون كلمة. وحروفها (٧٠٦٥) سبعة آلاف وخمس وستون، والآيات المختَلف فيها: {مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّين} [يونس : ٢٢]، {وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ} [يونس : ٥٧]، و{ مِنَ الشَّاكِرِين} [يونس : ٢٢][2].

مجموع فواصل آياته (م ل ن) يجمها « ملن» على «اللاَّم» منها آية واحدة {وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ} [يونس : ١٠٨]، وكلُّ آية على «الميم» قبل «الميم» «ياء»[3].

أسماء السورة:

ولهذه السورة أسماء أشهرها:

أولا:- اسمها التوقيفي: سورة «يونس»:

سميت في المصاحف وفي كتب التفسير والسنة: «سورة يونس»، ووجه تسميتها بسورة«يونس»، لأنها انفردت بذكر قصة قوم يونس-عليه السلام- إذ أنهم آمنوا بعد أن توعدهم رسولهم بنزول العذاب، فعفا الله عنهم لما آمنوا، وذلك في قوله تعالى:{فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ (٩٨)} [يونس : ٩٨].

قال الصاوي:" سميت [السورة] بذلك لذكر اسمه فيها وقصته, وقد جرت عادة الله بتسمية السورة ببعض أجزائها"[4].

وقد وردت تسميتها بسورة«يونس» في كلام بعض الصحابة والتابعين، وذلك كما يأتي:

- روي عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال:" نزلت سورة يونس بمكة"[5].
- وعن الاحنف، قال:" صليت خلف عمر-رضي الله عنه- الغداة، فقرأ بـ«يونس» و«هود»، وغيرهما"[6].
- وعن محمد بن سيرين، قال:"كانت سورة «يونس» تعدّ «السابعة»"[7].

ثانيا: اسمها الاجتهادي: سورة «السابعة»:

سمّاها السيوطي في كتاب التحبير في علم التفسير: «السابعة»، وعلّل تسميتها بقوله:" لانها سابعة السبع الطوال"[8].

والحق أن السورة انفردت باسم سورة«يونس» ولا يعرف لها سام غيره، ولم نجد في كتب التفسير والسنة-فيما وقفنا عليه- من يسميها بغير اسمها المشهور.

مكية السورة ومدنيتها:

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على أقوال:

أحدها: أنها مكّيّة. وهذا قول ابن عباس[1]، وعبدالله بن الزبير[2]، والحسن[3]، وعكرمة[4]، وعطاء[5]، وجابر[6]، وعليه جمهور المفسرين[7].

---

(١) انظر: الكشاف: ٣٢٦/٢.
(٢)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٢٣٨، وعمدة القاري:٣٤٤/١٨.
(٣)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٢٣٨.
(٤) حاشية الصاوي:٢٢٣/٢.
(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور:٣٣٩/٤، وعزاه إلى النحاس وابي الشيخ وابن مردوية.
(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الصلوات، باب"مايقرأ في صلاة الفجر":ص٣٥٣/١
(٧) أورده السيوطي في الدر المنثور:٣٣٩/٤، وعزاه لأبي الشيخ.
(٨)التحبير في علم التفسير:٣٧٠.

قال الفيروزآبادي:" اعلم أنّ هذه السّورة مكّيّة، بالاتّفاق"[٨].
والثاني: أنها مكية إلا قوله:{وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ} [يونس : ٤٠]. نزلت بالمدينة في اليهود. وهذا قول الكلبي[٩].
والثالث: أن كلها مكية غير آيتين وهما: قوله- تعالى-: {فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} [يونس : ٩٤]، وقوله: {وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [يونس : ٩٥] ، فإنهما مدنيتان. وهذا قول مقاتل[١٠].
والرابع: أنها مكية إلا ثلاث آيات، وهي: (٩٤ و ٩٥ و ٩٦). وهذا القول منسوب إلى ابن عباس[١١].
والخامس: أنها مكية، إلا الآيات: (٤٠ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦) فمدنية، به قال الزمخشري[١٢].
والسادس: أنه نزل من أولها نحو من أربعين آية بمكة وباقيها بالمدينة. حكاه القرطبي عن آخرين[١٣].
قال السيوطي:" المشهور أنها مكية وعن ابن عباس روايتان فتقدم في الآثار السابقة عنها أنها مكية وأخرجه ابن مردويه من طريق العوفي عنه ومن طريق ابن جريج عن عطاء عنه ومن طريق خصيف عن مجاهد عن ابن الزبير، وأخرج من طريق عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس أنها مدنية، ويؤيد المشهور ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: «لما بعث الله محمدا رسولا أنكرت العرب ذلك، ومن أنكر منهم قالوا: الله أعظم من ان يكون رسوله بشرا [مثل محمد]، فأنزل الله: {أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم}»[١٤]"[١٥].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومن مناسبتها لما قبلها:
١- ختمت سورة «التوبة» بذكر صفات الرسول-صلى الله عليه وسلم-، قال تعالى:{لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة : ١٢٨]، وبدأت سورة«يونس» بتبديد الشكوك والاوهام نحو إنزال الوحي على الرسول-صلى الله عليه وسلم-،

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور:٣٣٩/٤، وعزاه إلى النحاس وابي الشيخ وابن مردوية.
(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور:٣٣٩/٤، وعزاه إلى ابن مردوية.
(٣) عزاه إليه القرطبي في تفسيره:٣٠٤/٨، وانظر: فتح القدير للشوكاني: ٤٧٩/٢.
(٤) عزاه إليه القرطبي في تفسيره:٣٠٤/٨، وانظر: فتح القدير للشوكاني: ٤٧٩/٢.
(٥) عزاه إليه القرطبي في تفسيره:٣٠٤/٨، وانظر: فتح القدير للشوكاني: ٤٧٩/٢.
(٦) عزاه إليه القرطبي في تفسيره:٣٠٤/٨.
(٧) انظر: تفسير عبدالرزاق:١٧٣/٢، والكشف والبيان:١١٦/٥، وبحر العلوم:١٠٢/٢، وتفسير ابن كثير:٢٤٥/٤، وروح المعاني:٥٥/٦، والبصائر:٢٣٨/١ـ والدر المنثور:٣٣٩/٤.
(٨) انظر: البصائر:٢٣٨/١.
(٩) عزاه إليه القرطبي في تفسيره:٣٠٤/٨.
(١٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٢٢٤/٢.
(١١) عزاه إليه القرطبي في تفسيره:٣٠٤/٨.
(١٢) انظر: الكشاف:٣٢٦/٢.
(١٣) انظر: تفسير القرطبي:٣٠٤/٨.
(١٤) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٥٢١):ص٢٢٨٤/٧. والخبر بتمامه:" عن ابن عباس قال: لما بعث الله محمدا رسولا أنكرت العرب ذلك، ومن أنكر منهم قالوا: الله أعظم من ان يكون رسوله بشرا مثل محمد فأنزل الله: {أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم}، وقال: {وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون}، يعني: فاسألوا أهل الذكر والكتب الماضية: أبشرا كانت الرسل الذين أتتهم أم ملائكة؟ فإن كانوا ملائكة أتتكم وإن كانوا بشرا فلا تنكروا إن يكون رسولا. ثم قال: {وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى}، أي: ليسوا من أهل السماء كما قلتم".
(١٥) الإتقان في علوم القرآن:٤٧/١-٤٨.

للتبشير والإنذار، قال تعالى:{أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ} [يونس : ٢].

٢- تحدث معظم آيات سورة«التوبة» في أحوال المنافقين وموقفهم من القرآن، إذ طلب المشركون والكفار من الرسول-صلى الله عليه وسلم- أن ينزل عليهم آية من الله تعالى، لاعتقادهم بأن القرآن غير معجز وانه ليس من عند الله، وزعمهم أنه من عند محمد -صلى الله عليه وسلم-، قال تعالى:{وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٧) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٨) بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٣٩)} [يونس : ٣٧ - ٣٩].

٣- ومن المناسبة بين السوريتين: ذكرت سورة«التوبة» أوصاف الرسول التي تستدعي الإيمان به وبما جاء به من عند الله، قال تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة : ١٢٨]، ثم ذكر هذا الكتاب الذي أنزل والنبي الذي ارسل وأن شأن الضالين التكذيب بالكتب الإلهية، قال تعالى:{الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (١) أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ (٢)} [يونس : ١ - ٢][١].

أغراض السورة ومقاصدها:

وسوة«يونس»-كباقي السور القرآنية- لها مقاصد عظيمة وجليلة، فمن أشهر تلك المقاصد:

١- بيان أن القرآن الكريم كتاب محكم واضح بيّن فيما اشتمل عليه من حرام وحرام وحدود واحكام.

٢- أن مقومات اختيار الأنبياء لا تعتمد على معايير الناس ومفاهيمهم كالمال والغنيى والثروة والجاه والزعامة، وإنما المعيار هو ما في علم الله تعالى من كون النبي المصطفى-صلى الله عليه وسلم- هو الأكفأ والأجدر بتحمل أعباء الرسالة، والأوفق لتحقيق المصلحة وتبليغ الوحي إلى الناس.

٣- لقد خلق الله تعالى السماوات والأرض في ستة ايام، لتعليم الخلق التثبت في الأمر، مع أنه تعالى قادر على خلق جميع العالم في أقل من لمح البصر.

٤- إن أحوال الشمس والقمر وما فيهما من الفوائد، والمنافع الحاصلة من اختلاف الليل والنهار، وكل ما خلق الله في السماوات والأرض آيات دالة على وجود الله توحيده، وكمال قدرته وعظيم سلطانه، ولم يخلق الله ذلك إلا لحكمة وصاب، ومصلحة للإنسان.

٥- بيان أن للكافرين الجاحدين عذاب النار بسبب ما اكتسبوا أو اقترفوا من الكفر والتكذيب والمعاصي، وقد وصفهم الله تعالى بصفات أربع في الآية السابعة من سورة«يونس»، وهي[٢]:

الاولى:-{إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا} [يونس : ٧]، أي: لايخافون عقابا ولا يرجون ثوابا.

الثانية:-{وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [يونس : ٧]، أي: رضوا بها عوضا من الآخرة فعلموا لها.

الثالثة:-{وَاطْمَأَنُّوا بِهَا} [يونس : ٧]، أي: فرحوا بالدنيا وسكنوا إليها.

الرابعة: {وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ} [يونس : ٧]، أي: لا يعتبرون ولا يتفكرون بأدلتنا.

٦- بيان أن للمؤمنين المحقين العاملين الاعمال الصالحة جنات تجري من تحتهم الأنهار، أي: من تحت بساتينهم او أسرّتهم أنهار، يمجدون الله فيها، والفرحة تغمرهم، والبهجة تملأ قلوبهم، والسعادة ترفرف بأجنحتها عليهم، تحية الله لهم، او تحية الملك أو تحيتهم لبعضهم: سلام، قال تعالى:{إِنَّ

---

(١) انظر: التفسير المنير للزحيلي:١١/١٧٥، و٥/٩٣-٩٤.

(٢) انظر: التفسير المنير للزحيلي:١/١١٦.

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ} [يونس : ٩].

٧- زيّن للإنسان الدعاء عند البلاء، والإعراض عند الرخاء، زيّن للمشركين أعمالهم من الكفر والمعاصي، وهذا التزيين يجوز ان يكون من الله بخذلانه وتخليته، ويجوز ان يكون من الشيطان بوسوسته، وإضلال الشيطان: دعاؤه بالكفر، قال تعالى:{وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [يونس : ١٢](١).

٨- إن إهلاك الأمم الظالمة قديما وحديثا غنما يكون بسبب الظلم، والظلم: إما بالكفر والشرك، وإما بالطغيان والأفراد والحكام، قال تعالى:{وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ} [يونس : ١٣].

٩- المقصود من إنزال القرآن تبليغه إلى جميع الناس، ولاسيما المشركون، ولولا أن تكون مشيئة الله ذلك لما أنزله، لما أمر بتلاوته عليهم، ولما أخبرهم بمضمونه.

١٠- القرآن الكريم كلام الله بدليل إعجازه من حيث النظم والأسلوب والمبنى، ومن حيث المعاني التي اشتمل عليها، وبدليل كون المبلّغ له أميّا لم يقرأ ولم يكتب ولم يتعلم من أحد، وبدليل التحدي لمعارضته والإتيان بمثله أو بأقصر سورة من مثله، قال تعالى:{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [يونس : ٣٨]، وقال في سورة«البقرة»:{وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [البقرة : ٢٣].

١١- سبق القضاء من الله بانه لايقضي بين العباد فيما اختلفوا فيه بالثواب والعقاب قبل يوم القيامة، ولولا ذلك الحكم السابق والتأجيل المتقدم، لقضى الله بين الناس في الدنيا، فادخل المؤمنين الجنة والكافرين النار بكفرهم، وهو موعدهم يوم القيامة الذي جعله الله لحكمة بالغة هي إعطاء الفرصة الكافية للإنسان في تصحيح عقيدته، وتعديل وضعه، والتوبة من عصيانه وكفره، وضلاله، حتى لايؤخذ على حين غرّ، قال تعالى:{قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (٦٩) مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٧٠)} [يونس : ٦٩ - ٧٠].

١٢- أن الكفار شانهم نكث العهد وعدم الوفاء به، فبالرغم مما قد يتعرضون له من مخاطر الغرق تراهم ينسون ذلك، ويعودون إلى الفساد في الأرض بالمعاصي، والبغي: الفساد والشرك، وهو اشنع أنواع الظلم، قال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ (٩٦) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٩٧)} [يونس : ٩٦ - ٩٧].

١٣- أن كل إنسان مسؤول عن نفسه وسيلقى جزاءه إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، فلا يؤاخذ الله أحد بذنب الآخر.

١٤- أن الحواس: من سمع وبصر، لها هدفان(٢):

أحدهما: هدف ظاهري: وهو سماع المسموعات ورؤية المبصرات، لتكون الحياة بوجه سليم.

والثاني: هدف حقيقي: وهو استخدام تلك الحواس في تدبر المسموع وفهمه وتعقله وإنعام النظر وإدراك البصيرة في امور الدين والاخلاق، للتوصل إلى نعمة الإيمان والهداية والحق، والتخلص من ظلمة الكفر والظلال والباطن.

---

(١) انظر: المنتخب في تفسير القرىن الكريم، لجنة من علماء الأزهر:٢٨٧/١.
(٢) انظر: التفسير المنير للزحيلي:١٨٥/١١.

١٥- للذين أحسنوا العمل في الدنيا المثوبة الحسنى وهي الجنة، والزيادة فضلا من الله وهي تضعيف الحسنات، والنظر إلى وجه الله الكريم، والشعور بالسعادة الظاهرية والباطنية، فلا غشاوة لغبار مع سواد في محشرهم إلى الله، ولا مذلة ولا إهانة، قال تعالى:{الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٤)} [يونس : ٦٣ - ٦٤].

١٦- أن للمسيئين الذين اشركوا بالله تعالى وكفروا بنعمته فلم يقابلوها بالإيمان والإحسان عقاب مماثل لسيئاتهم دون زيادة، أخذا بالعدل، ويغشاهم الهوان والخزي والذل والعار، ولا عاصم لهم، ولا مانع يمنعهم من عذاب الله، وجوههم مسودة كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل في حال ظلمته، قال تعالى:{وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [يونس : ٢٧].
حمانا الله من عذا أهل النار تكرما وإحسانا ونعاما، وهدانا إلى سواء السبيل.

١٧- أن لكل أمة رسول شاهد عليهم، فإذا جاء رسولهم يوم القيامة قضي بينهم، وكذلك لايعذب الناس في الدنيا حتى يرسل إليهم الله تعالى رسولا، فمن آمن فاز ونجا، ومن أعرض هلك وعذّب.

١٨- أن إنزال العذاب مقدر بأجل معين في علم الله تعالى، ولا يملك إنزاله إلا الله تعالى، ومتى حان وقت هلاك امة من الأمم، فلا يتأخر ولا يتقدم لحظة، وليس لرسول أو نبي او غيرهما الحيلولة دون وقوع العذاب المقرر.

١٩- أن استعجال العذاب لا نفع فيه، وغنما النافع هو الإيمان قبل نزول العذاب، فإذا نزل فلا فائدة ولا نفع فيه، لأن إيمان اليأس غيرمفيد ولا صحيح.

٢٠- أن الله مالك من في السماوات ومن في الأرض، فيحكم فيهم بما يريد ويفعل فيهم ما يشاء، فليس للمحكوم والمملوك نفاذ او تدخل غي اي حكم، أو قدرة على التصرف في الاملاك، وهذا دليل سلب الألويهة عما سوى الله -عزّ وجل-، قال تعالى:{أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ} [يونس : ٦٦][(١)].

٢١- ذم الغفلة وعدم التفكر في أسباب الحوادث الجسام وعواقبها المؤثرة في التأريخ.

٢٢- سنة الله تعالى عند إيقاع العذاب الشامل إنجاء الرسل والمؤمنين معهم، وإهلاك الكافرين الضالين المكذبين، وهذا الاصطفاء والتمييز عدل من الله ورحمة[(٢)].

الناسخ والمنسوخ:

السورة تحتوي على ثَمَان آيَات من الْمَنْسُوخ:

- الآية الأولى: قوله تعالى: {إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} [يونس : ١٥]، نسخت بقوله تعالى: {لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ} [الفتح : ٢] الآية.
- الآية الثانية: قوله تعالى: {وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ} [يونس : ٢٠] هذا محكم، وباقي الآية منسوخ بآية السيف.
- الآية الثالثة: قوله تعالى: {وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ} [يونس : ٤١] الآية كلها نسخت بآية السيف.
- الآية الرابعة: قوله تعالى: {وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّك} [يونس : ٤٦]، نسختها آية السيف.

---

(١) انظر: صفوة التفاسير:٥٤٦/١.
(٢) انظر: منهجيات الإصلاح في سورتي«يونس وهود»-دراسة موضوعية-،إيمان محمود محمد الفرا-(بحث ماجستير في التفسير وعلوم القرآن)-:ص٢٨-٣٣.[بتصرف].

- الآية الخامسة: قوله تعالى: {أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} [يونس : ٩٩]، نسخت بآية السيف.
- الآية السادسة: قوله تعالى: {فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِم} [يونس : ١٠٢]، نسختها آية السيف.
- الآية السابعة: قوله تعالى: {فَمَن اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ} [يونس : ١٠٨]، نسختها آية السيف.
- الآية الثامنة قوله تعالى :{وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّه} [يونس : ١٠٩]، نسخ الصبر بآية السيف(١).

فضائل السورة:

وردت عدة أحاديث في فضائل هذه السورة، منها:

- عن عبد الله بن عمرو، قال: "أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أقرئني يا رسول الله، فقال: «اقرأ ثلاثا من ذوات الر»، فقال: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني، قال: «فاقرأ ثلاثا من ذوات حاميم»، فقال مثل مقالته، فقال: «اقرأ ثلاثا من المسبحات»، فقال مثل مقالته، فقال الرجل: يا رسول الله، أقرئني سورة جامعة، فأقرأه النبي -صلى الله عليه وسلم- «إذا زلزلت الأرض» حتى فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها أبدا، ثم أدبر الرجل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أفلح الرويجل» مرتين"(٢).
- أخرج الثعلبي عن أبي بن كعب قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قرأ سورة يونس أعطي من الأجر ومن الحسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به، وبعدد من غرق مع فرعون»"(٣).
- أخرج ابن مردويه عن أنس رضي الله عنه:" سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله أعطاني الرائيات إلى الطواسين مكان الإنجيل»"(٤).

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١٠٢-١٠٤.

(٢) أخرجه أبو داود في"باب تحزيب القرآن"(١٣٩٩):ص٥٧/٢. والبيهقي في الشعب، في تعظيم القرىن، فصل"في فضائل السور والآيات"(٢٥١٢):ص٤٩٦/٢، والنسائي في عمل اليوم والليلة(٧٢١):ص٢١٦-٢١٧.

وقوله: من ذوات (الر)، أي: من السور التي تبدأ بهذه الأحرف الثلاثة التي تقرأ مقطعة: ألف، لام، را، والذي في القرآن منها خمس سور: يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.

وقوله من ذوات {حم}، أي: من السور التي تبدأ بهذين الحرفين: حا، ميم، وهي في القرآن سبع سور: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.

وقوله: من المسبحات، أي: السور التي أولها سَبَّح ويُسَبحُ وسَبح، وهي الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى.

وحكم الألباني«ضعيف»، انظر: «ضعيف أبي داود» (٢٤٧).

[تعليق شعيب الأرنؤوط]

إسناده صحيح، عيسى بن هلال الصدفي، روى عنه غير واحد وذكره المؤلف في الثقات، وهو صدوق كما قال الحافظ في التقريب(ص٤٤١)، وقال الحاكم:"حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي بقوله:«بل صحيح»، أي: فقط من غير أن يكون على شرط الشيخين(٥٨٠/٢)، وأورده الفسوي في تاريخه: ٢/ ٥١٥ - ٥١٦ في ثقات التابعين من أهل مصر، وباقي رجاله ثقات من رجال الصحيح.

(٣) الكشف والبيان:١٦٦/٥.

(٤) الدر المنثور:٣٣٩/٤.

الرائيات: هي السور المبدوءة بـ«الر» والطواسين: هي السور المبدوءة بـ «طسم» أو «طس».

سورة «هود»

سورة «هود»: هي السورة العاشرة في ترتيب المصحف، نزلت بعدسورة «يونس»[١]، وعدد آياتها (١٢٢) مائة واثنتان وعشرون عند الشّاميّين، و(١٢١) مائة وإحدى وعشرون عند المكيّين والبصريّين، و(١٢٣) ومائة ثلاث وعشرون عند الكوفيّين، عدد كلماتها (١٩١١) ألف وتسعمائة وإحدى عشرة كلمة، وحروفها (٧٦٠٥) سبعة آلاف وستمائة وخمس، والآيات المختلف فيها سبع: { بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ} [هود : ٥٤]، { فِي قَوْمِ لُوطٍ} [هود : ٧٤]، {مِنْ سِجِّيلٍ} [هود : ٨٢]؛ {مَنْضُودٍ} [هود : ٨٢]، {إِنَّا عَامِلُونَ} [هود : ١٢١]، {إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [هود : ٨٦]، {مُخْتَلِفِينَ} [هود : ١١٨][٢].

مجموع فواصل آياته (ق ص د ت ل ن ظ م ط ب ر ز د) يجمعها قولك: «قصدْت لنظم طبرْ زَد»[٣].

أسماء السورة:

اسمها التوقيفي: سورة «هو»:

سميت في المصاحف وفي كتب التفسير والسنة: «سورة هود»، ولا يعرف لها اسم غير ذلك.

وهو توفيقي من رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، كما روي عنه في احاديث عدية، منها:

- عن ابن عباس قال: قال أبو بكر الصدِّيق - رضي الله عنه -: يا رسول الله قد شِبتَ! قال: قال رسول الله: "شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت"[٤].
- وعن عبدالله بن رباح، ان النبي-صلى الله عليه وسلم-، قال:"اقرءوا هود يوم الجمعة"[٥].

كما روي عن السلف، فعن الاحنف قال:" صليت خلف عمر-رضي الله عنه- الغداة، فقرأ بـ«يونس» و«هود»، وغيرهما"[٦].

ووجه تسميتها بسورة«هود»، لاشتمالها على قصّة هود - عليه السّلام - وتفاصيلها[٧]، إذ تكرر اسمه فيها خمس مرات[٨]، ولأن ما حكي عنه فيها أطول مما حكي عنه في غيرها، ولأن عادا وصفوا فيها بأنهم قوم هود في قوله تعالى:{وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ} [هود : ٦٠].

وذكر ابن عاشور:"إنها أضيفت إلى السورة تمييزا لها عن باقي السور ذوات الافتتاح بـ«الر»[٩].

وقال السخاوي:"وإنما سميت به دون ذكر فيها من الانبياء لخفة اسمه"[١٠]، وهذا القول فيه نظر، وإنما الأقرب منه إلى الصواب هو لتكرار اسم هود-عليه السلام- في السورة دون غيره من الأنبياء.

مكية السورة ومدنيتها:

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على أقوال:

أحدها: أنها مكّيّة كلها. روى ذلك ابن أبي طلحة عن ابن عباس[١]، وابن الزبير[٢]، وبه قال الحسن[٣]، وعكرمة[٤]، ومجاهد[٥]، وعطاء[٦]، وجابر بن زيد[٧]، وقتادة[٨]. وعليه جمهور المفسرين[٩].

---

(١) انظر: الكشاف: ٣٧٧/٢.
(٢)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٢٤٦.
(٣)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٢٤٦.
(٤) سوف يأتي تخريجه في فضائل السورة.
(٥) سوف يأتي تخريجه في فضائل السورة.
(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الصلوات، باب"مايقرأ في صلاة الفجر":ص٣٥٣/١
(٧)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٢٤٦.
(٨) انظر: الآيات: [٥٠، ٥٣، ٥٨، ٦٠، ٨٩]. كما أنه ورد اسم«هود» في بعض سور القرآن، مثل سورة:الأعراف، الآية:٦٥، والشعراء، الآية:١٢٤.
(٩) التحرير والتنوير:٣١١/١١.
(١٠) جمال القراء:٣٦/١.

قال الفيروزآبادي:" هذه السّورة مكّيّة بالإجماع"[10].
والثاني: أنها مكية إلا قوله تعالى:{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ} [هود : ١١٤]؛ فإنها مدنية. وهذا القول منسوب إلى ابن عباس[11]، وقتادة[12]، وبه قال السمعاني[13]، والبغوي[14].
والثالث: أنها مكية ماعدا الآيات: (١٢ ، ١٧ ، ١١٤)[15]، فمدنية. قاله مقاتل[16]، وبه قال الزمخشري[17]، الفخر الرازي[18]، وابن عاشور[19].

مناسبة السورة لما قبلها:

ومن وجوه المناسبة بين السورتين:

١- ختمت سورة «يونس» بالحث على اتباع الكتاب الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم- ولزومه، والصبر على ما يتعرضون له من الأذى وجزاء صبرهم الجنة، فقال تعالى، في سورة«يونس»:{وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ} [يونس : ١٠٩]، ثم قال تعالى في بداية سورة«هود»:{الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١)} [هود : ١]، إذ ابتدأت بوصف الكتاب الذي أنزله على نبينا محمد-صلى الله عليه وسلم- وانه من عند الله تعالى، وأنه محكم آياته لا نقص فيه ولا خلل، فهو كامل، لأنه صادر من عند الله الخبير بأحوال عباده وما يحتاج إليه[20].
٢- ذكر في سورة«يونس» قصص بعض الأنبياء-عليه السلام- مجملو، وفصلت في سورة«هود».
٣- ورد في خاتمة سورة«يونس» الحث على وجوب إخلاص العبادة لله تعالى، ونبذ الشرك والمشركين، فقال تعالى:{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ

---

(١) انظر: زاد المسير: ١٥٥/٢، وتفسير الخازي:٤٧٠/٢، وأورده السيوطي في الدر المنثور:٣٩٦/٤، وأورده السيوطي في الدر المنثور:٣٩٦/٤، وعزاه إلى النحاس-في تاريخه- وابي الشيخ وابن مردوية.
(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور:٣٩٦/٤، وعزاه إلى ابن مردوية..
(٣) انظر: زاد المسير: ١٥٥/٢، وتفسير القرطبي:١/٩.
(٤) انظر: زاد المسير: ١٥٥/٢، وتفسير القرطبي:١/٩، وتفسير الخازي:٤٧٠/٢.
(٥) انظر: زاد المسير: ١٥٥/٢ ، وتفسير الخازي:٤٧٠/٢.
(٦) انظر: تفسير القرطبي:١/٩.
(٧) انظر: زاد المسير:١٥٥/٢، وتفسير القرطبي:١/٩، وتفسير الخازي:٤٧٠/٢.
(٨) انظر: زاد المسير: ١٥٥/٢، وتفسير الخازي:٤٧٠/٢.
(٩) انظر: بحر العلوم:١٣٧/٢، وتفسير ابن كثير:٣٠٢/٤، وتفسير ابن ابي زمنين:٢٧٧/٢، والكشف والبيان:١٥٦/٥، و دَرْجُ الدُّرر في تَفِسير الآي والسُّوَر:٩٦١/٣، والبصائر:٢٤٦/١، وتفسير البيضاوي:١٢٧/٣، وغيرها.
(١٠) البصائر:٢٤٦/١.
(١١) انظر: تفسير القرطبي:١/٩، وتفسير الخازن:٤٧٠/٢.
(١٢) انظر: تفسير القرطبي:١/٩، وتفسير الخازن:٤٧٠/٢.
(١٣) انظر: تفسير السمعاني:٤١١/٢.
(١٤) انظر: تفسير البغوي:١٥٦/٤.
(١٥)أما استثناء الآية(١١٤)، فقد نقل القرطبي (٩/ ١) عن ابن عباس وقتادة، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٣٥٥) عن ابن عباس فقط، وهذه الآية المستثناة أسباب نزولها في المدينة. والله أعلم.
(١٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٢٧٠/٢.
(١٧) انظر: الكشاف:٣٧٧/٢.
(١٨) انظر: مفاتيح الغيب:٣١٢/١٧.
(١٩) انظر: التحرير والتنوير:١٤٨/٣.
(٢٠) انظر: نظم الدرر:٤٩٨/٣.

اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٤) وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٥) وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦) وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٠٧)} [يونس : ١٠٤ - ١٠٧]، وافتتحت سورة«هود» ببيان الوحي وإحكام القرآن ودعوته إلى عبادة الله والتوبة إليه والإيمان بالبعث والمعاد والثواب والعقاب والحساب وحاجة المشركين في ذلك وتحديهم بالقرآن، وذكر في قصص بعض الانبياء كنوح وإبراهيم وهود وصالح ولوط وشعيب-عليهم السلام-، قال تعالى:{الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١) أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (٢) وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (٣) إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤)} [هود : ١ - ٤].

أغراض السورة ومقاصدها:

وسوة«هود»-كباقي السور القرآنية- لها مقاصد عظيمة وجليلة، فمن أشهر تلك المقاصد:

١- وصف القرآن الكريم بـ (الإحكام)، و(التفصيل)، في حالتي البشارة والنذارة. وهذا يقتضي وضع كل شيء في مكانه الأنسب والأقوم، وإنفاذه على الوجه الأفضل والأحكم .

٢- العناية بكل دابة في الأرض، والقدرة على كل شيء من البعث وغيره. وهذا يقتضي العلم بكل معلوم، ويلزم منه تفرده سبحانه بالمُلك .

٣- اعتمدت السورة أسلوب الدعوة بالترهيب؛ ولذلك جاءت آياتها متضمنة للوعيد والتغليظ والتهديد، كما في قوله:{أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (٢)} [هود : ٢]، وقوله عز وجل: {وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (٣) إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤)} [هود : ٣ - ٤] ، وأظهر ما جاء هذا المقصد في قصة قوم هود حين قال الله تعالى:{وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (٥٩) وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ (٦٠)} [هود : ٥٩ - ٦٠]

٤- اشتملت السورة على أصول عقائد الإسلام من التوحيد، والبعث، والجزاء، والعمل الصالح، وإثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وقصص الرسل عليهم السلام .

٥- بينت سنن الله في الأمم، كبيان عاقبة الظالمين، والمفسدين في الأرض. وأن سبب الظلم والإجرام الموجب لهلاك الأمم، هو اتباع أكثرهم لما أترفوا فيه من أسباب النعيم والشهوات واللذات. وأن المترفين هم مفسدوا الأمم ومهلكوها. ويؤيد هذا أن كل ما نشاهده من الفساد في عصرنا، إنما مرده إلى الافتتان بالترف، واتباع ما يقتضيه الإتراف، من فسوق وطغيان وإفراط وإسراف.

٦- تحدثت عن صفات النفس وأخلاقها من الفضائل والرذائل، التي هي مصادر الأعمال من الخير والشر، والحسنات والسيئات، والصلاح والفساد. وبينت فضائل الرسل والمؤمنين التي يجب التأسي بها، ومساوئ الكفار التي يجب تطهير الأنفس منها .

٧- دأب المفسدين في عداوة المصلحين ورثة الأنبياء، وأشدهم كيداً لهم أهل الحسد والبدع، من لابسي لباس العلماء، وأعوان الملوك والأمراء .

٨- الظلم والطغيان والركون إلى الظالمين عاقبته وخيمة، وكل ذلك يودي بصاحبه إلى المهالك .

٩- بيان أن القصد من القصص القرآني تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا يستدعي أيضاً تثبيت قلب من سار على هديه، وسلك نهجه في الدعوة إلى الله.

١٠-أكدت السورة فضيلة (الصبر)، فقد ذُكر (الصبر) في هذه السورة في ثلاثة مواضع، فـ (الصبر) هو الخُلق الذي يستعان به على جميع الأعمال الفردية والجماعية في الشدة والرخاء، والسراء والضراء.

١١-دعت السورة إلى (الاستقامة) كما أمر الله تعالى، وهذا يستدعي النهي عن الفساد في الأرض، ويلزم منه الأمر بالصلاح فيها.
١٢-بيَّن الله سبحانه لعباده ما يُكفِّر سيئاتهم أفراداً، وهو فعل الحسنات التي تمحو السيئات، وبيَّن لهم ما هو منجاة للأمة والأفراد من الهلاك في الدنيا قبل الآخرة، وهو وجود طائفة راشدة فيها، تنهاها عن الفساد في الأرض بالظلم، ، والفسوق وارتكاب الفواحش والمنكرات.
١٣- بيَّن سبحانه أنه سنته في الأمم، أنه لا يهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون، فقال تعالى:{وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ} [هود : ١١٧]، أي: وأهلها مصلحون في أعمالهم وأحكامهم، وهذا هو الأساس الأعظم لبقاء الأمم وموتها، وعزتها وذلها. وعبر عن (الأمم) بـ{القرى}، وهي عواصم مُلكها; لأنها مأوى الزعماء والرؤساء الحاكمين، الذين تفسد الأمم بفسادهم، وتصلح بصلاحهم.
١٤-أوضحت السورة أن أخذ الله{القرى} الظالمة عند استحقاقهم للعذاب في المستقبل، سيكون على نحو أخذه لها في الماضي، أليماً شديداً، لا هوادة فيه، ولا رحمة، ولا محاباة.
١٥-أفادت قصة نوح مع ابنه أن محبة الأولاد فطرة إنسانية ، وغريزة مركوزة في النفس البشرية ، وحقوقهم على الوالدين مقررة في الشرع بما يحدد دواعي هذه الغريزة، ويقف بها دون الغلو المفضي إلى عصيان الله سبحانه، أو هضم حقوق عباده.
١٦-بيان أن سنن الله تعالى في اختلاف الأمم في (الدين) كاختلافهم في التكوين والعقول والفهوم، فهو سنة كونية.
١٧-تلك أهم المقاصد التي تضمنتها سورة هود، ويبقى ورائها مقاصد أُخر، لا تخفى على من تأمل هذه السورة، ووقف معها وقفة تدبر[١].

الناسخ والمنسوخ:

السورة تحتوي من الْمَنْسُوخ على أربع آيَات:

- الآية الأولى: قوله تعالى :{إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} [هود : ١٢]، نسخ معناها لا لفظها بآية السيف.
- الآية الثانية: قوله تعالى:{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ} [هود : ١٥]، نسخت بقوله تعالى في بني إسرائيل: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا} [الإسراء : ١٨].
- الآية الثالثة والرابعة: قوله تعالى:{وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ} [هود : ١٢١]، والآية التي تليها:{وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ} [هود : ١٢٢]، الآيتان نسختا جميعا بآية السيف[٢].

فضائل السورة:

وردت عدة أحاديث في فضائل هذه السورة، منها:

- عن عبد الله بن عمرو، قال: "أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أقرئني يا رسول الله، فقال: «اقرأ ثلاثا من ذوات الر»، فقال: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني، قال: «فاقرأ ثلاثا من ذوات حاميم»، فقال مثل مقالته، فقال: «اقرأ ثلاثا من المسبحات»، فقال مثل مقالته، فقال الرجل: يا رسول الله، أقرئني سورة جامعة، فأقرأه النبي -صلى الله عليه وسلم- «إذا زلزلت

---

(١) انظر:مقاصد سورة «هود»، موقع إسلام ويب.
(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١٠٥-١٠٦.

الأرض» حتى فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها أبدا، ثم أدبر الرجل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أفلح الرويجل» مرتين"[1].

- عن ابن عباس قال: قال أبو بكر الصدِّيق - رضي الله عنه -: يا رسول الله قد شِبِتَ! قال: قال رسول الله: "شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت"[2].

قال القرطبي:" قال أبو عبد الله: فالفزع يورث الشيب وذلك أن الفزع يذهل النفس فينشف رطوبة الجسد، وتحت كل شعرة منبع، ومنه يعرق، فإذا انتشف الفزع رطوبته يبست المنابع فيبس الشعر وابيض، كما ترى الزرع الأخضر بسقاية، فإذا ذهب سقاؤه يبس فابيض، وإنما يبيض شعر الشيخ لذهاب رطوبته ويبس جلده، فالنفس تذهل بوعيد الله، وأهوال ما جاء به الخبر عن الله، فتذبل، وينشف ماءها ذلك الوعيد والهول الذي جاء به، فمنه تشيب. وقال الله تعالى:{ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا} [المزمل : ١٧]، فإنما شابوا من الفزع. وأما سورة«هود» فلما ذكر الأمم، وما حل بهم من عاجل بأس الله تعالى، فأهل اليقين إذا تلوها تراءى على قلوبهم من ملكه وسلطانه ولحظاته البطش بأعدائه، فلو ماتوا من الفزع لحق لهم، ولكن الله تبارك وتعالى اسمه يلطف «٤» بهم في تلك الأحايين حتى يقرءوا كلامه. وأما أخواتها فما أشبهها من السور، مثل:{الْحَاقَّةُ} [الحاقة : ١]، و{سَأَلَ سَائِلٌ} [المعارج : ١]، و{إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ} [التكوير : ١]، و{الْقَارِعَةُ} [القارعة : ١]، ففي تلاوة هذه السور ما يكشف لقلوب العارفين سلطانه وبطشه فتذهل منه النفوس، وتشيب منه الرؤوس.

قلت-الإمام القرطبي-: وقد قيل: إن الذي شيب النبي صلى الله عليه وسلم من سورة «هود»، قول:{فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ} [هود : ١١٢]، على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى. وقال يزيد بن أبان: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامي فقرأت عليه سورة" هود" فلما ختمتها قال: «يا يزيد هذه القراءة فأين البكاء»"[3].

---

(١) أخرجه أبو داود في"باب تحزيب القرآن"(١٣٩٩):ص٥٧/٢. والبيهقي في الشعب، في تعظيم القرىن، فصل"في فضائل السور والآيات"(٢٥١٢):ص٤٩٦/٢، والنسائي في عمل اليوم والليلة(٧٢١):ص٢١٦-٢١٧.

وقوله: من ذوات (الر)، أي: من السور التي تبدأ بهذه الأحرف الثلاثة التي تقرأ مقطعة: ألف، لام، را، والذي في القرآن منها خمس سور: يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.

وقوله من ذوات {حم}، أي: من السور التي تبدأ بهذين الحرفين: حا، ميم، وهي في القرآن سبع سور: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.

وقوله: من المسبحات، أي: السور التي أولها سَبَّح ويُسَبِّحُ وسَبِّح، وهي الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى.

وحكم الألباني«ضعيف»، انظر: «ضعيف أبي داود» (٢٤٧).

[تعليق شعيب الأرنؤوط]

إسناده صحيح، عيسى بن هلال الصدفي، روى عنه غير واحد وذكره المؤلف في الثقات، وهو صدوق كما قال الحافظ في التقريب(ص٤٤١)، وقال الحاكم:"حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي بقوله:«بل صحيح»، أي: فقط من غير أن يكون على شرط الشيخين(٥٨٠/٢)، وأورده الفسوي في تاريخه: ٢/ ٥١٥ - ٥١٦ في ثقات التابعين من أهل مصر، وباقي رجاله ثقات من رجال الصحيح.

(٢)أخرجه الترمذي وحسنه فى (كتاب التفسير- سورة الواقعة) والحاكم فى المستدرك (٢/ ٣٤٣) وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي فى الدلائل (١/ ٣٥٧) والبغوي فى شرح السنة (١٤/ ٣٧٢) وفى التفسير، كلهم من حديث ابن عباس رضى الله عنه.

ورواه أيضا الطبراني في الكبير (١٠٠٩١)، وعبد الله ابن الإمام أحمد في "زوائد الزهد" (٩)، والمروزي في "مسند أبي بكر" (٣٠ - ٣٢)، وابن سعد في الطبقات (١/ ٤٣٦)، وابن عساكر (٤/ ١٧٢،١٧٣) والحديث غير ثابت وعلله أكثر الأئمة، وانظر علل الدارقطني (١/ ١٩٣ - ٢١١)، والنكت على ابن الصلاح لابن حجر (٢/ ٧٧٤ - ٧٧٦)، وصحح الحديث الشيخ ناصر الدين الألباني -رحمه الله- في السلسلة الصحيحة (٩٥٥).

(٣) تفسير القرطبي:١/٩-٢.

- وعن عبدالله بن رباح، ان النبي-صلى الله عليه وسلم-، قال:"اقرءوا هود يوم الجمعة"[1].

(١)أخرجه الدارمى (٥٤٥/٢، رقم ٣٤٠٤) ، وأبو داود فى المراسيل (١٠٣/١، رقم ٥٩) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٤٧٢/٢، رقم ٢٤٣٨) . وعزاه أيضا: لأبى الشيخ وابن مردويه المصنف فى الدر المنثور (٣٩٦/٤) ، والشوكانى فى فتح القدير (٤٧٩/٢) . قال المناوى (٦٧/٢) : قال الحافظ ابن حجر: "حديث مرسل وسنده صحيح".
والحديث اسناده ضعيف لاجل غرسال عبدالله بن رباح، وفي الدارمي رواية اخرى من حديث عبدالله ابن رباح عن كعب مرسلا، قال النبي-صلى الله عليه وسلم-:«اقرءوا سورة هود يوم الجمعة»، والحديث ضعفة الالباني، انظر: ضعيف الجامع:١٥١.

سورة «يوسف»

سورة «يوسف»: هي السورة الثانية عشر في ترتيب المصحف، نزلت بعدسورة «هود»[1]، وعدد آياتها (١١١) مائة وإحدى عشرة، بلا خلاف، عدد كلماتها (١٧٧٦) ألف وسبعمائة وست وسبعون، وحروفها (٧١٦٦) سبعة آلاف ومائة وست وستون، وما فيها آية مختلف فيها[2].

مجموع فواصل آياته يجمعها قولك «لم نر»، منها آية واحدة على اللام:{قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ} [يوسف : ٦٦][3].

أسماء السورة:

اسمها التوقيفي: سورة «يوسف»:

سميت في المصاحف وفي كتب التفسير والسنة: «سورة يوسف»، ولا يعرف لها اسم غير ذلك.

وهو اسم توفيقي من رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، كما دوّنت به في المصاحف وكتب التفسير والسنة:

- عن ابن إسحاق:" أن رافع بن مالك أول من قدم المدينة بسورة يوسف، يعني: بعد أن بايع النبي-صلى الله عليه وسلم- يوم العقبة"[4].
- أخرج الحاكم-وصححه- عن رفاعة بن رافع الزرقي:" وكان قد شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه خرج وابن خالته معاذ بن عفراء حتى قدما مكة فلما هبطا من الثنية رأيا رجلا تحت شجرة - قال: وهذا قبل خروج الستة الأنصاريين - قال: فلما رأيناه كلمناه فقلنا: نأتي هذا الرجل نستودعه حتى نطوف بالبيت فسلمنا عليه تسليم الجاهلية فرد علينا بسلام أهل الإسلام، وقد سمعنا بالنبي صلى الله عليه وسلم فأنكرنا فقلنا: من أنت؟ قال: «انزلوا» فنزلنا فقلنا: أين الرجل الذي يدعي ويقول ما يقول؟ فقال: «أنا» فقلت: فاعرض علي فعرض علينا الإسلام وقال: «من خلق السماوات والأرض والجبال؟» قلنا: خلقهن الله. قال: «فمن خلقكم؟» قلنا: الله. قال: «فمن عمل هذه الأصنام التي تعبدونها؟» قلنا: نحن. قال: «فالخالق أحق بالعبادة أم المخلوق فأنتم أحق أن تعبدكم وأنتم عملتموها والله أحق أن تعبدوه من شيء عملتموه وأنا أدعو إلى عبادة الله وشهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وصلة الرحم وترك العدوان بغصب الناس» قلنا: لا والله لو كان الذي تدعو إليه باطلا لكان من معالي الأمور ومحاسن الأخلاق فأمسك راحلتنا حتى نأتي بالبيت فجلس عنده معاذ بن عفراء قال: فجئت البيت فطفت وأخرجت سبعة أقداح فجعلت له منها قدحا فاستقبلت البيت فقلت: اللهم إن كان ما يدعو إليه محمد حقا فأخرج قدحه سبع مرات فضربت بها فخرج سبع مرات فصحت أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فاجتمع الناس علي وقالوا: مجنون رجل صبأ. قلت: بل رجل مؤمن، ثم جئت إلى أعلى مكة فلما رآني معاذ قال: لقد جاء رفاعة بوجه ما ذهب بمثله فجئت وآمنت وعلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة «يوسف»، و{اقرأ بسم ربك الذي خلق}، ثم خرجنا راجعين إلى المدينة فلما كنا بالعقيق قال معاذ: إني لم أطرق أهلي ليلا قط فبت بنا حتى نصبح فقلت: أبيت ومعي ما معي من الخبر ما كنت لأفعل، وكان رفاعة إذا خرج سفرا ثم قدم عرض قومه"[5].

---

(١) انظر: الكشاف: ٤٤٠/٢.
(٢)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٢٥٥.
(٣)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٢٥٥.
(٤) انظر: الإصابة في معرفة الصحابة:٢٤٣/٣.
(٥) كتاب البر والصلة، جديث رقم(٧٢٤١):ص١٦٥/٤-١٦٦، وانظر: الدر المنثور:٤٩٤/٤.

- وعن عبدالله بن عامر بن ربيعة، قال:" سمعت عمر-رضي الله عنه- يقرأ في الفجر بسورة «يوسف»"[(١)].
- وعن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال:" نزلت سورة «يوسف» بمكة"[(٢)].

ووجه تسميتها بسورة«يوسف»، لاشتمالها على قصّة يوسف - عليه السّلام - كلها[(٣)]، ولم تذكر قصته في غيرها، ولم يذكر اسمه في غيرها إلا في سورة«الأنعام»، وذلك في قوله تعالى:{وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} [الأنعام : ٨٤]، وكذلك في سورة «غافر»، في قوله تعالى:{وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ} [غافر : ٣٤].

مكية السورة ومدنيتها:

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على قولين:

أحدهما: أنها مكّيّة كلها. قاله ابن عباس[(٤)]، وابن زبير[(٥)]، ومقاتل[(٦)]، وبه قال ابن قتيبة[(٧)]، وقال السيوطي[(٨)]، القرطبي[(٩)]، وابن كثير[(١٠)].

قال الفيروزآبادي:" هذه السّورة مكّيّة بالإجماع"[(١١)].

قال ابن الجوزي:" هي مكية بالإجماع"[(١٢)].

أخرج ابن سعد عن عكرمة :"أن مصعب بن عمير لما قدم المدينة يعلم الناس القرآن بعث إليهم عمرو بن الجموح: ما هذا الذي جئتمونا به فقالوا: إن شئت جئناك فأسمعناك القرآن قال: نعم، فواعدهم يوما فجاء فقرأ عليه القرآن {الر تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون}"[(١٣)].

والثاني: أنها مكية ماعدا الآيات: [١، ٢، ٣، ٧)[(١٤)]، فمدنية، قاله الزمخشري[(١٥)].

نقل القرطبي:عن ابن عباس وقتادة أنها مكية: "إلا أربع آيات منها"[(١٦)].

وروي عن ابن عباس قال: "سألت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: حدثنا عنأمر يعقوب وولده وشأن يوسف، فأنزل الله عز وجل: {الر تلك آيات الكتاب المبين}"[(١)].

---

(١) أخرجه ابن ابي شيبة في مصنفه، كتاب الصلوات، باب"ما يقرأ في صلاة الفجر":ص٣٥٣/١.
(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور:٤٩٤/٤، وعزاه إلى النحاس وأبي الشيخ وابن مردوية.
(٣)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٢٥٥.
(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور:٤٩٤/٤، وعزاه إلى النحاس وأبي الشيخ وابن مردوية.
(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور:٤٩٤/٤، وعزاه إلى ابن مردوية.
(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٣١٧/٢.
(٧) انظر: غريب القرآن:٢١٢.
(٨) انظر: الدر المنثور:٤٩٤/٤.
(٩) انظر: تفسير القرطبي:١١١/٩.
(١٠) انظر: تفسير ابن كثير:٣٦٥/٤.
(١١) البصائر:٢٥٥/١.
(١٢)زاد المسير:٤١١/٢.
(١٣) الدر المنثور:٤٩٥/٤.
(١٤) وهي الآيات:
{الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِين (١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَص بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٣)} [يوسف : ١ - ٣]، {لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ (٧)} [يوسف : ٧].
(١٥) انظر: الكشاف:٤٤٠/٢.
(١٦) تفسير القرطبي:١١٨/٩.

مناسبة السورة لما قبلها:

تكمن المناسبة بينها وبين سورة «هود»، أنها متممة لما فيها من قصص الرسل والاستدلال بذلك على كون القرآن وحيا من عند الله دالا على رسالة محمد ﷺ خاتم النبيين، والفرق بين القصص فيها وفيما قبلها، أن السابق كان قصص الرسل مع أقوامهم في تبليغ الدعوة والمحاجة فيها وعاقبة من آمن منهم ومن كذبوهم لإنذار مشركي مكة ومن تبعهم من العرب.

وأما هذه السورة فهي قصة نبي ربى في غير قومه قبل النبوة وهو صغير السن حتى بلغ أشده واكتهل فنبيء وأرسل ودعا إلى دينه ثم تولى إدارة الملك لقطر عظيم فأحسن الإدارة والسياسة فيه وكان خير قدوة للناس في رسالته وفى جميع ما دخل فيه من أطوار الحياة وتصريف أمورها على أحسن ما يصل إليه العقل البشرى، ومن أعظم ذلك شأنه مع أبيه وإخوته آل بيت النبوة، وكان من حكمة الله أن يجمعها في سورة واحدة، ومن ثم كانت أطول قصة في القرآن الكريم[٢].

أغراض السورة ومقاصدها:

تقصد سور القرآن الكريم في الأساس إلى تقرير الحقائق الدينية الكبرى، وتنفرد كل سورة من سوره ببعض المقاصد التي ترمي إليها، وتقصد لإبرازها، وقد تضمنت سورة يوسف جملة من المقاصد نذكر منها[٣]:

١- وصف القرآن الكريم بـ (الإبانة) لكل ما يوجب الهدى؛ لما ثبت من تمام علم مُنزله غيباً وشهادة، وشمول قدرته قولاً وفعلاً .

٢- إثبات رسالة خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم، وإعجاز كتابه المبين، والاعتبار بقصص الرسل صلوات الله عليهم أجمعين.

٣- بيان أن الرؤيا الحسنة التي يراها المسلم حق، بما تحمله عن نبوءات عن المستقبل القريب، أو البعيد .

إذ تبدأ السورة الكريمة بقص يوسف عليه السلام للرؤيا التي رآها على أبيه يعقوب عليه السلام، ولأن يوسف كان صغيرًا آنذاك لم يُفسر له النبي يعقوب عليه السلام معنى الرؤيا ودلالاتها ومنعه من إخبارها لأخوته، فالغيرة عاطفة فطرية خاصة حين يرى الأبناء أن الآباء والأمهات يستأثرون بأحد الأبناء على غيرهم، وفي هذا دعوة لكل مسلم أن يغلق الباب الذي قد يستغله الشيطان للإفساد العلاقات مع قدرته على ذلك، وذلك حفظًا وصونًا لها.

٤- سنن الطبيعة البشرية: إذ تتضمن السورة العديد من الأحداث المثيرة كإلقاء أخوة يوسف له في البئر وإيداعه السجن لاحقًا وتنصيبه كعزيز لمصر، وفي جميع المحطات تبرز سنن الطبيعة البشرية لتؤكد الصراع الأزلي القائم بين الخير والشر، والنور والظلمة، والحق والباطل بما يجعل المسلم واعيًا للقدر الكبير الذي تحمله الأنبياء في سبيل إيصال الدعوة للنور.

٥- بيان أن قدرة الله غالبة، لا يقف في طريقها شيء، وأن الأمور في خواتيمها لا تخرج عن إرادته سبحانه وتعالى.

٦- بيان أن الحاكمية الحقيقية في هذا الكون لله سبحانه، وأن أي حاكمية أخرى لا وزان لها في ميزان الشرع .

---

(١)عزاه ابن الجوزي: (زاد المسير:٤١١/٢) للضحاك عن ابن عباس، والضحاك لم يلق ابن عباس، وراوية الضحاك هو جويبر بن سعيد ذاك المتروك، فقد روى عن الضحاك عن ابن عباس تفسيرا مصنوعا ليس له أصل، وهذاالحديث منه.

(٢) انظر: تفسير المراغي:١١١/١٢.

(٣) انظر: اسلام ويب.[موقع الكتروني].

٧- بيان أن الكرامة والاعتزاز والإباء ، تدر من الربح حتى المادي أضعاف ما يدره التمرغ والتزلف والانحناء .
٨- تثبيت الوحي الذي سيقت السورة لتثبيته من بين ما تثبت من قضايا هذه العقيدة، وهذا الدين في قلوب المؤمنين .
٩- بيان أن كثيراً من الناس لا يقفون على الآيات التي بثها سبحانه في هذا الكون بقصد الاعتبار والاتعاظ، حين إن أكثر الناس يمرون على هذه الآيات، وهم عنها غافلون، أو معرضون، غير مبالين بما تحمله من دلالات وعبر.
١٠- بيان أن الإيمان الخالص يحتاج إلى حسم كامل في قضية السلطان على القلب وعلى التصرف والسلوك، فلا تبقى في القلب دينونة إلا لله سبحانه، ولا تبقى في الحياة عبودية إلا للمولى الواحد الذي لا راد لما يريد .
١١- بيان أن من سنة الله في خلقه معاقبة المكذبين بآياته، والمعرضين عن الاعتبار في آياته الكونية .
١٢- بيان أن سنة الله في الدعوات أن تكون مصحوبة بالشدائد، ومحفوفة بالكروب، حتى لا تبقى بقية من جهد، ولا بقية من طاقة. ثم يجيء النصر بعد اليأس من كل أسبابه الظاهرة التي يتعلق بها الناس. يجيء النصر من عند الله، فينجو الذين يستحقون النجاة، ينجون من الهلاك الذي يأخذ المكذبين، وينجون من البطش والعسف الذي يسلطه عليهم المتجبرون. ويحل بأس الله بالمجرمين، مدمراً ماحقاً لا يقفون له، ولا يصده عنهم ولي ولا نصير .
١٣- الصبر عند المصيبة: في الآيات الكريمة يُقدِم إخوة يوسف على إلقائه في البئر وذلك لشعورهم الدائم بالغيرة منه كونه محظيًا عند والده، وعندما يعودون من رعي الأغنام يفسرون سبب غيابه لأبيه يعقوب بأن الذئب قد أكله، ويظهر الأثر الروحاني في إجابة يعقوب عليه السلام فعلى الرغم من أنه يعرف أبناءه تمام المعرفة وتأكده من أنهم تخلصوا من يوسف وكذبوا عليه، إلا لم يُرد أن يفرق الأسرة أكثر فما كان منه إلا أن اكتفى باللجوء إلى الله وتحذيرهم بأن هو وحده من يعلم ما لا يعلمون، وفي ذلك توجيه للجوء إلى الله في الأزمات مهما كان وقعها قويًا وحلها مستحيلًا.
١٤- قوة الإرادة: يشاء الله لعزيز مصر أن يمر بقافلته بجوار البئر، وحين يُخرج غلمانه يوسف ويراه يأخذه ليربيه في قصره إلى أن كبر وبات شابًا جميلًا بالغ الحُسن والفتنة، وعندها تعلق قلب زوجة العزيز به فأرادته لنفسها وحاولت كثيرًا معه لكنها كانت تجد الرفض دائمًا من طرفه، والحق يقال إنه ليس من السهل على الرجل أن يرفض امرأة جميلة وثرية ذات منصب وحسب تعرض نفسها عليه، وفي هذا توجيه روحاني واضح لكل إنسان بأن يكون أقوى من رغباته وينتصر عليها كي يعوضه الله عنها خير التعويض.
١٥- اليقين بالله: كان مصير يوسف عليه السلام السجن لقاء إعراضه عن زوجة العزيز التي اتهمته بأنه أراد بها الخلوة، وبقي يوسف في السجن لسنوات عديدة وهو صابر محتسب رغم الوحشة والوحدة والمعاناة الشديدة التي لقيها بغياب عائلته، والحنين لهم، ونفسه التي تتوق إلى الحرية من جديد، لتأتي حكمة الله واضحة في الأمر وتصب في مصلحة يوسف حين وهبه الله ملَكَة تفسير الأحلام، ليفسر حلم وزير مصر ويخرج من السجن، لأنه ظنّ بالله خيرًا وما قنط ولا استسلم وهذا شأن المسلم في كل حال.
١٦- الذكاء والفطنة: تولى يوسف عليه السلام خزائن مصر فتعهدها بالتدبير والتنظيم والرعاية، وبذلك جَنب المدينة المجاعة والموت بفضل الحكمة والفطنة والذكاء، بالإضافة إلى الأخلاق اللازمة في كل ذي منصب كالإخلاص والوفاء والأمانة والعمل النبيل، وهذا ما زاد من ثقة الناس به وجعلهم يقدرونه حق التقدير والاحترام، وما من فضل على المسلم فمن الله وحده، وهذا يستوجب الحمد والثناء الدائم على الله، والتواضع للآخرين دون استعلاء وكِبر، وتسخير الطاقة والقدرات لخدمتهم.

١٧- تتجلى حبكة قصة سيدنا يوسف بقدوم إخوته إليه من بلادهم البعيدة طلبًا للطعام بعد المجاعة التي وصلت إلى المدن كلها، وعلى الرغم من تكرارهم الإساءة له في حديثهم إلا أنه اختار أن يصفح عن الإساءة، على الرغم من أنه كان سيدًا في مصر وبمقدرته الانتقام لنفسه منهم، لأن الصفح مع المقدرة صفة الأقوياء التي يعلمنا إياها نبي الله يوسف عليه السلام.

١٨- بيان أن في قصص أهل الفضل دلالة على رحمة الله لهم وعنايته بهم، وفي ذلك رحمة للمؤمنين؛ لأنهم باعتبارهم بها يأتون ويذرون، فتصلح أحوالهم، ويكونون في اطمئنان بال، وذلك رحمة من الله بهم في حياتهم، وسبب لرحمته إياهم في الآخرة .

١٩- بينت هذه السورة -وقد ذُكر فيها كثير من الشدائد- أن العاقبة خير للذين اتقوا، وهو وعد الله الصادق الذي لا يخلف وعده .

قال ابن عاشور:" فقصة يوسف- عليه السلام- لم تكن معروفة للعرب قبل نزول القرآن إجمالا ولا تفصيلا، بخلاف قصص الأنبياء: هود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وشعيب- عليهم السلام أجمعين-، إذ كانت معروفة لديهم إجمالا، فلذلك كان القرآن مبينا إياها ومفصلا، ونزولها قبل اختلاط النبيء صلى الله عليه وسلم باليهود في المدينة معجزة عظيمة من إعلام الله تعالى إياه بعلوم الأولين، وبذلك ساوى الصحابة علماء بني إسرائيل في علم تاريخ الأديان والأنبياء وذلك من أهم ما يعلمه المشرعون"[١].

الناسخ والمنسوخ:

السورة ليس فيها ناسخ ولا منسوخ.

فضائل السورة:

إن فضل هذه السورة العظيمة يتعلق بما اشتملت عليه من العبر والدروس الكثيرة، ولم يرد عن النبي عليه الصلاة والسلام في فضائلها حديث صحيح، وإن استحب عددٌ من علماء الأمة قراءتها للمهموم والمحزون؛ لأنها نزلت على قلب النبي عليه الصلاة والسلام في عام الحزن فكانت تسليةٍ لقلبه وتثبيتاً من الله تعالى له.

ومما وردت به الروايات من فضائل هذه السورة:

- عن عبد الله بن عمرو، قال: "أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أقرئني يا رسول الله، فقال: «اقرأ ثلاثا من ذوات الر»، فقال: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني، قال: «فاقرأ ثلاثا من ذوات حاميم»، فقال مثل مقالته، فقال: «اقرأ ثلاثا من المسبحات»، فقال مثل مقالته، فقال الرجل: يا رسول الله، أقرئني سورة جامعة، فأقرأه النبي -صلى الله عليه وسلم- «إذا زلزلت الأرض» حتى فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها أبدا، ثم أدبر الرجل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أفلح الرويجل» مرتين"[٢].

---

(١) التحرير والتنوير:٢٠١/١٢.

(٢) أخرجه أبو داود في"باب تحزيب القرآن"(١٣٩٩):ص٥٧/٢. والبيهقي في الشعب، في تعظيم القرىن، فصل"في فضائل السور والآيات"(٢٥١٢):ص٤٩٦/٢، والنسائي في عمل اليوم والليلة(٧٢١):ص٢١٦-٢١٧.

وقوله: من ذوات (الر)، أي: من السور التي تبدأ بهذه الأحرف الثلاثة التي تقرأ مقطعة: ألف، لام، را، والذي في القرآن منها خمس سور: يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.

وقوله من ذوات {حم}، أي: من السور التي تبدأ بهذين الحرفين: حا، ميم، وهي في القرآن سبع سور: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.

وقوله: من المسبحات، أي: السور التي أولها سَبَّح ويُسَبِحُ وسَبح، وهي الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى.

وحكم الألباني«ضعيف»، انظر: «ضعيف أبي داود» (٢٤٧).

[تعليق شعيب الأرنؤوط]

- أخرج ابن مردويه عن أنس رضي الله عنه:" سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله أعطاني الرائيات[1] إلى الطواسين مكان الإنجيل»"[2]. وهذه السورة مفتتحة بـ«الر».
- عبد الله بن عامر بن ربيعة، قال: "صلينا وراء عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقرأ فيهما بسورة يوسف وسورة الحج قراءة بطيئة قال هشام: فقلت: والله لقد كان يقوم حين يطلع الفجر قال: نعم"[3].
- عن الفرافصة بن عمير الحنفي قال: "ما أخذت سورة «يوسف» إلا من قراءة عثمان بن عفان رضي الله عنه إياها في الصبح من كثرة ما كان يرددها"[4].

إسناده صحيح، عيسى بن هلال الصدفي، روى عنه غير واحد وذكره المؤلف في الثقات، وهو صدوق كما قال الحافظ في التقريب(ص٤٤١)، وقال الحاكم:"حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي بقوله:«بل صحيح»، أي: فقط من غير أن يكون على شرط الشيخين(٥٨٠/٢)، وأورده الفسوي في تاريخه: ٢/ ٥١٥ ـ ٥١٦ في ثقات التابعين من أهل مصر، وباقي رجاله ثقات من رجال الصحيح.

(١)الرائيات: هي السور المبدوءة ب «الر».

(٢) الدر المنثور:٣٣٩/٤.

الرائيات: هي السور المبدوءة بـ«الر» والطواسين: هي السور المبدوءة بـ «طسم» أو «طس».

(٣) أخرجه المستغفري في فضائل القرآن(٨١١):ص٥٥٨/٢.

(٤) أخرجه المستغفري في فضائل القرآن(٨١٢):ص٥٥٨/٢.

سورة «الرعد»

سورة «الرعد»: هي السورة الثالثة عشر في ترتيب المصحف، نزلت بعدسورة «محمد»[1]، وعدد آياتها (٤٧) سبع وأربعون عند الشاميين، و(٤٣)ثلاث وأربعون عند الكوفيين، و(٤٤) أربع وأربعون عند الحجازيين، و(٤٥) وخمس وأربعون عند البصريين. وكلماتها (٨٦٥) ثمان مائة وخمس وستون. وحروفها (٣٥٠٦)ثلاثة آلاف وخمسمائة وستة أحرف[2].

والآيات المختلف فيها خمس: «{جَدِيدٍ } [الرعد : ٥]، {النُّور} [الرعد : ١٦]، {الْبَصِيرُ} [الرعد : ١٦]، و{سُوءُ الْحِسَابِ } [الرعد : ١٨]، {مِنْ كُلِّ بَابٍ} [الرعد : ٢٣]» .

وفواصل آياتها يجمعها قولك «نقر دعبل»، منها على «العين» آية واحدة: { إِلَّا مَتَاعٌ} [الرعد : ٢٦]، وما على «النون» فقبل «النون» «واو»، وسائر الآيات التى على «الباء» فقبلها «ألف»؛ نحو {مَآبٍ} [الرعد : ٣٦/٢٩] ، {مَتَابِ} [الرعد : ٣٠]، سوى :{الْقُلُوبُ} [الرعد : ٢٨]؛ فقبلها «واو»[3].

- **أسماء السورة:**
- **اسمها التوقيفي: سورة «الرعد»:**

سورة«الرعد»، هو الاسم الذي اشتهرت به من عهد السلف، وذلك يدل على أنها مسماة بذلك من عهد الرسول-صلى الله عليه وسلم-، إذ لم يختلفوا في اسمها، فهو توفيقي، وبذلك كتبت في المصاحف وكتب التفسير والحديث.

وقد ورد عند السلف تسميتها بذلك، وذلك كما يأتي:

- عن ابن عباس-رضي الله عنهما-:" نزلت سورة الرعد بالمدينة"[4].
- عن ابن الزبير-رضي الله عنه-، قال:" نزلت الرعد بالمدينة"[5].
- عن جابر بن زيد - رضي الله عنه - قال: "كان يستحب إذا حضر الميت أن يقرأ عنده سورة «الرعد»، فإن ذلك يخفف عن الميت فإنه أهون لقبضه وأيسر لشأنه"[6].

ووجه تسميتها بسورة«الرعد»، لورود ذر الرعد فيها، وذلك في قوله تعالى:{وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ} [الرعد : ١٣].

قال ابن عاشور:" وإنما سميت بإضافتها إلى «الرعد» لورود ذكر الرعد فيها بقوله تعالى: {وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ} [الرعد : ١٣]، فسميت بالرعد، لأن الرعد لم يذكر في سورة مثل هذه السورة"[7].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على أقوال:

أحدها: أنها مكية كلها. قاله ابن عباس-في إحدى الروايات-[1]، وابن زبير-في إحدى الروايات-[2]، والحسن[3]، وسعيد بن جبير[4]، وعكرمة[5]، وعطاء[6]، وجابر[7]، وقتادة -في إحدى الروايات-[8]، وبه قال ابن قتيبة[9]، والزمخشري[10]، والفيروزآبادي[11]، وابن كثير[12]، وغيرهم.

---

(١) انظر: الكشاف: ٥١١/٢.

(٢)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٢٦٢.

(٣)انظر: المصد نفسه والصحيفة نفسها.

(٤) انظر: زاد المسير:٤٧٩/٢، وأورده السيوطي في الدر المنثور:٥٩٩/٤، وعزاه إلى ابي الشيخ وابن مردويه.

(٥)أورده السيوطي في الدر المنثور:٥٩٩/٤، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٦) الدر المنثور:٥٩٩/٤.

(٧) التحرير والتنوير:٧٥/١٣.

والثاني: أنها مكية إلا آيتين منها، وهما:{ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ} [الرعد : ٣١]، وقوله:{{وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ} [الرعد : ٤٣]. وهذا القول رواه أبو صالح عن ابن عباس(١٣).

الثالث: أنها مدنية كلها. وهذا قول ابن عباس -في رواية عطاء الخراساني-(١٤)، وابن الزبير(١٥)، و جابر بن زيد(١٦)، ومقاتل(١٧)، وبه قال السيوطي(١٨) وعزاه القرطبي إلى الكلبي(١٩).

الرابع: أنها مدنية، إلا آية واحدة مكية، وهي قوله:{وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ} [الرعد : ٣١]. وهذا القول مروي عن قتادة(٢٠).

الخامس: أنها مدنية، إلا آيتين منها، ثم اختلفوا في المكي منها على قولين:

أحدهما: أن الآيتين اللتين نزلتا بمكة، هما:{وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ} [الرعد : ٣١]، إلى آخر الآيتين. وهذا القول مروي عن ابن عباس(٢١)، وقتادة(٢٢).

والثاني: أن المكي منها قوله تعالى:{هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ} [الرعد : ١٢]، وقوله تعالى:{لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ} [الرعد : ١٤]. حكاه ابن الجوزي عن بعضهم(٢٣).

قال ابن عطية:" الظاهر- عندي- أن المدني فيها كثير، وكل ما نزل في شأن عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة فهو مدني"(٢٤).

---

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور:٥٩٩/٤، وعزاه إلى النحاس، وقال ابن الجوزي: "رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس". [انظر: زاد المسير:٤٧٩/٢].

(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور:٥٩٩/٤، وعزاه إلى سعيد بن منصور وابن المنذر.

(٣) انظر: زاد المسير:٤٧٩/٢، وتفسير القرطبي:٢٧٨/٩.

(٤) انظر: زاد المسير:٤٧٩/٢.

(٥) انظر: تفسير القرطبي:٢٧٨/٩.

(٦) انظر: زاد المسير:٤٧٩/٢، وتفسير القرطبي:٢٧٨/٩.

(٧) انظر: تفسير القرطبي:٢٧٨/٩.

(٨) انظر: زاد المسير:٤٧٩/٢.

(٩) انظر: غريب القرآن:٢٢٤.

(١٠) انظر: الكشاف:٥١١/٢.

(١١) البصائر:٢٦٢/١.

(١٢) انظر: تفسير ابن كثير:٤٢٨/٤.

(١٣) انظر: الكشف والبيان:٢٦٧/٥، وزاد المسير:٤٧٩/٢.

(١٤) انظر: زاد المسير:٤٧٩/٢، وأورده السيوطي في الدر المنثور:٥٩٩/٤، وعزاه إلى ابي الشيخ وابن مردويه.

(١٥)أورده السيوطي في الدر المنثور:٥٩٩/٤، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٦) انظر: زاد المسير:٤٧٩/٢.

(١٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٣٥٧/٢.

(١٨) انظر: الدر المنثور:٥٩٩/٤.

(١٩) انظر: تفسير القرطبي:٢٧٨/٩.

(٢٠)أورده السيوطي في الدر المنثور:٥٩٩/٤، وعزاه إلى ابن المنذر وأبي الشيخ.

(٢١) انظر: زاد المسير:٤٧٩/٢، وتفسير القرطبي:٢٧٨/٩.

(٢٢) انظر: تفسير القرطبي:٢٧٨/٩.

(٢٣) انظر: زاد المسير:٤٧٩/٢.

(٢٤) المحرر الوجيز:٢٩٠/٣.

قال ابن عاشور:" أشبه آياتها بأن يكون مدنيا"[1].

قال سيد قطب:" إن افتتاح السورة، وطبيعة الموضوعات التي تعالجها، وكثيراً من التوجيهات فيها.. كل أولئك يدل دلالة واضحة على أن السورة مكية- وليست مدنية كما جاء في بعض الروايات والمصاحف- وأنها نزلت في فترة اشتد فيها الإعراض والتكذيب والتحدي من المشركين"[2].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

من وجوه المناسبة بين السورتين:

١- ترتبط سورة يوسف بما جاء بعدها؛ وهي سورة الرعد، ارتباطًا جليًا، حيث إن الهدف من ذكر قصص الأنبياء -عليهم السلام- ودعوتهم لأقوامهم في القرآن الكريم هو التأثير في الناس وهدايتهم، وكذلك ذِكر آيات الله -تعالى- في الكون والحثّ على التفكّر والتدبّر في خلق الله تعالى، كما ورد في سورة الرعد، فهي تهدف إلى التأثير في الناس وهدايتهم أيضاً، وقد كان من أوائل الآيات في سورة الرعد، قوله تعالى :{اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ} [الرعد : ٢].

٢- ومن وجوه المناسبة: أنه سبحانه وتعالى أجمل في السورة السابقة الآيات السماوية والأرضية، فقال تعالى: {وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ} [يوسف : ١٠٥]، فذكر الآيات السمائية والأرضية مجملة ثم فصلها هنا أتم تفصيل، فقال في مطلع هذه السورة:{المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (١) اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢) وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٤)} [الرعد : ١ - ٤].

٣- ومنها: اختتام سورة يوسف بوصف الكتاب ووصفه بالحق وافتتاح هذه بمثل ذلك وهو من تشابه الأطراف.قال تعالى في خاتمة سورة يوسف: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [يوسف : ١١١]، إذ وصف القرآن بالحق من خلال نفي الافتراء، ثم وصفه بأربع صفات جديدة كنتيجة للإبانة :تصديق الكتب السابقة، وتفصيل كل شيء، وهدى، ورحمة ولكن لمن؟ لقوم يؤمنون.

وفي سورة الرعد صف القرآن بالكتاب الذي لا يستحق كتاب في الوجود اسم الكتاب سواه في أول سورة الرعد، فقال تعالى:{المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (١)} [الرعد : ١]، كما جاء في خواتميها بيان النتيجة، وهي فرح من عرف قيمته به، وإنكار المتحزبين المتعصبين من مناوئيه:{وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ} [الرعد : ٣٦].

٤- إنه أشار في سورة يوسف إلى أدلة التوحيد بقوله « أَأَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ؟ » ثم فصل الأدلة هنا بإسهاب لم يذكر في سالفتها.

---

(١) التحرير والتنوير:٧٦/١٣.

(٢) في ظلال القرآن:٢٠٦٦/٤.

٥- إنه ذكر في كلتا السورتين أخبار الماضين مع رسلهم، وأنهم لاقوا منهم ما لاقوا، وأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، وكتب الخزي على الكافرين، والنصر لرسله والمؤمنين، وفى ذلك تسلية لرسوله ﷺ وتثبيت لقلبه(١).

- **أغراض السورة ومقاصدها**

تبدأ سورة «الرعد» بقضية عامة من قضايا العقيدة: قضية الوحي بهذا الكتاب، والحق الذي اشتمل عليه، وتلك هي قاعدة بقية القضايا، من توحيد لله، والإيمان بالبعث، والعمل صالح في الحياة. فكلها متفرعة عن الإيمان بأن الآمر بهذا هو الله، وأن هذا القرآن وحي من عنده سبحانه إلى رسوله صلى الله عليه وسلم. هذا على وجه الإجمال، أما على وجه التفصيل، فقد تضمنت السورة المقاصد الآتية: (٢)

١- بينت السورة أن هذا القرآن عميق التأثير في النفس البشرية، حتى لتكاد تسير به الجبال، وتُقطَّع به الأرض، ويُكلم به الموتى؛ لما فيه من سلطان وقوة ودفعة وحيوية .

٢- أكدت السورة أن هذا الكتاب هو وحده الحق؛ وأن الإعراض عنه، والتكذيب به، والتحدي، وبطء الاستجابة، ووعورة الطريق.. كلها لا تغير شيئاً من تلك الحقيقة الكبرى، طبيعة المواجهة التي كان المشركون يتحدون بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتحدون بها هذا القرآن .

٣- التوجيه الرباني لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجهر في مواجهة الإعراض والتكذيب، والتحدي، وبطء الاستجابة، ووعورة الطريق بالحق الذي معه كاملاً؛ وهو أنه لا إله إلا الله، ولا رب إلا الله، ولا معبود إلا الله، وأن الله هو الواحد القهار، وأن الناس مردودون إليه، فإما إلى جنة، وإما إلى نار. وكل هذه الحقائق كان ينكرها المشركون، ويتحدون الرسول فيها .

٤- كشفت السورة لأصحاب الدعوة إلى الله عن طبيعة منهج هذه الدعوة، وأن عليهم أن يجهروا بالحقائق الأساسية في هذا الدين، وألا يخفوا منها شيئاً، وألا يؤجلوا منها شيئاً. وفي مقدمة هذه الحقائق: أنه لا ألوهية ولا ربوبية إلا لله، ومن ثم فلا دينونة، ولا طاعة، ولا خضوع، ولا اتباع إلا لله. فهذه الحقيقة الأساسية يجب أن تُعلن أيًّا كانت المعارضة والتحدي؛ وأيًّا كان الإعراض من المكذبين والتولي؛ وأيًّا كانت وعورة الطريق وأخطارها.

٥- أظهرت السورة أن المنهج القرآني في الدعوة يجمع بين الحديث عن كتاب الله المتلو، وهو هذا القرآن، وبين كتاب الكون المفتوح؛ بما فيه من دلائل شاهدة بسلطان الله وتقديره وتدبيره. كما يضم إلى هذين الكتابين سجل التاريخ البشري، وما يحفظه من دلائل ناطقة بالسلطان والتقدير والتدبير أيضاً. ويواجه البشرية بهذا كله، ويأخذ عليها أقطارها جميعاً؛ وهو يخاطب حسها وقلبها وعقلها جميعاً .

٦- أوضحت السورة بجلاء نماذج من طبيعة النبوة والرسالة؛ وحدود النبي والرسول؛ لتخليص العقول والأفكار من رواسب الوثنيات كلها؛ وتحريرها من تلك الأساطير التي أفسدت عقائد أهل الكتاب من قبل؛ وردتها إلى الوثنية بأوهامها وأساطيرها!

٧- بينت السورة أن مهمة الرسول صلى الله عليه وسلام إنما هي البلاغ، وأن أمر هذا الدين ليس إليه هو، ومآل هذه الدعوة ليس من اختصاصه! إنما عليه البلاغ، وليس عليه هداية الناس، فالله وحده هو الذي يملك الهداية، سواء حقق الله بعض وعده له من مصير القوم، أو أدركه الأجل قبل تحقيق وعد الله، فهذا أو ذاك لا يغير من طبيعة مهمته. فالبلاغ يظل هو قاعدة عمل الرسول، ويظل كذلك قاعدة عمل الدعاة لهذا الدين بعده.

---

(١) انظر: تفسير المراغي:١٣/٦٠.
(٢) انظر: اسلام ويب.[موقع الكتروني].

٨- أرشدت السورة الدعاة أن ليس لهم أن يستعجلوا النتائج والمصائر، وأن ليس لهم أن يستعجلوا هداية الناس، ولا أن يستبطئوا وعد الله للمهتدين ووعيده للمكذبين، إنما عليهم البلاغ فحسب، أما حساب الناس في الدنيا، أو في الآخرة، فهذا ليس من شأن العباد، إنما هو من شأن رب العباد !
٩- قررت السورة كلمة الفصل في العلاقة بين اتجاه الإنسان وحركته، وبين تحديد مآله ومصيره؛ وبينت أن مشيئة الله به إنما تتحقق من خلال حركته في هذه الحياة؛ وذلك مع تقرير أن كل حدث إنما يقع ويتحقق بقدر من الله خاص.
١٠- قررت السورة سُنَّة اجتماعية، وهي أن مشيئة الله في تغيير حال قوم، إنما تجري وتنفذ من خلال حركة هؤلاء القوم أنفسهم، وتغيير اتجاهها وسلوكها تغييراً شعوريًّا وعمليًّا، فإذا غيَّر القوم ما بأنفسهم اتجاهاً وعملاً غير الله حالهم، وَفْق ما غيروا هم من أنفسهم. فإذا اقتضى حالهم أن يريد الله بهم السوء، مضت إرادته، ولم يقف لها أحد، ولم يعصمهم من الله شيء، ولم يجدوا لهم من دونه ولياً ولا نصيراً. فأما إذا هم استجابوا لربهم، وغيروا ما بأنفسهم بهذه الاستجابة، فإن الله يريد بهم الحسنى، ويحقق لهم هذه الحسنى في الدنيا، أو في الآخرة، أو فيهما جميعاً، فإذا هم لم يستجيبوا، أراد بهم السوء، وكان لهم سوء الحساب، ولم تغن عنهم فدية، إذا جاءوه غير مستجيبين يوم الحساب.
١١- قررت السورة حقيقة مهمة، وهي أن الله سبحانه يقضي بالهدى لمن ينيب إليه؛ وهذه الحقيقة تدل على أنه سبحانه إنما يضل من لا ينيب، ومن لا يستجيب، ولا يضل منيباً، ولا مستجيباً؛ وذلك وفق وعده سبحانه في قوله:{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [العنكبوت : ٦٩]، فهذه الهداية وذلك الإضلال هما مقتضى مشيئته سبحانه بالعباد، هذه المشيئة التي تجري وتتحقق من خلال تغيير العباد ما بأنفسهم، والاتجاه إلى الاستجابة، أو الإعراض .
١٢- بينت السورة أنه سبحانه لو شاء لخلق الناس باستعداد واحد للهدى، أو لقهرهم على الهدى، ولكنه سبحانه شاء أن يخلقهم مستعدين للهدى، أو للضلال:{إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا} [الإنسان : ٣]، {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ} [البلد : ١٠]؛ ولم يشأ بعد ذلك أن يقهرهم على الهدى، ولا أن يقهرهم على الضلال! إنما جعل مشيئته بهم تجري من خلال استجابتهم، أو عدم استجابتهم لدلائل الهدى، وموجبات الإيمان.
١٣- قررت السورة كلمة الفصل في دلالة الكفر وعدم الاستجابة لهذا الحق الذي جاء به هذا الدين، على فساد الكينونة البشرية، وتعطل أجهزة الاستقبال الفطرية فيها، واختلال طبيعتها، وخروجها عن سواء السبيل.
١٤- بيان أن الذين لا يستجيبون للحق الذي جاءهم به القرآن، هم بشهادة الله سبحانه عميٌ، وصمٌّ، وبكمٌ في الظلمات، وأنهم لا يتفكرون، ولا يعقلون. وأن الذين يستجيبون له هم أولو الألباب، وهؤلاء تطمئن قلوبهم بذكر الله، وتتصل بما هي عارفة له، ومصطلحة عليه بفطرتها السليمة، فتسكن، وتستريح .
١٥- أرشدت السورة إلى أن ثمة علاقة وثيقة بين الفساد الذي يصيب حياة البشر في هذه الأرض، وبين ذلك العمى عن الحق الذي جاء من عند الله لهداية البشر إلى الحق وإلى صراط مستقيم .
١٦- بينت السورة أن الذين لا يستجيبون لعهد الله، ولا يعلمون الحق الذي جاء من عنده ، هم الذين يفسدون في الأرض؛ كما أن الذين يعلمون أنه الحق، ويستجيبون له، هم الذين يصلحون في الأرض، وتزكو بهم الحياة.
١٧- قررت السورة بكل وضوح أن حياة الناس لا تصلح إلا بأن يتولى قيادتها المبصرون أولو الألباب، الذين يعلمون أن ما أنزل إلى محمد - صلى الله عليه وسلم - هو الحق، ومن ثم يوفون بعهد الله، ويعبدونه وحده، ويدينون له وحده، ولا يتلقون عن غيره، ولا يتبعون إلا أمره ونهيه،

ومن ثم يصلون ما أمر الله به أن يوصل، ويخشون ربهم، فيخافون أن يقع منهم ما نهى عنه، ويخافون سوء الحساب، فيجعلون الآخرة في حسابهم في كل حركة؛ ويصبرون على الاستقامة على عهد الله ذاك بكل تكاليف الاستقامة؛ ويقيمون الصلاة؛ وينفقون مما رزقهم الله سراً وعلانية؛ ويدفعون السوء والفساد في الأرض بالصلاح والإحسان.

١٨- بينت السورة أن المسلم يرفض - بحكم إيمانه بالله، وعلمه بأن ما أنزل على محمد هو الحق - كل منهج للحياة غير منهج الله؛ ومجرد الاعتراف بشرعية منهج، أو وضع، أو حكمٍ من صنع غير الله، هو بذاته مناقض لمنهج الله؛ فالإسلام لله هو توحيد الدينونة له دون سواه.

هذه بعض المقاصد البارزة التي قررتها هذه السورة، وهي بالتأكيد تتضمن مقاصد غير ما ذكرنا، تتبين من خلال التأمل في السورة، والوقوف على مراميها السامية، ومقاصدها الجليلة.

الناسخ والمنسوخ:

تحتوي من المنسوخ على آيتين، آية مجمع عليها وآية مختلف فيها:

فالمختلف فيها: قوله تعالى:{وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِم} [الرعد : ٦]، في هذه الآية قولان:

أحدهما: أنها محكمة.

الثاني: انها منسوخة بقوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ} [النساء : ٤٨]، و"الظلم"–ههنا-: الشرك.

وقال السدي :"إنما هو إحسان من الله وتعطف على خلقه"[١].

عن عماد بن زيد عن علي بن زيد قال: "تلا مطرف هذه الآية: {وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِم}، ثم قال مطرف: لو يعلم الناس قدر رحمة الله وعفو الله وتجاوز الله ومغفرة الله لقرت أعينهم"[٢].

والآية المجمع عليها:{فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ} [الرعد : ٤٠]، نسخت بآية السيف[٣].

- **فضائل السورة:**

إن سورة «الرعد» احدى سور القرآن الكريم التي تدل على قدرة الله عز وجل في كونه، وقد روي، ومما وردت به الروايات من فضائل هذه السورة:

- أخرج ابن أبي شيبة والمروزي في الجنائز عن جابر بن زيد - رضي الله عنه - قال: "كان يستحب إذا حضر الميت أن يقرأ عنده سورة «الرعد»، فإن ذلك يخفف عن الميت فإنه أهون لقبضه وأيسر لشأنه"[٤].
- عن أبي هريرة رفع الحديث: أنه كان إذا سمع الرعد، قال:"سبحان من «{يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ}»[٥]".
- عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ سورة الرعد أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل سحاب مضى وكل سحاب يكون إلى يوم القيامة، وكان يوم القيامة من الموفين بعهد الله عز وجل"[٦].

---

(١) الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١٠٨-١٠٩.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢١٤٤):ص٧/٢٢٢٤.
(٣) الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١٠٨-١٠٩.
(٤) الدر المنثور:٤/٥٩٩.
(٥) أخرجه الطبري(٢٠٢٦٠):ص١٦/٣٨٩، ورواه البخاري في الأدب المفرد، موقوفا على كعب بن مالك.
ورواه ابن مردويه في تفسيره كما في تخريج الكشاف: (١٨٤/٢).
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٩٧).
(٦) الكشف والبيان:٥/٢٦٧.

- وعن ابن عباس-رضي الله عنهما-:" من سمع صوت الرعد فقال: سبحان الذي «يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ» وهو على كل شيء قدير، فإن أصابته صاعقة فعلي ديته"[١].

(١) تفسير البغوي:٣٠٣/٤.

سورة «إبراهيم»

سورة «إبراهيم»: هي السورة الرابعة عشر في ترتيب المصحف، نزلت بعدسورة «نوح»[(١)]، وقيل: "بعد سورة «الشورى»، وقبل سورة «الأنبياء»"[(٢)]، وعدد آياتها (٥٥) خمس وخمسون عند الشاميين، و(٥٢) اثنتان وخمسون عند الكوفيين، و(٥٤) أربع وخمسون عند الحجازيين، و(٥١) وإحدى وخمسون عند البصريين. وكلماتها (٨٣١) ثمان مائة وإحدى وثلاثون. وحروفها (٦٤٣٤) ستة آلاف وأربعمائة وأربع وثلاثون[(٣)].

والآيات المختلف فيها سبع: «{إِلَى النُّورِ} [إبراهيم : ١]، {وَعَادٍ } [إبراهيم : ٩]، {وَثَمُودَ } [إبراهيم : ٩]، {بِخَلْقٍ جَدِيدٍ} [إبراهيم : ١٩]، {وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ} [إبراهيم : ٢٤]، {اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ} [إبراهيم : ٣٣]، {عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ} [إبراهيم : ٤٢]»، ومجموع فواصلها:«آدم نظر، صب ذل»[(٤)].

- **أسماء السورة:**
- **اسمها التوقيفي: سورة «إبراهيم»:**

سورة«إبراهيم»، هو الاسم الذي اشتهرت به السورة، ولا يعرف لها غيره.

قال ابن عاشور:" أضيفت هذه السورة إلى اسم «إبراهيم»- عليه السلام- فكان ذلك اسما لها لا يعرف لها غيره. ولم أقف على إطلاق هذا الاسم عليها في كلام النبيء- صلى الله عليه وسلم- ولا في كلام أصحابه في خبر مقبول"[(٥)].

وقد وردت أحاديث تدل على تسميتها في كلام الصحابة-رضوان الله عليهم- منها:

- قال ابن عباس:" نزلت سورة إبراهيم عليه السلام بمكة"[(٦)].
- وقال ابن عباس أيضا:" سورة إبراهيم عليه السلام نزلت بمكة سوى آيتين نزلتا بالمدينة، وهما: {ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا} الآيتين نزلتا في قتلى بدر من المشركين"[(٧)].
- قال الزبير:" نزلت سورة إبراهيم عليه السلام بمكة"[(٨)].

ووجه تسميتها بسورة«إبراهيم»، " لتضمنها قصة إسكانه ولده إسماعيل بواد غير ذى زرع، وشكره لله تعالى على ما أنعم عليه من الولدين: إسماعيل وإسحاق"[(٩)].

قال ابن عاشور:" ووجه تسميتها بهذا وإن كان ذكر «إبراهيم»- عليه السلام- جرى في كثير من السور أنها من السور ذوات «الر». وقد ميز بعضها عن بعض بالإضافة إلى أسماء الأنبياء- عليهم السلام- التي جاءت قصصهم فيها، أو إلى مكان بعثة بعضهم وهي سورة «الحجر»، ولذلك لم تضف سورة «الرعد» إلى مثل ذلك، لأنها متميزة بفاتحها بزيادة حرف «ميم» على «ألف ولام وراء»"[(١٠)].

وقد ورد اسم«إبراهيم» تسعا وستين مرة في القرآن الكريم، منها مرة واحدة في سورة إبراهيم، وهي في قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ} [إبراهيم : ٣٥].

---

(١) انظر: الكشاف: ٥٣٧/٢، ومفاتيح الغيب:٥٦/١٩.
(٢) التحرير والتنوير:١٧٧/١٣.
(٣)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٢٦٨.
(٤)انظر: المصد نفسه والصحيفة نفسها.
(٥) التحرير والتنوير:١٧٧/١٣.
(٦) أورده السيوطي في الدر المنثور:٣/٥، وعزاه لابن مردويه.
(٧) أورده السيوطي في الدر المنثور:٣/٥، وعزاه للنحاسفي تاريخه.
(٨) أورده السيوطي في الدر المنثور:٣/٥، وعزاه لابن مردويه.
(٩) البصائر:٢٦٨/١.
(١٠) التحرير والتنوير:١٧٧/١٣.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على أقوال:

أحدها: أنها مكية كلها. قاله ابن عباس[١]، والزبير[٢]، والحسن[٣]، وعكرمة[٤]، وجابر[٥]، ومقاتل[٦]، وبه قال ابن قتيبة[٧]، وابن كثير[٨]، وابن الجوزي[٩]، والبيضاوي[١٠]، وحكاه ابن عاشور عن الجمهور[١١].

الثاني: أنها مكية إجماعا غير آية واحدة، وهي: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ} [إبراهيم : ٢٨]. به قال الفيروزآبادي[١٢].

والثاني: أنها مكية إلا آيتين منها، نزلتا في قتلى بدر من المشركين، وهما:{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ (٢٩)} [إبراهيم : ٢٨ - ٢٩]. قاله ابن عباس أيضا[١٣]، وقتادة[١٤]، وبه قال الثعلبي[١٥]، وابن عطية[١٦]، والزمخشري[١٧]، والبغوي[١٨]، والفخر الرازي[١٩].

الثالث: أنها مكية إلا ثلاث آيات منها، وهي: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ (٢٩) وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ (٣٠)} [إبراهيم : ٢٨ - ٣٠]. حكاه ابن عاشور، وقال: قيل:" نزل ذلك في المشركين في قضية بدر، وليس ذلك إلا توهما"[٢٠].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

من وجوه المناسبة بين السورتين:

١- إنه قد ذكر سبحانه في السورة السابقة أنه أنزل القرآن حكما عربيا ولم يصرح بحكمة ذلك وصرح بها هنا.

٢- إنه ذكر في السورة السالفة قوله: {وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّه} [الرعد : ٣٨]، وهنا ذكر أن الرسل قالوا:{وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ ال} [إبراهيم : ١١].

---

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور:٣/٥، وعزاه لابن مردويه.
(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور:٣/٥، وعزاه لابن مردويه.
(٣) انظر: النكت والعيون:١٢٠/٣، وتفسير القرطبي:٣٣٨/٩.
(٤) انظر: النكت والعيون:١٢٠/٣، وتفسير القرطبي:٣٣٨/٩.
(٥) انظر: النكت والعيون:١٢٠/٣، وتفسير القرطبي:٣٣٨/٩.
(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٣٨٧/٢.
(٧) انظر: غريب القرآن:٢٣٠.
(٨) انظر: التفسير:٤٧٦/٤.
(٩) انظر: زاد المسير:٥٠٣/٢.
(١٠) انظر: التفسير:١٩٢/٣.
(١١) انظر: التحرير والتنوير:١٧٧/١٣.
(١٢) البصائر:٢٦٨/١.
(١٣) أورده السيوطي في الدر المنثور:٣/٥، وعزاه للنحاس في تاريخه، وذكره الماوردي في النكت والعيون:١٢٠/٣، والقرطبي في تفسيره:٣٣٨/٩.
(١٤) انظر: زاد المسير: ٥٠٣/٢، وذكره الماوردي في النكت والعيون:١٢٠/٣، والقرطبي في تفسيره:٣٣٨/٩.
(١٥) انظر: الكشف والبيان:٣٠٤/٥.
(١٦) انظر: المحرر الوجيز:٣٢١/٣. وقال:" ذكره مكي والنقاش".
(١٧) انظر: الكشاف:٥٣٧/٢.
(١٨) انظر: التفسير:٣٢٩/٤.
(١٩) انظر: مفاتيح الغيب:٥٦/١٩.
(٢٠) التحرير والتنوير:١٧٧/١٣.

٣- ذكر هناك أمره عليه السلام بالتوكل على الله، وهنا حكى عن إخوانه المرسلين أمرهم بالتوكل عليه جل شأنه.
٤- اشتملت تلك على تمثيل الحق والباطل، واشتملت هذه على ذلك أيضا.
٥- ذكر هناك رفع السماء بغير عمد ومدّ الأرض وتسخير الشمس والقمر، وذكر هنا نحو ذلك.
٦- ذكر هناك مكر الكفار وذكر مثله هنا، وذكر من وصفه ما لم يذكر هناك(١).

- **أغراض السورة ومقاصدها**

تضمنت سورة «إبراهيم» جملة من المقاصد، نجملها وفق التالي(٢):

١- افتتح سبحانه هذه السورة ببيان أن المقصود من إنزال الكتاب إرشاد الخلق كلهم إلى الدين والتقوى، ومنعهم عن الكفر والمعصية، قال سبحانه:{الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} [إبراهيم : ١]، وهذا المقصود هو الذي جاءت من أجله جميع الرسل.

٢- توحيد الله سبحانه، يرشد لذلك ما جاء في السورة من قول موسى عليه السلام:{إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ} [إبراهيم : ٨]، وقول إبراهيم عليه السلام:{ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ} [إبراهيم : ٣٥] ، وقوله سبحانه في آخر السورة:{وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ} [إبراهيم : ٥٢].

قال ابن عاشور" :وليعلموا مِما ذكر فيه من الأدلة ما الله إلا إله واحد، أي: مقصور على الإلهية الموحدة"(٣).

وقال الرازي" :الآيات مشعرة بأن التذكير بهذه المواعظ والنصائح يوجب الوقوف على التوحيد، والإقبال على العمل الصالح، والوجه فيه أن المرء إذا سمع هذه التخويفات والتحذيرات عظم خوفه، واشتغل بالنظر والتأمل، فوصل إلى معرفة التوحيد والنبوة، واشتغل بالأعمال الصالحة"(٤).

٣- أوضحت السورة أن القرآن الكريم غاية البلاغ إلى الله سبحانه؛ لأنه كافل ببيان الصراط الدال عليه، المؤدي إليه، جاء في ذلك قوله سبحانه:{هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ} [إبراهيم : ٥٢]. وبين سبحانه أنه إنما أنزل هذه السورة، وذكر فيها النصائح والمواعظ؛ لأجل أن ينتفع الخلق بها، فيصيروا مؤمنين مطيعين، ويتركوا الكفر والمعصية. فالغاية الأساس من ذلك (البلاغ)، وهذا (الإنذار)، هي أن يعلم الناس }أنما هو إله واحد{، فهذه هي قاعدة دين الله التي يقوم عليها منهجه في الحياة.

قال البقاعي" :اشتملت هذه السورة على المواعظ والأمثال والحكم التي أبكمت البلغاء، وأخرست الفصحاء، وبهرت العقول، ترجمها سبحانه بما يصلح عنواناً لجميع القرآن، فقال:{هذا}، أي: الكتاب الذي يخرج الناس من الظلمات إلى النور،{بلاغ}، أي: كافٍ غاية الكفاية في الإيصال{للناس}؛ ليصلوا به إلى الله بما يتحلون به من المزايا في سلوك صراطه القويم"(٥).

٤- تضمنت السورة جملة من فنون العظات والقوارع، من ذلك قوله تعالى:{وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٢) الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي

---

(١) انظر: تفسير المراغي:١٢٢/١٣.
(٢) انظر: اسلام ويب.[موقع الكتروني].
(٣) التحرير والتنوير:٢٥٥/١٣.
(٤) مفاتيح الغيب:١١٥/١٩.
(٥)نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٤٤١/١٠.

ضَلَالٍ بَعِيدٍ (٣)} [إبراهيم : ٢ - ٣] ، وقوله سبحانه:{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إبراهيم : ٧]، وقوله تعالى:{وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ} [إبراهيم : ١٥]

٥- تثبيت الله سبحانه لعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة، قال سبحانه:{يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [إبراهيم : ٢٧]، وقوله عز وجل :{وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ} [إبراهيم : ٢٣]

٦- إضلال الذين أعرضوا عن ذكره، واتبعوا أهوائهم، قال تعالى:{وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ} [إبراهيم : ٢٧]، وقوله عز وجل:{وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ} [إبراهيم : ٣٠] .

٧- ذمت السورة أولئك الذين يبدلون نعمة الله كفراً، ويقودون قومهم إلى دار البوار، كما قاد من قبلهم أتباعهم إلى النار، في قصة الرسل والكفار:{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ} [إبراهيم : ٢٨] .

٨- من المقاصد التي أكدت عليها السورة بيان نعم الله على البشر؛ وذلك من خلال الحديث عن أضخم المشاهد الكونية البارزة: {وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ} [إبراهيم : ٣٣].

٩- قدمت السورة نموذجاً لشكر النعمة إبراهيم الخليل، حيث أمر الذين آمنوا بلون من ألوان الشكر هو الصلاة والبر بعباد الله، قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون:{رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ} [إبراهيم : ٣٧].

١٠- الاعتناء بقضية الربوبية، والدينونة لله بالملك والتصرف والتدبير، وهذا واضح في تكرار إبراهيم: {رب} {ربنا}، كقوله سبحانه:{رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا} [إبراهيم : ٣٥]، وقوله{رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ} [إبراهيم : ٣٦]، وقوله:{رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ} [إبراهيم : ٣٧]، وقوله:{رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ} [إبراهيم : ٣٨] ، وقوله:{رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ} [إبراهيم : ٤٠]، وقوله:{رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ} [إبراهيم : ٤١] .

فالسورة أكدت على أن المقصود الرئيس من خلق الإنسان هو الدينونة لله وحده، لأنه سبحانه هو الرب الذي يستحق أن يكون إلها معبوداً ، حاكماً وسيداً ومتصرفاً ومشرعاً وموجهاً، وقيام الحياة البشرية على هذه القاعدة يجعلها تختلف اختلافاً جوهريًّا عن كل دينونة لما سواه.

هذه بعض المقاصد البارزة التي قررتها هذه السورة، وهي بالتأكيد تتضمن مقاصد غير ما ذكرنا، تتبين من خلال التأمل في السورة، والوقوف على مراميها السامية، ومقاصدها الجليلة.

الناسخ والمنسوخ:

السورة محكمة عند العلماء جميعهم إلا في قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، فإنه قال فيها آية منسوخة، وهي قوله تعالى: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا} [النحل : ١٨]، هذا محكم والمنسوخ قوله {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} [إبراهيم : ٣٤]، نسخت بقوله:{وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} [إبراهيم : ٣٤]، في سورة النحل.

وقال غيره وهذا عموم أريد به الخصوص(١).

- **فضائل السورة:**

ومما وردت به الروايات من فضائل هذه السورة:

- عن عبد الله بن عمرو، قال: "أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أقرئني يا رسول الله، فقال: «اقرأ ثلاثا من ذوات الر»، فقال: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني، قال: «فاقرأ ثلاثا

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١١٠.

من ذوات حاميم»، فقال مثل مقالته، فقال: «اقرأ ثلاثا من المسبحات»، فقال مثل مقالته، فقال الرجل: يا رسول الله، أقرئني سورة جامعة، فأقرأه النبي -صلى الله عليه وسلم- «إذا زلزلت الأرض» حتى فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها أبدا، ثم أدبر الرجل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أفلح الرويجل» مرتين"[١].

- أخرج ابن مردويه عن أنس رضي الله عنه:" سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله أعطاني الرائيات[٢] إلى الطواسين مكان الإنجيل»"[٣]. وهذه السورة مفتتحة بـ«الر».
- أخرج الثعلبي عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة إبراهيم والحجر أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من عبد الأصنام وبعدد من لم يعبدها»[٤].
- وردت بعض الأحاديث والآثار تتعلق ببعض آيات منها، من ذلك ما يلي :

أ- روى ابن أبي شيبة عن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه-، قال: " يعرض الناس يوم القيامة على ثلاثة دواوين: ديوان فيه الحسنات , وديوان فيه النعيم , وديوان فيه السيئات , فيقابل بديوان الحسنات ديوان النعيم , فيستفرغ النعيم الحسنات , وتبقى السيئات مشيئتها إلى الله تعالى , إن شاء عذب , وإن شاء غفر"[٥].

وهذا الأثر فيه إشارة إلى قوله تعالى في هذه السورة:{وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} [إبراهيم : ٣٤]، وإلى قوله أيضاً:{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ} [إبراهيم : ٢٨].

ب- روى البخاري ومسلم عن البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "«المسلم إذا سئل في القبر، يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله»، فذلك قوله:{يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ}[إبراهيم : ٢٧]"[٦].

---

(١) أخرجه أبو داود في"باب تحزيب القرآن"(١٣٩٩):ص٥٧/٢. والبيهقي في الشعب، في تعظيم القرءن، فصل"في فضائل السور والآيات"(٢٥١٢):ص٤٩٦/٢، والنسائي في عمل اليوم والليلة(٧٢١):ص٢١٦-٢١٧.

وقوله: من ذوات (الر)، أي: من السور التي تبدأ بهذه الأحرف الثلاثة التي تقرأ مقطعة: ألف، لام، را، والذي في القرآن منها خمس سور: يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.

وقوله من ذوات {حم}، أي: من السور التي تبدأ بهذين الحرفين: حا، ميم، وهي في القرآن سبع سور: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.

وقوله: من المسبحات، أي: السور التي أولها سَبَّح ويُسَبِحُ وسَبح، وهي الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى.

وحكم الألباني«ضعيف»، انظر: «ضعيف أبي داود» (٢٤٧).

[تعليق شعيب الأرنؤوط]

إسناده صحيح، عيسى بن هلال الصدفي، روى عنه غير واحد وذكره المؤلف في الثقات، وهو صدوق كما قال الحافظ في التقريب(ص٤٤١)، وقال الحاكم:"حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي بقوله:«بل صحيح»، أي: فقط من غير أن يكون على شرط الشيخين(٥٨٠/٢)، وأورده الفسوي في تاريخه: ٢/ ٥١٥ - ٥١٦ في ثقات التابعين من أهل مصر، وباقي رجاله ثقات من رجال الصحيح.

(٢)الرائيات: هي السور المبدوءة ب «الر».

(٣) الدر المنثور:٣٣٩/٤.

الرائيات: هي السور المبدوءة بـ«الر» والطواسين: هي السور المبدوءة بـ «طسم» أو «طس».

(٤) الكشف والبيان:٣٠٤/٥، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٦/ ٥٥، وانظر: ترتيب الأمالي الخميسية للشجري:١٢٤/١.

(٥) مصنف ابن ابي شيبة(٣٤٥٤٦):ص١٠٥/٧، وانظر: الدر المنثور:٦٢٠/٨.

(٦) صحيح البخاري(٤٦٩٩):ص٨٠/٦.، وأخرجه البخاري (١٣٦٩) وبإثره، ومسلم (٢٨٧١) (٧٣)، وابن ماجه (٤٢٦٨)، والترمذي (٣٣٨٥)، والنسائي في "الكبرى" (٢١٩٥) و (١١٢٠٠) من طرق عن شعبة، به. وأخرجه موقوفاً مسلم (٢٨٧١) (٧٤)، والنسائي في "الكبرى" (٢١٩٤) من طريق خيثمة، عن البراء.

ت- روى البزار عن عائشة رضي الله عنها، قالت: "قلت: يا رسول الله! تُبتلي هذه الأمة في قبورها، فكيف بي، وأنا امرأة ضعيفة؟ قال:{ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ}"[(١)].

ث- وعن مسروق قال: تلت عائشة هذه الآية:{يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ} [إبراهيم : ٤٨] ، قالت: يا رسول الله! فأين يكون الناس؟ قال:«على الصراط»"[(٢)].

ج- -قال عبد الله بن الإمام أحمد :"أخبرت عن سيار بن جعفر، قال: دخلت على حبيب أبي محمد، فقال: اقرأ عليَّ، فأخذت مصحفه، فأول ما وقع في يدي :{وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ} [إبراهيم : ١٥]، فجعل يقول:{واستفتحوا}، ويبكي"[(٣)].

وهو في "مسند أحمد" (١٨٤٨٢) و (١٨٥٧٥)، و "صحيح ابن حبان" (٢٠٦). وهو قطعة من الحديث المطول الآتي برقم (٤٧٥٣).

وجمهور العلماء سلفاً وخلفاً على أن عذاب القبر حق يقع على الروح والجسد.

وذهب ابن حزم وابن هبيرة إلى أن السؤال يقع على الروح فقط من غير عود إلى الجسد.

وقال ابن جرير وجماعة من الكرّامية: ان السؤال في القبر يقع على البدن فقط، وإن الله يخلق فيه إدراكاً بحيث يسمع ويعلم ويلذُّ ويألم.

وذهب بعض المعتزلة كالجبائي إلى أنه يقع على الكفار دون المؤمنين. وانظر "فتح الباري" ٣/ ٢٣٣ - ٢٣٥.

اسناده صحيح.

(١) "كشف الأستار"، باب: السؤال في القبر(٨٦٨)ص: ٤١٠/١ ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد:(٤٢٧٢):ص٥٣/٣:" رواه البزار، ورجاله ثقات".

(٢) رواه الترمذي(٣١٢١):ص١٤٧/٥، وابن ماجة(٤٢٧٩):ص١٤٣٠/٢، ووأخرجه مسلم (٢٧٩١)، وأحمد في المسند (٢٤٠٦٩)، وابن حبان في صحيحه (٣٣١) و (٧٣٨٠).

إسناده صحيح، قال الترمذي:" هذا حديث حسن صحيح. وروي من غير هذا الوجه عن عائشة".

(٣) ذكره البقاعي في مصاعد النظر للأشراف على مقاصد السور:٢٠١/٢.

سورة « الحِجْر»

سورة «الحِجْر»: هي السورة الرابعة عشر في ترتيب المصحف، نزلت بعدسورة «يوسف»[١]، وعدد آياتها (٩٩) تسع وتسعون بلاخلاف على عدد الأسماء الحسنى، وكلماتها (٦٥٤) ستمائة وأربع وخمسون. وحروفها (٢٧٦٠) ألفان وسبعمائة وستون[٢].

ومجموع فواصل آياتها يجمعها:« ملن»، على اللام منها آيتان: {حِجَارَةً مِنْ سِجِّيل} [الحجر : ٧٤]، {فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيل} [الحجر : ٨٥][٣].

- **أسماء السورة:**
- **اسمها التوقيفي: سورة «الحجر»:**

«الحجر» -بتثليث الحاء-: المنع[٤].و«المحجور»:الممنوع، قال الله تعالى: {وَحِجْرًا مَحْجُورًا} [الفرقان : ٥٣]، أى: "حراما محرما ممنوعا"[٥] ، و"يقال للرجل إذا كان مالكا قاهرا ضابطا له: إنه لذو حجر، ومنه قولهم: حجر الحاكم على فلان"[٦].

و«الحِجْرُ» و«الحُجْرُ»: لغتانِ في معنى «الحرام»؛ ولذا كانت العرب تحتمي من بأس بعضها في الأشهر الحُرُم.

«الحِجْر»: اسم ديار ثمود بوادي القرى، بين المدينة والشام[٧]، وهم قوم صالح النبي-عليه السلام-، وسورة«الحجر»، هو الاسم الذي اشتهرت به فهو توفيقي، وبذلك كتبت في المصاحف وكتب التفسير والحديث، كما جاء في كلام بعض الصحابة:

- إذ روي عن ابن عباس-رضي الله عنه-، قال:" نزلت سورة الحجر بمكة"[٨].
- وعن ابن الزبير-رضي الله عنهما- قال:" نزلت سورة الحجر بمكة"[٩].

- **وجه التسمية:**

اختير اسم السورة من الآية الثمانين، في قوله تعالى:{وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ} [الحجر : ٨٠]، فقد ذكرت الآية قوم صالح بـ«أصحاب الحِجْر», وتناولت السورة الحديث عنهم في خمس آيات, وهي السورة الوحيدة في القرآن التي ذكرتهم بهذه التسمية. و«أصحاب الحِجر» هي منازل ثمود ونبيهم صالح عليه السلام، ومساكنهم موجودة إلى اليوم تحت مسمى مدائن صالح في الأردن.

وقوم صالح[١٠]، وهم قبيلة ثمود وديارهم في الحجر، كانوا أشداء ينحتون الجبال ليسكنوها، فبينما هم آمنون مطمئنون جاءتهم صيحة العذاب في وقت الصباح، قال تعالى:{فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [الحجر : ٨٤].

---

(١) انظر: الكشاف: ٥٦٩/٢.
(٢)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٢٧٢، وتفسير مقاتل بن سليمان:٤٢٣/٢.
(٣)انظر: المصد نفسه والصحيفة نفسها.
(٤) انظر: انظر مجاز القرآن: ٢/ ٧٣ ومعانى الفراء: ٢/ ٢٦٠، والمخصص لابن سيدة:٦٨/٤، وتأويلات أهل السنة:٢٦٩/٤.
(٥) النظم المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المهذب:٢٦٩/١.
(٦) الكشف والبيان:١٩٥/١٠.
(٧) انظر: معجم البلدان:٢٢١/٢.
(٨) أورده السيوطي في الدر المنثور:٦١/٥، وعزاه إلى النحاس وابن مردويه.
(٩) أورده السيوطي في الدر المنثور:٦١/٥، وعزاه إلى ابن مردويه.
(١٠)هو نبي الله ورسوله صالح عليه السلام قيل: هو ابن عبيد بن آسف بن ما شج بن عبيد بن جادر بن ثمود، بعثه الله تعالى إلى ثمود وهي قبيلة مشهورة باسم جدهم ثمود أخي جديس، وهو من العرب العاربة يسكنون الحجر بين الحجاز وتبوك، وكانوا يعبدون الأصنام فدعاهم نبيهم صالح إلى عبادة الله وحده فآمنت طائفة وكفرت طائفة وما زال ينصح لهم فآذوه بالمقال والفعل وهموا بقتله، ثم إنهم طلبوا منه أن يخرج لهم من قلب الجبل ناقة كي يصدقوه فسأل الله ذلك فاستجاب ولكنهم عقروا الناقة فأنزل الله عليهم الصيحة فأهلكتهم ونجى صالحا ومن معه، وذكر أن صالحا عليه السلام إلى الشام فنزل فلسطين، ثم

قال الفيروزآبادي:" ووجه تسميتها بسورة«الحجر»، لاشتمالها على قصتهم، وقوله: {وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ} [الحجر : ٨٠]"[١].

قال المهايمي:" سميت بها لاشتمالها على قوله تعالى:{وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ} [الحجر : ٨٠]، إلى قوله تعالى:{فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [الحجر : ٨٤]، الدال على مؤاخذتهم لمجرد تكذيب الرسل والإعراض عن آيات الله، بأدنى وجوه المؤاخذة، مع غاية تحصنهم، ففيه تعظيم الرسل والآيات"[٢].

وقد ورد لفظ«حجر» في القرآن الكريم-في غير هذه السورة- مرتين:

أ- المرة الأولى في سورة «الأنعام»- قال تعالى:{وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} [الأنعام : ١٣٨]، بمعنى: حرام ممنوع[٣]،وقيل للحرام «حجر»؛ لأنه ممنوع منه، وهو بمعنى المحجور، كما يقال طحن للمطحون، وقطف للمقطوف[٤].

ب- والثانية في سورة«الفجر»، قال تعالى:{هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ} [الفجر : ٥]، بمعنى «عقل»[٥]، وإنما سمى العقل حجرا؛ لأنه يمنع صاحبه من ارتكاب ما لا يجوز، ولهذا سمى حجر البيت حجرا؛ لأنه يمنع من الطواف فيه. و«المحجور عليه» ممنوع من التصرف فى ماله، وحجر عليه الحاكم، أى: منعه التصرف[٦].

وقد ذكر ابن عاشور اسما آخر للسورة، فقال:" والمكتبون في كتاتيب تونس يدعونها سورة ربما لأن كلمة «ربما» لم تقع في القرآن كله إلا في أول هذه السورة"[٧].

ولم يثبت نص صحيح على هذه التسمية، إنما هو مأخوذ من لفظة وقعت في السورة.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها مكية جميعها. قاله ابن عباس[٨]، وابن زبير[٩]، ومقاتل[١٠]، وبه قال ابن قتيبة[١١]، والثعلبي[١٢]، وأبو الليث السمرقندي[١٣]، وابن ابي زمنين[١]، والسمعاني[٢]، وابن عطية[٣]، والبيضاوي[٤]، والنسفي[٥]، والثعالبي[٦]، والفيروزآبادي[٧]، وابن كثير[٨]، والسيوطي[٩]، وغيرهم.

انتقل الى مكة فأقام بها يعبد الله حتى مات وهو ابن ٥٨ سنة، ورد فذكر في القرآن نحو من تسع مرات في سور: الأعراف وهود والشعراء والنمل، وانظر: البخاري بشرحه الفتح، باب قول الله تعالى {وإلى ثمود أخاهم صالحا} ٦/ ٣٧٨-٣٨١، والكامل في التاريخ ١/ ٨٩-٩٣، وابن كثير في البداية والنهاية ١/ ١٣٠-١٣٨، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية لمحمد إسماعيل إبراهيم ٢/ ١٤.

(١) البصائر:٢٧٢/١.
(٢) تفسير المهايمي:٣٩٥/١.
(٣) انظر: البحر المحيط:٦٥٩/٤.
(٤) انظر: النَّظْمُ المُسْتَعْذَبُ فِي تفْسِير غريبِ ألفَاظِ المهَذّبِ:٢٦٩/١.
(٥) انظر: تفسير ابن كثير:٨٠١/٤.
(٦) انظر: النَّظْمُ المُسْتَعْذَبُ فِي تفْسِير غريبِ ألفَاظِ المهَذّبِ:٢٦٩/١.
(٧) التحرير والتنوير:٥/١٤.
(٨) أورده السيوطي في الدر المنثور:٦١/٥، وعزاه إلى النحاس وابن مردويه.
(٩) أورده السيوطي في الدر المنثور:٦١/٥، وعزاه إلى ابن مردويه.
(١٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٤٢٣/٢.
(١١) انظر: غريب القرآن:٢٣٥.
(١٢) انظر: الكشف والبيان:٢٣٠/٥.
(١٣) انظر: بحر العلوم:٢٥٠/٢.

قال ابن الجوزي:" هي مكية كلها من غير خلاف نعلمه"[10].
قال العز بن عبدالسلام:"سورة الحجر مكية اتفاقا"[11].
قال الفيروزآبادي:" السورة مكية إجماعا"[12].
قال ابن عاشور:" وهي مكية كلها وحكي الاتفاق عليه"[13].

والثاني: أنها مكية إلا آية واحدة، هي:{وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (٨٧)} [الحجر : ٨٧]. قاله الحسن[14]، وبه قال الزمخشري[15]، والفخر الرازي[16]، وأبو السعود[17].

قال ابن عاشور: وذلك" بناء على أن سبعا من المثاني هي سورة الفاتحة وعلى أنها مدنية. وهذا لا يصح، لأن الأصح أن الفاتحة مكية"[18].

الثالث: أنها مكية إلا آيتين منها، وهما: {كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ (٩٠) الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ (٩١)} [الحجر : ٩٠ - ٩١]. ذكره ابن عاشور[19].

قال ابن عاشور:" واستثناء قوله تعالى: {كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ (٩٠) الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ (٩١)} [الحجر : ٩٠ - ٩١] بناء على تفسيرهم «المقتسمين» بأهل الكتاب وهو صحيح، وتفسير «جعلوا القرآن عضين» أنهم قالوا: ما وافق منه كتابنا فهو صدق وما خالف كتابنا فهو كذب. ولم يقل ذلك إلا يهود المدينة، وهذا لا نصححه"[20].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

من وجوه المناسبة بين السورتين:

١- إنها افتتحت بمثل ما افتتحت به سابقتها من وصف الكتاب المبين.

قال ابن عجيبة:" ومناسبتها لما قبلها: قوله تعالى: {هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاس} [إبراهيم : ٥٢]، مع قوله جل جلاله:{تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ} [الحجر : ١]، فهي تتميم لعنوان القرآن، وتفسير له"[21].

٢- إنها شرحت أحوال الكفار يوم القيامة وتمنيهم أن لو كانوا مسلمين كما كانت السالفة كذلك.

---

(١) انظر: تفسير ابن ابي زمنين:٣٧٩/٢.
(٢) انظر: تفسير السمعاني:١٢٨/٣.
(٣) انظر: المحرر الوجيز:٣٤٩/٣.
(٤) انظر: تفسير البيضاوي:٢٠٦/٣.
(٥) انظر: تفسير النسفي:١٨٢/٢.
(٦) انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن:٣٩٣/٣.
(٧) البصائر:٢٧٢/١.
(٨) انظر: تفسير ابن كثير:٥٢٤/٤.
(٩) انظر: الدر المنثور:٦١/٥.
(١٠) زاد المسير:٥٢٢/٢.
(١١) تفسير العز بن عبدالسلام:١٧٠/٢.
(١٢) البصائر:٢٧٢/١.
(١٣) التحرير والتنوير:٥/١٤.
(١٤) انظر: التحرير والتنوير:٥/١٤.
(١٥) انظر: الكشاف:٥٦٩/٢.
(١٦) انظر: مفاتيح الغيب:١١٦/١٩.
(١٧) انظر: تفسير أبي السعود:٦٣/٥.
(١٨) التحرير والتنوير:٥/١٤.
(١٩) انظر: التحرير والتنوير:٥/١٤.
(٢٠) التحرير والتنوير:٥/١٤.
(٢١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد:٧٧/٣.

٣- إن فب كل منهما وصف السموات والأرض.
٤- إن في كل منهما قصصا مفصلا عن إبراهيم عليه السلام.
٥- إن في كل منهما تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم بذكر ما لاقاه الرسل السالفون من أممهم وكانت العاقبة للمتقين(١).

- **أغراض السورة ومقاصدها**

لم تشذ سورة الحِجر في سياقها ومضمونها عن السور المكية السابقة لها؛ فإن السور المكية تشتمل على جمل من أصول الدين كالتوحيد والمعاد, وإنذار المشركين والعاصين والظالمين, إضافة إلى ما يحمله تاريخ الأقوام السالفة من دروس العبرة والموعظة .

ويمكننا تلخيص المقاصد التي تضمنتها هذه السورة، ودارت حولها وفق التالي :

١- أن طبيعة هذا الكتاب الذي يكذب به المشركون والجاحدون أنه كتاب مبين، يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم، فمن أخذ بما فيه فاز ونجا، ومن أعرض عنه فقد ضل وغوى .
٢- الحث على انتهاز فرصة الالتحاق بقافلة الإسلام والنجاة قبل أن تضيع، ويأتي اليوم الذي يود فيه المعرضون لو كانوا مسلمين؛ فما ينفعهم يومئذ ذلك ، ولن يغني عنهم من عذاب الله من شيء .
٣- تصور السورة الأمل الملهي بصورة إنسانية حية؛ فالأمل البراق ما يزال يخايل لهذا الإنسان، وهو يجري وراءه، وينشغل به، ويغتر فيه، حتى يجاوز المنطقة المأمونة؛ وحتى يغفل عن الله، وعن القدر، وعن الأجل؛ وحتى ينسى أن هنالك واجباً، وأن هنالك محظوراً؛ بل حتى لينسى أن هنالك إلهاً، وأن هنالك موتاً، وأن هناك نشوراً .
٤- بينت السورة أن سنن الله ماضية لا تتخلف؛ وأن هلاك الأمم مرهون بأجلها الذي قدره الله لها، ومترتب على سلوكها الذي تنفذ به سنة الله ومشيئته، قال تعالى:{وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ} [الحجر : ٤]؛ وذلك الكتاب المعلوم والأجل المقسوم، يمنحه الله للقرى والأمم لتعمل، وعلى حسب العمل يكون المصير. فإذا هي آمنت وأحسنت وأصلحت وعدلت، مد الله في أجلها، حتى تنحرف عن هذه الأسس كلها، ولا تبقى فيها بقية من خير يرجى، عندئذ تبلغ أجلها، وينتهي وجودها، إما نهائياً بالهلاك والدثور، وإما وقتياً بالضعف والفتور .
٥- أن القرآن الكريم محفوظ بحفظ الله له، ونصوصه باقية كما أنزلها الله؛ وهي حجة على كل محرف وكل مؤول؛ وحجة باقية كذلك على ربانية هذا الكتاب المحفوظ .
٦- بينت السورة نموذج الإنسان حين تفسد فطرته، وتستغلق بصيرته، وتتعطل فيه أجهزة الاستقبال والتلقي، وينقطع عن الوجود الحي من حوله، وعن إيقاعاته وإيحاءاته، قال تعالى:{وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ (١٥)} [الحجر : ١٤ - ١٥] .
٧- أن الجمال غاية مقصودة في خلق هذا الكون، وهو الذي ينتظم مظاهر الكون جميعاً، وينشأ من تناسقها جميعاً. وأن هذا الجمال الباهر فيها محفوظ، لا يناله دنس ولا رجس، ولا يعبث فيه شيطان، إلا طورد وحيل بينه وبين ما يريد .
٨- أن أرزاق العباد -ككل شيء- مقدرة في علم الله، تابعة لأمره ومشيئته، يصرفها حيث يشاء وكما يريد، في الوقت الذي يريد، حسب سنته التي ارتضاها، وأجراها في الناس والأرزاق، قال تعالى:{وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (٢٠) وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢١)} [الحجر : ٢٠ - ٢١]. فما من مخلوق يقدر على شيء، أو يملك شيئاً،

---

(١) انظر: تفسير المراغي:٣/١٤.

إنما خزائن كل شيء عند الله. ينزله على الخلق{بِقَدَرٍ مَعْلُوم} [الحجر : ٢١]، فليس من شيء ينزل جزافاً، وليس من شيء يتم اعتباطاً .

٩- أن الحياة والموت بيد الله وحده، وأن الله هو الوارث بعد الحياة. وأنه سبحانه يعلم من كتب عليهم أن يَستقدِموا فيتوفوا، ومن كتب عليهم أن يؤجلوا فيستأخروا في الوفاة. وأنه هو الذي يحشرهم في النهاية، وإليه المصير .

١٠- أن أصل الإنسان وأصل الحياة كلها من طين هذه الأرض؛ ومن عناصره الرئيسة التي تتمثل بذاتها في تركيب الإنسان الجسدي، وتركيب الأحياء أجمعين. وأن هنالك أطواراً بين الطين والإنسان .

١١- أن المعركة الخالدة والمصيرية بين الشيطان والإنسان في هذه الأرض، تنطلق ابتداء من استدراج الشيطان للإنسان بعيداً عن منهج الله؛ والتزيين له فيما عداه، استدراجه إلى الخروج من الدينونة له في كل ما شرع من عقيدة وتصور، وشعيرة ونسك، وشريعة ونظام .

١٢- أن الذين يدينون لله وحده، ويخلصون له في عبادتهم، ليس للشيطان عليهم من سبيل؛ لأنهم يعلقون أبصارهم بالله، ويدركون ناموسه بفطرتهم الواصلة إلى الله. وإنما سبيل الشيطان على الغاوين والضالين عن منهج الله وطريقه القويم .

١٣- أن المتقين هم الذين يراقبون الله في جميع تصرفاتهم وحركاتهم وسكناتهم، ويقون أنفسهم وأهليهم عذابه وأسبابه، وهؤلاء في جنات النعيم، لا يمسهم فيها نصب، ولا يمسهم فيها لغوب، ولا يخافون منها خروجاً؛ جزاء ما خافوا في الأرض واتقوا، فاستحقوا المقام المطمئن الآمن في جوار الله الكريم .

١٤- قدمت السورة المباركة نماذج من رحمة الله وعذابه، ممثلة في قصص إبراهيم عليه السلام وبشارته على الكبر بغلام عليم، ولوط ونجاته وأهله إلا امرأته من القوم الظالمين، وأصحاب الأيكة، وأصحاب الحجر، وما حل بهم من عذاب أليم .

١٥- أكدت السورة على طبيعة خلق السماوات والأرض وما بينهما. وطبيعة الساعة الآتية لا ريب فيها. وطبيعة الدعوة التي يحملها الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد حملها الرسل قبله، وأن ذلك الحق متلبس بالخلق، صادر عن أن الله هو الخالق لهذا الوجود:{إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨٦)} [الحجر : ٨٦]. فسنة الله ماضية في طريقها لا تتخلف. والحق الأكبر من ورائها متلبس بالدعوة، وبالساعة، وبخلق السماوات والأرض، وبكل ما في الوجود الصادر عن الخلاق العليم .

١٦- بينت السورة أن الحق عميق في تصميم هذا الوجود، عميق في تكوينه، عميق في تدبيره، عميق في مصيره، وما فيه ومن فيه. فكل نتيجة تتم وفق تلك النواميس الثابتة العادلة؛ وكل تغيير يقع في السماوات والأرض وما بينهما يتم بالحق وللحق .

١٧- أن القرآن الكريم من عناصر ذلك الحق، وهو يكشف سنن الخالق، ويوجه القلوب إليها، ويكشف آياته في الأنفس والآفاق، ويستجيش القلوب لإدراكها، ويكشف أسباب الهدى والضلال، ومصير الحق والباطل، والخير والشر، والصلاح والفساد، فهو من مادة ذلك الحق، ومن وسائل كشفه وتبيانه، وهو أصيل أصالة ذلك الحق الذي خلقت به السماوات والأرض، ثابت ثبوت نواميس الوجود، مرتبط بتلك النواميس .

١٨- دعت السورة رسول هذه الأمة صلى الله عليه وسلم ألا يحفل بذلك المتاع الذي آتاه الله لبعض الناس رجالاً ونساء؛ امتحاناً وابتلاء، وألا يلقي إليه نظرة اهتمام، أو نظرة استجمال، أو نظرة تمنٍ، فهو شيء زائل، وزخرف باطل، وأن ما معه من المثاني والقرآن العظيم هو الحق الباقي .

١٩- خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم أن يمضي في طريقه، يجهر بما أمره الله أن يبلغه للناس، لا يقعده عن الجهر بدعوته شرك مشرك، فسوف يعلم المشركون عاقبة أمرهم، ولا يصده عن المضي إلى ما هو بسبيله استهزاء مستهزئ، فقد كفاه الله شر المستهزئين. وهذا الذي يجب على أصحاب

الدعوة الإسلامية، أن يصدعوا بحقيقة هذه الدعوة، لا يخفوا منها شيئاً؛ وأن يصروا عليها مهما لاقوا من بطش الطواغيت، وتململ الجماهير،{وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} [الصف : ٨].

٢٠- خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم أن يسبح بحمد ربه ويعبده، ويلوذ بالتسبيح والحمد والعبادة من سوء ما يسمع من قومه، ولا يفتر عن التسبيح بحمد ربه طوال الحياة، حتى يأتيه الأجل، فيمضي إلى جوار ربه الكريم آمناً مطمئناً[١] .

الناسخ والمنسوخ:

السورة تحتوي من المنسوخ على خمس آيات:

- الآية الأولى قوله تعالى: {ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا} [الحجر : ٣]، نسخت بآية السيف.
- الآية الثانية قوله تعالى: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} [الحجر : ٨٥]، الى قوله: {فَاصْفَحِ } [الحجر : ٨٥]، محكم. وقوله: {فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ} [الحجر : ٨٥]، نسخت بآية السيف وأول الآية محكم.
- الآية الثالثة قوله تعالى {{لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ} [الحجر : ٨٨]، الآية كان هذا قبل أن يؤمر بقتالهم ثم صار ذلك منسوخا بآية السيف.
- الآية الرابعة قوله تعالى:{وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ} [الحجر : ٨٩]، نسخ معناها لا لفظها بآية السيف.
- الآية الخامسة قوله تعالى: {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ} [الحجر : ٩٤]: هذا محكم، وهذه الآية نصفان نصفها محكم ونصفها منسوخ، وهو قوله تعالى: {وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} [الحجر : ٩٤]، نسخ بآية السيف[٢].

- **فضائل السورة:**

ومما وردت به الروايات من فضائل هذه السورة:

- عن عبد الله بن عمرو، قال: "أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أقرئني يا رسول الله، فقال: «اقرأ ثلاثا من ذوات الر»، فقال: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني، قال: «فاقرأ ثلاثا من ذوات حاميم»، فقال مثل مقالته، فقال: «اقرأ ثلاثا من المسبحات»، فقال مثل مقالته، فقال الرجل: يا رسول الله، أقرئني سورة جامعة، فأقرأه النبي -صلى الله عليه وسلم- «إذا زلزلت الأرض» حتى فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها أبدا، ثم أدبر الرجل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أفلح الرويجل» مرتين"[٣].

---

(١) انظر: اسلام ويب[موقع الكتروني].

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١١١-١١٣.

(٣) أخرجه أبو داود في"باب تحزيب القرآن"(١٣٩٩):ص٥٧/٢. والبيهقي في الشعب، في تعظيم القرىن، فصل"في فضائل السور والآيات"(٢٥١٢):ص٤٩٦/٢، والنسائي في عمل اليوم والليلة(٧٢١):ص٢١٦-٢١٧.

وقوله: من ذوات (الر)، أي: من السور التي تبدأ بهذه الأحرف الثلاثة التي تقرأ مقطعة: ألف، لام، را، والذي في القرآن منها خمس سور: يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.

وقوله من ذوات {حم}، أي: من السور التي تبدأ بهذين الحرفين: حا، ميم، وهي في القرآن سبع سور: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.

وقوله: من المسبحات، أي: السور التي أولها سَبَّح ويُسَبحُ وسَبح، وهي الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى.

وحكم الألباني«ضعيف»، انظر: «ضعيف أبي داود» (٢٤٧).

[تعليق شعيب الأرنؤوط]

إسناده صحيح، عيسى بن هلال الصدفي، روى عنه غير واحد وذكره المؤلف في الثقات، وهو صدوق كما قال الحافظ في التقريب(ص٤٤١)، وقال الحاكم:"حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي بقوله:«بل صحيح»، أي:

- أخرج ابن مردويه عن أنس رضي الله عنه:" سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله أعطاني الرائيات[1] إلى الطواسين مكان الإنجيل»"[2]. وهذه السورة مفتتحة بـ«الر».
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «من قرأ الحجر، أعطي من الأجر عشر حسنات، بعدد المهاجرين والأنصار والمستهزئين»[3].
- وروى الطبراني عن أبي موسى رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" إذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة قال الكفار للمسلمين ألم تكونوا مسلمين قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النار قالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فسمع الله ما قالوا فأمر بمن كان في النار من أهل القبلة فأخرجوا فلما رأى ذلك من بقى من الكفار قالوا يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما خرجوا فذلك قوله :{رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ} [الحجر : ٢]"[4].

سورة « النحل»

سورة «النحل»: هي السورة السادسة عشر في ترتيب المصحف، نزلت بعدسورة «الكهف»[5]، وعدد آياتها (١٢٨) مائة وثمانية وعشرون، وكلماتها (٢٨٤٠) ألفان وثمانمائة وأربعون. وحروفها (٧٧٠٧) سبعة آلاف وسبعمائة وسبعة أحرف[6].

ومجموع فواصل آياتها يجمعها: «نمر»، منها اثنتان على «الراء» آخراهما {قَدِيرٌ} [النحل : ٧٠، ٧٧] [7].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: سورة «النحل»:**

وهو اسمها المشهور في المصاحب وكتب التفسير وكتب السنة، إذ وردت تسميتها بسورة«النحل» في كلام الصحابة-رضوان الله عليهم-، وذلك كما يلي:

- عن أبيّ بن كعب، قال: "دخلتُ المسجدَ فصليتُ، فقرأتُ «النحل»،ثم جاء رجل آخر فقرأها على غير قراءتي، ثم جاء رجل آخر فقرأ خِلافَ قراءتِنا، فدخل نفسي من الشكّ والتكذيب أشدُّ مما كنتُ في الجاهلية، فأخذتُ بأيديهما فأتيتُ بهما النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله، استقرئ هذين. فقرأ أحدُهما، فقال: أصبتَ. ثم استقرأ الآخر، فقال: أصبتَ. فدخل قلبي أشدُّ مما كان في الجاهلية من الشكّ والتكذيب، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدري، وقال: أعاذك الله من الشكّ، وأخْسَأ عنك الشيطانَ. قال إسماعيل: ففِضْتُ عرقًا -ولم يقله ابنُ أبي ليلى- قال: فقال: أتاني

فقط من غير أن يكون على شرط الشيخين(٥٨٠/٢)، وأورده الفسوي في تاريخه: ٢/ ٥١٥ - ٥١٦ في ثقات التابعين من أهل مصر، وباقي رجاله ثقات من رجال الصحيح.

(١)الرائيات: هي السور المبدوءة ب «الر».

(٢) الدر المنثور:٣٣٩/٤.

الرائيات: هي السور المبدوءة بـ«الر» والطواسين: هي السور المبدوءة بـ «طسم» أو «طس».

(٣) أخرجه الواحدي في التفسير الوسيط(٥٠٣):ص٣٨/٣، وانظر: تفسير الثعلبي:٣٣٠/٥، رواه من طريق أبى الخليل عن على بن زيد عن زر بن حبيش عن أبى بن كعب.

(٤)أخرجه ابن أبى عاصم (٤٠٥/٢، رقم ٨٤٣) ، وابن جرير فى التفسير (١١٠٥):ص١٨٠/٢ ، والحاكم (٢٦٥/٢، رقم ٢٩٥٤) ،

وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبى. والبيهقى فى البعث والنشور (ص ٩١، رقم ٧٩) . وعزاه ابن كثير فى التفسير.

(٥) انظر: الكشاف: ٥٩٢/٢.

(٦)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٢٧٨.

(٧)انظر: المصد نفسه والصحيفة نفسها.

جبريلُ فقال: اقرأ القرآن على حرف واحد. فقلت: إن أمتي لا تستطيعُ. حتى قال سبع مرات، فقال لي: اقرأ على سبعة أحرفٍ، ولك بكل ردة رُدِدتها مسألة. قال: فاحتاجَ إليّ فيها الخلائق، حتى إبراهيم صلى الله عليه وسلم"[1].

- عن عطاء بن يسار، قال: "نزلت سورة النحل كلها بمكة، وهي مكية، إلا ثلاث آيات في آخرها نزلت في المدينة بعد أُحد، حيث قُتِل حمزة ومُثِّل به، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَئِنْ ظَهَرْنا عَلَيْهِمْ لَنُمَثِّلَنَّ بِثَلاثِينَ رَجُلا مِنْهُمْ»، فلما سمع المسلمون بذلك، قالوا: والله لئن ظهرنا عليهم لنمثلنّ بهم مُثْلة لم يمثِّلها أحد من العرب بأحد قطُّ فأنزل الله :{وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ} ... إلى آخر السورة"[2].
- قال ابن عباس: "نزلت سورة النحل بمكة"[3].

- **وجه التسمية:**

سميت سورة«النحل»، لما فيها من عجائب ذكر النحل التي تشير إلى عجيب صنع الخالق، ولفظ«النحل» لم يذكر في القرآن إلا في هذه السورة، وذلك في قوله تعالى:{وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ} [النحل : ٦٨].

قال المهايمني:"سميت بها لاشتمالها على قوله تعالى: {وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ}، المشير إلى أنه لا يستبعد أن يلهم الله -عز وجل- بعض خواص عباده أن يستخرجوا الفوائد الحلوة الشافية في هذا الكتاب، بحمل كلماته على مواضع الشرف، وعلى المعاني المثمرة، وعلى التصرفات العالية..."[4].

وقال القاسمي: "تسمية السورة بذلك تسمية بالأمر المهم، ليتفطن الغرض الذي يرمي إليه، كالجمعة لأهمية الاجتماع الأسبوعي، وما ينجم عنه من مصالح الأمور العامة، والحديد لمنافعه العظيمة والعنكبوت والنحل والنمل للتفطن لصغار الحيوانات الحكيمة الصنع، وهكذا"[5].

- **ثانيا:- اسمها الإجتهادي: سورة«النعم»:**

وسماها سورة «النِعَم»-بكسر النون وفتح العين قتادة كما أخرج عنه ابن أبي حاتم،

عن قتادة :"{وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا}[6]، قال: من الشجر ومن غيرها، {وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا}[7]، قال: غارات يسكن فيها. { وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُم}[8]، من القطن والكتان والصوف، {وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ}[9]، من الحديد، {كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ}[10]، ولذلك هذه السورة تسمى سورة النعم"[11].

وروى حماد عن علي بن زيد قال: "كان يقال لسورة النحل: سورة النعم، يريد لكثرة تعداد النعم فيها"[12].

---

(١) اخرجه الطبري(٣٢):ص١/٣٧، وانظر: الدر المنثور:٥/١٠٨.
(٢) أخرجه الطبري:١٧/٣٢٣.
(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور:٥/١٠٧، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٤) تفسير المهايمي:١/٤٠٣.
(٥) محاسن التأويل:١٠/٧٦.
(٦)[النحل : ٨١].
(٧)[النحل : ٨١].
(٨)[النحل : ٨١].
(٩)[النحل : ٨١].
(١٠)[النحل : ٨١].
(١١) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٦١٧):ص٧/٢٢٩٥.
(١٢) زاد المسير:٢/٥٤٨.

وعدها السخاوي[١]، والسيوطي[٢]، اسما للسورة وأضاف إليها الكلبي[٣]، والسخاوي[٤]: «سورة النعيم»[٥].

كما ذكرها كثير من المفسرين في كتبهم، كيحيى بن سلام[٦]، والماتريدي[٧]، وأبو الليث[٨]، ومكي بن ابي طالب[٩]، والماوردي[١٠]، والسمعاني[١١]، والزمخشري[١٢]، وابن عطية[١٣]، وابن الجوزي[١٤]، والرازي[١٥]، والقرطبي[١٦]، والخازن[١٧]، وابن كثير[١٨]، وابن رجب الحنبلي[١٩]. والبقاعي[٢٠]، وغيرهم.

- **وجه التسمية:**

قال الزركشي:" تسمى سورة «النعم»، لما عدد الله فيها من النعم على عباده"[٢١].

قال السعدي:" هذه السورة تسمى سورة «النعم»، فإن الله ذكر في أولها أصول النعم وقواعدها، وفي آخرها متمماتها ومكملاتها، فأخبر أنه خلق السماوات والأرض بالحق، ليستدل بهما العباد على عظمة خالقهما، وما له من نعوت الكمال ويعلموا أنه خلقهما مسكنا لعباده الذين يعبدونه، بما يأمرهم به في الشرائع التي أنزلها على ألسنة رسله"[٢٢].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على أقوال:

أحدها: أنها مكية جميعها. قاله ابن عباس[٢٣]، وابن الزبير[٢٤]، والحسن[١]، وعكرمة[٢]، ومجاهد[٣]، وعطاء[٤]، وجابر[٥]، وعطية[٦]، وحكاه الأصم عن بعضهم[٧]، وبه قال مكي بن أبي طالب[٨]، وابو الليث[٩]، وابن كثير[١٠]، والسيوطي[١١].

---

(١) انظر: جمال القراء وكمال الإقراء:٩١.
(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن: ١٩٣/١.
(٣) انظر: تفسير العز بن عبدالسلام:٢٠٠/٢.
(٤) انظر: جمال القراء وكمال الإقراء:٩١.
(٥) انظر: تفسير العز بن عبدالسلام:٢٠٠/٢.
(٦) انظر: تفسيره: ٨٠/١.
(٧) انظر تأويلات أهل السنة:٥٥٠/٦.
(٨) انظر: بحر العلوم:٢٨٥/٢.
(٩) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية:٣٩٤٤/٦.
(١٠) انظر: النكت والعيون:٢٠٧/٣.
(١١) انظر: تفسيره:١٥٨/٣.
(١٢) انظر: الكشاف:٥٩٢/٢، .
(١٣) انظر: المحرر الوجيز:٣٧٧/٣.
(١٤) انظر: زاد المسير:٥٤٨/٢.
(١٥) انظر: مفاتيح الغيب:١٦٧/١٩.
(١٦) انظر: التفسير:٦٥/١٠.
(١٧) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل: ٦٦/٣.
(١٨) تفسيره:٥٩١/٤.
(١٩) انظر: تفسيره:٢٧٤/٢.
(٢٠) انظر: نظم الدرر:٤٢٣/١٠.
(٢١) البرهان في علوم القرآن:٢٦٩/١.
(٢٢) تفسير السعدي:٤٣٥.
(٢٣) أورده السيوطي في الدر المنثور:١٠٧/٥، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٢٤) أورده السيوطي في الدر المنثور:١٠٧/٥، وعزاه إلى ابن مردوية.

قال ابن عاشور:" هي مكية في قول الجمهور"[١٢].
والثاني: أنها مكية إلا آية واحدة، وهي قوله: {وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا} [النحل: ١٢٦] الآية. قاله الشعبي[١٣].
الثاني: أنها مكية إلا ثلاث آيات نزلت في مدينة، ثم اختلف فيهن، على ثلاثة أقوال:
القول الأول: أن الآيات الثلاث: من قوله: {وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا} [النحل: ١٢٦] إلى آخر السورة[١٤].
قاله ابن عباس[١٥]، وعطاء بن يسار[١٦]، والشعبي[١٧]، وبه قال السمعاني[١٨]، والزمخشري[١٩]، والرازي[٢٠]، والفيروزآبادي[٢١].
أخرج النحاس من طريق مجاهد عن ابن عباس قال: "سورة النحل نزلت بمكة سوى ثلاث آيات من آخرها فانهن نزلن بين مكة والمدينة في منصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد"[٢٢].
القول الثاني: أن الآيات الثلاث، هي: قوله تعالى: {وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا} [النحل: ١٢٦] نزلت بالمدينة في شأن التمثيل بحمزة وقتلى أحد، وقوله تعالى :{وَاصْبِرْ وَما صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ} [النحل: ١٢٧] ، وقوله {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هاجَرُوا}، [النحل: ١١٠]. قاله ابن عطية[٢٣].

- القول الثالث:أن الآيات الثلاث، هي من قوله تعالى:{وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [النحل : ٩٥]، إلى قوله:{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل : ٩٧]. وهذا مروي عن ابن عباس ايضا[٢٤].

---

(١) انظر: زاد المسير:٥٤٨/٢، وتفسير القرطبي:٦٥/١٠.
(٢) انظر: زاد المسير:٥٤٨/٢، وتفسير القرطبي:٦٥/١٠.
(٣) انظر: زاد المسير:٥٤٨/٢.
(٤) انظر: زاد المسير:٥٤٨/٢، وتفسير القرطبي:٦٥/١٠.
(٥) انظر: تفسير القرطبي:٦٥/١٠.
(٦) انظر: زاد المسير:٥٤٨/٢.
(٧) انظر: مفاتيح الغيب:١٦٧/١٩.
(٨) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٩٤٣/٦.
(٩) انظر: بحر العلوم:٢٦٥/٢.
(١٠) انظر: تفسير ابن كثير:٥٥٥/٤.
(١١) انظر: الدر المنثور:١٠٧/٥.
(١٢) التحرير والتنوير:٩٣/١٤.
(١٣) حكاه عنه أبو الليث في بحر العلوم:٢٦٥/٢، وقال:" أخبرنا الثقة بإسناده عن الشعبي...".
(١٤) وهي:{وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (١٢٦) وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (١٢٨)} [النحل : ١٢٦ - ١٢٨].
(١٥) اورده السيوطي في الر المنثور:١٠٧/٥، وزاد نسبته إلى النحاس من طريق مجاهد، وانظر: الهداية إلى بلوغ النهاية:٣٩٤٣/٦.
(١٦) أخرجه الطبري:٣٢٣/١٧.
(١٧) انظر: زاد المسير:٥٤٨/٢.
(١٨) انظر: تفسير السمعاني:١٥٨/٣.
(١٩) انظر: الكشاف:٥٩٢/٢.
(٢٠) انظر: مفاتيح الغيب:١٦٧/١٩.
(٢١) انظر: البصائر:٢٧٨/١.
(٢٢) الدر المنثور:١٠٧/٥.
(٢٣) انظر: المحرر الوجيز:٣٧٧/٣.
(٢٤) انظر: زاد المسير:٢/ ٥٤٨.

الثالث: أنها مكية إلا أربع آيات نزلت بالمدينة: قوله: {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ} [النحل : ٤١] الآية، وقوله:{إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا} [النحل : ١١٠] الآية، وقوله: وقوله تعالى: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا} [النحل : ١٢٦]، وقوله:{وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ} [النحل : ١٢٧] إلى آخرها. وهذا قول ابن عباس(١).

الرابع: أنها مكية إلا خمس آيات، ثم اختلف فيهن، على قولين:

القول الأول: أن الآيات الخمس، هي قوله تعالى: {وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا} [النحل : ٩٥] ... الآيتين، ومن قوله: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ} [النحل : ١٢٦] ... إلى آخرها. وهذا قول قتادة(٢).

القول الثاني: أن الآيات الخمس، هي، من قوله تعالى: {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا} [النحل : ٤١] الآية، وقوله تعالى:{ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا} [النحل : ١١٠] الآية، وقوله تعالى: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ} [النحل : ١٢٦] ... إلى آخرها. وهذا قول ابن السائب(٣).

الخامس: أنها مكية إلا سبع آيات، وهي: {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا} [النحل : ١١٠] الآية، وقوله تعالى:{مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ} [النحل : ١٠٦]، الآية، وقوله تعالى:{وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ} [النحل : ٤١] الآية، وقوله تعالى:{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً} [النحل : ١١٢] الآية، وقوله تعالى: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ} [النحل : ١٢٦] ... إلى آخرها. فإن هذه الآيات مدنيات. وهذا قول مقاتل(٤).

السادس: أن أول أربعين آية مكية، وبقيتها نزلت بالمدينة، قاله جابر بن زيد(٥).

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

قال المراغي:" ووجه ارتباطها بما قبلها أنه لما قال فى السورة السالفة: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} [الحجر : ٩٢]، كان ذلك تنبيها إلى حشرهم يوم القيامة وسؤالهم عما فعلوه فى الدنيا، فقيل: {أَتَى أَمْرُ اللهِ} [النحل : ١]، وأيضا فإن قوله فى آخرها: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} [الحجر : ٩٩]، شديد الالتئام بقوله: {أَتَى أَمْرُ اللهِ} [النحل : ١]"(٦).

- **أغراض السورة ومقاصدها**

لقد ركزت مقاصد سورة «النحل» على موضوعات العقيدة الكبرى: الألوهية، والوحي، والبعث. وألمت بمقاصد جانبية أخرى تتعلق بتلك الموضوعات الرئيسة. فمن أهم الحقائق التي أبرزتها السورة حقيقة الوحدانية الكبرى، التي تصل بين دين إبراهيم عليه السلام ودين محمد صلى الله عليه وسلم. وأبرزت أيضاً حقيقة الإرادة الإلهية والإرادة البشرية فيما يختص بالإيمان والكفر والهدى والضلال. وبينت وظيفة الرسل، وسنة الله في المكذبين لهم. وموضوع التحليل والتحريم وأوهام الوثنية. وتحدثت عن الهجرة في سبيل الله، وفتنة المسلمين في دينهم، والكفر بعد الإيمان، وجزاء هذا كله عند الله. وبالإضافة لموضوعات العقيدة، فقد قصدت السورة إلى بيان موضوعات المعاملة: العدل، والإحسان، والإنفاق، والوفاء بالعهد، وغيرها من موضوعات السلوك القائم على العقيدة.

ويمكن إجمال المقاصد التي دارت حولها آيات هذه السورة وفق التالي :

١- ذكر النعم التي أنعم الله بها على عباده، وتفصيلها بما يثير دافع الشكر؛ ليقترب الإنسان من المنعم. كنعمة السمع والبصر، ونعمة الزوجة والولد، ونعم المطر والأنعام، ونعمة الملجأ الذي يقي الحر والبرد ...

---

(١) حكاه عنه أبو الليث في بحر العلوم:٢/٢٦٥.

(٢) انظر: زاد المسير:٢/ ٥٤٨.

(٣) انظر: زاد المسير:٢/ ٥٤٨.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٢/٤٥٧-٤٥٨.

(٥) انظر: زاد المسير:٢/ ٥٤٨.

(٦) انظر: تفسير المراغي:١٤/٥١.

٢- الحديث عن أدلة التوحيد؛ وذلك ببيان عظمة ما خلق سبحانه، وحقيقة المعاد والحساب، وإنذار المشركين باقتراب يوم الحساب والعذاب. وتعليل عدم إيمان الذين لا يؤمنون بالآخرة؛ بأن{قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ} [النحل : ٢٢]، فالجحود صفة كامنة فيها، تصدهم عن الإقرار بالآيات البينات؛{وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ} [النحل : ٢٢] ، فالاستكبار يصدهم عن الإذعان والتسليم .
٣- عرضت السورة نموذجاً بشريًّا للناس حين يصيبهم الضر، فيجأرون إلى الله وحده، {ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ} [النحل : ٥٣]، حتى إذا كشف عنهم الضرر، راحوا يشركون بخالقهم وكاشف كروبهم:{ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ} [النحل : ٥٤].
٤- بيان جملة من الأحكام الشرعية العامة من قبيل: الأمر بالعدل، والإحسان، والنهي عن الفحشاء والمنكر، وخلف العهد، والهجرة، والجهاد، إضافة إلى الدعوة إلى شكر المُنعم على نعمه الجزيلة، التي لا تعد ولا تحصى .
٥- تحدثت السورة عن إبراهيم عليه السلام، ووصفته بأنه:{كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِين} [النحل : ١٢٠].
٦- تحدثت عن بدع المشركين، كاتخاذ الأنداد من دون الله،{وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ} [النحل : ٧٣]، ووأد البنات{وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ} [النحل : ٥٨].
٧- ذكرت بعض آداب قراءة القرآن، وهو الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم؛ لطرد شبحه من مجلس القرآن الكريم، وحذرت الناس من وساوس الشيطان، {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} [النحل : ٩٨].
٨- ذكرت السورة بعض تقولات المشركين عن القرآن؛ فمنهم من يرمي الرسول صلى الله عليه وسلم بافترائه على الله، {قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُون} [النحل : ١٠١]. ومنهم من يقول: إن غلاماً أعجمياً هو الذي يعلمه هذا القرآن{يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ} [النحل : ١٠٣].
٩- أرشدت السورة الدعاة إلى الله إلى أن تكون دعوتهم بالتي هي أحسن، لا بالتي هي أعنف، كي لا ينفّروا الناس عن هذا الدين، الذي ارتضاه سبحانه للناس أجمعين .
١٠- قررت السورة مبدأ العقوبة بالمثل، وزادت عليه بطلب العفو، والصبر على الأذى .
١١- خُتمت السورة ببيان أن الله سبحانه مع عباده المتقين، الذين يلتزمون أحكامه، ولا يتجاوزون حدوده. وأنه مع عباده المحسنين، الذين يحسنون لأنفسهم بتقديم الطاعات والقربات، ويحسنون لغيرهم بحسن الأخلاق والمعاملات [١] .

الناسخ والمنسوخ:

تحتوي من المنسوخ على أربع آيات بإجماع، وخمس آيات بخلاف:

- الآية الأولى: قوله تعالى:{وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا} [النحل : ٦٧]، أي: وتعدلون عن الرزق الحسن وهذه الآية ظاهرها التعداد بالنعمة وباطنها توبيخ وتعيير ونسخت بالآية التي في سورة المائدة وهي قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ} [المائدة : ٩٠] الى قوله {لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون} [المائدة : ٩٠]، وموضع التحريم قوله تعالى:{فَاجْتَنِبُوهُ } [المائدة : ٩٠]. وقيل موضع التحريم قوله تعالى:{فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُون} [المائدة : ٩١].
- الآية الثانية: قوله تعالى:{فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} [النحل : ٨٢]، نسخت بآية السيف.
- الآية الثالثة: قوله تعالى:{مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِه} [النحل : ١٠٦]، ثم استثنى :{إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَان} [النحل : ١٠٦]، نسخها آخرها ويقال آية السيف، نزلت في فقراء المسلمين

---

(١) انظر: اسلام ويب. [موقع الكتروني].

الذين كانوا المشركون يعذبونهم ثم نسخها الله تعالى بقوله:{إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ} [النساء : ٩٨]، في سورة النساء.

- الآية الرابعة: قوله تعالى:{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ} [النحل : ١٢٥]، هذا محكم،{وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النحل : ١٢٥]: منسوخ نسختها آية السيف، وقيل بل آية القتال.
- الآية الخامسة: قوله تعالى:{وَاصْبِرْ } [النحل : ١٢٧]، نسخ الصبر بآية السيف[١].

- **فضائل السورة:**

ومما وردت به الروايات من فضائل هذه السورة:

- عن أبي بن كعب، قال: "قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بالنعيم الذي أنعم عليه في دار الدنيا، وأعطي من الأجر كالذي مات فأحسن الوصية»"[٢].

قال الفيروزآبادي:" روى المفسرون فى فضل السورة أحاديث ساقطة..."[٣]. ثم ساق بعض الاحاديث من ضمنها الحديث السابق.

- عن جويرية بن بشير الهجيمي قال: "سمعت الحسن، قرأ يوما هذه الآية: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ} [النحل : ٩٠] إلى آخرها ثم وقف فقال: إن الله عز وجل جمع لكم الخير كله، والشر كله في آية واحدة فوالله ما ترك العدل، والإحسان من طاعة الله شيئا إلا جمعه، ولا ترك الفحشاء، والمنكر والبغي، من معصية الله شيئا إلا جمعه "[٤].
- أخرج الإمام أحمد بسند حسن ، عن عثمان بن أبي العاص، قال: "كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا إذ شخص ببصره ثم صوبه حتى كاد أن يلزقه بالأرض، قال: ثم شخص ببصره فقال: «أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة» {إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون} [النحل: ٩٠]"[٥].
- عن قتادة، قال: "ذكر لنا أن هَرِم بن حَيان العَبْدِي لما حضره الموت، قيل له: أوص، قال: ما أدري ما أُوصي، ولكن بيعوا درعي، فاقضوا عني ديني، فإن لم تف، فبيعوا فرسي، فإن لم يف فبيعوا غلامي، وأوصيكم بخواتيم سورة النحل {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ} ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية قال: «بَلْ نَصبِر»"[٦].

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١١٣-١١٤.

(٢) أخرجه الواحدي في التفسير الوسيط(٥١٤):ص٥٥/٣، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان:٢٤١/٣، والزمشري في الكشاف:٦٤٥/٢، والبيضاوي في التفسير:٢٤٦/٣، وغيرهم.

وذكره المستغفري في فضائل القرآن(١١٨٢):ص٧٧٩/٢. بلفظ: «من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله تعالى يوم القيامة بما أنعم عليه في دار الدنيا فإن مات يوم تلاها أو ليلة تلاها كان له من الأجر كالذي مات فأحسن الوصية».

قال الفيروزآبادي :" روى المفسرون فى فضل السورة أحاديث ساقطة. منها حديث أبى الواهى: من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بالنعم التى أنعم عليه فى دار الدنيا، وأعطى من الأجر كالذى مات فأحسن الوصية". وعن جعفر :"أن من قرأ هذه السورة فى كل شهر كفى عنه سبعون نوعا من البلاء، أهونها الجذام والبرص، وكان مسكنه فى جنة عدن وسط الجنان". وحديث على: "يا على من قرأ سورة النحل فكأنما نصر موسى وهارون على فرعون، وله بكل آية قرأها مثل ثواب أم موسى". البصائر: ٢٨٧/١.

(٣) البصائر:٢٨٧/١.

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان(١٣٨):ص٢٩٥/١.

(٥) المسند(١٧٩١٨):ص٤٤١/٢٩.

(٦) أخرجه الطبري:٣٢٧/١٧.

- روي البخاري عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، "قرأ يوم الجمعة على المنبر بسورة النحل حتى إذا جاء السجدة نزل، فسجد وسجد الناس حتى إذا كانت الجمعة القابلة قرأ بها، حتى إذا جاء السجدة، قال: «يا أيها الناس إنا نمر بالسجود، فمن سجد، فقد أصاب ومن لم يسجد، فلا إثم عليه ولم يسجد عمر رضي الله عنه» وزاد نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما، «إن الله لم يفرض السجود إلا أن نشاء»[1].

(١) صحيح البخاري(١٠٧٧):ص٤٢/٢.

سورة « الإسراء»

سورة «الإسراء»: هي السورة «السابعة عشر» في ترتيب المصحف، نزلت بعدسورة: «القصص»[(١)]، وعدد آياتها: (١١١) مائة وإحدى عشرة، وقيل: (١١٠) مائة وعشرة، وكلماتها: (١٥٦٣) ألف وخمسمائة وثلاث وستون، وحروفها: (٦٤٦٠) ستة آلاف وأربعمائة وستون[(٢)].

والمختلف فيها آية واحدة:{لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا} [الإسراء : ١٠٧].

وفواصل آياتها «ألف» إلا الآية الأولى[(٣)]، فإنها «راء»[(٤)].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: سورة «الإسراء»:**

«الإسراء» لغة: السير ليلا، يقال: أسرى يسري إسراء ويأتي لازما فيقال: سرى الرجل ويأتي متعديا فيقال: أسرى به[(٥)].

وهو اسمها المشهور في المصاحب وكتب التفسير، ولم نقف على أحاديث تدل على تسمية الرسول-صلى الله عليه وسلم- أو صحابته هذه السورة باسم سورة«الإسراء»، وإنما اشتهرت به، وكتبت في المصاحف، منذ تدوين اسماء السور في اوائلها، ومن المفسرين الذين صرحوا بتسميتها بسورة «الإسراء»، مثل: الأخفش[(٦)]، وأبو الليث السمرقندي[(٧)]، والقاسمي[(٨)]، والألوسي[(٩)]، والسخاوي[(١٠)]، وغيرهم.

- **وجه التسمية:**

وجه تسميتها بسورة «الإسراء»، أنها افتتحت بذكر قصة إسراء الرسول-صلى الله عليه وسلم- من مكة إلى القدس ليلا على البراق[(١١)]، فقال تعالى:{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الإسراء : ١]، وقصة الإسراء هي المعجزة الباهرة التي خص الله تعالى بها نبيه تشريفا له، وقد اختصت هذه السورة بذكر هذه الحادثة فسميت بها.

- **ثانيا:- اسمهاؤها الإجتهادية:**
- **الاسم الأول: سورة «بني إسرائيل»:**

اشتهرت بسورة «بني إسرائيل»، ودوّن هذا الاسم في كثير من المصاحف، وقد ثبت تسميتها في الأحاديث الصحيحة في كلام الصحابة-رضوان الله عليهم-، منها:

- عن عبد الرحمن بن يزيد، قال: سمعت ابن مسعود رضي الله عنه، قال: " في بني إسرائيل، والكهف، ومريم: إنهن من العتاق الأول، وهن من تلادي"[(١٢)].

---

(١) انظر: الكشاف: ٦٤٦/٢، ومفاتيح الغيب: ٢٩١/٢٠

(٢)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٢٨٨.

(٣) وهي قوله تعالى:{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الإسراء : ١].

(٤) انظر: الكشاف: ٥٩٢/٢.

(٥) انظر: العين(سري):ص٢٩١/٧، واللسان:٣٨١/١٤.

(٦) انظر: معاني القرآن:٤٢١/٢.

(٧) انظر: بحر العلوم: ٢٩٩/٢.

(٨) انظر: محاسن التأويل: ٤٢٧/٦.

(٩) انظر: تفسير المنار: ٢/١٥.

(١٠) انظر: جمال القراء: ٣٧/١.

(١١) انظر: تفسير ابن كثير:٤٢/٥.

(١٢) صحيح البخاري(٤٧٠٨):ص٨٢/٦.

«العتاق»: بكسر المهملة وتخفيف المثناة جمع «عتيق»، وهو القديم أو هو كل ما بلغ الغاية في الجودة وبالثاني جزم جماعة

- عن أبي لبابة، قال: "قالت عائشة: كان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ بني إسرائيل والزمر"[١].
- عن ابي عمرو الشيباني، قال:" صلى بنا عبدالله الفجر، فقرأ بسورتين الآخرة منها بنو إسرائيل"[٢].
- عن ابن عباس-رضي الله عنهما، قال:"نزلت سورة بني إسرائيل بمكة"[٣].

كما عنون لها بعض المفسرين في تفاسيرهم كمقاتل[٤]، والطبري[٥]، والزجاج[٦]، والماتريدي[٧]، والثعلبي[٨]، ومكي بن ابي طالب[٩]، والسمعاني[١٠]، وابن الجوزي[١١]، والرازي[١٢]، والبيضاوي[١٣]، والنسفي[١٤]، والشوكاني[١٥]، والالوسي[١٦]، والسعدي[١٧]، وابن عاشور[١٨]، والشنقيطي[١٩]، وغيرهم.

وترجم لها البخاري [٢٠]، والترمذي[٢١]، والحاكم[٢٢]، وورد هذا الاسم في كتب علوم القرآن مثل جمال القراء[٢٣]، والبصائر[٢٤]، ونظم الدرر[٢٥]، والإتقان[٢٦].

ولم نقف على حديث مرفوع إلى النبي-صلى الله عليه وسلم- سماها بسورة«بني إسرائيل».

- **وجه التسمية:**

في هذا الحديث وبالأول جزم أبو الحسين بن فارس وقوله الأول بتخفيف الواو وقوله :«هن من تلادي» بكسر المثناة وتخفيف اللام، أي: مما حفظ قديما و«التلاد»: قديم الملك، وهو بخلاف الطارف، ومراد بن مسعود أنهن من أول ما تعلم من القرآن وأن لهن فضلا لما فيهن من القصص وأخبار الأنبياء والأمم". [فتح الباري:٣٨٨/٨]

(١) أخرجه الترمذي(٢٩٢٠): ص٣١/٥. وقال:« هذا حديث حسن غريب، وأبو لبابة هذا شيخ بصري قد روى عنه حماد بن زيد غير حديث، ويقال اسمه: مروان. حدثنا بذلك محمد بن إسماعيل في كتاب التاريخ». تحقيق الالباني: صحيح، الصحيحة (٦٤١).

(٢) أخرجه ابن ابي شيبة في مصنفه، كتاب الصلوات، باب"ما يقرأ في صلاى الفجر":ص٣٥٤/١.

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثرو:١٨١/٥، وعزاه للنحاس وابن مردويه.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥١٢/٢.

(٥) انظر: التفسير: ٥٩٠/١٧.

(٦) انظر: معاني القرآن:٢٥٠/٥.

(٧) انظر: تأويلات أهل السنة:٣/٧.

(٨) انظر: الكشف والبيان:٥٤/٦. [وردت التسميتين: الإسراء وبني إسرائيل]

(٩) انظر: الهداية إلى بلوغ النهايية: ٣١١٢/٤.

(١٠) انظر: التفسير:٢١٢/٣.

(١١) انظر: زاد المسير:٩٢/٣.

(١٢) انظر: مفاتيح الغيب:٤٠٧/١٢.

(١٣) انظر: التفسير: ٢٤٧/٣.

(١٤) انظر: التفسير: ٢٤٤/٢.

(١٥) انظر: فتح القدير: ٣٤٩/٣.

(١٦) تفسير المنار: ٢٧١/٦.

(١٧) انظر: التفسير:٤٥٣.

(١٨) انظر: التحرير والتنوير:٧٨/١١.

(١٩) انظر: أضواء البيان:٤٨٧/١.

(٢٠) صحيح البخاري، كتاب التفسير:٢٧١/٥.

(٢١) في جامعه في ابواب التفسير:٣٠٠/٥.

(٢٢) المستدرك، كتب التفسير:٣٩١/٢.

(٢٣) انظر:٣٧/١.

(٢٤) انظر: ١،٢٨٨.

(٢٥) انظر: ٢٨٦/١١.

(٢٦) انظر: ١٧٣/١.

سميت سورة «بني إسرائيل»، لأنها ذكر فيها من احوال بني إسرائيل ما لم يذكر في غيرها، إذ اوردت السورة قصة تشردهم في الأرض مرتين بسبب فسادهم، حيث استولى عليهم قوم أولي بأس وهم «الآشوريين»، ثم استولى عليهم قوم آخرين وهم«الروم»[١]، قال تعالى:{وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا} [الإسراء : ٤] آلى آخر الآيات.

قال البقاعي في سبب التسمية:" وأما بنو إسرائيل فمن أحاط أيضاً بتفاصيل أمرهم في سيرهم إلى الأرض المقدسة الذي هو كالإسراء وإيتائهم الكتاب وما ذكر مع ذلك من أمرهم في هذه السورة عرف ذلك"[٢].

- **الاسم الثاني: سورة «سبحان»:**

كما عرفت تسمية هذه السورة بـ«سورة سبحان»، وعنون لها بعض المفسرين مابن عطية، والثعالبي، وأورد هذه التسمية بعض المفسرين في تفاسيرهم، كيحيى بن سلام[٣]، وابن أبي زمنين[٤]، ومكي بن ابي طالب[٥]، والواحدي[٦]، وابن عطية[٧]، والقرطبي[٨]، وأبو حيان[٩]، والسمين الحلبي[١٠]، وابن رجب[١١]، والشوكاني[١٢]، وابن عاشور[١٣]، وغيرهم، وقد عدّها السخاوي[١٤]، والسيوطي[١٥]، في كتابيهما من بين أسماء السورة، وذكرها البقاعي[١٦]، والفيروزآبادي[١٧].

ولم نقف على حديث او أثر في تسمية السورة بهذا الاسم، إنما هو اسم احتهادي من علماء التفسير وعلوم القرآن، استنبطوها من مضامين السورة.

- **وجه التسمية:**

سميت هذه السورة: «سورة سبحان»، لافتتاحها بهذه الكلمة، وذلك في قوله تعالى:{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١)} [الإسراء : ١].

قال البقاعي:" أما «سبحان»، الذي هو علم للتنزيه فمن أظهر ما يكون فيه، لأن من كان على غاية النزاهة عن كل نقص، كان جديراً بأن لا نعبد إلا إياه، وأن نعرض عن كل ما سواه، لكونه متصفاً بما ذكر"[١٨].

---

(١) انظر: تفسير القرطبي:٢١٥/١٠.
(٢) نظم الدرر:٢٨٦/١١-٢٨٧.
(٣) انظر: التفسير:١٠١/١.
(٤) انظر: التفسير:٥/٣.
(٥) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية:٤١٢١/٦.
(٦) انظر: التفسير البسيط:١١٩/١٥.
(٧) انظر: المحرر الوجيز:٤٩٣/٣.
(٨) انظر: التفسير:٤٤٠/١.
(٩) انظر: البحر المحيط:٤١٦/٨.
(١٠) انظر: الدر المصون:٢١٩/٤.
(١١) انظر: التفسير:٦٢٦/١.
(١٢) انظر: فتح القدير:٦٣/١.
(١٣) انظر: التحرير والتنوير:٥/١٥.
(١٤) انظر: جمال القراء:٣٦/١.
(١٥) انظر: الإتقان:١٧٣/١.
(١٦) انظر: نظم الدرر:٢٨٦/١.
(١٧) انظر: البصائر: ٢٨٨/١.
(١٨) نظم الدرر:٢٨٦/١١.

▪مكية السورة ومدنيتها:

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على أقوال:

أحدها: أنها مكية جميعها. قاله ابن عباس(١)، وبه قال يحيى بن سلام(٢)، والماتريدي(٣)، وأبو الليث السمرقندي(٤)، وابن أبي زمنين(٥)، والثعلبي(٦)، ومكي بن ابي طالب(٧)، والواحدي(٨)، والبغوي(٩)، وابن كثير(١٠)، والسيوطي(١١).

قال الفيروزآبادي: "السورة مكية باتفاق"(١٢).

قال ابن الجوزي: "هي مكية في قول الجماعة"(١٣).

الثاني: أنها مكية إلا ثلاث آيات: {وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ} [الإسراء: ٧٦]، نزلت حين جاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد ثقيف وحين قالت اليهود: ليست هذه بأرض الأنبياء، وقوله: {وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ} [الإسراء: ٨٠]، وقوله: {إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ} [الإسراء: ٦٠]. قاله ابن عطية(١٤)، والقرطبي(١٥).

الثالث: أنها مكية إلا خمس آيات نزلت بالمدينة: {وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي} [الإسراء: ٣٣]، {وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا} [الإسراء: ٣٢]، {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ} [الإسراء: ٥٧]، {أَقِمِ الصَّلَاةَ} [الإسراء: ٧٨]، {وَآتِ ذَا الْقُرْبَى} [الإسراء: ٢٦]. قاله الحسن(١٦).

الرابع: أنها مكية إلا ثمان آيات: من قوله تعالى: {وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا} [الإسراء : ٧٣]، إلى قوله تعالى:{وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا} [الإسراء : ٨٠]. قاله ابن عباس أيضا(١٧)، وقتادة(١٨).

الخامس: أنها مكية كلها إلا تسع آيات فمدنيات، وهن:«٦٠(١٩)، ٧١(٢٠)، ٧٣(٢١)، ٧٤(٢٢)، ٧٥(٢٣)، ٨٠(١)، ١٠٧(٢)، ١٠٨(٣)، ١٠٩(٤)». قاله مقاتل(٥).

---

(١) أورده السيوطي في الدر المنثرو:١٨١/٥، وعزاه للنحاس وابن مردويه.
(٢) انظر: تفسير يحيى بن سلام:١٠١/١.
(٣) انظر: تأويلات أهل السنة:٣/٧.
(٤) انظر: بحر العلوم:٢٩٩/٢.
(٥) انظر: تفسير ابن أبي زمنين:٥/٣.
(٦) انظر: الكشف والبيان:٥٤/٦.
(٧) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية:٤١٢١/٦.
(٨) انظر: التفسير الوسيط:٩٣/٣.
(٩) انظر: تفسير البغوي:٥٥/٥.
(١٠) انظر: تفسير ابن كثير:٦١٧/٤.
(١١) انظر: الدر المنثور:١٨١/٥.
(١٢) البصائر:٢٨٨/١.
(١٣) زاد المسير:٧/٣.
(١٤) انظر: المحرر الوجيز:٤٣٤/٣.
(١٥) انظر: تفسير القرطبي:٢٠٣/١٠.
(١٦) حكاه عنه عبدالقاهر الجرجاني في درج الدرر:٣،١٠٨٥، والألوسي في روح المعاني: ٢/١٥.
(١٧) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٧/٣.
(١٨) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٧/٣.
(١٩){وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا} [الإسراء : ٨٠].
(٢٠){وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء : ٧٦].
(٢١){وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا (٧٣)} [الإسراء : ٧٣].
(٢٢){وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤)} [الإسراء : ٧٤].
(٢٣){إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (٧٥)} [الإسراء : ٧٥].

السادس: أنها مكية إلا إحدى عشر آية، فمدنيات، وهن: «٢٦[٦]، ٣٢[٧]، ٣٣[٨]، ٥٧[٩]، ومن آية (٧٣) إلى غاية آية (٨٠)[١٠]». قاله الزمخشري[١١]، والفخر الرازي[١٢]، وابن جزي الكلبي[١٣].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

من وجوه المناسبة بين السورتين:

١- إنه سبحانه ذكر فى سورة «النحل» اختلاف اليهود فى السبت، وهنا ذكر شريعة أهل السبت التي شرعها لهم فى التوراة، فقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس أنه قال: «إن التوراة كلها فى خمس عشرة آية من سورة بنى إسرائيل، ثم تلا{لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ} [الإسراء : ٢٢]»[١٤].

٢- إنه لما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر ونهاه عن الحزن وضيق الصدر من مكرهم فى السورة السالفة- ذكر هنا شرفه وعلو منزلته عند ربه.

٣- إنه ذكر فى السورة السالفة نعما كثيرة حتى سميت لأجلها سورة النعم، ذكر هنا أيضا نعما خاصة وعامة[١٥].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

تدور معظم موضوعات سورة الإسراء على العقيدة؛ وبعضها عن قواعد السلوك الفردي والجماعي وآدابه القائمة على العقيدة، إلى شيء من القصص عن بني إسرائيل، وطرف من قصة آدم وإبليس وتكريم الله للإنسان.

والعنصر البارز في كيان هذه السورة، ومحور موضوعاتها الأصيل هو شخص الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وموقف القوم منه في مكة.

ويمكننا أن نسجل أهم المقاصد التي أبرزتها هذه السورة الكريمة:

---

(١){وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا (٨٠)} [الإسراء : ٨٠].

(٢){قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧)} [الإسراء : ١٠٧].

(٣){وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨)} [الإسراء : ١٠٨].

(٤){وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (١٠٩)} [الإسراء : ١٠٩].

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥١٢/٢.

(٦){وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦)} [الإسراء : ٢٦].

(٧){وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٢)} [الإسراء : ٣٢].

(٨){وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (٣٣)} [الإسراء : ٣٣].

(٩){أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (٥٧)} [الإسراء : ٥٧].

(١٠){وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا (٧٣) وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤) إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (٧٥) وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (٧٦) سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا (٧٧) أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٧٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا (٧٩) وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا (٨٠)} [الإسراء : ٧٣ - ٨٠].

(١١) انظر: الكشاف:٦٤٦/٢.

(١٢) انظر: مفاتيح الغيب:٢٩١/٢٠.

(١٣) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل:٤٤٠/١.

(١٤) تفسير الطبري:٥٩٠/١٧.

(١٥) انظر: تفسير المراغي:٣/١٥.

١٢- توحيد الله سبحانه، {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ} [الإسراء : ٢٣]، فالله سبحانه وتعالى هو الموحد الحق، ولا معبود سواه .
١٣- تنزيه الله تعالى وتسبيحه وحمده وشكر آلائه، وقد تكرر مقصد التسبيح في آيات عديدة من هذه السورة؛ ففي مطلعها، قال تعالى:{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ} [الإسراء : ١]. وعند ذكر دعاوى المشركين عن الآلهة، عقَّب سبحانه بقوله:{تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} [الإسراء : ٤٤]. وعند حكاية قول بعض أهل الكتاب حين يتلى عليهم القرآن :{وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا} [الإسراء : ١٠٨].
١٤- قررت السورة أن ثواب الاهتداء وإثم الضلال إنما يعود على الفرد نفسه ولن يغني عن غيره شيئاً كما أن غيره لن يغني عنه شيئاً ، {مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا} [الإسراء : ١٥]، فطريق الهداية واضح وظاهر، أوضحه سبحانه لعباده عن طريق رسله وكتبه، وما على الإنسان إلا أن يسير في هذا الطريق، ويعرض عن غيره من الطرق .
١٥- بيان إعجاز القرآن الكريم، وأن البشر يستحيل عليهم أن يأتوا بمثله،{قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الإسراء : ٨٨]، فالقرآن الكريم معجزة هذا الدين، ومعجزة نبيه عليه الصلاة والسلام، وليس بمقدور أحد -مهما أوتي من علم- أن يأتي بمثل هذا القرآن، ولا بشيء منه.
١٦- بيان الحكمة من إنزال القرآن على فترات، وليس دفعة واحدة، {وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا} [الإسراء : ١٠٦]، فغاية إنزال القرآن على دفعات؛ ليستوعب الناس أحكامه، وليكون أمامهم متسع من الوقت؛ ليطبقوا أوامره ويجتنبوا نواهيه.
١٧- تنزيه الله عن الولد والشريك والناصر والمعين، {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا} [الإسراء : ١١١]. فالله سبحانه هو الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.
١٨- قررت السورة مبدأ المسؤولية الشخصية، فكل إنسان يتحمل عاقبة عمله، ولا يتحمل أحد عاقبة عمل غيره، { وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} [الإسراء : ١٥]، فالإنسان إن عمل خيراً فلنفسه، وإن أساء فعليها.
١٩- ذكر سبحانه في هذه السورة سُنَّة إلهية، وهي أنه سبحانه لا يعذب عباده إلا بعد أن يرسل إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين، ويقيم عليهم الحجة بالآيات التي تقطع عذرهم، قال سبحانه:{ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا} [الإسراء : ١٥].
٢٠- ذكر سبحانه سُنَّة تتعلق بسلوك الإنسان عموماً، وهي أن الإنسان إذا أصابه ضراء وبلاء، لجأ إلى ربه وخالقه طالباً منه العون والنجاة، ثم إذا كشف الله عنه ما نزل به من ضرٍّ، إذا به يكفر بخالقه، ويُعْرِض عن هدي ربه،{وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا} [الإسراء : ٦٧].
٢١- بينت السورة قيمة القرآن الكريم، حيث ورد لفظ القرآن في هذه السورة أحد عشر مرة. نحو قوله سبحانه:{إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ} [الإسراء : ٩].
٢٢- بينت السورة أنه لا أحد يملك من الأمر شيئاً؛ إذ الأمر كله لله، فلا نافع ولا ضار إلا الله، ولا ناصر ولا معين إلا هو سبحانه،{قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا} [الإسراء : ٥٦].

٢٣- عُنيت السورة بالحديث عن مكارم الأخلاق، فدعت إلى الإحسان إلى الوالدين، وصلة الرحم، والعطف على الفقير والمسكين وابن السبيل، ونهت عن التبذير والقتل والزنا وتطفيف الكيل والميزان وأكل مال اليتيم والكبر والبطر.
٢٤- دحضت أوهام الوثنية الجاهلية حول نسبة البنات والشركاء إلى الله، وعن البعث واستبعادهم لوقوعه، وعن استقبالهم للقرآن وتقولاتهم على الرسول صلى الله عليه وسلم، {أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا} [الإسراء : ٤٠]، {قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا} [الإسراء : ٤٢].
٢٥- أمْرُ المؤمنين أن يقولوا التي هي أحسن، وتحذيرهم من الانسياق وراء وساوس الشيطان، وبيان أنه العدو الأول والأخطر للإنسان؛ لأنه لا يفارقه أبداً، فهو يعيش بين جنبيه، وهو عدو خفي غير ظاهر، قال تعالى:{وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا} [الإسراء : ٥٣].
٢٦- بيان الحكمة في عدم إنزال المعجزات التي اقترحها المشركون على النبي صلى الله عليه وسلم،{وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا} [الإسراء : ٥٩].
٢٧- بيان عناد المشركين وطلبهم من النبي صلى الله عليه وسلم أن يوافقهم في بعض معتقداتهم، وإلحاحهم في ذلك، {وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا} [الإسراء : ٩٠].
٢٨- الحديث عن البعث والحشر مع إقامة الأدلة على إمكانه، {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا} [الإسراء : ٩٩]

هذه أهم المقاصد التي تضمنتها هذه السورة الكريمة. وليس من شك، فإن مزيداً من التأمل فيها يهدينا إلى مقاصد أُخر، فإن القرآن الكريم لا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه قارئه ومتأمله[١] .

الناسخ والمنسوخ:

تحتوي من المنسوخ على ثلاث آيات:

- الآية الأولى نسخ بعض معاني ألفاظها، وقال بعض المفسرين نسخ من دعائها أهل الشرك وهي قوله تعالى:{وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاه} [الإسراء : ٢٣]، هذا محكم، وقوله تعالى: {وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} [الإسراء : ٢٣] هذا واجب الى قوله تعالى: {فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا} [الإسراء : ٢٣]، هذا في أهل القبلة وغير أهل القبلة، وكذلك قوله تعالى:{وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} [الإسراء : ٢٤]، يقول إذا بلغا من الكبر فوليت من أمرهما ما كانا يليان من أمرك في حال الصغر فلا تقل لهما عند ذلك أف ولا تنهرهما وذلك ان جميع الآيتين محكم إلا بعض معانيهما في أهل الشرك وهو إذا مات الأبوان على الشرك فليس للولد أن يترحم عليهما ولا يدعو لهما.
- الآية الثانية قوله تعالى :{رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ} [الإسراء : ٥٤]، الى قوله: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا} [الإسراء : ٥٤]، نسختها آية السيف.
- الآية الثالثة: قوله تعالى:{قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} [الإسراء : ١١٠]، هذا محكم، وقوله:{وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا } [الإسراء : ١١٠]، منسوخ نسخته الآية في سورة الأعراف وهي قوله تعالى: {وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً} [الأعراف :

(١) انظر: اسلام ويب. [موقع الكتروني].

٢٠٥]، الآية، وذلك أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان إذا قام إلى الصلاة سمع المشركون قراءته فيسبون القرآن فنهاه الله تعالى ان يجهر بقراءة القرآن فلا يسمع[١].

- **فضائل السورة:**

وردت جملة من الأحاديث النبوية التي تبين فضائل هذه السورة، من ذلك :

- عن ابن مسعود - رضي الله عنه -: "قال: في بني إسرائيل والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: إنهن من العتاق الأول، وهن من تلادي"[٢].
- عن أبي لبابة، قال: "قالت عائشة: كان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ بني إسرائيل والزمر"[٣].
- عن عبد الله بن عمرو، قال: "أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أقرئني يا رسول الله، فقال: «اقرأ ثلاثا من ذوات الر»، فقال: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني، قال: «فاقرأ ثلاثا من ذوات حاميم»، فقال مثل مقالته، فقال: «اقرأ ثلاثا من المسبحات»، فقال مثل مقالته، فقال الرجل: يا رسول الله، أقرئني سورة جامعة، فأقرأه النبي -صلى الله عليه وسلم- «إذا زلزلت الأرض» حتى فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها أبدا، ثم أدبر الرجل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أفلح الرويجل» مرتين"[٤].
- عن عرباض بن سارية - رضي الله عنه -: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يقرأ المسبحات قبل أن ينام، إذا اضطجع، وقال: «إن فيهن آية أفضل من ألف آية»[٥].

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١١٥-١١٦.

(٢)صحيح البخاري برقم (٤٧٠٨).

العتاق: جمع عتيق، وهو القديم، والعتاق الأول: أي السور التي أنزلت أولا بمكة، وأنها أول ما تعلمه ص من القرآن.

يعني قوله (من تلادي) أي مما حفظته قديمًا، والتليد والتلاد والتالد: المتقدم. والطريف والطارف: المستحدث

(٣) أخرجه الترمذي(٢٩٢٠): ص٣١/٥. وقال:« هذا حديث حسن غريب، وأبو لبابة هذا شيخ بصري قد روى عنه حماد بن زيد غير حديث، ويقال اسمه: مروان. حدثنا بذلك محمد بن إسماعيل في كتاب التاريخ». تحقيق الالباني: صحيح، الصحيحة (٦٤١).

(٤) أخرجه أبو داود في"باب تحزيب القرآن"(١٣٩٩):ص٥٧/٢. والبيهقي في الشعب، في تعظيم القرىن، فصل"في فضائل السور والآيات"(٢٥١٢):ص٤٩٦/٢، والنسائي في عمل اليوم والليلة(٧٢١):ص٢١٦-٢١٧.

وقوله: من ذوات (الر)، أي: من السور التي تبدأ بهذه الأحرف الثلاثة التي تقرأ مقطعة: ألف، لام، را، والذي في القرآن منها خمس سور: يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.

وقوله من ذوات {حم}، أي: من السور التي تبدأ بهذين الحرفين: حا، ميم، وهي في القرآن سبع سور: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.

وقوله: من المسبحات، أي: السور التي أولها سَبَّح ويُسَبِحُ وسَبح، وهي الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى.

وحكم الألباني«ضعيف»، انظر: «ضعيف أبي داود» (٢٤٧).

[تعليق شعيب الأرنؤوط]

إسناده صحيح، عيسى بن هلال الصدفي، روى عنه غير واحد وذكره المؤلف في الثقات، وهو صدوق كما قال الحافظ في التقريب(ص٤٤١)، وقال الحاكم:"حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي بقوله:«بل صحيح»، أي: فقط من غير أن يكون على شرط الشيخين(٥٨٠/٢)، وأورده الفسوي في تاريخه: ٢/ ٥١٥ - ٥١٦ في ثقات التابعين من أهل مصر، وباقي رجاله ثقات من رجال الصحيح.

(٥)أخرجه أحمد (١٢٨/٤) قال: حدثنا يزيد بن عبد ربه. وأبو داود (٥٠٥٧) قال: حدثنا مؤمل بن الفضل الحراني. والترمذي (٢٩٢١، ٣٤٠٦) قال: حدثنا علي بن حجر. والنسائي في عمل اليوم والليلة (٧١٣) ، و (فضائل القرآن) (٥١) قال: أخبرنا علي بن حجر. وفي عمل اليوم والليلة (٧١٤) قال: أخبرنا زكريا بن يحيى، قال: حدثنا إسحاق.

أربعتهم (يزيد بن عبد ربه، ومؤمل بن الفضل، وعلي بن حجر، وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي) عن بقية ابن الوليد، قال: حدثني بحير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن عبد الله بن أبي بلال، فذكره.

- روي عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة بني إسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين، أعطي قنطارين في الجنة من الأجر، والقنطار ألف ومائتا أوقية، الأوقية منها خير من الدنيا وما فيها»[1].[موضوع]

---

* أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (٧١٥) قال: أخبرنا أحمد بن عمرو بن السرح، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: سمعت معاوية يحدث، عن بحير بن سعد، عن خالد بن معدان، قال: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لا ينام ... فذكره، مرسلا.
* في رواية يزيد بن عبد ربه، ومؤمل، وإسحاق: «عن ابن أبي بلال» لم ينسبوه.
و في إسناده: بقية بن الوليد المدلس، والرواية الآخرى للنسائي تعل خبره، والله أعلم.
(١) أخرجه الواحدي في التفسير الوسيط(٥٣٤):ص٩٣/٣، والثعلبي في الكشف والبيان:٥٤/٦، وذكره الزمخشري في الكشاف:٧٠١/٢، والبيضاوي في التفسير:٢٧١/٣، وابن عادل في اللباب:٤١٤/١٢، والخطيب الشربيني في سراج المنير:٣٤٧/٢، وقال« حديث موضوع ».
والقنطار: ألف أوقية، ومئتا أوقية.

سورة « الكهف»

سورة «الكهف»: هي السورة «الثامنة عشر» في ترتيب المصحف، نزلت بعدسورة: «الغاشية»(١)، وعدد آياتها: (١١٠) مائة وعشرة عند الكوفيين، و(١٠٦) مائة وست عند الشاميين، و(١٠٥) مائة وخمس عند الحجازيين، و(١١١) مائة وإحدى عشرة عند البصريين. وكلماتها: (١٥٧٩) ألف وخمسمائة وتسع وسبعون، وحروفها: (٦٣٠٦) ستة آلاف وثلثمائة وست(٢).

والمختلف فيها إحدى عشرة آية:{وَزِدْنَاهُمْ هُدًى} [الكهف : ١٣]، {إِلَّا قَلِيلٌ} [الكهف : ٢٢]، {ذَلِكَ غَدًا} [الكهف : ٢٣]، {زَرْعًا} [الكهف : ٣٢]، {مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا} [الكهف : ٨٤]، {هَذِهِ أَبَدًا} [الكهف : ٣٥]، {عِنْدَهَا قَوْمًا } [الكهف : ٨٦]، {فَأَتْبَعَ سَبَبًا} [الكهف : ٨٥]، «ذريته» فى موضع {الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا} [الكهف : ١٠٣] (٣).

وفواصل آياتها على :«الألف»(٤).

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسماؤها التوقيفية:**
- **الاسم الأول: سورة «الكهف»:**

«الكهف»: كالمغارة في الجبل إلا أنه أوسع منها، فإذا صغر فهو غار، وجمعه: «كهوف»(٥). قال الشاعر(٦):

وكنتَ لهم كَهْفاً حصيناً وجُنَّةٌ ... يؤول إليها كهلها ووليدها

وقد وردت هذه التسمية في كلام النبي-صلى الله عليه وسلم-، وذلك في أحاديث، منها:

- عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال»(٧).
- عن أبي سعيد، أن النبي-صلى الله عليه وسلم-، قال:«من قرأ سورة الكهف فى يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين»(٨).

وقد ورجدت تسميتها بسورة«الكهف» عند الصحابة الكرام-رضوان الله تعالى عليهم-، كابن مسعود والبراء بن عازب:

- قال ابن مسعود:« فى بنى إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء هن من العتاق الأول وهن من تلادى»(٩).
- عن البراء بن عازب. قال: «كان رجل يقرأ في داره سورة الكهف، وإلى جانبه حصان له مربوط بشطنين، حتى غشيته سحابة، فجعلت [تدنو و] تدنو، حتى جعل فرسه ينفر منها. قال الرجل:

---

(١) انظر: الكشاف: ٧٠٢/٢.

(٢)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٢٩٧.

(٣)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٢٩٧.

(٤)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٢٩٧.

(٥) انظر: العين:٣،٣٨٠، والعباب الزاخر:١١/٢، وتاج العروس:٣٤٧/٢٤..

(٦) لم أجده، والبيت من شواهد الخليل في العين:٣،٣٨٠، والصغاني في العباب:١١/٢، والزبيدي في تاج العروس:٣٤٧/٢٤.

(٧)صحيح. أخرجه أحمد (١٩٦/٥، رقم ٢١٧٦٠) ومسلم (٥٥٥/١، رقم ٨٠٩) وأبو داود (١١٧/٤، رقم ٤٣٢٣) ، والنسائى فى الكبرى (٢٣٦/٦، رقم ١٠٧٨٧) . وأخرجه أيضا: الحاكم (٣٩٩/٢، رقم ٣٣٩١) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقى (٢٤٩/٣، رقم ٥٧٩٣)، وأخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» ٧/ ٣٨/ ١٣٢، وإسناده على شرط مسلم، وابن حبان ٧٨٥ و ٧٨٦.

(٨)أخرجه الحاكم (٣٩٩/٢، رقم ٣٣٩٢) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقى (٢٤٩/٣، رقم ٥٧٩٢).

(٩)أخرجه ابن أبى شيبة (٢٥٨/٧، رقم ٣٥٨٥٧).

فعجبت لذلك، فلما أصبح أتى النبي - صلى الله عليه وسلم -، فذكر ذلك له [وقص عليه] فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "تلك السكينة تنزلت للقرآن"»[١].

فدلّت تلك الاحاديث تدل على أن اسم سورة «الكهف» هو المشهور، وهو اسم توقيفي كما ثبت عن رسولنا الكريم-صلى الله عليه وسلم- وعن صحابته-رضوان الله عليهم أجمعين.

- **وجه التسمية:**

سميت سورة «الكهف»؛ لاشتمالها على قصة أصحاب أهل الكهف بتفصيلها[٢]، إذ وردت كلمة«الكهف» في هذه السورة حصرا، دون غيرها من السور، فجاءت بصيغة«الكهف» أربع مرات[٣]، ومرتين مضافة إلى ضمير الغائب«كهفهم»[٤].

- **الاسم الثاني: سورة «أصحاب الكهف»:**

وسميت بسورة«أصحاب الكهف»، في مصحف نسخ في القرن الحادي عشر الهجري[٥]، كما وردت هذه التسمية في أحاديث رويت عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، منها:

- عن أمّ المؤمنين عائشة-رضي الله عنها-، عن النبي-صلى الله عليه وسلم- :«ألا أخبركم بسورة ملأت عظمتها ما بين السماء والأرض ولكاتبها من الأجر مثل ذلك ومن قرأها يوم الجمعة غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام ومن قرأ الخمس الأواخر منها عند نومه بعثه الله أى الليل شاء سورة أصحاب الكهف"[٦].
- عن النواس بن سمعان الكلابي قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة، فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل، قال: فانصرفنا من عند [ص:٥١١] رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجعنا إليه فعرف ذلك فينا فقال: «ما شأنكم؟» قال: قلنا: يا رسول الله، ذكرت الدجال الغداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل قال: «غير الدجال أخوف لي عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط عينه طافئة شبيه بعبد العزى بن قطن، فمن رآه منكم فليقرأ فواتح سورة أصحاب الكهف» قال: «يخرج ما بين الشام والعراق، فعاث يمينا وشمالا، يا عباد الله اثبتوا»، قال: قلنا: يا رسول الله، وما لبثه في الأرض؟ قال: «أربعين يوما، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم»، قال: قلنا: يا رسول الله، أرأيت اليوم الذي كالسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «لا، ولكن اقدروا له»، قال: قلنا: يا رسول الله، فما سرعته في الأرض؟ قال: «كالغيث استدبرته الريح فيأتي القوم فيدعوهم فيكذبونه ويردون عليه قوله فينصرف عنهم فتتبعه أموالهم ويصبحون ليس بأيديهم شيء، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيستجيبون له ويصدقونه فيأمر السماء أن تمطر فتمطر، ويأمر

---

(١) المسند: ٢٩٣/٤، صحيح البخاري: فضائل القرآن: فصل الكهف: ٥٧/٩، صحيح مسلم: الصلاة: نزول السكينة لقراءة القرآن: ٥٤٨/١. والنسائي كما في تحفة الأشراف ٤٥/٢، سنن الترمذي: فضائل القرآن: ماجاء في سورة الكهف: ١٦١/٥ والنسائي كما في تحفة الأشراف ٥٣/٢.

(٢) انظر: البصائر:٢٩٧/١.

(٣) الآيات: {أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١)} [الكهف : ٩ - ١١]، {وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا (١٦)} [الكهف : ١٦].

(٤) الآيتين: {وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا} [الكهف : ١٧]، {وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا} [الكهف : ٢٥].

(٥) جاء في مصحف مخطوط على الورق، قام بنسخه: عبدالله بن يحيى بن حسن الفياض، من شهر محرم الحرام سنة ١٢٨٨هـ، وهو من مخطوطات بيت القرآن في البحرين.

(٦)ابن مردويه، والديلمى عن عائشة، جامع الأحاديث(٤٤٤٨):ص٤٣٩/٥.

الأرض أن تنبت فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم كأطول ما كانت ذرا وأمده خواصر وأدره ضروعا»، قال: " ثم يأتي الخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك فينصرف منها فيتبعه كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلا شابا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين ثم يدعوه فيقبل يتهلل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك إذ هبط عيسى ابن مريم بشرقي دمشق عند المنارة البيضاء بين مهرودتين واضعا يديه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ "، قال: «ولا يجد ريح نفسه - يعني أحدا - إلا مات وريح نفسه منتهى بصره»، قال: «فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله»، قال: «فيلبث كذلك ما شاء الله»، قال: «ثم يوحي الله إليه أن حوز عبادي إلى الطور فإني قد أنزلت عبادا لي لا يدان لأحد بقتالهم»، قال: " ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم كما قال الله: {وهم من كل حدب ينسلون} [الأنبياء: ٩٦] قال: " فيمر أولهم ببحيرة الطبرية فيشرب ما فيها ثم يمر بها آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء، ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل بيت المقدس فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض، فهلم فلنقتل من في السماء، فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم محمرا دما، ويحاصر عيسى ابن مريم وأصحابه حتى يكون رأس الثور يومئذ خيرا لأحدهم من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب عيسى ابن مريم إلى الله وأصحابه «،» فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى موتى كموت نفس واحدة، ويهبط عيسى وأصحابه فلا يجد موضع شبر إلا وقد ملأته زهمتهم ونتنهم ودماؤهم، فيرغب عيسى إلى الله وأصحابه، فيرسل الله عليهم طيرا كأعناق البخت، فتحملهم فتطرحهم بالمهبل ويستوقد المسلمون من قسيهم ونشابهم وجعابهم سبع سنين، ويرسل الله عليهم مطرا لا يكن منه بيت وبر ولا مدر، فيغسل الأرض فيتركها كالزلفة " قال: «ثم يقال للأرض أخرجي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة الرمانة، ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى إن الفئام من الناس ليكتفون باللقحة من الإبل، وإن القبيلة ليكتفون باللقحة من البقر، وإن الفخذ ليكتفون باللقحة من الغنم فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا فقبضت روح كل مؤمن ويبقى سائر الناس يتهارجون كما تتهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة»[١].

- وروى إسماعيل بن رافع عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ألا أدلكم على سورة شيعها سبعون ألف ملك حين نزلت ملأ فضلها ما بين السماء والأرض لتاليها مثل ذلك» ؟. قالوا بلى يا رسول الله. قال: «سورة أصحاب الكهف من قرأها يوم الجمعة غفر له إلى الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام ولياليها مثل ذلك، وأعطي نورا يبلغ به السماء ووقي فتنة الدجال"[٢].

كما وردت هذه التسمية في كلام بعض السلف، إذ اخرج ابن سعد عن صفية بن ابي عبيد:«أنها سمعت عمر بن الخطاب يقرأ في صلاة الفجر بسورة أصحاب الكهف»[٣].

ومن المفسرين من ذكر هذه التسمية، السيوطي[٤]، والىلوسي[١]، والقاسمي[٢]، وسعيد حوى[٣].

---

(١) اخرجه الترمذي(٢٢٤٠):ص٥١٠/٤، وقال:" ذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن يزيد بن جابر". حكم الألباني«صحيح»

(٢) الكشف والبيان:١٤٤/٦، وتفسير القرطبي:٣٤٦/١٠.

وأما رواية ابن الضريس:« عن إسماعيل بن رافع، قال: " بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ألا أخبركم بسورة ملأ عظمتها ما بين السماء والأرض، شيعها سبعون ألف ملك؟ . سورة الكهف من قرأها يوم الجمعة غفر الله له بها إلى الجمعة الأخرى، وزيادة ثلاثة أيام بعدها، وأعطي نورا يبلغ إلى السماء، ووقي من فتنة الدجال، ومن قرأ الخمس آيات من خاتمتها حين يأخذ مضجعه من فراشه، حفظه وبعث من أي الليل شاء». فضائل القرآن لابن الضريس(٢٠٣):ص٩٦

(٣) أخرجه ابن سعد في طبقاته:٣٤٧/٨.

(٤) انظر: أسرار ترتيب القرآن:١٠٧، ١٠٨، والإتقان:١٠٨/١،

- **وجه التسمية:**

قال المهايمي:"سميت بها لاشتمالها على قصة أصحابه الجامعة فوائد الإيمان بالله، من الأمن الكلي عن الاعداء، والإغناء الكلي عن الاشياء، والكرامات العجيبة، وهذا من أعظم مقاصد القرآن"(٤).

وهو اسم توقيفي ثبت من أحاديث الرسول-صلى الله عليه وسلم-، وهو مستنبط من قصة أصحاب الكهف التي عنت بها السورة، فسورة «الكهف» هي بمعنى سورة «أصحاب الكهف».

- **ثانيا:- اسمها الإجتهادي: سورة«الحائلة»**

«الحائلة»: أي: الحاجزة، والحاجز: الحائل بين الشيئين، يقال: حال الشىء بينى وبينك، أى: حجز (٥).

وقد وردت تسميتها بسورة«الحائلة» عند الألوسي(٦)، والسيوطي(٧)، واستدلوا بحديث ابن عباس أن النبي-صلى الله عليه وسلم-، قال:« سورة الكهف التي تدعى في التوراة الحائلة، تحول بين قارئها وبين النار»(٨).

وروي ايضا:«قارئ الكهف تدعى فى التوراة الحائلة تحول بين قارئها وبين النار»(٩).

- **وجه التسمية:**

وجه تسميتها بسورة«الحائلة»، أنها تحجز بين قارئها وبين النار، بمعنى: أنها تحاجج وتخاصم عنه، **وقيل:** أنها فتمنعه من دخول النار وتخلصه من الزبانية(١٠).

قال المناوي:" يؤخذ من تعبيره بقارئ أن المراد المواظب على قراءتها في كل يوم أو في كل ليلة لا من قرأها أحيانا ثم يترك ويحتمل أن المراد في ليلة الجمعة ويومها لاستحباب قراءتها فيهما"(١١).

ويجدر القول بأن تسميتها بسورة«الحائلة»، لا تستند على حديث صحيح، عليه فإنها لاتعد من اسمائها التوقيفية -والله أعلم.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على أقوال:

---

(١) انظر: روح المعاني:١٨٩/٨.
(٢) انظر: محاسن التأويل:٣/٧.
(٣) انظر: الأساس بالتفسير:٣١٤٥/٦.
(٤) تفسير المهايمي:٤٣٩/١.
(٥) انظر: لسان العرب:٣٣٢/٥، وغريب الحديث:٣٤٤/١.
(٦) انظر: روح المعاني:١٨٩/٨.
(٧) انظر: الإتقان:١٩٣/١.
(٨) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان(٢٢٢٣):ص٨٧/٤. وضعفه، قال:" تفرد به محمد بن عبد الرحمن [الجدعاني]هذا، وهو منكر".
وأخرجه أيضا: الرافعى (٣٠٠/١).
(ضعيف) انظر حديث رقم: ٣٢٩٢ في ضعيف الجامع
(٩)أخرجه الديلمى (٢١٥/٣، رقم ٤٦١٩)، من حديث ابن عمر-رضي الله عنه-. وفيه سليمان بن قارع. منكر الحديث.
قال المناوي:" الجدعاني ضعفه أبو حاتم وغيره وفيه أيضا سليمان بن مرقاع أورده الذهبي في الضعفاء والمتروكين وقال العقيلي: منكر الحديث وإسماعيل بن أبي أويس قال النسائي: ضعيف وقال الذهبي: صدوق صاحب مناكير وهذا الحديث والحديثان بعده سندها واحد وطريقها متحد". انظر: فيض القدير:٤٦٦/٤
(١٠) انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير:٦٢/٢، ١٨١، وفتح القدير:١١٥/٤.
(١١) فتح القدير:٤٦٧/٤.

أحدها: أنها مكية كلها. قاله ابن عباس[١]، وابن الزبير[٢]، والحسن[٣]، ومجاهد[٤]، وقتادة[٥]، وبه قال يحيى بن سلام[٦]، والماتريدي[٧]، وأبو الليث السمرقندي[٨]، وابن أبي زمنين[٩]، والثعلبي[١٠]، والواحدي[١١]، وعبدالقاهر الجرجاني[١٢]، والبغوي[١٣]، والسيوطي[١٤]، وابن كثير[١٥].

قال ابن الجوزي:" وهذا إجماع المفسرين"[١٦].

قال الفيروزآبادي:" السورة مكية بالاتفاق"[١٧].

قال المراغي:" هى مكية كلها فى المشهور واختاره جمع من العلماء"[١٨].

الثاني: أنها مكية، إلا قوله تعالى: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ} [الكهف: ٢٨]، فإنها مدنية. وهذا مروي عن ابن عباس أيضا[١٩]، وقتادة أيضا[٢٠].

الثالث: أنها مكية، إلا آيتين نزلتا في المدينة، وهما: قوله تعالى: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ} [الكهف: ٢٨]، وقوله تعالى: {وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا} [الكهف: ٢٨]. وهذا مروي عن الحسن[٢١].

الرابع: أنها مكية جميعها. إلا سبع آيات: من أول السورة إلى غاية الآية السابعة[٢٢]. قاله مقاتل[٢٣].

الخامس: أنها مكية إلا آية :(٣٨)، ومن آية (٨٣) إلى غاية آية (١٠١) فمدنية. قاله الزمخشري[٢٤].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

---

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور:٣٥٤/٥، وعزاه إلى النحاس في ناسخه وابن مردويه. ورواه أبو صالح عن ابن عباس، كما في زاد المسير:٦٣/٣.

(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور:٣٥٤/٥، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٣) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٦٣/٣. دون ذكر الإسناد.

(٤) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٦٣/٣. دون ذكر الإسناد.

(٥) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٦٣/٣. دون ذكر الإسناد.

(٦) انظر: تفسير يحيى بن سلام:١٧١/١.

(٧) انظر: تأويلات أهل السنة:١٣٢/٧.

(٨) انظر: بحر العلوم:٣٣٤/٢.

(٩) انظر: تفسير ابن أبي زمنين:٤٧/٣.

(١٠) انظر: الكشف والبيان:١٤٤/٦.

(١١) انظر: التفسير الوسيط:١٣٥/٣.

(١٢) اظر: درج الدرر:١١٣٥/٣.

(١٣) انظر: تفسير البغوي:١٤١/٥.

(١٤) انظر: الدر المنثور:٣٥٤/٥.

(١٥) انظر: تفسير ابن كثير:١٣٢/٥.

(١٦) زاد المسير:٧/٣.

(١٧) البصائر:٢٩٧/١.

(١٨) تفسير المراغي:١١٣/١٥.

(١٩) حكاه عنه الجرجاني في درج الدرر:١١٣٥/٣، وابن الجوزي في زاد المسير:٦٣/٣، وذكره أبو السعود في تفسيره (٥/ ٢٠٢)، وأسباب نزولها تؤيد ذلك كما سيأتى.

(٢٠) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٦٣/٣. دون ذكر الإسناد.

(٢١) حكاه عنه الجرجاني في درج الدرر:١١٣٥/٣، ولم نجده عن الحسن، وولكن أسباب النزول تؤيد ذلك كما سيأتى.

(٢٢) وهي الآيات:«{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥) فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (٦) إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧)} [الكهف : ١ - ٧]».

(٢٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٧١/٢.

(٢٤) انظر: الكشاف:٧٠٢/٢.

من وجوه المناسبة بين السورتين:

١- أن سورة «الإسراء» افتتحت بالتسبيح، وهذه بالتحميد، وهما مقترنان في القرآن وسائر الكلام بحيث يسبق التسبيح التحميد، نحو: {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ} [الحجر : ٩٨/ النصر:٣]، وفي الحديث: «سبحان الله وبحمده»[١] .
كما «أن الإسراء» اختتمت بالتحميد أيضا[٢]، فتشابهت الأطراف أيضا.

٢- ولما أمر اليهود المشركين أن يسألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ثلاثة أشياء: عن الروح، وعن قصة أصحاب الكهف، وعن قصة ذي القرنين، أجاب تعالى في آخر سورة بني إسرائيل عن السؤال الأول، وقد أفرد فيها لعدم الجواب عن الروح، ثم أجاب تعالى في سورة الكهف عن السؤالين الآخرين، فناسب اتصالهما ببعضهما.

٣- ولما ذكر تعالى في «الإسراء»: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء : ٨٥]، وهي تدل على كثرة معلومات الله التي لا تحصى، فناسب ذكر قصة موسى مع العبد الصالح الخضر، كالدليل على ما تقدم.
وقد روي عن عطاء بن يسار، قال:" نزلت بمكة {وما أوتيتم من العلم إلا قليلا} فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أتاه أحبار يهود، فقالوا: يا محمد ألم يبلغنا أنك تقول {وما أوتيتم من العلم إلا قليلا} أفعنيتنا أم قومك؟ قال: كلا قد عنيت، قالوا: فإنك تتلو أنا أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شيء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هي في علم الله قليل، وقد آتاكم ما إن عملتم به انتفعتم، فأنزل الله {ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام} .... إلى قوله {إن الله سميع بصير}"[٣].

٤- ولما قال تعالى في الإسراء: {فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا} [الإسراء : ١٠٤]، أعقبه في سورة «الكهف» بالتفصيل والبيان بقوله: {فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا} [الكهف : ٩٨] إلى قوله: {وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا} [الكهف : ١٠٠][٤].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

قبل الحديث عن المقاصد الرئيسة التي تضمنتها هذه السورة، نمهد لذلك بنقطتين اثنتين:
الأولى: بدأت السورة بوصف الكتاب بأنه قيم؛ لكونه يقيم الحق، ويُبطل الباطل:{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢)} [الكهف : ١ - ٢].
الثانية: القصص هو العنصر الغالب في هذه السورة؛ وقد احتوت السورة على خمسة قصص:
أحدها: قصة أصحاب الكهف:
ففي أولها تجيء قصة أصحاب الكهف؛ تلك القصة التي يتجلى فيها صدق الإيمان، وقوة العقيدة، والإعراض عن كل ما ينافيها إعراضاً عمليًّا صارماً، لا تردد فيه ولا مواربة، فتية رأوا قومهم في الضلال يعمهون، وفي ظلمات الشرك يتخبطون، لا حجة لهم ولا سلطان على ما يزعمون، وأحسوا في أنفسهم غيرة

---

(١) وردت أحاديث كثيرة تضمنت «سبحان الله وبحمده»، منها: ما رواه أبو ذر عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، قال:«ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله سبحان الله وبحمده».
أخرجه مسلم (٢٠٩٣/٤، رقم ٢٧٣١) . وأخرجه أيضا: ابن أبى شيبة (٥٤/٦، رقم ٢٩٤١٨).
(٢) قال تعالى:{وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا (١١١)} [الإسراء : ١١١].
(٣) أخرجه الطبري:٥٤٥/١٧.
(٤) انظر: تناسق الدرر في تناسب السور للسيوطي ٦٤ وما بعدها، طبع دار الكتاب العربي- دمشق، وانظر: تفسير المراغي:١١٣/١٥.

على الحق، لم يستطيعوا معها أن يبقوا في هذه البيئة الضالة، فتركوا أوطانهم، واعتزلوا قومهم، وآثروا آخرتهم على دنياهم .
الثانية: قصة أصحاب الجنتين:
الثالثة: الإشارة إلى قصة آدم و إبليس.
الرابعة: قصة موسى مع العبد الصالح.
الخامسة: قصة ذي القرنين .

وتلتقي هذا القصص حول فكرة أساسية للقرآن، هي إثبات أن البعث حق، وأن المؤمن يكافأ بحُسن الجزاء، وأن الكافر يلقى جزاء عنته وكفره في الدنيا والآخرة. وتضمنت هذه القصص دلالة على البعث، وضرب المثل للحياة الدنيا، والحشر، ونفخ الصور، وما يكون يوم البعث والنشور .

ونستطيع أن نجمل مقاصد هذه السورة وفق التالي :

١- بدأت السورة بقوله تعالى:{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣)} [الكهف : ١ - ٣]، وختمت بقوله سبحانه:{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)} [الكهف : ١١٠]، وهي تتحدث عن الدار الآخرة أيضاً، وعمن يرجو لقاء ربه، وما يجب عليه أثراً لهذا الرجاء والإيمان من عمل صالح، وتوحيد لله لا يخالطه شرك .

وهكذا يتلاقى أول السورة وآخرها: أولها يتحدث عن الآخرة بطريق التقرير لها، وبيان مهمة القرآن في إثبات ما يكون فيها من الجزاء؛ إنذاراً وتبشيراً، وآخرها يتحدث عن هذه الحقيقة التي تركزت وتقررت ويحاكم الناس إليها إنها حقيقة الإيمان بالله والمقرون بالعمل الصالح .

ويلاحظ هنا أن الآيات الأُول من السورة تحدثت عن أمر الذين{الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا} [الكهف : ٤]، من إنذارهم، وبيان كذبهم؛ وذلك هو قول الذين يشركون بالله، ويعتقدون ما ينافي وحدانيته وتنزيهه، وأن آية الختام قررت{أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ} [الكهف : ١١٠]، وأن على من يؤمن به، ويرجو لقاء ربه ألا يشرك بعبادته أحداً، فتطابق أول السورة وآخرها في إثبات وحدانية الله، وتنزيهه سبحانه، كما تطابقا في أمر البعث والدار الآخرة .

٢- وما بين بدء السورة وختامها تكرر الحديث عن أمر البعث؛ فجاء في أثناء قصة أصحاب الكهف، التي ساقها سبحانه حقيقة من حقائق الوجود؛ كدليل على قدرته، قوله سبحانه :{وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا} [الكهف : ٢١]، وجاء الحديث عن البعث مرة ثانية في هذه السورة حين قررت أن الحق من الله، وأن كلُّ امرئ مخير بين الإيمان أو الكفر، قال سبحانه:{وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩)} [الكهف : ٢٩] ، فهناك دار أخرى غير هذه الدار، يحاسب فيها كل امرئ بما كسبت يداه، قال تعالى:{إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا} [النبأ : ٤٠].

٣- وجاء الحديث عن البعث في سياق المثل الذي ضربه سبحانه عن صاحب الجنتين وزميله، وما كان من إنكاره قدرة الله، وشكه في الساعة ويوم الحساب، وذلك قوله: {وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا} [الكهف : ٣٦].

٤- وجاء الحديث عن البعث في المثل الذي ضربه سبحانه للحياة الدنيا، {كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ } [الكهف : ٤٥]، وقد عقب سبحانه على هذا المثل بذكر تسيير الجبال، وبروز الأرض، وشمول الحشر، ووضع الكتاب، وإشفاق المجرمين مما هم

فيه، وقولهم:{يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩)} [الكهف : ٤٩].

٥- وفي سياق الحديث عن قصة آدم وإبليس، يحذر سبحانه أبناء آدم أن يتخذوا الشيطان وذريته أولياء من دونه، ثم يذكر سبحانه لهم أمراً من أمور الآخرة، حيث ينادي الشركاء فلا يجيبون، ويُستجار بهم فلا يجيرون، وتبرز الجحيم، فيراها المجرمون{وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا (٥٣)} [الكهف : ٥٣].

وفي هذا الأسلوب جَمْعٌ بين بداية الخلق ونهايته، ووَضْعٌ لقضية الخلق والبعث مقترنتين بين يدي العقل؛ ليدرك الإنسان أنه منذ أول نشأته هدف لعدو مبين، يحاول إضلاله، وثنيه عن الطريق المستقيم، وأن هذا العدو المخاتل سيكون أمره يوم الجزاء كسائر الشركاء، يزينون للناس الكفر والعصيان ما داموا في الدنيا، ثم إذا كان يوم الحساب أعلنوا براءتهم ممن اتبعوهم.

٦- وفي سياق الحديث عن قصة موسى والعبد الصالح، يذكر سبحانه العديد من الأدلة على تصريفه للكون على سنن، منها ما هو معروف، ومنها ما هو خفي. فإذا آمن الناس بها، لم يعد ثمة مجال للعجب من أمر الساعة، فما هي إلا تغيير يحدثه خالق الكون ومالك أمره، فإذا السنن المعروفة تَحُلُّ مكانها سنن أخرى، فمن قدر على إنشاء السنن بداية، قادر على تغييرها نهاية .

٧- وتضمنت السورة حديثاً عن ذي القرنين، وهو عبد من عباد الله، مكَّن الله له في الأرض، وآتاه من كل شيء سبباً، وقد لجأ إليه قوم؛ ليحول بينهم وبين المفسدين، فأنجدهم وأعانهم، وجعل الله عمله في ذلك رحمة للناس، يبقى ما بقيت هذه الحياة، فإذا جاء وعد الآخرة انتهى كل شيء في هذه الحياة، وأصبحت الحياة دكًّا، وأضحى الناس مضطربين، يموج بعضهم في بعض، ثم ينفخ في الصور فيقوم الناس لرب العالمين، وتُعْرَض جهنم يومئذ للكافرين، ويلقى كل إنسان جزاء عمله، وينال مصيره. وهكذا نجد قصة ذي القرنين قد انتهت إلى تقرير أمر البعث والآخرة.

٨- وتأخذ السورة في خاتمتها في تهديد الكافرين، الذين اتخذوا من دون الله أولياء، وتبين ما أعد لهم:{أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا (١٠٢)} [الكهف : ١٠٢].

وتوازن هؤلاء جميعاً بالذين آمنوا وعملوا الصالحات وما أعد لهم، {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (١٠٨)} [الكهف : ١٠٧ - ١٠٨]، ويأتي ختامها بعد إثبات القدرة والعظمة لله، وأن كلماته سبحانه لا تنفد، فتذكر رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأنها عن وحي من الخالق القادر الواحد، وتتوجه بعد ذلك إلى الناس كافة بصيغة من صيغ العموم، فتقول:{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)} [الكهف : ١١٠].

نخلص مما تقدم، أن المقاصد الرئيسة التي قصدت هذه السورة إلى تثبيتها وتأكيدها، تتمثل في ثلاثة مقاصد:

أولها: أن الكتاب هو حق مبين لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ثانيها: بيان وحدانية الله سبحانه، والتنديد بالذين يتخذون من دونه أولياء .

ثالثها: قضية البعث والنشور واليوم الآخر.

ويكاد يكون المقصد الأخير القضية المركزية التي أبرزتها هذه السورة؛ وذلك من خلال القصص التي قصتها علينا[١].

الناسخ والمنسوخ:

---

(١) انظر: اسلام ويب. [موقع الكتروني].

أجمع أهل العلم أن ليس فيها منسوخ إلا السدي، فإنه قال فيها آية منسوخة وهي قوله: {فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ} [الكهف : ٢٩]، لأن عنده هذا تخيير، وعند الجماعة هذا تهديد ووعيد نسختها عنده هذه الآية:{وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّه} [الإنسان : ٣٠، التكوير: ٢٩] [١].

- **فضائل السورة:**

وردت جملة من الأحاديث النبوية التي تبين فضائل هذه السورة، من ذلك :

- عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال»[٢].
- عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «من قرأ ثلاث آيات من أول الكهف عصم من فتنة الدجال»[٣].
- عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف كانت له نورا يوم القيامة»[٤].
- وروي عنه-صلى الله عليه وسلم-:«من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال»[٥].
- عن أبي سعيد، أن النبي-صلى الله عليه وسلم-، قال:«من قرأ سورة الكهف فى يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين»[٦].
- عن أبى سعيد مرفوعا وموقوفا:«من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق»[٧].
- عن ابي سعيد، عن رسولا لله -صلى الله عليه وسلم-:«من قرأ سورة الكهف كما أنزلت رفع الله له نورا من حيث قرأها إلى مكة ومن قال إذا توضأ سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك طبع بطابع ثم جعلت تحت العرش حتى يؤتى بصاحبها يوم القيامة»[٨].
- عن عائشة-رضي الله عنها-، عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:«من قرأ من سورة الكهف عشر آيات عند منامه عصم من فتنة الدجال ومن قرأ خاتمتها عند رقاده كان له نورا من لدن قرنه إلى قدمه يوم القيامة»[١].

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١١٧.

(٢)صحيح. أخرجه أحمد (١٩٦/٥، رقم ٢١٧٦٠) ومسلم (٥٥٥/١، رقم ٨٠٩) وأبو داود (١١٧/٤، رقم ٤٣٢٣) ، والنسائى فى الكبرى (٢٣٦/٦، رقم ١٠٧٨٧) . وأخرجه أيضا: الحاكم (٣٩٩/٢، رقم ٣٣٩١) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقى (٢٤٩/٣، رقم ٥٧٩٣)، وأخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» ٧/ ٣٨/ ١٣٢، وإسناده على شرط مسلم، وابن حبان ٧٨٥ و ٧٨٦، وابن ابي شيبة في مسنده(٣٨):ص٥٠/١.

(٣)أخرجه الترمذى (١٦٢/٥، رقم ٢٨٨٦) وقال: حسن صحيح.

(٤) أخرجه أبو عبيد، وابن مردويه، كما في جامع الاحاديث(٢٢٠٤١):٢٥٤/٢٠.

(٥)٢٣٣٧٧- من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال (أبو عبيد فى فضائله، وأحمد، ومسلم، والنسائى، وابن ماجه، وابن حبان عن أبى الدرداء. ابن الضريس، والنسائى، وأبو يعلى، والرويانى، والضياء عن ثوبان)

حديث أبى الدرداء: أخرجه أحمد (٤٤٦/٦، رقم ٢٧٥٥٦) ، ومسلم (٥٥٥/١، رقم ٨٠٩) ، والنسائى فى الكبرى (٢٣٥/٦، رقم ١٠٧٨٦) ، وابن حبان (٦٥/٣، رقم ٧٨٥) .

حديث ثوبان: أخرجه النسائى فى الكبرى (٢٣٥/٦، رقم ١٠٧٨٤) ، والرويانى (٤٠٤/١، رقم ٦١٣) . وأخرجه أيضا: الخطيب (٢٩٠/١).

(٦)أخرجه الحاكم (٣٩٩/٢، رقم ٣٣٩٢) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقى (٢٤٩/٣، رقم ٥٧٩٢).

(٧)أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (٤٧٤/٢، رقم ٢٤٤٤) وقال: هذا هو المحفوظ موقوف ورواه نعيم بن حماد عن هشيم فرفعه.

(٨)أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢١/٣، رقم ٢٧٥٤).

- عن ابن عمر-رضي الله عنه، عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، قال:«من قرأ سورة الكهف فى يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدميه إلى عنان السماء يضىء له يوم القيامة وغفر له ما بين الجمعتين»(٢).
- «من قرأ سورة الكهف كما أنزلت كانت له نورا يوم القيامة من مقامه إلى مكة ومن قرأ عشر آيات من آخرها ثم خرج الدجال لم يسلط عليه»(٣).
- عن عبد الله بن مغفل - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «البيت الذي تُقرأ فيه سورة الكهف لا يدخله شيطان تلك الليلة»(٤).

---

(١) أخرجه ابن مردويه، كما في جامع الاحاديث(٢٣٤٩٠):ص٢٧٣/٢١.

(٢) ذكره السيوطي في جامع الاحاديث(٢٣٤٣٧):ص٢٥٤/٢١، وعزاه لابن عمر.
قال ابن الملقن فى تحفة المحتاج (٥٢٣/١، رقم ٦٥٩) وقال: رواه الضياء فى أحكامه من حديث ابن مردويه أحمد بن موسى بسند فيه من لا أعرفه. أورده الذهبى فى الميزان (١٣١/٦، ترجمة ٧٤٧٦ محمد بن خالد الختلى) وقال: قال ابن الجوزى فى الموضوعات كذبوه روى عن كثير بن هشام حديث يتجلى لأبى بكر خاصة قال ابن منده صاحب مناكير.

(٣)أخرجه الطبرانى فى الأوسط كما فى مجمع الزوائد (٢٣٩/١) قال الهيثمى: رجاله رجال الصحيح إلا أن النسائى قال بعد تخريجه فى اليوم والليلة هذا خطأ والصواب موقوفا ثم رواه من رواية الثورى وغندر عن شعبة موقوفا. وأخرجه الحاكم (٧٥٢/١، رقم ٢٠٧٢) وقال: صحيح على شرط مسلم. والبيهقى (٢٤٩/٣، رقم ٥٧٩٢) . وأخرجه أيضا: نعيم بن حماد (٥٦٣/٢، رقم ١٥٧٩) ، والنسائى فى السنن الكبرى (٢٣٦/٦، رقم ١٠٧٨٨) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٤٧٥/٢، رقم ٢٤٤٦).

(٤)أخرجه: ابن مردويه، كما في الدر المنثور (٩/ ٤٧٨)، وهو واه جداً.

سورة « مريم»

سورة «مريم»: هي السورة «التاسعة عشر» في ترتيب المصحف، نزلت بعدسورة: «فاطر»[١]، وعدد آياتها: (٩٩) تسع وتسعون، وكلماتها: (١١٩٢) ألف ومائة واثنتان وتسعون ، وحروفها: (٣٨٠٢) ثلاثة آلاف وثمانمائة واثنان[٢].

والآيات المختلف فيها ستة: (ع ص)، {فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ} [مريم : ٤١]، {الرَّحْمَنُ مَدًّا} [مريم : ٧٥][٣].

ومجموع فواصل آياتها «مدن»، الآية الأولى على الدال «صاد»[٤]، وما قبل «ألف» كل آية آخرها على «الألف» حروف «زيد»[٥].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: سورة «مريم»:**

إن اسم هذه السورة في المصاحف وكتب التفسير واكثر كتب السنة: سورة«مريم»، وهو الاسم المشهور به، ورويت هذه التسمية عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فيماا رواه أبو مريم الغساني، قال:" أتيت النبى - صلى الله عليه وسلم - فقلت له إنى ولدت لى الليلة جارية، فقال النبى - صلى الله عليه وسلم -: «والليلة أنزلت على سورة مريم، فسمها مريم»"[٦]، فكان يكنى بأبى مريم"[٧].

كما جاءت تسميتها بذلك في كلام بع الصحابة-رضوان الله عليهم- وفي كلام السلف:

- عن أم المؤمنين عائشة-رضي الله عنها- قالت: "نزلت سورة مريم بمكة"[٨].
- عن ابن الزبير-رضي الله عنهما-: قال: نزلت سورة مريم بمكة"[٩].
- عن مورق العجلي قال: صليت خلف ابن عمر الظهر فقرأ بسورة مريم"[١٠].
- عن أبي هريرة قال: قدمت المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فوجدت رجلا من غفار يؤم الناس في صلاة الفجر فسمعته يقرأ في الركعة الأولى سورة مريم وفي الثانية ويل للمطففين"[١١].

- **وجه التسمية:**

سميت سورة «مريم»، "لاشتمالها على قصتها مفصلة"[١٢]، إذ اشتملت على قصة حمل السيدة مريم، وولادتها عيسى عليه السلام، من غير أب، وأصداء ذلك الحمل، وما تبعه ورافق ولادة عيسى من أحداث عجيبة، من أهمها كلامه وهو طفل في المهد[١٣].

---

(١) انظر: الكشاف:٣/٣.
(٢)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٠٥.
(٣) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.
(٤){كهيعص (١)} [مريم : ١].
(٥) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.
(٦)المعجم الكبير للطبراني، ٣٣٢/٢٢ رقم٨٣٤، وأخرجه ابن عساكر (٢٤٦/٥٤)، وأورده السيوطي في الدر المنثور:٤٧٦/٥، وزاد نسبته إلى أبي نعيم والديلمي.
وذكره البيهقي في مجمع الزوائد(١٢٨٨٩):ص٥٥/٨، وقال:" رواه الطبراني، وفيه سليمان بن سلمة الخبائري وهو متروك".
(٧)أخرجه ابن عساكر (٢٤٦/٥٤).
(٨) أورده السيوطي في الدر المنثرو:٤٧٦/٥، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٩) أورده السيوطي في الدر المنثرو:٤٧٦/٥، وعزاه إلى النحاس وابن مردويه.
(١٠) أورده السيوطي في الدر المنثرو:٤٧٦/٥، وعزاه إلى ابن ابي شيبة.
(١١) أورده السيوطي في الدر المنثرو:٤٧٧/٥، وعزاه إلى ابن سعد.
(١٢) انظر: البصائر:٣٠٥/١.
(١٣) انظر:التفسير المنير:٤٦/١٦.

قال المهايمي:" لأن قصتها تشير إلى أن من اعتزل من اهله لعبادة الله، وطلب بها إشراق نوره يرجى أن يكشف له صفات الحق وعن عالم الملكوت، وتظهر له الكرامات العجيبة، وهذا من أعظم مقاصد القرآن"[١].

وقد تكرر اسم «مريم» في القران الكريم(٣٤) مرة، منها (٣) مرات في سورة«مريم»[٢]، وأكثر سورة ورد فيها اسم «مريم»، هي سورة «المائدة»، إذ تكرر فيها (١٠) مرات[٣].

وقد جاء ذكر اسمها بصورة كاملة (مريم ابنة عمران) مرة واحدة فقط وذلك في الآية الاخيرة من سورة التحريم:{وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ} [التحريم : ١٢].

- **ثانيا:- اسمها الإجتهادي: سورة«كهيعص»:**

كتبت هذه التسمية في مصحف نسخ في القرن الثاني عشر الهجري في شمال إفريقيا، وهو مخطوط على الورق بالخط الكوفي المغربي[٤].

وهي تسمية اجتهادية من وضع الصحابة-رضوان الله عليهم-كما رويت عنهم، وذلك كما ياتي:

- ذكرت ام سلمة-رضي الله عنها-: "فقال النجاشي: هل معك مما جآء به عن الله من شئ؟ قالت: فقال جعفر: نعم. فقال النجاشي: اقرأه علي، فقرأ عليه صدرا من سورة (كهيعص) قالت: فبكى وألف الله النجاشي، حتى أخضل لحيته، وبكت الأساقفة حتى أخضلوا مصاحفهم، حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة..."[٥]، الحديث.
- وأخرج النحاس عن ابن عباس-رضي الله عنهما-، قال:" أنزلت بمكة سورة «كهيعص»"[٦].

---

(١) تفسير المهايمي:٢/٢.
(٢) انظر الآيات: (١٦، ٢٧، ٤٦) من السورة.
(٣)جاءت هذه التكرارات (٣٤) في عدد (١٢) سورة فقط، وعلى النحو التالي:
١- البقرة (٢)
٢- آل عمران (٧)
٣- النساء (٤)
٤- المائدة (١٠)
٥- التوبة(١)
٦- مريم (٣)
٧- المؤمنون (١)
٨- الأحزاب (١)
٩- الزخرف (١)
١٠- الحديد (١)
١١- الصف (٢)
١٢- التحريم (١).
(٤) المصحف من مخطوطات بيت القرآن في البحرين.
(٥)أخرجه احمد في المسند(١٧٤٠):ص٢٦٤/٣-٢٦٨. وهو في "السيرة" لابن هشام ٣٥٧/١-٣٦٢ عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.
وأخرجه أبو نعيم في "الحلية" ١١٥/١-١١٦ مختصرا من طريق إبراهيم بن سعد، به.
وأخرجه البيهقي في "دلائل النبوة" ٣٠١/٢- ٣٠٤ من طريق يونس بن بكير، وأبو نعيم في "دلائل النبوة" (١٩٤) من طريق جرير بن حازم كلاهما عن محمد بن إسحاق، به.
وأخرج قسما منه الطبراني (١٤٧٩) من طريقين عن ابن إسحاق، به.
(٦) الناسخ والمنسوخ:٥٠١/٢.

- عن مجاهد، قال:"سمعت عبدالله بن عمر يقرأ في الظهر بـ«كهيعص»"[١].

وكذلك وقعت تسميتها في "صحيح البخاريفي "كتاب التفسير"[٢]. وعدّها الألوسي الاسم الثاني للسورة،[٣] وذكرها السخاوي[٤]، والفيروزآبادي[٥].

في حين لم يعدها السيوطي في كتابه "الإتقان" في عداد السور المسماة باسمين، ولعله لم ير الثاني اسماً لها.

- **وجه التسمية:**

وسميت سورة «كهيعص»؛ لافتتاحها بها، وذلك في قوله:{كهيعص (١)} [مريم : ١][٦].

▪مكية السورة ومدنيتها:

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على أقوال:

أحدها: أنها مكية جميعها. قاله ابن عباس[٧]، وابن الزبير[٨]، وعائشة[٩]، وبه قال يحيى بن سلام[١٠]، والماتريدي[١١]، وأبو الليث السمرقندي[١٢]، وابن أبي زمنين[١٣]، والثعلبي[١٤]، ومكي بن ابي طالب[١٥]، والواحدي[١٦]، وعبدالقاهر الجرجاني[١٧]، والسمعاني[١٨]، والبغوي[١٩]، والرازي[٢٠]، وابن كثير[٢١]، والسيوطي[٢٢].

قال مكي:" سوره «مريم»: مكية، وكان نزولها قبل أن يهاجر أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى أرض الحبشة، لأنهم قرأوا صدرها على النجاشي بعد هجرتهم إلى أرض الحبشة"[٢٣].

قال ابن كثير:" روى محمد بن إسحاق في السيرة من حديث أم سلمة ، وأحمد بن حنبل عن ابن مسعود في قصة الهجرة إلى أرض الحبشة من مكة : أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، قرأ صدر هذه السورة على النجاشي وأصحابه"[١].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة، كتاب الصلوات، باب«القراءة في الظهر قدر كم»:٣٥٦/١.
(٢) انظر: ٢٨٦/٥.
(٣) روح المعاني:٥٦/١٥.
(٤) انظر: جمال القراء: ٣٧/١.
(٥) انظر: البصائر:٣٠٥/١.
(٦) انظر: البصائر:٣٠٥/١.
(٧) انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس:٥٠١/٢.
(٨) أورده السيوطي في الدر المنثرو:٤٧٦/٥، وعزاه إلى لنحاس وابن مردويه.
(٩) أورده السيوطي في الدر المنثرو:٤٧٦/٥، وعزاه إلى ابن مردويه.
(١٠) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٢١٣/١.
(١١) انظر: تأويلات أهل السنة:٢١٨/٧.
(١٢) انظر: بحر العلوم:٣٦٧/٢.
(١٣) انظر: تفسير ابن أبي زمنين:٨٧/٣.
(١٤) انظر: الكشف والبيان:٢٠٥/٦.
(١٥) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٤٤٨٧/٧.
(١٦) انظر: التفسير الوسيط:١٧٤/٣.
(١٧) انظر: درج الدرر:١١٦٧/٣.
(١٨) انظر: تفسير السمعاني:٢٧٦/٣.
(١٩) انظر: تفسير البغوي:٢١٥/٥.
(٢٠) انظر: مفاتيح الغيب:٥٠٥/٢١.
(٢١) انظر: تفسير ابن كثير:٢١١/٥.
(٢٢) انظر: الدر المنثور:٤٧٦/٥.
(٢٣) الهداية غلى بلوغ النهاية:٤٤٨٧/٧.

قال الفيروزآبادي: "السورة مكية إجماعا"[٢].

قال ابن الجوزي: "هي مكية بإجماعهم من غير خلاف علمناه"[٣].

الثاني: أنها مكية إلا آية سجدتها فإنها مدنية، وهي الآية (٥٨) من السورة، وتمامها قوله تعالى:{أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا} [مريم : ٥٨]. وهذا قول مقاتل[٤].

قال ابن عطية:" هذه السورة مكية بإجماع إلا السجدة منها، فقالت فرقة هي مكية وقالت فرقة هي مدنية"[٥].

الثالث: أنها مكية إلا آيتي: (٥٨ و ٧١)[٦]، فمدنيتان. قاله الزمخشري[٧]، والمراغي[٨].

الرابع: أنها مكية غير آيتي: (٥٩ و ٦٠)[٩]، فمدنيتان . حكاه ابن الجوزي عن هبة الله المفسر[١٠].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

اشتملت السورتان على قصص عجيبة، فسورة الكهف اشتملت على قصة أصحاب الكهف، وطول لبثهم هذه المدة الطويلة، بلا أكل ولا شرب، وقصة موسى مع الخضر، وما فيها من المثيرات، وقصة ذي القرنين.

وسورة مريم فيها أعجوبتان: قصة ولادة يحيى بن زكريا عليه السلام حال كبر الوالد وعقم الوالدة أي بين شيخ فان وعجوز عاقر، وقصة ولادة عيسى عليه السلام من غير أب[١١].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

نزلت هذه السورة للرد على اليهود -أخزاهم الله- فيما اقترفوه من القول الشنيع في حق مريم وابنها عيسى عليهما السلام، فكان فيها بيان نزاهة آل عمران، وقداستهم في الخير.

وقد اشتملت السورة على ثلاثة مقاصد أسياسية، هي:

أولا:- إثبات وحدانيته سبحانه.

ثانيا:- تنـزيه سبحانه عن الولد.

ثالثا:- إثبات البعث يوم القيامة.

وقد اشتملت السورة -إضافة إلى هذه المقاصد الأساسية- المقاصد التالية:

---

(١) تفسير ابن كثير:٢١١/٥.

والحديث رواه الإمام أحمد من حديث أم سلمة (٢٩٠/٥) ومن حديث ابن مسعود (٤٦١/١)

(٢) البصائر:٣٠٥/١.

(٣) زاد المسير:١١٦/٣.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٦١٩/٢.

(٥) المحرر الوجيز:٣/٤.

(٦) وهما قوله تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا (٥٨)} [مريم : ٥٨]، {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧١)} [مريم : ٧١].

(٧) انظر: الكشاف:٣/٣.

(٨) انظر: تفسير المراغي:٣٢/١٦.

(٩) وهما قوله تعالى: {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (٦٠)} [مريم : ٥٩ - ٦٠].

(١٠) زاد المسير:١١٦/٣.

(١١) انظر: تفسير المراغي:٣/١٥، والتفسير المنير للزحيلي:٤٦/١٦.

١- عرض قصة زكريا عليه السلام، التي بينت قدرته سبحانه؛ حيث رزقه الولد في سنٍّ ليس من المعتاد أن يولد فيها للإنسان؛ وذلك عندما يبلغ به السن مبلغاً كبيراً. وفي هذا كرامة لزكريا عليه الصلاة والسلام علاوة على ما تقدم.
٢- خطاب النبي يحيى عليهما السلام بأن يأخذ ما علمه سبحانه من الكتاب{بقوة}،أي: بجد وحرص واجتهاد، وهو في الوقت نفسه أمر لعموم المؤمنين بأن يأخذوا أمور الدين والدنيا بجد وحرص واجتهاد، قال تعالى:{يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا} [مريم : ١٢].
٣- عرض قصة مريم وعيسى عليهما السلام، فأكدت قدرته سبحانه على الخلق من غير سبب، حيث خلق عيسى عليه السلام من غير أب، وأقدره على الكلام، وهو لا يزال في المهد. وأثبتت طهارة مريم وعفافها، وفي هذا كرامة لمريم عليها السلام بخارق العادة في حملها وقداسة ولدها. وجاء التعقيب على هذه القصة بالفصل في قضية عيسى عليه السلام التي كثر فيها الجدل، واختلفت فيها أحزاب اليهود والنصارى.
٤- عرضت السورة قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه، واعتزاله لملة الشرك، والمنِّ عليه بالذرية الصالحة.
٥- التنويه بجمع من الأنبياء والمرسلين ومن اهتدى بهديهم. وتوجيه اللوم لبعض خَلَفِهم ، الذين لم يكونوا على سَنَنهم في الخير من أهل الكتاب والمشركين، وأتوا بفاحش من القول؛ إذ نسبوا لله ولداً، وأنكر المشركون منهم البعث، وأثبت النصارى ولداً لله تعالى.
٦- بيان ربوبيته سبحانه لكل ما في السماوات والأرض، والأمر بعبادته وحده سبحانه بلا شريك، مع الأمر بالصبر على طاعته عز وجل،{رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (٦٥)} [مريم : ٦٥].
٧- حكاية إنكار المشركين البعث، وتبجحهم على المسلمين بمقامهم،{وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (٦٦)} [مريم : ٦٦].
٨- الإنذار مما حلَّ بالمكذبين من الأمم من الاستئصال وغير ذلك من أنواع العذاب .
٩- وصف الجنة وأهلها،{جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا (٦١) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (٦٢)} [مريم : ٦١ - ٦٢].
١٠- إنذار المشركين أن أصنامهم التي اعتزوا بها سيندمون على اتخاذها،{وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨١) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (٨٢)} [مريم : ٨١ - ٨٢].
١١- وعده سبحانه عباده المؤمنين بأن يغرس لهم في قلوب عباده الصالحين مودة، وهذا أمر لا بد منه، ولا محيد عنه،{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا} [مريم : ٩٦].
١٢- الجدل حول قضية البعث، واستعراض بعض مشاهد القيامة،{يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا (٨٥) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا (٨٦)} [مريم : ٨٥ - ٨٦]، وعرض صورة من استنكار الكون كله لدعوى الشرك،{وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠)} [مريم : ٨٨ - ٩٠].
١٣- التنويه بالقرآن، وأنه بشير لأوليائه المتقين، ونذير لأعدائه المعاندين، كما هلكت قرون قبلهم{فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا} [مريم : ٩٧].
١٤-تكررت في هذه السورة صفة (الرحمن) ست عشرة مرة، وذُكر اسم (الرحمة) أربع مرات، فأرشد هذا إلى أن من مقاصدها تحقيق وصف الله تعالى بصفة (الرحمن). والرد على المشركين الذين كابروا في إنكار هذا الوصف.

١٥- ختمت السورة مقاصدها بمشهد مؤثر عميق من مصارع الأمم السابقة،{وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا} [مريم : ٩٨] [١] .

الناسخ والمنسوخ:

تحتوي السورة من المنسوخ على خمس آيات:

- الآية الأولى قوله تعالى: {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ} [مريم : ٣٩]، نسخ معنى الإنذار منها بآية السيف.
- الآية الثانية قوله تعالى: {فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا} [مريم : ٥٩]، الغي: واد في جهنم، ثم استثنى بقوله:{إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا} [مريم : ٦٠].
- الثالثة قوله تعالى:{وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا} [مريم : ٧١]، نسخت بقوله تعالى: {ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا} [مريم : ٧٢].
- الآية الرابعة قوله تعالى: {قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا} [مريم : ٧٥]، نسخ معناها بآية السيف.
- الآية الخامسة قوله تعالى: {فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِم} [مريم : ٨٤]، هذا منسوخ. وقوله: {إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا} [مريم : ٨٤]: هذا محكم. نسخ المنسوخ منها بآية السيف[٢].

- **فضائل السورة:**

ومما وردت من فضائل هذه السورة:

- عن ابن مسعود - رضي الله عنه -: "قال: في بني إسرائيل والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: إنهن من العتاق الأول، وهن من تلادي"[٣].
- جاء في فضائل هذه السورة ما رواه الإمام أحمد من حديث أم سلمة رضي الله عنها في قصة هجرتهم إلى الحبشة و النجاشي، وفيه: "فقال له النجاشى: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قالت: فقال له جعفر: نعم، فقال له النجاشي: فاقرأه علي، فقرأ عليه صدرا من {كهيعص} [مريم: ١]، قالت: فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والله والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة "[٤].
- عن بكر بن عبد الله المزني قال: "نزلت هذه الآية: {وإن منكم إلا واردها} [مريم: ٧١] ذهب عبد الله بن رواحة إلى بيته فبكى، فجاءت امرأته فبكت، فجاءت الخادم فبكت، وجاء أهل البيت فجعلوا يبكون، فلما انقطعت عبرته، قال: «يا أهلاه، ما الذي أبكاكم؟» قالوا: لا ندري، ولكن رأيناك بكيت فبكينا، قال: «إنه أنزلت على رسول الله آية ينبئني فيها ربي عز وجل أني وارد النار، ولم ينبئني أني صادر عنها[٥]، فذلك الذي أبكاني»"[٦].

---

(١) انظر: اسلام ويب. [موقع الكتروني].
(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١١٨-١١٩.
(٣)صحيح البخاري برقم (٤٧٠٨).
العتاق: جمع عتيق، وهو القديم، والعتاق الأول: أي السور التي أنزلت أولا بمكة، وأنها أول ما تعلمه ص من القرآن.
يعني قوله (من تلادي) أي مما حفظته قديمًا، والتليد والتلاد والتالد: المتقدم. والطريف والطارف: المستحدث
(٤)أخرجه أحمد ٢٠١/١ (١٧٤٠) و٢٩٠/٥ (٢٢٨٦٥) قال: حدثنا يعقوب، قال: حدثنا أبي. و"ابن خزيمة" ٢٢٦٠، قال: حدثنا محمد بن عيسى، حدثنا سلمة، يعني ابن الفضل.
(٥)صَدَر عن المكان: رجع وانصرف.
(٦) الزهد لابن المبارك(٣٠٩):ص١٠٤/١.

سورة « طه»

سورة «طه»: هي السورة «العشرون» في ترتيب المصحف، وهي السورة الأولى من المجموعة الثالثة من قسم المئين، نزلت بعدسورة: «مريم»[1]، وعدد آياتها: (١٤٠) مائة وأربعون عند الشاميين، (١٣٥) ومائة وخمس وثلاثون عند الكوفيين، (١٣٤) ومائة وأربع وثلاثون عند الحجازيين، وكلماتها: (١٣٤١) ألف وثلاثمائة وإحدى وأربعون، وحروفها: (٥٢٤٢) خمسة آلاف ومائتان واثنان وأربعون حرفا[2].

والآيات المختلف فيها إحدى وعشرون آية: {طه (١)} [طه : ١]، {مَا غَشِيَهُمْ} [طه : ٧٨]، {رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا} [طه : ٩٢]، درثه[3] موضع :{نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا} [طه : ٣٣]، {وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا} [طه : ٣٤]، {مَحَبَّةً مِنِّي} [طه : ٣٩]، فتونا، لنفسى {وَلَا تَحْزَنَ} [طه : ٤٠]، {أَهْلِ مَدْيَنَ} [طه : ٤٠]، {مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ} [طه : ٤٧]، ولقد {أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى} [طه : ٧٧] أسفا {وَإِلَهُ مُوسَى} [طه : ٨٨]، {وَعْدًا حَسَنًا } [طه : ٨٦]، {إِلَيْهِمْ قَوْلًا} [طه : ٨٩] {السَّامِرِيُّ}، فنسى، صفصفا {مِنِّي هُدًى} [طه : ١٢٣]، {زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [طه : ١٣١][4].

وفواصل آياتها «يوما»، وعلى الميم { مَا غَشِيَهُمْ} [طه : ٧٨]، وعلى الواو {ضَلُّوا} [طه : ٩٢][5].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: سورة «طه»:**

سميت هذه السورة باسم الحرفين «طه» المنطوق بهما في أولها، وقد وردت هذه التسمية عن النبي-صلى الله عليه وسلم- كما سيأتي بيانه في فضائل السورة، كما وردت تسميتها في كلام الصحابة-رضي الله عنهم-:

- عن أنس بن مالك , قال: "خرج عمر متقلدا السيف , فقيل له: إن ختنك وأختك قد صبوا , فأتاهما عمر وعندهما رجل من المهاجرين يقال له: خباب , وكانوا يقرؤون طه , فقال: أعطوني الكتاب الذي عندكم أقرأه وكان عمر يقرأ الكتاب , فقالت له أخته: إنك رجس، ولا يمسه إلا المطهرون , فقم فاغتسل أو توضأ، فقام عمر فتوضأ ثم أخذ الكتاب فقرأ طه "[6].
- وعن ابن عباس-رضي الله عنهما-، قال:"نزلت سورة طه بمكة"[7].
- وعن ابن الزبير-رضي الله عنهما-، قال:"نزلت سورة طه بمكة"[8].

وبذلك سميت في المصاحف وكتب التفسير وفي كتب السنة.

- **وجه التسمية:**

---

(١) انظر: اسرار ترتيب القرآن للسيوطي:١٠٨، الكشاف:٤٩/٣.
قال السيوطي:" روينا عن ابن عباس وجابر بن زيد في ترتيب النزول: أن طه نزلت بعد سورة مريم".
ونزلت سورة مريم فيما بين الهجرة إلى الحبشة وحادثة الإسراء، فيكون نزول سورة طه في ذلك التاريخ أيضا. أي بعد السنة السابعة من البعثة وقبل السنة الحادية عشرة من البعثة. [انظر: الموسوعة القرآنية خصائص السور:٢٢١/٥]
(٢)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣١٠.
(٣) كذا في البصائر:٣١٠/١. ,هذه الكلمة غير واضحة ، قال المحقق: ويظهر أنها فى الأصل (ترك) أى: ترك موضع لم يعد.
(٤) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.
(٥) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.
(٦) أخرجه الدارقطني في سننه(٤٤١):ص٢٢١/١. وقال:" القاسم بن عثمان ليس بالقوي".
(٧) اورده السيوطي في الدر المنثور:٥٤٨/٥، وعزاه إلى النحاس وابن مردويه.
(٨) اورده السيوطي في الدر المنثور:٥٤٨/٥، وعزاه إلى ابن مردويه.

سميت سورة «طه» لابتداء السورة بالنداء بها، قال تعالى:{طه (١) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٢)} [طه : ١ - ٢]، وقد قيل في المراد من هذه التسمية أقوال كثيرة؛ تُعْرَف في كتب التفسير، وكما سياتي بيانه-إن شاء الله-.

قال الزحيلي: "وهو اسم من أسماء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وفي ذلك تكريم له، وتسلية عما يلقاه من إعراض قومه"[١].

- **ثانيا:- أسماؤها الإجتهادية:**
- **الاسم الأول: سورة«الكليم»:**

وتسمى ايضا بسورة«الكليم»، كما ذكره السخاوي[٢]، والسيوطي[٣]، وأورده الالوسي في تفسيره[٤]، ولم يرد عن النبي-صلى الله عليه وسلم- ما يثبت هذه التسمية. والله أعلم.

- **الاسم الثاني: سورة«موسى»:**

ذكر الهذلي في «كامله» أنها تسمى «سورة موسى»[٥]، وذكرها البقاعي[٦]، والفيروزآبادي[٧]، وعلل تسميتها بذلك لاشتمالها على قصته مفصلة[٨]،فقد تضمنت حديثاً مستفيضاً عن موسى -عليه السلام- وقومه.

ولم يثبت هذا الاسم عن الرسول-صلى الله عليه وسلم-، او اصحابه، إنما هو من إجتهاد بعض العلماء من قصة السورة، لأن موسى يطلق على الكليم، والكليم هو موسى-عليه السلام-.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها مكية كلها. قاله ابن عباس[٩]، وابن الزبير[١٠]، ومقاتل[١١]، ويحيى بن سلام[١٢]، وابن قتيبة[١٣]، وابن ابي زمنين[١٤]، ومكي بن ابي طالب[١٥]، والواحدي[١٦]، والسمعاني[١٧]، والبغوي[١٨]، وغيرهم.

قال ابن الجوزي:" هي مكية كلها باجماعهم"[١].

---

(١) انظر: التفسير المنير:١٧٤/١٦.
(٢) انظر: جمال القراء:١٩٩/٢.
(٣) انظر: الإتقان:١٩٩/١.
يقول السيوطي في الإتقان ١/ ١٩٩: « في جمال القراء للسخاوي أن سورة «طه» تسمى: «سورة الكليم»، وأعاد السيوطي نقل ذلك عن السخاوي في كتابه: معترك الأقران في إعجاز القرآن:٢٧٨/٢، ١٩٨/٣.
(٤) انظر: روح المعاني:١٤٧/١٥.
(٥) عزاه غليه السيوطي في الإتقان:١٩٩/١، ومعترك الأقران:٢٧٨/٢
(٦) انظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور:٢٦٧/٢.
(٧) انظر: البصائر:٣١١/١.
(٨) انظر: المصدر نفيه والصحيفة نفسها.
(٩) اورده السيوطي في الدر المنثور:٥٤٨/٥، وعزاه إلى النحاس وابن مردويه.
(١٠) اورده السيوطي في الدر المنثور:٥٤٨/٥، وعزاه إلى ابن مردويه.
(١١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:١٩/٣.
(١٢) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٢٥١/١.
(١٣) انظر: غريب القرآن:٢٧٧.
(١٤) اظر: تفسير الن ابي زمنين:١١٠/٣.
(١٥) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٦٠٥/٧.
(١٦) انظر: التفسير الوسيط:١٩٩/٣.
(١٧) انظر: تفسير السمعاني:٣١٨/٣.
(١٨) انظر: تفسيرالبغوي:٢٥٩/٥.

قال العزّ بن عبدالسلام:" سورة طه مكية اتفاقا"[٢].

قال الفيروزآبادي: "السورة مكيّة إجماعا"[٣].

الثاني: أنها مكية إلا آية {فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ } [طه : ١٣٠] الآية نزلت بالمدينة. قاله مرعي الكرمي[٤].

الثالث: انها مكّيّة إلّا آيتي :[١٣٠ و ١٣١] [٥]، فمدنيتان. قاله الزمخشري[٦]، وابن جزي[٧]، وذكره المراغي[٨].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

من وجوه المناسبة بين السورتين:

١- إنه لما ذكر فى سورة «مريم» قصص عدد من الأنبياء والمرسلين، بعضها بطريق البسط والإطناب كقصص زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام، وبعضها بين البسط والإيجاز كقصص إبراهيم عليه السلام، وبعضها موجز مجمل كقصة موسى عليه السلام، ثم أشار إلى بقية النبيين بالإجمال- ذكر هنا قصة موسى التي أجملت فيما سلف، واستوعبها غاية الاستيعاب، ثم فصل قصة آدم عليه السلام، ولم يذكر فى سورة «مريم» إلا اسمه فحسب.

٢- إنه روى عن ابن عباس أن هذه السورة نزلت بعد سالفتها.

٣- إن أول هذه السورة متصل بآخر السورة السابقة ومناسب له فى المعنى، إذ ذكر فى آخر تلك أنه إنما يسر القرآن بلسانه العربي المبين، ليكون تبشيرا للمتقين وإنذارا للمعاندين، وفى أوائل هذه ما يؤكد هذا المعنى[٩].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

افتتحت السورة بملاطفة النبي صلى الله عليه وسلم بأن الله لم يُرد من إرساله وإنزال القرآن عليه أن يشقى بذلك، أي تصيبه المشقة، ويُضنيه التعب، ولكن أراد أن يُذّكر بالقرآن من يخاف وعيده. وفي هذا تنويه أيضاً بشأن المؤمنين الذين آمنوا بأنهم كانوا من أهل الخشية، ولولا ذلك لما ادكروا بالقرآن.

وفي هذه الفاتحة تمهيد لما يَرد من أمر الرسول عليه الصلاة والسلام بالاضطلاع بأمر التبليغ، وبكونه من أولي العزم من الرسل، مثل موسى عليه السلام، وأن لا يكون مفرطاً في العزم، كما كان آدم عليه السلام قبل نزوله إلى الأرض.

فرسالته صلى الله عليه وسلم ليست شِقوة كُتبت عليه، وليست عناء يُعَذَّب به، إنما هي الدعوة والتذكرة، وهي التبشير والإنذار. وأَمْرُ الخلق بعد ذلك إلى الله الواحد الذي لا إله غيره، المهيمن على ظاهر الكون وباطنه، الخبير بظواهر القلوب وخوافيها، الذي تخضع له الجباه، ويرجع إليه الناس طائعهم وعاصيهم، فلا على الرسول ممن يكذب ويكفر، ولا يشقى؛ لأنهم يكذبون ويكفرون.

---

(١) زاد المسير:١٥٠/٣.

(٢) تفسير العز بن عبدالسلام:٢٩٢/٢.

(٣) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣١٠.

(٤) انظر: قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن:١٣٩.

(٥) وهما: {فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى (١٣٠) وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٣١)} [طه : ١٣٠ - ١٣١].

(٦) انظر: الكشاف:٤٩/٣.

(٧) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل:٥/٢.

(٨) انظر: تفسير المراغي:٩٣/١٦.

(٩) انظر: أسرار ترتيب القرآن:١٠٨-١٠٩، وتفسير المراغي:٩٣/١٦، وتفسير الزحيلي:١٧٤/١٦.

وجاءت خاتمة السورة كأبلغ خواتم الكلام؛ لإيذانها بانتهاء المحاجة، وطيٍّ بساط المقارعة؛ فانتظمت بما يشبه رد العجز على الصدر؛ فكانت فاتحة السورة قوله سبحانه:{مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٢) إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى (٣)} [طه : ٢ - ٣]؛ وخُتمت بما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم قد بلَّغ كلَّ ما بعث به من الإرشاد والاستدلال، فإذا لم يهتدوا بهديه، ولم يأتمروا بأمره، فإن في أدائه لرسالة ربه، وتذكيره بإنعامه وفضله ما يثلج صدره.

وتعرض السورة بين مطلعها وختامها قصة نبي الله موسى عليه السلام من بداية الرسالة إلى وقت اتخاذ بني إسرائيل للعجل بعد خروجهم من مصر، مفصلة مطولة؛ وبخاصة موقف المناجاة بين الله وكليمه موسى، وموقف الجدل بين موسى وفرعون .وموقف المباراة بين موسى والسحرة. وتتجلى في أثناء هذه القصة رعاية الله لموسى الذي صنعه على عينه، واصطفاه لنفسه، وقال له ولأخيه:{قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى} [طه : ٤٦].

وعرضت السورة قصة آدم سريعة قصيرة، برزت فيها رحمة الله لآدم بعد خطيئته، وهدايته له. وترك البشر من أبنائه لما يختارون من هدى أو ضلال بعد التذكير والإنذار .

وتحيط بالقصة مشاهد القيامة، وكأنما هي تكملة لما كان أول الأمر في الملأ الأعلى من قصة آدم، حيث يعود الطائعون إلى الجنة، ويذهب العصاة إلى النار؛ تصديقاً لما قيل لأبيهم آدم ، وهو يهبط إلى الأرض بعد ما كان!

وفي العموم، فإن سياق السورة يمضي وينتظم في شوطين اثنين:

أحدهما: يتضمن مطلع السورة بالخطاب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم:{مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٢) إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى (٣)} [طه : ٢ - ٣]، تتبعه قصة موسى نموذجاً كاملاً لرعاية الله سبحانه لمن يختارهم من أنبيائه ورسله وأصفيائه لإبلاغ دعوته، فلا يشقون بها، وهم في رعايته وعنايته.

الثاني: يتضمن مشاهد القيامة وقصة آدم، وهما يسيران في اتجاه مطلع السورة وقصة موسى، ثم ختام السورة بما يشبه مطلعها ويتناسق معه ومع جو السورة.

وأكدت السورة في خاتمتها أن الوظيفة الرئيسة للرسل إنما هي الإبلاغ والتذكير لمن تنفعه التذكرة، وليس بعد الإبلاغ إلا انتظار العاقبة، والعاقبة للمتقين.

وقد كانت قصة موسى ونهاية فرعون في خلال هذه السورة تحقيقاً لهذا المعنى، وتأكيداً لفوز المؤمنين ومصرع الكاذبين، وبذلك يتناسق المطلع والختام، وتكون السورة أشبه بموضوع له مقدمة، ثم قصة تؤيد المقدمة، ثم خاتمة تؤكد الموضوع.

ويظهر من خلال قراءة هذه السورة أن ثمة وحدة فكرية بين أجزائها، خلاصتها: شمول فضل الله ورحمته وعطفه لعباده المؤمنين، وإيقاع نقمته على الكافرين، وعذابه للمكذبين.

ويمكن تلخيص أهم موضوعات السورة في المحاور الآتية:

١- التَّنويهُ بعَظَمةِ القُرآنِ الكريمِ وأنَّه منزلٌ مِن الله تعالى.
٢- تفصيلُ الكلامِ عن قصةِ موسَى عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، وإرسالِه إلى فرعونَ، وما جرَى بينَهما مِن حوارٍ، وأمرِ السحرةِ وما آلَ إليه أمرُهم، وما فعَله بنو إسرائيلَ في غَيبةِ موسَى عنهم، وإضلالِ السامريِّ لهم.
٣- ذِكرُ جَزاءِ المُعرِضينَ عن القرآنِ الكريمِ، وذِكرُ شَيءٍ مِن مشاهِدِ يومِ القيامةِ.
٤- بيانِ مَنزِلةِ القرآنِ، وأنه نزل عربيًّا، وأنَّ الله تعالى صرَّف فيه مِن الوعيدِ.
٥- ذكرُ قصَّةِ خَلقِ آدَمَ.
٦- أمرُ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم بعدةِ أمورٍ؛ منها: الصبرُ، والإكثارُ مِن ذكرِ الله، وعدمُ التطلُّعِ إلى زهرةِ الحياةِ الدنيا، وأمرُ أهلِه بالصلاةِ.
٧- الردُّ على مزاعمِ المشركين، وتهديدُهم بسوءِ العاقبةِ إذا ما استمرُّوا على ضلالِهم.

الناسخ والمنسوخ:

تحتوي من المنسوخ على ثلاث آيات:

- الآية الأولى قوله تعالى:{وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُه} [طه : ١١٤]، نسختها {سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى} [الأعلى : ٦]، وما في الأصل الى أخره نسخة أخرى: {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا} [طه : ١١٤]، هذا محكم وذلك أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لما صلى بأصحابه وقرأ سورة النجم وانتهت قراءته الى قوله تعالى :{أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩)وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى} [النجم : ١٩-٢٠]، اراد أن يقول: {أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى} [النجم : ٢١]، فقال: "تلك الغرانيق العلي وشفاعتهن ترتجى"، ثم مضى في قراءته وختم السورة فقالت قريش قد صبأ إلى ديننا فسجد وسجدوا معه حتى لم يبق بمكة أحد إلا سجد إلا الوليد بن المغيرة فإنه أخذ كفا من حصى ورفعه الى وجهه تكبرا، فأنزل الله تعالى جبريل، فقال له ما هكذا أنزلت عليك فقال وكيف أنزلت علي فأخبره بالقرآن على حقيقته فاغتم صلى الله عليه وسلم وحزن لذلك، فأنزل الله تعالى عليه تسلية فقال: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ} [الحج : ٥٢]، أي: في قراءته وتلاوته، {فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَان} [الحج : ٥٢]، فيرفعه، {ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ} [الحج : ٥٢]، ويبينها، {وَاللَّهُ عَلِيمٌ} [الحج : ٥٢] بأمره، {حَكِيمٌ} [الحج : ٥٢] بصنعه وتدبيره.
  فكان النبي (صلى الله عليه وسلم) إذا جاء جبريل بالقرآن سابقة في لفظه ليقرأ على جبريل مرتين فأنزل الله تعالى هذه الآية: {وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ} [طه : ١١٤]، ونزل{لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ(١٦)إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ(١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ} [القيامة : ١٦-٢٨]، فبقي بين بين لا يقدر أن يقرأه مع جبريل ولا يمكنه أن يخالف الأمر حتى أنزل الله تعالى الأمان، فقال: {سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى} [الأعلى : ٦]، فصار هذا ناسخا لما قبله فلم ينسى شيئا حتى لقى ربه تعالى.
- الآية الثانية: قوله تعالى: {فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّك} [طه : ١٣٠]، وكان هذا قبل أن تنزل الفرائض ثم صار ذلك منسوخا بآية السيف.
- الآية الثالثة: قوله تعالى: {قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا} [طه : ١٣٥] الآية، ثم صار ذلك منسوخا بآية السيف(١).

- **فضائل السورة:**

ومما وردت من فضائل هذه السورة:

- عن أبي أمامة، يرفعه قال: " اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في سور ثلاث: في البقرة، وآل عمران، وطه، يعني: الحي القيوم "(٢).
- عن ابن مسعود - رضي الله عنه -: "قال: في بني إسرائيل والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: إنهن من العتاق الأول، وهن من تلادي"(٣).
- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله تبارك وتعالى قرأ طه ويس قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت: طوبى لأمة ينزل عليها هذا وطوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لألسنة تتكلم بهذا"(٤).

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١٢٠-١٢٣.

(٢) فضائل القرآن للفريابي(٤٧):ص١٥٧، وفضائل القرآن للمستغفري(٨٣٢):ص٥٧٠/٢، و.

(٣)صحيح البخاري برقم (٤٧٠٨).

العتاق: جمع عتيق، وهو القديم، والعتاق الأول: أي السور التي أنزلت أولا بمكة، وأنها أول ما تعلمه ص من القرآن.

يعني قوله (من تلادي) أي مما حفظته قديمًا، والتليد والتلاد والتالد: المتقدم. والطريف والطارف: المستحدث

(٤)رواه الدارمي (٣٤١٤)، وابن خزيمة في التوحيد (٢٣٦)، والطبراني في الأوسط (٤٨٧٦)، والبيهقي في الشعب (٢٤٥٠)، وابن عدي في الكامل (١/ ٢١٨)، والعقيلي في الضعفاء (١/ ٦٦). وأورده السيوطي في الدر المنثور:٥٤٨/٥،

- عن ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أعطيت السورة التي ذكرت فيها الأنعام من الذكر الأول وأعطيت طه والطواسيم من ألواح موسى وأعطيت فواتح القرآن وخواتيم البقرة من تحت العرش وأعطيت المفصل نافلة"(١).
- عن أبي أمامة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كل قرآن يوضع على أهل الجنة فلا يقرؤون منه شيئا إلا طه ويس فإنهم يقرؤون بهما في الجنة"(٢).
- عن المسيب عن زياد، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يقرأ أهل الجنة من القرآن إلا يس وطه"(٣).

وزاد نسبته إلى ابن مردويه.
والحديث منكر غير ثابت، وانظر: السلسلة الضعيفة (١٢٤٨).
وقال السيوطي:" وأخرج الديلمي عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه".
(١)أورده السيوطي في الدر المنثور:٥٤٨/٥، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٢)أورده السيوطي في الدر المنثور:٥٤٨/٥، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٣) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان:٢٣٥/٦.

سورة « الانبياء»

سورة «الأنبياء»: هي السورة «الحادية والعشرون» في ترتيب المصحف، وهي السورة الثانية من المجموعة الثالثة من قسم المئين، نزلت بعدسورة: «إبراهيم»[(١)]، وعدد آياتها: (١١٢) مائة واثنتا عشرة عند الكوفيين، (١١١) ومائة وإحدى عشرة عند الباقين، وكلماتها: (١١٦٨) ألف ومائة وثمانية وستون، وحروفها: (٤٨٧٠) أربعة آلاف وثمانمائة وسبعون حرفا[(٢)].

والمختلف فيها آية واحدة: {وَلَا يَضُرُّكُم} [الأنبياء : ٦٦][(٣)].

مجموع فواصل آياتها «م ن»[(٤)].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة الأنبياء»:**

سماها الصحابة-رضوان الله عليهم- «سورة الانبياء»، كما مبين أدناه:

- عن ابن مسعود - رضي الله عنه -: "قال: في بني إسرائيل والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: إنهن من العتاق الأول، وهن من تلادي"[(٥)].
- وعن ابن عباس-رضي الله عنهما-، قال:" نزلت سورة الأنبياء بمكة"[(٦)].
- وعن ابن الزبير-رضي الله عنهما-، قال:" نزلت سورة الأنبياء بمكة"[(٧)].

وبذلك سميت في المصاحف وكتب التفسير وفي كتب السنة.

- **وجه التسمية:**

سميت «سورة الأنبياء» لتضمنها الحديث عن جهاد الأنبياء المرسلين مع أقوامهم الوثنيين، بدءا من قصة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام بإسهاب وتفصيل، ثم إسحاق، ويعقوب، ولوط، ونوح، وداود، وسليمان، وأيوب، وإسماعيل، وإدريس، وذي الكفل، وذي النون: يونس، وزكريا، وعيسى، إلى خاتم النبيين محمد صلوات الله وسلامه عليهم، وذلك بإيجاز يدل على مدى ما تعرضوا له من أهوال وشدائد، فصبروا عليها، وضحوا في سبيل الله، لإسعاد البشرية[(٨)].

- **ثانيا:- اسمها الإجتهادي:«سورة اقترب»:**

ذكر السخاوي هذه التسمية[(٩)]، وذلك من باب تسمية السورة بأول كلمة فيها، وقد سماها عامر بن ربيعة بأول الآية منها، فقال:" نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا :{اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ }"[(١)].

---

(١) انظر: اسرار ترتيب القرآن للسيوطي:١٠٨، والكشاف:١٠٠/٣. وقال ابن عاشور٦/١٧:" نزلت بعد حم السجدة وقبل سورة النحل، فتكون من أواخر السور النازلة قبل الهجرة، ولعلها نزلت بعد إسلام من أسلم من أهل المدينة كما يقتضيه قوله تعالى: {وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون} [الأنبياء: ٣]".

(٢)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣١٧.

(٣) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٤) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٥)صحيح البخاري برقم (٤٧٠٨).

العتاق: جمع عتيق، وهو القديم، والعتاق الأول: أي السور التي أنزلت أولا بمكة، وأنها أول ما تعلمه ص من القرآن.

يعني قوله «من تلادي»: أي مما حفظته قديمًا، والتليد والتلاد والتالد: المتقدم. والطريف والطارف: المستحدث

(٦) اورده السيوطي في الدر المنثور:٦١٥/٥، وعزاه إلى النحاس وابن مردويه.

(٧) اورده السيوطي في الدر المنثور:٦١٥/٥، وعزاه إلى البخاري وابن مردويه.

(٨) انظر: التفسير المنير:٥/١٧.

(٩) انظر: جمال القراء:٩١.

وردت هذه التسمية ايضا في حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، المُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي: ٤١/٣.

ولم يرد عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- ما يثبت هذه التسمية. والله أعلم.

▪مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة قولان:

أحدهما: أنها مكية جميعها. قاله ابن عباس(٢)، وابن الزبير(٣)، ومقاتل(٤)، ويحيى بن سلام(٥)، وابن قتيبة(٦)، والماتريدي(٧)، والسمرقندي(٨)، وابن ابي زمنين(٩)، ومكي بن أبي طالب(١٠)، والواحدي(١١)، والسمعاني(١٢)، والبغوي(١٣)، وغيرهم.

قال ابن الجوزي:" هي مكية باجماعهم من غير خلاف نعلمه"(١٤).

قال القرطبي:" مكية في قول الجميع"(١٥).

قال الفيروزآبادي: "السورة مكّيّة بالاتفاق"(١٦).

الثاني: أنها مكية إلا آية:{أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ} [الأنبياء : ٤٤]، فإنها نزلت بالمدينة. نقله السيوطي في "الإتقان" دون عزوه إلى قائل(١٧).

قال ابن عاشور:" ولعله أخذه من رواية عن مقاتل والكلبي وابن عباس، أن المعنى: "«نَنْقُصُهَا» بفتح البلدان"(١٨)، أي: بناء على أن المراد من الرؤية في الآية الرؤية البصرية، وأن المراد من الأرض أرض الحجاز، وأن المراد من النقص نقص سلطان الشرك منها. وكل ذلك ليس بالمتعين ولا بالراجح.. فالأرجح أن سورة الأنبياء مكية كلها"(١٩).

▪ مناسبة السورة لما قبلها:

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من النواحي الآتية:

١- الإشارة إلى قرب الأجل المسمى للعذاب، ودنو الأمل المنتظر، فقال تعالى في آخر سورة طه: {وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى} [طه : ١٢٩]، ثم قال:{قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى} [طه : ١٣٥]، وقال تعالى في مطلع هذه السورة: {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ} [الأنبياء : ١].

---

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور:٦١٥/٥. وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية وابن عساكر. وسيأتي في فضائل السورة. إن شاء الله.

(٢) اورده السيوطي في الدر المنثور:٦١٥/٥، وعزاه إلى النحاس وابن مردويه.

(٣) اورده السيوطي في الدر المنثور:٦١٥/٥، وعزاه إلى البخاري وابن مردويه.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٧٠/٣.

(٥) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٢٩٧/١.

(٦) انظر: غريب القرآن:٣٢٤.

(٧) انظر: تأويلات أهل السنة:٣٢٥/٧.

(٨) انظر: بحر العلوم:٤١٩/٢.

(٩) اظر: تفسير الن ابي زمنين:١٣٩/٣.

(١٠) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٧٢٥/٧.

(١١) انظر: التفسير الوسيط:٢٢٩/٣.

(١٢) انظر: تفسير السمعاني:٣٦٧/٣.

(١٣) انظر: تفسير البغوي:٢٨٢/٣.

(١٤) زاد المسير:١٨٤/٣.

(١٥)تفسير القرطبي:٢٦٦/١١ .

(١٦) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣١٧.

(١٧) انظر: الإتقان:٦١/١.

(١٨) حكاه عنهم الرازي في مفاتيح الغيب:١٤٧/٢٢، والسيوطي في اللباب في علوم الكتاب:٥٠٧/١٣.

(١٩) التحرير والتنوير:٦/١٧.[بتصرف في تصحيح الخبر عن مقاتل والكلبي وابن عباس]

٢- أن السورة السالفة ختمت بأن الناس قد شغلتهم زهرة الدنيا التي جعلها الله لهم فتنة، وأن الله نهى رسوله أن يتطلع إليها، وأمره بالصلاة والصبر عليها، وأن العاقبة للمتقين- وبدئت هذه السورة بمثل ما ختمت به السالفة، فذكر فيها أن الناس غافلون عن الساعة والحساب، وأنهم إذا سمعوا القرآن استمعوه وهم لاعبون، وقلوبهم لاهية عنه[1].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

والأغراض التي ذكرت في هذه السورة هي:

١- الإنذار بالبعث، وتحقيق وقوعه وإنه لتحقق وقوعه كان قريبا.
٢- إقامة الحجة عليه بخلق السماوات والأرض عن عدم وخلق الموجودات من الماء.
٣- التحذير من التكذيب بكتاب الله تعالى ورسوله.
٤- التذكير بأن هذا الرسول صلى الله عليه وسلم ما هو إلا كأمثاله من الرسل وما جاء إلا بمثل ما جاء به الرسل من قبله.
٥- ذكر كثير من أخبار الرسل عليهم السلام.
٦- التنويه بشأن القرآن وأنه نعمة من الله على المخاطبين وشأن رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم وأنه رحمة للعالمين.
٧- التذكير بما أصاب الأمم السالفة من جراء تكذيبهم رسلهم وأن وعد الله للذين كذبوا واقع لا يغرهم تأخيره فهو جاء لا محالة، وحذرهم من أن يغتروا بتأخيره كما اغتر الذين من قبلهم حتى أصابهم بغتة، وذكر
٨- أن من أشراط الساعة فتح يأجوج ومأجوج.
٩- التذكير بما في خلق السماوات والأرض من الدلالة على الخالق، والإيماء إلى أن وراء هذه الحياة حياة أخرى أتقن وأحكم لتجزى كل نفس بما كسبت وينتصر الحق على الباطل، ثم ما في ذلك الخلق من الدلائل على وحدانية الخالق إذ لا يستقيم هذا النظام بتعدد الآلهة.
١٠- تنزيه الله تعالى عن الشركاء وعن الأولاد والاستدلال على وحدانية الله تعالى، وما يكرهه على فعل ما لا يريد.
١١- أن جميع المخلوقات صائرون إلى الفناء.
١٢- التذكير بالنعمة الكبرى عليهم وهي نعمة الحفظ.
١٣- ذكر الرسل والأنبياء وتنظير أحوالهم وأحوال أممهم بأحوال محمد صلى الله عليه وسلم وأحوال قومه، وكيف نصر الله الرسل على أقوامهم واستجاب دعواتهم.
١٤- أن الرسل كلهم جاءوا بدين الله وهو دين واحد في أصوله قطعه الضالون قطعا، وأثنى على الرسل وعلى من آمنوا بهم.
١٥- أن العاقبة للمؤمنين في خير الدنيا وخير الآخرة، وأن الله سيحكم بين الفريقين بالحق ويعين رسله على تبليغ شرعه.

الناسخ والمنسوخ:

تحتوي من المنسوخ على ثلاث آيات متصلات نسخت بثلاث آيات متصلات أيضا:

فالمنسوخات:

- قوله تعالى: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ} [الأنبياء : ٩٨] إلى قوله: {وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ} [الأنبياء : ١٠٠]، فقالت قريش لقد خصمنا محمد بالأمس حتى تلى هذه الآية فقال لهم ابن الزبعري أنا أخصم محمدا في هذه الآيات، فقالوا وكيف تخصمه فقال إن اليهود عبدت العزيز والنصارى

---

(١) انظر: أسرار ترتيب القرآن:١١٠، وتفسير المراغي:٣/١٧، التفسير المنير:٦/١٧.

عبدت المسيح ومريم وقالوا ثالث ثلاثة والمجوس عبدت النار والنور والشمس والقمر وإن الصابئة عبدت الملائكة والكواكب فان يكن هؤلاء مع من عبدوهم في النار فقد رضينا أن نكون مع أصنامنا في النار فأنزل الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ} [الأنبياء : ١٠١]، الى قوله: {هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُون} [الأنبياء : ١٠٣].

وفيها رواية أخرى أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال لهم: عجبت من جهلكم، بلغ بكم ان حملهم على كفركم، قال الله تعالى: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ} [الأنبياء : ٩٨]، ولم يقل: "ومن تعبدون"، لأن ما خطاب لمن لا يعقل ومن خطاب لمن يعقل والله أعلم بالصواب[١].

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن ابن مسعود - رضي الله عنه -: "قال: في بني إسرائيل والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: إنهن من العتاق الأول، وهن من تلادي"[٢].
- عن عامر بن ربيعة :"أنه نزل به رجل من العرب ، فأكرم عامر مثواه ، وكلّم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءه الرجل فقال : إني استقطعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم واديًا في العرب ، وقد أردت أن أقطعَ لك منه قطعة تكون لك ولعقبك من بعدك. فقال عامر : لا حاجة لي في قطيعتك ، نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا :{اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ }"[٣].
- عن أبى بن كعب قال: قال رسول الله: صلى الله عليه وسلم «من قرأ سورة اقترب للناس حسابهم حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن»[٤].[ضعيف]

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١٢٤-١٢٥.

(٢)صحيح البخاري برقم (٤٧٠٨).
العتاق: جمع عتيق، وهو القديم، والعتاق الأول: أي السور التي أنزلت أولا بمكة، وأنها أول ما تعلمه ص من القرآن.
يعني قوله (من تلادي) أي: مما حفظته قديمًا، والتليد والتلاد والتالد: المتقدم. والطريف والطارف: المستحدث

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور:٦١٥/٥. وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية وابن عساكر.

(٤) أخرجه الثعلبي في تفسيره:٢٦٨/٦، والمستغفري في فضائل القرآن(١١٨٨):ص٧٨/٢، والواحدي في التفسير الوسيط:٢٢٩/٣.
قال الفيروز آبادي:" روى فيه أحاديث ساقطة ضعيفة. منها: «من قرأ سورة اقترب للناس حسابهم حاسبه الله حسابا يسيرا، وصافحه، وسلم عليه كل نبى ذكر اسمه فى القرآن». وفى حديث على:« يا على من قرأ هذه السورة فكأنما عبد الله على رضاه»". انظر: البصائر:٣٢٢/١].

سورة « الحج»

سورة «الحج»: هي السورة «الثانية والعشرون» في ترتيب المصحف، وقد عُدَّت السورة الخامسة والمائة في عداد نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة«النور»[١]، وعدد آياتها: وعدد آياتها ثمان وسبعون فى عد الكوفيين، وسبع للمدنيين، وخمس للبصريين، وأربع للشاميين. وكلماتها ألفان ومائتان وإحدى وتسعون كلمة. وحروفها خمسة آلاف وخمسة وسبعون[٢].

والآيات المختلف فيها خمس: {الْحَمِيمُ} [الحج : ١٩]، {الْجُلُود} [الحج : ٢٠] ، {وَعَادٌ وَثَمُودُ} [الحج : ٤٢]، {وَقَوْمُ لُوطٍ} [الحج : ٤٣]، {سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِين} [الحج : ٧٨]، مجموع فواصل آياتها :«انتظم زبرجد قط» على الهمزة منها :{إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} [الحج : ١٨][٣].

- **أسماء السورة:**
- **اسمها التوقيفي: «سورة الحج»:**

اشتهرت تسميتها بـ«سورة الانبياء»، في عهد الرسول-صلى الله عليه وسلم-، وعهد اصحابه-رضوان الله عليهم-، وبذلك سميت في المصاحف وكتب التفسير وفي كتب السنة، وفيما ياتي بعض الآثار عن هذه التسمية:

- عن عقبة بن عامر، قال: "قلت: يا رسول الله، أفضلت سورة الحج على القرآن بأن جعل فيها سجدتان؟ فقال:«نعم، ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما»[٤].
- عن عمرو بن العاص-رضي الله عنه-: "أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أقرأه خمس عشرة سجدة فى القرآن: منها ثلاث فى المفصل، وسجدتان فى الحج"[٥].
- عن ابن عباس-رضي الله عنهما-:"نزلت سورة الحج بالمدينة"[٦].
- عن ابن مسعود-رضي الله عنه-:"أول سورة نزلت فيها السجدة: الحج، قرأها رسول الله فسجد وسجد الناس إلا رجل أخذ التراب فسجد عليه فرأيته قتل كافرا"[٧].

- **وجه التسمية:**

سميت «سورة الحج» لإعلان فريضة الحج فيها على الناس، على لسان إبراهيم الخليل عليه السلام: {وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ} [الحج : ٢٧]، وذلك بعد بناء البيت العتيق، فأذن، فبلغ صوته أنحاء الأرض، وأسمع النطف في الأصلاب والأجنة في الأرحام، وأجابوا النداء: «لبيك اللهم لبيك»[٨].

وليس لهذه السورة غير اسمها التوفيقي، ولذلك لم يعدها السخاوي أو السيوطي في عداد السور ذوات الاسمين أو اكثر.

وقد ورد لفظ«الحج» في بعض سور القرىن الكريم، كسورة البقرة في آيات عدة[٩]، وفي سورة التوبة آية واحدة[١]، وقد وردت بلفظ« حِجُّ» في آل عمران[٢].

---

(١) قاله الكلبي، انظر: التسهيل:٣٢/٢. والمخللاني، انظ{: القول الوجيز:٢٤٠، وحكاه ابن عاشور ان ابن عباس، انظر: التحرير والتنوير: ١٨٣/١٧.
(٢)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٢٣.
(٣) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.
(٤)سيأتي تخريجه في فضائل السورة.
(٥) رواه ابو داود(١٤٠١):ص٥٨/٢، وابن ماجة(١٠٥٧):ص٣٣٥/١.
(٦) اورده السيوطي في الدر المنثور:٣/٦، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٧) أخرجه الحاكم في المستدرك(٨٠٣):ص٣٤٢/١.
(٨) انظر: التفسير المنير:١٤٨/١٧.
(٩) انظر الآيات:[١٨٩، ١٩٦، ١٩٧.

▪مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة أقوال:

أحدها: أنها مكية. قاله النسفي[٣]، وعبدالقاهر الجرجاني[٤]، وابن كثير[٥].

الثاني: أنها مدنية. قاله ابن عباس[٦]، وابن الزبير[٧]، والضحاك[٨].

قال ابن عاشور:"عدت سورة الحج :"السورة الخامسة والمائة في عداد نزول سور القرآن في رواية جابر بن زيد، عن ابن عباس قال: «نزلت بعد سورة النور وقبل سورة المنافقين». وهذا يقتضي أنها عنده مدنية كلها لأن سورة النور وسورة المنافقين مدنيتان فينبغي أن يتوقف في اعتماد هذا فيها"[٩].

الثالث: أنها مكية كلها، غير آيتين نزلتا بالمدينة: قوله سبحانه وتعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ} [الحج : ١١]، والتي تليها. رواه أبو صالح عن ابن عباس[١٠].

الرابع: أنها نزلت بمكة إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة، من قوله: {هَذَانِ خَصْمَانِ} [الحج : ١٩] إلى قوله: {وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١)} [الحج : ٢١]. قاله ابن عباس[١١]، ومجاهد[١٢]، وعطاء بن السائب[١٣]، وبه قال القرطبي[١٤].

الخامس: أنها مدنية إلا أربع آيات نزلت بمكة، وهنّ الآيات: [٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥][١٥]. قاله ابن عباس[١٦]، وقتادة[١٧].

السادس: أنها مكية غير ست آيات نزلت بالمدينة، من قوله: {هَذَانِ خَصْمَانِ} [الحج : ١٩] إلى قوله: {صِرَاطِ الْحَمِيدِ} [الحج : ٢٤]. قاله الثعلبي[١٨]، والفيروزآبادي[١]، والبغوي[٢]، والزمخشري[٣]، والبيضاوي[٤].

---

(١) الآية [٣].

(٢){فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} [آل عمران : ٩٧].

(٣) تفسير النسفي:٩٤/٣.

(٤) انظر: درج الدرر:١٢٤٥/٣.

(٥) تفسير ابن كثير:٣٨٩/٥.

(٦) اورده السيوطي في الدر المنثور:٣/٦، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٧) اورده السيوطي في الدر المنثور:٣/٦، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٨) حكاه عنه ابن عطية في المحرر الوجيز:١٠٥/٤.

(٩)التحرير والتنوير:١٨٣/١٧ .

(١٠) انظر: زاد المسير:٢٢٠/٣.

(١١)حكاه عنه السمعاني في التفسير: ٤١٦/٣، وقال أنه أظهر روايتي ابن عباس، وحكاه عنه أيضا ابن عطية في المحرر الوجيز:١٠٥/٤، والقرطبي في التفسير:١/١٢.

(١٢) حكاه عنه ابن عطية في المحرر الوجيز:١٠٥/٤، والقرطبي في التفسير:١/١٢.

(١٣) انظر: زاد المسير:٢٢٠/٣.

(١٤)انظر: تفسير القرطبي:١/١٢ .

(١٥) وهن الآيات:{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢) لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٣) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٤) وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ (٥٥)} [الحج : ٥٢ - ٥٥].

(١٦) انظر: زاد المسير:٢٢٠/٣.

(١٧) اورده السيوطي في الدر المنثور:٣/٦، وعزاه إلى ابن المنذر.

(١٨) انظر: زاد المسير:٢٢٠/٣.

السابع: أنها مكية، إلا الآيات:[١، ٢٥،١١،٢، ٣٩، ٤٠، ٥٤، ٥٨، ٥٩]. قاله مقاتل(٥).
الثامن: أن أولها مدني إلى قوله تعالى: {وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ} [الحج : ٣٧]، وسائرها مكي. قاله أبو سليمان الدمشقي(٦).

قال ابن عطية:" قال الجمهور مختلطة فيها مكي ومدني، وهذا هو الأصح والله أعلم لأن الآيات تقتضي ذلك"(٧).

عن أنس، قال: "نزلت {يا أيها الناس اتقوا ربكم} [الحج: ١] إلى قوله {ولكن عذاب الله شديد} [الحج: ٢] على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مسير له، فرفع بها صوته حتى ثاب إليه أصحابه، فقال: " أتدرون أي يوم؟ هذا يوم يقول الله لآدم: قم فابعث بعثا إلى النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحدا إلى الجنة " فكبر ذلك على المسلمين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «سددوا، وقاربوا، وأبشروا، فوالذي نفسي بيده، ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير، أو كالرقمة في ذراع الدابة، إن معكم لخليقتين ما كانتا في شيء قط إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج، ومن هلك من كفرة الجن والإنس»"(٨).

ذكر القرطبي عن الغزنوي أنه قال: سورة الحج: "هي من أعاجيب السور، نزلت ليلا ونهارا، سفرا وحضرا، مكيا ومدنيا، سلميا وحربيا، ناسخا ومنسوخا، محكما ومتشابها، مختلف العدد"(٩).

وقال هبة الله بن سلامة :سورة الحج: " نزلت في مواطن مختلفة وهي من أعاجيب سور القرآن لأنها نزلت ليلا ونهارا، وفيها مكي ومدني وسفري وحضري وحربي وسلمي وناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه... فأما المكي منها فمن رأس الثلاثين منها الى آخرها، وأما المدني منها فمن رأس خمسة عشر الى رأس ثلاثين، وأما الليلي منها فمن أولها الى رأس خمس آيات، وأما النهاري فمن راس خمس الى رأس تسع، وأما السفري فمن رأس تسع الى رأس تسع إلى اثنتي عشرة، وأما الحضري منها فألى رأس العشرين، نسبت الى المدينه لقرب مدته"(١٠).

- **مناسبة سورة«الحج» مع سورة «الانبياء»:**

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من النواحي الآتية:

١- هناك تناسب وارتباط بين بداية هذه السورة، وخاتمة السورة السابقة، فقد ختم الله سورة «الأنبياء» ببيان اقتراب الساعة ووصف أهوالها في قوله: {وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ

---

(١) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٢٣.
(٢) انظر: تفسير البغوي:٣٦١/٥.
(٣) انظر: الكشاف:١٤١/٣.
(٤) انظر: تفسير البيضاوي:٦٤/٤.
(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:١١١/٣-١١٢.
(٦) انظر: زاد المسير:٢٢٠/٣.
(٧) المحرر الوجيز:١٠٥/٤.
(٨)حديث أنس: أخرجه عبد بن حميد (ص ٣٥٨، رقم ١١٨٧) ، وأبو يعلى (٤٣٠/٥، رقم ٣١٢٢) ، قال الهيثمى (٣٩٤/١٠) : رجاله رجال الصحيح، غير محمد بن مهدى، وهو ثقة. والحاكم (٦١٠/٤، رقم ٨٦٩٢) وقال: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبى. وأخرجه أيضا: ابن حبان (٣٥٢/١٦، رقم ٧٣٥٤) ، والضياء (٧٣/٧، رقم ٢٤٨٣)
حديث عمران بن حصين: أخرجه أحمد (٤٣٥/٤، رقم ١٩٩١٥) ، والترمذى (٣٢٣/٥، رقم ٣١٦٩) ، وقال: حسن صحيح، والطبرانى (١٤٤/١٨، رقم ٣٠٦) ، والحاكم (٦١١/٤، رقم ٨٦٩٥) . ووافقه الذهبى. وأخرجه أيضا: الطيالسى (ص ١١٢ رقم ٨٣٥) ، والنسائى فى الكبرى (٤١٠/٦، رقم ١١٣٤٠) .
حديث ابن عباس: أخرجه الحاكم (٦١٢/٤، رقم ٨٦٩٧) ، وقال: صحيح. ووافقه الذهبى. وأخرجه أيضا: البزار كما فى كشف الأستار (٥٩/٣ رقم ٢٢٣٥) . قال الهيثمى (٧٠/٧) : رجاله رجال الصحيح، غير هلال بن خباب، وهو ثقة.
(٩) تفسير القرطبي:١/١٢.
(١٠) الناسخ والمنسوخ:١٢٦.

كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ} [الأنبياء : ٩٧]، وافتتح هذه السورة بقوله: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢)} [الحج : ١ - ٢].

٢- قد أقيمت فى السورة السالفة الحجج الطبيعية على الوحدانية- وفى هذه جعل العلم الطبيعي من براهين البعث.

٣- في سورة «الأنبياء» بيان قصص أكثر من عشرة من الأنبياء تدور على ما قاموا به من إثبات توحيد الله، ونبذ الشرك، والإيمان بالبعث، وفي هذه السورة استدلال بخلق الإنسان بأطواره المتعددة وبإبداع السموات والأرض على قدرة الله على إحياء البشر للبعث، وعلى وجوده تعالى ووحدانيته، ثم تنبيه الأفكار على الالتفات لأحوال أهل القرى الظالمة التي أهلكها الله، والاتعاظ بها بسبب تكذيبهم الرسل[1].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

لقد تضمنت سورة «الحج» جملة من المقاصد، نسوقها على النحو التالي :

١- خطاب الناس بأمرهم أن يتقوا الله، ويخشوا يوم الجزاء وأهواله، فهو يوم عظيم تشيب لهوله الولدان، وتضع كل ذات حَمْلٍ حملها؛ خوفاً ورعباً.

٢- الاستدلال على نفي الشرك، وخطاب المشركين بأن يقلعوا عن المكابرة في الاعتراف بانفراد الله تعالى بالإلوهية، وعن المجادلة في ذلك اتباعاً لوساوس الشياطين، وأن الشياطين لا تغني عنهم شيئاً، ولا ينصرونهم في الدنيا وفي الآخرة.

٣- تفظيع جدال المشركين في الوحدانية بأنهم لا يستندون إلى علم، وأنهم يعرضون عن الحُجة؛ ليضلوا الناس.

٤- أن المشركين يرتابون في البعث، وهو ثابت لا ريب فيه، وكيف يرتابون فيه بعلة استحالة الإحياء بعد الإماتة، ولا ينظرون أن الله أوجد الإنسان من تراب، ثم من نطفة، ثم طوره أطواراً.

٥- أن الله ينـزل الماء على الأرض الميتة، فتحيا، وتُخرج من أصناف النبات، فالله هو القادر على كل ذلك، فهو يحيي الموتى، وهو على كل شيء قدير، فعال لما يريد.

٦- أن مجادلة المشركين بإنكار البعث صادرة عن جهالة وتكبر عن الامتثال لقول الرسول عليه الصلاة والسلام.

٧- وصف المشركين بأنهم في تردد من أمرهم في اتباع دين الإسلام.

٨- التعريض بالمشركين بتكبرهم عن سنة إبراهيم عليه السلام، الذي ينتمون إليه، ويحسبون أنهم حماة دينه، وأمناء بيته، وهم يخالفونه في أصل الدين.

٩- تذكير المشركين بما منَّ الله عليهم في مشروعية الحج من المنافع فكفروا نعمته.

١٠- تشبيه المشركين في تلقي دعوة الإسلام بالأمم البائدة، الذين تلقوا دعوة الرسل بالإعراض والكفر، فحل بهم العذاب.

١١- أنه يوشك أن يحل بهؤلاء مثله، فلا يغرهم تأخير العذاب؛ فإنه إملاء من الله لهم، كما أملى للأمم من قبلهم، وفي ذلك تطمين للرسول عليه الصلاة والسلام والذين آمنوا، وبشارة لهم بعاقبة النصر على الذين فتنوهم وأخرجوهم من ديارهم بغير حق.

١٢- أن اختلاف الأمم بين أهل هدى وأهل ضلال أمرٌافترق الناس به إلى ملل كثيرة.

١٣- أن يوم القيامة هو يوم الفصل بينهم؛ لمشاهدة جزاء أهل الهدى، وجزاء أهل الضلال.

---

(١) انظر: أسرار ترتيب القرآن: ١١١، وتفسير المراغي:٨٣/١٧، التفسير المنير:٦/١٧.

١٤- أن المهتدين والضالين خصمان اختصموا في أمر الله، فكان لكل فريق جزاؤه.
١٥- سلّى الله رسوله عليه الصلاة والسلام والمؤمنين بأن الشيطان يفسد في قلوب أهل الضلالة آثار دعوة الرسل، ولكن الله يُحْكِمُ دينه، ويبطل ما يلقي الشيطان؛ فلذلك ترى الكافرين يُعرضون عن هدى الله، وينكرون آيات القرآن.
١٦- التنويه بالقرآن والمتلقين له بخشية وصبر، ووصف الكفار بكراهيتهم القرآن وبغض المرسَل به، والثناء على المؤمنين وأن الله يسر لهم اتباع الحنيفية، وسماهم المسلمين.
١٧- الإذن للمسلمين بقتال المشركين الذين يقاتلونهم، وضمان النصر والتمكين في الأرض لهم.
١٨- خُتمت السورة بتذكير الناس بنعم الله عليهم، وأن الله اصطفى خلقاً من الملائكة، ومن الناس، فأقبل على المؤمنين بالإرشاد إلى ما يقربهم إلى الله زلفى، وأن الله هو مولاهم وناصرهم(١).

الناسخ والمنسوخ:

تحتوي على ثلاث آيات منسوخات:

- الآية الأولى قوله تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ} [الحج : ٤٩]، نسخ معنى "الأنذار" بآية السيف، واما قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ} [الحج : ٥٢]، الآية وذلك أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- صلى بأصحابه بمكة فقرأ بهم سورة النجم حتى انتهت قراءته الى:{أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى (٢١)} [النجم : ١٩ - ٢١]، واراد أن يقول:{تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى} [النجم : ٢٢]، فقال -عليه السلام-:"تلك الغرانيق العلى وشفاعتهم ترتجى"، نسخها الله بقوله:{سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى} [الأعلى : ٦].
- الآية الثانية: قوله تعالى:{وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ} [الحج : ٦٨]، نسختها آية السيف.
- الآية الثالثة: قوله تعالى :{وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ} [الحج : ٧٨]، نسخها الله تعالى بقوله:{فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} [التغابن : ١٦](٢).

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن عقبة بن عامر، قال: "قلت: يا رسول الله، أفضلت سورة الحج على القرآن بأن جعل فيها سجدتان؟ فقال:«نعم، ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما»(٣).
- عن ابن عمر، عن عمر، أنه سجد في الحج سجدتين، ثم قال: «إن هذه السورة فضلت على سائر السور بسجدتين»"(٤).

---

(١) انظر: اسلام ويب، موقع التكروني..
(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١٢٦-١٢٨.
(٣)أخرجه أحمد (١٥١/٤، رقم ١٧٤٠٢) ، والترمذى (٤٧٠/٢، رقم ٥٧٨) وقال: إسناده ليس بالقوى. والطبرانى(٣٠٧/١٧، رقم ٨٤٧) ، والحاكم (٣٤٣/١، رقم ٨٠٥).
والحديث حسن بطرقه وشواهده دون قوله: "ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما"، وهذا الإسناد ضعيف.
وجاء أيضا: «فضلت سورة الحج على القرآن بسجدتين».
أخرجه أبو داود فى المراسيل (ص ١١٣، رقم ٧٨) ، والبيهقى (٣١٧/٢، رقم ٣٥٤٥)، عن خالد بن معدان مرسلا.
(٤) أخرجه ابن ابي شيبة في المصنف(٤٢٨٧):ص٣٧٢/١، ورجاله ثقات.
وأخرجه مالك في الموطأ كتاب القرآن باب ما جاء في سجود القرآن رقم "١٣".
وأورده السيوطي في الدر المنثور:٢/٦، ووزاد نسبته إلى سعيد بن منصور والإسماعيلي وابن مردويه والبيهقي.

قال الفيروزآبادي:" ذكر المفسرون فيه أحاديث واهية. منها: «من قرأ من سورة الحج أعطى من الأجر كحجة حجها، وعمرة اعتمرها، بعدد من حج واعتمر، من مضى منهم ومن بقى، ويكتب له بعدد كل واحد منهم حجة وعمرة وله بكل آية قرأها مثل ثواب من حج عن أبويه»"[(١)].

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٣٢٨/١.

سورة «المؤمنون»

سورة «المؤمنون»: هي السورة «الثالثة والعشرون» في ترتيب المصحف، نزلت بعدسورة: «الأنبياء»[(١)]، وقيل: نزلت بعد سورة: «الطور» وقبل سورة: «تبارك الذي بيده الملك»[(٢)].

وعدد وآياتها مائة وسبع عشرة في عد الجمهور. وعدها أهل الكوفة مائة وثمان عشرة[(٣)]، وكلماتها: ألف ومائتان وأربعون. وحروفها: أربعة آلاف وثمانمائة وواحد[(٤)].

قال ابن عاشور:" فالجمهور عدوا:{أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١)} [المؤمنون : ١٠ - ١١] آية، وأهل الكوفة عدوا :{أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ} [المؤمنون : ١٠] آية، وما بعدها آية أخرى"[(٥)].

ومجموع فواصل آياتها: «من»[(٦)].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة المؤمنون»:**

اشتهرت تسميتها باسم «سورة المؤمنون»، وكتبت في المصاحف وكتب التفسير، وكتب السنة.

وردت هذه التسمية في عهد الرسول-صلى الله عليه وسلم-، كما روي:

- عن عبد الله بن السائب، قال: " حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وصلى في قبل الكعبة، فخلع نعليه، فوضعهما عن يساره، ثم استفتح سورة المؤمنين، فلما جاء ذكر عيسى أو موسى أخذته سعلة فركع "[(٧)].
- عن ابن عباس:"نزلت بمكة سورة المؤمنين"[(٨)].

- **وجه التسمية:**

سميت «سورة المؤمنون» على اعتبارين[(٩)]:

أحدهما: إضافة السورة إلى «المؤمنين»، لافتتاحها بالإخبار عنهم بأنهم أفلحوا.

الثاني: سمّيت بذلك، على حكاية لفظ «المؤمنون» الواقع أولها في قوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ} [المؤمنون : ١]، فجعل ذلك اللفظ تعريفا للسورة.

- **ثانيا:- اسمائها الإجتهادية:**

١- سورة«قد أفلح»:

سميت بسورة «قد افلح»، من باب تسمية السورة بأول جملة افتتحت بها"[(١٠)]، وقد وردت هذه التسمية عند بعض أهل العلم، منها:

---

(١) انظر: الكشاف:١٧٤/٣.
(٢) انظر: التحرير والتنوير:٦/١٨.
(٣) انظر: التحرير والتنوير:٦/١٨.
(٤)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٢٩.
(٥) التحرير والتنوير:٦/١٨.
(٦)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٢٩.
(٧) أخرجه احمد(١٥٣٩٧):ص١١٨/٢٤، ابن حبان (٢١٨٩)، النسائي في "المجتبى" ١٧٦/٢، وفي "الكبرى" (١٠٧٩) ، والفاكهي مختصرا في "أخبار مكة" (٢٩٠).
(٨) أورده السيوطي في الدر المنثور:٨٢/٦، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٩) انظر: التحرير والتنوير:٥/١٨.
(١٠) أورده السيوطي في الدر المنثور:٦١٥/٥. وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية وابن عساكر. وسيأتي في فضائل السورة. إن شاء الله.

- قال ابن القاسم: «أخرج لنا مالك مصحفا لجده فتحدثنا أنه كتبه على عهد عثمان بن عفان وغاشيته من كسوة الكعبة فوجدنا..» إلى أن قال: «وفي :"قد أفلح" كلها الثلاث لله»، أي: خلافا لقراءة: {سَيَقُولُونَ لِله} [المؤمنون : ٨٥]"[١].
- قال أبو بكر النيسابوري: «قرأ حفص عن عاصم {قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ} [٤٠] وفي سورة:«قد أفلح» مثله. وقرأ الباقون {مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ} غير منون في السورتين»[٢].
- قال **أبو أحمد السامري:«** ومن سورة: "قد أفلح" :{خَرْجًا } [المؤمنون : ٧٢]، يعني: جُعلا،بيئ بغير ألف بلغة حمير، وخراجا بلغة قريش**»[٣].**

وكذا سماها بعض المفسرين، مثل الزمخشري[٤]، والفخر الرازي[٥]، وابن المختار الرازي[٦]،وأبي الشامة[٧]، والسمين الحلبي[٨]، وابن عرفة[٩].

٢- سورة«قد أفلح المؤمنون»:

وردت بسورة«قد أفلح المؤمنون»، وهي تسمية للسورة بأول آية افتتحت بها.

روي عن عكرمة عن ابن عباس قال: "ما ابتلي أحد بهذا الدين فقال به كله إلا إبراهيم: {وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُن}[١٠]، قلت له: وما الكلمات التي ابتلي إبراهيم بهن فأتمهن؟ قال: الإسلام ثلاثون سهما منها عشر آيات في «براءة»: {التَّائِبُونَ الْعَابِدُون}[١١] إلى آخر الآية. وعشر آيات في أول سورة: «قد أفلح المؤمنون»، {سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ}[١٢]، وعشر آيات في «الأحزاب»: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَات}[١٣]، إلى آخر الآية. فأتمهن كلهن، فكتب له براءة، قال الله: {وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى}[١٤]"[١٥].

وقد وردت هذه التسمية عند بعض العلماء، مثل: الواحدي[١٦]، والفخر الرازي[١٧]، والسخاوي[١٨]، وأبي الشامة[١٩]، والقرطبي[٢٠]، وأبو حيان[٢١]، وابن كثير[٢٢]، وغيرهم.

٣- سورة«الفلاح»:

---

(١) التحرير والتنوير:٥/١٨.
(٢) المبسوط في القراءات العشر(٥):ص٢٣٩ .
(٣) اللغات في القرآن:٣٨.
(٤) انظر: الكشاف:٢٠٧/٣.
(٥) انظر: مفاتيح الغيب: ٣٠٠/٢٣.
(٦) انظر: كتاب حجج القرآن:١٢.
(٧) انظر: إبراز المعاني من حرز الأماني:١٤٤.
(٨) انظر: الدر المصون:٣٢٤/٦.
(٩) انظر: تفسير ابن عرفة:٧٦٤/٢.
(١٠)[البقرة : ١٢٤].
(١١)[التوبة : ١١٢].
(١٢)[المعارج : ١].
(١٣)[الأحزاب : ٣٥].
(١٤)[النجم : ٣٧].
(١٥) اخرجه ابن ابي حاتم(١١٦٦):ص٢٢٠/١.
(١٦) انظر: اسباب النزول:٣٢١.
(١٧) انظر: مفاتيح الغيب: ٦٦٢/٢٧.
(١٨)انظر: جمال القرآء:١٠٨/١ .
(١٩) انظر: إبراز المعاني من حرز الأماني:٥١٣.
(٢٠) انظر: تفسير القرطبي:٢٩١/١٨.
(٢١) انظر: البحر المحيط:٢٧٦/١٠.
(٢٢) انظر: تفسير ابن كثير:٣٠/١، ٢٨٥، ٢٤١/٨، ٢٤٢.

جاء في "التحرير" تسميتها بسورة: « الفلاح»، وذلك دون نسبتها إلى قائل.
قال ابن عاشور:" ويسمونها أيضا: سورة «الفلاح»"[١].
كما وردت هذه التسمية عند الشنقيطي[٢]، والشيخ محمد أحمد إسماعيل المقدم[٣].
وهذه التسميات تبقى إجتهادية، ولم تثبت عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-. والله أعلم.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة، قولان:
أحدهما: أنها نزلت بمكة. وهذا قول ابن عباس[٤]، ومقاتل[٥]، ويحيى بن سلام[٦]، والسمرقندي[٧]، وابن ابي زمنين[٨]، والثعلبي[٩]، ومكي بن أبي طالب[١٠]، والواحدي[١١]، والسمعاني[١٢]، والبغوي[١٣]، والزمخشري[١٤]، وغيرهم.
قال ابن الجوزي والقرطبي:" سورة المؤمنين مكية في قول الجميع"[١٥].
قال الفيروزآبادي: "السورة مكّيّة إجماعا"[١٦].
الثاني: أنها مكية، إلا قوله:{حَتَّى إِذا أَخَذْنا مُتْرَفِيهِمْ} [المؤمنون: ٦٤] إلى قوله سبحانه: {مُبْلِسُونَ} [المؤمنون: ٧٧]. ذكره في الإتقان[١٧].
قال الألوسي:" واستشكل الحكم على ما عداه بكونه مكيا لما فيه من ذكر الزكاة وهي إنما فرضت بالمدينة، وأجيب بأنه بعد تسليم أن ما ذكر فيه يدل على فرضيتها يقال: إن الزكاة كانت واجبة بمكة والمفروض بالمدينة ذات النصب"[١٨].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من النواحي الآتية:
١- ختمت سورة الحج بجملة من الأوامر الجامعة لخيري الدنيا والآخرة، منها قوله تعالى: {وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الحج : ٧٧]، وهو مجمل فصل في فاتحة هذه السورة، فذكر تعالى خصال الخير التي من فعلها فقد أفلح، فقال: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ} [المؤمنون : ١]، الآيات العشر.

---

(١) التحرير والتنوير:٥/١٨.
(٢) انظر: أضواء البيان:١٨٣/٢.
(٣) انظر: تفسير القرآن الكريم، (٥/١٤٩، ١٥)[دروس صوتية].
(٤) اورده السيوطي في الدر المنثور:٨٢/٦، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:١٥١/٣.
(٦) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٣٩٢/١.
(٧) انظر: بحر العلوم:٤٧٣/٢.
(٨) اظر: تفسير الن ابي زمنين:١٩٣/٣.
(٩) انظر: الكشف والبيان:٣٧/٧.
(١٠) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٩٤١/٧.
(١١) انظر: التفسير الوسيط:٢٨٣/٣.
(١٢) انظر: تفسير السمعاني:٣٦٧/٣.
(١٣) انظر: تفسير البغوي:٤٠٥/٥.
(١٤) انظر: الكشاف:١٧٤/٣.
(١٥) انظر: زاد المسير:٢٥٤/٣، وتفسير القرطبي:١٠٢/١٢
(١٦) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٢٩.
(١٧) انظر: الإتقان في علوم القرآن:٦١/١.
(١٨) روح المعاني:٢٠٥/٩.

٢- ذكر في أول سورة الحج قوله: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ } [الحج : ٥] الآية، لإثبات البعث والنشور، ثم زاد هنا بيانا ضافيا في قوله: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣)} [المؤمنون : ١٢ - ١٣] الآيات. فما أجمل أو أوجز هناك، فصل وأطنب هنا.
٣- في كل من السورتين أدلة على وجود الخالق ووحدانيته.
٤- في السورتين أيضا ذكرت قصص بعض الأنبياء المتقدمين للعبرة والعظة، في كل زمن وعصر ولكل فرد وجيل(١).

- **أغراض السورة ومقاصدها**

إن هذه السورة تدور آيها حول محور تحقيق الوحدانية وإبطال الشرك ونقض قواعده، والتنويه بالإيمان وشرائعه، وذلك كما مبين أدناه:

١- البشارة للمؤمنين بالفلاح العظيم على ما تحلوا به من أصول الفضائل الروحية والعلمية التي بها تزكية النفس واستقامة السلوك.
٢- وصف خلق الإنسان أصله ونسله الدال على تفرد الله تعالى بالإلهية لتفرده بخلق الإنسان ونشأته ليبتدئ الناظر بالاعتبار في تكوين ذاته ثم بعدمه بعد الحياة، ودلالة ذلك الخلق على إثبات البعث بعد الممات وأن الله لم يخلق الخلق سدى ولعبا.
٣- الاعتبار بخلق السماوات ودلالته على حكمة الله تعالى.
٤- الاعتبار والامتنان بمصنوعات الله تعالى التي أصلها الماء الذي به حياة ما في هذا العالم من الحيوان والنبات وما في ذلك من دقائق الصنع، وما في الأنعام من المنافع ومنها الحمل، ومن تسخير المنافع للناس وما أوتيه الإنسان من آلات الفكر والنظر، كما ورد ذكر الحمل على الفلك فكان منه تخلص إلى بعثة نوح وحدث الطوفان.
٥- التذكير ببعثة الرسل للهدى والإرشاد إلى التوحيد والعمل الصالح، وما تلقاها به أقوامهم من الإعراض والطعن والتفرق، وما كان من عقاب المكذبين، وتلك أمثال لموعظة المعرضين عن دعوة محمد صلى الله عليه وسلم.
٦- بيان قصص الأنبياءِ مع أممهم، وقد جاءَ فيها أن هذه الأمم لم تشكر نعم ربها بتوحيده وعبادتها، بل أشركت معه غيره من مخلوقاته، فبعث إليها رسله ليهدوهم سواء السبيل، فكذبوهم فعاقبهم الله بعذاب الاستئصال، ونجَّى منه عباده المؤمنين.

وذكرت السورة من أنباء المهلكين: قوم نوح أغرقهم الله بالطوفان، وقوم صالح أهلكهم الله بالصيحة، وفرعون وجنوده، كفروا بموسى وهرون فأغرقهم في اليم، وعقبت قصة فرعون معهما ببيان أن الله تعالى جعل ابن مريم وأمه آية، لأنه ولد منها دون أب، وأنه تعالى آواهما إلى ربوة ذات قرار ومعين، وسيأتي بيان ذلك في الشرح.

٧- إن من شريعة الرسل وأممهم أن يأكلوا من الطيبات، ويتركوا ما حرمه الله عليهم، وأن جميع الأمم أمة وديانة واحدة هي توحيد الله، وأصول الشرائع والأحكام - وإن اختلفت في الفروع -وأنه يجب على الناس جميعا أن يتقوه دون سواه، ولكن الناس تقطعوا دينهم وابتدعوا في دين الله ما ليس منه، وقد توعدهم الله بالعقاب على هذا التفرق في الدين الحق.
٨- مدح المؤمنين الذين يخشون ربهم ولا يشركون به، ويسبقون إلى الخيرات، وذكرت أنه تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها، وإن هؤلاء المترفين الكافرين سيؤخذون بالعذاب فيجأرون مستغيثين ولا مغيث لهم ولا ناصر, لأن آياته تعالى كانت تتلى عليهم فكانوا يستكبرون ولا يؤمنون.

---

(١) انظر: تفسير المراغي:٣/١٨، والتفسير المنير للزحيلي:٦/١٨.

٩- بينت السورة أنه لو اتبع الحق أهواءَ الناس لفسدت السموات والأرض ومن فيهن، وأنه تعالى بعث محمدا بالقرآن إلى قريش، ومع أنه شرف لهم أعرضوا عنه، في حين أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يسألهم على تبليغ الرساله أجرًا، أن يريد إلا الإصلاح، وبينت أنه تعالى عاقبهم عقابا غير شديد في الدنيا على كفرهم، ولكنهم لم يستكينوا لربهم وما يتضرعرن، وأنه إذا فتح عليهم بابا ذا عذاب شديد فسيُبلسون ويتحيرون، وقد ذكرتهم بنعم السمع والبصر والفؤاد، وأنهم سوف يحشرون إليه بعد الموت، وبدلًا من الإيمان كفروا بالبعث وقالوا: {إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِين} [المؤمنون : ٨٣].

ثم ذكرت أن الله أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يُجرى معهم حوارا: لمن الأرض ومن فيها؟ مَنْ رب السموات السبع ورب العرش العظم؟ مَنْ بيده ملكوت السموات والأرض وهو يُجيرُ ولا يُجَار عليه؟ وبينت أنهم سيقولون في كل ذلك: لله، ولكنهم لا يتذكرون ولا يتعظون، بل يُصِّرُون على الإشراك، وذكرت أن الموت إذا جاءَهم فسيندمون على تقصيرهم، فيطلبون الرجوع إلى الحياة الدنيا ليعملوا صالحا، وأنه لا سبيل إلى إجابة ملتمسهم

١٠- بينت السورة أحوال الناس يوم القيامة، فمن ثقلت موازينه بالعمل الصالح فأولئك هم المفلحون، ومن خفت موازينه بسبب العمل السيء والكفر، فهم {فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ}[المؤمنون : ١-٣-١٠٤]، وبينت أنهم يعترفون ويقولون: {رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧)} [المؤمنون : ١١٠٧]، وأنه تعالى يجيبهم بقوله: {قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون (١٠٨) إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١٠٩) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١١٠) إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ}[المؤمنون :١٠٨-١١١].

١١- بيان أنه تعالى لم يخلق عباده عبثا، وأنهم سيرجعون إليه للحساب والجزاء، وبينت أن مَن يدعو مع الله إلها آخر فحسابه عنيف عند ربه، قال تعالى:{أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيم (١١٦) وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (١١٧)} [المؤمنون : ١١٥ - ١١٧].

١٢- ختمت السورة بأمر النبيء صلى الله عليه وسلم أن يغض عن سوء معاملتهم ويدفعها بالتي هي أحسن، ويسأل المغفرة للمؤمنين، وذلك هو الفلاح الذي ابتدئت به السورة[١].

الناسخ والمنسوخ:

وفيها من المنسوخ آيتان:

- الآية الأولى: قوله تعالى: {فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ} [المؤمنون : ٥٤]، نسختها آية السيف.
- الآية الثانية: قوله تعالى: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ} [المؤمنون : ٩٦]، نسختها آية السيف[٢].

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن عمر بن الخطاب قال: " كان إذا نزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الوحى يسمع عند وجهه كدوى النحل، فمكثنا ساعة، فاستقبل القبلة، ورفع يديه فقال: اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا

(١) انظر: التحرير والتنوير:٦/١٨-٧، والتفسير الوسيط، مجمع البحوث:١٢٦٣/٦-١٢٦٥

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١٢٩.

ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وارضنا، ثم قال: لقد أنزلت على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة، ثم قرأ علينا: {قد أفلح المؤمنون} حتى ختم العشر"(١).

- عن ابيّ بن كعب، عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-:«من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت»(٢).
- عن أنس قال:" قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: خلق الله جنة عدن وغرس أشجارها بيده وقال لها: تكلمي، فقالت: {قد أفلح المؤمنون}"(٣).
- وروى أبو سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله تعالى حاط حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وغرس غرسها بيده فقال لها: تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون، فقال لها: طوبى لك منزل الملوك»(٤).

---

(١)أخرجه أحمد (٣٤/١، رقم ٢٢٣) ، والترمذى (٣٢٦/٥، رقم ٣١٧٣) ، والنسائى فى الكبرى (٤٥٠/١، رقم ١٤٣٩) ، والعقيلى (٤٦٠/٤، ترجمة ٢٠٩٢) ، والحاكم (٤٢٥/٢، رقم ٣٤٧٩) وقال: صحيح الإسناد. والضياء (٣٤١/١، رقم ٢٣٤) وقال: إسناده ضعيف.
وأخرجه أيضا: عبد بن حميد (ص ٣٤، رقم ١٥) ، والبزار (٤٢٧/١، رقم ٣٠١).
ومداره على يونس بن سليم، وهو مجهول، فالإسناد ضعيف، وصوب الترمذي كونه من مرسل الزهري، وأنه الصحيح. ومع ذلك صححه الحاكم! لكن تعقبه الذهبي بقوله: سئل عبد الرزاق عن شيخه يونس هذا فقال: لا أظنه شيء، وقال الذهبي في «الميزان» في ترجمة يونس: حدث عنه عبد الرزاق، ولم يعتمده في الرواية. وأعله العقيلي به، وقال: لا يتابع عليه، ولا يعرف إلا به. وقال النسائي: هذا حديث منكر. انظر «أحكام القرآن» ١٥٢٢.
(٢) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان:٣٧/٧، والواحدي في التفسير الوسيط(٦٤٢):ص٢٨٣/٣، وذكره المستغفري في فضائل القرآن(١١٩٠):ص٧٨٠/٢، والزمخشري في الكشاف:٢٠٧/٣. والحديث موضوع.
(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور:٨٢/٦، وعزاه إلى ابن عدي والحاكم والبيهقي في الأسماء والصفات. وقال:" وأخرج الطبراني في السنة وابن مردويه من حديث ابن عباس مثله".
(٤)ضعيف. أخرجه البزار ٣٥٠٨ وأبو نعيم في «حلية الأولياء» ٦/ ٢٠٤ وفي «صفة الجنة» ١/ ١٣٧/ ١٤٠ والبيهقي في «البعث» ٢٣٦ من حديث أبي سعيد وضعفه البزار بقوله: لا نعلم رفعه إلا عدي بن الفضل، وليس هو بالحافظ، وكذا ضعفه البيهقي. وجاء في «الميزان» : عدي بن الفضل، قال ابن معين وأبو حاتم:
متروك الحديث، وقال يحيى: لا يكتب حديثه، وقال غير واحد: ضعيف اه. فالرجل ضعيف جدا. وله شاهد: أخرجه الحاكم ٢/ ٣٩٢ والبيهقي في «الصفات» ٢/ ٤٧ وأبو نعيم في «صفة الجنة» ١٧ من حديث أنس، وإسناده ضعيف لضعف علي بن عاصم الواسطي. وذكره الذهبي في «الميزان» بهذا الحديث وحديث آخر، وقال: هذان باطلان اه. والحديث صححه الحاكم، وتعقبه الذهبي بقوله: بل ضعيف اه. وله شاهد من حديث ابن عباس، أخرجه الطبراني في ١١٤٣٩ وفي «الأوسط» ٤٧٦ وأبو نعيم في «صفة الجنة» ١٦.
وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» ٥٤٦٨: رواه الطبراني في الكبير والأوسط بإسنادين أحدهما جيد.
وتبعه على ذلك الهيثمي في «المجمع» ١٨٦٣٩، وأما ابن كثير- رحمه الله- فأعله بضعف رواية بقية عن الحجازيين والمعروف أن إسماعيل بن عياش هو الذي بهذه الصفة، وإنما علة الحديث هي أن بقية مدلس، وقد عنعن، قال أحمد: توهمت أن بقية، لا يحدث المناكير إلا عن المجاهيل، فإذا هو يحدث المناكير عن المشاهير. وللحديث علة أخرى ابن جريج أيضا مدلس، وقد عنعن، لكن الحمل فيه على بقية أولى. والله أعلم.
تنبيه: وقع في الأوسط تصريح بقية بالتحديث، وهو خطأ من شيخ الطبراني أو من هشام بن خالد فإنه كان يجعل ما رواه بقية ب «عن» «حدثنا» توهما، راجع ذلك في الميزان، وانظر «تفسير ابن كثير» ٣/ ٢٩٩ والشوكاني ١٦٨٩.

سورة «النور»

سورة «النور»: هي السورة «الرابعة والعشرون» في ترتيب المصحف، نزلت بعدسورة: «الحشر»[١]، عدد آياتها أربع وستون فى العراقى والشامى، واثنتان فى الحجازى. وكلماتها ألف وثلثمائة وستة عشر. وحروفها خمسة آلاف وستمائة وثمانون. المختلف فيها آيتان: {بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ} [النور : ٣٦] و {يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ} [النور : ٤٣][٢].

مجموع فواصل آياتها «لم نرب»، على اللام آية واحدة {بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ} [النور : ٣٦]، وعلى الباء آيتان {بِغَيْرِ حِسَابٍ} [النور : ٣٨] و {سَرِيعُ الْحِسَابِ} [النور : ٣٩][٣].

- **أسماء السورة:**
- **اسمها التوقيفي: «سورة النور»:**

اشتهرت تسميتها باسم «سورة النور»، وكتبت في المصاحف وكتب التفسير، وكتب السنة.

وردت هذه التسمية في عهد الرسول-صلى الله عليه وسلم-، كما روي:

- عن مجاهد، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «علموا رجالكم سورة المائدة، وعلّموا نساءكم سورة النور »[٤].
- عن أبي عطية[٥]، قال: "كتب عمر: علموا نساءكم سورة النور"[٦].

وهذه تسميتها في المصاحف وكتب التفسير والسنة، ولا يعرف لها اسم آخر.

- **وجه التسمية:**

سميت «سورة النور»، لكثرة ذكر «النور» فيها:، قال تعالى:{اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [النور : ٣٥]، {وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ} [النور : ٤٠].

ونقل الشيخ القاسمي عن المهائمي قوله: "سميت به لاشتمالها على ما أمكن من بيان النور الإلهي، بالتمثيل المفيد كمال المعرفة الممكنة لنوع الإنسان، مع مقدماتها، وهي أعظم مقاصد القرآن-"[٧].

وقال الشيخ الشعراوي:" وإذا استقرأنا موضوع المُسمَّى أو المُعْنون له بسورة (النور) تجد النور شائعاً في كل أعطافها - لا أقول آياتها ولا أقول كلماتها - ولكن النور شائع في كل حروفها، لماذا؟ قالوا: لأن النور من الألفاظ التي يدل عليها نطقها ويعرفها أكثر من أيّ تعريف آخر، فالناس تعرف النور بمجرد نُطْق هذه الكلمة، والنور لا يُعرَّف إلا بحقيقة ما يؤديه، وهو ما تتضح به المرئيات، وتتجلى به الكائنات، فلولا هذا النور ما كنا نرى شيئاً"[٨].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

---

(١) انظر: الكشاف:٢٠٨/٣.
(٢) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٣٤.
(٣) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.
(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٢٤، وعزاه إلى سعيد بن منصور وابن المنذر والبيهقي.
(٥)أبو عطية: مالك بن عامر، وقيل: ابن أبي جندب، الوادعيّ الهمدانيّ، توفي في ولاية عبد الملك. ينظر: تاريخ ابن معين ٢/ ٢٢٨، والثقات لابن حبان ٥/ ١٧، وتهذيب الكمال ٣٤/ ٩٠.
(٦) سوف يأتي تخريجه في في فضائل السورة.
(٧) محاسن التأويل:٣٠٧/٧.
(٨) تفسير الشعراوي:١٠١٨٣/١٦.

قال ابن عباس:" أنزلت سورة النور بالمدينة"[١]. وروي عن ابن الزبير مثله[٢].
قال الفيروزآبادي: " السورة مدنية بالاتفاق"[٣].
قال القرطبي:" سورة النور مدنية بالإجماع"[٤].
قال **هبة الله بن سلامة:"** نزلت جميعها بالمدينة"[٥].
قال ابن عاشور:" وهي مدنية باتفاق أهل العلم ولا يعرف مخالف في ذلك. وقد وقع في نسخ «تفسير القرطبي» عند قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} [النور : ٥٨]، الآية في المسألة الرابعة كلمة «وهي مكية»، يعني: الآية. فنسب الخفاجي في «حاشيته» على «تفسير البيضاوي»[٦]، وتبعه الآلوسي[٧]، إلى القرطبي أن تلك الآية مكية مع أن سبب نزولها الذي ذكره القرطبي صريح في أنها نزلت بالمدينة كيف وقد قال القرطبي في أول هذه السورة «مدنية بالإجماع»[٨].
ولعل تحريفا طرأ على النسخ من تفسير القرطبي وأن صواب الكلمة «وهي محكمة»[٩]، أي: غير منسوخ حكمها، فقد وقعت هذه العبارة في تفسير ابن عطية، قال « وهذه الآية محكمة. قال ابن عباس: تركها الناس »[١٠] "[١١].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

تظهر مناسبة «سورة النور» لما قبلها من النواحي الآتية:

١- إنه قال في السورة السالفة: {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ} [المؤمنون : ٥]، وذكر هنا أحكام من لم يحفظ فرجه من الزانية والزاني وما اتصل بذلك من شأن القذف وقصة الإفك والأمر بغض البصر الذي هو داعية الزنا، وأمر من لم يقدر على النكاح بالاستعفاف، والنهى عن إكراه الفتيات على الزنا.

٢- إنه تعالى لما قال فيما سلف إنه لم يخلق الخلق عبثا بل للأمر والنهى- ذكر هنا جملة من الأوامر والنواهي[١٢].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

إن المحور العام الذي تدور حوله السورة، هو محور التربية، قال القرطبي:" مقصود هذه السورة ذكر أحكام العفاف والستر "[١٣].

---

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور:١٢٤/٦، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٢) انظر: الدر المنثور:١٢٤/٦.
(٣) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٣٤.
(٤) تفسير القرطبي:١٥٨/١٢.
(٥) الناسخ والمنسوخ:١٣٠.
(٦) انظر: حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، المُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي:٣٥٠/٦، ٣٩٨.
قال:" وهذه الآية مدنية كالسورة لأنّ الغلام أنصاري والآية مصدره بيأيها الذين آمنوا فلا وجه لقول القرطبي رحمه إنها مكية".
(٧) انظر: روح المعاني:٢٧٣/٩.
(٨) تفسير القرطبي:١٥٨/١٢.
(٩) انظر: تفسير القرطبي:٣٠٤/١٢.
(١٠) المحرر الوجيز:١٩٣/٤.
(١١) التحرير والتنوير:١٣٩/١٨.
(١٢) انظر: تفسير المراغي:٦٦/١٨.
(١٣) تفسير القرطبي:١٥٨/١٢.

وقال الشيخ أبو زهرة رحمه الله: "وإنها لو سميت سورة «الأسرة»، لكانت جديرة بهذا الاسم"(١).
يمكن تلخيص مقاصد السورة وفق التالي:

١- بيان أن هذه السورة -وهذا شأن القرآن كله- وما تضمنته من أحكام ومبادئ إنما هي من عند الله سبحانه، فهو سبحانه أعلم بما يصلح عباده وما يفسدهم، وأن ما يختاره سبحانه لعباده فرض عليهم التزامه والعمل به؛ لأن فيه تحقيق مصلحتهم الدنيوية، ونيل سعادتهم الأخروية، ولا يمكن تحقيق هذه وتلك إلا بما شرعه الله سبحانه.

٢- تجريم عقوبتي الزنى والقذف، وبيان حدِّ كل منهما؛ لما لهاتين الجريمتين من خطر -أي خطر- على أمن المجتمع وسلامة الأسرة .

٣- تبرئة السيدة عائشة رضي الله عنها مما رميت به من إفك وزور، وأنها رضي الله عنها كانت طاهرة عفيفة، لا يشك في هذا إلا كل أفَّاك أثيم. وقد قررت السورة في هذا السياق قاعدة مهمة، وهي أن الأصل حُسْن الظن بالمسلم، ولا يُعْدَل عن هذا الأصل إلا بيقين.

٤- التحذير من إشاعة الفاحشة في المجتمع؛ إذ إن انتشار الفاحشة في المجتمع من أهم عوامل هدمه وانهياره، وانتشار الفاحشة في المجتمع يعني خرابه ودماره، وشيوع الفضيلة فيه يعني بناءه واستقراره .

٥- تحدثت السورة عن وسائل الوقاية من الجريمة، وتجنيب النفوس أسباب الإغراء والغواية؛ وذلك ببيان آداب البيوت والاستئذان على أهلها، والأمر بغض البصر والنهي عن إبداء الزينة للمحارم، والحث على إنكاح الفتيان والفتيات غير المتزوجات، ولو كانوا فقراء، فإن الله سبحانه يغنيهم من فضله، فهو الغني الحميد، والنهي عن البغاء ووسائله .

٦- التحذير من اتباع خطوات الشيطان، وبيان أن اتباع خطواته تفضي إلى سوء وعاقبة وخيمة، حيث إن الشيطان لا يترك الإنسان وشأنه، بل يستجره من سوء إلى سوء، ومن ذنب إلى آخر إلى أن يودي به في نار جهنم، ثم يقول له:{إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ} [الحشر : ١٦].

٧- تأديب أهل البيت الواحد بأدب الاستئذان على الأسرة نفسها في الدخول إلى الحجرات المخصصة للرجل وزوجه، فدخول الأولاد على أبويهما في أوقات الفجر والظهيرة وبعد العشاء يستوجب إذن الوالدين. وأيضاً، فإن الأطفال البالغين يجب عليهم الاستئذان ككل آحاد الأسرة، لا في أوقات العورات فحسب. وتبين السورة كذلك أحكام كبار السن من النساء، اللائي لم يعد للرجال طمع في الزواج منهن، أنه ليس:{عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ} [النور : ٦٠].

٨- ألمحت السورة الكريمة إلى أن صلاح المجتمع يبتدئ من بيوت العبادة؛ ورأس العبادة الصلاة، فهي طهارة القلوب، والمجتمع الصالح ما قام إلا على طهارة النفوس، فذكر سبحانه وتعالى المساجد ومكانتها، ومنزلة عمَّارها وروادها والمعلقة قلوبهم بها.

٩- وجَّهت السورة الأنظار إلى خلقه سبحانه وتعالى، وخضوع الوجود له عز وجل، فكل ما الوجود خاضع لأمره، وسائر وَفْق مشيئته، كل ذلك بانتظام وبقدر وبحكمة.

١٠- بينت السورة مجافاة المنافقين -وهم موجودون في كل عصر ومصر- للأدب الواجب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطاعة والتحاكم. وصورت أدب المؤمنين الخالص وطاعتهم .

١١- وَعْده سبحانه عباده المؤمنين حق الإيمان المطبقين لشرعه، الاستخلاف في الأرض، والتمكين في الدين، والنصر على الكافرين .

١٢- تحدثت السورة عن آداب الضيافة في محيط البيوت بين الأقارب والأصدقاء. وآداب الجماعة المسلمة كلها كأسرة واحدة، مع رسولها ومربيها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) زهرة التفاسير: ٥١٣٠/١٠.

١٣- ختم السورة بإعلان ملكية الله لما في السماوات والأرض، وعلمه بواقع الناس، وما تنطوي عليه حناياهم، ورجعتهم إليه، وحسابهم على ما يعلمه من أمرهم. وهو بكل شيء عليم[١] .

الناسخ والمنسوخ:

وفيها من المنسوخ سبع آيات:

- الآية الأولى: قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا} [النور : ٤]، الآية نسخها الله بالاستثناء الذي يليها، وهو قوله تعالى: {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النور : ٥].
- الآية الثانية: قوله تعالى: {الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ} [النور : ٣]، نسخت بقوله تعالى: {وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ} [النور : ٣٢].

فان قيل لم قدم الله تعالى ذكر الزانية قبل الزاني وقدم الله تعالى ذكر السارق على السارقه فالجواب في ذلك أن فعل الرجل في السرقة أقوى وحيلته فيها أغلب والزنا من المرأة اكثر وحيلتها فيها أغلب لأنها تحتوي إثم الفعل وإثم المواطأة وقد اختلف أهل العلم في الزانية إذا زنت هل تحرم على زوجها أم لا فقال الأكثرون لا تحرم وقال مجاهد لو أصاب معها عشرة لم تحرم عليه وقال آخرون إذا وقع الزنا قبل العقد لم تر إلا زانيا أبدا وقال الأكثرون من الصحابة والتابعين يجب عليهما جميعا إذا فجرا قبل العقد ان يتوبا يتأولون قوله تعالى: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور : ٣١].

وقال الضحاك بن مزاحم:" مثلهما كمثل رجل دخل بستانا فاخذ منه غصبا ثم عاد فابتاع منه شيئا بثمنه فكان ما أخذه غصبا حراما وما ابتاعه حلالا"[٢].

قال هبة الله:" ومذهب عائشة -رضي الله عنها- :انه إذا فسد الأصل فسد الفرع"[٣].

- الآية الثالثة قوله تعالى:{وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ} [النور : ٦]، نزلت في عاصم بن عدي الأنصاري وكان مقدما في الأنصار وذلك أنه قال للنبي -صلى الله عليه وسلم- يا رسول الله الرجل يدخل بيته فيجد مع امرأته رجلا فإن عجل عليه فقتله قتل به وإن شهد عليه أقيم عليه الحد فما يصنع يا رسول الله، فما كان إلا أياما يسيرة حتى ابتلى رجل من أل عاصم بهذه البلية وجد مع امرأته رجلا فجاء عاصم إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقال: يا رسول الله لقد ابتليت بهذه البلية في رجل من أهل بيتي وجد مع امرأته رجلا، فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد إقرأ :{وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦)وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ} [النور : ٦-٧]، ثم قال سبحانه :{وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ(٨)وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ} [النور : ٨-٩]، وذلك أمر باللعان وصورته أن يجيء الرجل فيشهد على امرأته بالزنا فيقعد بعد العصر في محفل من الناس أو بعد الصلاة من الصلوات فيصعد به الى موضع علو فيحلف بالله أربع أيمان أنه صادق فيما رماها به من الزنا ويقول في الخامسة لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ثم ينزل من موضع ما ارتفع عليه وتصعد امرأته فتحلف بالله أربع أيمان أن زوجها كذب عليها فيما ادعى عليها ورماها به من الزنا وتقول في الخامسة إن غضب الله عليها ان كان زوجها صادقا فيما رماها به فاذا فعلا ذلك فرق بينهما من غير طلاق ولميجتمعا بعد ذلك أبدا وإن جاءت بحمل لم يلحق بالزوج منه شيء وتكون هي أولى بولدها فإن

(١) انظر: اسلام ويب[موقع الكتروني].
(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١٣٤.
(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ: ١٣٤.

حلف أحدهما ونكل الآخر أقيم الحد عليه وإن نكلا جميعا أقيم الحد عليهما والحد في مذهب أهل الحجاز الرجم وفي مذهب أهل العراق الجلد.

- الآية الخامسة: قوله تعالى :{وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُن} [النور : ٣١]، الآية نسخها الله تعالى بقوله:{وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ} [النور : ٦٠]، والذي يضعنه الجلباب والخمار ثم قال عز وجل:{وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ} [النور : ٦٠].
- الآية السادسة: قوله تعالى:{فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ} [النور : ٥٤]. نسختها آية السيف وباقي الآية محكم.
- الآية السابعة: قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّات} [النور : ٥٨]، نسختها الآية التي تليها وهي قوله تعالى:{وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِم} [النور : ٥٩][١].

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة النور أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن فيما مضى وفيما بقي»[٢].
- عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تنزلوهن الغرف، ولا تعلموهن الكتابة، وعلموهن المغزل، وسورة النور»[٣].
- عن أبي عطية، قال: "كتب عمر: علموا نساءكم سورة النور"[٤].
- عن المسور بن مخرمة أنه سمع عمر بن الخطاب يقول: "تعلموا سورة البقرة وسورة النساء وسورة المائدة وسورة الحج وسورة النور فإن فيهن الفرائض"[٥].

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١٣٠-١٣٥.
(٢) اخرجه الثعلبي في الكشف والبيان:٦٢/٧، والمستغفري في الفضائل(١١٩١):ص٧٨٠/٢.[ضعيف]
(٣)أخرجه الحاكم في المستدرك(٤٣٠/٢، رقم ٣٤٩٤)، والبيهقي في الشعب(٢٢٢٧):ص٩٠/٤.
قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه "
قلت: في سنده عبد الوهاب بن الضحاك، إذ كذبه عدة من العلماء وتركه آخرون.
وأخرجه الطبرانى فى الأوسط (٣٤/٦، رقم ٥٧١٣)، والثعلبي في الكشف والبيان:٦٢/٧، والمستغفري في الفضائل(٨٣٩):ص٥٧٦/٢، وفيه محمد بن إبراهيم الشامي. قال الدارقطني: "كذاب".
جاء في نوادر الأصول ما نصه:
حذرهم ذلك لأن في إسكانهن الغرف تطلعا إلى الرجال وليس في ذلك تحصين لهن ولا ستر فإنهن لا يملكن أنفسهن حتى يشرفن على الرجال فيحدث البلاء والفتنة فحذرهم أن يجعلوا لها ذريعة إلى الفتنة
وهو كما قال عليه السلام (ليس للنساء شيء خير لهن من أن لا يراهن الرجال ولا يرين الرجال) لأنها خلقت من الرجال فهمتها فيه وخلق في الرجل الشهوة فجعلت سكنا له فغير مأمون كل واحد منهما في صاحبه وكذلك تعليم الكتابة ربما كانت سببا
للفتنة وكتبت إلى من تهوى وفي الكتابة عين من العيون به يبصر الشاهد الغائب وفي ذلك تعبير عن الضمير بما لا ينطق به اللسان فهو أبلغ من اللسان فأحب عليه السلام أن يقطع عنهن أسباب الفتنة تحصينا لهن وطهارة لقلوبهن. اهـ (نوادر الأصول ٣ / ٥٠).
(٤)"فضائل القرآن لأبي عبيد (١٢٨)، وفضائل القرآن للمستغفري(٨٤٠):ص٥٧٦/٢، ومصنف عبد الرزاق (١١٣٣)، وشعب الإيمان (٢٤٣٧)، وكنز العمال ٩/ ٥٦٠ . ويروى مرفوعًا ولا يصح.
(٥) أخرجه المستغفري في الفضائل(٨٤١):ص٥٧٧/٢.

سورة «الفرقان»

سورة «الفرقان»: هي السورة «الخامسة والعشرون» في ترتيب المصحف، نزلت بعدسورة: «يس»[١]، عدد آياتها سبع وسبعون. وكلماتها ثمانمائة واثنتان وسبعون. وحروفها ثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاث وثلاثون. مجموع فواصل آياتها «لا»، على اللام منها آية واحدة: {ضَلُّوا السَّبِيلَ} [الفرقان : ١٧][٢].

- **أسماء السورة:**
- **اسمها التوقيفي: «سورة الفرقان»:**

اشتهرت تسميتها باسم «سورة الفرقان»، وكتبت في المصاحف وكتب التفسير، وكتب السنة.

وقد وردت هذه التسمية في عهد الرسول-صلى الله عليه وسلم-، كما روي:

- عمر بن الخطاب، قال: "سمعت هشام بن حكيم بن حزام، يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة، لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكدت أساوره في الصلاة، فتصبرت حتى سلم، فلببته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: كذبت، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرسله، اقرأ يا هشام» فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كذلك أنزلت»، ثم قال: «اقرأ يا عمر» فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كذلك أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرءوا ما تيسر منه»[٣].
- عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الصبح فقرأ سورة الفرقان، فاسقط آية فلما سلم قال: «هل في القوم أبيّ»، فقال أبيّ: ها أنا يا رسول الله. فقال: «ألم أسقط آية» قال: بلى، قال: «فلم لم تفتحها عليّ»، قال: حسبتها آية نسخت. قال: «لا، ولكني أسقطتها»[٤].
- عن ابن عباس:" نزلت سورة الفرقان بمكة"[٥].
- عن ابن الزبير قال: "نزلت بمكة سورة الفرقان"[٦].

ولا يعرف لهذه السورة اسم آخ عيرهذا الاسم. والله أعلم.

- **وجه التسمية:**

سميت «سورة الفرقان»، لأن فى فاتحتها ذكر الفرقان فى قوله :{تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١)} [الفرقان : ١]، هذا الكتاب المجيد على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، فهو النعمة العظمى، الذي فرق الله به بين الحق والباطل، وجعله نذيرا للعالمين: الجن والإنس، من بأس الله تعالى[٧].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة، قولان:

---

(١) انظر: الكشاف:٢٦٢/٣.
(٢)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٤٠.
(٣) أخرجه البخاري(٤٩٩٢):ص١٨٤/٦.
(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٣٤/٦، وعزاه إلى ابن الأنباري في المصاحف.
(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٣٤/٦، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.
(٦) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٣٤/٦، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.
(٧)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٤٠، والتفسير المنير للزحيلي:١٩/٥.

أحدهما: أنها نزلت بمكة. وهذا قول ابن عباس(١)، وابن الزبير(٢)، والحسن(٣)، ومجاهد(٤)، وعكرمة(٥)، وقتادة(٦).

قال الفيروزآبادي: " السورة مكية بالاتفاق"(٧).

الثاني: أنها مكية إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة؛ وهي قوله تعالى: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ} إلى قوله {غَفُورًا رَحِيمًا} [الفرقان: ٦٨. ٧٠]، وهذا قول ابن عباس أيضا(٨)، وقتادة(٩)، وذكره الزمخشري(١٠).

والمشهور عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن السورة كلها مكية(١١).

▪**مناسبة سورة«الفرقان» مع سورة «النور»:**

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من النواحي الآتية:

٥- إنه سبحانه اختتم السورة السابقة بكونه مالكا لما فى السموات والأرض مصرفا له على ما تقتضيه الحكمة والمصلحة مع النظام البديع والوضع الأنيق، وأنه سيحاسب عباده يوم القيامة على ما قدموا من العمل خيرا كان أو شرا، وافتتح هذه بما يدل على تعاليه فى ذاته وصفاته وأفعاله وعلى حبه لخير عباده بإنزال القرآن لهم هاديا وسراجا منيرا.

٦- اختتم السورة السالفة بوجوب متابعة المؤمنين للرسول صلى الله عليه وسلم مع مدحهم على ذلك وتحذيرهم من مخالفة أمره خوف الفتنة والعذاب الأليم، وافتتح هذه بمدح الرسول وإنزال الكتاب عليه لإرشادهم إلى سبيل الرشاد، وذم الجاحدين لنبوته بقولهم: إنه رجل مسحور، وإنه يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق إلى آخر ما قالوا.

٧- فى كل من السورتين وصف السحاب وإنزال الأمطار وإحياء الأرض الجرز فقال فى السالفة: «ألم تر أن الله يزجي سحابا» إلخ وقال فى هذه: {وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا} [الفرقان : ٤٨].

٨- ذكر فى كل منهما وصف أعمال الكافرين يوم القيامة وأنها لا تجزيهم فتيلا ولا قطميرا فقال فى الأولى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [النور : ٣٩]، وقال فى هذه: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا} [الفرقان : ٢٣].

٩- وصف النشأة الأولى للإنسان فى أثنائهما فقال فى الأولى: {وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ

---

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٣٤/٦، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.
(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٣٤/٦، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.
(٣) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٣١١/٣
(٤) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٣١١/٣
(٥) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٣١١/٣
(٦) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٣١١/٣
(٧) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٤٠.
(٨) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٣١١/٣
(٩) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٣١١/٣
(١٠) انظر: الكشاف:٢٦٢/٣.
(١١)فقد أخرج البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ} رقم [٤٧٦٢] عن القاسم بن أبي بَزّة أنه سأل سعيد بن جبير: هل لمن قتل عمدًا من توبة؟ فقرأت عليه: {وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ} فقال سعيد: قرأتُها على ابن عباس كما قرأتَها عليّ، فقال: هذه مكية نسختها آية مدنية التي في سورة: النساء. "فتح الباري" ٨/ ٤٩٣. وأخرجه أيضًا مسلم ٤/ ٢٣١٨، كتاب التفسير، رقم: [٣٠٢٣].

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [النور : ٤٥]، وفى الثانية: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا} [الفرقان : ٥٤][(١)].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

من مقاصد السورة:

١- بيان أنه سبحانه نزل القرآن على رسوله صلى الله عليه وسلم منجماً -على مراحل وفترات- تثبيتاً للقلوب، وتلاوته حق تلاوته، وحفظه في الصدور.

٢- عالمية الرسالة المحمدية، وأنها للناس كافة، وليست للعرب خاصة، قال الطيبي :مدار هذه السورة على كونه صلى الله عليه وسلم مبعوثاً إلى الناس كافة، ينذرهم ما بين أيديهم وما خلفهم؛ ولهذا جعل براعة استهلالها قوله:{تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} [الفرقان : ١].

٣- الإهتمام بأصول العقيدة من التوحيد والنبوة وأحوال القيامة، فبدأت السورة بإثبات الوحدانية لله عز وجل، وصدق القرآن، وصحة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، ووقوع البعث والجزاء يوم القيامة لا محالة، وفندت أضداد هذه العقائد، ونعت على المشركين عبادة الأصنام والأوثان ونسبة الولد لله عز وجل، وتكذيبهم بالبعث والقيامة، وهددتهم بما سيلقون من ألوان العذاب والنكال في نار جهنم، ومفاجأتهم بما في جنان الخلد من أصناف النعيم المقيم.

٤- بيان أن مهمة النبي صلى الله عليه وسلم التبشير بما عند الله من الفوز والنجاح والفلاح لمن اتبع سبل الرشاد، والإنذار بما عنده من العقاب لمن أعرض عن شرعه.

٥- الموازنة الأخروية بين نعيم المتقين في جنات النعيم، وعذاب الكافرين في نار الجحيم.

٦- خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعده من الدعاة بالتحلي بالصبر والمصابرة، ومجاهدة الكافرين بحجج القرآن البالغة، والأمر بالتوكل على الله، فهو سبحانه:{نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرِ} [الأنفال : ٤٠].

٧- ذِكْر مصارع المكذبين من الأمم السابقة، كقوم موسى، ونوح، وعاد، وثمود، وأصحاب الرس، وما بين ذلك من قرون، وعرض نهايتهم التعيسة في سلسلة من مشاهد القيامة.

٨- بيان الادلة على قدرة الله ووحدانيته، مما في الكون البديع من عجائب صنعه، وما في الأرض من آثار خلقه في الإنسان، والبحر، وخلق السموات والأرض في ستة أيام، وإنزال الأمطار وإرسال الرياح مبشرات بالمطر، وجعل البروج في السماء، وتعاقب الليل والنهار.

٩- بيان صفات عباد الرحمن المتقين، وأن من صفاتهم التي استحقوا بها هذا الوصف أنهم يمشون في الأرض هوناً من غير تكبر ولا خيلاء ولا استعلاء على الناس، وأنهم يقومون من الليل طاعة له سبحانه، وأنه مقتصدون في أمرهم كله، وأنهم لا يقربون الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

١٠- خُتمت آيات هذه السورة بالحديث عن هوان البشرية على الله سبحانه، لولا القلوب الضارعة الطائعة المستجيبة، العارفة بالله في هذا القطيع الشارد الضال من المكذبين والجاحدين[(٢)].

الناسخ والمنسوخ:

فيها من المنسوخ آيتان متلاصقتان، وهما:

- قوله تعالى: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَق} [الفرقان : ٦٨]، الى قوله تعالى: {مُهَانًا} [الفرقان : ٦٩]، ثم نسخها الله تعالى بالاستثناء- وقال: {إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ} [الفرقان : ٧٠]، وأكد الآية الثانية من جميع الآيتين، واختلف المفسرون في التبديل أين يقع في الدنيا أم في الآخرة فقالت طائفة التبديل في

(١) انظر: تفسير المراغي:١٤٥/١٨، والتفسير المنير للزحيلي:٥/١٩.
(٢) انظر: التفسير المنير للزحيلي:٦/١٩-٧، وموقع[إسلام ويب].

الدنيا يصير مكان الإصرار على الذنب الإقلاع ومكان المعصية التوبة ومكان الإقامة على الذنب الاعتذار منه، وقال آخرون التبديل يقع في الآخرة وهو قول علي بن الحسين وجماعة معه[١].

وقد روي عن محمد بن واسع أنه قال: "ما يسؤني أن ألقى الله عز وجل بقراب الأرض خطايا قراب الأرض ما يقارب مثلها ألا أكون مثابا على مثلها مغفرة لي ثم تلا هذه الآية {إلا من تاب}"[٢].

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة الفرقان بعث يوم القيامة وهو يؤمن أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور، ودخل الجنة بغير حساب»[٣].

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١٣٦-١٣٧.

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١٣٧.

(٣) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان:١٢٢/٧، والواحدي في التفسير الوسيط(٦٦٦):ص٣٣٣/٣، وانظر: فضائل القرآن للمستغفري(١١٩٢):ص٧٨٠/٢،.

وهو حديث موضوع، قال ابن الجوزي: "وقد فرق هذا الحديث أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره فذكر عند كل سورة منه ما يخصها، وتبعه أبو الحسن الواحدي في ذلك، ولا أعجب منهما؛ لأنهما ليسا من أهل الحديث. "الموضوعات" ١/ ١٧٤.

وحكم عليه بالوضع الزيلعي، في تخريجه لأحاديث الكشاف ٢/ ٤٦٩، والمناوي في: "الفتح السماوي في تخريج أحاديث البيضاوي" ٢/ ٨٨٥.

سورة «الشعراء»

سورة «الشعراء»: هي السورة «السادسة والعشرون» في ترتيب المصحف، نزلت بعدسورة: «الواقعة»[1]، عدد آياتها مائتان وسبع وعشرون فى عد الكوفى والشامى، ومائتان وست وعشرون فى عدّ الباقين، كلماتها ألف ومائتان وسبع وسبعون، وحروفها خمسة آلاف وخمسمائة وثنتان وأربعون، الآيات المختلف فيها أربع: {طسم} [الشعراء : ١]، {فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} [الشعراء : ٤٩]، {أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ} [الشعراء : ٩٢]، {وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ} [الشعراء : ٢١٠] [2].

مجموع فواصل آياتها «ملن»، على اللام: أربع، آخرهن {إِسْرَائِيلَ} [الشعراء :١٧،٢٢،٥٩، ١٩٧] [3].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة الشعراء»:**

اشتهرت تسميتها باسم «سورة الشعراء»، وكتبت في المصاحف وكتب التفسير، وكتب السنة.

وقد وردت هذه التسمية في عهد الرسول-صلى الله عليه وسلم-، كما روي:

- عن ابن عباس:" نزلت سورة {طسم} الشعراء بمكة"[4].
- عن ابن الزبير قال: "أنزلت سورة الشعراء بمكة"[5].

- **وجه التسمية:**

سميت «سورة الشعراء» لما ختمت به من المقارنة بين الشعراء الضالين والشعراء المؤمنين في قوله سبحانه: {وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ} [الشعراء : ٢٢٤]،إلى قوله: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [الشعراء : ٢٢٧]، بقصد الرد على المشركين الذين زعموا أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان شاعرا، وأن ما جاء به من قبيل الشعر[6].

- **ثانيا:- اسمهاؤها الإجتهادية:**
- **الاسم الاول والثاني: «طسم»، و«طسم الشعراء»:**

وتسمى هذه السورة«طسم»، وسميت ايضا«طسم الشعراء»، وذلك من باب تسمية السورة بمفتتحها، إذ روي عبدالله بن مسعود-رضي الله عنه-أنه سئل عن «طسم» الشعراء، فقال:"ليست معي ولكن عليكم ممن اخذها من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، عليكم بأبي عبدالله خباب بن الأرث"[7].

- عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أعطيت السورة التي يذكر فيها البقرة من الذكر الأول، وأعطيت طه والطواسين من ألواح موسى -عليه السلام- ، وأعطيت فواتح القرآن وخواتيم السورة التي يذكر فيها البقرة من تحت العرش، وأعطيت المفصل نافلة"[8].

- **الاسم الثالث: «سورة الجامعة»:**

---

(١) انظر: الكشاف:٢٩٨/٣.
(٢)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٤٤.
(٣) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.
(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٨٨/٦، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه.
(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٨٨/٦، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٦)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٤٠، والتفسير المنير للزحيلي:٥/١٩.
(٧) أخرجه أبو نعيم في الحلية:١٤٣/١، وانظر: الدر المنثور:٢٨٨/٦.
(٨) سيأتي تخريجه في فضائل السورة.
وأورده السيوطي في الدر المنثور:٥٤٨/٥، وعزاه غلى ابن مردويه، وروايته فيه:" أعطيت السورة التي ذكرت فيها الأنعام من الذكر الأول..".

وقعت هذه التسمية في تفسير الإمام مالك كما نسبها إليه ابن كثير[١]، والسيوطي[٢]، وذكرها الألوسي[٣]، والقاسمي[٤].

قال ابن عاشور:" ولم يظهر وصفها بهذا الوصف، ولعلها أول سورة جمعت ذكر أصحاب الشرائع المعلومة إلى الرسالة المحمدية"[٥].

وقد وردت في احكام القرىن لابن العربي بلفظ«الخاضعة»، ولعلها تصحيف لفظ«الجامعة».

وقد ذكرها لها البقاعي اسما آخر، وهي«الظلة»، وقال:" وكذا تسميتها بالظلة إشارة إلى أنه أعدل في بيانه، أو أدل في جميع شأنه، من المقادير التي دلت عليها قصة شعيب عليه السلام بالمكيال والميزان، وأحرق من الظلة لمن يبارزه بالعصيان"[٦].

وبالأخير فإن هذه الأسماء«طسم»، «الجامعة»، «الظلة»، تبقى إجتهادية مستنبطة من مضمون السورة، ولم تثبت عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، والله أهلم.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة، ثلاثة أقوال:

أحدها : أنها نزلت بمكة. وهذا قول ابن عباس[٧]، وابن الزبير[٨]، ويحيى بن سلام[٩].

الثاني : انها مكية غير آيتين فإنهما مدنيتان أحدهما قوله- تعالى-:{أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ} [الشعراء : ١٩٧]، والأخرى قوله- تعالى-:{وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ} [الشعراء : ٢٢٤]. قاله مقاتل[١٠].

الثالث : أنها مكية سوى أربع آيات من آخرها نزلت بالمدينة :{وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ} [الشعراء : ٢٢٤] إلى آخرها، وهذا قول ابن عباس أيضا[١١]، وقتادة[١٢]، وبه قال الثعلبي[١٣]، والسمعاني[١٤]، والبغوي[١٥]، والزمخشري[١٦]، والفخر الرازي[١٧].

قال القرطبي:" هي مكية في قول الجمهور"[١٨].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من النواحي الآتية:

---

(١)قال ابن كثير في تفسيره ٦/ ١٢٢: "ووقع في تفسير مالك المروي عنه، تسميتها: سورة الجامعة".
(٢) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن:١٩٨/٣.
(٣) انظر: روح المعاني:٥٨/١٠.
(٤) انظر: محاسن التأويل:٤٤٧/٧.
(٥) التحرير والتنوير:٨٩/١٩.
(٦) نظم الدرر في تناسب الىيات والسور:١/١٤-٢.
(٧) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٨٨/٦، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه.
(٨) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٨٨/٦، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٩) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٤٩٥/٢.
(١٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٢٥٧/٣.
(١١) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٨٨/٦، وعزاه إلى النحاس، وانظر: تفسير القرطبي:٨٧/١٣.
(١٢) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٣٣٤/٣، والقرطبي في التفسير:٨٧/١٣.
(١٣) انظر: الكشف والبيان:١٥٥/٧.
(١٤) انظر: تفسير السمعاني:٣٨/٣.
(١٥) انظر: تفسير البغوي:٢٩٨/٣.
(١٦) انظر: الكشاف:٢٩٨/٣.
(١٧) انظر: مفاتيح الغيب:٤٩٠/٢٤.
(١٨) تفسير القرطبي:٨٧/١٣.

١- إن فيها بسطا وتفصيلا لبعض ما ذكر فى موضوعات سالفتها.
٢- إن كلتيهما قد بدئت بمدح الكتاب الكريم.
٣- إن كلتيهما ختمت بإبعاد المكذبين(١).

- **أغراض السورة ومقاصدها**

إن مقصود سورة الشعراء على الجملة: إثبات توحيد الله سبحانه. والخوف من الآخرة. والتصديق بالوحي المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم. والتخويف من عاقبة التكذيب، إما بعذاب الدنيا الذي يدمر المكذبين، وإما بعذاب الآخرة الذي ينتظر الكافرين.

أما مقصود السورة على التفصيل فجاء وفق التالي:

١- التنويه بالقرآن الكريم، والتعريض بعجز المشركين عن معارضته. والرد على مطاعنهم في القرآن، وأنه منزه عن أن يكون شعراً، ومن أقوال الشياطين .
٢- تواجه السورة تكذيب مشركي قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم، واستهزاءهم بالنُّذر، وإعراضهم عن آيات الله، واستعجالهم بالعذاب الذي توعدهم به، مع التقول على الوحي والقرآن والادعاء بأنه سحر أو شعر، تتنزل به الشياطين!
٣- تسلية النبي صلى الله عليه وسلم عما يلاقيه من إعراض قومه عن التوحيد الذي دعاهم إليه القرآن.
٤- تهديد المشركين بسبب موقفهم من دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتعرضهم لغضب الله تعالى، وضرب المثل لهم بما حل بالأمم المكذبة رسلها، والمعرضة عن آيات الله.
٥- طمأنة قلوب المؤمنين وتصبيرهم على ما يلقون من عنت المشركين، وتثبيتهم على العقيدة مهما أوذوا في سبيلها من الظالمين، كما ثبت من قبلهم من المؤمنين .
٦- تضمنت السورة مناظرة نبي الله موسى عليه السلام مع فرعون الملعون، زعيم الطغاة وسيدهم، وذكر السحرة، ومكرهم وخداعهم في الابتداء، وإيمانهم وانقيادهم في الانتهاء.
٧- هدفت السورة إلى تأكيد أن آيات الوحدانية، وصدق الرسل عديدة كافية لمن يطلب الحق، وأن أكثر المشركين لا يؤمنون، وأن الله عزيز قادر على أن ينزل بهم العذاب، وأنه رحيم برسله، ناصرهم على أعدائهم لا محال.
٨- تضمنت السورة جملة من قصص الأقوام السابقة، وغلب على قصصها -كما غلب على السورة كلها- جوُّ الإنذار والتكذيب، والعذاب الذي يتبع التكذيب، وجاء ختام كل قصة بقوله سبحانه:{إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٩)} [الشعراء : ٨ - ٩]. قال الزمخشري:"كل قصة من القصص المذكورة في هذه السورة كتنزيل برأسه. وفيها من الاعتبار ما في غيرها، فكانت كل واحدة منها تدلي بحق في أن تختم بما اختتمت به صاحبتها؛ ولأن في التكرير تقريراً للمعاني في الأنفس، وتثبيتاً لها في الصدور. وكلما زاد ترديده كان أمكن له في القلب، وأرسخ في الفهم، وأبعد من النسيان؛ ولأن هذه القصص طُرقت بها آذان وَقْرٌ عن الإنصات للحق، وقلوب غُلف عن تدبره، فكوثرت بالوعظ والتذكير، وروجعت بالترديد والتكرير، لعل ذلك يفتح أذناً، أو يفتق ذهناً"(٢).
٩- أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بإنذار عشيرته، وأنه عليه الصلاة والسلام ما عليه إلا البلاغ.
١٠- خُتمت السورة بوعيد الظالمين، وبيان أن عاقبتهم عاقبة وخيمة، وأن ظلمهم شامل، يشمل ظلم أنفسهم بكفرهم بالله وآياته، وشامل أيضاً ظلم الآخرين، وذلك بالاعتداء على حقوق الناس(٣).

---

(١) انظر: تفسير المراغي:١٤٥/١٨، والتفسير المنير للزحيلي:٥/١٩.
(٢) الكشاف:٣٣٤/٣.
(٣) انظر: موقع: [إسلام ويب].

الناسخ والمنسوخ:

روي عن عكرمة عن ابن عباس :" {وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ}، فنسخ من ذلك، واستثني، فقال: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا} [الشعراء : ٢٢٧]"[١].

قال هبة الله:" قوله :{وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ} [الشعراء : ٢٢٤]، نزلت الى أخرها بالمدينة في شعراء الجاهلية، ثم استثنى منهم شعراء الاسلام وهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة -رضي الله عنهم-، فقال تعالى: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا} [الشعراء : ٢٢٧]، و"الذكر" –ههنا-: الشعر في الطاعة، فصار الاستثناء ناسخا لما قبله من قوله:{وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ} [الشعراء : ٢٢٤]"[٢].

قال ابن الجوزي:" الاستثناء ليس بنسخ، ولا يعول على هذا، وإنما هذه الألفاظ من تغيير الرواة وإلا فقد أخبرنا المبارك بن علي... عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما :" {وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ}، ثم استثنى المؤمنين، فقال: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}، فهذا هو اللفظ الصحيح، عن ابن عباس رضي الله عنهما وإن هذا هو استثناء لا نسخ، وإنما الرواة تنقل، بما تظنه المعنى فيخطئون"[٣].

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أعطيت السورة التي يذكر فيها البقرة من الذكر الأول، وأعطيت طه والطواسين من ألواح موسى -عليه السلام- ، وأعطيت فواتح القرآن وخواتيم السورة التي يذكر فيها البقرة من تحت العرش، وأعطيت المفصل نافلة"[٤].
- عن أنس أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الله أعطاني السبع مكان التوراة، وأعطاني الطواسين مكان الزبور، وفضلني بالحواميم والمفصل ما قرأهن نبي قبلي"[٥].
- عن أبي بن كعب، قال: قال لي رسول الله، صلى الله عليه وسلم: "من قرأ سورة الشعراء كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وشعيب وصالح وإبراهيم، وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم"[٦].

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في "نواسخ القرآن": ٥٣٠/٢ .

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١٣٨.

(٣) نواسخ القرآن: ٥٣١/٢، والأثر أخرجه الطبري والنحاس عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريق علي بن أبي طلحة، ثم قال النحاس: (وهذا أحسن ما قيل في الآية) وهو اختيار الطبري ومكي بن أبي طالب أيضا، يقول بعد عزو دعوى النسخ إلى ابن عباس: "إنما هو استثناء وقد ورد ذلك كثير في القرآن عن ابن عباس فيها حرف الاستثناء، وهو يقول: إنه نسخ وهو لفظ مجاز لا حقيقة".

[انظر: جامع البيان١٩/ ٧٩؛ والناسخ والمنسوخ ص: ٢٠٤؛ والإيضاح ص: ٣٢٦ – ٣٢٧]

(٤) اخرجه الثعلبي في الكشف والبيان:١٥٥/٧، والبغوي في التفسير:٢٥٩/٥، وفيه أبو بكر الهذلي، قال عنه ابن حجر: إخباري متروك الحديث. وأخرجه مطولا عن معقل بن يسار: البيهقي في السنن: ١٠ / ٩، والحاكم في المستدرك: ١ / ٥٦١، ٥٦٨، و٢ / ٢٥٩، وابن السني في عمل اليوم والليلة ص: (٣٢٢) . وفيه عبيد الله بن أبي حميد وهو متروك. وانظر: فيض القدير للمناوي: ١ / ٥٦٤.

وأورده السيوطي في الدر المنثور:٥٤٨/٥، وعزاه غلى ابن مردويه، وروايته فيه:" أعطيت السورة التي ذكرت فيها الأنعام من الذكر الأول..".

(٥) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان:١٥٥/٧. وأورده السيوطي في الدر المنثور:٢٦٨/٧، وعزاه لانب مردويه، وانظر: تفسير القرطبي: ١٣/ ٨٧. من حديث البراء بن عازب، مع زيادة: «وأعطاني المبين مكان الإنجيل»

(٦) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان:١٢٢/٧، والواحدي في التفسير الوسيط(٦٧٣):ص/٣٥٠/٣.

وهو حديث موضوع، قال ابن الجوزي: "وقد فرق هذا الحديث أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره فذكر عند كل سورة منه ما يخصها، وتبعه أبو الحسن الواحدي في ذلك، ولا أعجب منهما؛ لأنهما ليسا من أهل الحديث. "الموضوعات" ١/ ١٧٤.

وحكم عليه بالوضع الزيلعي، في تخريجه لأحاديث الكشاف ٢/ ٤٦٩، والمناوي في: "الفتح السماوي في تخريج أحاديث البيضاوي" ٢/ ٨٨٥.

سورة «النمل»

سورة «النمل»: هي السورة «السابعة والعشرون» في ترتيب المصحف، نزلت بعدسورة: «الشعراء»[1]، عدد آياتها خمس وتسعون فى عد الحجاز، وأربع فى عد الشام، والبصرة، وثلاث فى عد الكوفة، كلماتها ألف ومائة وتسع وأربعون. وحروفها أربعة آلاف وسبعمائة وتسع وتسعون[2].

والآيات المختلف فيها :{وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ} [النمل : ٣٣]، {مِنْ قَوَارِير} [النمل : ٤٤]، مجموع فواصل آياتها «من»[3].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة النمل»:**

اشتهرت تسميتها باسم «سورة النمل»، وكتبت في المصاحف وكتب التفسير، وكتب السنة، وسميت بذلك؛ لاشتمالها على مناظرة النمل سليمان فى قوله: {حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} [النمل : ١٨].

قال المهايمي: "سميت سورة النمل لاشتمالها على مقالتها، الدالة على علم الحيوان بنزاهة الأنبياء وأتباعهم، عن ارتكاب المكاره عمدًا. وهو مما يوجب الثقة بهم، وهو من أعظم مقاصد القرآن"[4].

- **ثانيا:- اسماؤها الإجتهادية:**

١- سورة سليمان

سماها بذلك أبو بكر بن مجاهد[5]، وذكرها السيوطي في«الإتقان»[6] و«معترك الأقران»[7]، كما ذكرها الالوسي[8] وابن عاشور[9]، في تفسيرهما.

وأما تسميتها: «سورة سليمان»؛ فلأن ما ذكر فيها من ملك سليمان مفصلًا لم يذكر مثله في غيرها.

روي عن عكرمة، قال: "قال ابن عباس: كل سلطان في القرآن حجة ونزع الآية التي في سورة سليمان {أو ليأتيني بسلطان} قال: وأي سلطان كان للهدهد"[10].

وروي عن أحمد بن يحيى، عن القعنبي، قال: قيل لمالك بن أنس: كيف قرأتم في سورة سليمان: {ما لى لا أرى الهدهد} [النمل:٢٠]، مرسلة الياء، وقرأتم في سورة يس: {وما لى لا أعبد} [يس: ٢٢] منتصبة الياء؟ قال: فذكر مالك كلاما، ثم قال: لا تدخل على كلام ربّنا لم وكيف، وإنما هو سماع وتلقين، أصاغر عن أكابر، والسّلام "[11].

٢- سورة الهدهد

وتسمى بـ«سورة الهدهد»، ذكرهاا ابن العربي في أحكام القرآن[12].

وسبب تسميتها بذلك، ان لفظ الهدهد لم يذكر في سورة من القرآن غيرها.

---

(١) انظر: الكشاف:٣٤٦/٣، وبيان المعاني، عبد القادر بن ملّا حويش:٣٠٨/٢.
(٢)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٤٨.
(٣) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.
(٤) تفسير المهايمي: ٢/ ٩٩.
(٥) انظر: السبعة في القراءات: ٤٧٨.
(٦) انظر: الغتقان في علوم القرآن:١٩٤/١.
(٧) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن:١٩٨/٣.
(٨) انظر: روح المعاني:١٥١/١٠.
(٩) انظر: التحرير والتنوير:٣١/١٥.
(١٠) اخرجه السيوطي في الدر المنثور:٣٥٠/٦، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير.
(١١) جامع البيان في القراءات السبع(١٤٨):ص١٤٩/١-١٥٠.
(١٢) انظر: احكام القرآن:١٤٤٨/٣.

٣- **سورة طس**

سماها بها السخاوي[١]، وذلك لأنها السورة الوحيدة التي انفردت بافتتاحها بالحروف المقطعة«طس» دون غيرها من سور القرآن الكريم.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

نزلت سورة النمل بمكة. وهذا قول ابن عباس[٢]، وابن الزبير[٣].

نص على ذلك كثير من المفسرين ولم يقع خلاف في مكيتها[٤]، وحكى الفيروزآبادي الإجماع على ذلك[٥].

- **مناسبة سورة«النمل» مع سورة «الشعراء»:**

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من النواحي الآتية:

١- إنها كالتتمة لها، إذ جاء فيها زيادة على ما تقدم من قصص الأنبياء قصص داود وسليمان.

٢- إن فيها تفصيلا وبسطا لبعض القصص السالفة كقصص لوط وموسى عليهما السلام.

٣- إن كلتيهما قد اشتمل على نعت القرآن وأنه منزل من عند الله.

٤- تسلية رسوله صلى الله عليه وسلم على ما يلقاه من أذى قومه وعنتهم، وإصرارهم على الكفر به، والإعراض عنه[٦].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

فيما يأتي أهم محاور السورة الكريمة:

١- إن مقصود السورة الرئيس -كسائر السور المكية- هو العقيدة: الإيمان بالله، وعبادته وحده، والإيمان بالآخرة، وما فيها من ثواب وعقاب. والإيمان بالوحي، وأن الغيب كله لله، لا يعلمه سواه. والإيمان بأن الله هو الخالق الرازق واهب النعم، وتوجيه القلب إلى شكر أنعم الله على البشر. والإيمان بأن الحول والقوة كلها لله، وأن لا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم يأتي القصص لتثبيت هذه المعاني، وتصوير عاقبة المكذبين بها، وعاقبة المؤمنين.

٢- إبراز صفة العلم في جو السورة، إذ تظللها في سياقها كله من المطلع إلى الختام، ويمضي سياق السورة كله في هذا الظل؛ علم الله المطلق بالظاهر والباطن، وعلمه بالغيب خاصة. وآياته الكونية التي يكشفها للناس.

٣- ومن مقصود السورة وصف القرآن الكريم بالكفاية لهداية الخلق أجمعين، بالفصل بين الصراط المستقيم، وطريق الحائرين، والجمع لأصول الدين، لإحاطة علم منزله بالخفي والمبين، وبشارة المؤمنين، ونذارة الكافرين بيوم اجتماع الأولين والآخرين، وكل ذلك يرجع إلى العلم المستلزم للحكمة.

٤- ومن مقاصدها أيضاً: الاعتبار بملك أعظم ملك أوتيه نبي، وهو مُلك داود، وملك سليمان عليهما السلام، وما بلغه من العلم بأحوال الطير، وما بلغ إليه ملكه من عظمة الحضارة.

٥- ومنها: الإشارة إلى ملك عظيم من العرب، وهو ملك سبأ، وفي ذلك إيماء إلى أن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم رسالة تقارنها سياسة الأمة، ثم يعقبها ملك، وهو خلافة النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) انظر: جمال القرآء:٣٧/١.

(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور:٣٤٠/٦، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور:٣٤٠/٦، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤) انظر: تفسير القرطبي" ١٣/ ١٥٤، ووالبحر المحيط في التفسير: ٧/ ٥١.

(٥) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز:٣٤٨/١.

(٦) انظر: تفسير المراغي:١١٨/١٩.

٦- ومنها: محاجة المشركين في بطلان دينهم وتزييف آلهتهم وإبطال أخبار كهانهم وعرافيهم، وسدنة آلهتهم. وإثبات البعث وما يتقدمه من أهوال القيامة وأشراطها.
٧- ومنها: موادعة المشركين وإنباؤهم بأن شأن الرسول صلى الله عليه وسلم الاستمرار على إبلاغ القرآن، وإنذارهم بأن آيات الصدق سيشاهدونها، والله مطلع على أعمالهم.
٨- ومنها: بيان فضله سبحانه على عباده بإجابة دعوة المضطر إذا دعاه، وكشفه السوء عنه، وجعل الإنسان خليفة في الأرض. وتذكيره سبحانه عباده بهدايته لهم في ظلمات البر والبحر، وإرساله الرياح مبشرات بين يدي رحمته.
٩- ومنها: تذكيره سبحانه بذاته العلية؛ إذ يبدأ الخلق ثم يعيده، وبرزقه سبحانه وتعالى من السماء والأرض.
١٠- ومنها: تنبيهه سبحانه عباده أنه لا يعلم من في السماء والأرض الغيب غيره، وأن أكثر العباد غافلون عن الحقائق الإيمانية التي جاءتهم بها الرسل، وعن الحقائق الكونية التي بثها سبحانه في هذا الكون، وأنهم يتداركون جهلهم عندما يبعثون، ويعلمون ما لم يكونوا علموه من قبل بالعِيان، لا بالأفهام.
١١- ومنها: أمره سبحانه وتعالى عباده أن يسيروا في الأرض؛ ليعلموا مكانهم فيها، والعبر من أهلها، إذ طغوا، وأكثروا فيها الفساد.
١٢- ومنها: تذكير العباد بعلامة من علامات قيام الساعة، وهي خروج دابة من الأرض، التي تُظْهر حقيقة المؤمن من الكافر .
١٣- ومنها: بيانه سبحانه بالإشارة الواضحة حال الناس يوم الحشر، يوم الهول العظيم يوم البعث، وحالهم يوم الحساب والثواب والعقاب، وحالهم وهم يقدمون على العذاب .
١٤- ويأتي ختام السورة بأمر العباد بعبادة الله وحده، الذي بيده الأمر كله، والأمر بحمده سبحانه على ما أعطاهم من نعم لا تُعدُّ ولا تحصى، وإنذار العباد بأنه سبحانه سيريهم آياته القاهرة والباهرة، فيعرفونها، ويومئذ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيراً، وأنه سبحانه وتعالى ليس بغافل عما يعمل عباده، بل يعلم كل صغيرة وكبيرة، فيجازي كلاً بما عمل، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر[١].

الناسخ والمنسوخ:

وفيها من المنسوخ آية واحدة، وهي قوله تعالى: {وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ} [النمل : ٩٢]، الآية، نسخ معناها لا لفظها بآية السيف[٢] وباقيها محكم[٣].

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ طس سليمان كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بسليمان وكذب به، وهود وشعيب وصالح وإبراهيم، ويخرج من قبره وهو ينادي: لا إله إلا الله» [٤].

---

(١) انظر: إسلام ويب. [موقع الكتروني].
(٢)روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن هذا منسوخ بآية السيف، انظر: نوسخ القرآن لابن الجوزي: ٥٣٢/٢.
(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١٣٩.
(٤) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان:١٨٨/٧، والواحدي في التفسير الوسيط(٦٨٣):ص٣٦٨/٣، وانظر: فضائل القرآن للمستغفري(١١٩٤):ص٧٨١/٢.
مرَّ الكلام عليه وأنه حديث موضوع.

وحكم عليه بالوضع الزيلعي، في تخريجه لأحاديث الكشاف ٢/ ٤٦٩، والمناوي في: "الفتح السماوي في تخريج أحاديث البيضاوي" ٢/ ٨٨٥.

سورة «القصص»

سورة «القصص»: هي السورة «الثامنة والعشرون» في ترتيب المصحف، وهي السورة التاسعة والأربعون في عداد نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة «النمل»[1]، وقبل سورة الإسراء.

قال ابن عاشور:" فكانت هذه الطواسين الثلاث متتابعة في النزول كما هو ترتيبها في المصحف، وهي متماثلة في افتتاح ثلاثتها بذكر موسى عليه السلام. ولعل ذلك الذي حمل كتاب المصحف على جعلها متلاحقة"[2].

وعدد آياتها: ثمان وثمانون، وكلماتها: ألف وأربعمائة وواحدة. وحروفها: خمسة آلاف وثمانمائة، الآيات المختلف فيها اثنتان: {طسم} [القصص : ١]،{يَسْقُونَ } [القصص : ٢٣]. فواصل آياتها: «لم تر»[3].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة القصص»:**

اشتهرت تسميتها باسم «سورة القصص»، وكتبت في المصاحف وكتب التفسير، وقد وردت هذه التسمية عن ابن عباس، وابن الزبير:

- عن ابن عباس قال: "نزلت سورة القصص بمكة"[4].
- عن ابن الزبير قال: "أنزلت سورة القصص بمكة"[5].

ولا يعرف لهذه السورة اسم آخ عيرهذا الاسم. والله أعلم.

- **وجه التسمية:**

سميت: «سورة القصص»؛ لاشتمالها عليها فى قوله: {فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [القصص : ٢٥] أى: قص موسى على شعيب[6]،فهي السّورة الوحيدة التي انفردت بذكر موسى - عليه السلام - وسبب هجرته من مصر إلى مدين، وهو المذكور بعد تفصيله بقوله تعالى: {فَلَمَّا جَاءهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ}[القصص:٢٥].

وقال القاسمي: " سميت بدلالة قوله تعالى: {فَلَمَّا جَآءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِين}[القصص:٢٥] الدال على نجاة من هرب من مكان الأعداء إلى مكان الأنبياء، اعتباراً بقصصهم الدالة على نجاة الهاربين، وهلاك الباقين بمكان الأعداء، من الهلاك"[7].

قال ابن عاشور:" فالقصص الذي أضيفت إليه السورة هو قصص موسى الذي قصه على شعيب عليهما السلام فيما لقيه في مصر قبل خروجه منها. فلما حكي في السورة ما قصه موسى كانت هاته السورة ذات قصص لحكاية قصص، فكان القصص متوغلا فيها، وجاء لفظ «القصص» في سورة يوسف، ولكن سورة يوسف نزلت بعد هذه السورة"[8].

قال محمود شلتوت:" فهي قصص موسى ـ عَلَيْه السَّلام ـ وهو في مصر مع المصريين، وليس قصصه مع فرعون وقومه، ولعل هذا القصص الخاص هنا هو الوجه في تسمية السّورة باسم «القصص»"[9].

- **ثانيا:- اسماؤها الإجتهادية:**

---

(١) انظر: الكشاف:٣٩١/٣، والتحرير والتنوير:٦١/٢٠

(٢) التحرير والتنوير:٦١/٢٠.

(٣)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٥٣.

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٣٤/٦، وعزاه إلى النحاس وابن الضريس وابن مردوية والبيهقي في الدلائل.

(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٣٤/٦، وعزاه إلى مردويه.

(٦)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٥٣.

(٧) محاسن التأويل: ٥١٣/٧.

(٨) التحرير والتنوير:٦١/٢٠.

(٩)إلى القُرْآن الكَريم. محمود شلتوت. دار الهلال. (د. ت) : ص١١١.

- **الاسم الأول: «سورة طسم»:**

وهي تسمية للسورة بما افتتحت به، ولم يستند فيها إلى خبر صحيح عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، او الصحابة، وقد ذكره يحيى بن سلام[١]، والسخاوي في جمال القراء[٢].

وقد روي عن عتبة بن الندر، قال: "كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقرأ طسم، حتى إذا بلغ قصة موسى، قال: «إن موسى صلى الله عليه وسلم أجر نفسه ثماني سنين، أو عشرا، على عفة فرجه، وطعام بطنه»[٣].[ضعيف جدا]

- **الاسم الثاني: «سورة موسى»:**

سماها بهذا الاسم: الجمل في " الفتوحات الإلهية"[٤]، والشربيني في "السراج المنير"[٥]، ومحمد صديق خان في فتح البيان[٦]، ومحمد بن عمر نووي الجاوي في مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد[٧]، وذلك دون نسبته إلى قائل.

والمشهور أن هذه التسمية من الأسماء الإجتهادية لسورة «طه»[٨]، كما سياتي بيانه إن شاء الله.

قال ابن عادل الحنبلي:" ولقائل أن يقول: لم لا سميت: سورة موسى، لاشتمالها على قصة موسى فقط من حين ولد إلى أن أهلك الله فرعون وخسف بقارون، كما سميت: سورة نوح، وسورة يوسف لاشتمالها على قصتهما، ولا يقال: سميت بذلك لذكر القصص فيها في قوله: {فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ} [القصص : ٢٥]، لأن سورة يوسف فيها ذكر القصص مرتين، الأولى: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ} [يوسف : ٣]، والثانية قوله: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ} [يوسف : ١١١]، فكانت سورة يوسف أولى بهذا الاسم، وأيضا فكانت سورة هود أولى بهذا الاسم، يعني: بسورة القصص؛ لأنه ذكر فيها قصص سبعة أنبياء وهذه ليس فيها إلا قصة واحدة، فكان ينبغي العكس، أن تسمى سورة هود سورة القصص، وهذه سورة موسى"[٩].

وقال الشربيني:" وتسمى: سورة موسى عليه السلام لاشتمالها على قصّته فقط من حين ولد إلى أن أهلك الله تعالى فرعون وخُسف بقارون، كما سميت سورة نوح وسورة يوسف لاشتمالهما على قصتهما، ولا يقال سميت بذلك لذكر القصص فيها في قوله تعالى: {فلما جاءه وقص عليه القصص} لأنّ سورة

---

(١) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٢٥٩/١، ٥٧٧/٢.

(٢) انظر: جمال القراء: ٣٧/١. وانظر: مرويات الإمام أحمد بن حنبل في التفسير. جمع وتخريج أحمد أحمد البزرا، ومُحَمَّد بن برزق بن الطرهوني، وحكمت بشير ياسين. الطبعة الأولى. مكتبة المؤيد. السعودية. ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.: ٣ /٣٢٩.

(٣) أخرجه ابن ماجة في السنن(٢٤٤٤):ص٨١٧/٢.، وأورده السيوطي في الدر المنثور:٤٠٨/٦، وزاد نسبته إلى البزار وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه. ورواياته فيه«{طس}».

وضعفه البوصيري في الزوائد (٢٦٠/٢): لأن فيه بقية وهو مدلس. وليس لبقية هذا عند ابن ماجة سوى هذا الحديث.

وقال ابن كثير:٢٠٧/٦:" وهذا الحديث من هذا الوجه ضعيف، لأن مسلمة بن علي وهو الخشني الدمشقي البلاطي ضعيف الرواية عند الأئمة، ولكن قد روي من وجه آخر، وفيه نظر أيضا".

و[حكم الألباني]: ضعيف جدا

(٤) انظر: الفتوحات الإلهية بتوضيح تَفْسِير الجلالين للدقائق الخفية. للعَلاَّمَة الشيخ سليمان بن عمر العجيلي الشافعي المشهور بالجمل. المتوفى سنة ١٢٠٤ هـ. مطبعة الاستقامة. القاهرة. (د. ت) : ٣ /٣٣٣.

(٥) انظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير:٧٩/٣.

(٦) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن:٨٥/١٠.

(٧) انظر: مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد: ١٨٧/٢.

(٨) قال السيوطي، وسماها الهذلي في كامله: سورة موسى، انظر: الإتقان:١٩٩/١، وانظر: المبسوط في القراءات العشر:٢٩٢.

(٩) اللباب في علوم الكتاب:٢١٢/١٥.

يوسف فيها ذكر القصص مرّتين الأولى: {نقص عليك أحسن القصص} والثانية: قوله تعالى: {لقد كان في قصصهم} فكانت سورة يوسف أولى بهذا الاسم، وأيضاً فكانت سورة هود أولى بهذا الاسم، لأنه ذكر فيها قصص سبعة أنبياء وهذه ليس فيها إلا قصة واحدة فكان ينبغي العكس وأن تسمى سورة هود القصص وهذه سورة موسى"[١].

- **الاسم الثالث: «سورة موسى وفرعون»:**

وردت هذه التسمية في خبر عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال:" إن رب العزة نادى يا أمة محمد إن رحمتي سبقت غضبي ثم أنزلت هذه الآية في سورة موسى وفرعون {وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا}[٢]"[٣].

وهذه التسمية من باب اشتمال السورة على قصة موسى مع فرعون. والله أعلم.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة، أقوال:

أحدها: أنها نزلت بمكة. وهذا قول ابن عباس[٤]، وابن الزبير[٥]، والحسن[٦]، وعطاء[٧]، وعكرمة[٨].

قال الفيروزآبادي: " السورة مكية بالاتفاق"[٩].

الثاني: أنها مكية كلها غير آية منها، وهي قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ} [القصص : ٨٥]، فإنها نزلت عليه وهو بالجحفة في وقت خروجه للهجرة. وهذا قول ابن عباس أيضا[١٠].

الثالث: أنها مكية إلا أربع آيات منها نزلت بالمدينة؛ وهي قوله تعالى:{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ} [القصص : ٥٢] إلى قوله:{سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ} [القصص : ٥٥]، :" وفيها آية ليست بمكية ولا مدنية قوله: {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ} [القصص : ٨٥]، نزلت بالحجفة أثناء الهجرة. وهذا قول مقاتل[١١].

قال ابن عاشور:" هي مكية في قول جمهور التابعين، وفيها آية: {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ} [القصص : ٨٥]. قيل: نزلت على النبيء صلى الله عليه وسلم في الجحفة في طريقه إلى المدينة للهجرة تسلية له على مفارقة بلده. وهذا لا يناكد أنها مكية لأن المراد بالمكي ما نزل قبل حلول النبيء صلى الله عليه وسلم بالمدينة كما أن المراد بالمدني ما نزل بعد ذلك ولو كان نزوله بمكة"[١٢].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من النواحي الآتية:

١- إنه سبحانه بسط فى هذه السورة ما أوجز فى السورتين قبلها من قصص موسى عليه السلام وفصل ما أجمله هناك، فشرح تربية فرعون لموسى وذبح أبناء بنى إسرائيل الذي أوجب إلقاء موسى حين

---

(١)السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير:٧٩/٣.
(٢)[القصص : ٤٦].
(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور:٤١٨/٦، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن عساكر.
(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٣٤/٦، وعزاه إلى النحاس وابن الضريس وابن مردوية والبيهقي في الدلائل.
(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٣٤/٦، وعزاه إلى مردويه.
(٦) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٣٧٤/٣.
(٧) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٣٧٤/٣.
(٨) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٣٧٤/٣.
(٩) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٥٣.
(١٠) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٣٧٤/٣.
(١١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٣٤/٣.
(١٢) التحرير والتنوير:٦١/٢٠.

ولادته فى اليم خوفا عليه من الذبح، ثم ذكر قتله القبطي، ثم فراره إلى مدين وما وقع له مع شعيب من زواجه ببنته، ثم مناجاته لربه.

٢- إنه أحمل فى السورة السالفة توبيخ المشركين بالسؤال عن يوم القيامة وبسطه هنا أتم البسط.

٣- إنه فصل هناك أحوال بعض المهلكين من قوم صالح وقوم لوط، وأجمله هنا فى قوله: {وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ} [القصص : ٥٨]، الآيات.

٤- بسط هناك حال من جاء بالحسنة وحال من جاء بالسيئة، وأوجز ذلك هنا، وهكذا من المناسبات التي تظهر بالتأمل حين قراءة السورتين[١].

وقال أبو حيان: "مناسبة أول هذه السورة لآخر السورة التي قبلها: أن الله سبحانه أمر نبيه - صلى الله عليه وسلم - بحمده، ثم قال: {سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ} وكان مما فُسِّر به آياته تعالى معجزات الرسول، وأنه أضافها تعالى إليه، إذ كان هو المخبر بها على قدمه فقال: {تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ} إذ كان الكتاب هو أعظم المعجزات، وأكبر الآيات البينات"[٢].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

يقوم كيان السورة على قصة موسى وفرعون في البدء، وقصة قارون مع قومه -قوم موسى -في الختام.

أولا:- قصة موسى وفرعون :

١- في هذه القصة تعرض قوة الحكم والسلطان؛ قوة فرعون الطاغية المتجبر اليقظ الحذر، وفي مواجهتها موسى طفلاً رضيعاً، لا حول له ولا قوة، ولا ملجأ له ولا وقاية، وقد علا فرعون في الأرض، واتخذ أهلها شيعاً، واستضعف بني إسرائيل ، يذبح أبناءهم، ويستحيي نساءهم، وهو على حذر منهم، وهو قابض على أعناقهم، كاتم على أنفاسهم، مراقب لحركاتهم، مُحْصٍ عليهم تحركاتهم، كشأن الطغاة في كل عصر ومصر.

بيد أن قوة فرعون وجبروته، وحذره ويقظته، لم تكن لتغني عنه من الله شيئاً، بل لم تكن لتمكن له من موسى الطفل الصغير، المجرد من كل قوة وحيلة؛ إذ هو في حراسة القوة الحقيقية الوحيدة، ترعاه عين العناية، وتدفع عنه السوء، وتعمي عنه العيون، وتتحدى به فرعون وجنده تحدياً سافراً، فتدفع به إلى حِجره، وتدخل به عليه عرينه، وتقتحم به عليه قلب امرأته، وهو مكتوف اليدين إزاءه، مكفوف الأذى عنه، يصنع بنفسه لنفسه ما يحذره ويخشاه!

٢- ذكر سبحانه في هذه السورة قصة موسى وفرعون؛ ليبين للناس أين يكون الأمن، وأين تكون المخافة، ويُعلمهم أن الأمن إنما يكون في جوار الله، ولو فُقدت كل أسباب الأمن الظاهرة التي تعارف عليها الناس، وأن الخوف إنما يكون في البعد عن ذلك الجوار، ولو تظاهرت أسباب الأمن الظاهرة التي تعارف عليها الناس! وساق لهم قصة قارون؛ لتقرر هذه الحقيقة في صورة أخرى وتؤكدها.

قال ابن عاشور:" ويقرب عندي أن يكون المسلمون ودوا أن تفصل لهم قصة رسالة موسى عليه السلام فكان المقصود انتفاعهم بما في تفاصيلها من معرفة نافعة لهم تنظيرا لحالهم وحال أعدائهم. فالمقصود ابتداء هم المسلمون ولذلك قال تعالى: {في أولها نتلوا عليك من نبإ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون} [القصص: ٣] أي: للمؤمنين"[٣].

ثانيا:- قصة قصة قارون مع قوم موسى:

---

(١) انظر: تفسير المراغي:٣٠/٢٠.
(٢) البحر المحيط:٢٨٥/٨.
(٣) التحرير والتنوير:٦٣/٢٠.

وهذه القصة تعرض قيمة المال، ومعها قيمة العلم؛ المال الذي يستخف القوم، وقد خرج عليهم قارون في زينته، وهم يعلمون أنه أوتي من المال ما إن مفاتحه لتعيي الأقوياء من الرجال. والعلم الذي يعتز به قارون ويغتر، ويحسب أنه بسببه وعن طريقه أوتي ذلك المال. ولكن الذين أوتوا العلم الصحيح من قومه لا تستخفهم خزائنه، ولا تستخفهم زينته، بل يتطلعون إلى ثواب الله، ويعلمون أنه خير وأبقى. ثم تتدخل يد الله فتخسف به وبداره الأرض، لا يغني عنه ماله، ولا يغني عنه علمه، وتتدخل تدخلاً مباشراً سافراً، كما تدخلت في أمر فرعون، فألقته في اليم هو وجنوده، فكان من المغرقين.

وبالجملة: دلت هاتان القصتان على المقاصد الآتية:

١- أنه حين يسود الشر، ويسفر الفساد، ويقف الخير عاجزاً، والصلاح حسيراً، ويُخشى من الفتنة بالبأس والفتنة بالمال، عندئذ تتدخل يد القدرة سافرة متحدية، بلا ستار من الخلق، ولا سبب من قوى الأرض، لتضع حداً للشر والفساد. وهذا من أهم المقاصد التي تقرره هذه السورة.

٢- بين القصتين يجول السياق مع المشركين جولات يبصرهم فيها بدلالة القصص-في سورة القصص- ويفتح أبصارهم على آيات الله المبثوثة في مشاهد الكون تارة، وفي مصارع الغابرين تارة، وفي مشاهد القيامة تارة...وكلها تؤكد العبر المستفادة من القصص، وتساوقها، وتتناسق معها، وتؤكد سنة الله التي لا تتخلف ولا تتبدل على مدار الزمان، واختلاف المكان.

يقول سيد قطب -رحمه الله- ملخصاً مقاصد هذه السورة: "هذه السورة مكية، نزلت والمسلمون في مكة قلة مستضعفة، والمشركون هم أصحاب الحول والطَّول والجاه والسلطان. نزلت تضع الموازين الحقيقية للقوى والقيم، نزلت تقرر أن هناك قوة واحدة في هذا الوجود، هي قوة الله، وأن هناك قيمة واحدة في هذا الكون، هي قيمة الإيمان. فمن كانت قوة الله معه فلا خوف عليه، ولو كان مجرداً من كل مظاهر القوة، ومن كانت قوة الله عليه فلا أمن له، ولا طمأنينة، ولو ساندته جميع القوى، ومن كانت له قيمة الإيمان فله الخير كله، ومن فقد هذه القيمة، فليس بنافعه شيء أصلاً"[(١)].

٣- نوهت السورة بشأن القرآن، وعرَّضت ببلغاء المشركين، بأنهم عاجزون عن الإتيان بسورة مثله. وفصلت ما أجمل في سورة الشعراء من قول فرعون لموسى:{قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (١٩)} [الشعراء : ١٨ - ١٩]، ففصلت سورة القصص كيف كانت تربية موسى في آل فرعون .وبيَّنت سبب زوال مُلك فرعون.

٤- فصلت السورة ما أجمل في سورة النمل من قوله سبحانه:{إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ} [النمل : ٧]، ففصلت سورة القصص كيف سار موسى وأهله، وأين آنس النار، ووصفت المكان الذي نودي فيه بالوحي، ومن ثم ذكرت دعوة موسى فرعون، فكانت هذه السورة أوعب لأحوال نشأة موسى إلى وقت إبلاغه الدعوة، ثم أجملت ما بعد ذلك؛ لأن تفصيله في سورة الأعراف، وفي سورة الشعراء. والمقصود من التفصيل ما يتضمنه من زيادة المواعظ والعبر.

٥- ومن مقاصد السورة تحدي المشركين بعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، وهو أمي لم يقرأ، ولم يكتب، ولا خالط أهل الكتاب، ذيل الله ذلك بتنبيه المشركين إليه، وتحذيرهم من سوء عاقبة الشرك، وأنذرهم إنذاراً بليغاً.

٦- فنَّدت السورة قول المشركين:{لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى} [القصص : ٤٨] من الخوارق، كقلب العصا حية، ثم انتقاضهم في قولهم؛ إذ كذبوا موسى أيضاً. وتحداهم بإعجاز القرآن وهديه مع هدي التوراة. وأبطل معاذيرهم، وأنذرهم بما حل بالأمم المكذبة رسل الله، وساق لهم أدلة على وحدانية

---

(١) في ظلال القرآن:٥/٢٦٧٣-٢٦٧٤.

الله تعالى، وفيها كلها نعم عليهم، وذكرهم بما سيحل بهم يوم الجزاء، وأنحى عليهم في اعتزازهم على المسلمين بقوتهم ونعمتهم ومالهم، بأن ذلك متاع الدنيا، وأن ما ادخر للمسلمين عند الله خير وأبقى.

٧- أومأت السورة إلى اقتراب هجرة المسلمين إلى المدينة، وإلى أن الله مظهرهم على المشركين بقوله:{وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ} [القصص : ٥].

٨- قرّرت السورة سنة اجتماعية، وهي إهلاك المكذبين بعد الإنذار والإعذار، كما قال تعالى:{وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ} [القصص : ٥٩].

٩- ألمعت السورة إلى أن البطر وعدم الشكر عاقبته الهلاك:{وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ} [القصص : ٥٨]، وهذا كله من السنن التي لا تتخلف.

١٠- عرضت السورة مشهداً من مشاهد يوم القيامة، حين يتخلى الشركاء عن شركائهم على رؤوس الأشهاد، فيبصرهم سبحانه بعذاب الآخرة، بعد أن حذرهم عذاب الدنيا، وبعد أن علمهم أين يكون الخوف، وأين يكون الأمان.

١١- خُتمت السورة بوعد من الله لرسوله الكريم، وهو مُخْرَج من مكة، مُطَارَد من المشركين، بأن الذي فرض عليه القرآن لينهض بتكاليفه، لا بد رادّه إلى بلده، ناصره على الشرك وأهله، وقد أنعم عليه بالرسالة، ولم يكن يتطلع إليها، وسينعم عليه بالنصر والعودة إلى البلد الذي أخرجه منه المشركون، سيعود آمناً ظافراً مؤيداً[(١)].

الناسخ والمنسوخ:

وفيها من المنسوخ آية واحدة، وهي قوله تعالى:{لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ} [القصص : ٥٥]، نسختها آية السيف[(٢)].

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ طسم القصص أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بموسى وكذب به، ولم يبق ملك في السموات والأرض إلا شهد له يوم القيامة أنه كان صادقا أن {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}»[(٣)].

---

(١) موقع: [إسلام ويب].

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١٤٠.

(٣) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان:٢٣٢/٧، وذكره الطبرسي في تفسير مجمع البيان: ٧/ ٤١٢.

والحديث لم أقف عليه في كتب الأحاديث. وقد أورده الطرابلسي ت ١١٧٧ هـ، في الكشف الإلهي عن شديد الضعف والموضوع. تحقيق د. مُحَمَّد محمود أحمد بكاء. الطبعة الأولى. مكتبة الطالب الجامعي. الريان. مكة المكرمة. ١٤٠٨ هـ: ١ /٩٨٦.

سورة «العنكبوت»

سورة «العنكبوت»: هي السورة «التاسعة والعشرون» في ترتيب المصحف، وهي السورة الخامسة والثمانون في ترتيب نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة «الروم»[(١)]، وقبل سورة الإسراء، في أواخر سنة إحدى قبل الهجرة، وعدد آياتها تسع وستون، بالاتفاق، وكلماتها تسعمائة وثمانون، وحروفها أربعة آلاف ومائة وخمس وتسعون، المختلف فيها ثلاث: {الم (١)} [العنكبوت : ١]، {وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ} [العنكبوت : ٢٩]، {مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّين} [العنكبوت : ٦٥]، وفواصل آياتها «نمر»، على الراء آية واحدة {قَدِيرٌ} [العنكبوت : ٢٠][(٢)].

- **أسماء السورة:**
- **اسمها التوقيفي: «سورة العنكبوت»:**

سميت «سورة العنكبوت»؛ لورود اسم «العنكبوت» فيها، حيث ضرب الله سبحانه وتعالى مثلاً للآلهة المزعومة بالعنكبوب والأصنام المنحوتة، قال تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [العنكبوت: ٤١] [(٣)].

عن عكرمة:" جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فحنى ظهر الأسود بن عبد يغوث حتى احقوقف صدره، فقال: النبي صلى الله عليه وسلم خالي خالي فقال جبريل: دعه عنك فقد كفيته فهو من المستهزئين، قال: وكانوا يقولون سورة البقرة وسورة العنكبوت يستهزئون بها"[(٤)].

ولا يعرف لهذه السورة اسم غير هذا الاسم، وذكر البعض باسم:{الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ (٢)} [العنكبوت : ١ - ٢]، دون ذكر أن مطلع السورة هو اسم تسمى به[(٥)].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة، أقوال:

أحدها: أنها نزلت بمكة جميعها. وهذا قول ابن عباس[(٦)]، وابن الزبير[(٧)]، والحسن[(٨)]، وعطاء[(٩)]، وقتادة[(١٠)]، وجابر بن زيد[(١١)]، ومقاتل[(١٢)].

الثاني: أنها مدنية كلها، وهذا أحد قولي ابن عباس[(١٣)]، وقتادة[(١٤)].

الثالث: أنها مكية كلها غير آية منها، وهي قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَاد} [القصص : ٨٥]، فإنها نزلت عليه وهو بالجحفة في وقت خروجه للهجرة. وهذا قول ابن عباس أيضا[(١٥)].

الرابع: نزلت من أولها إلى رأس العشر بمكة، وباقيها بالمدينة. قاله هبة الله بن سلامة[(١)].

---

(١) انظر: الكشاف:٤٣٨/٣.

(٢)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٥٩.

(٣) انظر المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٤) الدر المنثور: ٥/ ١٠٤، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٥) انظر: جمال القراء: ٣٧/١، وبصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٥٩.

(٦) أورده السيوطي في الدر المنثور:٤٤٩/٦، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٧) أورده السيوطي في الدر المنثور:٤٤٩/٦، وعزاه إلى مردويه.

(٨) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٣٩٨/٣.

(٩) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٣٩٨/٣.

(١٠) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٣٩٨/٣.

(١١) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٣٩٨/٣.

(١٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٧١/٣.

(١٣) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٣٩٨/٣. دون سند.

(١٤) حكاه عنه القرطبي في التفسير: ١٣/ ٣٢٣.

(١٥) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٣٧٤/٣.

الخامس: نزلت من أولها إلى رأس العشر بالمدينة، وباقيها بمكة. وهذا مروي عن ابن عباس(٢)، وقتادة(٣)، والشعبي(٤)، وحكاه ابن الجوزي(٥).

السادس: أنها نزلت بين مكة والمدينة في طريقه حين هاجر- صلى الله عليه وسلم-. وهذا مروي عن علي بن ابي طالب(٦)، وحكاه مقاتل(٧).

قال السمعاني:" وعن علي أنه قال: نزلت بين مكة والمدينة. وهذه رواية غريبة"(٨).

قال الفيروزآبادي: " السورة مكية إجماعا"(٩).

قال ابن عاشور:" هي مكية كلها في قول الجمهور"(١٠).

- **مناسبة سورة«العنكبوت» مع سورة «القصص»:**

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من النواحي الآتية:

١- إنه ذكر فى السورة السالفة استعلاء فرعون وجبروته، وجعله أهلها شيعا، وافتتح هذه السورة بذكر المؤمنين الذين فتنهم المشركون، وعذبوهم على الإيمان، دون ما عذب به فرعون بنى إسرائيل تسلية لهم بما وقع لمن قبلهم، وحثا لهم على الصبر، كما قال: {وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِم} [العنكبوت : ٣].

٢- ذكر فى السورة السابقة نجاة موسى من فرعون وهربه منه ثم عوده إلى مصر رسولا نبيا، ثم ظفره من بعد بغرق فرعون وقومه ونصره عليهم نصرا مؤزرا، وذكر هنا نجاة نوح عليه السلام وأصحاب السفينة وإغراق من كذبه من قومه.

٣- نعى هناك على عبدة الأصنام والأوثان، وذكر أنه يفضحهم يوم القيامة على رءوس الأشهاد- وهنا نعى عليهم أيضا وبين أنهم فى ضعفهم كضعف بيت العنكبوت.

٤- هناك قص قصص قارون وفرعون، وهنا ذكرهما أيضا، وبين عاقبة أعمالهما.

٥- ذكر هناك فى الخاتمة الإشارة إلى هجرة النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله: {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَاد} [القصص : ٨٥]، وفى خاتمة هذه أشار إلى هجرة المؤمنين بقوله: {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ } [العنكبوت : ٥٦](١١).

- **أغراض السورة ومقاصدها**

مقاصد سورة العنكبوت على الجملة هي: الحث على الاجتهاد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والدعاء إلى الله تعالى وحده، من غير تعريج على غيره سبحانه أصلاً؛ لئلا يكون مثل المعرِّج، مثل العنكبوت؛ فإن ذلك مَثَلُ كل من عرجَّ عنه سبحانه، وتعوَّض عوضاً منه، فهي سورة ضعف الكافرين، وقوة المؤمنين، وقد ظهر سر تسميتها بالعنكبوت.

---

(١) انظر: الناس والمنسوخ: ١٤١.
(٢) حكاه عنه القرطبي في التفسير: ١٣/ ٣٢٣.
(٣) انظر: الطبري: ٢٠/ ١٤.
(٤) انظر: تفسير السمعاني: ١٦٥/٤.
(٥) انظر: زاد المسير: ٣/ ٣٩٨.
(٦) انظر: تفسير السمعاني: ٤/ ١٦٥، وتفسير القرطبي: ١٣/ ٣٢٣، والتحرير والتنوير: ٢٠/ ٢٠٠.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٧١/٣.
(٨) تفسير السمعاني: ٤/ ١٦٥.
(٩) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٥٩.
(١٠) التحرير والتنوير: ٢٠/ ١٩٩.
(١١) انظر: تفسير المراغي: ٢٠/ ١٠٩.

والمحور الرئيس الذي تدور حوله السورة هو محور الإيمان وسياق السورة يمضي حول ذلك المحور ليقرر ثلاثة مقاصد:

الأول: حقيقة الإيمان، وسنة الابتلاء والفتنة، ومصير المؤمنين والمنافقين والكافرين، ثم فردية التبعة، فلا يحمل أحد عن أحد شيئاً يوم القيامة.

الثاني: عرض قصص الأنبياء السابقين، وما تصوره من فتن وعقبات في طريق الدعوات والدعاة، والتهوين من شأنها في النهاية حين تقاس إلى قوة الله. وبيان أن الحق الكامن في دعوة الرسل، هو ذاته الحق الكامن في خلق السماوات والأرض. وكله من عند الله.

الثالث: النهي عن مجادلة أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن، إلا الذين ظلموا منهم. وبيان وحدة الدين كله، واتحاده مع دين الإسلام آخر الأديان، الذي يجحد به الكافرون، ويجادل فيه المشركون. وختم السورة بالتثبيت والبشرى والطمأنينة للمجاهدين في الله المهديين إلى سبله.

أما مقاصد السورة على وجه التفصيل، فهي تسير وفق التالي:

١- تثبيت المسلمين الذين فتنهم المشركون، وصدوهم عن الإسلام، أو عن الهجرة مع من هاجروا.

٢- من الفتن التي ذُكرت في هذه السورة فتنة طول مكث الأعداء وتسلطهم على المؤمنين؛ فربما ينظر الإنسان إلى طول مكث أعداء الله في الأرض، إلى طول مكثهم يتمتعون بالقوة، إلى طول مكثهم وهم الذين يسيطرون مقاليد الأمور، ويسيرونها وفق الوجهة التي تخدم مصالحهم وأغراضهم، فربما يحمله ذلك على أن تُزين له الدنيا، وأن يصد عن سبيل الله، وقد يفتتن بطول مكث الأعداء، فهذه السورة نبهت المؤمن الصادق إلى أن القصد من الفتن تمييز المؤمن الصادق من غير الصادق،{وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ} [العنكبوت : ١١]، {فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِين} [العنكبوت : ٣].

٣- وعد الله بنصر المؤمنين، وخذل أهل الشرك وأنصارهم من أهل الكتاب.

٤- الأمر بمجافاة المشركين ومفاصلتهم، والابتعاد منهم، ولو كانوا أولي قربى.

٥- وجوب صبر المؤمنين على أذى المشركين، وأن لهم في سعة الأرض ما ينجيهم من أذى أهل الشرك.

٦- مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن ما عدا الظالمين منهم للمسلمين.

٧- أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالثبات على إبلاغ القرآن وشرائع الإسلام.

٨- التأسي في ذلك بأحوال الأمم التي جاءتها الرسل، وأن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم لم يكن بدعاً من الرسل، بل جاء بمثل ما جاؤوا به.

٩- الاستدلال على أن القرآن الكريم منزل من عند الله؛ بدليل أمية من أنزل عليه صلى الله عليه وسلم. وتذكير المشركين بنعم الله عليهم؛ ليقلعوا عن عبادة ما سواه.

١٠- إلزام المشركين بإثبات وحدانيته بأنهم يعترفون بأنه خالق من في السماوات ومن في الأرض.

١١- الاستدلال على البعث بالنظر في بدء الخلق، وهو أعجب من إعادته.

١٢- إثبات الجزاء على الأعمال، وأن كل نفس توفى بما كسبت، ولا يظلم ربك أحداً.

١٣- توعد المشركين بالعذاب الذي يأتيهم بغتة، وهم يتهكمون باستعجاله.

١٤- ضرب المثل لاتخاذ المشركين أولياء من دون الله بمثل، وهو بيت العنكبوت؛ ففي هذا المثل إشارة إلى أن من اعتمد على قوة الأصنام وحفظها عن العذاب كالعنكبوت، اعتمدت على قوة بيتها الذي لا يحتمل مس أدنى الحشرات والرياح، وحفظها عن الحر والبرد. وهذا أتم في الدعوة إلى التوحيد الذي هو أعظم مقاصد القرآن(١).

---

(١) موقع: [إسلام ويب].

الناسخ والمنسوخ:

فيها من المنسوخ آيتان:

- الآية الأولى: قوله تعالى:{وَلا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [العنكبوت: ٤٦]، اختلفوا فيها على قولين:

أحدهما: أنها نسخت بقوله: {قاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} إلى قوله: {وَهُمْ صاغِرُونَ} [التوبة: ٢٩] قاله قتادة[١]، وابن السائب[٢].

عن قتادة، وَلا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ ثم نسخ بقوله: قاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ [التوبة: ٢٩] فلا مجادلة أشد من السيف"[٣].

القول الثاني: أنها ثابتة الحكم: وهو مذهب جماعة منهم ابن زيد[٤].

عن مجاهد وَلا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ قال: من أدّى منهم الجزية فلا تقل له إلا حسنا"[٥].

- الآية الثانية: قوله تعالى: {وَإِنَّما أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ} [العنكبوت: ٥٠]، قال هبة الله:" فنسخ الله تعالى معنى الانذار بآية السيف"[٦].

قال ابن الجوزي:" زعم بعضهم أنه منسوخ بآية السيف، وهذا لو كان في قوله وما أنا إلا نذير احتمل، فأما هاهنا فلا، لأن هذه الآية أثبتت أنه نذير، ويؤيد إحكامها أنها خبر"[٧].

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة العنكبوت كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين»[٨].

---

(١) انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي: ١٨٠.
(٢) انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي: ١٨٠.
(٣) أخرجه ابن الجوزي في "نواسخ القرآن": ١٨٠، أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٦٨/ ١٧٣٥٥) من طريق: عبد الرزاق، ثنا معمر، عن قتادة به. والنحاس (ص ٢٠٤) من طريق أخرى عن قتادة.
(٤) انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي: ١٨٠، وتفسير ابن أبي حاتم: (٩/ ٣٠٦٨/ ١٧٣٥٦).
(٥) أخرجه ابن الجوزي في "نواسخ القرآن": ١٨٠-١٨١.
(٦) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١٤٠.
(٧) نواسخ القرآن: ١٨١.
(٨) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ٢٦٩/٧، والواحدي في التفسير الوسيط(٧٠٧):ص٤١٢/٣. وقد مرّ الكلام على هذا الحديث وأنه حديث موضوع لا يثبت.

سورة «الروم»

سورة «الروم»: هي السورة «الثلاثون» في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة «الانشقاق»[(١)]. عدد آياتها: خمس وستون عند المكيين، وستون عند الباقين، وكلماتها: ثمانمائة وسبع، وحروفها: ثلاثة آلاف وخمسمائة وثلاثون[(٢)].

والآيات المختلف فيها أربع: {الم (١)}، [الروم : ١] {غُلِبَتِ الرُّومُ} [الروم : ٢]، {فِي بِضْعِ سِنِينَ } [الروم : ٤]،{يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ} [الروم : ٥٥]، فواصل آياتها: «نمر»، على «الراء» آيتان: {قَدِيرٌ}[(٣)] في موضعين[(٤)].

- **أسماء السورة:**
- **اسمها التوقيفي: «سورة الروم»:**

اشتهرت تسميتها باسم «سورة الروم»، وكتبت في المصاحف وكتب التفسير، وسميت سورة الروم لما فيها من ذكر غلبة الروم[(٥)].

قال المهايمي:" سميت بها لاشتمال قصتها على معجزة تفيد للمؤمنين فرحا عظيما، بعد ترح يسير. فتبطل شماتة أعدائهم. وتدل على أن عاقبة الأمر لهم. وهذا من أعظم مقاصد القرآن"[(٦)].

ولا يعرف لهذه السورة اسم غيره، وورد في «جمال القراء»:"{الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢)} [الروم : ١ - ٢]، وتسمى سورة الروم"[(٧)].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة قولان:

أحدهما: أنها مكية جميعا. قاله ابن عباس[(٨)]، وابن الزبير[(٩)]. وهو قول الجمهور[(١٠)].

قال ابن الجوزي:" هي مكية كلها بإجماعهم"[(١١)].

قال الفيروزآبادي: " السورة مكية إجماعا"[(١٢)].

قال ابن عطية:" هذه السورة مكية. ولا خلاف أحفظه في ذلك"[(١٣)].

قال القرطبي:" سورة الروم مكية كلها من غير خلاف"[(١٤)].

الثاني: أنها مكية إلا آية واحدة، وهي قوله: {فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ} [الروم : ١٧]. وهذا قول الحسن[(١٥)]، وبه قال الزمخشري[(١٦)]، والفخر الرازي[(١)]، والبيضاوي[(٢)]، وابن جزي[(٣)]، وأبو السعود[(٤)].

---

(١) انظر: الكشاف:٤٦٦/٣.
(٢)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٦٥.
(٣) الآيتان:[الروم : ٥٠، ٥٤].
(٤) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.
(٥)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٦٥.
(٦) تفسير المهايمي:١٣٥/٣.
(٧) جمال القراء للسخاوي: ٩١.
(٨) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦/ ٤٧٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.
(٩) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦/ ٤٧٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(١٠) انظر: زاد المسير: ٣/ ٤١٥، والمحرر الوجيز: ٤/ ٣٢٧، وتفسير القرطبي: ١/١٤، وغيرها.
(١١) زاد المسير: ٣/ ٤١٥.
(١٢) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٦٥.
(١٣) المحرر الوجيز: ٤/ ٣٢٧.
(١٤) تفسير القرطبي: ١/١٤.
(١٥) ذكره عبدالقاهر الجرجاني في درج الدرر: ٢/ ٤٣٥.
(١٦) انظر: الكشاف: ٣/ ٤٦٦.

قال شهاب الدين:" الاستثناء مبنيّ على قول الحسن وهو خلاف مذهب الجمهور والتفسير المرضي"(٥).

▪ **مناسبة سورة«الروم» مع سورة «العنكبوت»:**

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من النواحي الآتية:

١- إن السورة السابقة بدئت بالجهاد وختمت به، فافتتحت بأن الناس لم يخلقوا فى الأرض ليناموا على مهاد الراحة، بل خلقوا ليجاهدوا حتى يلاقوا ربهم، وأنهم يلاقون شتى المصاعب من الأهل والأمم التي يكونون فيها، وهذه السورة قد بدئت بما يتضمن نصرة المؤمنين ودفع شماتة أعدائهم المشركين، وهم يجاهدون فى الله ولوجهه فكأن هذه متممة لما قبلها من هذه الجهة.

٢- إن ما فى هذه السورة من الحجج على التوحيد والنظر فى الآفاق والأنفس مفصل لما جاء منه مجملا فى السورة السالفة، إذ قال فى السالفة: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [العنكبوت : ٢٠]، وهنا بين ذلك، فقال: {أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [الروم : ٩]، وقال:{اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [الروم : ١١](٦).

▪ **أغراض السورة ومقاصدها**

إن المقصد الرئيس لهذه السورة هو الكشف عن الارتباطات الوثيقة بين أحوال الناس، وأحداث الحياة، وماضي البشرية وحاضرها ومستقبلها، وسنن الكون ونواميس الوجود، وبيان أن كل حركة، وكل حادث، وكل حالة، وكل نشأة، وكل عاقبة، وكل نصر، وكل هزيمة...كلها مرتبطة برباط وثيق، محكومة بقانون دقيق، وأن مرد الأمر فيها كله لله:{لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ} [الروم : ٤]، وهذه هي الحقيقة الأولى التي يؤكدها القرآن كله، بوصفها الحقيقة الموجهة في هذه العقيدة، الحقيقة التي تنشأ عنها جميع التصورات والمشاعر والقيم والتقديرات، والتي بدونها لا يستقيم تصور ولا تقدير.

وإلى جانب هذا المقصد الرئيس فقد تضمنت السورة جملة من المقاصد، نذكرها على النحو التالي:

١- قمع المشركين من أهل مكة، الذين كانوا يودون انتصار الفرس على الروم؛ وذلك أن الفرس كانوا غير موحدين؛ إذ كانت ديانتهم المجوسية، في حين كان الروم في ذلك الوقت أهل كتاب، وكان دينهم النصرانية، فوجد المشركون من أهل مكة في الحادث فرصة لاستعلاء عقيدة الشرك على عقيدة التوحيد، وفألاً بانتصار ملة الكفر على ملة الإيمان؛ ومن ثم نزلت الآيات الأوَل من هذه السورة تبشر بغلبة أهل الكتاب من الروم في بضع سنين غلبة يفرح لها المؤمنون، الذين يودون انتصار ملة الإيمان والتوحيد على ملل الشرك والكفر.

٢- تجهيل المشركين بأنهم لا تغوص أفهامهم في الاعتبار بالأحداث، ولا يتفكرون في أسباب نهوض الأمم وانحدارها، ولا يتعظون بهلاك الأمم السالفة المماثلة لهم في الإشراك بالله.

٣- النعي على المشركين إهمالهم النظر في الحياة الآخرة الباقية، وأن علمهم محصور في الحياة الدنيا الزائلة.

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب: ٢٥/ ٧٩.
(٢) انظر: تفسير البيضاوي: ٤/ ٢٠١.
(٣) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٢/ ١٣٠.
(٤) انظر: تفسير أبي السعود: ٧/ ٤٩.
(٥)حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، المُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي: ٧/ ١٠٩-١١٠.
(٦) انظر: تفسير المراغي:٢٦/٢١.

٤- الاستدلال على وحدانيته سبحانه بالآيات الكونية، والمخلوقات الربانية، والربط بين سنة الله في نصر المؤمنين بالدين الحق، والحق الكبير الذي قامت عليه السماوات والأرض وما بينهما.
٥- بيان عالمية دعوة الإسلام وارتباطها بأوضاع العالم كله من حولها، واتساع مجالها، فهي ليست مرتبطة بهذه الأرض وحدها، إنما هي مرتبطة كذلك بفطرة هذا الكون ونواميسه الكبرى، وفطرة النفس البشرية وأطوارها، وماضي هذه البشرية ومستقبلها، لا على هذه الأرض وحدها، ولكن أيضاً في عالم الآخرة الوثيق الصلة بها والارتباط.
٦- الحث على التمسك بدين الإسلام؛ باعتباره الدين القويم، الذي لا يقبل سبحانه من عباده ديناً غيره؛ لأنه دين فطر الله الناس عليه، ومن ابتغى غيره ديناً، فقد حاول تبديل ما خلق الله، وأنى له ذلك؛ إذ لا تبديل لخلق الله.
٧- ضرب الله سبحانه في هذه السورة أمثالاً لإحياء مختلف الأموات بعد زوال الحياة عنها، ولإحياء الأمم بعد يأس الناس منها، وأمثالاً لحدوث القوة بعد الضعف، والضعف بعد القوة؛ كل ذلك لبيان قدرته سبحانه، وأنه سبحانه هو القادر على شيء، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.
٨- الكشف عما في طبيعة الناس من تقلب لا يصلح أن تقام عليه الحياة، ما لم يرتبطوا بمعيار ثابت لا يدور مع الأهواء، وتصوير حالهم في الرحمة والضر، وعند بسط الرزق وقبضه، إضافة إلى بيان وسائل إنفاق هذا الرزق وتنميته.
٩- الربط بين ظهور الفساد في البر والبحر، وعمل الناس وكسبهم، وتوجههم إلى السير في الأرض، والنظر في عواقب المشركين من قبل.
١٠- إثبات البعث يوم القيامة، وأنه حق لا ريب فيه، ولا ينكره إلا جاحد بيوم الدين، أو جاهل بهذا الدين.
١١- توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الصبر على دعوته، وما يلقاه من الناس فيها، والاطمئنان إلى أن وعد الله حق لا بد أنه آتٍ، فلا يقلقه، ولا يستخفه الذين لا يوقنون. وهو توجيه غير مباشر لحَمَلَة هذا الدين في كل زمان ومكان"[١].

الناسخ والمنسوخ:

السورة جميعها محكم غير آية واحدة، وهي قوله تعالى: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} [الروم: ٦٠]، زعم السدي: "أنها نسخت بآية السيف"[٢].

قال ابن الجوزي:" وهذا إنما يصح له أن لو كان الأمر بالصبر عن قتالهم فأما إذا احتمل أن يكون صبرا على ما أمر به أو عما نهى عنه لم يتصور نسخ"[٣].

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه: «من قرأ سورة الروم كان له من الأجر، عشر حسنات بعدد كل ملك سبح لله بين السماء والأرض وأدرك ما ضيع في يومه وليلته»[٤].

---

(١) موقع: [إسلام ويب].
(٢) نواسخ القرآن لابن الجوزي: ١٨١.
(٣) نواسخ القرآن لابن: ١٨١.
(٤) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان:٢٩١/٧، والواحدي في الوسيط(٧١٧):ص٣/ ٤٢٧، وذكره الطبرسي في تفسير مجمع البيان: ٧/ ٤٢. سبق أن ذكرنا أن هذا حديث موضوع غير ثابت.

سورة «لقمان»

سورة «لقمان»: هي السورة «الواحدة والثلاثون» في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة «الصافات»[(١)]. عدد آياتها ثلاث وثلاثون عند الحجازيين، وأربع عند الباقين. وكلماتها خمسمائة وثمان وأربعون. وحروفها ألفان ومائة وعشر[(٢)].

المختلف فيها آيتان: {الم (١)} [لقمان : ١]، {مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّين} [لقمان : ٣٢]، فواصل آياتها «ظن مرد» و«مد نظر»، على الدال منها آية واحدة: {غَنِيٌّ حَمِيدٌ} [لقمان : ١٢]، وعلى الظاء آية:{عَذَابٍ غَلِيظٍ} [لقمان : ٢٤][(٣)].

- **أسماء السورة:**
- **اسمها التوقيفي: «سورة لقمان»:**

اشتهرت تسميتها باسم «سورة لقمان»، وكتبت في المصاحف وكتب التفسير، و سميت سورة لقمان لاشتمالها على قصته[(٤)].

قال المهايمي:" سميت به لاشتمالها على قصته التي تضمنت فضيلة الحكمة وسر معرفة الله تعالى وصفاته، وذم الشرك والأمر بالاخلاق والأفعال الحميدة"[(٥)].

ولا يعرف لهذه السورة اسم غيره.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة أقوال:

أحدها: أنها مكية جميعا. قاله ابن عباس[(٦)]، ومقاتل[(٧)]، ويحيى بن سلام[(٨)]، والزجاج[(٩)]، والثعلبي[(١٠)]، والواحدي[(١١)]، وغيرهم.

قال ابن الجوزي:" هي مكية في قول الأكثرين"[(١٢)].

الثاني: أنها مكية إلا آية نزلت بالمدينة، وهي قوله تعالى:{الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ} [لقمان : ٤]، لأن الصلاة والزكاة مدنيتان. وهذا قول الحسن[(١٣)].

الثالث: أن السورة مكية، سوى آيتين: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ} [لقمان : ٢٧] إلى آخر الآيتين. وهذا قول عطاء[(١٤)].

الرابع: أنها مكية إلا الآيات:[٢٧ و ٢٨ و ٢٩][(١٥)] فمدنية. قاله ابن عباس –في رواية أخرى-[(١)]، وبه قال الزمخشري[(٢)].

---

(١) انظر: الكشاف:٤٨٩/٣.
(٢)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٧٠.
(٣) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.
(٤)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٧٠.
(٥) تفسير المهايمي: ١٤٣/٢.
(٦) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦/ ٥٠٣، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.
(٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣١/٣.
(٨) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٦٦٩/٢.
(٩) انظر: معاني القرآن: ١٩٣/٤.
(١٠) انظر: الكشف والبيان: ٣٠٩/٧.
(١١)انظر: التفسير الوسيط: ٤٤٠/٣ .
(١٢) زاد المسير: ٣/ ٤٢٩.
(١٣) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٤٢٩/٣. بدون سند.
(١٤) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٤٢٩/٣. بدون سند.
(١٥) وهي الآيات:{وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ

▪ **مناسبة السورة لما قبلها:**

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من النواحي الآتية:

١- إنه تعالى قال في السورة السالفة: {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ} [الروم : ٥٨]، وأشار إلى ذلك في مفتتح هذه السورة.

٢- إنه قال في آخر ما قبلها: {وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُون} [الروم : ٥٨]، وقال في هذه: {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا} [لقمان : ٧].

٣- إنه قال في السورة السابقة:{وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} [الروم : ٢٧]، وقال هنا: «{مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ} [لقمان : ٢٨]، ففى كلتيهما إفادة سهولة البعث.

٤- إنه ذكر هناك قوله: {وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ} [الروم : ٣٣] ، وقال هنا: {وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ} [لقمان : ٣٢]، فذكر في كل من الآيتين قسما لم يذكره فى الآخر(٣).

▪ **أغراض السورة ومقاصدها**

تضمنت سورة لقمان عدداً من المقاصد، نذكر منها التالي:

١- إثبات الحكمة للقرآن الكريم، اللازم منه حكمة منزِّله سبحانه في أقواله وأفعاله. وقصة لقمان عليه السلام، المسمى بها السورة، دليل واضح على ذلك.

٢- صُدِّرت السورة بالتنويه بهدي القرآن؛ ليعلم الناس أنه لا يشتمل إلا على ما فيه هدى وإرشاد للخير، فلا التفات فيه إلى أخبار الجبابرة وأهل الضلال إلا في مقام التحذير مما هم فيه ومن عواقبه، فكان صدر هذه السورة تمهيداً لقصة لقمان.

٣- تسفيه من يتخذ آيات الله هزواً، ويتبع كل ما كان ملهياً عن دين الله وطاعته.

٤- بيان قدرة الله في الخلق والإبداع، والإيجاد والإمداد.

٥- التنويه بذكر لقمان بأن آتاه الله الحكمة، وأمره بشكر النعمة. وذكر وصاياه وما اشتملت عليه: من التحذير من الإشراك، والأمر ببر الوالدين، ومراقبة الله؛ لأنه عليم بخفيات الأمور، وإقامة الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر، والتحذير من الكبر والعجب، والأمر بالاتسام بسمات المتواضعين في المشي والكلام.

٦- عالجت السورة قضية العقيدة في نفوس المشركين الذين انحرفوا عن تلك الحقيقة، حقيقة توحيد الخالق وعبادته وحده، وشكر آلائه، واليقين بالآخرة وما فيها من حساب دقيق وجزاء عادل، واتباع ما أنزل الله والتخلي عما عداه من مألوفات ومعتقدات.

٧- ذكرت المشركين بدلائل وحدانية الله تعالى وبنعمه عليهم، وكيف أعرضوا عن هديه، وتمسكوا بما ألفوا عليه آباءهم.

٨- بينت السورة مزية دين الإسلام، وأنه هو الدين الحق، من تمسك به فقد رشد وفاز، ومن أعرض عنه فقد ضل ضلالاً بعيداً، وخسر خسراناً مبيناً.

حَكِيمٌ (٢٧) مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٢٨) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٩)} [لقمان : ٢٧ - ٢٩].

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦/ ٥٠٣، وعزاه إلى النحاس في تاريخه.

(٢) انظر: الكشاف: ٤٨٩/٣.

(٣) انظر: تفسير المراغي:٢٦/٢١.

٩- تضمنت السورة تسلية للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بتمسك المسلمين بالعروة الوثقى، وأنه لا يحزنه كفر من كفروا.
١٠- الرد على المعارضين للقرآن في قوله سبحانه:{وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [لقمان : ٢٧]، وبيان امتداد علم الله سبحانه بلا نهاية، وانطلاق مشيئته في الخلق والإنشاء بلا حدود، وجَعْلُ هذا دليلاً كونيًّا على البعث والإعادة وعلى الخلق والإنشاء.
١١- بينت السورة أن قضية الجزاء في الآخرة مرتبطة بقضية الإيمان والكفر.
١٢- بيان طبيعة النفس الإنسانية؛ وأنه إذا داهمها الخطر لجأت إليه سبحانه؛ ثم إذا كشف الخطر عنها فمن تلك النفوس من يبقى مستمسكاً بما عاهد الله عليه، ومنهم من يرتد على عقيبه، ويجحد نعمة الله عليه.
١٣- بيان أهمية التقوى في حياة الإنسان، وأن الإنسان لا ينفعه يوم الحساب إلا ما قدمه من عمل صالح، ولا يغني عنه يوم الحساب عمل الآخرين، ولو كانوا أقرب الناس إليه.
١٤- خُتمت السورة بالتحذير من دعوة الشيطان، والتنبيه إلى بطلان ادعاء الكهان علم الغيب، وأن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى"(١).

الناسخ والمنسوخ:

- قوله تعالى: {وَمَنْ كَفَرَ فَلا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ} [لقمان: ٢٣].

قال ابن الجوزي:" ذهب بعض المفسرين إلى أن هذا منسوخ بآية السيف، وقال بعضهم: نسخ معناها لا لفظها بآية السيف، وهذا ليس بشيء؛ لأنها إنما تضمنت التسلية له عن الحزن، وذلك لا ينافي القتال"(٢).

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن ابن عمر-رضي الله عنهما، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " مفاتيح الغيب خمس، ثم قرأ: {إن الله عنده علم الساعة} [لقمان: ٣٤] "(٣).
- عن البراء بن عازب، قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بنا الظهر، فنسمع منه الآية بعد الآيات، من سورة لقمان، والذاريات"(٤).
- عن أبي بن كعب، قال: قال لي رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة لقمان كان له لقمان شفيعا يوم القيامة، وأعطي من الحسنات عشرا، بعدد من عمل بالمعروف وعمل بالمنكر»(٥).
- وعن الزهري -رضي الله تعالى عنه-:" أكثروا قر اءة سورة لقمان فإن فيها أعاجيب والله أعلم"(٦).

---

(١) موقع: [إسلام ويب].
(٢) انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي: ١٨١.
(٣) صحيح البخاري(٤٧٧٨):ص١١٥/٦.
(٤) سنن ابن ماجة(٨٣٠):ص٢٧١/١، وسنن النسائي(٩٧١):ص١٦٣/٢. [حكم الألباني: ضعيف].
(٥) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ٣٠٩/٧، والواحدي في التفسير الوسيط: ٤٤٠/٣. وقد مرّ أنه حديث موضوع.
(٦) حكاه عنه النسفي في التفسير: ٧٢٣/٢.

سورة «السجدة»

سورة «السجدة»: هي السورة «الثانية والثلاثون» في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة «المؤمنون»[١]. عدد آياتها تسع وعشرون عند البصريين، وثلاثون عند الباقين. كلماتها ثلاثمائة وثلاثون. وحروفها ألف وخمسمائة وتسع وتسعون[٢].

المختلف فيها آيتان :{الم (١)} [السجدة : ١]، {خَلْقٍ جَدِيدٍ} [السجدة : ١٠]، فواصل آياتها: «ملن» على الميم اثنان: {الم (١)} [السجدة : ١]، و{الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} [السجدة : ٦]، وعلى اللام آية:{هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ} [السجدة : ٢٣][٣].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- أسماؤها التوقيفية:**
- **الاسم الأول: «سورة السجدة»:**

اشتهرت تسميتها باسم «سورة السجدة»، لاشتمالها على سجدة التلاوة[٤].

قال ابن عاشور:" أشهر أسماء هذه السورة هو سورة السجدة، وهو أخصر أسمائها، وهو المكتوب في السطر المجعول لاسم السورة من المصاحف المتداولة، وبهذا الاسم ترجم لها الترمذي في «جامعه» وذلك بإضافة كلمة سورة إلى كلمة السجدة. ولا بد من تقدير كلمة الم محذوفة للاختصار إذ لا يكفي مجرد إضافة سورة إلى السجدة في تعريف هذه السورة، فإنه لا تكون سجدة من سجود القرآن إلا في سورة من السور"[٥].

- **الاسم الثاني: «سورة آلم تنزيل»، «آلم تنزيل السجدة»:**

سميت بسورة«آلم تنزيل» في عهد النبي-صلى الله عليه وسلم-:

- عن جابر بن عبدالله:"أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان لا ينام حتى يقرأ«آلم تنزيل»، و«تبارك الذي بيده الملك»[٦].
- عن أبي هريرة، ان النبي صلى الله عليه وسلم:"كان يقرأ في الصبح يوم الجمعة، بـ«آلم تنزيل» في الركعة الاولى، وفي الثانية:{هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا}[٧]"[٨].

كما سميت «آلم تنزيل السجدة» في بعض الاحاديث:

- عن ابن عباس، أن رسولَ الله - صلَّى الله عليه وسلم - كان يقرأ في صَلاة الفجرِ يومَ الجمعة: {الم (١) تَنْزِيلُ} السجدة, و {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ}"[٩].

- **ثانيا:- أسماؤها الإجتهادية:**

١- سورة المضاجع

(١) انظر: الكشاف: ٥٠٦/٣.
(٢)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٧٣.
(٣) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.
(٤)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٧٣.
(٥) التحرير والتنوير: ٢٠١/٢١.
(٦) أخرجه الترمذي في جامعه(٢٨٩٧):ص١٦٥/٥.
(٧)[الإنسان : ١].
(٨) صحيح مسلم(٨٨٠):ص٥٩٩/٢.
(٩)أخرجه مسلم (٨٧٩)، وابن ماجه (٨٢١)، وابو داود(١٠٧٤):ص٣٠١/٢-٣٠٢. –واللفظ له- والترمذي (٥٢٧).
زاد مسلم في روايته: وأن النبي - صلَّى الله عليه وسلم - كان يقرأ في صلاة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين.
وهو في "مسند أحمد" (١٩٩٣)، و"صحيح ابن حبان" (١٨٢٠) و (١٨٢١).

وسميت بذلك لوقوع لفظ«المضاجع» فيها في قوله تعالى:{تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} [السجدة : ١٦]، وقد وردت هذه الكلمة في سورة النساء، في قوله تعالى:{ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ} [النساء : ٣٤]، وفي سورة آل عمران: {قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ} [آل عمران : ١٥٤].

٢- سورة سجدة لقمان

ذكر الطبرسي أنها تسمى أيضاً سورة «سجدة لقمان» لوقوعها بعد سورة لقمان؛ لئلا تلتبس بسورة «حم السجدة»[١]، أي: كما سموا سورة «حم السجدة» وهي سورة فصلت «سورة سجدة المؤمن» لوقوعها بعد سورة المؤمن[٢].

٣- سورة المنجية:

سماها خالد بن معدان : المنجية[٣]. وهو حديث مرسل منه، إذ لم يرفعه إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فلا يكون بمستند صحيح في تسمية السورة.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة أقوال:

أحدها: أنها مكية جميعا. قاله ابن عباس[٤]، وابن الزبير[٥]، ويحيى بن سلام[٦].

قال ابن الجوزي:" هي مكية بإجماعهم"[٧].

الثاني: أنها مكية إلا آية واحدة نزلت بالمدينة في الأنصار وهي قوله تعالى:{تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} [السجدة : ١٦]. قاله مقاتل[٨].

الثالث: أنها نزلت بمكة سوى ثلاث آيات: {أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ} [السجدة : ١٨]، إلى تمام الآيات الثلاث. ةهذا مروي عن ابن عباس أيضا[٩]، والكلبي[١٠].

الرابع: أنها مكية إلا من آية (١٦) إلى غاية آية (٢٠)[١١] فمدنية. قاله صاحب الكشاف[١٢]، وحكاه ابن الجوزي[١٣]، والقرطبي[١٤].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من النواحي الآتية:

---

(١) انظر: مجمع البيان: ٧١/٥.
(٢) انظر: مجمع البيان: ٧١/٥.
(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٣٥/٦، وعزاه إلى الدارمي. وسوف يأتي الخبر في فضائل السورة.
(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦/ ٥٣٤، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.
(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦/ ٥٣٤، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٦) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٦٨٤/٢.
(٧) زاد المسير: ٤٣٧/٣.
(٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٤٧/٣.
(٩) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦/ ٥٣٤، وعزاه إلى النحاس.
(١٠) انظر: زاد المسير: ٤٣٧/٣.
(١١) أي:{تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧) أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ (١٨) أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٩) وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٠)} [السجدة : ١٦ - ٢٠].
(١٢) انظر: الكشاف: ٥٠٦/٣.
(١٣) انظر: زاد المسير: ٤٣٧/٣.
(١٤) انظر: تفسير القرطبي: ٨٤/١٤.

١- اشتمال كل منهما على دلائل الألوهية.
٢- إنه ذكر في السورة السالفة دلائل التوحيد، وهو الأصل الأول، ثم ذكر المعاد، وهو الأصل الثاني، وهنا ذكر الأصل الثالث، وهو النبوة.
٣- إن هذه السورة شرحت مفاتح الغيب التي ذكرت فى خاتمة ما قبلها، فقوله: {ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ} [السجدة : ٥]، شرح لقوله:{إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} [لقمان : ٣٤]، وقوله: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ} [السجدة : ٢٧]، شرح لقوله: {وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ} [لقمان : ٣٤]، وقوله: {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَه} [السجدة : ٧]، تفصيل لقوله: {وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ} [لقمان : ٣٤]، وقوله: {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ} [السجدة : ٥]، إيضاح لقوله: {وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا} [لقمان : ٣٤]، وقوله:{أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ} [السجدة : ١٠]، شرح لقوله: {وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ} [لقمان : ٣٤][(١)].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

فالسورة أساساً تدور حول مقاصد أربعة:
أ- مقصد الوحي وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم.
ب- مقصد الألوهية وصفتها.
ت- مقصد البعث والمصير.
ث- مقصد يوم القيامة يُعرض فيه مشهد المؤمنين والمشركين.

وفيما يأتي بعض تفصيل لهذه المقاصد التي اشتملت عليها هذه السورة:
١- التنويه بشأن القرآن؛ لأنه جامع الهدى الذي تضمنته هذه السورة وغيرها؛ ولأن جماع ضلال الضالين هو التكذيب بهذا الكتاب، فالله جعل القرآن هدى للناس، وخص العرب أن شرَّفهم بجعلهم أول من يتلقى هذا الكتاب، وبأن أنزله بلغتهم، فكان منهم أشد المكذبين بما جاء به، لا جرم أن تكذيب أولئك المكذبين أعرق في الضلالة، وأوغل في فساد الرأي.
٢- الاستدلال على إبطال إلهية أصنام المشركين بإثبات انفراد الله بأنه خالق السماوات والأرض، ومدبر أمورهما.
٣- ذِكْر البعث والاستدلال على كيفية بدء خلق الإنسان ونسله، والتمثيل لذلك بإحياء الأرض، مع بيان أن إحياء الأرض كان نعمة على المشركين، غير أنهم لم يقدروا تلك النعمة، وكفروا بالمنعم.
٤- الثناء على المصدقين بآيات الله ووعدهم بالجزاء الحسن، والإنكار على الذين جحدوا بآيات الله ولقائه، ووعيدهم بالعقاب الأليم، والعذاب المقيم.
٥- التذكير بما حلَّ بالمكذبين السابقين؛ ليكون ذلك عظة للحاضرين، وتهديدهم بالنصر الحاصل للمؤمنين.
٦- أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالإعراض عن المشركين بالله وآياته تحقيراً لهم، ووعده بانتظار نصره عليهم[(٢)].

الناسخ والمنسوخ:

- قوله تعالى: {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ} [السجدة: ٣٠].

روى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "نسختها آية السيف فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ [التوبة: ٥][(١)].

---

(١) انظر: تفسير المراغي:١٠٢/٢١.
(٢) موقع: [إسلام ويب].

عن قتادة قال: "كل شيء في القرآن: "فأعرض عنهم" و"انتظر": منسوخ، نسخته براءة والقتال"[٢].

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، " أنه كان يقرأ في الفجر، يوم الجمعة: {الم تَنْزِيلُ}، و{هَلْ أَتَى }"[٣].
- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من صلى أربع ركعات خلف العشاء الآخرة قرأ في الركعتين الأولتين {قل يا أيها الكافرون} و {قل هو الله أحد} وفي الركعتين الأخيرتين {تبارك الذي بيده الملك} {الم تنزيل} السجدة كتبت له كأربع ركعات من ليلة القدر"[٤].
- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ {تبارك الذي بيده الملك} و {الم تنزيل} السجدة بين المغرب والعشاء الآخرة فكأنما قام ليلة القدر"[٥].
- عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ في ليلة {الم تنزيل} السجدة و {يس} و {اقتربت الساعة} و {تبارك الذي بيده الملك} كن له نورا وحرزا من الشيطان ورفع في الدرجات إلى يوم القيامة"[٦].
- عن المسيب بن رافع رضي الله عنه:" أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: {الم تنزيل} تجيء لها جناحان يوم القيامة تظل صاحبها وتقول لا سبيل عليه لا سبيل عليه"[٧].
- عن خالد بن معدان رضي الله عنه، قال: "اقرأوا المنجية وهي {الم تنزيل} فانه بلغني أن رجلا كان يقرأوها وما هوى شيئا غيرها وكان كثير الخطايا فنشرت جناحها عليه وقالت: رب اغفر له فانه كان يكثر قراءتي فشفعها الرب فيه وقال اكتبوا له بكل خطيئة حسنة وارفعوا له درجة"[٨].
- عن خالد بن معدان رضي الله تعالى عنه قال: "ان {الم تنزيل} تجادل عن صاحبها في القبر تقول: اللهم ان كنت من كتابك فشفعني فيه وان لم أكن من كتابك فامحني منه وانها تكون كالطير تجعل جناحها عليه فتشفع له فتمنعه من عذاب القبر وفي {تبارك} مثله. فكان خالد رضي الله عنه لا يبيت حتى يقرأ بهما"[٩].
- عن كعب رضي الله عنه قال: "من قرأ في ليلة {الم تنزيل} السجدة {تبارك الذي بيده الملك} كتب له سبعون حسنة وحط عنه سبعون سيئة ورفع له سبعون درجة"[١٠].
- عن طاوس رضي الله عنه قال:" {الم تنزيل} و {تبارك الذي بيده الملك} تفضلان على كل سورة في القرآن بستين حسنة"[١١].

---

(١) انظر: نواسخ القرآن لان الجوزي: ١٨٢.
(٢) أخرجه ابن الجوزي في "نواسخ القرآن": ١٨٢.
(٣) صحيح مسلم(٨٨٠):ص٥٩٩/٢.
(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٣٤/٦-٥٣٥، وعزاه إلى ابن نصر والطبراني والبيهقي في سننه.
(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٣٥/٦، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٦) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٣٥/٦، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٧) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٣٥/٦، وعزاه إلى ابن الضريس.
(٨) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٣٥/٦، وعزاه إلى الدارمي.
(٩) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٣٥/٦، وعزاه إلى الدارمي.
(١٠) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٣٥/٦، وعزاه إلى ابن الضريس والدارمي.
(١١) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٣٥/٦، وعزاه إلى الدارمي والترمذي وابن مردويه.

- عن طاوس رضي الله تعالى عنه أنه كان يقرأ {ألم تنزيل} السجدة و {تبارك الذي بيده الملك} في صلاة العشاء وصلاة الفجر كل يوم وليلة في السفر والحضر ويقول: من قرأهما كتب له بكل آية سبعون حسنة فضلا عن سائر القرآن ومحيت عنه سبعون سيئة ورفعت له سبعون درجة"[1].
- عن يحي بن أبي كثير قال: "كان طاوس رضي الله تعالى عنه لا ينام حتى يقرأ هاتين السورتين {تنزيل} و {تبارك} وكان يقول: كل آية منهما تشفع ستين آية يعني تعدل ستين آية"[2].
- عن طاوس رضي الله عنه، قال: "ما على الأرض رجل يقرأ {الم تنزيل} السجدة {تبارك الذي بيده الملك} في ليلة إلا كتب الله له مثل أجر ليلة القدر قال حاتم رضي الله عنه: فذكرت ذلك لعطاء رضي الله عنه فقال: صدق طاوس والله ما تركتهن منذ سمعت بهن إلا أن أكون مريضا"[3].
- عن علي رضي الله عنه قال: "عزائم سجود القرآن {الم تنزيل} السجدة {الم تنزيل} السجدة {والنجم} و {اقرأ باسم ربك الذي خلق}"[4].

---

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٣٦/٦، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٣٦/٦، وعزاه إلى ابن الضريس.
(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٣٦/٦، وعزاه إلى الخرائطي في مكارم الأخلاق.
(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٣٦/٦، وعزاه إلى سعيد بن منصور وابن أبي شيبة.

سورة «الأحزاب»

سورة «الاحزاب»: هي السورة «الثالثة والثلاثون» في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة « آل عمران»[١]. آياتها ثلاث وسبعون. كلماتها ألف ومائتان وثمانون. حروفها خمسة آلاف وسبعمائة وست وتسعون، فواصل آياتها «لا» على اللام منها آية واحدة :{يَهْدِي السَّبِيل} [الأحزاب : ٤][٢].

- **أسماء السورة:**
- **اسمها التوقيفي: «سورة الأحزاب»:**

اشتهرت تسميتها باسم «سورة الأحزاب»، وكتبت في المصاحف وكتب التفسير، و سميت سورة الأحزاب، لاشتمالها على قصة حرب الأحزاب فى قوله :{يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا} [الأحزاب : ٢٠]"[٣].

قال المهايمني:" وسميت بها، لأن قصتها معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم. متضمنة لنصره بالريح والملائكة. بحيث كفى الله المؤمنين المنافقين، وهذا من أعظم مقاصد القرآن"[٤].

قال وهبة الزحيلي:" سميت سورة الأحزاب لاشتمال الكلام فيها على وقعة الخندق أو الأحزاب الذين تجمعوا حول المدينة، من مشركي قريش وغطفان، بالتواطؤ مع المنافقين ويهود بني قريظة، لحرب المسلمين ومحاولة استئصالهم"[٥].

ولا يعرف لهذه السورة اسم غير اسمها المشهور.

وقال الزحيلي:" كما سميت «الفاضحة»، لأنها افتضحت المنافقين، وأبانت شدة إيذائهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أزواجه وتألبهم عليه في تلك الموقعة"[٦].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة قولان:

أحدها: أنها نزلت بالمدينة. قاله ابن عباس[٧]، وابن الزبير[٨].

قال ابن الجوزي:" هي مدنية بإجماعهم"[٩].

قال القرطبي:" سورة الأحزاب مدنية في قول جميعهم. نزلت في المنافقين وإيذائهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وطعنهم فيه وفي مناكحته وغيرها"[١٠].

الثاني: أنها مدنية إلا قوله تعالى:{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا} [الأحزاب : ٣٦]، نزلت في تزويج زينب بنت جحش من زيد بن حارثة في مكة. وهذا قول ابن عباس أيضا[١١].

---

(١) انظر: الكشاف:٥١٨/٣.

(٢)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٧٧.

(٣)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٧٠.

(٤) تفسير المهايمي: ١٥٢/٢.

(٥) التفسير المنير: ٢٢٥/٢١.

(٦) التفسير المنير: ٢٢٥/٢١.

(٧) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦/ ٥٥٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٨) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦/ ٥٥٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٩) زاد المسير: ٤٤٦/٣.

(١٠) تفسير القرطبي: ١١٣/١٤.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢٧١/٢٠، أخرج بسنده عن ابن عباس: "قوله: {وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا....} إلى آخر الآية، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق يخطب على فتاه زيد بن حارثة، فدخل على زينب بنت جحش الأسدية فخطبها، فقالت: لست بناكحته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فانكحيه، فقالت: يا رسول الله أؤمر في نفسي، فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسوله {وما كان لمؤمن ولا مؤمنة....} إلى قوله {ضلالا مبينا}، قالت:

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ووجه اتصالها بما قبلها تشابه مطلع هذه وخاتمة السالفة، فإن تلك ختمت بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالإعراض عن الكافرين، وانتظار عذابهم، وهذه بدئت بأمره عليه الصلاة والسلام بالتقوى، وعدم طاعة الكافرين والمنافقين واتباع ما أوحى إليه من ربه مع التوكل عليه(١).

- **أغراض السورة ومقاصدها**

اشتملت سورة الأحزاب -كغيرها من سور القرآن- على مقاصد مهمة، وغايات جليلة، نذكر منها:

١- بدأت السورة بتقرير أصل مهم في حياة المؤمن، وهو استشعار القلب لجلال الله، والاستسلام المطلق لإرادته، واتباع المنهج الذي اختاره، والتوكل عليه وحده والاطمئنان إلى حمايته ونصرته وتأييده.

٢- توجيه المؤمنين إلى عدم طاعة الكافرين والمنافقين، وتحمل ما ينالهم منهم من أذى، والتوكل على الله؛ فهو سبحانه نعم الوكيل، وخير النصير.

٣- قررت السورة أصلاً مهماً، وهو أن الإنسان لا يملك أن يتجه إلى أكثر من اتجاه واحد، ولا أن يتبع أكثر من منهج واحد، وإلا نافق، واضطربت خطاه، وأضل السبيل. وما دام لا يملك إلا قلباً واحداً، فلا بد أن يتجه إلى إله واحد، وأن يتبع نهجاً واحداً، وأن يدع ما عداه من مألوفات، وتقاليد، وأوضاع، وعادات.

٤- كون الحق فيما شرع سبحانه من أحكام؛ لا ما اتخذه الناس من عادات وأعراف؛ لأنه سبحانه الخبير بما فيه صلاح العباد عاجلاً وأجلاً، فهو سبحانه الذي يقول الحق ويهدي السبيل .

٥- تضمنت السورة إبطال عادة الظهار، وإبطال عادة التبني، وإبطال آثار المؤاخاة التي تمت في أول الهجرة، وردت الأمر إلى القرابة الطبيعية في الإرث والدين وما إليها.

٦- قررت السورة أن ولاية النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين أقوى ولاية، ولأزواجه حرمة الأمهات لهم، وتلك الولاية من جَعْل الله، فهي أقوى وأشد من ولاية الأرحام.

٧- تحريض المؤمنين على التمسك بما شرع الله لهم؛ لأنه أخذ العهد بذلك على جميع النبيين .

٨- من أهم المقاصد التي تضمنتها السورة التمييز بين المؤمنين والمنافقين. وقد اعتبر المهايمي هذا المقصد من أعظم مقاصد القرآن.

٩- الرد على المنافقين أقوالاً شنيعة، قصدوا بها أذى النبي صلى الله عليه وسلم .

١٠- بيان ما أظهره الله من عنايته بنصر المؤمنين على أحزاب أعدائهم من الكفرة والمنافقين في وقعة الأحزاب ودفع كيد المنافقين.

١١- الثناء على صدق المؤمنين وثباتهم في الدفاع عن الدين، ونعمة الله عليهم بأن أعطاهم بلاد أهل الكتاب الذين ظاهروا الأحزاب، ورد عنهم كيد الأحزاب والمهاجمين.

١٢- تخيير أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بين طلب الدنيا، أو طلب الآخرة، وفي ذلك توجيه للمؤمنين إلى إيثار الله ورسوله والدار الآخرة على الحياة الدنيا وزينتها وزخرفها .

١٣- ألمحت السورة إلى فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وفضل آل النبي صلى الله عليه وسلم، وفضائل أهل الخير من المسلمين والمسلمات.

قد رضيته لي يا رسول الله منكحا؟ قال: "نعم" قالت: إذن لا أعصي رسول الله، قد أنكحته نفسي".

(١) انظر: تفسير المراغي:١٢٣/٢١.

١٤- بينت السورة أن أمر المؤمنين والمؤمنات مرده إلى الله، فليس لهم منه شيء، وليس لهم في أنفسهم خيرة، إنما هي إرادة الله وقدره، الذي يسير كل شيء، ويستسلم له المؤمن الاستسلام الكامل الصريح.
١٥- تعرضت السورة لبعض الأحكام المتعلقة بالعلاقات الزوجية (الطلاق قبل المساس.(
١٦- تنظيم علاقة المسلمين ببيوت النبي وزوجاته، في حياته وبعد وفاته.
١٧- تقرير فرضية الحجاب والجلباب على المرأة المسلمة.
١٨- تهديد المنافقين جراء بثهم الدعايات المغرضة، والأخبار الكاذبة.
١٩- الأمر بالاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم والتأسي به. وتحريض المؤمنين على ذكر الله، وتنزيهه؛ شكراً له على هديه.
٢٠- تعظيم قدر النبي صلى الله عليه وسلم عند الله وفي الملأ الأعلى، والأمر بالصلاة عليه والسلام.
٢١- وعيد المنافقين الذين يأتون بما يؤذي الله ورسوله والمؤمنين. وتحذير المؤمنين من التورط في ذلك؛ كيلا يقعوا فيما وقع فيه الذين آذوا موسى عليه السلام.
٢٢- أوضحت السورة أن علم الساعة شأن من شؤونه سبحانه، لا علم لأحد بها، والتلويح بأنها قد تكون قريباً.
٢٣- بيان المسؤولية الملقاة على عاتق الإنسان عموماً، وعلى عاتق المسلم بصفة خاصة، وهي التي تنهض وحدها بعبء هذه الأمانة الكبرى. أمانة العقيدة والاستقامة عليها. والدعوة والصبر على تكاليفها، والشريعة والقيام على تنفيذها في أنفسهم وفي الأرض من حولهم[١].

الناسخ والمنسوخ:

- الآية الأولى: قوله تعالى: {وَلا تُطِعِ الكافِرِينَ وَالْمُنافِقِينَ وَدَعْ أذاهُمْ} [الأحزاب: ٤٨]، قال المفسرون: "معناه: لا تجازهم عليه وتوكل على الله في كفاية شرهم. قالوا: ونسخت بآية السيف"[٢].
- الآية الثانية: قوله تعالى: {لا يَحِلُّ لكَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ} [الأحزاب: ٥٢]، قال هبة الله:"وهي من أعاجيب القرآن المنسوخ نسخها الله بآية قبلها في النظم وهي قوله تعالى {يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك} الآية"[٣].

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه: «من قرأ سورة الأحزاب وعلمها أهله وما ملكت يمينه أعطي الأمان من عذاب القبر»[٤].

تنبيه:

روى الإمام أحمد عن زرِّ بن حُبيش، قال: قال لي أُبي بن كعب : كَأين تقرأ سورة الأحزاب ؟ أو كَأين تعدها ؟ قال : قلت : ثلاثا وسبعين آية : فقال : قطْ! لقد رأيتها وإنها لتعادل "سورة البقرة" ، ولقد قرأنا فيها : الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة ، نكالا من الله ، والله عليم حكيم"[٥].

---

(١) موقع: [إسلام ويب].
(٢) نواخ القرآن لابن الجوزي: ١٨٢.
(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ: ١٤٤.
(٤) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان:٥/٨، والواحدي في التفسير الوسيط: ٤٥٧/٣. وقد مرّ أنه حديث موضوع غير ثابت.
(٥)المسند (٢١٢٠٧):ص١٣٤/٣٥.
قال ابن كثير:" ورواه النسائي[في السنن الكبرى برقم (٧١٥٠)] من وجه آخر ، عن عاصم - وهو ابن أبي النجود ، وهو ابن

قال محققو المسند: " إسناده ضعيف، عاصم بن بهدلة -وإن كان صدوقا- له أوهام بسبب سوء حفظه، فلا يحتمل تفرده بمثل هذا المتن. وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين غير خلف بن هشام، فمن رجال مسلم"[١].

قال ابن كثير: "وهو يقتضي أنه قد كان فيها قرآن، ثم نسخ لفظه وحكمه أيضاً"[٢].

وقد تعقب القاسمي قول ابن كثير، فقال: " كان يصح هذا الاقتضاء، لو كان هذا الأثر صحيحا. أما ولم يخرجه أرباب الصحاح، فهو من الضعف بمكان"[٣].

وفي رواية مصنف عبد الرزاق: «كأين تقرءون سورة الأحزاب؟» قال: قلت: بضعا وثمانين آية قال: " لقد كنا نقرأها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو سورة البقرة أو هي أكثر، ولقد كنا نقرأ فيها آية الرجم: «الشيخ والشيخة فارجموهما ألبتة نكالا من الله والله عزيز حكيم»"[٤].

وروى عن عائشة رضي الله عنها، قالت: "كانت سورة الأحزاب تُقرأ في زمان النبي صلى الله عليه وسلم مائتي آية، فلما كتب عثمان المصاحف، لم يقدر منها إلا على ما هو الآن"[٥].

قال ابن عاشور تعليقاً على هذين الخبرين: "وكلا الخبرين ضعيف السند. ومحمل الخبر الأول عند أهل العلم أن أُبيًّا حدَّث عن سورة الأحزاب قبل أن يُنسخ منها ما نُسخ. فمنه ما نُسخت تلاوته وحكمه، ومنه ما نُسخت تلاوته خاصة مثل آية الرجم...وإن صح عن أُبيٍّ ما نُسب إليه، فما هو إلا أن شيئاً كثيراً من القرآن كان أُبيٌّ يُلْحِقه بسورة الأحزاب، وهو من سور أخرى من القرآن، مثل كثير من سورة النساء الشبيه ببعض ما في سورة الأحزاب، أغراضاً ولهجة مما فيه ذكر المنافقين واليهود، فإن أصحاب رسول الله لم يكونوا على طريقة واحدة في ترتيب آي القرآن، ولا في عدِّ سوره، وتقسيم سوره، ولا في ضبط المنسوخ لفظه. كيف وقد أجمع حفاظ القرآن والخلفاء الأربعة وكافة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم -إلا الذين شذوا- على أن القرآن هو الذي في المصحف، وأجمعوا في عدد آيات القرآن على عدد قريب بعضه من بعض.

وأما خبر عائشة فهو أضعف سنداً، وأقرب تأويلاً؛ فإن صح عنها -ولا أخاله- فقد تحدثت عن شيء نُسخ من القرآن، كان في سورة الأحزاب. وليس بعد إجماع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصحف عثمان مطلب لطالب.

بَهْدَلَة - به. وهذا إسناد حسن ، وهو يقتضي أنه كان فيها قرآن ثم نسخ لفظه وحكمه أيضا ، والله أعلم". تفسير ابن كثير: ٣٧٥/٦.

(١) مسند أحمد، ط الرسالة: ١٣٤/٣٥. تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون .

قال المحققون:" وأخرجه الضياء في "المختارة" (١١٦٦) من طريق عبد الله بن أحمد، بهذا الإسناد!

وأخرجه الحاكم ٣٥٩/٤ من طريق أبي النعمان محمد بن الفضل، والبيهقي ٢١١/٨ من طريق سعيد بن منصور، كلاهما عن حماد بن زيد به، وأخرجه الطيالسي (٥٤٠) ، وعبد الرزاق (٥٩٩٠) و (١٣٣٦٣) ، وأبو عبيد في "فضائل القرآن" ص٣٢٠، وأحمد بن منيع كما في "إتحاف الخيرة" ١٤١/٨، والنسائي في "الكبرى" (٧١٥٠) ، وابن حبان (٤٤٢٨) و (٤٤٢٩) ، والحاكم ٤١٥/٢ و٣٥٩/٤ والضياء المقدسي في "المختارة" (١١٦٤)

و (١١٦٥) من طرق عن عاصم، به. وزاد عند ابن حبان (٤٤٢٩) قصة حك المعوذتين من مصحف ابن مسعود، وقد سلف في "المسند" برقم (٢١١٨١).

(٢) تفسير ابن كثير: ٣٧٥/٦.

(٣) محاسن التأويل: ٤٦/٨.

(٤) مصنف عبدالرزاق(٥٩٩٠):ص٣٦٥/٣.

(٥)فضائل القرآن للقاسم بن سلام:٣٢٠، وذكره السيوطي في الدر المنثور: ٥٦٠/٦، وزاد نسبته إلى ابن الأنباري وابن مردويه.

وبعدُ، فخبر أُبيٍّ بن كعب خبر غريب، لم يؤثر عن أحد من أصحاب رسول الله، فنوقن بأنه دخله وَهْمٌ من بعض رواته. وهو أيضاً خبر آحاد لا ينتقض به إجماع الأمة على المقدار الموجود من هذه السورة متواتراً". ثم نقل ابن عاشور كلام الزمخشري في هذا الخصوص،

قال: "وأما ما يُحكى أن تلك الزيادة التي رويت عن عائشة كانت مكتوبة في صحيفة في بيت عائشة، فأكلتها الداجن -أي الشاة- فمن تأليفات الملاحدة والروافض"[1].

ثم ختم ابن عاشور تعقيبه على هذين الخبرين بالقول: "ووضع هذا الخبر ظاهر مكشوف؛ فإنه لو صدق هذا لكانت هذه الصحيفة قد هلكت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم أو بعده، والصحابة متوافرون، وحفاظ القرآن كثيرون، فلو تلفت هذه الصحيفة، لم يُتلف ما فيها من صدور الحفاظ. وكون القرآن قد تلاشى منه كثير هو أصل من أصول الروافض؛ ليطعنوا به في الخلفاء الثلاثة، والرافضة يزعمون أن القرآن مستودع عند الإمام المنتظر، فهو الذي يأتي بالقرآن وقر بعير. وقد استوعب قولهم واستوفى إبطاله أبو بكر بن العربي في كتاب «العواصم من القواصم»"[2].

---

(١) التحرير والتنوير: ٢٤٦/٢١-٢٤٧.
(٢) المصدر نفسه: ٢٤٧/٢١.

سورة «سبأ»

سورة «سبأ»: هي السورة «الرابعة والثلاثون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «الثامنة والخمسون» بحسب ترتيب النزول، نزلت بعد سورة: «لقمان»[١]. عدد آياتها خمس وخمسون فى عد الشام، وأربع فى عد الباقى. وكلماتها ثمانمائة وثمانون. وحروفها أربعة آلاف وخمسمائة واثنا عشر[٢].

والمختلف فيها آية واحدة: {عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ} [سبأ : ١٥]، فواصل آياتها: «ظن لمدبر»[٣].

- **أسماء السورة:**
- **اسمها التوقيفي: «سورة سبأ»:**

اشتهرت تسميتها باسم «سورة سبأ»، وكتبت في المصاحف وكتب التفسير، سميت سورة سبأ، لاشتمالها على قصة سبأ {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ} [سبأ : ١٥][٤].

قال المهايمني:" سميت بها، لتضمن قصتها آية تدل على نعيم الجنة في السعة وعدم الكلفة والخلو عن الآفة وتبديلها بها بالنقك، لمن كفر بالمنعم، وهذا من أعظم مقاصد القرآن"[٥].

ولا يعرف لهذه السورة اسم غيره.

قال ابن عاشور:" هذا اسمها الذي اشتهرت به في كتب السنة وكتب التفسير وبين القراء ولم أقف على تسميتها في عصر النبوءة"[٦].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدها: أنها نزلت بمكة. قاله ابن عباس[٧]، وقتادة[٨]، ويحيى بن سلام[٩].

قال ابن الجوزي:" هي مكية بإجماعهم"[١٠].

قال الفيروزآبادي:" السورة مكية بالاتفاق"[١١].

الثاني: أنها مكية إلا قوله تعالى:{وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٦)} [سبأ : ٦]، نزلت في مدينة. وهذا قول الضحاك[١٢]، وابن السائب[١٣]، ومقاتل[١٤]، وبه قال الزمخشري[١٥].

قال مقاتل:"{وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} بالله- عز وجل-، يعني: مؤمني أهل الكتاب[١٦].

---

(١) انظر: الكشاف:٥٦٦/٣.
(٢)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٨٢.
(٣)انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.
(٤)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٨٢.
(٥) تفسير المهايمي: ١٦٥/٢.
(٦) التحرير والتنوير: ١٣٣/٢٢.
(٧) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦/ ٦٧٣، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.
(٨) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦/ ٦٧٣، وعزاه إلى ابن المنذر.
(٩) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٧٤٤/٢.
(١٠) زاد المسير: ٤٨٩/٣.
(١١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٣٨٢/١.
(١٢) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٤٨٩/٣. بدون إسناد.
(١٣) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٤٨٩/٣. بدون إسناد.
(١٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٢٤/٣.
(١٥) انظر: الكشاف: ٥٦٦/٣.
(١٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٢٤/٣.

قال ابن عاشور:" عن مقاتل أن آية: {وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ}، إلى قوله: { الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} [سبأ: ٦] نزلت بالمدينة، ولعله بناء على تأويلهم أهل العلم إنما يراد بهم أهل الكتاب الذين أسلموا مثل عبد الله بن سلام. والحق أن الذين أوتوا العلم هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم"[١].

- **مناسبة سورة«سبأ» مع سورة «الأحزاب»:**

وجه اتصال سورة «سبأ» بما قبلها:

١- إن الصفات التي أجريت على الله في مفتتحها تشاكل الصفات التي نسبت إليه في مختتم السورة السالفة.

٢- إنه في السورة السابقة ذكر سؤال الكفار عن الساعة استهزاء، وهنا حكى عنهم إنكارها صريحا، وطعنهم على من يقول بالبعث، وقال هنا ما لم يقله هناك[٢].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

إن المقاصد الكلية التي تضمنتها السورة هي موضوعات العقيدة الرئيسة: توحيد الله، والإيمان بالوحي، والاعتقاد بالبعث. وتفصيل ما تضمنته السورة من مقاصد وفق التالي:

١- إبطال قواعد الشرك وأعظمها إشراك آلهة مع الله، وإنكار البعث، فابتدأ سبحانه السورة بدليل على انفراده تعالى بالإلهية، ونفي الإلهية عن الأصنام، ونفي أن تكون الأصنام شفعاء لعبادها.

٢- التركيز الأكبر في السورة على قضية البعث والجزاء.

٣- إثبات إحاطة علم الله بما في السماوات وما في الأرض، فما يخبر به فهو واقع، ومن ذلك إثبات البعث والجزاء.

٤- إثبات صدق النبي صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به، وصدق ما جاء به القرآن، وأن القرآن شهد به علماء أهل الكتاب .

٥- إلزام الحجة على منكري النبوة.

٦- بيان معجزات داود وسليمان عليهما السلام.

٧- تقرير سنة من سنن الله في عباده، وهي أن النعم التي يمنحها الله عباده، إنما تدوم بشكر المنعم، وشكر المنعم إنما يكون بفعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه، والاهتداء بهديه، وأن النعم تتحول إلى نقم وهلاك، إذا أعرض الإنسان عن هدي ربه، بفعله ما نهى الله عنه، وتركه ما أمره الله به، وسلوكه سبيل المفسدين والمكذبين والضالين، كما حصل مع قوم سبأ.

٨- تهديد المشركين وموعظتهم بما حل ببعض الأمم المشركة من قبل، وأن جَعْلَهم لله شركاء كفران لنعمة الخالق؛ فضرب لهم المثل بمن شكروا نعمة الله واتقوه، فأوتوا خير الدنيا والآخرة، وسخرت لهم الخيرات مثل داود وسليمان، وبمن كفروا بالله فسلطت عليه البلايا في الدنيا، وأعد لهم العذاب في الآخرة مثل سبأ.

٩- التحذير من تغرير الشيطان، وأنه عدو للإنسان.

١٠- بيان أن الإيمان والعمل الصالح -لا الأموال ولا الأولاد- هما قِوام الحكم والجزاء عند الله.

١١- بيان أنه ما من قوة في الأرض ولا في السماء تعصم من بطش الله، وما من شفاعة عنده إلا بإذنه.

١٢- وعد المنفقين والمصدقين بالإخلاف.

١٣- تبشير المؤمنين بالنعيم المقيم.

١٤- بيان أن العودة إلى الحياة بعد الممات لتدارك ما فات أمر محال[٣].

---

(١) التحرير والتنوير: ١٣٣/٢٢.
(٢) انظر: تفسير المراغي:٥٥/٢٢.
(٣) انظر: إسلام ويب.[موقع إلكتروني].

الناسخ والمنسوخ:

- قوله تعالى: {قُلْ لا تُسْئَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنا وَلا نُسْئَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [سبأ: ٢٥].

قال المفسرون: المعنى: لا تؤاخذون بجرمنا ولا نسأل عما تعملون من الكفر والتكذيب.
والمعنى: إظهار التبري منهم، قالوا: وهذا منسوخ بآية السيف ولا أرى لنسخها وجها، لأن مؤاخذة كل واحد بفعله لا يمنع من قتال الكفار"[١].

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة سبأ لم يبق نبي ولا رسول إلا كان يوم القيامة له رفيقا ومصافحا»[٢].

---

(١) نواسخ القرآن، لان الجوزي: ١٨٤.
(٢) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان:٦٩/٨، والواحدي في التفسير الوسيط(٧٦٧): ٤٨٦/٣. وقد مرّ أنه حديث موضوع غير ثابت.

سورة «فاطر»

سورة «فاطر»: هي السورة «الخامسة والثلاثون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «الثالثة والأربعون» بحسب ترتيب النزول، نزلت بعد سورة: «الفرقان»[(١)]، عدد آياتها خمس وأربعون عند الأكثرين، وعند الشاميين ست. وكلماتها سبعمائة وسبعون. وحروفها ثلاثة آلاف ومائة وثلاثة وثلاثون[(٢)].

والمختلف فيها سبع آيات؛ {الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيد} [فاطر : ٧]،{جَدِيدٍ} [فاطر : ١٦]، {النُّورُ} [فاطر : ٢٠]، {الْبَصِيرُ} [فاطر : ١٩]، {مَنْ فِي الْقُبُور} [فاطر : ٢٢]،{أَنْ تَزُولَا} [فاطر : ٤١]، {تَبْدِيلًا } [فاطر : ٤٣]، وفواصل آياتها :«زاد من بز»[(٣)].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة فاطر»:**

اشتهرت تسميتها باسم «سورة فاطر»، وكتبت في كثير من المصاحف وكتب التفسير، ووجه تسميتها «سورة فاطر» أن هذا الوصف وقع في طالعة السورة، ولم يقع في أول سورة غيرها[(٤)].

قال القاسمي:"وتسمى هذه السورة سورة «فاطر» لذكر هذا الاسم الجليل والنعت الجميل في طليعتها"[(٥)].

- **ثانيا:- اسمها الإجتهادي: «سورة الملائكة»:**

ووجه تسميتها «سورة الملائكة» أنه ذكر في أولها صفة الملائكة، ولم يقع في سورة أخرى.

قال القاسمي:"سميت بذلك لما جاء فيها من خلق الملائكة، وجعلهم ذوي أجنحة متنوعة في العدد، الدال على عجيب صنعه تعالى وباهر قدرته"[(٦)].

وقال المهايمي: سميت بها لاشتمالها على بيان تفصيل رسالتهم، من جهة أخذهم الفيض عن الله، وإيصاله إلى خلقه، من جهة أو جهتين أو ثلاث أو أكثر، ليشعر أن الرسالة العامة لهم، إذا كانت كذلك، فكيف الرسالة الخاصة؟ مثل إنزال القرآن. فيجوز أن يكون له جهات كثيرة. وقد روي أنه كان لجبريل ستمائة جناح"[(٧)].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدها: أنها نزلت بمكة. قاله ابن عباس[(٨)]، وقتادة[(٩)]، ومقاتل[(١٠)]، ويحيى بن سلام[(١١)].

قال ابن الجوزي:" هي مكية بإجماعهم"[(١٢)].

قال القرطبي:" سورة فاطر مكية في قول الجميع"[(١٣)].

قال **الفيروزآبادى**:" السورة مكية إجماعا"[(١)].

---

(١) انظر: الكشاف:٥٩٥/٣.
(٢)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٨٦.
(٣)انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.
(٤) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.
(٥) محاسن التأويل: ١٥٨/٨.
(٦) محاسن التأويل: ١٥٨/٨.
(٧) نقلا عن: محاسن التأويل: ١٥٨/٨.
(٨) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣/٧، وعزاه إلى ابن الضريس والبخاري وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.
(٩) أورده السيوطي في الدر المنثور:٣/٧، وعزاه إلى عبد الرزاق وابن المنذر.
(١٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٤٩/٣.
(١١) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٧٧٤/٢.
(١٢) زاد المسير: ٥٠٥/٣.
(١٣) تفسير القرطبي: ٣١٨/١٤.

الثاني: أنها مكية إلا آيتين: {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ} [فاطر: ٢٩] الآية: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ} [فاطر: ٣٢] الآية. حكاه الطبرسي عن الحسن(٢).

مناسبة السورة لما قبلها:

ومناسبتها لما قبلها: إنه لما ذكر سبحانه في آخر سابقتها هلاك المشركين وإنزالهم منازل العذاب- لزم المؤمنين حمده تعالى وشكره كما جاء في قوله:{فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأنعام : ٤٥](٣).

- **أغراض السورة ومقاصدها**

اشتملت السورة على المقاصد التالية:

١- إثبات تفرد الله تعالى بالإلهية، فافتتحت بما يدل على أنه مستحق الحمد على ما أبدع من الكائنات، الدال إبداعها على تفرده تعالى بالإلهية.

٢- إثبات صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما جاء به، وأنه جاء به الرسل من قبله.

٣- إثبات البعث والدار الآخرة.

٤- تذكير الناس بإنعام الله عليهم بنعمة الإيجاد ونعمة الإمداد، وما يعبد المشركون من دونه لا يغنون عنهم شيئاً، وقد عبدهم الذين من قبلهم، فلم يغنوا عنهم من الله شيئاً.

٥- تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم على ما يلاقيه من قومه من صد لدعوته ورفض لرسالته.

٦- كشف نوايا قريش في الإعراض عن اتباع الإسلام؛ لأنهم احتفظوا بعزتهم.

٧- إنذار قريش -ومن كان على شاكلتها- أن يحل بهم ما حل بالأمم المكذبة قبلهم.

٨- الثناء على الذين تلقوا دعوة الإسلام بالتصديق وبضد حال المكذبين.

٩- تذكير الذين أعرضوا عن دعوة الإسلام بأنهم كانوا يودون أن يرسل الله إليهم رسولاً، فلما جاءهم رسول تكبروا واستنكفوا واستكبروا وعتوا عتواً كبيراً.

١٠- بينت السورة أنه لا مفر للذين أعرضوا عن دعوة الإسلام من حلول العذاب عليهم، فقد شاهدوا آثار الأمم المكذبين من قبلهم، وأن لا يغتروا بإمهال الله إياهم؛ فإن الله لا يخلف وعده.

١١- التحذير من غرور الشيطان، والتذكير بعداوته لنوع الإنسان.

١٢- بيان موقف الخلق من القرآن؛ فمنهم ظالم لنفسه باتباع هواه، وارتكاب الذنوب والمعاصي، ومنهم مقتصد في عبادة ربه، ومنهم سابق بالخيرات مسارع لنيل الدرجات.

١٣- المنة على العباد بحفظ السماء والأرض عن تخلخل الأركان والزوال، فهو سبحانه المتحكم بأمرهما والمسير لشأنهما.

١٤- عقوبة الذين يمكرون في الدنيا المكر بهم في الآخرة؛ إذ الجزاء من جنس العمل.

١٥- الإخبار بأنه سبحانه لو عامل عباده بالعدل، لم يَسْلَم من عذابه أحد من الإنس والجان، لكنه سبحانه وتعالى عاملهم بإحسانه وفضله(٤).

الناسخ والمنسوخ:

- قوله تعالى: {إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ} [فاطر: ٢٣].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٣٨٦/١.

(٢) نقلا عن روح المعاني (تفسير الالوسي): ٣٣٤/١١.

(٣) انظر: تفسير المراغي:٥٥/٢٢.

(٤) انظر: إسلام ويب.[موقع إلكتروني].

قال ابن الجوزي: "قال بعض المفسرين: "نسخ معناها بآية السيف، وقد تكلمنا على جنسها وبينا أنه لا نسخ"[1].

- **فضائل السورة:**

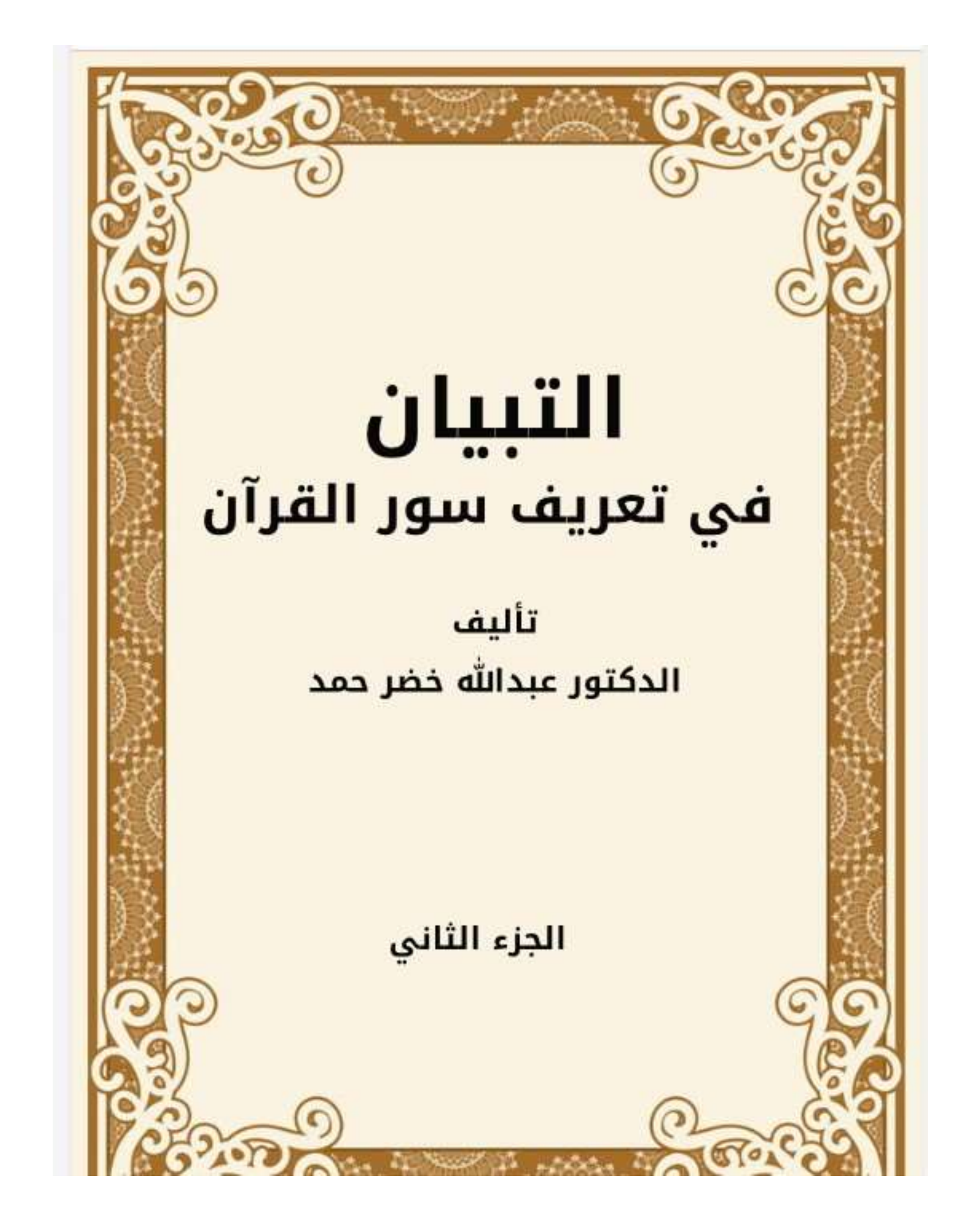
ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة الملائكة دعته يوم القيامة ثلاث أبواب من الجنة أن ادخل من أي الأبواب شئت»[2].

انتهى الجزء الأول من الكتاب، ويليه الجزء الثاني بإذن الله، وبدايته التعريف بسورة «يس».

(١) نواسخ القرآن: ١٨٥.

(٢) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان:٩٧/٨، والمستغفري في الفضائل(٨٦٣):ص٥٩٠/٢، الواحدي في التفسير الوسيط(٧٧١): ٥٠٠/٣. وقد مرّ أن هذ حديث موضوع لا يثبت بحال.


التبيان
في تعريف سور القرآن
تأليف
الدكتور عبدالله خضر حمد
الجزء الثاني

التبيان في تعريف سور القرآن

الدكتور عبدالله خضر حمد

الجزء الثاني

ملاحظة:

إلى الذين يرغبون بطبع هذا الكتاب من دور النشر والجهات الخيرية، يرجى مراسلة المؤلف -لطفا وتكرما- على البريد الالكتروني الآتي، وذلك لإرسال الكتاب بأحدث نسخة وبصيغة(word)إن شاء الله، وفقنا الله تعالى وإيَّاكم لما يرضيه برحمته، آمين.

abdulla.khdhir@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

{يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِير}

[المجادلة : ١١]

سورة «يس»

سورة «يس»: هي السورة «السادسة والثلاثون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «الحادية والأربعون» بحسب ترتيب النزول، نزلت بعد سورة: «الجن»[(١)]، عدد آياتها ثمانون وثلاث آيات عند الكوفيين واثنتان عند الباقين، وكلماتها سبعمائة وتسع وعشرون، وحروفها ثلاثة آلاف، المختلف فيها آية واحدة{يس} [يس : ١]، مجموع فواصل آياتها: «من»[(٢)].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة يس»:**

سميت هذه السورة «يس» بمسمى الحرفين الواقعين في أولها في رسم المصحف؛ لأنها انفردت بهما[(٣)]؛ فكانا مميزين لها عن بقية السور، فصار منطوقهما عَلَماً عليها. وكذلك ورد اسمها عن النبي صلى الله عليه وسلم[(٤)].

ثانيا:- اسماؤها الإجتهادية:

الاسم الأول:- «قلب القرآن»:

سميت بذلك لوصفها في قول النبي -صلى الله عليه وسلم-:" إن لكل شيء قلبا، وإن قلب القرآن يس.."[(٥)].

ويبدو وجه إطلاق ذلك عليها، لأن الإيمان صحته بالاعتراف بالحشر، والحشر مقرر في هذه السورة بأبلغ وجه، فجعله قلب القرآن لذلك، قاله أبو حامد الغزالي، واستحسنه فخر الدين الرازي[(٦)].

وقيل: لاحتواء السورة مع قصر نظمها وصغر حجمها على الآيات الساطعة، والبراهين القاطعة والعلوم المكنونة، والمعاني الدقيقة، والمواعيد الرغيبة، والزواجر البالغة، والإشارات الباهرة، والشواهد البليغة، وغير ذلك مما لو تدبره المؤمن السليم لصدر عنه الرأي"[(٧)].

قال ابن عاشور:" وهي تسمية غير مشهورة"[(٨)].

الاسم الثاني والثالث:- «سورة المعمة» و«سورة الدافعة القاضية»:

روي عن الصلت، أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " سورة يس في التوراة تدعى المعمة"، قيل: ما المعمة؟ قال: " تعم صاحبها بخير الدنيا والآخرة وتكابد عنه بلوى الدنيا، وتدفع عنه أهوال الآخرة، وتدعى المدافعة القاضية تدفع عن صاحبها كل سوء، وتقضي له كل

---

(١) انظر: الكشاف:٣/٤.
(٢)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٩٠.
(٣) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.
(٤) كما سيأتي في فضائل السورة.
(٥) سنن الدرامي(٣٤٥٩):ص٤/٢١٤٩، وسنن الترمذي(٢٨٨٧):ص١٢/٥.
(٦) انظر: مفاتيح الغيب: ٣١٢/٢٦. وفيه كلام الغزالي.
(٧) شرح الطيبي: ٢٥٥/٤.
(٨) التحرير والتنوير: ٣٤١/٢٢.

حاجة من قرأها عدلت له عشرين حجة، ومن سمعها عدلت له ألف دينار في سبيل الله، من كتبها ثم شربها أدخلت جوفه ألف دواء وألف نور وألف يقين وألف بركة وألف رحمة، ونزعت عنه كل غل وداء"»[١].

فيظهر وجه التسمية من الحديث السابق، لأنها تعم صاحبها بخيري الدنيا والآخرة، وسميت بالدافعة والقاضية، لأنها تدفع عن صاحبها كل سوء وتقضي له كل حاجة.

الاسم الرابع:- «سورة العظيمة عند الله»:

أورد هذه التسمية الالوسي، مستندا إلى حديث عائشة-رضي الله عنها-، قالت: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن في القرآن لسورة تدعى العظيمة عند الله يدعى صاحبها الشريف عند الله يشفع صاحبها يوم القيامة في أكثر من ربيعة ومضر"[٢].

وهذه التسمية وصف تشريفي للسورة بأن صاحبها يكون ذو مكانة عظيمة عند الله تعالى يم القيامة. والله أعلم.

الاسم الخامس:- «سورة الحبيب النجار»:

سماها بذلك الفيروزآبادي[٣]، وذكر ابن عاشور ان هذه اتسمية وردت في مصحف مشرقي نسخ سنة:«١٠٧٨هـ»، والذي يظهر انه في بلاد العجم عنوانها «سورة حبيب النجار»، قال ابن عاشور:" وهذه التسمية غريبة لانعرف لها سندا"[٤].

وذكر الفيروزآبادي سبب تسميتها بذلك، لاشتمالها على قصة«حبيب النجار» في قوله تعالى:{وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ} [يس : ٢٠].

وبعد فإن هذه الأسماء الخمسة البعض منها أوصاف للسورة مثل:«قلب القرآن، العظيمة عند الله»، وأما تسميتعم إياها بسورة: «المعممة والدافعة والقاضية وحبيب النجار»، فهذه التسميات لم يثبت فيها حديث صحيح. والله أعلم.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها نزلت بمكة. قاله ابن عباس[٥]، وعائشة[٦]،والحسن[١]، وعكرمة[٢]، وقتادة[٣]، وحكاه ابن الجوزي عن الجمهور[٤].

---

[١] أخرجه البيهقي في شعب الإيمان(٢٢٣٧):ص١/٦٦٩. وقال: " تفرد به محمد بن عبد الرحمن هذا عن سليمان، وهو منكر ".

[٢] اورده السيوطي في الدر المنثور: ٧/٤٠، وعزاه إلى أبي نصر السجزي في الإبانة، قال:"وحسنه".

[٣] انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ١/٣٩٠.

[٤] التحرير والتنوير: ٢٢/٣٤١.

[٥] أورده السيوطي في الدر المنثور: ٧/٣٧، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

[٦] أورده السيوطي في الدر المنثور:٧/٣٧، وعزاه إلى ابن مردويه.

قال الفيروزآبادى:" السورة مكية بالإجماع"[٥].

قال ابن عطية:" هذه السورة مكية بإجماع"[٦].

الثاني: أنها مكية إلا آية منها، وهي قوله: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ ال} [يس : ٤٧]، حكاه ابن الجوزي عن ابن عباس، وقتادة[٧].

قال ابن الجوزي: "وحكي أبو سليمان الدمشقي أنها مدنية، وقال: ليس بالمشهور"[٨].

وقال ابن عطية:" إلا أن فرقة قالت إن قوله، ونكتب ما قدموا وآثارهم [يس: ١٢] نزلت في بني سلمة من الأنصار حين أرادوا أن يتركوا ديارهم وينتقلوا إلى جوار مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم: «دياركم تكتب آثاركم» ، وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعروا المدينة، وعلى هذا فالآية مدنية وليس الأمر كذلك، وإنما نزلت الآية بمكة ولكنه احتج بها عليهم في المدينة ووافقها قول النبي صلى الله عليه وسلم في المعنى، فمن هنا قال من قال إنها نزلت في بني سلمة"[٩].

مناسبة السورة لما قبها:

ووجه اتصالها بما قبلها:

١- إنه لما جاء في السورة السالفة قوله: {وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ} [فاطر : ٣٧]، وقوله: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ} [فاطر : ٤٢]، وقد أعرضوا عنه وكذبوه- افتتح هذه السورة بالقسم بصحة رسالته وأنه على صراط مستقيم لينذر قوما ما أنذر آباؤهم.

٢- إنه قال فيما قبلها «وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى» وقال في هذه: {وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا} [يس : ٣٨]، وقال: {وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ} [يس : ٣٩][١٠].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

تضمنت سورة«يس» تقرير الأصول الثلاثة: الوحدانية، والرسالة، والحشر، بأقوى البراهين، إذ جاءت فاتحتها ببيان الرسالة، بقوله سبحانه:{إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ} [يس : ٣]، وجاءت خاتمتها ببيان الوحدانية والحشر؛ فقوله عز وجل:{فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ} [يس : ٨٣]، إشارة إلى التوحيد. وقوله تعالى: { وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [يس : ٨٣]، إشارة إلى الحشر.

---

[١] حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٥١٦/٣.
[٢] حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٥١٦/٣.
[٣] حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٥١٦/٣.
[٤] انظر: زاد المسير: ٥١٦/٣.

[٥] انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٣٩٠/١.

[٦] المحرر الوجيز: ٤٤٥/٤.
[٧] انظر: زاد المسير: ٥١٦/٣.
[٨] زاد المسير: ٥١٦/٣.
[٩] المحرر الوجيز: ٤٤٥/٤.
[١٠] انظر: تفسير المراغي:١٤٤/٢٢.

قال البقاعي:" وليس في هذه السورة إلا هذه الأصول الثلاثة ودلائلها، ومن حصل من هذا القرآن هذا القدر، فقد حصل نصيب قلبه، وهو التصديق الذي بالجنان. وأما الذي باللسان، والذي بالأركان، ففي غير هذه السورة"[1].

وقال ابن عاشور:"قامت السورة على تقرير أمهات أصول الدين على أبلغ وجه وأتمه من إثبات الرسالة، والوحي، ومعجزة القرآن، وما يعتبر في صفات الأنبياء، وإثبات القَدَر، وعلم الله، والحشر، والتوحيد، وشكر المنعم -وهذه أصول الطاعة بالاعتقاد والعمل، ومنها تتفرع الشريعة- وإثبات الجزاء على الخير والشر، مع إدماج الأدلة من الآفاق والأنفس بتفنن عجيب، فكانت هذه السورة جديرة بأن تسمى «قلب القرآن»؛ لأن من تقاسيمها تتشعب شرايين القرآن كله، وإلى وتينها ينصب مجراها"[2].

وقد ذكر الفيروز آبادي أن السورة اشتملت على جملة من المقاصد، هي:" تأكيد أمر القرآن، والرسالة، وإلزام الحجة على أهل الضلالة، وضرب المثل فى أهل أنطاكية، وذكر حبيب النجار، وبيان البراهين المختلفة فى إحياء الأرض الميتة، وإبداء الليل، والنهار، وسير الكواكب، ودور الأفلاك، وجرى الجوارى المنشآت فى البحار، وذلة الكفار عند الموت، وحيرتهم ساعة البعث، وسعد المؤمنين المطيعين، وشغلهم فى الجنة، وميز المؤمن من الكافر فى القيامة، وشهادة الجوارح على أهل المعاصى بمعاصيهم، والمنة على الرسول صلى الله عليه وسلم بصيانته من الشعر ونظمه، وإقامة البرهان على البعث، ونفاذ أمر الحق فى كن فيكون، وكمال ملك ذى الجلال على كل حال فى قوله: {فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [يس : ٨٣]"[3].

وعلى الجملة يمكن ذكر مقاصد هذه السورة وفق التالي:

١- التحدي بإعجاز القرآن بالحروف المقطعة، وبالقَسَم بالقرآن؛ تنويهاً به، ووصفه بـ{الْحَكِيمِ} [يس : ٢] إشارة إلى بلوغه أعلى درجات الإحكام.

٢- أوْلَت السورة أهمية لبناء أسس العقيدة؛ فتعرضت لطبيعة الوحي، وصدق الرسالة منذ افتتاحها، ولقضية الألوهية والوحدانية، واستنكار الشرك على لسان الرجل المؤمن، الذي جاء من أقصى المدينة ساعياً؛ ليحاج قومه في شأن المرسلين.

٣- تحقيق رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، وتفضيل الدين الذي جاء به في كتاب منزل من الله؛ لإبلاغ الأمة الغاية السامية، وهي استقامة أمورها في الدنيا، والفوز في الآخرة.

٤- وصف إعراض أكثر مشركي قريش عن تلقي الإسلام، وتمثيل حالهم الشنيعة، وحرمانهم من الانتفاع بهدي الإسلام، وأن الذين اتبعوا دين الإسلام، هم أهل الخشية، وأن الإسلام هو الدين الموصوف بالصراط المستقيم.

٥- ضرب المثل لفريقي المتبعين والمعرضين من أهل القرى بما سبق من حال أهل القرية، الذين شابه تكذيبهم الرسل تكذيب قريش، وكيف كان جزاء المعرضين من أهلها في الدنيا، وجزاء المتبعين في الآخرة. إضافة إلى ضرب المثل بالأعم، وهم القرون الذين كذبوا، فأهلكوا.

---

[1] مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: ٣٩٣/٢.

[2] التحرير والتنوير: ٣٤٤/٢٢. الوتين: عرق يتعلق به القلب، إذا انقطع مات صاحبه.

[3] بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٣٩٠/١.

٦- التذكير بأعظم حادثة حدثت على المكذبين للرسل والمتمسكين بالأصنام من الذين أرسل إليهم نوح عليه السلام منذراً لهم، فهلك من كذب، ونجا من آمن.
٧- ذكر جملة من الآيات الكونية التي بثها سبحانه في الكون، والامتنان على عباده بالنعمة التي تتضمنها تلك الآيات. وبيان دلالة تلك الآيات والنعم على تفرد خالقها ومنعمها بالوحدانية؛ إيقاظاً للعباد من غفلتهم، وإرشاداً لهم للافتكار والاعتبار.
٨- وجهت السورة نداء الحسرة على العباد، الذين ما يفتؤون يكذبون كل رسول، ويستهزئون به، غير معتبرين بمصارع المكذبين، ولا متيقظين لآيات الله في الكون، وهي كثيرة.
٩- ذكر دلائل التوحيد المشوبة بالامتنان؛ للتذكير بواجب الشكر على النعم بالتقوى والإحسان وترقب الجزاء. والإقلاع عن الشرك والاستهزاء بالرسول عليه الصلاة والسلام، واستعجال وعيد العذاب، والتحذير من حلوله بغتة حين يفوت التدارك.
١٠- بينت السورة أن الإنذار إنما ينفع من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب، فاستعد قلبه لاستقبال دلائل الهدى وموحيات الإيمان.
١١- التذكير بما عهد الله إلى عباده مما أودعه في فِطَرهم من قابليات واستعدادات.
١٢- الاستدلال على عداوة الشيطان للإنسان، والإرشاد إلى اتباع دعاة الخير.
١٣- نفت السورة أن يكون ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم شعر، ونفت عن الرسول كل علاقة بالشعر أصلاً.
١٤- النعي على المشركين اتخاذهم آلهة من دون الله، يبتغون عندهم النصر، وهم الذين يقومون بحماية تلك الآلهة المدعاة.
١٥- تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم بأن لا يحزنه قول الذين أشركوا، وأن له بالله أسوة، إذ خلقهم، فعطلوا قدرته عن إيجادهم مرة ثانية، ولكنهم راجعون إليه، لا مفر لهم من ذلك.
١٦- القضية التي اشتد عليها التركيز في السورة، وترددت في مواضع كثيرة منها، هي قضية البعث والنشور؛ وذلك بغرض الاستدلال على تقريب البعث وإثباته، وتذكير العباد بالنشأة الأولى من نطفة؛ ليروا أن إحياء العظام وهي رميم كتلك النشأة ولا غرابة[١].

الناسخ والمنسوخ:

قال هبة الله بن سلامة:" لا منسوخ فيها، وقد ذهب قوم الى أن فيها آية واحدة من المنسوخ وهي قوله تعالى: {فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ} [يس : ٧٦]، نسخت بآية السيف، والأولى القول الاول، والله أعلم"[٢].

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من قرأ يس كل ليلة غفر له"[٣].
- عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر له تلك الليلة "[٤].
- عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من قرأ يس ابتغاء وجه الله غفر له"[١].

---

[١] انظر: إسلام ويب.[موقع إلكتروني].
[٢] الناسخ والمنسوخ: ١٤٦ .
[٣] أخرجه البيهقي في شعب الإيمان(٢٢٣٤):ص٤/٩٤.
[٤] أخرجه البيهقي في شعب الإيمان(٢٢٣٥):ص٤/٩٥.

- عن أبي عثمان، أن أبا هريرة، قال: " من قرأ يس مرة فكأنما قرأ القرآن عشر مرات " وقال أبو سعيد: " من قرأ يس مرة، فكأنما قرأ القرآن مرتين". قال أبو هريرة: "حدث أنت عما سمعت وأحدث أنا بما سمعت"[٢].
- عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لكل شيء قلب، وإن قلب القرآن يس من قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات "[٣].
- عن حسان بن عطية، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من قرأ يس فكأنما قرأ القرآن عشر مرات"[٤].
- عن معقل بن يسار المزني، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من قرأ يس ابتغاء وجه الله عز وجل غفر له ما تقدم من ذنبه فاقرءوها عند موتاكم "[٥].
- عن معقل بن يسار، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " سورة يس اقرءوها عند موتاكم ". وفي رواية عبدان. " اقرءوها على موتاكم ". قال الحليمي رضي الله عنه: " يعني: على المحتضرين"[٦].
- عن أبي قلابة، قال: " من حفظ عشر آيات من الكهف عصم من فتنة الدجال، ومن قرأ الكهف في يوم الجمعة حفظ من الجمعة إلى الجمعة، وإذا أدرك الدجال لم يضره وجاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر، ومن قرأ يس غفر له، ومن قرأها وهو جائع شبع، ومن قرأها وهو ضال هدي، ومن قرأها وله ضالة وجدها، ومن قرأها عند طعام خاف قلته كفاه، ومن قرأها عند ميت هون عليه، ومن قرأها عند امرأة عسر عليها ولدها يسر عليها،ومن قرأها فكأنما قرأ القرآن إحدى عشرة مرة، ولكل شيء قلب، وقلب القرآن يس"[٧].

عن أبي جعفر محمد بن علي، قال: " من وجد في قلبه قسوة فليكتب {يس والقرآن الحكيم} في جام بزعفران، ثم يشربه"[٨].

---

[١] أخرجه البيهقي في شعب الإيمان(٢٢٣٦):ص٤/٩٦.
[٢] أخرجه البيهقي في شعب الإيمان(٢٢٣٨):ص٤/٩٨.
[٣] أخرجه البيهقي في شعب الإيمان(٢٢٣٣):ص٤/٩٤.
[٤] أخرجه البيهقي في شعب الإيمان(٢٢٣٢):ص٤/٩٤. [مرسل]
[٥] أخرجه البيهقي في شعب الإيمان(٢٢٣١):ص٤/٩٣.
[٦] أخرجه البيهقي في شعب الإيمان(٢٢٣٠):ص٤/٩٢.
[٧] أخرجه البيهقي في شعب الإيمان(٢٢٣٩):ص٤/٩٨. قال البيهقي:" " هذا نقل إلينا بهذا الإسناد من قول أبي قلابة وكان من كبار التابعين، ولا يقوله إن صح ذلك عنه إلا بلاغا".
[٨] أخرجه البيهقي في شعب الإيمان(٢٢٤٠):ص٤/٩٩. قال البيهقي رحمه الله: " كذا روي في هذه الحكاية وفي الحديث قبلها وكان إبراهيم يكره ذلك ولو صح الحديث لم يكن للكراهة معنى إلا أن في صحته نظرا، والله أعلم ".

سورة « الصَّافَّات»

سورة «الصافات»: هي السورة «السابعة والثلاثون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «السادسة والخمسون» بحسب ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة: «الأنعام»[1].

عدد آياتها مائة وثمانون وآية عند البصريين، وآيتان عند الباقين. وكلماتها ثمانمائة واثنتان وستون. وحروفها ثلاثة آلاف وثمانمائة وست وعشرون. المختلف فيها: آيتان: {وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ} [الصافات : ٢٢]، {وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ} [الصافات : ١٦٧]، مجموع فواصلها «قدم بنا»[2].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة الصافات»:**

اسمها المشهور المتفق عليه «الصافات» . وبذلك سميت في كتب التفسير وكتب السنة وفي المصاحف كلها. وقد ثبتت تسميتها عن النبي-صلى الله عليه وسلم- وعن صحابته رضوان الله عليهم اجمعين، كما سيأتي في فضائل السورة.

ووجه تسميتها باسم «الصافات» وقوع هذا اللفظ فيها بالمعنى الذي أريد به أنه وصف الملائكة وإن كان قد وقع في سورة «الملك»، لكن بمعنى آخر إذ أريد هنالك صفة الطير، على أن الأشهر أن «سورة الملك» نزلت بعد «سورة الصافات»[3].

قال الفيروزآبادي:" سميت «والصافات»، لافتتاحها بها"[4].

ثانيا:- اسماؤها الإجتهادية:

١-«سورة الذبيح»:

قال السيوطي: "رأيت في كلام الجعبري أن سورة «الصافات» تسمى: «سورة الذبيح»، وذلك يحتاج إلى مستند من الأثر"[5].

٢- «سورة الزينة»:

ذكر البقاعي أنها تسمى أيضاً «سورة الزينة»[6]، ولعل هذه التسمية مأخوذة من قوله تعالى في السورة نفسها:{إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ} [الصافات : ٦].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

قال ابن عباس:" نزلت سورة الصافات بمكة"[7].

قال ابن الجوزي:" هي مكية كلها بإجماعهم"[8].

---

(1) انظر: الكشاف:٣٣/٤.
(2) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٩٣.
(3) انظر: التحرير والتنوير: ٨١/٢٣.
(4) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٩٣.
(5) الإتقان: ١٩٩/١.
(6) نقلا عن موقع اسلام ويب.
(7) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٧٧/٧، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.
(8) زاد المسير: ٥٣٥/٣.

قال الفيروزآبادي:" السورة مكية بالاتفاق"[1].

مناسبة السورة لما قبلها:

ووجه اتصالها بما قبلها:

١- أن فيها تفصيل أحوال القرون الغابرة، التي أشير إليها إجمالًا في السورة السابقة في قوله: {أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ} [يس : ٣١].

٢- أن فيها تفصيل أحوال المؤمنين، وأحوال أعدائهم الكافرين يوم القيامة، مما أشير إليه إجمالًا في السورة قبلها.

٣- المشاكلة بين أولها وآخر سابقتها، ذاك أنه ذكر فيما قبلها قدرته تعالى على المعاد وإحياء الموتى، وعلل ذلك بأنه منشئهم، وأنه إذا تعلقت إرادته بشيء كان. وذكر هنا ما هو كالدليل على ذلك. وهو وحدانيته تعالى، إذ لا يتم ما تعلقت به الإرادة إيجادًا وإعدامًا إلا إذا كان المريد واحدًا، كما يشير إلى ذلك قوله:{{لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ} [الأنبياء : ٢٢] [2].

وعبارة أبي حيان هنا: "مناسبة أول هذه السورة لآخر« يس»: أنه تعالى لما ذكر المعاد وقدرته على إحياء الموتى، وأنه هو منشئهم، وإذا تعلقت إرادته بشيء كان .. ذكر تعالى هنا وحدانيته. إذ لا يتم ما تعلقت به الإرادة وجودًا وعدمًا إلا بكون المريد واحدًا. وتقدم الكلام على ذلك في قوله تعالى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} [الأنبياء : ٢٢]"[3].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

١- تستهدف سورة الصافات إثبات وحدانية الله تعالى، وسوق دلائل كثيرة على ذلك، دلت على انفراده سبحانه بصنع المخلوقات العظيمة، التي لا قبل لغيره بصنعها، وهي العوالم السماوية بأجزائها وسكانها، ولا قبل لمن على الأرض أن يتطرق في ذلك.

٢- وتستهدف السورة -كسائر السور المكية- بناء العقيدة في النفوس، وتخليصها من شوائب الشرك في كل صوره وأشكاله. ولكنها -بصفة خاصة- تعالج صورة معينة من صور الشرك، التي كانت سائدة في البيئة العربية الأولى، تلك السورة التي تزعم أن ثمة قرابة بين الله سبحانه وبين الجن، وتزعم أنه من التزاوج بين الله تعالى والجنة ولدت الملائكة، ثم تزعم أن الملائكة إناث، وأنهن بنات الله! هذه الأسطورة تتعرض لحملة قوية في هذه السورة، تكشف عن تهافتها، وسخفها.

٣- تتناول السورة جوانب العقيدة الأخرى التي تتناولها السور المكية، فتثبت فكرة التوحيد مستدلة بالكون المشهود، وتنص على أن الشرك هو السبب في عذاب المعذبين في ثنايا مشهد من مشاهد القيامة.

٤- تتناول السورة قضية البعث، والحساب، والجزاء، وتعرض مشهداً مطولاً فريداً من مشاهد القيامة، ووصف حال المشركين يوم الجزاء، ووقوع بعضهم في بعض، ووصف حسن أحوال المؤمنين ونعيمهم، ومذاكرتهم فيما كان يجري بينهم وبين بعض المشركين من أصحابهم في الجاهلية، ومحاولتهم صرفهم عن الإسلام.

٥- تعرض السورة لقضية الوحي والرسالة، وتنظير دعوة محمد صلى الله عليه وسلم قومه بدعوة الرسل من قبله، وكيف نصر الله رسله ورفع شأنهم وبارك عليهم.

---

[1] البصائر: ٣٩٣/١.

[2] انظر: تفسير المراغي:٤١/٢٣.

[3] البحر المحيط: ٨٩/٩.

٦- تعرض السورة سلسلة من قصص الرسل عليهم السلام :نوح، وإبراهيم وبنيه، وموسى وأخيه، وإلياس، ولوط، ويونس، تتكشف فيها رحمة الله لعباده، ونصره لرسله، وذكر مناقبهم وفضائلهم وقوتهم في دين الله، وما نجاهم الله من الكروب التي حفت بهم، وخاصة منقبة الذبيح إسماعيل .
٧- تبرز في القصص التي تضمنتها السورة قصة إبراهيم مع ابنه إسماعيل عليهما السلام، قصة الذبح والفداء، وتبرز فيها الطاعة لله والاستسلام لأمره في أروع صورها وأعمقها وأرفعها، وتبلغ الذروة التي لا يبلغها إلا الإيمان الخالص، الذي يرفع النفوس إلى ذلك الأفق السامق الوضيء.
٨- تصف السورة ما حل بالأمم الذين كذبوا الرسل، وتنحي على المشركين فساد معتقداتهم في الله ونسبتهم إليه الشركاء، وقولهم: الملائكة بنات الله، وتكذيب الملائكة إياهم على رؤوس الأشهاد، وقولهم في النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن، وكيف كانوا يودون أن يكون لهم كتاب.
٩- وعد الله رسوله بالنصر كدأب المرسلين، ودأب المؤمنين السابقين، وأن عذاب الله نازل بالمشركين، وكون العاقبة الحسنى للمؤمنين.
١٠- جاء ختام السورة بتنزيه الله سبحانه، والاعتراف بربوبيته، والتسليم على رسله. وكانت فاتحة السورة مناسبة لمقاصدها؛ ذلك بأن القَسَم بالملائكة{وَالصَّافَّاتِ } [الصافات : ١]مناسب لإثبات الوحدانية؛ لأن الأصنام لم يدعوا لها ملائكة، والذي تخدمه الملائكة هو الإله الحق؛ ولأن الملائكة من جملة المخلوقات الدال خلقها على عظم الخالق.
ثم إن الصفات التي لوحظت في القَسَم بها مناسبة للمقاصد المذكورة بعدها، فـ} الصافات {يناسب عظمة ربها. و}فالزاجرات {يناسب قذف الشياطين عن السماوات، ويناسب تسيير الكواكب وحفظها من أن يدرك بعضها بعضاً، ويناسب زجرها الناس في المحشر. ويناسب أحوال الرسول والرسل عليهم الصلاة والسلام، وما أرسلوا به إلى أقوامهم.
وعلى الجملة، فإن مقصود السورة تنزيه الله سبحانه عن النقائص، اللازم منه رد العباد للفصل بينهم بالعدل، اللازم منه الوحدانية مطلقاً في الإلهية وغيرها، وذلك هو المعنى الذي أشار إليه تسميتها بالصافات؛ لأن الصف يلزم منه الوحدة في الحشر، باجتماع التفرق، وفي المعنى باتحاد الكلمة، المراد منه هنا: الاتحاد في التنزيه[١].

الناسخ والمنسوخ:

وذكروا فيها أربع آيات منسوخات:
- منها آيتان متصلتان أوليان هما قوله تعالى: {فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (١٧٤) وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٥)} [الصافات : ١٧٤ - ١٧٥].
- والآيتان المتصلتان الآخرتان قوله تعالى:{وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (١٧٨) وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٩)} [الصافات : ١٧٨ - ١٧٩].

قال هبة الله:" وبين الحينين فرق كبير، فالحين الأول انتظار امر الله تعالى بقتالهم، والحين الثاني كناية عن يوم بدر، والمشهور نسخت الأربع بآية السيف"[٢].

- **فضائل السورة:**

---
[١] انظر: إسلام ويب.[موقع إلكتروني].
[٢] الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١٤٧.

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ يس والصافات يوم الجمعة ثم سأل الله أعطاه سؤله"[١].
- عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ والصافات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان، وتباعد عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك، وشهد له حافظاه يوم القيامة أنه كان مؤمنا بالمرسلين»[٢].
- عن ابن عمر قال: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأمُرُنا بالتخفيف ويَؤُمُّنَا بالصَّافَّات"[٣].

---

[١] أورده السيوطي في الدر المنثور: ٧٧/٧، وعزاه إلى ابن أبي داود في فضائل القرآن وابن النجار في تاريخه.
[٢] أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان:١٣٨/٨، والواحدي في الوسيط(٧٨٣):ص٥٢١/٢. [ضعيف].
[٣]النسائي: (٢/ ٩٥) (١٠) كتاب الإمامة (٣٦) الرخصة للإمام في التطويل - رقم (٨٢٦).

سورة « ص»

سورة «ص»: هي السورة «الثامنة والثلاثون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، نزلت بعد سورة: «القمر»[١]، وآياتها ثمان وثمانون فى عد الكوفة، وست فى عد الحجاز، والشأم، والبصر، وخمس فى عد أيوب بن المتوكل وحده. وكلماتها سبعمائة واثنتان وثلاثون. وحروفها ثلاثة آلاف وسبع وستون. المختلف فيها ثلاث: {الذِّكْرِ} [ص : ١]، {وَغَوَّاصٍ} [ص : ٣٧]، {وَالْحَقَّ أَقُول} [ص : ٨٤]، مجموع فواصل آياتها: «صد قطرب من لج»[٢].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة صاد»:**

سميت في المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة والآثار عن السلف سورة (صاد) كما ينطق باسم حرف (الصاد) تسمية لها بأول كلمة منها هي (صاد) (بصادٍ، فألفٍ، فدالٍ ساكنة سكون وقف) شأن حروف التهجي عند التهجي بها أن تكون موقوفة.

قال الفيروزآبادي:" سميّت «سورة صاد»؛ لافتتاحها بها"[٣].

ثانيا:- اسمها الإجتهادي: «سورة داود»:

قال الفيروزآبادي:" سميّت «سورة داود»؛ لاشتمالها على مقصد قصته فى قوله: {وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ} [ص : ١٧]"[٤].

ونقل السيوطي في "الإتقان" عن كتاب "جمال القراء" لـ السخاوي :أن سورة (ص) تسمى أيضاً سورة داود، قال: "وذلك يحتاج إلى مُسْتَنَد من الأثر"[٥].

وكتب اسمها في المصاحف بصورة حرف (الصاد) مثل سائر الحروف المقطعة في أوائل السور؛ اتباعاً لما كتب في المصحف.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

قال ابن عباس:" نزلت سورة (ص) بمكة"[٦].

قال ابن عطية:" هذه السورة مكية بإجماع من المفسرين"[٧].

قال ابن الجوزي:" هي مكية كلها بإجماعهم"[٨].

قال الفيروزآبادي:" السورة مكية إجماعا"[٩].

---

(١) انظر: الكشاف:٧٠/٤.
(٢)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٩٩.
(٣)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٩٩.
(٤)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٩٩.
(٥) الإتقان: ١٩٩/١.
(٦) أورده السيوطي في الدر المنثور: ١٤٢/٧، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.
(٧) المحرر الوجيز: ٤٩١/٤.
(٨) زاد المسير: ٥٥٧/٣.

(٩)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٣٩٩/١.

وقد روي عن ابن عباس، قال: "مرض أبو طالب، فأتته قريش، وأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوده، وعند رأسه مقعد رجل، فقام أبو جهل فقعد فيه، فقالوا: إن ابن أخيك يقع في آلهتنا، وقال: ما شأن قومك يشكونك؟ قال: " يا عم أريدهم على كلمة واحدة تدين لهم بها العرب، وتؤدي العجم إليهم الجزية "، قال: ما هي؟ قال: «لا إله إلا الله»، فقاموا: فقالوا: أجعل الآلهة إلها واحدا؟ قال: ونزل: {ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ} [ص: ١] ، فقرأ حتى بلغ: {إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} [ص: ٥]"[١].

فهذا نص في أن نزوله هذه السورة في آخر حياة أبي طالب وفي مرض موته -كما ذكر ابن عطية -[٢]فتكون هذه السورة قد نزلت في سنة ثلاث قبل الهجرة.

مناسبة سورة«صاد» مع سورة «الصافات»:

إن مناسبة «سورة ص» لما قبلها أنها جاءت كالمتممة لها من وجهين:

١- إنه ذكر فيها من قصص الأنبياء ما لم يذكر في تلك كداود وسليمان.

٢- إنه بعد أن حكى فيما قبلها عن الكفار أنهم قالوا: {لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ(١٦٨)لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ} [الصافات : ١٦٨-١٦٩]، وأنهم كفروا بالذكر لما جاءهم- بدأ عز اسمه هذه السورة بالقرآن ذى الذكر، فقال:{ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ} [ص : ١]، ثم فصل ما أجمله هناك من كفرهم[٣].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

تناولت السورة -كغيرها من السور المكية- ثلاث قضايا رئيسة: قضية التوحيد، وقضية الوحي إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وقضية الحساب في الآخرة، وتعريض هذه القضايا الثلاث في مطلعها، فجاءت فاتحتها مناسبة لجميع أغراضها؛ إذ ابتدأت بالقَسَم بالقرآن الذي كذب به المشركون، وجاء المقسَم عليه أن الذين كفروا في عزة وشقاق، وكل ما ذكر فيها من أحوال المكذبين سببه اعتزازهم وشقاقهم، ومن أحوال المؤمنين سببه ضد ذلك. هذه مقاصد السورة من حيث العموم.

أما من حيث التفصيل، فجاءت أهدافها وفق التالي:

١- توبيخ المشركين على تكذيبهم الرسول صلى الله عليه وسلم وتكبرهم عن قبول ما أُرسل به، وتهديدهم بمثل ما حل بالأمم المكذبة قبلهم، وأنهم إنما كذبوه؛ لأنه جاء بتوحيد الله تعالى؛ ولأنه اختص بالرسالة من دونهم.

٢- تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم عن تكذيب المشركين له، وأن يقتدي بالرسل من قبله، داود وأيوب وغيرهما وما جوزوا عن صبرهم.

٣- الدعوة إلى الحكم بين الناس بالعدل، والنهي عن اتباع الهوى، والوعيد الشديد لمن لم يهتدِ بهدي القرآن.

---

[١]حديث حسن بطرقه وشواهده. أخرجه أحمد(٢٠٠٨):ص٤٥٨/٣، وأبو يعلى ٢٥٨٣ والترمذي ٣٢٣٢ والنسائي في «التفسير» ٤٥٦ والحاكم ٢/ ٤٣٢ والبيهقي ٩/ ١٨٨ والواحدي في «أسباب النزول» ٧٢٢ عن ابن عباس به، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، مع أن فيه يحيى بن عمارة، وهو مقبول. وتوبع في رواية ثانية للنسائي ٤٥٧ وأحمد ٢/ ٣٦٢. وفيه أيضا عباد بن جعفر، وهو مجهول. وورد من وجه ثالث، أخرجه الحاكم ٢/ ٤٣٢ وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وهو حسن لأجل ابن إسحاق، وقد صرح بالتحديث.

[٢] انظر: المحرر الوجيز: ٤٩٣/٤.

[٣] انظر: تفسير المراغي:٩٤/٢٣.

٤- توجيه النبي صلى الله عليه وسلم -والمؤمنين معه- إلى الصبر على ما يلقاه من المكذبين، والتطلع إلى فضل الله ورعايته، كما تمثلهما قصة داود وقصة سليمان عليهما السلام.
٥- تضمنت السورة قصة أيوب، التي تصور ابتلاء الله للمخلصين من عباده بالضراء، وصبر أيوب مثل في الصبر الذي ينبغي أن يُقتدى به.
٦- تأسية الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، عما كانوا يلقونه من الضر والبأساء في مكة، وتوجيه إلى ما وراء الابتلاء من رحمة، تفيض من خزائن الله عندما يشاء.
٧- تعرض السورة صورة مصارع الغابرين، الذين طغوا في البلاد، وتجبروا على العباد، واستعلوا على الرسل والأنبياء، ثم انتهوا إلى الهزيمة والدمار والخذلان...الهزيمة والدمار والهلاك للطغاة المكذبين. ثم تعرض بإزائها صفحة العز والتمكين والرحمة والرعاية لعباد الله المختارين، في قصص داود، وسليمان، وأيوب عليهم السلام.
٨- عرضت السورة مشهداً من مشاهد القيامة، يصور النعيم الذي ينتظر المتقين، والجحيم التي تنتظر المكذبين، وتكشف عن استقرار القيم الحقيقية في الآخرة بين هؤلاء وهؤلاء، حين يرى المتكبرون مصيرهم ومصير الفقراء الضعاف، الذين كانوا يهزؤون بهم في الأرض، ويسخرون منهم، ويستكثرون عليهم أن تنالهم رحمة الله، وهم ليسوا من العظماء ولا الكبراء، ويُختم المشهد ببيان أن للمتقين لحُسْنُ مآب، وأن للطاغين لشر مآب.
٩- إثبات البعث بقصد جزاء العالمين بأعمالهم من خير أو شر، وأنه ليس للبشر شيء من ملك السماوات والأرض، وإنما يفتح الله من رزقه ورحمته على من يشاء.
١٠- أن الله سبحانه يختار من عباده من يعلم استحقاقهم للخير، ويُنعم عليهم بشتى النِّعَم، بلا قيد، ولا حد، ولا حساب.
١١- تصور السورة جزاء المؤمنين المتقين، ومقابله من جزاء الطاغين، الذين أضلوهم، وقبحوا لهم الإسلام والمسلمين.
١٢- تعرض السورة بشكل موجز لقصة البشرية الأولى، وقصة الحسد والغواية من العدو الأول إبليس، الذي يقود خطى الضالين عن عمد وعن سابق إصرار، وهم غافلون.
١٣- أن الذي أردى إبليس، وذهب به إلى الطرد واللعنة، كان هو حسده لآدم عليه السلام، واستكثاره أن يؤثره الله عليه ويصطفيه، كما أن المشركين يستكثرون على محمد صلى الله عليه وسلم أن يصطفيه الله من بينهم بتنزيل الذكر، ففي موقفهم شَبَّه واضح من موقف إبليس المطرود اللعين.
١٤- ترد في ثنايا القصص في هذه السورة لفتة تلمس القلب البشري، وتوقظه إلى الحق الكامن في بناء السماء والأرض، وأنه الحق الذي يريد الله بإرسال الرسل أن يقره بين الناس في الأرض.
١٥- تختم السورة مقاصدها ببيان أن ما يدعو إليه الرسول صلى الله عليه وسلم لا يتكلفه من عنده، ولا يطلب عليه أجراً، وأن له شأناً عظيماً سوف يتجلى في حينه المقرر عنده سبحانه[١].

الناسخ والمنسوخ:

وذكروا فيها من المنسوخ آيتان:

- الآية الأولى قوله تعالى: {إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ} [ص : ٧٠]، نسخ معناها لا لفظها بآية السيف.

---

[١] انظر: إسلام ويب.[موقع إلكتروني].

- الآية الثانية مختلف فيها فطائفة من أهل العلم يذهبون الى أن قوله تعالى: {وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ} [ص : ٨٨]، من جعل الحين آخر الدهر فلا نسخ عنده، ومن جعل الحين يوم بدر يكون فيه النسخ عندهـ والناسخ عنده آية السيف -والله أعلم-[١].

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ والصافات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان، وتباعد عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك، وشهد له حافظاه يوم القيامة أنه كان مؤمنا بالمرسلين»[٢].
- عن عائشة-رضي الله عنها :"أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا تضور –أي: تقلب من الليل- قال: «لا إله إلا الله الواحد القهار، رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار»"[٣]. وذلك اخذا من قوله تعالى:{قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٦٥) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (٦٦)} [ص : ٦٥ - ٦٦].

---

[١] انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١٤٨.

[٢] أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان:١٧٥/٨، والواحدي في الوسيط(٧٩٠):ص٥٣٧/٣، وذكره المستغفري في الفضائل(١٢٠٥):ص٧٨٣/٢ [ضعيف].

[٣] أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٧٦٤١):١٣٥/٧، وابن السني (٧٦٢)، والحاكم ٥٤٠/١، والبيهقي في " الأسماء والصفات " ٤٢/١، وصححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي!

سورة «الزمّر»

سورة «الزمّر»: هي السورة «التاسعة والثلاثون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «التاسعة والخمسون» في ترتيب النزول على المختار، نزلت بعد سورة: «سبأ»[1]، وقبل سورة غافر، وعدد آياتها خمسون وسبعون آية فى عدّ الكوفي، وثلاث فى عد الشامى، والباقين. وكلماتها ألف ومائة وسبعون. وحروفها أربعة آلاف وسبعمائة وثمان[2].

والآيات المختلف فيها سبع: {فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} [الزمر : ٣]، {مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ} [الزمر : ١١]، {مُخْلِصًا لَهُ دِينِي} [الزمر : ١٤]، و{مِنْ هَاد} [الزمر : ٣٦]، {فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} [الزمر : ٣٩] ، {فَبَشِّرْ عِبَاد} [الزمر : ١٧]، {مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَار} [الزمر : ٢٠]، مجموع فواصل آياتها :«من ولى يدر»[3].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة الزمّر»:**

سميت في المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة والآثار عن السلف سورة «الزمّر» وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم سميت بهذا الاسم؛ لوقوع هذا اللفظ فيها دون غيرها من سور القرآن؛ وذلك قوله تعالى: {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلى جَهَنَّمَ زُمَراً} [الآية ٧١]، وقوله سبحانه: {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الجَنَّةِ زُمَراً} [الآية ٧٣]، فذكر فيها زمر الفريقين أهل الشقاوة وأهل السعادة وتفصيل الجزاء وإلزام الحجة وبطلان المعذرة[4].

ثانيا:- اسمها الإجتهادي: «سورة الغرف»:

وتسمى أيضاً سورة «الغُرَف» وفي تفسير القرطبي، عن وهب بن منبه، أنه سماها سورة «الغُرَف»[5]، وتناقله المفسرون[6].

ووجه ذلك؛ أنها ذُكر فيها لفظ «الغرف»، أي: بهذه الصيغة دون «الغرفات»، في قوله تعالى:{لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ} [الزمر : ٢٠].

و«الغرف»: جمع غرفة، و«الغرفة»: العِلِّيّة، و«الغرفة»-أيضا-: السماء السابعة؛ قال لبيد[7]:

سَوَّى فأَغلَقَ دونَ غرة عَرْشِهِ[8]، ... سَبْعاً طباقاً، وفوق فَرْع المَنْقل[9][10].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

---

[1] انظر: الكشاف:١١٠/٤.

[2] انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤٠٣.

[3] انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

[4] انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤٠٣.

[5] انظر: تفسير القرطبي: ٢٣٢/١٥.

[6] انظر مثلا: معاني القرآن للزجاج:٣٤٣/٤، والكشاف: ١١٠/٤، وتفسير السمعاني: ٤٥٧/٤، وزاد المسير: ٧/٤، وتفسير القرطبي: ٢٣٢/١٥، وغيرها. وانظر: جمال القرآء: ٩١، والإتقان: ١٩٤/١.

[7] ديوانه: ص ١٢٦.

[8] ويروى: دون غرفة عرشه، كما في تهذيب اللغة(غرف): ٨/ ١٠٤، واللسان (غرف): ص٢٦٤/٩.

[9] المنقل: ظهر الجبل.

[10] انظر: اللسان: (غرف): ص٢٦٤/٩.

هي مكية، نزلت قبيل هجرة المؤمنين إلى الحبشة، أي: في سنة خمس قبل الهجرة، وقد اختلف أهل العلم في مكان نزول السورة على أقوال:

أحدهما: أنها نزلت بمكة. قاله ابن عباس[١]، والحسن[٢]، ومجاهد[٣]، وعطاء[٤]، عكرمة[٥]، وقتادة[٦]، وجابر بن زيد[٧].

قال ابن عاشور:" هي مكية كلها عند الجمهور"[٨].

الثاني: أنها مكية، إلا قوله: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا} [الزمر : ٥٣]... الآية. قاله الزمخشري[٩].

الثالث: أنها مكية إلا آيتين نزلتا بالمدينة، إحداهما: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ} [الزمر : ٢٣]، والأخرى:{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِم} [الزمر : ٥٣] الآية. حكاه القرطبي عن ابن عباس[١٠].

الرابع: أنها مكية سوى ثلاث آيات نزلت بالمدينة في وحشي قاتل حمزة:{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر : ٥٣] إلى ثلاث آيات. وهذا مروي عن ابن عباس أيضا[١١]. وبه قال مقاتل[١٢]، وابن قتيبة[١٣]، والزجاج[١٤].

الخامس: أنها مكية إلا سبع آيات من قوله تعالى:{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِم} [الزمر : ٥٣]، إلى آخر سبع آيات نزلت في وحشي وأصحابه. حكاه القرطبي[١٥].

قال ابن عاشور:" المتجه: أنها كلها مكية وأن ما يخيل أنه نزل في قصص معينة إن صحت أسانيده أن يكون وقع التمثل به في تلك القصص فاشتبه على بعض الرواة بأنه سبب نزول"[١٦].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

من وجه اتصال «سورة الزمّر» لما قبلها:

١- إنه وصف القرآن في آخر سورة «ص» بقوله: {إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ} [ص : ٨٧]، ووصفه هنا بقوله: {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} [الزمر : ١].

---

[١] أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢١٠/٧، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.
[٢] انظر: زاد المسير: ٧/٤، وتفسير القرطبي: ٢٣٢/١٥.
[٣] انظر: زاد المسير: ٧/٤.
[٤] انظر: تفسيرا لقرطبي: ٢٣٢/١٥.
[٥] انظر: زاد المسير: ٧/٤، وتفسير القرطبي: ٢٣٢/١٥.
[٦] انظر: زاد المسير: ٧/٤.
[٧] انظر: زاد المسير: ٧/٤، وتفسير القرطبي: ٢٣٢/١٥.
[٨] المحرر الوجيز: ٣١١/٢٣.
[٩] انظر: الكشاف: ١١٠/٤.
[١٠] انظر: تفسيرا لقرطبي: ٢٣٢/١٥.
[١١] أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢١٠/٧، وعزاه إلى النحاس في تاريخه. وانظر: معاني القرآن للنحاس: ١٤٧/٦.
[١٢] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٦٧/٣.
[١٣] انظر: غريب القرآن: ٣٨٢.
[١٤] انظر: معاني القرآن: ٣٤٣/٤.
[١٥] انظر: تفسيرا لقرطبي: ٢٣٢/١٥.
[١٦] المحرر الوجيز: ٣١٢/٢٣.

٢- إنه ذكر في «ص» أحوال الخلق من المبدأ إلى المعاد، وذكر هنا مثله- إلى نحو ذلك من وجوه للربط تظهر بالتأمل[١].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

١- التنويه بشأن القرآن تنويهاً تكرر في ستة مواضع من هذه السورة؛ لأن القرآن جامع لمقاصدها، ومقاصدها كثيرة، تحوم حول إثبات تفرد الله تعالى بالإلهية، وإبطال الشرك فيها، وإبطال تعللات المشركين؛ لإشراكهم وأكاذيبهم، ونفي ضَرْب من ضروب الإشراك، وهو زعمهم أن لله ولداً.

٢- الاستدلال على وحدانية الله في الإلهية بدلائل تفرده بإيجاد العوالم العلوية والسفلية، وبتدبير نظامها، وما تحتوي عليه مما لا ينكر المشركون انفراده به.

قال سيد قطب:" هذه السورة تكاد تكون مقصورة على علاج قضية التوحيد. وهي تطوف بالقلب البشري في جولات متعاقبة وتوقع على أوتاره إيقاعات متلاحقة وتهزه هزا عميقا متواصلا لتطبع فيه حقيقة التوحيد وتمكنها، وتنفي عنه كل شبهة وكل ظل يشوب هذه الحقيقة"[٢].

٣- الإشارة إلى الخلق العجيب في أطوار تكون الإنسان والحيوان، والاستدلال عليهم بدليل من فعلهم، وهو التجاؤهم إلى الله عند ما يصيبهم الضر.

٤- بيان أن دين التوحيد هو الذي جاءت به الرسل من قبل. والتحذير من أن يحل بالمشركين ما حل بأهل الشرك من الأمم الماضية.

٥- إعلام المشركين بأنهم وشركاءهم لا يُعبأ بهم عند الله وعند رسوله صلى الله عليه وسلم؛ فالله غني عن عبادتهم، ورسوله لا يخشاهم، ولا يخاف أصنامهم؛ لأن الله كفاه إياهم جميعاً.

٦- الدلالة على أنه سبحانه صادق الوعد، وأنه غالب لكل شيء، فلا يعجل؛ لأنه لا يفوته شيء، ويضع الأشياء في أوفق محالها.

٧- تمثيل حال المؤمنين وحال المشركين في الحياتين: الحياة الدنيا، والحياة الآخرة.

٨- دعاء المشركين للإقلاع عن الإسراف على أنفسهم، ودعاء المؤمنين للثبات على التقوى ومفارقة دار الكفر.

٩- تخلل السورة وعيد ووعد، وأمثال، وترهيب وترغيب، ووعظ، وإيماء بقوله:{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [الزمر : ٩]، إلى أن شأن المؤمنين أنهم أهل علم، وأن المشركين أهل جهالة؛ وذلك تنويه برفعة العلم، ومذمة الجهل.

١٠- دعوة الناس إلى التدبر فيما يُلقى إليهم من القرآن، الذي هو أحسن الحديث. وتنبيههم على كفرانهم شكر النعمة. والمقابلة بين حالهم وبين حال المؤمنين المخلصين لله.

١١- تضمنت السورة لمسات من واقع حياة البشر، وسبر أغوار نفوسهم،{وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ} [الزمر : ٨] {فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ} [الزمر : ٤٩].

١٢- إثبات البعث والجزاء؛ لتجزى كل نفس بما كسبت، وتمثيل البعث بإحياء الأرض بعد موتها، وضرب لهم مثله بالنوم والإفاقة بعده، وأنه يوم الفصل بين المؤمنين والمشركين.

١٣- بيان أنه سبحانه أنزل كلاً من المحشورين داره المعدة له، بعد الإعذار في الإنذار، والحكم بينهم بما استحقه أعمالهم؛ عدلاً منه سبحانه بأهل النار، وفضلاً على المتقين الأبرار.

---

[١] انظر: تفسير المراغي:١٤١/٢٣.

[٢] في ظلال القرآن: ٣٠٣٣/٥.

١٤-صورت السورة بعضاً من مشاهد القيامة، وما فيها من فزع، {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ} [الزمر : ٦٨]. ومشاهد أُخر فيها إنابة وخشوع:{وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الزمر : ٧٥] .

١٥-خُتمت السورة بصورة من صور يوم الحساب للفصل بين العباد؛ حيث الملائكة محيطون حول عرش الرحمن، يسبحون بحمده، ويحمدونه على قضائه وعدله بين العباد[١].

الناسخ والمنسوخ:

وذكروا فيها من المنسوخ سبع آيات:

- الآية الأولى: قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُون} [الزمر : ٣]، نسخت بآية السيف.
- الآية الثانية: قوله تعالى: {قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} [الزمر : ١٣]، نسخت بقوله: {لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ} [الفتح : ٢].
- الآية الثالثة: قوله تعالى:{فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ} [الزمر : ١٥]، نسخت بآية السيف.

وقال ابن الجوزي:" ليس هذا بأمر وإنما هو تهديد، وهو محكم فهو كقوله: {اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ}، وقد زعم بعض من لا فهم له أنه منسوخ بآية السيف وإنما قال هذا، لأنه ظن أنه أمر، وهذا ظن فاسد وخيال رديء"[٢].

- الآية الرابعة: قوله تعالى :{أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ} [الزمر : ٣٧]، نسخ الأمر من الخبر بآية السيف.
- الآية الخامسة والسادسة: قوله تعالى:{قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} [الزمر : ٣٩]، نسخت ايضا بآية السيف، وكذا قوله:{مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ} [الزمر : ٤٠]، نسخ بآية السيف.

وقال ابن الجوزي:" زعم بعض المفسرين أنهما نسختا بآية السيف، وإذا كان معناهما التهديد والوعيد، فلا وجه للنسخ"[٣].

- الآية السابعة قوله تعالى:{فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ} [الزمر : ٤١]، نسخت بآية السيف.
- الآية السابعة: قوله تعالى:{قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} [الزمر : ٤٦]، نسخ معناها لا لفظها بآية السيف[٤].

قال ابن الجوزي:" زعم بعض ناقلي التفسير أن معناه نسخ بآية السيف، وليس هذا بصحيح؛ لأن حكم الله بين عباده في الدنيا بإظهار حجج المحقين وإبطال شبه الملحدين، وفي الآخرة بإدخال هؤلاء الجنة وهؤلاء النار، وهذا لا ينافي قتالهم""[١].

---

[١] انظر: إسلام ويب.[موقع إلكتروني].
[٢] نواسخ القرآن: ١٨٧.
[٣] نواسخ القرآن: ١٨٧.
[٤] انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١٤٩-١٥١.

فضائل السورة:

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن أبي لبابة العقيلي قال: سمعت عائشة تقول: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول: ما يريد أن يفطر، ويفطر حتى نقول: ما يريد أن يصوم، وكان يقرأ في كل ليلة ببني إسرائيل، والزمر"[٢].
- قال وهب بن منبه:" من أراد أن يعرف قضاء الله في خلقه، فليقرأ آخر سورة الزمر"[٣].

---

[١] نواسخ القرآن: ١٨٧.

[٢] أخرجه احمد في المسند(٢٤٣٨٨):ص٤٥٢/٤٠، وأخرجه بتمامه ومختصرا إسحاق بن راهويه (١٣٧٢) ، والترمذي (٢٩٢٠) و (٣٤٠٥)، وقال: «هذا حديث حسن غريب ». واخرجه النسائي في "المجتبى" ١٩٩/٤، وفي "الكبرى" (٣٦٥٦) و (١٤٤٤) - وهو في "عمل اليوم والليلة" (٧١٢) - وابن خزيمة (١١٦٣) ، وابن السني في "عمل اليوم والليلة" (٦٧٨) ، والحاكم ٤٣٤/٢، والبيهقي في

"الشعب" (٢٤٧٠) ، وفي "الدعوات الكبير" (٣٥٩) ، والمزي في "تهذيب الكمال" (في ترجمة مروان أبي لبابة) من طرق عن حماد بن زيد، به. ولفظه عند الترمذي: "كان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينام على فراشه حتى يقرأ بني إسرائيل والزمر. وقال: هذا حديث حسن غريب، وسكت عنه الحاكم، ووافقه الذهبي.

وأخرجه أبو يعلى (٤٦٤٣) و (٤٧٦٤) من طريق حسن بن عمر بن شقيق، عن حماد، به مختصرا، إلا أنه قال: تنزيل السجدة بدل بني إسرائيل.

والحديث صحيح دون قوله: «وكان يقرأ في كل ليلة ببني إسرائيل والزمر»، وهذا إسناد فيه أبو لبابة العقيلي، وهو مروان مولى عائشة رضي الله عنها، ويقال: مولى هند بنت المهلب بن أبي صفرة، ويقال: مولى عبد الرحمن بن زياد العقيلي، ويقع ابن معين، والذهبي في "الكاشف"، وابن حجر في "التقريب"، وذكره ابن حبان في "الثقات " لكن الذهبي نص في "الميزان" ٥٦٥/٤ على أن خبره منكر، وتوقف فيه ابن خزيمة في "صحيحه" (١١٦٣) ، فقال: باب استحباب قراءة بني إسرائيل والزمر كل ليلة استنادا بالنبي صلى الله عليه وسلم، إن كان أبو لبابة هذا يجوز الاحتجاج بخبره، فإني لا أعرفه بعدالة ولا جرح، قلنا: حسن حديثه الترمذى، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين. حسن: هو ابن موسى الأشيب".

[٣] أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٦٧/٧. وعزاه إلى عبد بن حميد.

سورة «غافر»

سورة «غافر»: هي السورة «الأربعون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «الستون» بحسب ترتيب النزول، نزلت بعد «سورة الزمّر»، وقبل «سورة فصلت»، وهي أول سور «آل حم» نزولاً[1].

وعدد آياتها خمس وثمانون فى عد الكوفة والشام، وأربع في الحجاز، واثنتان فى البصرة. وكلماتها ألف ومائة وتسع وتسعون. وحروفها أربعة آلاف وتسعمائة وستون[2].

والآيات المختلف فيها تسع: {حم (١)} [غافر : ١]، {كَاظِمِينَ } [غافر : ١٨]، {التَّلَاقِ} [غافر : ١٥]، {بَارِزُونَ } [غافر : ١٦]،{إِسْرَائِيلَ } [غافر : ٥٣] ، {فِي الْحَمِيمِ} [غافر : ٧٢]، {وَالْبَصِيرُ } [غافر : ٥٨]، {يُسْحَبُونَ} [غافر : ٧١]، {كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ} [غافر : ٧٣]. ومجموع فواصل آياتها: «من علق وتر» [3].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- أسماؤها التوقيفية:**
- **الاسم الأول:«سورة غافر»:**

وتسمى «سورة غافر»،{لذكر وصفه تعالى:{غَافِرِ الذَّنْبِ} [غافر : ٣] في أولها. وبهذا الاسم اشتهرت في مصاحف المغرب .

- **الاسم الثاني:« سورة المؤمن»:**

وردت تسمية هذه السورة في السنة «حم المؤمن» كما في حديث الترمذي الآتي[4]، وبذلك اشتهرت في مصاحف المشرق، وبهذا الاسم ترجمها البخاري في: «صحيحه»[5] والترمذي في:«سننه»[6]. ووجه التسمية أنها ذُكرت فيها قصة : مؤمن آل فرعون، ولم تذكر في سورة أخرى بوجه صريح.

ثانيا:- اسماؤها الاجتهادية:

- **الاسم الاول: «سورة الطول»:**

وتسمى أيضاً سورة «الطَّوْل» لقوله تعالى في أولها: {ذِي الطَّوْلِ} [غافر : ٣]، وقد تنوسي هذا الاسم.

- **الاسم الثاني: «سورة حم الأولى»:**

سمّاها بها الفيروزآبادي في كتابه البصائر[7]، وعللّ تسميتها بهذا الاسم لكونها "أولى ذوات «حم»"[8]، دون استناد إلى حديث في كلامه.

قال تاج القرآء:" وسميت هذه السورَ السبع :«حم» على الاشتراك في الاسم لما بينهن من التشاكل الذي اختصت به، وهو أن كل واحدة استفتحت بالكتاب أو صفة الكتاب، مع تقارب المقادير في الطول والقصر وتشاكل الكلام في النظام"[9].

---

[1] انظر: التحرير والتنوير: ٧٦/٢٤.
[2] انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤٠٩.
[3] انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.
[4] سيأتي في فضائل السورة.
[5] انظر: صحيح البخاري:١٢٦/٦.
[6] انظر: سنن لترمذي: ٢٢٥/٥.
[7] انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤٠٩.
[8] انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.
[9] غرائب التفسير وعجائب التأويل: ١٠٣٧/٢.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

اختلف أهل العلم في مكان نزول السورة على اقوال:

أحدها: أنها نزلت بمكة. قاله ابن عباس[١]، ومسروق[٢]، وسمرة بن جندب[٣]، والحسن[٤]، وعطاء[٥]، وعكرمة[٦]، وجابر[٧].

قال ابن عباس:" أنزلت الحواميم السبع بمكة"[٨].

قال الشعبي:" أخبرني مسروق أن آل حم، إنما نزلت بمكة"[٩].

قال سمرة بن جندب:" نزلت الحواميم جميعا بمكة"[١٠].

الثاني: أنها مكية، إلا قوله: {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ} [غافر : ٥٥]... الآية، لأن الصلوات نزلت بالمدينة. قاله الحسن[١١].

الثالث: أنها مكية، إلا قوله: {إِنَّ الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطانٍ أَتاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبالِغِيه}[غافر: ٥٦]. وهذا قول أبي العالية[١٢].

عن أبي العالية، قال: "إن اليهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: إن الدجال يكون منا في آخر الزمان، ويكون من أمره فعظموا امره، وقالوا: يصنع كذا ... فأنزل الله: {إِنَّ الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطانٍ أَتاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبالِغِيه}، قال: لا يبلغ الذي يقول فاستعذ بالله فأمر نبيه- صلى الله عليه وسلم- أن يتعوذ من فتنة الدجال لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس الدجال"[١٣].

الرابع: أنها مكية إلا آيتين منها نزلتا بالمدينة وهما:{إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ ال} [غافر : ٥٦] والتي بعدها. قاله ابن عباس-أيضا-[١٤]، وقتادة[١٥].

قال الفيروزآبادي:" السورة مكية بالاتفاق"[١].

---

[١] انظر: الدر المنثور: ٢٦٨/٧، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه والنحاس والبيهقي في الدلائل.
[٢] انظر: تفسير الطبري: ١٠٣/٢٢.
[٣] انظر: الدر المنثور: ٢٦٨/٧، وعزاه إلى ابن مردويه والديلمي.
[٤] انظر: النكت والعيون: ١٤١/٥.
[٥] انظر: النكت والعيون: ١٤١/٥.
[٦] انظر: النكت والعيون: ١٤١/٥.
[٧] انظر: النكت والعيون: ١٤١/٥.
[٨] أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٦٨/٧، وعزاه ابن الضريس والنحاس والبيهقي في الدلائل.
[٩] أخرجه الطبري: ١٠٣/٢١.
[١٠] أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٦٨/٧، وعزاه إلى ابن مردويه والديلمي.
[١١] انظر: الكشاف: ١٤٨/٤.
[١٢] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٤٤٠):ص٣٢٦٨/١٠.
[١٣] أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٤٤٠):ص٣٢٦٨/١٠.
[١٤] انظر: النكت والعيون: ١٤١/٥.
[١٥] انظر: النكت والعيون: ١٤١/٥.

قال ابن عطية:" هذه السورة مكية بإجماع، وقد روي في بعض آياتها أنها مدنية، وهذا ضعيف، والأول أصح"[٢].

قال ابن عاشور:"هي مكية بالاتفاق وعن الحسن استثناء قوله تعالى: {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ} [غافر : ٥٥]، لأنه كان يرى أنها نزلت في فرض الصلوات الخمس وأوقاتها، ويرى أن فرض صلوات خمس وأوقاتها ما وقع إلا في المدينة وإنما كان المفروض بمكة ركعتين كل يوم من غير توقيت، وهو من بناء ضعيف على ضعيف فإن الجمهور على أن الصلوات الخمس فرضت بمكة في أوقاتها على أنه لا يتعين أن يكون المراد بالتسبيح في تلك الآية الصلوات بل يحمل على ظاهر لفظه من كل قول ينزه به الله تعالى"[٣].

وقال ابن عاشور:" وأشذ منه ما روي عن أبي العالية أن قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطانٍ أَتاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبالِغِيه}[غافر: ٥٦]، نزلت في يهود من المدينة جادلوا النبيء صلى الله عليه وسلم في أمر الدجال وزعموا أنه منهم. وقد جاء في أول السورة {مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا} [غافر : ٤]. والمراد بهم: المشركون"[٤].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

من وجه اتصال «سورة غافر» لما قبلها:

١- إنه ذكر في سابقتها ما يئول إليه حال الكافر وحال المؤمن، وذكر هنا أنه غافر الذنب، ليكون ذلك استدعاء للكافر إلى الإيمان والإقلاع عن الكفر.
٢- إنه ذكر في كل منهما أحوال يوم القيامة، وأحوال الكفار فيه وهم في المحشر وهم في النار[٥].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

إن مقصود السورة إجمالاً معالجة قضية الحق والباطل، وقضية الإيمان والكفر، وقضية الدعوة والتكذيب، وأخيراً قضية العلو في الأرض والتجبر بغير الحق، وبأس الله الذي يأخذ العالين المتجبرين. وفي أثناء هذه القضية تلم السورة بموقف المؤمنين المهتدين الطائعين، ونصر الله إياهم، واستغفار الملائكة لهم، واستجابة الله لدعائهم، وما ينتظرهم في الآخرة من نعيم مقيم.

وتفصيل هذه المقاصد التي اشتملت عليها هذه السورة جاءت وفق التالي:

١- ابتدأت السورة بما يقتضي تحدي المعاندين في صدق القرآن، كما اقتضاه الحرفان المقطعان في فاتحتها:{حم (١)} [غافر : ١]،وأجري على اسم الله تعالى من صفاته ما فيه تعريض بدعوتهم إلى الإقلاع عما هم فيه، فكانت فاتحة السورة مثل ديباجة الخطبة، مشيرة إلى الغرض من تنزيلها.
٢- حملة العرش ومن حوله يعلنون إيمانهم بربهم، ويتوجهون إليه بالعبادة، ويستغفرون للذين آمنوا من أهل الأرض، ويدعون لهم بالمغفرة والنعيم والفلاح.

---

[١]بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٠٩/١.

[٢] المحرر الوجيز: ٥٤٥/٤.
[٣] المحرر الوجيز: ٧٥/٢٤.
[٤] المحرر الوجيز: ٧٥/٢٤-٧٦.
[٥] انظر: تفسير المراغي:٤١/٢٤.

٣- بيان أن دلائل تنزيل هذا الكتاب من الله بينة، لا يجحدها إلا الكافرون من الاعتراف بها حسداً، وأن جدالهم تشغيب وتعنت، لا طائل من ورائه. وقد تكرر ذكر المجادلين في آيات الله خمس مرات في هذه السورة.
٤- تمثيل حال المجادلين بحال الأمم التي كذبت رسل الله بذكرهم إجمالاً، ثم التنبيه على آثار استئصالهم، وضرب المثل بقوم فرعون.
٥- تقرير أن الذين يجادلون في آيات الله بغير حجة ولا برهان، إنما يدفعهم إلى هذا كِبْرٌ في نفوسهم عن الحق، وهم أصغر وأضأل من هذا الكبر. ويوجه القلوب إلى هذا الوجود الكبير الذي خلقه الله، وهو أكبر من الناس جميعاً، لعل المتكبرين يتصاغرون أمام عظمة خلق الله، وتتفتح بصيرتهم، فلا يكونون عمياً.
٦- بيان أن الوجود كله مُسْلِمٌ مستسلم لله، وأنه لا يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا، فيشذون عن سائر الوجود بهذا الجدال.
٧- التذكير بمجيء الساعة، والتوجيه إلى دعاء الله، الذي يستجيب لدعاء من دعاه؛ فأما الذين يستكبرون، فسيدخلون جهنم أذلاء صغراء، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يبرأ من عبادة المستكبرين، ويعلن نهي ربه له عن آلهتهم، وأمره له بالإسلام والاستسلام لرب العالمين.
٨- عرض مشهد الكافرين يوم القيامة، وهم ينادون من أرجاء الوجود المؤمن المسلم المستسلم، وهم في موقف الذلة والانكسار بعد التكبر والاستكبار، يقرون بذنبهم، ويعترفون بربهم، فلا ينفعهم الاعتراف والإقرار، إنما يُذَكَّرون بما كان منهم من شرك واستكبار.
٩- عرض جانب من قصة موسى عليه السلام مع فرعون وهامان وقارون، تمثل موقف الطغيان من دعوة الحق. فيها ظهور رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه، يدفع عن موسى ما هموا بقتله، ويصدع بكلمة الحق والإيمان في تلطف وحذر في أول الأمر، ثم في صراحة ووضوح في نهايته. يعرض في جدله مع فرعون حجج الحق وبراهينه قوية ناصعة، ويحذرهم يوم القيامة، ويمثل لهم بعض مشاهده في أسلوب مؤثر، ويذكرهم موقفهم وموقف الأجيال قبلهم من يوسف عليه السلام ورسالته.
١٠- حوار بين الضعفاء والذين استكبروا، وحوار لهم جميعاً مع خزنة جهنم، يطلبون فيه الخلاص. ولات حين خلاص! وفي ظل هذا المشهد يوجه الله رسوله صلى الله عليه وسلم إلى الصبر والثقة بوعد الله الحق، والتوجه إلى ربه بالتسبيح والحمد والاستغفار.
١١- التنبيه على دلائل تفرد الله تعالى بالإلهية إجمالاً. وإبطال عبادة ما يعبدون من دون الله.
١٢- التذكير بنعم الله على الناس؛ ليزداد الشاكرون شكراً، وليشكره الذين أعرضوا عن شكره.
١٣- عرض مصارع الغابرين، الاستدلال على إمكان البعث، كما يتمثل في عرض مشاهد القيامة، مع بيان أن كل نفس مرت رحلة الامتحان في الحياة الدنيا، تُجزى يوم القيامة بما كسبت، دون أن تُظْلَم شيئاً، مع بيان أن الله سريع الحساب.
١٤- إنذار المجادلين والمعاندين بما يلقون من هول يوم البعث، وما يترقبهم من العذاب، وتوعدهم بأن لا نصير لهم يومئذ، وبأن كبراءهم يتبرؤون منهم. مع عرض مشهد من أحوال المعذبين في النار يوم القيامة، وهو مشهد مخيف لأهل العقول الواعية، الذين لم تنطمس بصائرهم بالأهواء، والشهوات، ووساوس الشياطين، وحب العاجلة، ومتاعات الأنفس فيها.
١٥- توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم، وكل حال رسالة دعوته من بعده أن ينذر المجادلين في آيات الله بغير علم عقاب الله يوم القيامة، ويبين لهم أنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وأنه يقضي بين عباده بالحق، وأن الذين يدعون من دونه من شركاء لا يقضون بشيء، وأن الله هو السميع لشكوى عباده، والمجيب لدعائهم، وأنه هو البصير بحركاتهم وسكناتهم.

١٦- تثبيت الله رسوله صلى الله عليه وسلم بتحقيق نصر هذا الدين في حياته وبعد وفاته. وتوجيه الله رسوله إلى الصبر، والثقة بأن وعد الله حق، سواء أبقاه حتى يشهد بعض ما يعدهم، أو توفاه قبل أن يراه، فسيتم الوعد هناك.
١٧- الثناء على المؤمنين، ووصف كرامتهم، وثناء الملائكة عليهم.
١٨- تعرض السورة بعض آيات الله الكونية، التي يمروا الناس عليها غافلين، وبيان أن في الكون آيات قائمة، وبين أيديهم آيات قريبة، ولكنهم يغفلون عن تدبرها؛ يعرض الليل سكناً والنهار مبصراً، والأرض قراراً والسماء بناء. وتذكير الناس بأنفسهم، وقد صورهم فأحسن صورهم، ويوجههم إلى دعوة الله مخلصين له الدين.
١٩- عرض بعض آيات الله في كونه، ومننه على خلقه، ومنها مِنَّة الله على الخلق بالأنعام.
٢٠- تلويم المكذبين الكافرين، الذي يجادلون في آيات الله بالباطل؛ إذ لم يتعظوا بما شاهدوا في مواطن متعددة من الأرض آثار المهلكين السابقين، الذين كفروا بما جاءتهم به رسل ربهم من الحق، وفرحوا بما عندهم من علم دنيوي، فلما رأوا بأس الله نازل بهم آمنوا، فلم يك ينفعهم حينئذ إيمانهم، وأحاط بهم العذاب، الذي كانوا به يستهزئون ويكذبون، وأهلكم الله ضمن سنته التي يجريها في عباده الأولين والآخِرين. وبهذا المشهد تختم السورة أغراضها ومقاصدها[١].

الناسخ والمنسوخ:

وذكروا فيها من المنسوخ ثلاث آيات:
- الآية الأولى: قوله تعالى :{فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَق} [غافر : ٥٥]، نسختها آية السيف.
- الآية الثانية: قوله تعالى: {فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِير} [غافر : ١٢]، نسخ معنى الحكم في الدنيا بآية السيف.
- الآية الثالثة: قوله تعالى:{فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ} [غافر : ٧٧]، نسخ اولها وآخرها بأية السيف[٢].

قال ابن الجوزي:" قوله تعالى:{ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} [غافر: ٧٧]، هذه الآية في هذه السورة في موضعين وقد ذكروا أنها منسوخة بآية السيف وعلى ما قررنا في نظائرها لا نسخ"[٣].

فضائل السورة:

ومما وردت في فضائل هذه السورة:
- عن عبد الله بن عمرو، قال: "أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أقرئني يا رسول الله، فقال: «اقرأ ثلاثا من ذوات الر»، فقال: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني، قال: «فاقرأ ثلاثا من ذوات حاميم»، فقال مثل مقالته، فقال: «اقرأ ثلاثا من المسبحات»، فقال مثل مقالته، فقال الرجل: يا رسول الله، أقرئني سورة جامعة، فأقرأه النبي صلى الله عليه وسلم إذا زلزلت الأرض حتى فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها أبدا، ثم أدبر الرجل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أفلح الرويجل» مرتين"[٤].

---

[١] انظر: إسلام ويب.[موقع إلكتروني].
[٢] انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١٥٢.
[٣] نواسخ القرآن: ١٨٨.
[٤]"مسند أحمد" (٦٥٧٥) ، وسنن أبي داود(١٣٩٩):ص٥٧/٢، والسنن الكبرى للنسائي (٧٩٧٣) و (١٠٤٨٤) ، وصحيح ابن حبان (٧٧٣):٥٠/٣.

- عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: " من قرأ حم المؤمن إلى {إليه المصير} [غافر: ٣]، وآية الكرسي حين يصبح، حفظ بهما حتى يمسي، ومن قرأهما حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح "[١].
- عن أنس بن مالك رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله أعطاني السبع مكان التوراة وأعطاني الراآت إلى الطواسين مكان الإنجيل وأعطاني ما بين الطواسين إلى الحواميم مكان الزبور وفضلني بالحواميم والمفصل ما قرأهن نبي قبلي»[٢].
- عن المهلب بن أبي صفرة، عمن سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "إن بيتكم العدو، فقولوا: «حم لا ينصرون»"[٣].
- عن سمرة بن جندب -رضي الله عنه- مرفوعا:" الحواميم روضة من رياض الجنة"[٤].
- عن الخليل بن مرة -رضي الله عنه-أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"الحواميم سبع وأبواب جهنم سبع تجيء كل حم منها تقف على باب من هذه الأبواب تقول: اللهم لا تدخل من هذا الباب من كان يؤمن بي ويقرأني"[٥].
- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "إن لكل شيء لبابا وإن لباب القرآن الحواميم"[٦].
- عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: "الحواميم ديباج القرآن"[٧]. ورواه أنس بن مالك مرفوعا[٨].

إسناده حسن، من أجل عيسى بن هلال الصدفي، وصححه الحاكم والذهبي.

وقوله: من ذوات (الر)، أي: من السور التي تبدأ بهذه الأحرف الثلاثة التي تقرأ مقطعة: ألف، لام، را، والذي في القرآن منها خمس سور: يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.

وقوله من ذوات {حم}، أي: من السور التي تبدأ بهذين الحرفين: حا، ميم، وهي في القرآن سبع سور: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.

وقوله: من المسبحات، أي: السور التي أولها سَبَّح ويُسَبحُ وسَبح، وهي الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى.

[١] أخرجه الترمذي(٢٨٧٩):ص١٥٧/٥، وقال:" ذا حديث غريب، وقد تكلم بعض أهل العلم في عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي مليكة المليكي من قبل حفظه".

و[حكم الألباني] : ضعيف، المشكاة (٢١٤٤ / التحقيق الثاني)، ضعيف الجامع الصغير (٥٧٦٩).

[٢] أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٦٨/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.

[٣] اخرجه الترمذي(١٦٨٢):ص٢٤٩/٣. إسناده صحيح.

وأخرجه عبد الرزاق في "المصنف" (٩٤٦٧) ، وأبو داود (٢٥٩٧) ، والترمذي (١٦٨٢) ، وابن الجارود في "المنتقى" (١٠٦٣) ، والحاكم ١٠٧/٢، والبيهقي في "السنن" ٣٦١/٦-٣٦٢.

وأخرجه احمد(١٦٦١٥):ص١٦٢/٢٧. بلفظ: «ما أراهم الليلة إلا سيبيتونكم فإن فعلوا فشعاركم:«حم لا ينصرون».

وأخرجه النسائي في "الكبرى" (٨٨٦١) و (١٠٤٥٣) - وهو في "عمل اليوم والليلة" (٦١٧) - ، وفيه: «كان ذلك يوم الخندق».

[٤] أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٦٩/٧، وعزاه إلى الديلمي وابن مردويه.

[٥] أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٦٩/٧، وعزاه إلى البيهقي في شعب الإيمان.

[٦] أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٦٨/٧، وعزاه إلى أبي عبيد في فضائله.

[٧] أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٦٨/٧، وعزاه إلى أبي عبيد وابن الضريس وابن المنذر والحاكم والبيهقي في شعب الإيمان.

[٨] انظر: الدر المنثور: ٢٦٩/٧.

- عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال:"إذا وقعت في الحواميم وقعت في روضات أتأنق فيهن"[١].
- عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال:"إن مثل القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله منزلا فمر بأثر غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه إذ هبط على روضات دمثات فقال: عجبت من الغيث الأول فهذا أعجب وأعجب. فقيل له: إن مثل الغيث الأول كمثل عظم القرآن وإن مثل هؤلاء الروضات الدمثات مثل: «آل حم»[٢] في القرآن"[٣].

فقوله: «حم لا ينصرون»: فإنه مع كونه علامة دعاء عليهم أيضا.

قال السندي:" «فشعاركم»، أي: علامتكم التي تتميزون أنتم فيما بينكم بها من عدوكم"[٤].

- عن سعد بن إبراهيم، قال: «كل الحواميم يسمين العرائس»[٥].
- عن أبي الدرداء -رضي الله عنه:"أنه بنى مسجدا فقيل له: ما هذا؟ فقال: لآل حم"[٦].

---

[١] أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٦٨/٧، وعزاه إلى أبي عبيد ومحمد بن نصر وابن المنذر.

[٢] قال ابن عاشور:" السور المفتتحة بكلمة حم سبع سور مرتبة في المصحف على ترتيبها في النزول ويدعى مجموعها «آل حم» جعلوا لها اسم (آل) لتآخيها في فواتحها. فكأنها أسرة واحدة وكلمة (آل) تضاف إلى ذي شرف (ويقال لغير المقصود تشريفه أهل فلان) قال الكميت:

قرأنا لكم في آل حاميم آية ... تأولها منا فقيه ومعرب

يريد قول الله تعالى في سورة «حم عسق» قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة في القربى [الشورى: ٢٣] على تأويل غير ابن عباس فلذلك عززه بقوله: تأولها منا فقيه ومعرب". [التحرير والتنوير:٧٦/٢٤].
والبيت هو ٢٩ من يائيته فى الهاشميات وهو فى الكتاب ٢/ ٢٨ والطبري ٢٤/ ٢٤ والشنتمرى ٢/ ٣٠ والقرطبي ١/ ٢٨٨.

[٣] أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٦٨/٧-٢٦٩، وعزاه إلى محمد بن نصر وحميد بن زنجويه.
[٤] انظر: مسند احمد: ١٦٣/٢٧.ط. الرسالة. أفاده المحقق.
[٥] مسند ابن ابي شيبة(٣٠٢٨٤):ص١٥٣/٦، وسنن الدارمي(٣٤٦٥):ص٢١٥٢/٤، وشعب الإيمان(٢٢٥٣):ص١٠٦/٤.
إسناده صحيح إلى سعد بن إبراهيم وهو موقوف عليه.
[٦] اورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٦٩/٧، وعزاه إلى أبي عبيد وابن سعد ومحمد بن نصر والحاكم.

سورة «فصّلت»

سورة «فصّلت»: هي السورة «الواحد والأربعون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «الحادية والستون» بحسب ترتيب النزول، نزلت بعد «سورة غافر»، وقبل «سورة الزخرف»، وهي السورة الثانية من الحواميم السبع بعد «سورة غافر»[١].

عدد آياتها أربع وخمسون فى عد الكوفة، وثلاث فى عد الحجاز، واثنتان فى عد البصرة، والشام. وكلماتها سبعمائة وست وتسعون. وحروفها ثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمسون، والمختلف فيها آيتان: {حم (١)} [فصلت : ١]، {عَادٍ وَثَمُودَ} [فصلت : ١٣]، مجموع فواصل آياتها «ظن طب حرم صد»[٢].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- أسمها التوقيفي: «سورة فصلت»:**

لاسم المشهور لها هو «سورة فصلت»؛ لوقوع كلمة:{كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ} [فصلت : ٣] في أولها، فعُرفت بها .

ثانيا:- اسماؤها الإجتهادية:

- **الاسم الأول:« حم السجدة»:**

تسمى «حم السجدة» بإضافة «حم» إلى «السجدة»، وبذلك ترجمت في «صحيح البخاري»[٣]، لأنها تميزت عن السور المفتتحة بحروف «حم» بأن فيها سجدة من سجود القرآن[٤].

قال المهايمي:" سميت بها لاشتمالها على آية سجدة. تدل على بطلان عبادة المظاهر بالكلية. وأن الله يستحق بذاته أجل العبادات، وهذا من أعظم مقاصد القرآن"[٥].

- **الاسم الثاني: «سورة السجدة»:**

وسميت في معظم مصاحف المشرق والتفاسير:«سورة السجدة»، وهو اختصار قولهم: «حم السجدة»، وليس تمييزا لها بذات السجدة[٦].

- **الاسم الثالث: «سورة المصابيح»:**

وتسمى :«سورة المصابيح»، لقوله تعالى فيها: {وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ} [فصلت : ١٢]. ذكره الكواشي[٧].

- **الاسم الرابع: «سورة الأقوات»:**

---

[١] انظر: تفسير المراغي: ١٠٢/٢٤، والتحرير والتنوير: ٢٢٨/٢٤.
[٢] انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤١٣.
[٣] انظر: صحيح البخاري:١٢٧/٦.
[٤] انظر: التحرير والتنوير: ٢٢٧/٢٣.
[٥] نقلا عن محاسن التأويل: ٣٢٣/٨.
[٦] نقلا عن: التحرير والتنوير: ٢٢٧/٢٤.
[٧]نقلا عن: التحرير والتنوير: ٢٢٧/٢٤.
والكواشي: هو أحمد بن يوسف بن حسن بن رافع، موفق الدين أبو العباس الكواشي- قلعة من بلاد الموصل- المولود سنة ٥٩٠ هـ، الشافعي المقرئ المفسر الزاهد، بقية الأعلام، قرأ على والده، وقدم دمشق، وأخذ عن السخاوي وغيره، وتقدم في معرفة التفسير والقراءات والعربية، توفي سنة (٦٨٠ هـ).
انظر ترجمته في : معرفة القراء (٢/ ٦٨٥) وانظر غاية النهاية (١/ ١٥١) وشذرات الذهب (٥/ ٣٦٥) وطبقات المفسرين للداودي (١/ ١٠٠)، والعبر في خبر من غبر (٥/ ٣٢٧).

سميت بذلك لقوله تعالى:{وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا} [فصلت : ١٠]. ذكره الكواشي [١].

- **الاسم الخامس: «سجدة المؤمن»:**

تسمى :«سجدة المؤمن»، ووجه هذه التسمية قصد تمييزها عن سورة :«الم السجدة»، المسماة: «سورة المضاجع»، فأضافوا هذه إلى السورة التي قبلها وهي «سورة المؤمن»، كما ميزوا :«سورة المضاجع» باسم: «سجدة لقمان»، لأنها واقعة بعد سورة لقمان. ذكره الكواشي في «التبصرة»[٢].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

أخرج ابن مردويه عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، قال: "نزلت «حم» السجدة بمكة"[٣]. وروي عن ابن الزبير مثله[٤].

قال ابن الجوزي:" مكية كلها بإجماعهم"[٥].

قال أبو حيان: " هذه السورة مكية بلا خلاف"[٦].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

من وجه اتصال «سورة فصلت» لما قبلها:

١- إنهما اشتركتا في تهديد قريش وتقريعهم، فقد توعدهم في السورة السابقة بقوله:{أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [غافر : ٨٢]، وهددهم هنا بقوله:{فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ} [فصلت : ١٣].

٢- إن كلتيهما بدئت بوصف الكتاب الكريم[٧].

وقال أبو حيان: " مناسبتها لما قبلها، أنه قال في آخر ما قبلها: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ} [غافر : ٨٢]، إلى آخرها، فضمن وعيدا وتهديدا وتقريعا لقريش، فأتبع ذلك التقريع والتوبيخ والتهديد بتوبيخ آخر، فذكر أنه نزل كتابا مفصلا آياته، بشيرا لمن اتبعه، ونذيرا لمن أعرض عنه، وأن أكثر قريش أعرضوا عنه. ثم ذكر قدرة الإله على إيجاد العالم العلوي والسفلي. ثم قال{فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً} [فصلت : ١٣]، فكان هذا كله مناسبا لآخر سورة المؤمن من عدم انتفاع مكذبي الرسل حين التبس بهم العذاب، وكذلك قريش حل بصناديدها من القتل والأسر والنهب والسبي، واستئصال أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حل بعاد وثمود من استئصالهم"[٨].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

يجري سياق السورة بموضوعاتها ومؤثراتها في شوطين اثنين:

---

[١] نقلا عن: التحرير والتنوير: ٢٢٧/٢٤.
[٢] نقلا عن: التحرير والتنوير: ٢٢٧/٢٤.
[٣] الدر المنثور: ٣٠٨/٧..
[٤] انظر: الدر المنثور: ٣٠٨/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.
[٥] زاد المسير: ٤٥/٤.
[٦] البحر المحيط: ٢٨٣/٩.
[٧] انظر: تفسير المراغي:٤١/٢٤.
[٨] البحر المحيط: ٢٨٣/٩.

الشوط الأول: يبدأ بالآيات التي تتحدث عن تنزيل الكتاب وطبيعته وموقف المشركين منه. وتليها قصة خلق السماء والأرض. فقصة عاد وثمود .فمشهدهم في الآخرة، تشهد عليهم الأسماع والأبصار والجلود. ومن هنا يرتد إلى الحديث عنهم في الدنيا، وكيف ضلوا هذا الضلال، فيذكر أن الله قيض لهم قرناء سوء من الجن والإنس، يزينون لهم ما بين أيديهم وما خلفهم. ومن آثار هذا قولهم:{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ} [فصلت : ٢٦]، ثم موقفهم يوم القيامة حانقين على هؤلاء الذين خدعوهم من قرناء الجن والإنس!

وعلى الضفة الأخرى:{الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا} [فصلت : ٣٠]، وهؤلاء تتنزل عليهم الملائكة -لا قرناء السوء- يطمئنونهم، ويبشرونهم ويعلنون ولايتهم لهم في الدنيا والآخرة. ويلي هذا ما جاء عن الدعوة والداعية.

الشوط الثاني:يتحدث عن آيات الله من الليل والنهار والشمس والقمر والملائكة العابدة، والأرض الخاشعة، والحياة التي تهتز فيها وتربو بعد الموات. ويلي هذا الحديث عن الذين يلحدون في آيات الله وفي كتابه، وهنا يجيء ذلك الحديث عن هذا الكتاب. ويشار إلى كتاب موسى عليه السلام، واختلاف قومه فيه. ويوكل أمرهم إلى الله بعد الأجل المضروب. وحديث عن الساعة واختصاص علم الله بها، وعلمه بما تكنه الأكمام من ثمرات، وما تكنه الأرحام من أنسال. ويعرض مشهد الكافرين وهم يسألون عن الشركاء. يلي هذا الحديث عن النفس البشرية عارية من أستارها. ومع حرص الإنسان على نفسه هكذا، فإنه لا يحتاط لها فيكذب ويكفر، غير محتاط لما يعقب هذا التكذيب من دمار وعذاب.

وتختم السورة بوعد من الله أن يكشف للناس عن آياته في الأنفس والآفاق حتى يتبينوا، ويثقوا:{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [فصلت : ٥٣] [١].

قال الفيروزآبادي:" معظم مقصود السورة: بيان شرف القرآن، وإعراض الكفار من قبوله، وكيفية تخليق الأرض والسماء، والإشارة إلى إهلاك عاد وثمود، وشهادة الجوارح على العاصين فى القيامة، وعجز الكفار فى سجن جهنم، وبشارة المؤمنين بالخلود فى الجنان، وشرف المؤذنين بالأذان، والاحتراز من نزغات الشيطان، والحجة والبرهان على وحدانية الرحمن، وبيان شرف القرآن، والنفع والضر، والإساءة، والإحسان، وجزع الكفار عند الابتلاء والامتحان، وإظهار الآيات الدالة على الذات والصفات الحسان، وإحاطة علم الله بكل شىء من الإسرار والإعلان، بقوله: {ألا إنه بكل شيء محيط}"[٢].

---

[١] انظر: إسلام ويب.[موقع إلكتروني].

[٢]بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤١٣/١-٤١٤.

وقال ابن عاشور :" أغراض السورة: التنويه بالقرآن، والإشارة إلى عجزهم عن معارضته، وذكر هديه، وأنه معصوم من أن يتطرقه الباطل، وتأييده بما أنزل إلى الرسل من قبل الإسلام، وتلقي المشركين له بالإعراض وصم الآذان، وإبطال مطاعن المشركين فيه، وتذكيرهم بأن القرآن نزل بلغتهم، فلا عذر لهم أصلاً في عدم انتفاعهم بهديه. وزجر المشركين وتوبيخهم على كفرهم بخالق السماوات والأرض مع بيان ما في خلقها من الدلائل على تفرده بالإلهية. وإنذارهم بما حل بالأمم المكذبة من عذاب الدنيا، ووعيدهم بعذاب الآخرة وشهادة سمعهم وأبصارهم وأجسادهم عليهم، وتحذيرهم من القرناء المزينين لهم الكفر من الشياطين والناس، وأنهم سيندمون يوم القيامة على اتباعهم في الدنيا، وقوبل ذلك بما للموحدين من الكرامة عند الله. وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بدفعهم بالتي هي أحسن، وبالصبر على جفوتهم، وأن يستعيذ بالله من الشيطان. وذكرت دلائل تفرد الله بخلق المخلوقات العظيمة كالشمس والقمر. ودلائل إمكان البعث، وأنه واقع لا محالة، ولا يعلم وقته إلا الله تعالى. وتثبيت النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بتأييد الله إياهم بتنزل الملائكة بالوحي، وبالبشارة للمؤمنين. وتخلل ذلك أمثال مختلفة في ابتداء خلق العوالم، وعِبَرٌ في تقلبات أهل الشرك، والتنويه بإيتاء الزكاة"[١].

وقال سيد قطب :"قضية العقيدة بحقائقها الأساسية هي التي تعالجها هذه السورة...الألوهية الواحدة. والحياة الآخرة. والوحي بالرسالة. يضاف إليها طريقة الدعوة إلى الله وخلق الداعية. وكل ما في السورة هو شرح لهذه الحقائق، واستدلال عليها. وعرض لآيات الله في الأنفس والآفاق، وتحذير من التكذيب بها، وتذكير بمصارع المكذبين في الأجيال السابقة، وعرض لمشاهد المكذبين يوم القيامة. وبيان أن المكذبين من الجن والإنس هم وحدهم الذين لا يُسلّمون بهذه الحقائق، ولا يستسلمون لله وحده، بينما السماء والأرض والشمس والقمر والملائكة...كلهم يسجدون لله، ويخشعون، ويُسَلّمون، ويستسلمون"[٢].

الناسخ والمنسوخ:

قيل: فيها من المنسوخ آية واحدة وهو قوله تعالى: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ} [فصلت : ٣٤]: هذا محكم، والمنسوخ قوله تعالى: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [فصلت : ٣٤]، نسختها آية السيف[٣].

عن السدي:{ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}، قال: هذا قبل القتال"[٤].

قال ابن الجوزي:" وقال أكثر المفسرين: هو كدفع الغضب بالصبر، والإساءة بالعفو، وهذا يدل على أنه ليس المراد بذلك معاملة الكفار فلا يتوجه النسخ"[٥].

فضائل السورة:

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

---

[١] التحرير والتنوير: ٢٢٨/٢٤-٢٢٩.
[٢] في ظلال القرآن: ٣١٠٥/٥.
[٣] انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١٥٣.
[٤] أخرجه ابن الجوزي في "نواسخ القرآن": ١٨٨.
[٥] نواسخ القرآن: ١٨٨.

- عن عبد الله بن عمرو، قال: "أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أقرئني يا رسول الله، فقال: «اقرأ ثلاثا من ذوات الر»، فقال: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني، قال: «فاقرأ ثلاثا من ذوات حاميم»، فقال مثل مقالته، فقال: «اقرأ ثلاثا من المسبحات»، فقال مثل مقالته، فقال الرجل: يا رسول الله، أقرئني سورة جامعة، فأقرأه النبي صلى الله عليه وسلم إذا زلزلت الأرض حتى فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها أبدا، ثم أدبر الرجل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أفلح الرويجل» مرتين"[١].
- عن سعد بن إبراهيم، قال: «كل الحواميم يسمين العرائس»[٢].

---

[١]"مسند أحمد" (٦٥٧٥) ، وسنن أبي داود(١٣٩٩):ص٥٧/٢، والسنن الكبرى للنسائي (٧٩٧٣) و (١٠٤٨٤) ، وصحيح ابن حبان (٧٧٣):٥٠/٣.
إسناده حسن، من أجل عيسى بن هلال الصدفي، وصححه الحاكم والذهبي.

وقوله: من ذوات (الر)، أي: من السور التي تبدأ بهذه الأحرف الثلاثة التي تقرأ مقطعة: ألف، لام، را، والذي في القرآن منها خمس سور: يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.

وقوله من ذوات {حم}، أي: من السور التي تبدأ بهذين الحرفين: حا، ميم، وهي في القرآن سبع سور: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.

وقوله: من المسبحات، أي: السور التي أولها سَبَّح ويُسَبحُ وسَبح، وهي الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى.

[٢] مسند ابن ابي شيبة(٣٠٢٨٤):ص١٥٣/٦، وسنن الدارمي(٣٤٦٥):ص٢١٥٢/٤، وشعب الإيمان(٢٢٥٣):ص١٠٦/٤.
وللاستزادة في فضائل «الحواميم» راجع فضائل السورة «غافر».
إسناده صحيح إلى سعد بن إبراهيم وهو موقوف عليه.

سورة «الشورى»

سورة «الشورى»: هي السورة «الثانية والأربعون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «الثانية والستون» بحسب ترتيب النزول، نزلت بعد «سورة الكهف»، وقبل «سورة إبراهيم»(١).

قال ابن عاشور:" السورة نزلت في حدود سنة ثمان بعد البعثة، ولعل نزولها استمر إلى سنة تسع بعد أن آمن نقباء الأنصار ليلة العقبة فقد قيل: إن قوله: {وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ} [الشورى : ٣٨]، أريد به الأنصار قبل هجرة النبيء صلى الله عليه وسلم إلى المدينة"(٢).

عدد آياتها ثلاث وخمسون في الكوفي، وخمسون في الباقين. كلماتها ثمانمائة وست وستون. وحروفها ثلاثة آلاف وخمسمائة وثمان وثمانون. المختلف فيها من الآي ثلاث: {حم (١)} [الشورى : ١]، {عسق (٢)} [الشورى : ٢]، {كَالْأَعْلَامِ} [الشورى : ٣٢]، مجموع فواصل آياتها:«زرلصب قدم»(٣).

- **أسماء السورة:**
- **أسماؤها التوقيفية:**
- **الاسم الأول: «سورة الشورى»:**

تسمى «سورة الشورى» بالألف واللام، وربما قالوا: «سورة شورى» بدون ألف ولام، حكاية للفظ القرآن: {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ} [الشورى : ٣٨] .

قال المهايمي:" سميت بالشورى، لإشعار آياتها بذلة الدنيا وعزة الآخرة، وصفات طالبيها، مع اجتماع قلوبهم بكل حال. وهذا من أعظم مقاصد القرآن"(٤).

- **الاسم الثاني والثالث: سورة «حم عسق»، و«عسق»:**

اشتهرت تسميتها عند السلف «حم عسق»، وكذلك ترجمها البخاري في كتاب التفسير من "جامعه"(٥)، والترمذي في "جامعه"(٦)، وكذلك سميت في عدة من كتب التفسير، وكثير من المصاحف.

وتسمى «سورة عسق» بدون لفظ «حم»، لقصد الاختصار(٧).

قال ابن عاشور:"ولم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء في تسميتها"(٨).

- **الاسم الرابع:« حم سق»:**

ذكر عن ابن عباس أنه كان يقول: «حم سق»، ولا يجعل فيها عينا، ويقول: السين كل فرقة تكون، والقاف كل جماعة تكون(٩).

قال الفراء: "ورأيتها في بعض مصاحف عبد الله: «حم سق» كما قال ابن عباس"(١٠).

روى محبوب عن إسماعيل عن الأعمش عن ابن مسعود: «حم سق»(١١).

---

(١) انظر: تفسير المراغي: ١٠٢/٢٤، والتحرير والتنوير: ٢٤/٢٥.
(٢) التحرير والتنوير: ٢٤/٢٥.
(٣) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤١٨.
(٤) نقلا عن: محاسن التأويل للقاسمي: ٣٤٩/٨.
(٥) انظر: صحيح البخاري: ١٢٩/٦.
(٦) انظر: سنن الترمذي: ٢٣٠/٥.
(٧) انظر: التحرير والتنوير: ٢٣/٢٥.
(٨) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.
(٩) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢١/٣، وتفسير الطبري: ٥٠٠/٢١، ومعاني القرآن للزجاج: ٣٩٣/٤. والخبر بدون سند.
(١٠) معاني القرآن: ٢١/٣.
(١١)المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: ٢٤٩/٢.

قال ابن جني:" هذا مما يؤكد أن الغرض في هذه الفواتح إنما هو لكونها فواصل بين السور، ولو كانت أسماء الله سبحانه لما جاز تحريف شيء منهان وذلك لأنها لو كانت أسماء له لكانت أعلاما، كزيد وعمرو، فالأعلام لا طريق إلى تحريف شيء منها، بل هي مؤداة بأعيانها"[١].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة أقوال:

أحدها: أنها نزلت بمكة. قاله ابن عباس[٢]، وابن الزبير[٣]، الحسن[٤]، وعكرمة[٥]، ومجاهد[٦]، وقتادة[٧].

الثاني: أنها مكية إلا قوله: {وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ} [الشورى : ٢٧]. نزلت في أهل الصفة، كما قال عمرو بن حريث[٨]، وخباب بن الأرت[٩]، وحكاه ابن الفرس عن مقاتل[١٠]، فتكون الآية مدنية.

عن عمرو بن حريث: "إنما نزلت هذه الآية في أصحاب الصفة: {{وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ} [الشورى : ٢٧]، وذلك أنهم قالوا: لو أن لنا الدنيا، فتمنوا الدنيا"[١١].

الثالث: أنها مكية إلّا أربع آيات نزلن بالمدينة، أولاها: قوله: {قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} [الشورى : ٢٣]، إلى آخر الأربع الآيات. وهذا قول ابن عباس-أيضا[١٢]، وقتادة[١٣].

الرابع: أنها مكية إلا خمس آيات، من قوله: {ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا} [الشورى : ٢٣]، إلى قوله: {إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور} [الشورى : ٢٤]، ومن قوله: تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ} [الشورى : ٣٩]، إلى قوله: {مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ} [الشورى : ٤١]. قاله مقاتل[١٤].

قال ابن قتيبة: السورة: "مكية كلها"[١٥].

قال الفيروزآبادي:" السورة مكية إجماعا"[١٦].

قال ابن عاشور:" هي مكية كلها عند الجمهور"[١٧].

---

(١)المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: ٢٤٩/٢.
(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٣٥/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٣٥/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٤) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٥٨/٤. بدون سند.
(٥) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٥٨/٤. بدون سند.
(٦) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٥٨/٤. بدون سند.
(٧) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٥٨/٤. بدون سند.
(٨) انظر: أسباب النزول للواحدي: ٣٩٠.
(٩) انظر: أسباب النزول للواحدي: ٣٩٠.
(١٠) نقلا عن: المحرر الوجيز: ٢٤/٢٥.
(١١) رواه الواحدي قي أسباب النزول: ٣٩٠، وأخرجه ابن المبارك في الزهد وقال ابن صاعد عقب روايته: عمرو هذا من أهل مصر ليست له صحبة وهو غير المخزومي [الإصابة ٢/ ٥٣١- ترجمة عمرو بن حريث] .
والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٠٤) وعزاه للطبراني ورجاله رجال الصحيح.
وله شاهد من حديث علي أخرجه الحاكم (٢/ ٤٤٥) وصححه ووافقه الذهبي قلت في إسناده عند الحاكم: الأعمش وقد عنعنه وهو مدلس.
(١٢) انظر: زاد المسير: ٥٨/٤، حكاه بدون سند، وانظر: والتحرير والتنوير: ٢٣/٢٥.
(١٣) انظر: زاد المسير: ٥٨/٤، حكاه بدون سند، وانظر: والتحرير والتنوير: ٢٣/٢٥.
(١٤) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٥٨/٤، وانظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٦٣/٣. قال المحقق:" فى نسخة «ل، ف»: وفيها من المدني...» وذكر الآيات.
(١٥) غريب القرآن: ٣٣٨.
(١٦)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤١٨/١.
(١٧) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها- اشتمال كل منهما على ذكر القرآن، ودفع مطاعن الكفار فيه، وتسلية النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك[1].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

إن المتأمل في سور «الحواميم» السبع -وهذه السورة منهم- يظهر له أنها ذات هدف رئيس، وهو الحديث عن القرآن، وموقف الكافرين إبان نزوله منه، والحديث عن مُنَزِّل القرآن، وموقف الكافرين منه، والحديث عن الرسول مُبَلِّغ القرآن، وموقف مكذبيه منه، والحديث عن الجزاء المعجَّل في الدنيا، والمؤجَّل إلى يوم الدين، والإنذار بهما، وعرض مشاهد من يوم الدين، وترغيب المؤمنين بالثواب العظيم، والحديث عن الإنسان وصفات معظم أفراده، واقتران كل ذلك بذكر آيات الله الكونية، وبيان حكمة الله في شؤون عباده.

ويمكن تفصيل مقاصد السورة ومراميها وفق التالي:

١- الإشارة إلى تحدي الطاعنين في أن القرآن وحي من الله بأن يأتوا بكلام مثله، فهذا التحدي لا تخلو عنه السور المُفْتَتَحة بالحروف الهجائية المقطعة، وهذه السورة منهم؛ حيث تضمنت فاتحتها خمسة حروف مقطعة .

٢- بيان أن الوحي إلى رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ما هو إلا كالوحي إلى الرسل من قبله؛ لينذر أهل مكة ومن حولها بيوم الحساب .

٣- بيان أن الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض لا تُعَارَض قدرتُه، ولا يُشك في حكمته، وقد خضعت له العوالم العليا ومن فيها، وهو فاطر المخلوقات؛ فهو يجتبي من يشاء لرسالته، فلا بِدْع أن يشرع للأمة المحمدية من الدين مثل ما شرع لمن قبله من الرسل، وما أرسل الله الرسل إلا من البشر يوحي إليهم، فلم يسبق أن أرسل ملائكة لمخاطبة عموم الناس مباشرة .

٤- بيان وحدة الرسالات الربانية في أصولها الاعتقادية، والأخلاقية، وفي أصول وقواعد المعاملات. ومطالبة الناس بأن يقيموا الدين، ولا يتفرقوا فيه .

٥- أن المشركين بالله لا حجة لهم إلا تقليد أئمة الكفر، الذين شرعوا لهم الإشراك، وألقوا إليهم الشبهات. والتحذير من اقتراب الساعة ويوم الجزاء، وما سيلقى المشركون يوم الحساب من العذاب، وقرن ذلك بالترغيب فيما سيلقاه المؤمنون من الكرامة، وأنهم لو تدبروا لعلموا أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يأتي عن الله من تلقاء نفسه؛ لأن الله لا يقره على أن يقول عليه ما لم يقله .

٦- ذِكْر دلائل الوحدانية، وما هو من تلك الآيات نعمة على الناس، مثل دليل السير في البحر، وما أوتيه الناس من نِعَم الدنيا .

٧- تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم بأن الله هو متولي جزاء المكذبين، وما على الرسول صلى الله عليه وسلم من حسابهم من شيء، فما عليه إلا الاستمرار على دعوتهم إلى الحق القويم.

٨- التنبيه على أنه صلى الله عليه وسلم لا يبتغي من وراء دعوته ونصحه إياهم جزاء ولا شكوراً، وإنما يبتغي هدايتهم إلى الحق المبين، ودلالتهم إلى الصراط المستقيم .

٩- بيان حكمة الله سبحانه في عدم بسط الرزق لعباده، وأنه هو الذي يهيئ للناس أسباب أرزاقهم، على وفق حكمته، وأن سبحانه هو وحده الذي يتولى أمور عباده، ويتدبر شؤونهم .

١٠- التزهيد بمتاعات الحياة الدنيا وزخرفها، والترغيب بما عند الله في الآخرة من النعيم المقيم. وتوجيه الناس إلى الاستجابة لربهم، وتحذيرهم من يوم الدين الذي لا مرد له، ولا ملجأ فيه يلجأ إليه من لم يجب داعي الله، ويلزم هديه، ويعمل بشرعه .

---

(١) انظر: تفسير المراغي:١٣/٢٥.

١١- تذكير المشركين والمعرضين بنعم الله عليهم، وتحذيرهم من التسبب في قطعها بسوء أعمالهم، وتحريضهم على السعي في أسباب الفوز في الآخرة، والمبادرة إلى ذلك قبل فوات الأوان .
١٢- التنويه بفوز المؤمنين المتوكلين، والتذكير بجلائل أعمالهم، وتجنبهم التعرض لغضب الله عليهم .
١٣- التنبيه على آيات كثيرة من آيات انفراده تعالى بالخلق، والتصرف المقتضي انفراده بالإلهية؛ إبطالاً للشرك .
١٤- ألمعت السورة إلى المعجزة الأمية؛ بأن الرسول صلى الله عليه وسلم جاءهم بهدي عظيم من الدين، وقد علموا أنه لم يكن ممن تصدى لذلك في سابق عمره، وذلك أكبر دليل على أن ما جاء به أمر قد أوحي إليه به، فعليهم أن يهتدوا بهديه، فمن اهتدى بهديه فقد وافق مراد الله .
١٥- ختم السورة بكلمة جامعة تتضمن تفويض الأمور كلها إلى الله سبحانه، وانتظار حكمه فيما يمضيه من أمور، وهي كلمة: {أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ} [الشورى : ٥٣][(١)].

الناسخ والمنسوخ:

السورة فيهَا من الْمَنْسُوخ تسع آيَات:

- الآية الأولى: قوله تعالى: {وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ} [الشورى : ٥]، نسختها الآية التي في المؤمن وهي: {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا} [غافر : ٧].
- الآية الثانية: قوله تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِم} [الشورى : ٦]، هذا محكم، {وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ} [الشورى : ٦] نسختها آية السيف.
- الآية الثالثة: قوله تعالى: {فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ} [الشورى : ١٥] هذا محكم، وكذلك قوله تعالى: {وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ} [الشورى : ١٥]، وباقي الآية منسوخ إلى قوله تعالى: {اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا} [الشورى : ١٥]، نسخ بآية السيف,
- الآية الرابعة قوله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ} [الشورى : ٢٠]، نسخت الآية التي في بني إسرائيل وهي قوله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَة عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيد} [الإسراء : ١٨].
- الآية الخامسة: قوله تعالى: {قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} [الشورى : ٢٣]، اختلف المفسرون في هذه الآية، فبعض يجعلها محكمة، وهو قول أبي صالح مولى ام هانيء، وآخرون يجعلونها منسوخة، وهو قول الجماعة، فمن جعلها محكمة روي أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لما قدم المدينة أحسن الأنصار جواره وجوار أصحابه حتى واسوهم بالأموال والأنفس وقال بعض الأنصار لبعض قد واسيتم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقدم عليه الوفود وليس عنده شيء فلو جمعتم له مالا فاذا قدم عليه الوفود أنفقه عليهم فقالوا لا نفعل حتى نستأذنه فاستأذنوه في ذلك فنزلت: {قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا} [الشورى : ٢٣]، يعني: على إبلاغ الرسالة، أي: جعلا، المودة في القربي: أن تودوني في قرابتي: هذا قول من زعم أنها محكمة، وقال آخرون بل هي منسوخه وناسخها عندهم : {قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُم} [سبأ : ٤٧].
- الآية السادسة قوله تعالى: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا} [الشورى : ٤٠]، نسخت بقوله عز وجل: {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّه} [الشورى : ٤٠].
- الآية السابعة: قوله تعالى: {وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ} [الشورى : ٤١]، نسخت بقوله: {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ} [الشورى : ٤٠].

---

(١) في ظلال القرآن: ٣١٠٥/٥.

- الآية الثامنة: الآية التي تليها نسختا بقوله: {وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [الشورى : ٤٣].
- الآية التاسعة: قوله تعالى: {وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ} [الشورى : ٤٦]، الى قوله: {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ} [الشورى : ٤٨]، نسخت بآية السيف[١].

فضائل السورة:

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن عبد الله بن عمرو، قال: "أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أقرئني يا رسول الله، فقال: «اقرأ ثلاثا من ذوات الر»، فقال: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني، قال: «فاقرأ ثلاثا من ذوات حاميم»، فقال مثل مقالته، فقال: «اقرأ ثلاثا من المسبحات»، فقال مثل مقالته، فقال الرجل: يا رسول الله، أقرئني سورة جامعة، فأقرأه النبي صلى الله عليه وسلم إذا زلزلت الأرض حتى فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها أبدا، ثم أدبر الرجل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أفلح الرويجل» مرتين"[٢].
- عن أنس بن مالك رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله أعطاني السبع مكان التوراة وأعطاني الراآت إلى الطواسين مكان الإنجيل وأعطاني ما بين الطواسين إلى الحواميم مكان الزبور وفضلني بالحواميم والمفصل ما قرأهن نبي قبلي»[٣].
- عن سمرة بن جندب -رضي الله عنه- مرفوعا:" الحواميم روضة من رياض الجنة"[٤].
- عن الخليل بن مرة -رضي الله عنه-أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"الحواميم سبع وأبواب جهنم سبع تجيء كل حم منها تقف على باب من هذه الأبواب تقول: اللهم لا تدخل من هذا الباب من كان يؤمن بي ويقرأني"[٥].
- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "إن لكل شيء لبابا وإن لباب القرآن الحواميم"[٦].
- عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: "الحواميم ديباج القرآن"[٧]. ورواه أنس بن مالك مرفوعا[٨].
- عن سعد بن إبراهيم، قال: «كل الحواميم يسمين العرائس»[٩].

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١٥٤-١٥٧.

(٢)"مسند أحمد" (٦٥٧٥) ، وسنن أبي داود(١٣٩٩):ص٥٧/٢، والسنن الكبرى للنسائي (٧٩٧٣) و (١٠٤٨٤) ، وصحيح ابن حبان (٧٧٣):٥٠/٣.

إسناده حسن، من أجل عيسى بن هلال الصدفي، وصححه الحاكم والذهبي.

وقوله: من ذوات (الر)، أي: من السور التي تبدأ بهذه الأحرف الثلاثة التي تقرأ مقطعة: ألف، لام، را، والذي في القرآن منها خمس سور: يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.

وقوله من ذوات {حم}، أي: من السور التي تبدأ بهذين الحرفين: حا، ميم، وهي في القرآن سبع سور: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.

وقوله: من المسبحات، أي: السور التي أولها سَبَّح ويُسَبحُ وسَبح، وهي الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى.

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٦٨/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٦٩/٧، وعزاه إلى الديلمي وابن مردويه.

(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٦٩/٧، وعزاه إلى البيهقي في شعب الإيمان.

(٦) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٦٨/٧، وعزاه إلى أبي عبيد في فضائله.

(٧) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٦٨/٧، وعزاه إلى أبي عبيد وابن الضريس وابن المنذر والحاكم والبيهقي في شعب الإيمان.

(٨) انظر: الدر المنثور: ٢٦٩/٧.

(٩) مسند ابن ابي شيبة(٣٠٢٨٤):ص١٥٣/٦، وسنن الدارمي(٣٤٦٥):ص٢١٥٢/٤، وشعب الإيمان(٢٢٥٣):ص١٠٦/٤.

إسناده صحيح إلى سعد بن إبراهيم وهو موقوف عليه.

- عن أبي الدرداء -رضي الله عنه:"أنه بنى مسجدا فقيل له: ما هذا؟ فقال: لآل حم"[١].
- عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال:"إن مثل القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله منزلا فمر بأثر غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه إذ هبط على روضات دمثات فقال: عجبت من الغيث الأول فهذا أعجب وأعجب. فقيل له: إن مثل الغيث الأول كمثل عظم القرآن وإن مثل هؤلاء الروضات الدمثات مثل: «آل حم»[٢] في القرآن"[٣].
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة «حم. عسق»، كان ممن تصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له»[٤].

---

(١) اورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٦٩/٧، وعزاه إلى أبي عبيد وابن سعد ومحمد بن نصر والحاكم.
(٢) قال ابن عاشور:" السور المفتتحة بكلمة حم سبع سور مرتبة في المصحف على ترتيبها في النزول ويدعى مجموعها «آل حم» جعلوا لها اسم (آل) لتآخيها في فواتحها. فكأنها أسرة واحدة وكلمة (آل) تضاف إلى ذي شرف (ويقال لغير المقصود تشريفه أهل فلان) قال الكميت:
قرأنا لكم في آل حاميم آية ... تأولها منا فقيه ومعرب
يريد قول الله تعالى في سورة «حم عسق» قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة في القربى [الشورى: ٢٣] على تأويل غير ابن عباس فلذلك عزه بقوله: تأولها منا فقيه ومعرب". [التحرير والتنوير:٧٦/٢٤].
والبيت هو ٢٩ من يائيته فى الهاشميات وهو فى الكتاب ٢/ ٢٨ والطبري ٢٤/ ٢٤ والشنتمرى ٢/ ٣٠ والقرطبي ١/ ٢٨٨.
(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٦٨/٧-٢٦٩، وعزاه إلى محمد بن نصر وحميد بن زنجويه.
(٤) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ٣٠١/٨. [وقد مرّ أنه حديث موضوع غير ثابت].

–

سورة «الزخرف»

سورة «الزخرف»: هي السورة «الثالثة والأربعون» بحسب الرّسم القرآني، نزلت بعد «سورة الشورى»[1]، عدد آياتها ثمان وثمانون عند الشاميين، وتسع عند الباقين. وكلماتها ثمانمائة وثلاث وثلاثون. وحروفها ثلاثة آلاف وأربعمائة. الآيات المختلف فيها اثنتان: {حم (١)} [الزخرف : ١]، {مَهِينٌ} [الزخرف : ٥٢]. مجموع فواصل آياتها :«ملن»[2].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة الزخرف»**

سميت في المصاحف العتيقة والحديثة «سورة الزخرف»، وبذلك ترجم لها الترمذي في كتاب التفسير من «جامعه» ، وسميت كذلك في كتب التفسير.

قال ابن عاشور:" وكذلك وجدتها في جزء عتيق من مصحف كوفي الخط مما كتب في أواخر القرن الخامس"[3].

ووجه التسمية أن كلمة {وَزُخْرُفًا} [الزخرف : ٣٥]، وقعت فيها ولم تقع في غيرها من سور القرآن فعرفوها بهذه الكلمة.

قال المهايمي:" سميت به لدلالة آيته على أن الدنيا في غاية الخسة في نفسها، وغاية العداوة مع ربها بحيث لا تليق بالأصالة إلا لأعدائه. وهذا من أعظم مقاصد القرآن"[4].

- **ثانيا:- اسمها الاجتهادي:«سورة حم الزخرف»**

سميت هذه السورة بإضافة كلمة «حم» إلى «الزخرف» على نحو ما بيناه في تسمية سورة «حم المؤمن»، وروى الطبرسي عن الباقر أنه سماها كذلك[5].

وبذلك ترجم لها البخاري في كتاب التفسير من «صحيحه»[6]، كما وردت هذه التسمية عند مقاتل[7]، والواحدي[8]، والزركشي[9]، وغيرهم.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدها: أنها نزلت بمكة. قاله ابن عباس[10].

الثاني: أنها مكية إلا قوله: {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ} [الزخرف : ٤٥]. نزلت في بيت المقدس، قاله ابن زيد[11]، ومقاتل[12].

---

(١) انظر: تفسير المراغي: ٦٧/٢٥، والتفسير الوسيط للطنطاوي: ٥٥/١٣. وقال ابن عاشور:"نزلت بعد سورة فصلت". انظر: التحرير والتنوير: ١٥٧/٢٥

(٢) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤٢١.

(٣) التحرير والتنوير: ١٥٧/٢٥.

(٤) نقلا عن: محاسن التأويل للقاسمي: ٣٧٨/٨.

(٥) نقلا عن: التحرير والتنوير: ١٥٧/٢٥. ولم أجده في تفسيره.

(٦) انظر: صحيح البخاري: ١٣٠/٦.

(٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٩/٢، ١١٢، ١٦٨، ٢٨١، ٣٥٣/٣.

(٨) انظر: التفسير الوسيط: ٦٣/٤، و عنون لها بهذه التسمية.

(٩) انظر: البرهان في علوم القرآن: ١٩٣/١.

(١٠) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٦٥/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٦١٢/٢١، والدر المنثور: ٣٨٢/٧.

(١٢) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ٢٣٥/٤، وابن الجوزي في زاد المسير: ٧٢/٤، القرطبي في التفسير: ٦١/١٦، ولم أجده في تفسير مقاتل.

قال الزجاج:" جاء في التفسير أن النبي - صلى الله عليه وسلم - ليلة أسري به جمع له الأنبياء في بيت المقدس فأَمَّهم وصلَّى بهم، وقيل له: سَلْهُمْ فلم يشكك عليه السلام ولم يَسَل"[١].

قال ابن زيد:" جمعوا له ليلة أُسري به ببيت المقدس، فأمهم، وصلى بهم، فقال الله له: سلهم، قال: فكان أشدّ إيمانا ويقينا بالله وبما جاء من الله أن يسألهم، وقرأ: {فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنزلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ}، قال: فلم يكن فى شكّ، ولم يسأل الأنبياء، ولا الذين يقرءون الكتاب. قال: ونادى جبرائيل صلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فقلت في نفسي:"الآن يؤمنا أبونا إبراهيم"; قال:"فدفع جبرائيل في ظهري"، قال: تقدم يا محمد فصلّ، وقرأ {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} ... حتى بلغ: {لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا}"[٢].

وقال ابن جريج:" بلغنا أنه ليلة أسري به أري الأنبياء فأري آدم فسلم عليه: وأري مالكا خازن النار وأري الكذاب الدجال"[٣].

وروي عن سعيد بن جبير، في قوله:{وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ}، قال: "لقي الرسل صلى الله عليهم ليلة اسري به»"[٤].

قال النحاس:"ومعناه: أنه سيسرى إذا بك وتلقى الرسل فاسألهم"[٥].

قال ابن عاشور:" هي مكية..وأما ما روي ... أن آية: {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ} [الزخرف : ٤٥]، نزلت بالمسجد الأقصى، فإذا صح لم يكن منافيا لهذا، لأن المراد بالمكي ما أنزل قبل الهجرة"[٦].

قال الألوسي:"وفي الإتقان: نزلت بالسماء، وقيل: بالمدينة"[٧].

قال ابن قتيبة: السورة: "مكية كلها"[٨].

قال ابن الجوزي:" هي مكية بإجماعهم"[٩].

قال ابن عطية:" هذه السورة مكية بإجماع من أهل العلم"[١٠].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من آل حم من وجهين:

أحدهما: تشابه مطلع هذه السورة مع مطلع وخاتمة السورة المتقدمة في وصف القرآن الكريم، وبيان مصدره: وهو الوحي الإلهي.

الثاني: التشابه في إيراد الأدلة القاطعة على وجود الله عز وجل ووحدانيته، ووصف أحوال الآخرة ومخاوفها وأهوال النار التي يتعرض لها الكفار، ومقارنته بنعيم الجنة وإعداده للمؤمنين المتقين[١١].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

---

(١) معاني القرآن: ٤١٣/٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٦١٢/٢١.
(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٣٨١/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.
(٤) رواه النحاس في معاني القرآن: ٣٦٥/٦، وانظر: الدر المنثور: ٣٨١/٧، وعزاه إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.
(٥) معاني القرآن: ٣٦٥/٦.
(٦) المحرر الوجيز: ١٥٧/٢٥.
(٧) روح المعاني: ٦٣/١٣.
(٨) غريب القرآن: ٣٩٥.
(٩) زاد المسير: ٧٢/٤.
(١٠) المحرر الوجيز: ٤٥/٥.
(١١) انظر: التفسير المنير للزحيلي:١١٢/٢٥.

اشتملت السورة الكريمة على المقاصد الآتية:

١- أبانت السورة كون القرآن الكريم موصى به من عند الله - تعالى - وأنه نزل بلسان عربى مبين ليفهمه العرب وليتدبروا آياته عساهم يعقلون ما اشتمل عليه من الأحكام ومكارم الأخلاق فيحملهم بذلك ويدفعهم إلى الإيمان به، وإيثار العرب بتحمل مسئولية الرسالة المحمدية العالمية؛ لأن لهم أخلاقًا كريمة وصلابة في الدين، وشجاعة في الحق، وصدقًا في الوعد، وهمة في الوفاء.

٢- أن السورة جاءت بتهديد المشركين بإهلاكهم كما فعل بمن قبلهم، وذلك إذا استمروا على كفرهم وعنادهم {فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ}[الزخرف: ٨].

٣- وضحت هذه السورة الكريمة بعض الآيات الكونية التي تظهر قدرة الله وتفرده بالجلال وأنه - سبحانه - حقيق بالوحدانية، وذلك عن طريق لفت نظر المخاطبين إلى ما هو واضح وبيّن في ملكه من أرض مهدها وبسطها لهم إلى سماء أنزل منها ماء بمقدار معلوم فأحيا به الأرض بعد موتها وأنبت فيها الزرع والزيتون والنخيل ومن كل الثمرات، وأنه - سبحانه - سيخرج الناس ويبعثهم من قبورهم يوم القيامة، كما يحيى الأرض وينبت فيها النبات، وأنه - جل شأنه - خلق للناس جميع الأصناف التي تنفعهم في معاشهم، وسخر لهم السفن والأنعام ليركبوها ويستقروا على ظهورها {وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ}[الزخرف: ١٢].

٤- تناولت السورة ما كان عليه المجتمع الجاهلي من معتقدات قبيحة، كنسبه الولد إلى الله {وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا}[الزخرف: ١٥] كما نَعَتْ عليهم سفههم في دعواهم أن الله جعل لنفسه البنات وآثرهم واصطفاهم بالبنين، كما عابت عليهم أنهم جعلوا الملائكة إناثا وتوعدتهم {أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ}[الزخرف: ١٩].

٥- أثبتت السورة وأكدت أن إبراهيم - عليه السلام - الذي كان المشركون يدَّعون أنهم في شركهم على دينه وطريقته - أثبتت - أنه برئ مما يعبدون {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ}[الزخرف: ٢٦].

٦- أبانت السورة أن المشركين يقيمون أمر اختيار الرسول - صلى الله عليه وسلم - على مقاييس فاسدة ومعايير خاطئة باطلة {وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ}[الزخرف: ٣١] فرد الله عليهم مسفها رأيهم وموبخا لهم على سوء فهمهم {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ}[الزخرف: ٣٢].

٧- وضح الله لهؤلاء المشركين أن الاستعلاء في الأرض لا ينجى من عذاب الله، فقد أهلك الله فرعون ومن معه لتسلطهم وكفرهم واغترارهم بما لديهم من الدنيا وزخرفها {فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ}[الزخرف: ٥٥].

٨- أنهى - سبحانه - هذه السورة الكريمة بعرض بعض مشاهد يوم القيامة، كالنعيم الذي يسعد به المؤمنون {يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[الزخرف: ٧١] كما أبانت ما يناله المجرمون من نكال وعذاب أليم {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (٧٤) لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ}[الزخرف: ٧٤-٧٥] وفي آخر آياتها يسلى الله - تعالى - رسوله - صلى الله عليه وسلم - ويأمره بالإعراض عن الكافرين، كما يهددهم ويتوعدهم {فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ}[الزخرف: ٨٩] (١).

الناسخ والمنسوخ:

ذكر أهل العلم أن سورة الزخرف جميعها محكم غير آيتين:

---

(١) انظر: التفسير الوسيط مجمع البحوث: ٧٨١/٩-٧٨٢.

- أولاهما: قوله تعالى: {فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ} [الزخرف : ٨٣]. ذكر دعوى النسخ مجموعة من أهل العلم(١).

قال ابن الجوزي:" زعم بعضهم: أنها منسوخة بآية السيف، وقد عرف مذهبنا في نظائرها وأنها واردة للوعيد والتهديد، فلا نسخ إذن"(٢).

- الثانية: قوله تعالى: {فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} [الزخرف : ٨٩]. يروي الضحاك عن ابن عباس، قال: "نسخ هذا بآية السيف"(٣).

قال قتادة:" نسختها براءة : {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} [التوبة : ٥]"(٤).
وفي رواية قال قتادة:" اصفح عنهم، ثم أمره بقتالهم"(٥).

فضائل السورة:

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن عبد الله بن عمرو، قال: "أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أقرئني يا رسول الله، فقال: «اقرأ ثلاثا من ذوات الر»، فقال: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني، قال: «فاقرأ ثلاثا من ذوات حاميم»، فقال مثل مقالته، فقال: «اقرأ ثلاثا من المسبحات»، فقال مثل مقالته، فقال الرجل: يا رسول الله، أقرئني سورة جامعة، فأقرأه النبي صلى الله عليه وسلم إذا زلزلت الأرض حتى فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها أبدا، ثم أدبر الرجل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أفلح الرويجل» مرتين"(٦).

---

(١)تجد أن هذه الآية معدودة في المنسوخة بلا دليل وحجة، في كتاب ابن حزم، في معرفة الناسخ والمنسوخ ص:٣٦٥؛ والناسخ والمنسوخ لابن سلامة (٨١) والإيجاز في الناسخ والمنسوخ (٣١) لابن هلال ولكن الإمام الطبري والإمام ابن كثير لم يتعرضا لدعوى النسخ بل فسرا الآية بما يؤيد إحكامها كما أثبت إحكامها المؤلف في مختصر عمدة الراسخ ورقة (١٢).
انظر: تفسير الطبري: ٦٥٢/٢١-٦٥٣؛ وتفسير ابن كثير:٢٤١/٧-٢٤٢.

(٢) نواسخ القرآن: ٥٧٠/٢.

(٣) نواسخ القرآن لابن الجوزي: ٥٧٠/٢.

(٤) رواه ابن الجوزي في نواسخ القرآن: ٥٧١/٢.
وذكر هذا القول الطبري عن قتادة بطريقين صحيحين إليه ونسبه النحاس إلى ابن عباس بسند ضعيف، وبإسناد آخر إلى قتادة، وأما مكي بن أبي طالب فقد عزا دعوى النسخ إليهما بدون إسناد، ولم يناقشوا قضية النسخ ولم يتعرضوا إليها.
انظر: تفسير الطبري: الطبري: ٦٥٧/٢١، الناسخ والمنسوخ للنحاس (٢١٨)؛ والإيضاح (٣٥٤)؛ وزاد المسير ٧/ ٣٣٥؛ وتفسير ابن كثير ٤/ ١٣٧؛ والنسخ في القرآن الكريم ٢/ ٥٣٨ – ٥٣٩.

(٥) أخرجه الطبري: ٦٥٧/٢١.

(٦)"مسند أحمد" (٦٥٧٥) ، وسنن أبي داود(١٣٩٩):ص٥٧/٢، والسنن الكبرى للنسائي (٧٩٧٣) و (١٠٤٨٤) ، وصحيح ابن حبان (٧٧٣):٥٠/٣.
إسناده حسن، من أجل عيسى بن هلال الصدفي، وصححه الحاكم والذهبي.
وقوله: من ذوات (الر)، أي: من السور التي تبدأ بهذه الأحرف الثلاثة التي تقرأ مقطعة: ألف، لام، را، والذي في القرآن منها خمس سور: يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.
وقوله من ذوات {حم}، أي: من السور التي تبدأ بهذين الحرفين: حا، ميم، وهي في القرآن سبع سور: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.
وقوله: من المسبحات، أي: السور التي أولها سَبَّح ويُسَبحُ وسَبح، وهي الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى.

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله أعطاني السبع مكان التوراة وأعطاني الراآت إلى الطواسين مكان الإنجيل وأعطاني ما بين الطواسين إلى الحواميم مكان الزبور وفضلني بالحواميم والمفصل ما قرأهن نبي قبلي»(١).
- عن سمرة بن جندب -رضي الله عنه- مرفوعا:" الحواميم روضة من رياض الجنة"(٢).
- عن الخليل بن مرة -رضي الله عنه-أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"الحواميم سبع وأبواب جهنم سبع تجيء كل حم منها تقف على باب من هذه الأبواب تقول: اللهم لا تدخل من هذا الباب من كان يؤمن بي ويقرأني"(٣).
- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "إن لكل شيء لبابا وإن لباب القرآن الحواميم"(٤).
- عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: "الحواميم ديباج القرآن"(٥). ورواه أنس بن مالك مرفوعا(٦).
- عن سعد بن إبراهيم، قال: «كل الحواميم يسمين العرائس»(٧).
- عن أبي الدرداء -رضي الله عنه:"أنه بنى مسجدا فقيل له: ما هذا؟ فقال: لآل حم"(٨).
- عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال:"إن مثل القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله منزلا فمر بأثر غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه إذ هبط على روضات دمثات فقال: عجبت من الغيث الأول فهذا أعجب وأعجب. فقيل له: إن مثل الغيث الأول كمثل عظم القرآن وإن مثل هؤلاء الروضات الدمثات مثل: «آل حم»(٩) في القرآن"(١٠).
- عن أبي بن كعب. قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة الزّخرف كان ممن يقال له يوم القيامة: يا عِبادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ادخلوا الجنّة بِغَيْرِ حِسابٍ»(١١).

---

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٦٨/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٦٩/٧، وعزاه إلى الديلمي وابن مردويه.
(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٦٩/٧، وعزاه إلى البيهقي في شعب الإيمان.
(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٦٨/٧، وعزاه إلى أبي عبيد في فضائله.
(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٦٨/٧، وعزاه إلى أبي عبيد وابن الضريس وابن المنذر والحاكم والبيهقي في شعب الإيمان.
(٦) انظر: الدر المنثور: ٢٦٩/٧.
(٧) مسند ابن ابي شيبة(٣٠٢٨٤):ص١٥٣/٦، وسنن الدارمي(٣٤٦٥):ص٢١٥٢/٤، وشعب الإيمان(٢٢٥٣):ص١٠٦/٤.
إسناده صحيح إلى سعد بن إبراهيم وهو موقوف عليه.
(٨) اورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٦٩/٧، وعزاه إلى أبي عبيد وابن سعد ومحمد بن نصر والحاكم.
(٩) قال ابن عاشور:" السور المفتتحة بكلمة حم سبع سور مرتبة في المصحف على ترتيبها في النزول ويدعى مجموعها «آل حم» جعلوا لها اسم (آل) لتآخيها في فواتحها. فكأنها أسرة واحدة وكلمة (آل) تضاف إلى ذي شرف (ويقال لغير المقصود تشريفه أهل فلان) قال الكميت:
قرأنا لكم في آل حاميم آية ... تأولها منا فقيه ومعرب
يريد قول الله تعالى في سورة «حم عسق» قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة في القربى [الشورى: ٢٣] على تأويل غير ابن عباس فلذلك عزه بقوله: تأولها منا فقيه ومعرب". [التحرير والتنوير:٧٦/٢٤].
والبيت هو ٢٩ من يائيته فى الهاشميات وهو فى الكتاب ٢/ ٢٨ والطبري ٢٤/ ٢٤ والشنتمرى ٢/ ٣٠ والقرطبي ١/ ٢٨٨.
(١٠) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٦٨/٧-٢٦٩، وعزاه إلى محمد بن نصر وحميد بن زنجويه.
(١١) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ٣٢٧/٨. [وقد مرّ أنه حديث موضوع غير ثابت].

سورة «الدخان»

سورة «الدخان»: هي «السورة الرابعة والأربعون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «الرابعة والستون» بحسب ترتيب النزول، وهي السورة «الخامسة» من «الحواميم» السبع. نزلت بعد سورة «الزخرف»، وقبل سورة «الجاثية» في مكانها هذا(١).

آياتها تسع وخمسون في عد الكوفة، وسبع في عد البصرة، وست للباقين. كلماتها ثلاثمائة وست وأربعون. وحروفها ألف وأربعمائة وأحد وثلاثون. المختلف فيها من الآي أربع: {حم (١)} [الدخان : ١]، {إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ} [الدخان : ٣٤] ، {إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ} [الدخان : ٤٣ ، {فِي الْبُطُونِ} [الدخان : ٤٥]. فواصل آياتها كلها: «من»(٢).

- **أسماء السورة:**
- **أسماؤها التوقيفية:**
- **الاسم الأول: «سورة الدخان»:**

سميت في المصاحف وفي كتب السنة «سورة الدخان»، ووجه تسميتها بذلك، وقوع لفظ «الدخان» في قوله تعالى:{فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ} [الدخان : ١٠]، وهي آية من آيات الله أيد بها رسوله صلى الله عليه وسلم، وجعلها آية لتخويف الكفار بسبب تكذيبهم للرسول صلى الله عليه وسلم، فقد أصيبوا بالقحط والمجاعة التي تجعل الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان المنتشر في الفضاء، ولذلك سميت به اهتماما بشأنه، وقد وردت لفظة: «الدخان» بمعنى آخر في سورة فصلت، قال تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ} [فصلت : ١١](٣).

روي عن مسروق، قال: "دخلت على عبد الله ثم قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا قريشا كذبوه واستعصوا عليه، فقال: «اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف» فأصابتهم سنة حصت، يعني كل شيء، حتى كانوا يأكلون الميتة، فكان يقوم أحدهم فكان يرى بينه وبين السماء مثل الدخان من الجهد والجوع، ثم قرأ: {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ، يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الدخان: ١١]، حتى بلغ: {إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ} [الدخان: ١٥]، قال: عبد الله أفيكشف عنهم العذاب يوم القيامة؟ قال: والبطشة الكبرى يوم بدر"(٤).

قال المهايمي:" سميت به لدلالة آيته على أنه جزاء غشيان أدخنة النفوس الخبيثة، بصائر قلوب أهلها وأرواحهم. ولذلك رأوا الدلائل شبهات الشياطين، وجعلوا المميز بينهما مجنونا، وإن القرآن كاشف عنه، ككشف الدخان المحسوس عنهم"(٥).

- **الاسم الثاني:«سورة حم الدخان»:**

تسمى «حم الدخان»، وبذلك رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم(٦)، وعن الصحابة - رضوان الله عليهم-(٧).

ويرى ابن عاشور ان اللفظين بمنزلة اسم واحد، لأن كلمة «حم» غير خاصة بهذه السورة، فلا تعد علما لها، واستدل بأن السيوطي(٨) لم يعدها من عداد الاسماء ذوات الأكثر من اسم(١).

---

(١) انظر: الكشاف: ٢٦٩/٤، والتحرير والتنوير: ٢٧٥/٢٥.
(٢) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤٢٤.
(٣) انظر: التحرير والتنوير: ٢٧٥/٢٥.
(٤) صحيح البخاري(٤٨٢٣):ص١٣٢/٦.
(٥) تفسير المهايمي" تبصير الرحمن وتيسير المنان": ٢٣٦/٣.
(٦) سوف تأتي الروايات في فضائل السورة إن شاء الله.
(٧) قال ابن عباس:"نزلت بمكة سورة حم الدخان". ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٣٩٧/٧. وعزاه إلى ابن مردويه.
(٨) انظر: الإتقان: ١٧٤/١.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها أنزلت بمكة. قاله ابن عباس[٢]، وعبد الله بن الزبير[٣].

الثاني: أنها مكية إلا قوله: {إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ} [الدخان : ١٥]. ذكره الزمخشري ولم يعزه إلى قائل[٤].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلّها بإجماعهم"[٥].

قال الفيروزآبادي:" السورة مكية إجماعا"[٦].

قال ابن عطية:" هذه السورة مكية لا أحفظ خلافا في شيء منها"[٧].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

من وجه اتصال «سورة الدخان» لما قبلها:

١- إنه تعالى ختم ما قبلها بالوعيد والتهديد، وافتتح هذه بالإنذار الشديد.

٢- إنه تعالى حكى فيما قبلها قول رسوله صلى الله عليه وسلم: {يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ} [الزخرف : ٨٨] ، وحكى هنا عن أخيه موسى: {فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ} [الدخان : ٢٢].

٣- إنه قال فيما سلف {فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ} [الزخرف : ٨٩] ، وحكى هنا عن موسى: {وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ (٢٠) وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ (٢١)} [الدخان : ٢٠ - ٢١]، وهو قريب من ذلك[٨].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

يمكن تفصيل مقاصد هذه السورة وفق التالي:

١- تبدأ السورة بالحديث عن القرآن وتنزيله في ليلة مباركة، فيها يفرق كل أمر حكيم، رحمة من الله بالعباد، وإنذاراً لهم وتحذيراً. وقد جاء هذا الحديث مقروناً ببيان بعض صفات الله الجليلة وأسمائه الحسنى، التي هي من أمهات القاعدة الإيمانية.

٢- تعريف للناس بربهم، رب السماوات والأرض وما بينهما، وإثبات لوحدانيته، وهو المحيي المميت رب الأولين والآخرين.

٣- بيان فضل الليلة التي أُنزل فيها القرآن، أي ابتدئ إنزاله، وهي ليلة القدر. وذكر جملة من دلائل الوحدانية، وتأييد الله من آمنوا بالرسل.

٤- الحديث عن القرآن وموقف الكافرين منه إبان التنزيل، وإصرارهم على الشك في القرآن، وتلهِّيهم لاعبين بأمور دنياهم، وتحذيرهم من عقوبات تلجئهم إلى الوعد بالإيمان، إذا كشف الله عنهم العذاب، لكنهم لا يَفون بوعدهم، بل ينقضونه، ويتمادون في غيهم، وأخيراً ينذرهم الله بأن يبطش بهم بطشة كبرى منتقماً منهم.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير: ٢٧٥/٢٥.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٣٩٧/٧. وعزاه إلى ابن مردويه.

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٣٩٧/٧. وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤) انظر: الكشاف: ٢٦٩/٤.

(٥) زاد المسير: ٨٧/٤.

(٦) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٢٤/١.

(٧) المحرر الوجيز: ٦٨/٥.

(٨) انظر: تفسير المراغي:١١٨/٢٥.

٥- بيان أن المعرضين عن تدبر القرآن ألهاهم الاستهزاء واللمز عن التدبر، فحق عليهم دعاء الرسول بعذاب الجوع؛ إيقاظاً لبصائرهم بالأدلة الحسية حين لم تنجع فيهم الدلائل العقلية؛ ليعلموا أن إجابة الله دعاء رسوله صلى الله عليه وسلم دليل على أنه أرسله ليبلغ عنه مراده.
٦- ضَرْبُ المثل بأمم قد خلت، عصوا رسل الله إليهم، فحلَّ بهم من العقاب ما من شأنه أن يكون عظة لمن بعدهم؛ تفصيلاً بقوم فرعون مع موسى ومؤمني قومه، ودون التفصيل بقوم تُبَّع، وإجمالاً وتعميماً بالذين من قبل هؤلاء .
٧- بيان موجز عن بني إسرائيل بعد أن أنجاهم الله من العذاب المهين، الذي كانون يعانونه في مصر مستَعْبَدين .
٨- بيان موقف مشركي مكة إبان التنزيل من إنكار الآخرة والبعث، ومجادلتهم بالإقناع وبالإنذار بيوم الدين.
٩- تضمنت السورة حديثاً عن شجرة الزقوم في الجحيم، التي يكون منها طعام الأثيم، وعرض مشهدين من مشاهد يوم القيامة:
الأول: يتضمن بيان صنف من أصناف عذاب الكافرين المجرمين في الجحيم .
الثاني: يتضمن بيان بعض نعيم المتقين في جنات النعيم في مقابل بيان بعض عذاب الكافرين الجاحدين.
١٠- خطاب من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بشأن القرآن الكريم، وتيسيره بلسانه العربي المبين، وإلماح ببشارته بأنه منصور بنصر الله له، وبأن المشركين المعاندين مخذولون، وبأن الله سينتقم منهم يوم الدين{يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)} [الشعراء : ٨٨ - ٨٩] [١].

وقد لخص سيد قطب -رحمه الله- مقاصد هذه السورة بقوله: "إنها سورة تهجم على القلب البشري من مطلعها إلى ختامها، في إيقاع سريع متواصل؛ تهجم عليه بإيقاعها، كما تهجم عليه بصورها وظلالها المتنوعة المتحدة في سمة العنف والتتابع، وتطوف به في عوالم شتى بين السماء والأرض، والدنيا والآخرة، والجحيم والجنة، والماضي والحاضر، والغيب والشهادة، والموت والحياة، وسنن الخلق ونواميس الوجود...فهي -على قصرها نسبياً- رحلة ضخمة في عالم الغيب وعالم الشهود"[٢].

قال الفيروزآبادي:" معظم مقصود السورة: نزول القرآن فى ليلة القدر، وآيات التوحيد، والشكاية من الكفار، وحديث موسى وبنى إسرائيل وفرعون، والرد على منكري البعث، وذل الكفار فى العقوبة، وعز المؤمنين في الجنة، والمنة على الرسول بتيسير القرآن على لسانه فى قوله: {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ} [الدخان : ٥٨]"[٣].

- **الناسخ والمنسوخ:**

فيها آية منسوخة: {فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ} [الدخان : ٥٩]، منسوخة بآية السيف[٤].

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:
- عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك"[٥].

---

(١) انظر: اسلام ويب.[موقع إلكتروني]
(٢) في ظلال القرآن: ٢٧٥٩/٥.
(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٢٤/١.
(٤) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٢٤/١.
(٥) أخرجه الترمذي في "السنن"(٢٨٨٨):ص١٣/٥، والبيهقي في "شعب الإيمان" (٢٤٧٥).
قال الترمذي:"هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وعمر بن أبي خثعم يضعف، قال محمد: وهو منكر الحديث".

- وعن الحسن، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة غفر له"[١].
- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ ليلة الجمعة {حم} الدخان و {يس} أصبح مغفورا له"[٢].
- عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ {حم} الدخان في ليلة جمعة أو يوم جمعة بنى الله له بيتا في الجنة"[٣].
- عن أبي رافع قال: من قرأ الدخان في ليلة الجمعة أصبح مغفورا له وزوج من الحور العين"[٤].
- عن عبد الله بن عيسى قال: "أخبرت أنه من قرأ {حم} الدخان ليلة الجمعة إيمانا وتصديقا بها أصبح مغفورا له"[٥].
- عن الأسود بن يزيد وعنبسة:" أن رجلا أتى عبد الله بن مسعود فقال: قرأت المفصل في ركعة فقال عبد الله: بل هذذت كهذ الشعر وكنثر الدقل ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ النظائر في ركعة فذكر عشر ركعات بعشرين سورة عن تأليف عبد الله آخرهن إذا الشمس كورت والدخان"[٦].
- عن ابن مسعود قال: "لقد علمت النظائر التي كان يصلي بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم: الذاريات والطور والنجم واقتربت والرحمن والواقعة ونون والحاقة والمزمل ولا أقسم بيوم القيامة وهل أتى على الإنسان والمرسلات وعم يتساءلون والنازعات وعبس وويل للمطففين وإذا الشمس كورت والدخان"[٧].
- عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في المغرب {حم} التي يذكر فيها الدخان"[٨].
- عن عبد الله بن عمرو، قال: "أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أقرئني يا رسول الله، فقال: «اقرأ ثلاثا من ذوات الر»، فقال: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني، قال: «فاقرأ ثلاثا من ذوات حاميم»، فقال مثل مقالته، فقال: «اقرأ ثلاثا من المسبحات»، فقال مثل مقالته، فقال الرجل: يا رسول الله، أقرئني سورة جامعة، فأقرأه النبي صلى الله عليه وسلم إذا زلزلت الأرض

وانظر: الموضوعات (١/ ١٨٠)، وقال الألباني في ضعيف الجامع (٥٧٦٦): "موضوع".

(١)"أخرجه الترمذي في "السنن" رقم (٢٨٨٩):١٣/٥، وقال:" هذا حديث، لا نعرفه إلا من هذا الوجه وهشام أبو المقدام يضعف، ولم يسمع الحسن من أبي هريرة، هكذا قال أيوب ويونس بن عبيد وعلي بن زيد".

قال ابن حجر في "التقريب" (٢/ ٣١٨ رقم ٧٩): "هشام بن زياد بن أبي يزيد، وهو هشام بن أبي هشام وأبو المقدام، ويقال له أيضا: هشام بن أبي الوليد المدني، متروك من السادسة".

إسناده حسن، من أجل عيسى بن هلال الصدفي، وصححه الحاكم والذهبي.

وقوله: من ذوات (الر)، أي: من السور التي تبدأ بهذه الأحرف الثلاثة التي تقرأ مقطعة: ألف، لام، را، والذي في القرآن منها خمس سور: يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.

وقوله من ذوات {حم}، أي: من السور التي تبدأ بهذين الحرفين: حا، ميم، وهي في القرآن سبع سور: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.

وقوله: من المسبحات، أي: السور التي أولها سَبَّح ويُسَبِحُ وسَبح، وهي الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى.

(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٩٧/٧. وعزاه إلى ابن الضريس والبيهقي.

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٩٧/٧. وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٩٨/٧. وعزاه إلى الدارمي ومحمد بن نصر.

(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٩٨/٧. وعزاه إلى الدارمي.

(٦) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٩٨/٧. وعزاه إلى الطبراني.

(٧) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٩٨/٧. وعزاه إلى الطبراني.

(٨) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٩٨/٧. وعزاه إلى ابن أبي عمر في مسنده.

حتى فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها أبدا، ثم أدبر الرجل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أفلح الرويجل» مرتين"[١].

- عن سعد بن إبراهيم، قال: «كل الحواميم يسمين العرائس»[٢].

(١)"مسند أحمد" (٦٥٧٥) ، وسنن أبي داود(١٣٩٩):ص٥٧/٢، والسنن الكبرى للنسائي (٧٩٧٣) و (١٠٤٨٤) ، وصحيح ابن حبان (٧٧٣):٥٠/٣.
إسناده حسن، من أجل عيسى بن هلال الصدفي، وصححه الحاكم والذهبي.
وقوله: من ذوات (الر)، أي: من السور التي تبدأ بهذه الأحرف الثلاثة التي تقرأ مقطعة: ألف، لام، را، والذي في القرآن منها خمس سور: يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.
وقوله من ذوات {حم}، أي: من السور التي تبدأ بهذين الحرفين: حا، ميم، وهي في القرآن سبع سور: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.
وقوله: من المسبحات، أي: السور التي أولها سَبَّح ويُسَبحُ وسَبح، وهي الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى.
(٢) مسند ابن ابي شيبة(٣٠٢٨٤):ص١٥٣/٦، وسنن الدارمي(٣٤٦٥):ص٢١٥٢/٤، وشعب الإيمان(٢٢٥٣):ص١٠٦/٤.
وللاستزادة في فضائل «الحواميم» راجع فضائل السورة «غافر».
إسناده صحيح إلى سعد بن إبراهيم وهو موقوف عليه.

سورة «الجاثية»

هي السورة «الخامسة والأربعون» بحسب ترتيب سور المصحف العثماني، وهي السورة «الخامسة والستون» بحسب ترتيب النزول، نزلت بعد «سورة الدخان» وقبل «الأحقاف»، على ما هو معروف من نزول سور الحواميم -التي هي لُباب القرآن، وعرائس آياته- جملة مرتبة متتابعة، وترتيبها بينها السادس[١].

وعدد آياتها سبع وثلاثون فى الكوفة، وست فى الباقين، وكلماتها أربعمائة وثمانون. وحروفها ألفان ومائة وتسعون. مجموع فواصل آياتها: «من»[٢].

- **أسماء السورة:**
- **أولا: أسمها التوقيفي: «سورة الجاثية»:**

سميت هذه السورة في كثير من المصاحف وكتب التفسير: «سورة الجاثية»؛ لقوله: {وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً} [الجاثية : ٢٨].

وغلب هذا الاسم على هذه السورة؛ إذ الأصل أن تسمى السورة باسم أمر ذي بال مذكور فيها؛ لما جاء فيها من الأهوال التي يلقاها الناس يوم الحساب، حيث تجثو الخلائق على الركب في انتظار الحساب، ويغشاهم من الفزع ما لا يخطر على بال.

قال القاسمي:"سميت بها لتضمن آيها بيان سبب تأخير البعث إلى يوم القيامة، لأجل اجتماع الأمم محاكمة إلى الله تعالى، وفصله بينهم يوم القيامة، وهي من المطالب الشريفة في القرآن"[٣].

قال ابن عاشور:"واقتران لفظ «الجاثية» بـ«لام التعريف» في اسم السورة مع أن اللفظ المذكور فيها خُلِّيَ عن لام التعريف؛ لقصد تحسين الإضافة، والتقدير: سورة هذه الكلمة، أي: السورة التي تُذكر فيها هذه الكلمة، وليس لهذا التعريف فائدة غير هذه"[٤].

- **ثانيا: أسماؤها الإجتهادية:**
- **الاسم الأول:«سورة حم الجاثية»:**

تسمى «حم الجاثية»، كما جاءت في كلام الصحابة -رضوان الله عليهم-[٥].

- **الاسم الثاني:«سورة الشريعة»:**

وتسمى «سورة الشريعة» -كما وردت عند السلف[٦]-، لوقوع لفظ «شريعة» فيها، وذلك في قوله تعالى: {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ} [الجاثية : ١٨]، ولم يقع في موضع آخر من القرآن.

قال القاسمي:سميت بذلك" لتضمن آيها وجه نسخ هذه الشريعة، سائر الشرائع، وفضلها عليها. وهو أيضا من المطالب العزيزة فيه"[٧].

- **الاسم الثالث:«سورة الدهر»:**

وتسمى «سورة الدهر»، لوقوع لفظ «الدهر» فيها، وذلك في قوله تعالى: {وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ} [الجاثية : ٢٤] ، ولم يقع هذا اللفظ في ذوات «حم»[٨] الأخر[٩].

---

(١) انظر: الكشاف: ٢٨٤/٤، والتحرير والتنوير: ٢٧٥/٢٥.
(٢) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤٢٦.
(٣) انظر: محاسن التأويل: ٤٢٥/٨.
(٤) التحرير والتنوير: ٣٢٣/٢٥.
(٥) قال ابن عباس:"انزلت بمكة سورة«حم الجاثية»". ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٤٢٢/٧. وعزاه إلى ابن مردويه.
(٦) قال ابن الزبير:" أنزلت «سورة الشريعة»، بمكة". ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٤٢٢/٧. وعزاه إلى ابن مردويه.
(٧) محاسن التأويل: ٤٢٥/٨.
(٨) وقد وقع هذا اللفظ في سورة «الإنسان»، قال تعالى: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا} [الإنسان : ١].
(٩) انظر: هذه التسمية في العجائب للكرماني: ١٠٨٣/٢، والإتقان: ١٧٤/١.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها أنزلت بمكة. قاله ابن عباس[١]، وعبد الله بن الزبير[٢]، والحسن[٣]، وجابر[٤]، وعكرمة[٥]، ومجاهد[٦]، وقتادة[٧].

الثاني: أنها مكية إلا قوله: {قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [الجاثية : ١٤]. نزلت بالمدينة في عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، وهذا القول منسوب الى ابن عباس[٨]، وقتادة[٩].

وروي عن ابن عباس، {قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا} [الجاثية : ١٤]: " نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه شتمه رجل من المشركين بمكة قبل الهجرة فأراد أن يبطش به فأنزل الله تعالى {قل للذين آمنوا} [الجاثية: ١٤]، يعني: عمر بن الخطاب رضي الله عنه.."[١٠].

قال ابن ابي زمنين:" هي مكية كلها"[١١].

قال ابن عطية:" هذه السورة مكية لا خلاف في ذلك"[١٢].

قال الفيروزآبادي:" السورة مكية بالإجماع"[١٣].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها: أن أول هذه مشاكل لآخر سابقتها فى الأغراض والمقاصد [١٤].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

إن هذه السورة تصور جانباً من استقبال المشركين للدعوة الإسلامية، وطريقتهم في مواجهة حججها وآياتها، وتعنتهم في مواجهة حقائقها وقضاياها، واتباعهم للهوى اتباعا ًكاملاً في غير ما تحرج من حق واضح، أو برهان قاطع. كذلك تصور كيف كان القرآن يعالج قلوبهم الجامحة الشاردة مع الهوى، المغلقة دون الهدى، وهو يواجهها بآيات الله القاطعة العميقة التأثير والدلالة، ويذكرهم عذابه، ويصور لهم ثوابه، ويقرر لهم سننه، ويعرفهم بنواميسه الماضية في هذا الوجود.

كما تناولت السورة العقيدة الإسلامية، وأفاضت في الحديث عنها، والتوسع في تحقيقها؛ فتكلمت عن الإيمان، والوحدانية، والرسالة المحمدية، والقرآن، والبعث، والجزاء.

قال الطنطاوي:" المتدبر في هذه السورة الكريمة، يراها تدعو الناس إلى التفكر فيما اشتمل عليه هذا الكون من آيات دالة على وحدانية الله- تعالى- وكمال قدرته، كما أنه يراها تحكى بشيء من التفصيل أقوال المشركين وترد عليها، وتبين سوء عاقبتهم كما يراها تسوق ألوانا من نعم الله على خلقه، وتدعو

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٤٢٢/٧. وعزاه إلى ابن مردويه.
(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٤٢٢/٧. وعزاه إلى ابن مردويه.
(٣) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ٩٦/٤، والقرطبي في "التفسير": ١٥٦/١٦. بدون سند.
(٤) حكاه القرطبي في التفسير: ١٥٧/١٦. بدون سند.
(٥) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ٩٦/٤، والقرطبي في "التفسير": ١٥٦/١٦. بدون سند.
(٦) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ٩٦/٤. بدون سند.
(٧) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ٩٦/٤. بدون سند.
(٨) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ٩٦/٤، والقرطبي في "التفسير": ١٥٦/١٦. بدون سند.
(٩) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ٩٦/٤، والقرطبي في "التفسير": ١٥٦/١٦. بدون سند.
(١٠) معاني القرآن: ٦٦١-٦٦٢.
(١١) تفسير ابن ابي زمنين: ٢٠٩/٤.
(١٢) المحرر الوجيز: ٧٩/٥.
(١٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٢٦/١.
(١٤) انظر: تفسير المراغي:١٤٠/٢٥.

المؤمنين إلى التمسك بكتاب ربهم، وتبشرهم بأنهم متى فعلوا ذلك ظفروا برضوان الله تعالى وثوابه، فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته، ذلك هو الفوز المبين، كما يراها تهتم بتفصيل الحديث عن أهوال يوم القيامة، لكي يفيء الناس إلى رشدهم، ويستعدوا لاستقبال هذا اليوم بالإيمان والعمل الصالح"(١).

هذا ما تضمنته السورة من مقاصد من حيث الجملة، أما حيث التفصيل، فقد تضمنت السورة المقاصد التالية:

١- ابتدأت السورة التحدي بإعجاز القرآن، وأن القرآن تنزيل من الله العزيز الحكيم، فهو كتاب عظيم معجز، جاء بالحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

٢- إقامة الأدلة على ربوبيته سبحانه وعظم سلطانه، وإثبات انفراده تعالى بالإلهية بدلائل ما في السماوات والأرض من آثار خلقه وقدرته وما فيها من نعم، يحق على الناس شكرها لا كفرها.

٣- تعليم للرسول صلى الله عليه وسلم أن يرشد المؤمنين إلى أن يغفروا للذين لا يؤمنون بالجزاء الرباني إيذاءاتهم؛ ففضائل أخلاق المؤمن، ومنها المغفرة جزء من الدعوة المجدية المؤثرة في جذب الكافرين إلى الإيمان والإسلام، وأن يبين لهم ثواب الله العظيم، الذي أعده للدعاة الصابرين، الذين يغفرون ولا يحقدون، ويتجاوزون عن إساءات من أساء إليهم ولا يثأرون.

٤- بيان أن الله عز وجل آتى بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة، وأنعم عليهم نعماً كثيرة؛ ليحملوا رسالة الله للناس، لكنهم لم يكونوا صالحين لحمل الرسالة الربانية، فاصطفى سبحانه رسوله محمداً، وجعل أمته هي الأمة المختارة لحمل خاتمة رسالات الله للعالمين. وفي هذا تحذير ضمني للأمة المحمدية أن تفعل مثلما فعل بنو إسرائيل من قبل.

٥- وعيد الذين كذبوا على الله والتزموا الآثام بالإصرار على الكفر والإعراض عن النظر في آيات القرآن والاستهزاء بها.

٦- التنديد على المشركين جراء اتخاذهم آلهة وفق أهوائهم، وجحودهم البعث، وتهديدهم بالخسران يوم البعث، ووصف أهوال ذلك، وما أعد فيه من العذاب للمشركين ومن رحمة للمؤمنين.

٧- تضمنت السورة تحذيراً شديداً من اتباع الهوى والضلال على علم؛ إذ إن هذا الاتباع يختم على السمع والقلب، ويُغشي النظر؛ فلا يكون لصاحبه هداية، ويندفع في ضلاله وطغيانه، فينكر البعث والجزاء.

٨- وصفت السورة الذين يُعرضون عن آيات الله بالاستكبار والإعراض عن الاتعاظ والاعتبار؛ خلوداً إلى الدنيا، وغروراً بها، وكفراً بالله الذي خلقهم، وأحياهم، ثم يميتهم، ويجمعهم إلى يوم القيامة لا ريب فيه.

٩- وصف بعض أحوال يوم الجزاء؛ حيث تُدعى كل أمة إلى كتابها؛ لتلقى جزاءها؛ {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ} [الجاثية : ٣٠]، {وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ} [الجاثية : ٣١]، فاليوم جزاؤهم جهنم، لا يخرجون منها، ولا هم يستعتبون.

١٠- تشبيه الذين أهملوا النظر في آيات الله مع تبيانها، وخالفوا على رسولهم صلى الله عليه وسلم فيما فيه صلاحهم بحال بني إسرائيل في اختلافهم في كتابهم، بعد أن جاءهم العلم، وبعد أن اتبعوه، فما الظن بمن خالف آيات الله من أول وهلة؟ تحذيراً للعباد من أن يقعوا فيما وقع فيه بنو إسرائيل من تسليط الأمم عليهم، وذلك تحذير بليغ.

---

(١) التفسير الوسيط: ١٣٩/١٣.

١١- تثبيت الرسول صلى الله عليه وسلم بأن شأن شرعه مع قومه كشأن شريعة موسى، لا تسلم من مخالف، وأن ذلك لا يقدح فيها، ولا في الذي جاء بها، وأن لا يعبأ بالمعاندين ولا بكثرتهم؛ إذ لا وزن لهم عند الله.

١٢- تنتهي آيات السورة بإثبات الحمد والكبرياء لله رب السماوات والأرض العزيز الحكيم[١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

المنسوخ فيها آية واحدة: {قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [الجاثية : ١٤]، نسختها آية السيف: {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} [التوبة: ٥]. قاله قتادة[٢].

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته عند الحساب»"[٣].
- عن عبد الله بن عمرو، قال: "أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أقرئني يا رسول الله، فقال: «اقرأ ثلاثا من ذوات الر»، فقال: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني، قال: «فاقرأ ثلاثا من ذوات حاميم»، فقال مثل مقالته، فقال: «اقرأ ثلاثا من المسبحات»، فقال مثل مقالته، فقال الرجل: يا رسول الله، أقرئني سورة جامعة، فأقرأه النبي صلى الله عليه وسلم إذا زلزلت الأرض حتى فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها أبدا، ثم أدبر الرجل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أفلح الرويجل» مرتين"[٤].
- عن سعد بن إبراهيم، قال: «كل الحواميم يسمين العرائس»[٥].

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٢٤/١.

(٢) رواه عنه النحاس في الناسخ والمنسوخ: ٦٦١-٦٦٢.

(٣) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ٣٥٨/٨، والواحدي في التفسير الوسيط(٨٣١):ص٩٤/٤. [وقد مرّ أنه حديث موضوع غير ثابت].

قال الترمذي:"هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وعمر بن أبي خثعم يضعف، قال محمد: وهو منكر الحديث".

وانظر: الموضوعات (١/ ١٨٠)، وقال الألباني في ضعيف الجامع (٥٧٦٦): "موضوع".

(٤)"مسند أحمد" (٦٥٧٥) ، وسنن أبي داود(١٣٩٩):ص٥٧/٢، والسنن الكبرى للنسائي (٧٩٧٣) و (١٠٤٨٤) ، وصحيح ابن حبان (٧٧٣):٥٠/٣.

إسناده حسن، من أجل عيسى بن هلال الصدفي، وصححه الحاكم والذهبي.

وقوله: من ذوات (الر)، أي: من السور التي تبدأ بهذه الأحرف الثلاثة التي تقرأ مقطعة: ألف، لام، را، والذي في القرآن منها خمس سور: يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.

وقوله من ذوات {حم}، أي: من السور التي تبدأ بهذين الحرفين: حا، ميم، وهي في القرآن سبع سور: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.

وقوله: من المسبحات، أي: السور التي أولها سَبَّح ويُسَبحُ وسَبح، وهي الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى.

(٥) مسند ابن ابي شيبة(٣٠٢٨٤):ص١٥٣/٦، وسنن الدارمي(٣٤٦٥):ص٢١٥٢/٤، وشعب الإيمان(٢٢٥٣):ص١٠٦/٤.

وللاستزادة في فضائل «الحواميم» راجع فضائل السورة «غافر».

إسناده صحيح إلى سعد بن إبراهيم وهو موقوف عليه.

سورة «الأحقاف»

سورة «الأحقاف» هي السورة «السادسة والأربعون» بحسب ترتيب سور المصحف العثماني، وهي السورة «الخامسة والستون» بحسب ترتيب نزول السور، نزلت بعد «سورة الجاثية»، وقبل «سورة الذاريات»، وهي السورة السابعة من الحواميم السبع[1].

وعدد آياتها خمس وثلاثون فى الكوفيين، وأربع فى الباقين، وكلماتها ثلاثمائة وأربع وأربعون. وحروفها ألفان وخمسمائة وخمس وتسعون، المختلف فيها آية واحدة: {حم (١)} [الأحقاف : ١]. فواصل آياتها «من»[2].

- **أسماء السورة:**
- **أولا: أسمها التوقيفي: «سورة الأحقاف»:**

سميت هذه السورة «سورة الأحقاف» في جميع المصاحف وكتب السنة، ووردت تسميتها بهذا الاسم في كلام عبد الله بن مسعود،-رضي الله عنه-[3]، وعبد الله بن عباس-رضي الله عنهما-[4].

عن ابن مسعود قال: «أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الأحقاف، وأقرأها رجلا آخر، فخالفني في آية، فقلت له: من أقرأكها؟ فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتيته وهو في نفر، فقلت: يا رسول الله، ألم تقرئني آية كذا وكذا؟ فقال: " بلى "، قال: قلت: فإن هذا يزعم أنك أقرأتها إياه كذا وكذا؟ فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال الرجل الذي عنده: ليقرأ كل رجل منكم كما سمع، فإنما هلك من كان قبلكم بالاختلاف قال: " فوالله ما أدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره بذلك أم هو قاله؟»[5].

ووجه تسميتها «الأحقاف» ورود لفظ: «الأحقاف» فيها ولم يرد في غيرها من سور القرآن، قال تعالى: {وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} [الأحقاف : ٢١].

- **ثانيا: اسمها الإجتهادي: «سورة حم الأحقاف»:**

تسمى «حم الأحقاف»، كما جاءت في كلام الصحابة -رضوان الله عليهم-[6]، وقد وردت هذه التسمية عند الحسن[7]، وعكرمة[8]، وابن وهب[9]، وبذلك عنون لها الواحدي[10]، والنيسابوري[11] في تفسيرهما.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة، أقوال:

---

(١) انظر: التحرير والتنوير: ٦/٢٦.
(٢) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤٢٨.
(٣) انظر: مسند احمد(٣٩٩٢):ص٧/١٠٠.[إسناده حسن]
(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٤٣٣/٧. وعزاه إلى ابن مردويه.
(٥) مسند احمد(٣٩٩٢):ص٧/١٠٠.[إسناده حسن]
(٦) قال ابن عباس:" نزلت بمكة سورة {حم} الأحقاف»". ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٤٣٣/٧. وعزاه إلى ابن مردويه، وقال:" وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله".
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٩٩/٢٢.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٩٩/٢٢.
(٩) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب:٨٠/٣.
(١٠) انظر: التفسير الوسيط: ١٠٢/٤.
(١١) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٣٦٨/٦.

أحدها: أنها أنزلت بمكة. قاله ابن عباس[١]، وعبد الله بن الزبير[٢]، والحسن[٣]،وعكرمة[٤]، ومجاهد[٥]، وقتادة[٦]. وحكاه ابن الجوزي عن الجمهور[٧].

الثاني: أنها مكية إلا قوله: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ} [الأحقاف : ١٠][٨]. نزلت بالمدينة. وهذا القول منسوب الى ابن عباس[٩]، وقتادة[١٠].

الثالث: أنها مكية إلا آيتين: قوله{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ} [الأحقاف : ١٠]، وقوله: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} [الأحقاف : ٣٥]. قاله مقاتل[١١].

قال ابن عطية:" هذه السورة مكية لم يختلف منها إلا في آيتين، وهي قوله: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ} [الأحقاف: ١٠]، وقوله: {فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} [الأحقاف: ٣٥] الآية، فقال بعض المفسرين: هاتان آيتان مدنيتان وضعتا في سورة مكية"[١٢].

الرابع: انها مكية إلا قوله: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا} [الأحقاف : ١٥]، الآيات الأربع وقوله: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} [الأحقاف : ٣٥]. ذكره السيوطي، وقال:"حكاه في جمال القراء"[١٣].

قلت: وهذا خطأ في النقل، فإنّ السخاوي لم ينص على استثناء قوله تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسانَ} .. الآيات وتابع السيوطي في ذلك الألوسي[١٤]، فنسب هذا الاستثناء إلى «جمال القراء» فليتأمل.

قال القرطبي:" سورة الأحقاف مكية في قول جميعهم"[١٥].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ووجه اتصالها بما قبلها- أنه تعالى ختم السورة السالفة بالتوحيد، وذم أهل الشرك وتوعدهم عليه، وافتتح هذه بالتوحيد وتوبيخ المشركين على شركهم أيضا[١].

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٤٣٣/٧. وعزاه إلى ابن مردويه.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٤٣٣/٧. وعزاه إلى ابن مردويه.

(٣) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ١٠٢/٤. بدون سند.

(٤) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ١٠٢/٤. بدون سند.

(٥) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ١٠٢/٤. بدون سند.

(٦) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ١٠٢/٤. بدون سند.

(٧) انظر: زاد المسير: ١٠٢/٤.

(٨) قال في الاتقان:٦٥/١:" أخرج الطبراني بسند صحيح عن عوف بن مالك الأشجعي أنها نزلت بالمدينة في قصة إسلام عبد الله بن سلام، وله طرق أخرى لكن أخرج ابن أبي حاتم عن مسروق قال أنزلت هذه الآية بمكة إنما كان إسلام ابن سلام بالمدينة وإنما كانت خصومة خاصم بها محمدا صلى الله عليه وسلم. وأخرج عن الشعبي قال ليس بعبد الله بن سلام وهذه الآية مكية".

والظاهر-والله أعلم- أنّ الآية مدنيّة نزلت في عبد الله بن سلام عند ما أسلم بعد مقدم النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم المدينة، وعلى هذا أكثر العلماء، وفي مقدمتهم الإمام الطبري حيث قال:- بعد كلام- غير أن الأخبار قد وردت عن جماعة من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بأن ذلك عنى به عبد الله بن سلام. وعليه أكثر أهل التأويل وهم كانوا أعلم بمعاني القرآن، والسبب الذي فيه نزل، وما أريد به". [تفسير الطبري: ٢٦/ ١٢].

(٩) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ١٠٢/٤. بدون سند.

(١٠) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ١٠٢/٤. بدون سند.

(١١) حكاه عنه ابن الجوزي في "زاد المسير": ١٠٢/٤. ولم اقف عليه في تفسير مقاتل.

(١٢) المحرر الوجيز: ٩١/٥.

(١٣) انظر: الاتقان: ٦٥/١.

(١٤)في تفسيره ١٦/ ٤.

(١٥) تفسير القرطبي: ١٧٨/١٦.

- **أغراض السورة ومقاصدها**

إن هذه السورة المكية تعالج قضية العقيدة..قضية الإيمان بوحدانية الله وربوبيته المطلقة لهذا الوجود ومن فيه وما فيه، والإيمان بالوحي والرسالة، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول سبقته الرسل، أوحي إليه بالقرآن مصدقاً لما بين يديه من الكتاب. والإيمان بالبعث وما وراءه من حساب وجزاء على ما كان في الحياة الدنيا من عمل وكسب ومن إحسان وإساءة.

تلك هي مقاصد السورة من حيث الجملة، أما من حيث التفصيل، فقد تضمنت السورة المقاصد التالية:

١- أنها -كشأن السور المكية- تدعو إلى العقيدة الصحيحة من توحيد الله تعالى إلى تصديق رسالة الرسل عليهم السلام إلى الإيمان باليوم الآخر، وما فيه من ثواب وعقاب.

٢- أنها تؤكد صحة رسالة رسولنا صلى الله عليه وسلم، وصدق ما جاء به عن ربه سبحانه.

٣- بيان أن استمرار نظام الحياة الدنيا للسماوات والأرض محدد بأجل مسمى، وأن الله خلق السماوات والأرض بالحق.

٤- بيان أن الذين كفروا معرضون غير عابئين بما أُنذروا به من إنذارات.

٥- بيان الموقف الاستكباري، الذي وقفه أئمة الكفر والشرك في مكة إبان التنزيل من ضعفاء المؤمنين.

٦- أوضحت السورة ضلال الكفار وبهتانهم وخطأهم في عبادة الأوثان والأصنام، التي لا تضر ولا تنفع، ولا تبصر ولا تسمع، ولا تغني من الحق شيئاً.

٧- ردت على المشركين مزاعمهم، وسفهتهم في زعمهم أن القرآن سحر مبين، قال تعالى :{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ} [الأحقاف : ١٠]<

٨- أنها جاءت بمثالين:

أحدهما: للولد الصالح البار بوالديه، وقد بلغ كمال عقله ورشده، قال سبحانه :{رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ} [الأحقاف : ١٥].

وثاني المثالين: جاءت به للولد الفاجر العاق لوالديه، الذي يقابل نصحهما له وحرصهما عليه بالسخرية والاستهزاء، وذلك عندما يدعوانه إلى الإيمان بالله، فيقول } :{أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ} [الأحقاف : ١٧] إلى أن يقول: {مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} [الأحقاف : ١٧].

٩- تضمنت السورة إنذاراً للمصرين على كفرهم من مشركي مكة، بأنهم إذا تماروا في غيهم، أهلكهم الله كما أهلك كفار أهل القرى من حولهم، فما نصرتهم آلهتهم التي كانوا اتخذوها من دون الله.

١٠- تضمنت السورة بياناً إقناعيًّا موجهاً من الله سبحانه لمنكري البعث، مصحوباً بإنذار بعذاب النار يوم الدين.

١١- عرضت السورة لأولئك النفر من الجن الذين صرفهم الله ووجههم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسماع القرآن الكريم، فأنصتوا إليه عند سماعه، ثم ذهبوا إلى قومهم منذرين ومخوفين لهم من أن يخافوه؛ لأن القرآن مصدق لما جاء به موسى عليه السلام؛ ولأنه يهدي إلى الحق الثابت والصراط المستقيم، وآمرين لهم باتباع ما جاء فيه ليغفر الله لهم ذنوبهم وينجيهم من عذاب أليم، وذلك تنبيه وتوبيخ للمشركين، حيث آمن به الجن، وكفر به المشركون وعاندوا.

١٢- بينت السورة أن الله الذي خلق السماوات والأرض، ولم يصبه إعياء، أو ضعف، أو تعب، هو سبحانه وحده القادر على إحيائهم بعد موتهم، وحسابهم على ما اقترفوا من كفر ومعاص في الدنيا، وهذا تهديد لهم.

---

(١) انظر: تفسير المراغي:٣/٢٦.

١٣- عرضت السورة صورة من مصرع قوم هود وفي مصارع القرى حول مكة. وتجعل من السماوات والأرض كتاباً ينطق بالحق كما ينطق هذا القرآن بالحق على السواء.
١٤- الثناء على الذين آمنوا بالقرآن، وذكر بعض خصالهم الحميدة، وما يضادها من خصال أهل الكفر، وحسدهم الذي بعثهم على تكذيبه.
١٥- بيان أن الله أخذ أهل الضلال بكفرهم، وأهلك أمماً أخرى، فجعلهم عظة للمكذبين، وأن جميعهم لم تغن عنهم أربابهم المكذوبة، التي كانوا يدعون من دون الله من شيء.
١٦- خُتمت السورة بتثبيت الرسول صلى الله عليه وسلم، وأمر من الله لرسوله أن يصبر على تكذيب قومه، وإيذائهم له كما صبر أصحاب العزائم العالية من الرسل عليهم السلام، ونهاه جل شأنه أن يستعجل لهم العذاب؛ فإنه آتيهم لا محالة،: {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ} [الأحقاف : ٣٥][١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

فيها من المنسوخ آيتان:

إحداهما: {وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ} [الأحقاف : ٩]، نسختها قوله: {لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ} [الفتح: ٢] وقوله: {لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ جَنَّاتٍ [الفتح: ٥]. قاله ابن عباس[٢]، وأنس[٣]، وعكرمة[٤]، وقتادة[٥].

وعن ابن عباس، قال: "نسختها: {إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً الآية} [الفتح: ١]" [٦].

الثانية: قوله تعالى: {فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} [الأحقاف: ٣٥]، نسخت بآية السيف[٧].

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة الأحقاف أعطي من الأجر بعدد كل نمل في الدنيا عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ويرفع له عشر درجات»[٨].
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته عند الحساب»"[٩].
- عن عبد الله بن عمرو، قال: "أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أقرئني يا رسول الله، فقال: «اقرأ ثلاثا من ذوات الر»، فقال: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني، قال: «فاقرأ ثلاثا من ذوات حاميم»، فقال مثل مقالته، فقال: «اقرأ ثلاثا من المسبحات»، فقال مثل مقالته، فقال الرجل: يا رسول الله، أقرئني سورة جامعة، فأقرأه النبي صلى الله عليه وسلم إذا زلزلت الأرض

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٢٤/١.
(٢) رواه عنه ابن الجوزي في نواسخ القرآن: ١٩٥.
(٣) حكاه عنه ابن الجوزي في نواسخ القرآن: ١٩٥. بدون سند.
(٤) حكاه عنه ابن الجوزي في نواسخ القرآن: ١٩٥. بدون سند.
(٥) حكاه عنه ابن الجوزي في نواسخ القرآن: ١٩٥. بدون سند.
(٦) انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي: ١٩٥.
(٧) انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي: ١٩٦.
(٨) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ٥/٩.[ضعيف]
(٩) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ٣٥٨/٨، والواحدي في التفسير الوسيط(٨٣١):ص٩٤/٤. [وقد مرّ أنه حديث موضوع غير ثابت].
قال الترمذي:"هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وعمر بن أبي خثعم يضعف، قال محمد: وهو منكر الحديث".
وانظر: الموضوعات (١/ ١٨٠)، وقال الألباني في ضعيف الجامع (٥٧٦٦): "موضوع".

حتى فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها أبدا، ثم أدبر الرجل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أفلح الرويجل» مرتين"[١].

- عن سعد بن إبراهيم، قال: «كل الحواميم يسمين العرائس»[٢].

وهذه الاحاديث التي تدل على فضل الحواميم بصفة عامة، فإنها تدل على فضل كل سورة منها ضمنا.

---

(١)"مسند أحمد" (٦٥٧٥) ، وسنن أبي داود(١٣٩٩):ص٥٧/٢، والسنن الكبرى للنسائي (٧٩٧٣) و (١٠٤٨٤) ، وصحيح ابن حبان (٧٧٣):٥٠/٣.
إسناده حسن، من أجل عيسى بن هلال الصدفي، وصححه الحاكم والذهبي.
وقوله: من ذوات (الر)، أي: من السور التي تبدأ بهذه الأحرف الثلاثة التي تقرأ مقطعة: ألف، لام، را، والذي في القرآن منها خمس سور: يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.
وقوله من ذوات {حم}، أي: من السور التي تبدأ بهذين الحرفين: حا، ميم، وهي في القرآن سبع سور: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.
وقوله: من المسبحات، أي: السور التي أولها سَبَّح ويُسَبحُ وسَبح، وهي الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى.
(٢) مسند ابن ابي شيبة(٣٠٢٨٤):ص١٥٣/٦، وسنن الدارمي(٣٤٦٥):ص٢١٥٢/٤، وشعب الإيمان(٢٢٥٣):ص١٠٦/٤.
وللاستزادة في فضائل «الحواميم» راجع فضائل السورة «غافر».
إسناده صحيح إلى سعد بن إبراهيم وهو موقوف عليه.

سورة «محمد»

سورة «محمد» هي السورة «السابعة والأربعون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «السادسة والتسعون» بحسب نزول سور القرآن، نزلت بعد «سورة الحديد»، وقبل «سورة الرعد».

وعدد آياتها أربعون في البصرة، وثمان في الكوفة وتسع وثلاثون عند الباقين. وكلماتها خمسمائة وتسع وثلاثون. وحروفها ألفان وثلثمائة وتسع وأربعون. المختلف فيها آيتان: {أَوْزَارَهَا } [محمد : ٤]، {لِلشَّارِبِينَ } [محمد : ١٥]. فواصل آياتها: «ما»[١].

- **أسماء السورة:**
- **أولا: أسمها التوقيفي: «سورة محمد»:**

سميت هذه السورة في كلام الصحابة-رضوان الله عليهم-[٢]، وفي كتب السُّنَّة «سورة محمد» وكذلك تُرجمت في «صحيح البخاري»[٣]، وكذلك في كتب التفسير.

ووجهه أنها ذُكر فيها اسم النبي صلى الله عليه وسلم في الآية الثانية منها، فعُرفت به قبل سورة آل عمران التي فيها: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُول} [آل عمران : ١٤٤].

قال المهايمي:" سميت به، لما فيها من أن الإيمان بما نزل على محمد متفرقا، أعظم من الإيمان بما نزل مجموعا على سائر الأنبياء عليهم السلام. وهو من أعظم مقاصد القرآن"[٤].

- **ثانيا: اسماؤها الإجتهادية:**

الاسم الأول: «سورة الذين كفروا»:

تسمى «سورة الذين كفروا»، كما جاءت في كلام الصحابة -رضوان الله عليهم-[٥].

الاسم الثاني: «سورة القتال»:

سميت هذه السورة في كلام بعض الصحابة-رضوان الله عليهم- بـ«سورة القتال»، كما روي عن قال ابن عباس، قال:"أنزلت سورة القتال بالمدينة[٦].

وبهذا الاسم عنونها بعض كتب التفسير، ووجه تسميتها بهذا؛ لأنها ذكرت فيها مشروعية القتال؛ ولأنها ذكر فيها لفظه في قوله تعالى: {وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ} [محمد : ٢٠]، فالمراد بـ «السورة» في هذه الآية هذه السورة، فتكون تسميتها «سورة القتال» تسمية قرآنية[٧].

قال سيد قطب رحمه الله:" وهو اسم حقيقي لها. فالقتال هو موضوعها. والقتال هو العنصر البارز فيها"[٨].

---

(١) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤٣٠.

(٢) أخرج ابن مردويه عن علي-رضي الله عنه- قال: "سورة محمد آية فينا وآية في بني أمية".[الدر المنثور: ٤٥٦/٧].

(٣) انظر: صحيح البخاري: ١٣٤/٦.

(٤) نقلا عن: محاسن التأويل: ٤٦٣/٨.

(٥) فعن ابن عمر، "أن النبي-صلى الله عليه وسلم- كان يقرا بهم في المغرب: {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [محمد : ١]". رواه الطبراني في الكبير(١٣٣٨٠):ص٣٧٢/١٢، وفي الاوسط(١٢٦١):ص١٣٩/٢، و(١٧٦٣):ص٤٤١/٢، والصغير(١١٧):ص١٠، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٧١/٢:" رواه الطبراني في الثلاثة ورجاله رجال الصحيح".

وعن ابن الزبير، قال:" نزلت بالمدينة سورة«الذين كفروا»". اورده السيوطي في الدر المنثور: ٤٥٦/٧، وعزاه لابن مردويه.

(٦) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٤٥٧/٧. وعزاه إلى ابن ضريس.

(٧) انظر: التحرير والتنوير: ٧١/٢٦.

(٨) في ظلال القرآن: ٣٢٧٨/٦.

قال المهايمي:" وتسمى سورة «القتال»، لدلالتها على ارتفاع حرمة نفوس الكفار المانعة من قتالهم، وما يترتب على القتال وكثرة فوائده"[١].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة، ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها أنزلت بالمدينة. قاله ابن عباس[٢]، وعبد الله بن الزبير[٣]، ومجاهد[٤]، ومقاتل[٥]، وحكاه ابن الجوزي عن الأكثرين[٦].

الثاني: أنها مدنية إلّا آية منها نزلت عليه بعد حجّه حين خرج من مكّة وجعل ينظر إلى البيت، وهي قوله: {وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ} [محمد : ١٣]. وهذا القول منسوب إلى ابن عباس[٧]، وقتادة[٨].

قال ابن عاشور:" ولعله وهم ناشىء عما روي عن ابن عباس أن قوله تعالى: {وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ} [محمد : ١٣]، الآية نزلت في طريق مكة قبل الوصول إلى حراء، أي في الهجرة. قيل: نزلت هذه السورة بعد يوم بدر وقيل نزلت في غزوة أحد"[٩].

الثالث: أنها مكية. قاله الضحاك[١٠]، وسعيد بن جبير[١١]، والسدي[١٢].

قال الفيروزآبادي:" السورة مدنية بالاتفاق"[١٣].

قال ابن عطية:" هذه السورة مدنية بإجماع، غير أن بعض الناس قال في قوله تعالى: {وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ} [محمد: ١٣] إنها نزلت بمكة في وقت دخول النبي فيها عام الفتح أو سنة الحديبية، وما كان مثل هذا فهو معدود في المدني، لأن المراعى في ذلك إنما هو ما كان قبل الهجرة أو بعدها"[١٤].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

فإن أولها متلاحم بآخر السورة السابقة، حتى لو أسقطت البسملة من البين لكان الكلام متصلا بسابقه لا تنافر فيه، ولكان بعضه آخذا بحجز بعض[١٥].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

معظم ما في هذه السورة التحريض على قتال المشركين، وترغيب المسلمين في ثواب الجهاد. وقد افتتحت بما يثير حنق المؤمنين على المشركين؛ لأنهم كفروا بالله، وصدوا عن سبيله، أي دينه. فـ «القتال» هو موضوع السورة؛ فهي تبدأ ببيان حقيقة الذين كفروا، وحقيقة الذين آمنوا في صيغة هجوم

---

(١) نقلا عن: محاسن التأويل: ٤٦٣/٨.
(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٤٥٦/٧. وعزاه إلى ابن ضريس، والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.
(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٤٥٦/٧. وعزاه إلى ابن مردويه.
(٤) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ١١٥/٤. بدون سند.
(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤١/٤.
(٦) انظر: زاد المسير: ١١٥/٤.
(٧) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ١١٥/٤. بدون سند.
(٨) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ١١٥/٤. بدون سند.
(٩) التحرير والتنوير: ٧١/٢٦.
(١٠) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ١١٥/٤. بدون سند.
(١١) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ٣١٤/٤.
(١٢) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ١١٥/٤. بدون سند.
(١٣)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٣٠/١.
(١٤) المحرر الوجيز: ١٠٩/٥.
(١٥) انظر: تفسير المراغي:٤٣/٢٦.

أدبي على الذين كفروا، وتمجيد كذلك للذين آمنوا، مع إيحاء بأن الله عدو للأولين، وليٌّ للآخَرين، وأن هذه حقيقة ثابتة في تقدير الله سبحانه. فهو إذن إعلان حرب منه تعالى على أعدائه وأعداء دينه منذ اللفظ الأول في السورة.

وعلى الجملة، فإن مقاصد هذه السورة ينتظم وفق التالي:

١- بينت أن الله أبطل أعمال الكافرين لإعراضهم عن الحق واتباع الباطل، والوقوف في وجه الدعوة؛ ليصدوا الناس عن دين الله، وأنه سبحانه كَفَّر عن المؤمنين سيئاتهم؛ لأنهم نصروا الحق، وسلكوا طريقه، واتبعوا ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، فكان ذلك كفالة للمؤمنين بالنصر على أعدائهم.

٢- بينت وجوب الدفاع عن الحق، وما يتطلبه ذلك عند لقاء الكفار في بدء المعركة ونهايتها، وذكرت جزاء من قُتل في سبيل الله.

٣- وَعْدُ المجاهدين بالجنة، وأمر المسلمين بمجاهدة الكفار، وأن لا يدعوهم إلى السلم، وإنذار المشركين بأن يصيبهم ما أصاب الأمم المكذبين من قبلهم.

٤- حذرت كفار مكة سوء المصير، فضربت لهم الأمثال بالطغاة المتجبرين من الأمم السابقة، وبينت أن الله دمَّر عليهم بسبب إجرامهم وطغيانهم: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِم} [محمد : ١٠]، ثم ذكرت جزاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وعاقبة الذين يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم، وأشارت إلى أن سنة الله إهلاك القرى الظالمة التي هي أشد من قريتك التي أخرجتك {فَلَا نَاصِرَ لَهُم} [محمد : ١٣].

٥- وصف الجنة ونعيمها، ووصف جهنم وعذابها.

٦- وصف المنافقين وحال اندهاشهم، إذا نزلت سورة فيها الحض على القتال، وقلة تدبرهم القرآن، وموالاتهم المشركين، وتهديدهم بأن الله ينبئ رسوله صلى الله عليه وسلم بسيماهم، وتحذير المسلمين من أن يروج عليهم نفاق المنافقين.

٧- أوضحت السورة أن الذين صدوا عن سبيل الله، وشاقوا الرسول من بعد ما وضح الحق وتبين الهدى لن يضروا الله شيئاً، وسيحبط أعمالهم، وأنهم إذا ماتوا وهم كفار، فلن يغفر الله لهم.

٨- ختمت السورة بالإشارة إلى وَعْد المسلمين بنوال التمكين، والتحذير إن صار إليهم الأمر من الفساد في الأرض، وقطيعة الرحم، وذمت البخلاء في الإنفاق، وبينت استغناء الحق عن الخلق، وفَقْر الخلق إلى الحق في قوله سبحانه: {وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاء} [محمد : ٣٨][(١)].

- **الناسخ والمنسوخ:**

فيها من المنسوخ آية واحدة: {فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ} [محمد : ٤]، نسختها آية السيف.

قال قتادة:" رضي الله لهم أن يمنوا على من شاءوا منهم ويأخذوا الفداء منهم إذا أثخنتموهم ثم نسخ ذلك في براءة فقال: {وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُم} [النساء : ٨٩]"[(٢)].

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن ابن عمر:" أنه كان يقرأ في عشاء الآخرة بالذين كفروا والفتح"[(٣)].
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة محمد كان حقا على الله تعالى أن يسقيه من أنهار الجنة»[(١)].

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٢٤/١.

(٢) الناسخ والمنسوخ لقتادة: ٤٧.

(٣) فضائل القرآن للمستغفري(٩١٢):ص٦١٦/٢.

(١) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ٣٥٨/٨، والواحدي في التفسير الوسيط(٨٣١):ص٩٤/٤. [وقد مرّ أنه حديث موضوع غير ثابت].
قال الترمذي:"هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وعمر بن أبي خثعم يضعف، قال محمد: وهو منكر الحديث".
وانظر: الموضوعات (١/ ١٨٠)، وقال الألباني في ضعيف الجامع (٥٧٦٦): "موضوع".

سورة «الفتح»

سورة «الفتح»: هي السورة الثامنة والأربعون بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة الثالثة عشرة بعد المائة في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة «سورة الصف» وقبل «سورة التوبة».

عدد آياتها تسع وعشرون. وكلماتها خمسمائة وستون. وحروفها ألفان وأربعمائة وثمان وثلاثون. وفواصل آياتها على «الألف»(١).

- **أسماء السورة:**
- **أولا: أسمها التوقيفي: «سورة الفتح»:**

اشتهرت تسميتها بـ«سورة الفتح، وجاءت في كلام الصحابة-رضوان الله عليهم- (٢)، وبذلك كتبت في المصاحف وكتب التفسير والسنة.

ووجه التسمية أنها تضمنت حكاية فتح متجه الله للنبيء صلى الله عليه وسلم، إذ افتتحت السورة ببشرى الفتح للمؤمنين، وتكرر فيها لفظ: «فتحا»، في قوله تعالى: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا} [الفتح : ١]، {وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا} [الفتح : ١٨]، {فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا} [الفتح : ٢٧].

قال المهايمي:"سميت لدلالتها على فتح البلاد والنصر العزيز، وكل هذه أمور جليلة"(٣).

- **ثانيا: اسمها الاجتهادي: «سورة إنَّا فتحْنا لكَ»:**

تسمى «سورة إنَّا فتحْنا لك»، من باب تسمية السورة بأول جملة افتتحت بها، وقد وردت هذه التسمية عند يحيى بن سلام(٤)، والفخر الرازي(٥).

وهي تسمية اجتهادية أظنها جاءت للتفرقة بينها وبين «سورة النصر»، إذ أن الأخيرة معنونة في «سنن الترمذي» بـ«سورة الفتح»(٦)، لوقوع هذا اللفظ فيها، فيكون هذا الاسم مشتركا بينها وبين سورة: «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا»-والله أعلم-.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها نزلت بين مكة والمدينة في شأن الحديبية من أولها إلى آخرها. قاله المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم(٧).[ضعيف]

---

(١) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤٣٢.

(٢) انظر: صحيح البخاري(٤٨٣٤):ص١٣٥/٦، وفيه وردت هذه التسمية عند عبدالله بن مغفل، وانظر: المستدرك:٢/ ٤٥٩، وأسباب النزول للواحدي: ٣٨٢. وفيه وردت هذه التسمية عند المسور بن مخزمة ومروان بن الحكم. -رضوان الله عليهم-.

(٣) تفسير المهايمي: ٢٨١/٢.

(٤) انظر: التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ١٠٩.

(٥) انظر: مفاتيح الغيب: ٣٣٣/٢٩.

(٦) انظر: سنن الترمذي: ٤٥٠/٥.

(٧)أخرجه الحاكم (المستدرك: ٢/ ٤٥٩) ، والواحدي في أسباب النزول: ٣٨٢، من طريق محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن عروة عن المسور به.

وأخرجه البيهقي في "دلائل النبوة" (٤/ ١٥٩، ١٦٠) من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق عن الزهري عن عروة عن المسور ومروان قالا: ثم انصرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - راجعاً، فلما أن كان بين مكة والمدينة؛ نزلت عليه سورة الفتح من أولها إلى آخرها: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (١)} فكانت القضية في سورة الفتح، وما ذكر الله من بيعة رسول الله تحت الشجرة، فلما آمن الناس وتفاوضوا؛ لم يكلم أحد بالإسلام إلا دخل فيه، فقد دخل في تينك السنين في الإسلام أكثر مما كان فيه قبل ذلك، وكان صلح الحديبية فتحاً عظيماً.

وفيه عنعنة ابن إسحاق, وباقي رجاله ثقات, ويتقوى بشواهده الكثيرة في الصحيحين وغيرهما (فتح الباري: ٧/ ٤٤١, ٤٤٢) (٥٨٣/٨).

وعند الترمذي في التفسير (٣٢٦٣) من حديث أنس قال: نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله.... مرجعه من

قال ابن عاشور: "وهي بهذا في حكم المدني"[١].
قال القرطبي:" سورة الفتح مدنية بإجماع، نزلت ليلا بين مكة والمدينة في شأن الحديبية"[٢].
قال الحافظ ابن حجر:" واختلف في المكان الذي نزلت فيه، فوقع عند محمد بن سعد: «بضجنان»، وهي: بفتح المعجمة وسكون الجيم ونون خفيفة، وعند الحاكم في الإكليل «بكراع الغميم»، وعن أبي معشر: «بالجحفة».. والأماكن الثلاثة متقاربة"[٣].
وروى البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"- وهو في بعض أسفاره- لعمر: لقد أنزلت علي الليلة سورة، لهي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس"[٤].
وأخرج أيضا عن عبد الله بن مغفل قال: "قرأ النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة سورة الفتح، فرجع فيها"[٥].
الثاني: أنها أنزلت بالمدينة. قاله ابن عباس[٦]، وابن الزبير[٧].
قال ابن عطية:" الأول أصح، ويشبه أن منها بعضا نزل بالمدينة، وأما صدر السورة ومعظمها فكما قلنا، ويقضي بذلك قول النبي عليه السلام لعمر وهما في تلك السفرة: «لقد نزلت عليّ الليلة سورة هي أحب إليّ من الدنيا وما فيها»[٨].
قال الشوكاني-بعد أن ذكر القولين-:"وهذا لا ينافي الإجماع على كونها مدنية، لأن المراد بالسور المدنية النازلة بعد الهجرة من مكة"[٩].
قال ابن عاشور:" هي مدنية على المصطلح المشهور في أن المدني ما نزل بعد الهجرة ولو كان نزوله في مكان غير المدينة من أرضها أو من غيرها. وهذه السورة نزلت بموضع يقال له «كراع الغميم» بضم الكاف من: كراع، وبفتح الغين المعجمة وكسر الميم من: «الغميم»، موضع بين مكة والمدينة وهو واد

الحديبية". وقال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح، وفيه عن مجمع بن جارية".
(١) التحرير والتنوير: ١٤١/٢٦.
(٢) تفسير القرطبي: ٢٥٩/١٦.
(٣) فتح الباري: ٥٨٣/٨.
(٤) صحيح البخاري(٤١٧٧):ص١٢٦/٥.
.
(٥) صحيح البخاري(٤٨٣٤):ص١٣٥/٦.
(٦) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٥٠٧/٧، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي، وانظر: معاني القرآن للنحاس: ٤٩١/٦، والمحرر الوجيز: ١٢٥/٥.
وذكر الواحدي عن وقال عطاء عن ابن عباس: إن اليهود شتموا النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين لما نزل قوله تعالى: وما أدري ما يفعل بي ولا بكم وقالوا: كيف نتبع رجلا لا يدري ما يفعل به؟ فاشتد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم. فأنزل الله تعالى: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ}. [أسباب النزول: ٣٩٨ بدون إسناد].
(٧) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٥٠٧/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.
وذكر الواحدي عن وقال عطاء عن ابن عباس: إن اليهود شتموا النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين لما نزل قوله تعالى: وما أدري ما يفعل بي ولا بكم وقالوا: كيف نتبع رجلا لا يدري ما يفعل به؟ فاشتد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم. فأنزل الله تعالى: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ}. [أسباب النزول: ٣٩٨ بدون إسناد].
(٨) مسند أحمد(٢٠٩):ص٣٣٦/١. ونصه:
عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب، قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، قال: فسألته عن شيء ثلاث مرات، فلم يرد علي، قال: فقلت لنفسي: ثكلتك أمك يا ابن الخطاب نزرت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فلم يرد عليك، قال: فركبت راحلتي، فتقدمت مخافة أن يكون نزل في شيء، قال: فإذا أنا بمناد ينادي: يا عمر، أين عمر؟ قال: فرجعت وأنا أظن أنه نزل في شيء، قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " نزلت علي البارحة سورة، هي أحب إلي [ص:٣٣٧] من الدنيا وما فيها، {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا(١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ} [الفتح: ١-٢]".
(٩) فتح القدير: ٥٢/٥.

على مرحلتين من مكة وعلى ثلاثة أميال من عسفان، وهو من أرض مكة، وقيل نزلت: بـ«ضجنان»، وهو جبل قرب مكة ونزلت ليلا فهي من القرآن الليلي. ونزولها سنة ست بعد الهجرة منصرف النبيء صلى الله عليه وسلم من الحديبية وقبل غزوة خيبر"[١].

عن مجمع بن جارية رضي الله عنه قال: "أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من الحديبية حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كراع الغميم فإذا الناس يرسمون[٢] نحو رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال بعض الناس لبعض: ما للناس؟ قالوا أوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال لبعض الناس فحركنا حتى وجدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عند كراع الغميم واقفا فلما اجتمع عليه الناس قرأ عليهم {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا}، فقال بعض الناس أوفتح؟ هو قال: "والذي نفسي بيده إنه لفتح"[٣].

عن حبيب بن أبي ثابت قال: حدثني أبو وائل، قال: كنا بصفين، فقام سهل بن حنيف، فقال: أيها الناس اتهموا أنفسكم، فإنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية، ولو نرى قتالا لقاتلنا، فجاء عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله، ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ فقال: «بلى». فقال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: «بلى»، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا، أنرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: «يا ابن الخطاب، إني رسول الله، ولن يضيعني الله أبدا»، فانطلق عمر إلى أبي بكر فقال له مثل ما قال للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إنه رسول الله، ولن يضيعه الله أبدا، فنزلت سورة الفتح فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر إلى آخرها، فقال عمر: يا رسول الله، أوفتح هو؟ قال: «نعم»"[٤].
وفي رواية :" فنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفتح، فأرسل إلى عمر، فأقرأه إياه، فقال: يا رسول الله، أو فتح هو؟ قال: «نعم»، فطابت نفسه ورجع"[٥].

قال ابن الجوزي:" هي مدنيّة كلّها بإجماعهم"[٦].

قال الفيروزآبادي:" السورة مدنية إجماعا"[٧].

والظاهر- والله اعلم- أن السورة نزلت على رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مرجعه من الحديبية، وكان موضوعها على تلك القضية يدور بما فيها من قصص وأحداث متفرقة وذلك لصحة أسانيد الأحاديث في ذلك، وصراحة ألفاظها، واتفاق المفسرين عليها.

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

وجه مناسبة هذه السورة لما قبلها:

١- إن الفتح المراد به النصر مرتب على القتال.
٢- إن في كل منهما ذكرا للمؤمنين والمخلصين والمنافقين المشركين.
٣- إن في السورة السالفة أمرا بالاستغفار، قال تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ} [محمد : ١٩]، وفى هذه ذكر وقوع المغفرة، قال تعالى: {لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} [الفتح : ٢][٨].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

---

(١) التحرير والتنوير: ١٤١/٢٦.
(٢)يرسمون: أي يذهبون إليه سراعا كما في النهاية.
(٣) [أخرجه ابن جرير ج٢٦ ص٧١، والحاكم ج٢ ص٤٥٩].
(٤) صحيح البخاري(٣١٨٢):ص١٠٣/٤.
(٥) صحيح مسلم(١٧٨٥):ص١٤١١/٢.
(٦) زاد المسير: ١٢٥/٤.
(٧)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٣٢/١.
(٨) انظر: روح المعاني: ٢٣٨/١٣، وتفسير المراغي:٤٣/٢٦.

تضمنت هذه السورة جملة من المقاصد، هي وفق الآتي:

١- بُدِئت السورة الكريمة بالبشارة بالفتح المبين، وبما أفاء الله به على رسوله والمؤمنين من نصر عزيز وتأييد مبين.
٢- تضمنت السورة بشارة المؤمنين بحسن عاقبة صلح الحُدَيْبِيَة، وأنه نصر وفتح، فنزلت به السكينة في قلوب المسلمين، وأزال حزنهم من صدهم عن الاعتمار بالبيت، وكان المسلمون عِدَة لا تُغلب من قلة، فرأوا أنهم عادوا كالخائبين، فأعلمهم الله بأن العاقبة لهم، وأن دائرة السوء على المشركين والمنافقين.
٣- بيان أن الله سبحانه أرسل رسوله محمداً للناس شاهداً ومبشراً ونذيراً؛ ليتحقق الإيمان بالله ورسوله، ويعم الخير والحق بين الناس بطاعته وتعظيمه.
٤- التنويه بكرامة النبي صلى الله عليه وسلم عند ربه، ووعده بفتح آخر، يعقبه فتح أعظم منه، وبفتح مكة.
٥- بيان أن الذين بايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم وعاهدوه على نصرته، والاستشهاد في سبيل دعوته، أنهم بعملهم هذا ومبايعتهم له إنما يبايعون الله، ويد الله فوق أيديهم بالنصر والتأييد، فمن نقض منهم العهد بعد ميثاقه، فضرر ذلك عليه، ومن أوفى بالعهد، فسيؤتيه الله أجراً عظيماً.
٦- ذِكْرُ بيعة الحُدَيْبِيَة، والتنويه بشأن من حضرها، وفضح الذين تخلفوا عنها من الأعراب، ووصفهم بالجبن والطمع وسوء الظن بالله وبالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنعهم من المشاركة في غزوة خيبر، وإنبائهم بأنهم سيدعون إلى جهاد آخر، فإن استجابوا غُفر لهم تخلفهم عن الحُدَيْبِيَة.
٧- تناولت الآيات أصحاب الأعذار الذين يباح لهم التخلف عن القتال؛ لعجزهم عن مباشرته، وأنهم لا إثم عليهم في ذلك.
٨- ذكرت السورة مِنَّة الله في كف الكافرين عن المؤمنين، والمؤمنين عن الكافرين يوم فتح مكة، بعد أن نصرهم الله وأقدرهم عليهم.
٩- بيان أن الله صدق رسوله الرؤيا بالحق، وكان الرسول قد رأى في منامه أنه يدخل هو ومن معه من المؤمنين المسجد الحرام آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين لا يخافون.
١٠- الثناء على المؤمنين الذين بايعوا رسوله الأمين وأيدوه ونصروه، وأن الله قدم مثلهم في التوراة وفي الإنجيل.
١١- خُتمت السورة ببيان خُلِق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه: {أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} [الفتح : ٢٩]، وببيان نعتهم وصفتهم في التوراة والإنجيل، وبذكر ما أعده الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات من المغفرة والأجر العظيم(١).

وقد قال البقاعي" :ومن عجائب هذه السورة: أنها تسع وعشرون آية، وقد جمعت حروف المعجم وهي تسع وعشرون حرفاً، في آخر آية فيها، وهي: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ} [الفتح : ٢٩] إلى آخرها، ولم تجتمع هذه الحروف في آية إلا في هذه السورة، وفي آية في أواخر سورة آل عمران، إشارة إلى علو التوحيد على كل كفر، كما أشارت إليه الآية التي قبلها"(٢).

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة خالية عن المنسوخ(٣).

---

(١) انظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث: ٩٧٨/٩-٩٧٩، ومقاصد سورة الفتح[إسلام ويب، موقع الكتروني].
(٢) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: ٤٩٣/٢.
(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن حزم: ٥٧. وقال:" فيها ناسخ وليس فيه منسوخ".

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن زيد بن أسلم، عن أبيه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير في بعض أسفاره، وعمر بن الخطاب يسير معه ليلا، فسأله عمر بن الخطاب عن شيء فلم يجبه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم سأله فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، وقال عمر بن الخطاب: ثكلتك أمك يا عمر، نزرت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك، قال عمر: فحركت بعيري ثم تقدمت أمام المسلمين، وخشيت أن ينزل في قرآن، فما نشبت أن سمعت صارخا يصرخ بي، قال: فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن، وجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه، فقال: «لقد أنزلت علي الليلة سورة، لهي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس»، ثم قرأ: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا} [الفتح: ١]"[(١)].
- عن قتادة، أن أنس بن مالك، حدثهم، قال: "لما نزلت: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ} [الفتح: ٢] إلى قوله: {فَوْزًا عَظِيمًا} [النساء: ٧٣] مرجعه من الحديبية[(٢)]، وهم يخالطهم الحزن والكآبة[(٣)]، وقد نحر الهدي بالحديبية، فقال: «لقد أنزلت علي آية هي أحب إلي من الدنيا جميعا»[(٤)].
- عن يزيد بن هارون، قال: "سمعت المسعودي يذكر، قال: بلغني أنّ من قرأ في أوّل ليلة من رمضان: {إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً}، في التطوّع، حفظ ذلك العام"[(٥)].
- عن أبي برزة: «أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في الصبح بـ{إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً}»[(٦)].
- عن إبراهيم بن ميسرة قال: أخبرني صالح بن كيسان، أنه «سمع ابن عمر قرأ في المغرب: {إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً}»[(٧)].
- عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-:« ومن قرأ سورة الفتح فكأنما كان مع من شهد مع محمد صلى الله عليه وسلم فتح مكة»[(٨)].

---

(١) صحيح البخاري(٤١٧٧):ص١٢٦/٥.
(٢)أي: زمان رجوعه منها.
(٣)في النهاية: «الكآبة»: تغير النفس بالانكسار من شدة الهم والحزن.
(٤) صحيح مسلم(١٧٨٦):ص١٤١٣/٣.
(٥) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ٤٠/٩، وانظر: تفسير القرطبي: ٢٦٠/١٦.
(٦) مصنف عبدالرزاق(٢٧٣٢):ص١١٨/٢.
(٧) مصنف عبدالرزاق(٢٦٩٦):ص١٠٨/٢.
(٨)الخبر رواه الواحدي في التفسير الوسيط(٨٤٧):ص١٣٢/٤، بالإسناد إلى أبي بن كعب، وذكره المستغفري في فضائل القرآن (١٢١٥):ص٧٨٤/٢.، وذكره أيضا الزمخشري في الكشاف: ٣٤٨/٤، والبيضاوي في التفسير: ١٣٢/٥، وفيه:" من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع محمد فتح مكة".
والخبر أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان:٣١٨/١٠، بالإسناد إلى أبى بن كعب، وذلك عند سورة «النصر». وقد ذكرنا سبب هذا الخلط في التسمية بين «سورة الفتح» و«سورة النصر». فارجع إليه إن أردت.
[وحديث أبي بن كعب من قرأ سورة كذا، أعطي من الأجر كذا فذكر فضل سور القران سورة سورة وثواب قارئها إلى آخر القرآن، هذا الحديث أخرجه بطوله ابن الشجري في الأمالي الشجرية (٧٩/ ١)، وابن عدي في الكامل (٧/ ٢٥٨٨)، وأخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (٢٤٠/ ١)، وقال بعده: "قد فرَّق هذا الحديث أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره، فذكر عند كل سورة منه ما يخصها، وتبعه أبو الحسن الواحدي في ذلك، ولا أعجب منهما لأنهما ليسا من أصحاب الحديث، وإنما عجبت من أبي بكر بن أبي داود كيف فرَّقه على كتابه الذي صنفه في فضائل القرآن، وهو يعلم أنه حديث مُحال".
ثم قال: "حديث فضائل السور مصنوع بلا شك" وقال: "نَفَس الحديث يدل على أنه مصنوع؛ فإنه قد استنفد السور، وذكر في كل واحدة ما يناسبها من الثواب بكلام ركيك في نهاية البرودة، لا يناسب كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم".
قلت: والحديث له طرق كلها تالفة:
الطريق الأولى: تفرد بها أبو الخليل بزيع بن حبان، قال الدارقطني: وهو متروك.

الطريق الثانية: تفرد بها مخلد بن عبد الواحد، قال ابن حبان في «المجروحين»: منكر الحديث جدا ينفرد بأشياء مناكير لا تشبه أحاديث الثقات، فبطل الاحتجاج به.
الطريق الثالثة: تفرد بها ميسرة بن عبد ربه، قال عبد الرحمن بن مهدي: قلت لميسرة بن عبد ربه: من أين جئت بهذه الأحاديث: «من قرأ كذا فله كذا»؟ قال: وضعته أرغب الناس فيه.
الطريق الرابعة: تفرد بها هارون بن كثير، قال ابن عدي: وهارون غير معروف، ولم يحدث به عن زيد بن أسلم غيره، وهذا الحديث غير محفوظ عن زيد.
وروى العقيلي في الضعفاء (١/ ١٧٥): عن عبد الله بن المبارك قال في حديث أبي بن كعب في فضائل السور: "أظن الزنادقة وضعته".
وقال العجلوني في كشف الخفا (٢/ ٤١٩): "فضيلة قراءة كل سورة، رووا ذلك وأسندوه إلى أبي بن كعب، ومجموع ذلك مفترى وموضوع بإجماع أهل الحديث"].

سورة «الحجرات»

سورة «الحجرات»: هي السورة «التاسعة والأربعون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «الثامنة بعد المائة» بحسب ترتيب نزول السور، نزلت بعد «سورة المجادلة»، وقبل «سورة التحريم»، وكان نزولها سنة تسع للهجرة[(١)].

وآياتها ثمان عشرة، وكلماتها ثلاثمائة وثلاث وأربعون، وحروفها ألف وأربعمائة وأربع وسبعون، مجموع فواصل آياتها: «من»[(٢)].

- **أسماء السورة:**
- **أسمها التوقيفي: «سورة الحجرات»:**

سميت في جميع المصاحف وكتب السنة والتفسير: «سورة الحجرات»، وليس لها اسم غيره، ووجه تسميتها: أنها ذكر فيها لفظ «الحجرات»، قال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} [الحجرات : ٤]: إذ نزلت في قصة نداء بني تميم رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته، فعرفت بهذه الإضافة[(٣)].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنهما أنزلت في المدينة. قاله ابن عباس[(٤)]، وابن الزبير[(٥)]، والحسن[(٦)]، وقتادة[(٧)]، وعكرمة[(٨)].

الثاني: أنها مدنية إلا آية، وهي قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات : ١٣]. قاله ابن أبي مليكة[(٩)]، مقاتل[(١٠)]، وهذا القول منسوب لابن عباس[(١١)].

وقد يكون هذا الاستثناء استنبط من خلال القول بأن «ما كان في القرآن: {يَا أَيُّهَا النَّاس}، فإنه مكي».

---

(١) انظر: التحرير والتنوير: ٢١٣/٢٦.

(٢) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤٣٥.

(٣) انظر: التحرير والتنوير: ٢١٣/٢٦.

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٥٤٦/٧، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

وذكر الواحدي عن وقال عطاء عن ابن عباس: إن اليهود شتموا النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين لما نزل قوله تعالى: وما أدري ما يفعل بي ولا بكم وقالوا: كيف نتبع رجلا لا يدري ما يفعل به؟ فاشتد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم. فأنزل الله تعالى: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ}. [أسباب النزول: ٣٩٨ بدون إسناد].

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٥٠٧/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.

وذكر الواحدي عن وقال عطاء عن ابن عباس: إن اليهود شتموا النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين لما نزل قوله تعالى: وما أدري ما يفعل بي ولا بكم وقالوا: كيف نتبع رجلا لا يدري ما يفعل به؟ فاشتد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم. فأنزل الله تعالى: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ}. [أسباب النزول: ٣٩٨ بدون إسناد].

(٦) حكاه عنه الألوسي في روح المعاني: ٢٨٤/١٣.

(٧) حكاه عنه الألوسي في روح المعاني: ٢٨٤/١٣.

(٨) حكاه عنه الألوسي في روح المعاني: ٢٨٤/١٣.

(٩) ذكره الواحدي في أسباب النزول: ٤١١، وهو مرسل، وعزاه في الدر (٦/ ٩٧) لابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل.

(٧٦٦١) م بدون إسناد.

(١٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٩٧/٤.

(١١)ذكره في مجمع البيان، نقلا عن روح المعاني: ٢٨٤/١٣.

إذ روي عن ابن مسعود، قال: "ما كان {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} أنزل بالمدينة، وما كان: {يَا أَيُّهَا النَّاس}، فبمكة"[1].

وعن ابن مسعود قال: قرأنا المفصل ونحن بمكة حجيجا ليس فيها: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}"[2].

وعن ميمون بن مهران قال: ما كان في القرآن: {يَا أَيُّهَا النَّاس} و{يَا بَنِي آدَم}، فإنه مكي، وما كان: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، فإنه مدني"[3].

وعن عروة قال: "ما كان: {يَا أَيُّهَا النَّاس} بمكة وما كان: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} بالمدينة"[4].

وعن علقمة قال: كل شيء في القرآن: {يَا أَيُّهَا النَّاس} فهو مكي، وكل شيء في القرآن {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، فإنه مدني"[5].

قال الألوسي:" والحق أن هذا ليس بمطرد. وذكر الخفاجي أنها في قول شاذ مكية"[6].

قال ابن عاشور:" هي مدنية باتفاق أهل التأويل، أي: مما نزل بعد الهجرة، وحكى السيوطي في «الإتقان» قولا شاذا أنها مكية[7]، ولا يعرف قائل هذا القول، وفي أسباب النزول للواحدي أن قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى} [الحجرات : ١٣]، الآية نزلت بمكة في يوم فتح مكة[8]، ولم يثبت أن تلك الآية نزلت بمكة كما سيأتي. ولم يعدها في «الإتقان» في عداد السور المستثنى بعض آياتها"[9].

قال ابن عطية:" هي مدنية بإجماع من أهل التأويل -رضي الله عنهم-"[10].

قال ابن الجوزي:" هي مدنيّة بإجماعهم"[11].

قال ابن قتيبة:" مدنية كلها"[12].

قال القرطبي:" مدنية بإجماع"[13].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

وجه مناسبة هذه السورة لما قبلها:

١- ذكر في هذه قتال البغاة، وفى تلك قتال الكفار.

٢- إن السابقة ختمت بالذين آمنوا، وافتتحت هذه بهم.

٣- إن كلا منهما تضمن تشريفا وتكريما للرسول صلى الله عليه وسلم ولا سيما في مطلعيهما [14].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

تضمنت هذه السورة جملة من المقاصد، هي وفق الآتي:

---

(١) الدر المنثور: ٨٤/١، وعزاه إلى البزار والحاكم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.
(٢) الدر المنثور: ٨٤/١، وعزاه إلى ابن أبي شيبة في المصنف وعبد بن حميد والطبراني في الأوسط والحاكم وصححه.
(٣) الدر المنثور: ٨٤/١. وعزاه إلى أبي عبيد.
(٤) الدر المنثور: ٨٤/١. وعزاه إلى ابن أبي شيبة وابن مردويه.
(٥) الدر المنثور: ٨٤/١، وعزاه إلى أبي عبيد وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن الضريس وابن المنذر وأبي الشيخ بن حبان في التفسير.
(٦) التحرير والتنوير: ٢٨٤/١٣.
(٧) قال السيوطي في الإتقان: ٤٩/١:« سورة الحجرات: حكي قول شاذ أنها مكية».
(٨) انظر: أسباب النزول: ٣٩٤.
(٩) التحرير والتنوير: ٢١٣/٢٦.
(١٠) المحرر الوجيز: ١٤٤/٥.
(١١) زاد المسير: ١٤١/٤.
(١٢) غريب القرآن: ٤١٥.
(١٣) تفسير القرطبي: ٣٠٠/١٦.
(١٤) انظر: روح المعاني: ٢٨٤/١٣، وتفسير المراغي:١١٩/٢٦.

١- ابتدأت بالأدب الرفيع الذي أدب الله به المؤمنين، تجاه شريعة الله وأمر رسوله، وهو ألا يبرموا أمراً، أو يبدوا رأياً، أو يقضوا حكماً في حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم، حتى يستشيروه، ويستمسكوا بإرشاداته الحكيمة.

٢- ثم انتقلت إلى أدب آخر، وهو خفض الصوت إذا تحدثوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم؛ تعظيماً لقدره الشريف، واحتراماً لمقامه السامي الرفيع، فإنه ليس كعامة الناس، بل هو رسول الله، ومن واجب المؤمنين أن يتأدبوا معه في الخطاب مع التوقير والتعظيم والتبجيل.

٣- ثم انتقلت السورة إلى تقرير دعائم المجتمع الفاضل، فأمرت المؤمنين بعدم السماع للإشاعات، وأمرت بالتثبت من الأنباء والأخبار، ولاسيما إن كان الخبر صادراً عن شخص غير عدل، أو شخص متهم، فكم من كلمة نقلها فاجر فاسق، سببت كارثة من الكوارث، وكم من خبر لم يتثبت منه سامعه، جر وبالاً عظيماً، وأحدث انقساماً كبيراً.

٤- وبينت السورة أن المجتمع المسلم ينبغي أن يكون مجتمعاً نظيف المشاعر، مكفول الحرمات مصون الغيبة والحضرة، لا يؤخذ أحد بظنة، ولا يُعاقب لمجرد تهمة، ولا تتبع فيه العورات، ولا يتعرض أمن الناس وكرامتهم فيه لأدنى مساس، فحذرت من السخرية، ونفرت من الغيبة، ونهت عن التجسس، وإساءة الظن بالمؤمنين، ودعت إلى مكارم الأخلاق.

٥- ودعت السورة إلى الإصلاح بين المتخاصمين، ودفع عدوان الباغين.

٦- وحذرت السورة من السخرية والهمز واللمز، ونفرت من الغيبة والتجسس، والظن السيء بالمؤمنين، ودعت إلى مكارم الأخلاق، والفضائل الاجتماعية، وحذرت من الغيبة بتعبير رائع عجيب، أبدعه القرآن غاية الإبداع، فجاء على صورة رجل يجلس إلى جنب أخ له ميت، ينهش منه، ويأكل لحمه!

٧- بينت السورة أن الله تعالى خلق عباده من ذكر وأنثى، وجعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا، لا ليتفاخروا بالأحساب والأنساب، فإن أكرمهم عند الله أتقاهم.

٨- وختمت السورة بالحديث عن الأعراب، الذين ظنوا الإيمان كلمة تقال باللسان، وجاءوا يمنون على الرسول إيمانهم، وقد وضحت حقيقة الإيمان، وحقيقة الإسلام، وشروط المؤمن الكامل، وهو الذي جمع الإيمان، والإخلاص والجهاد، والعمل الصالح[(١)].

قال الفيروزآبادي:" معظم مقصود السورة: محافظة أمر الحق تعالى، ومراعاة حرمة الأكابر، والتؤدة فى الأمور، والاجتناب عن التهور، والكون فى إغاثة المظلوم، والاحتراز عن السخرية بالخلق، والحذر عن التجسس والغيبة، وترك الفخر بالأحساب والأنساب، والتحاشى عن المنة على الله بالطاعة، وإحالة علم الغيب إلى الله - تعالى -"[(٢)].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة خالية عن الناسخ والمنسوخ[(٣)].

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

---

(١) انظر: التحرير والتنوير: ٢١٣/٢٦، والتفسير الوسيط، مجمع البحوث: ١٠٢٢/٩، ومقاصد سورة الفتح[إسلام ويب، موقع التكروني].

(٢)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٣٥/١.

(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن حزم: ٥٧.

- عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " أعطيت مكان التوراة «السبع الطول»، وأعطيت مكان الزبور «المئين»، وأعطيت مكان الإنجيل: «المثاني» وفضلت بـ «المفصل»"[١].

و«المفصّل»-بتشديد الصاد-: هو ما يلي المثاني من قصار السّور، والتي تستحب القراءة ببعضها في بعض الصلوات الخمس على ما هو مبين في كتب الفقه[٢].

وقد اختلف أهل العلم في «المفصّل»، على ثلاثة أقوال[٣]:

أحدها: أنه من أول سورة «محمّد» إلى آخر القرآن، حكاه الماوردي عن الأكثرين[٤].

وقال السمعاني:" الأكثرون على أن المفصل من سورة الحجرات"[٥].

الثاني: من سورة «قاف» إلى آخره، حكاه عيسى بن عمر عن كثير من الصحابة[٦].

الثالث: من سورة «الضّحى» إلى آخره، وكان يفصل في الضحى بين كل سورتين بالتكبير[٧]، قاله ابن عباس[١]، وهو رأي قراء مكة[٢].

---

(١)أخرجه أحمد (٤/ ١٠٧، رقم ١٧٠٢٣). قال الهيثمى (٧/ ٤٦): فيه عمران القطان وثقه ابن حبان وغيره وضعفه النسائى وغيره وبقية رجاله ثقات. وأخرجه الطبرانى (٢٢/ ٧٥ رقم ١٨٦)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٢/ ٤٦٥، رقم ٢٤١٥ مكرر). وأخرجه أيضا: الطيالسى (ص ١٣٦ رقم ١٠١٢) وأبو نعيم فى معرفة الصحابة (٥/ ٢٧١٦ رقم ٦٤٨٥). وقال المناوي (١/ ٥٦٦): فيه عمرو بن مرزوق، أورده الذهبي في الضعفاء وقال: كان يحيى بن سعيد لا يرضاه.

(٢) أمّا السّبع الطّول فقد ذكرناها عند تفسير قوله: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي} [الحجر: ٨٧] . والمئين: كل سورة بلغت مائة فصاعدا. والمثاني: كل سورة دون المئين وفوق المفصل، والمفصّل : هو ما يلي المثاني من قصار السّور، وإنما سمّيت مفصّلا لقصرها وكثرة الفصول فيها بسطر: «بسم الله الرّحمن الرّحيم»..

(٣)النكت والعيون: ٢٦/١-٢٧ .

(٤)النكت والعيون: ٢٦/١.

(٥) تفسير السمعاني: ٢١٢/٥.

(٦) انظر: النكت والعيون: ٢٦/١.

واختاره الحافظ ابن حجر، انظر الفتح ٢/ ١٩٥، ٢٤٩، ٩/ ٤٣، والزركشي في البرهان ١/ ٢٤٦.

(٧)قال ابن الجزري: «اختلف في سبب ورود التكبير من المكان المعين فروى الحافظ أبو العلاء بإسناده عن أحمد بن فرح عن البزي: أن الأصل في ذلك أن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم انقطع عنه الوحي، فقال المشركون:

قلى محمدا ربّه، فنزلت سورة وَالضُّحى فقال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم (الله أكبر)، وأمر النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يكبر إذا بلغ (والضحى) ... مع خاتمة كل سورة حتى يختم.

قلت- ابن الجزري- وهذا قول الجمهور من أئمتنا كابي الحسن بن غليون وأبي عمرو الداني، وأبي الحسن السخاوي، «وغيرهم من متقدم ومتأخر» النشر ٢/ ٤٠٥.

وقال ابن كثير: «وذكر القراء في مناسبة التكبير من أول سورة (الضحى) أنّه لما تأخر الوحي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وفتر تلك المدة ثم جاء الملك، فأوحى إليه وَالضُّحى وَاللَّيْلِ إِذا سَجى السورة بتمامها كبر فرحا وسرورا.

ولم يرد ذلك بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف، فالله أعلم اه. تفسيره ٤/ ٥٢١.

ونقل بعض هذا عنه ابن الجزري وقال: يعني كون هذا سبب التكبير، وإلا فانقطاع الوحي مدة أو ابطاؤه مشهور .. اه. النشر ٢/ ٤٠٦. أما حكم التكبير فقد قال مكي بن أبي طالب: «أجمع القراء على ترك التكبير إلّا البزي فإنّه روى عن ابن كثير أنه يكبر من خاتمة (والضحى) إلى آخر القرآن. من خاتمة كل سورة .. » اه. التبصرة: ٥٦٤ ...

وساق الذهبي عند ترجمته للبزي- بإسناده إلى البزي- قال: «سمعت عكرمة بن سليمان يقول:

قرأت على إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين فلما بلغت (والضحى) قال: كبر عند خاتمة كل سورة فإني قرأت على عبد الله بن كثير فلما بلغت (والضحى) قال كبر حتى تختم وأخبره ابن كثير أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك، وأخبره مجاهد أن ابن عباس أمره بذلك وأخبره ابن عباس أن أبيّ بن كعب أمره بذلك، وأخبره أبيّ- رضي الله عنه- أن النبي صلّى الله عليه وسلّم أمره بذلك» اه.

ثم قال الذهبي: قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجه البخاري ولا مسلم اه معرفة القراء الكبار ١/ ١٧٥ وكان الذهبي قد قال قبل ذلك: «روى البزي في التكبير خبرا غريبا، رواه عنه جماعة» وراجع الميزان في ترجمة البزي ١/ ١٤٤،

قال ابن حجر - بعد أن سرد الأقوال في ذلك وهي ما يقرب من اثني عشر قولا- قال: «والراجح الحجرات ذكره النووي» (٣).
وقال في موضع آخر: «وبه جزم جماعة من الأئمة»(٤).
وقد سرد السيوطي في «الإتقان» اثني عشر قولا، ولم يصرح بالترجيح(٥)، إلّا أنه في «الدر المنثور»(٦) ساق الآثار في ذلك عند أول تفسيره لسورة «ق» وهذا يدل على الترجيح، وبه جزم ابن كثير في تفسيره(٧).
وأشهر الأقوال أن أول المفصل «الحجرات»، وأول وسط المفصل: «عبس» وأول قصار المفصل: «والضحى»، هذا أشهر أقوال المالكية، وطلب هذا لأجل الصلاة المفروضة.- ففي الصبح يستحب القراءة بطوال المفصل، وفي الظهر والعشاء بمتوسطه، وفي المغرب بقصاره.

- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ الحجرات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من أطاع الله ومن عصاه»[٨].[موضوع]

ثم ساق الذهبي بسند أبي عمرو الداني إلى البزي نحو ما تقدم قال: وبه قال موسى بن هارون، قال لي ابن أبي بزة: حدثت محمد بن ادريس الشافعي، فقال لي: إن تركت التكبير، فقد تركت سنّة من سنن نبيك صلّى الله عليه وآله وسلّم اه وانظر النشر ٢/ ٤١٥.
وقال ابن كثير في تفسيره: ٤/ ٥٢١ «روينا من طريق أبي الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزة المقرئ قال: قرأت على عكرمة ... وذكره بالسند الذي ذكره الذهبي إلى النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ثم قال ابن كثير: «فهذه سنّة تفرّد بها البزي، وكان إماما في القراءات، فأما في الحديث فقد ضعفه أبو حاتم الرازي وقال: لا أحدّث عنه، وكذلك أبو جعفر العقيلي قال: هو منكر الحديث، لكن حكى الشيخ شهاب الدين أبو شامة في شرح الشاطبية عن الشافعي أنّه سمع رجلا يكبر هذا التكبير في الصلاة، فقال: أحسنت وأصبت السنّة، وهذا يقتضي صحة هذا الحديث» اه.
وقال ابن الجزري في النشر ٢/ ٤١٤ «وقد تكلم بعض أهل الحديث في البزي، وأظن ذلك من قبل رفعه له» اه.
- وأما كيفية التكبير، فقال مكي بن أبي طالب: «قال الحسن بن مخلد: سألت البزي عن التكبير، فقال: «لا إله إلّا الله والله أكبر» التبصرة: ص ٥٦٥.
وكذلك ذكره الذهبي عن الحسن بن الحباب بن مخلد .. إلخ معرفة القراء الكبار ١/ ١٧٨.
ثم قال مكي: «والذي قرأنا به، وهو المأخوذ به في الأمصار (الله أكبر). انتهى.
(١) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ١٤١/٤.
حكاه الخطابي والماوردي كما في فتح الباري ٢/ ٢٤٩ دون ذكر لابن عباس.
وقال الزركشي: «عزاه الماوردي لابن عباس، حكاه الخطابي في غريبه ووجهه بأن القارئ يفصل بين هذه السور بالتكبير، قال: وهو مذهب ابن عباس وقراء مكة» البرهان ١/ ٢٤٦، وانظر الاتقان ١/ ١٨٠.
(٢) انظر: النكت والعيون: ٢٧/١.
(٣)الفتح: ٢/ ٢٤٩.
(٤)الفتح: ٩/ ٤٣.
(٥) انظر: الإتقان: ١/ ١٨٠.
(٦) انظر: الدر المنثور: ٧/ ٥٨٧.
(٧) انظر: تفسير ابن كثير: ٤/ ٢٢٠.
(٨) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ٦٩/٩، وذكره المستغفري في فضائله(١٢١٦):ص٧٨٤/٢، والزمخشري في التفسير: ٣٧٩/٤، والبيضاوي في التفسير: ١٣٨/٥، وقد مرّ بأنه حديث موضوع.
والحق أن الثعلبي قد وقع فيما فيه كثير من المفسرين من الاغترار بالأحاديث الموضوعة في فضائل السور سورة سورة ، فروى في نهاية كل سورة حديثًا في فضلها منسوبًا إلى أُبي بن كعب ، كما اغتر بكثير من الأحاديث الموضوعة على ألسِنة الشيعة ، فشوه بها كتابه دون أن يشير إلى وضعها واختلاقها ، ومن هذا ما يدل على أن الثعلبي لم يكن له باع في معرفة صحيح الأخبار من سقيمها.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مقدمته في أصول التفسير:ص٣١ « والثعلبي هو في نفسه كان فيه خير ودين، وكان حاطب ليل، ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع، والواحدي صاحبه كان أبصر منه بالعربية، لكن هو أبعد

عن السلامة واتباع السلف، والبغوي تفسيره مختصر من الثعلبي، لكنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة.
وقال الكتاني في كتابه «الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة: ص٧٨-٧٩»:" الواحدي النيسابوري واحد عصره في التفسير المتوفى: بنيسابور سنة ثمان وستين وأربعمائة وهو من تلاميذ أبي إسحاق الثعلبي لازمه وغيره وله التصانيف الثلاثة في التفسير البسيط والوسيط والوجيز وأسباب النزول وغيرها من الكتب ولم يكن له ولا لشيخه الثعلبي كبير بضاعة في الحديث بل في تفسيريهما وخصوصا الثعلبي أحاديث موضوعة وقصص باطلة".
قال الفيروزآبادي في فضائل سورة «الحجرات»:" فيه حديث أبى الضعيف جدا: «من قرأ سورة الحجرات أعطى من الأجر عشر حسنات، بعدد من أطاع الله وعصاه»، وحديث على: «يا على من قرأها كان في الجنة رفيق سليمان بن داود، وله بكل آية قرأها مثل ثواب المحسنين إلى عيالهم». [بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٣٦/١].

سورة «ق»

سورة «ق»: هي السورة الخمسون بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة الرابعة والثلاثون بحسب ترتيب النزول، نزلت بعد «سورة المرسلات»، وقبل «سورة البلد»، وعدد وآياتها خمس وأربعون. وكلماتها ثلاثمائة وخمس وسبعون. وحروفها ألف وأربعمائة وأربع وسبعون. مجموع فواصل آياتها «صر جد ظب»[١].

قال ابن كثير: وهذه السورة هي أول الحزب «المفصل» على الصحيح، وقيل : من الحجرات. وأما ما يقوله العامة: إنه من «عَمّ» فلا أصل له، ولم يقله أحد من العلماء المعتبرين فيما نعلم. والدليل على أن هذه السورة هي أول المفصل ما رواه أوس بن حذيفة، قال: سألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يحزِّبون القرآن؟ فقالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة وحزب المفصل وحده»[٢]. إذا علم هذا، فإذا عددت ثمانيا وأربعين سورة، فالتي بعدهن سورة «ق». والقصد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بهذه السورة في المجامع الكبار، كالعيد والجمع، لاشتمالها على ابتداء الخلق والبعث والنشور، والمعاد والقيام، والحساب، والجنة والنار، والثواب والعقاب، والترغيب والترهيب"[٣].

- **أسماء السورة:**
- **أسمها التوقيفي: «سورة ق»:**

سميت في عصر الصحابة سورة «ق»، فقد روى مسلم عن قطبة بن مالك، قال: صليت وصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ: {ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيد}. حتى قرأ: وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ} [ق: ١٠]. قال: فجعلت أرددها ولا أدري ما قال"[٤].

عن أبي واقد الليثي، قال: "سألني عمر بن الخطاب: عما قرأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم العيد؟ فقلت: «ب{ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ}، و{ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ}"[٥].

وهي من السور التي سميت بأسماء الحروف الواقعة في ابتدائها مثل: «طه» و«ص» و«ق» و«يس»، لانفراد كل سورة منها بعدد الحروف الواقعة في أوائلها بحيث إذا دعيت بها لا تلتبس بسورة أخرى[٦].

- **الثاني: اسمها الاجتهادي: «سورة الباسقات»**

وفي بعض المصادر أنها تسمى سورة الباسقات[٧]، هكذا بلام التعريف، ولم يعزه لقائل والوجه أن تكون تسميتها هذه على اعتبار وصف لموصوف محذوف، أي: سورة النخل الباسقات إشارة إلى قوله: {وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ} [ق : ١٠][٨].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها أنزلت في مكة. قاله ابن عباس[١]، وابن الزبير[٢]، وجابر[٣]، والحسن[٤]، ومجاهد[٥]، وقتادة[٦]، وعكرمة[٧]، وعطاء[٨]. وحكاه ابن الجوزي عن الجمهور[٩].

---

(١) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤٣٧.
(٢)سنن أبي داود برقم (١٣٩٣) وسنن ابن ماجه برقم (١٣٤٥)، والمسند (٩/٤).
(٣) تفسير ابن كثير: ٣٩٢/٧-٣٩٣.[باختصار]
(٤) صحيح مسلم(٤٥٧):ص٣٣٦/١.
(٥) صحيح مسلم(٨٩١):ص٦٠٧/٢.
(٦) انظر: التحرير والتنوير: ٢٧٣/٢٦.
(٧) وردت هذه التسمية في المصادر الآتية: الناسخ والمنسوخ لهبة الله: ٢٤، والناسخ والمنسوخ للمقري: ١٦٧، وجمال القراء: ٩٢، وزاد المسير: ١٥٦/٤، ونظم الدرر: ٣٩٧/١٨، والإتقان في علوم القرآن: ١٩٤/١.، وتفسير البيضاوي: ٨٣/٨.
(٨) انظر: التحرير والتنوير: ٢٧٤/٢٦.

وأخرج الطبراني عن ابن مسعود قال: "نزلت المفصل بمكة فمكثنا حججا نقرأوه لا ينزل غيره"[١٠].

وأخرج ابن أبي داود وابن عساكر، عن عثمان بن عفان:" أنها لما ضربت يده، قال: والله إنها لأول يد خطت المفصل"[١١].

الثاني: أنّ فيها آية مدنيّة، وهي قوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ} [ق : ٣٨]. حكي هذا القول عن ابن عباس[١٢]، وقتادة[١٣]. وبه قال الزمخشري[١٤].

قال ابن عاشور: قيل:" أنها نزلت في اليهود، يعني: في الرد عليهم إذ قالوا: إن الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع وهو يوم السبت، يعني أن مقالة اليهود سمعت بالمدينة، يعني: وألحقت بهذه السورة لمناسبة موقعها. وهذا المعنى وإن كان معنى دقيقا في الآية فليس بالذي يقتضي أن يكون نزول الآية في المدينة فإن الله علم ذلك فأوحى به إلى رسوله صلى الله عليه وسلم على أن بعض آراء اليهود كان مما يتحدث به أهل مكة قبل الإسلام يتلقونه تلقي القصص والأخبار. وكانوا بعد البعثة يسألون اليهود عن أمر النبوءة والأنبياء، على أن إرادة الله إبطال أوهام اليهود لا تقتضي أن يؤخر إبطالها إلى سماعها بل قد يجيء ما يبطلها قبل فشوها في الناس كما في قوله تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ} [الزمر : ٦٧] فإنها نزلت بمكة. وورد أن النبيء صلى الله عليه وسلم أتاه بعض أحبار اليهود فقال: إن الله يضع السماوات على أصبع والأرضين على أصبع والبحار على أصبع والجبال على أصبع ثم يقول «أنا الملك أين ملوك الأرض»[١٥] فتلا النبيء صلى الله عليه وسلم الآية، والمقصود من تلاوتها هو قوله: وما قدروا الله حق قدره. والإيماء إلى سوء فهم اليهود صفات الله"[١٦].

---

(١) حكاه ابن الجوزي في زاد المسير: ١٥٦/٤، بدون إسناد، وذكره السيوطي في الدر المنثور: ٥٨٧/٧، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٥٨٧/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٣) حكاه عنه القرطبي في التفسير: ١/١٧. بدون إسناد.
(٤) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ١٥٦/٤. بدون إسناد.
(٥) حكاه ابن الجوزي في زاد المسير: ١٥٦/٤، بدون إسناد.

(٦) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ١٥٦/٤. بدون إسناد.
(٧) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ١٥٦/٤. بدون إسناد.
(٨) حكاه عنه القرطبي في التفسير: ١/١٧. بدون إسناد.
(٩) انظر: زاد المسير: ١٥٦/٤.
(١٠) الدر المنثور: ٥٨٧/٧.
(١١) الدر المنثور: ٥٨٧/٧.
(١٢) انظر: زاد المسير: ١٥٦/٤، وتفسير القرطبي: ١/١٧. بدون إسناد.
(١٣) انظر: زاد المسير: ١٥٦/٤، وتفسير القرطبي: ١/١٧. بدون إسناد.
(١٤) انظر: الكشاف: ٣٧٩/٤.
(١٥) نص الحديث« يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوى السموات بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض». حديث أبى هريرة: البخاري (١٨١٢/٤، رقم ٤٥٣٤) ، ومسلم (٢١٤٨/٤، رقم ٢٧٨٧) ، والنسائى فى الكبرى (٤٠١/٤، رقم ٧٦٩٢) ، وابن ماجه (٦٨/١، رقم ١٩٢) . وأخرجه أيضا: أحمد (٣٧٤/٢، رقم ٨٨٥٠) . حديث ابن عمر: أخرجه البخارى (٢٦٩٧/٦، رقم ٦٩٧٧).
(١٦) التحرير والتنوير: ٢٧٤/٢٦.

قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع من المتأولين"[١].
قال السمعاني:" هي مكية"[٢].
قال البغوي:" سورة «ق» مكية"[٣].
قال القرطبي:" سورة ق مكية كلها"[٤].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها- أنه أشار في آخر السورة السابقة إلى أن إيمان أولئك الأعراب لم يكن إيمانا حقا، وذلك يقتضى إنكار النبوة وإنكار البعث، وافتتح هذه السورة بما يتعلق بذلك [٥].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

تضمنت هذه السورة جملة من المقاصد، هي وفق الآتي:
١- التنويه بشأن القرآن.
٢- أنهم كذبوا الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه من البشر.
٣- الاستدلال على إثبات البعث وأنه ليس بأعظم من ابتداء خلق السماوات وما فيها وخلق الأرض وما عليها، ونشأة النبات والثمار من ماء السماء وأن ذلك مثل للإحياء بعد الموت.
٤- تنظير المشركين في تكذيبهم بالرسالة والبعث ببعض الأمم الخالية المعلومة لديهم، ووعيد هؤلاء أن يحل بهم ما حل بأولئك.
٥- الوعيد بعذاب الآخرة ابتداء من وقت احتضار الواحد، وذكر هول يوم الحساب.
٦- وعد المؤمنين بنعيم الآخرة.
٧- تسلية النبي صلى الله عليه وسلم على تكذيبهم إياه وأمره بالإقبال على طاعة ربه وإرجاء أمر المكذبين إلى يوم القيامة وأن الله لو شاء لأخذهم من الآن ولكن حكمة الله قضت بإرجائهم وأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكلف بأن يكرههم على الإسلام وإنما أمر بالتذكير بالقرآن.
٨- الثناء على المؤمنين بالبعث بأنهم الذين يتذكرون بالقرآن.
٩- إحاطة علم الله تعالى بخفيات الأشياء وخواطر النفوس[٦].

- **الناسخ والمنسوخ:**

فيها من المنسوخ آيتان: {فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ} [ق : ٣٩] {وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ} [ق : ٤٥] منسوختان بآية السيف[٧].

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن عبيد الله بن عبد الله، أن عمر بن الخطاب، سأل أبا واقد الليثي: ما كان يقرأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأضحى والفطر؟ فقال: «كان يقرأ فيهما بـ {ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ}، {وَاقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ}"[٨].

---

(١) المحرر الوجيز: ١٥٥/٥.
(٢) انظر: تفسير السمعاني: ٢٣٤/٥.
(٣) تفسير البغوي: ٣٥٢/٧.
(٤) تفسير القرطبي: ١/١٧.
(٥) انظر: روح المعاني: ٣٢١/١٣، وتفسير المراغي:١٥٠/٢٦.
(٦) انظر: التحرير والتنوير: ٢٧٥/٢٦.
(٧) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٣٧/١، ونواسخ القرآن لابن الجوزي: ١٩٨.
(٨) صحيح مسلم(٨٩١):ص٦٠٧/٢.

- عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن أخت لعمرة، قالت: "أخذت {ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ} من في رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة، وهو يقرأ بها على المنبر في كل جمعة"[١].
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ سورة ق، هوّن الله عليه تارات الموت، وسكراته"[٢].[ضعيف]
- عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " أعطيت مكان التوراة السبع الطول وأعطيت مكان الزبور المئين وأعطيت مكان الإنجيل المثاني وفضلت بالمفصل"[٣].

وقد اختلف أهل العلم في «المفصّل»، على أقوال، أشهرها أن أول المفصل «الحجرات»، وأول وسط المفصل: «عبس» وأول قصار المفصل: «والضحى»، هذا أشهر أقوال المالكية، وطلب هذا لأجل الصلاة المفروضة، ففي الصبح يستحب القراءة بطوال المفصل، وفي الظهر والعشاء بمتوسطه، وفي المغرب بقصاره[٤].

---

(١) صحيح مسلم(٨٧٢):ص٥٩٥/٢.
(٢) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ٩٢/٩. [وقد اتفق العلماء بأن روايات الثعلبي عن أبي بن كعب في فضائل السور باطل موضوع كله].
(٣)أخرجه أحمد (٤/ ١٠٧، رقم ١٧٠٢٣). قال الهيثمي (٧/ ٤٦): فيه عمران القطان وثقه ابن حبان وغيره وضعفه النسائى وغيره وبقية رجاله ثقات. وأخرجه الطبرانى (٢٢/ ٧٥ رقم ١٨٦)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٢/ ٤٦٥، رقم ٢٤١٥ مكرر). وأخرجه أيضا: الطيالسى (ص ١٣٦ رقم ١٠١٢) وأبو نعيم فى معرفة الصحابة (٥/ ٢٧١٦ رقم ٦٤٨٥). وقال المناوي (١/ ٥٦٦): فيه عمرو بن مرزوق، أورده الذهبى في الضعفاء وقال: كان يحيى بن سعيد لا يرضاه.
(٤)النكت والعيون: ٢٦/١-٢٧ .

سورة «الذاريات»

«سورة الذاريات» هي السورة «الواحدة والخمسون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «السادسة والستون» بحسب ترتيب نزول السور، نزلت بعد «سورة الأحقاف»، وقبل «سورة الغاشية». وعدد آياتها ستون، وكلماتها ثلثمائة وستون، وحروفها ألف ومائتان وسبع وثمانون، مجموع فواصل آياتها: «قفاك معن»[١].

- **أسماء السورة:**
- **أسمها التوقيفي: «سورة والذاريات»:**

تسمى هذه السورة «والذاريات» بإثبات «الواو» تسمية لها بحكاية الكلمتين الواقعتين في أولها: {وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا} [الذاريات : ١]، وبهذا عنونها البخاري في كتاب التفسير من "صحيحه"[٢] والفراء في "معاني القرآن"[٣]، وابن العربي في "أحكام القرآن"[٤]، وابن أبي زمنين في "التفسير"[٥]، والبيضاوي في "التفسير"[٦]، والقرطبي في "التفسير"[٧].

وتسمى أيضاً «سورة الذاريات» بدون «الواو» اقتصاراً على الكلمة التي لم تقع في غيرها من سور القرآن، وكذلك عنونها الترمذي في "جامعه"[٨]،والحاكم في "المستدرك"[٩]، وجمهور المفسرين[١٠]، وكذلك هي في المصاحف المشرقية والمغربية[١١].

ووجه التسمية أن هذه الكلمة لم تقع بهذه الصيغة في غيرها من سور القرآن[١٢].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: "نزلت سورة الذاريات بمكة"[١٣]. وروي عن ابن الزبير -رضي الله عنه- مثله[١٤].

قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع من المفسرين"[١٥].
قال ابن الجوزي:" مكّيّة كلّها بإجماعهم"[١٦].
قال القرطبي:" سورة والذاريات مكية في قول الجميع"[١٧].
قال ابن عاشور:" هي مكية بالاتفاق"[١٨].

---

(١) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤٣٩، والتحرير والتنوير: ٣٣٥/٢٦.
(٢) انظر: صحيح البخاري:١٣٩/٦.
(٣) انظر: معاني القرآن: ٨٢/٣.
(٤) انظر: أحكام القرآن: ٣٤٢/٢.
(٥) انظر: تفسير ابن أبي زمنين: ٢٨٢/٤.
(٦) انظر: تفسير البيضاوي: ١٤٦/٥.
(٧) انظر: تفسير القرطبي: ٢٩/١٧.
(٨) سنن الترمذي ٤٢/٥.
(٩) انظر: المستدرك على الصحيحين: ٥٠٦/٢.
(١٠) حكاه عن الجمهور ابن عاشور، انظر: التحرير والتنزير: ٣٣٥/٢٦.
(١١) انظر: التحرير والتنزير: ٣٣٥/٢٦.
(١٢) انظر: التحرير والتنزير: ٣٣٥/٢٦.
(١٣)الدر المنثور: ٦١٣/٧، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.
(١٤) انظر: الدر المنثور: ٦١٣/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.
(١٥) المحرر الوجيز: ١٥٥/٥.
(١٦) زاد المسير: ١٦٧/٤.
(١٧) تفسير القرطبي: ٢٩/١٧.
(١٨) التحرير والتنوير: ٣٣٥/٢٦.

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها:

١- إنه قد ذكر في السورة السابقة البعث والجزاء والجنة والنار، وافتتح هذه بالقسم بأن ما وعدوا من ذلك صدق وأن الجزاء واقع.

٢- إنه ذكر هناك إهلاك كثير من القرون على وجه الإجمال، وهنا ذكر ذلك على وجه التفصيل[(١)].

قال السيوطي:" لما ختمت «ق» بذكر البعث، واشتملت على ذكر الجزاء، والجنة، والنار، وغير ذلك من أحوال القيامة، افتتح هذه السورة بالإقسام على أن ما توعدون من ذلك لصادق، وأن الدين -وهو الجزاء- لواقع. ونظير ذلك: افتتاح المرسلات بذلك، بعد ذكر الوعد والوعيد والجزاء في سورة الإنسان[(٢)]"[(٣)].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

إن موضوع السورة يدور حول متابعة معالجة منكري البعث والجزاء يوم الدين إبان التنزيل؛ إذ يوجد فيهم من لم يصلوا بعدُ إلى مرحلة ميؤوس منهم معها. والسورة على الجملة تضمنت المقاصد التالية:

١- تحقيق وقوع البعث والجزاء، وإبطال مزاعم المكذبين به وبرسالة محمد صلى الله عليه وسلم، ورميهم بأنهم يقولون بغير تثبت، ووعيدهم بعذاب يفتنهم.

٢- وَعْدُ المؤمنين بنعيم الخلد، وذِكْر ما استحقوا به تلك الدرجة من الإيمان والإحسان.

٣- قَسَمُ الله سبحانه بمخلوقات من مخلوقاته، لها آثارها الواضحة، وظواهرها الشاهدة، ومنافعها التي لا ينكرها أحد، ولا يجحد عقلٌ فضلها على الإنسان، والحيوان، والنبات؛ فإن الرياح تسوق الأمطار إلى جميع الأقطار، وتدفع السفن في البحار، تحمل الأمتعة والأثقال والمسافرين، وتمخر عباب البحار، فتسهل كل صعب، وتقرب كل بعيد، كل هذا مما يقع تحت العِيان، ولا يستطيع أن ينكره إنسان، كما أن ما يتفاوت الناس فيه من أحوال، وما يجري عليهم من أحداث، وما يختلفون فيه من منازل وأرزاق، لا يكون إلاَّ بتقدير العزيز العليم، وبتسخير من الحكيم الخبير.

٤- عَرْضُ مشهد ترغيبي من مشاهد يوم القيامة يتعلق بعباده المتقين، الذين بلغوا مرتبة الإحسان بأعمالهم في رحلة امتحانهم، وهم يُنعَّمُون في جنات وعيون، آخذين ما آتاهم ربهم من فيوض عطاءاته.

٥- حثٌّ على التفكر في آيات ربوبية الله وإلهيته في الأرض وفي الأنفس، موجَّه من الله بالخطاب المباشر للذين لم يؤمنوا بعدُ، ويتوهمون أن آلهتهم من دون الله، هي التي ترزقهم من الأرض، فأبان الله لهم أن رزقهم في السماء بأوامر ربانية، وكذلك ما يوعدون من جزاء بأوامر ربانية، وأقسم سبحانه بربوبيته للسماء والأرض على أن هذا حق مماثل لما ينطقون بألسنتهم في حركة حياتهم.

٦- اختصت السورة طائفة من الرسل اشتدت معاناتهم مع أممهم وأقوامهم، فذكرت إبراهيم، وموسى عليهما السلام، وعرضت للأمم، التي أوغلت في الطغيان، وأغرقت في التجبر من أمثال عاد، وثمود، وقوم نوح، فلاقت أشد النكال، وأسوأ المآل.

٧- حديثٌ عن مظاهر القدرة ببناء السموات وامتدادها، وفرش الأرض، وبسطها، وتمهيدها، وتعدد المخلوقات وازدواجها، مما لا يتحقق إلا بقدرة لا يقادر قدرها، وحكمة لا يدرك كنهها، ويقين يدفعنا إلى صدق الإيمان، ويسوقنا إلى الفرار إلى الله، والاعتماد عليه دون سواه.

---

(١) انظر: تفسير المراغي:١٧٣/٢٦.

(٢)الوعد والوعيد في الإنسان: {إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا} [الإنسان: ٤]، وما بعدها، وأقسم على صحة ذلك في أول المرسلات: {إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ} [المرسلات: ٧].

(٣) أسرار ترتيب سور القرآن: ١٣٣.

٨- خُتمت السورة ببيان الغرض الأسمى، والمقصد الأعلى، والغاية العليا من خلق الإنسان والجان، وهي توحيد الله وعبادته، ثم تهديد الكافرين بسوء العاقبة والمصير(١).

- **الناسخ والمنسوخ:**

فيها من المنسوخ آيتان:

إحداهما: قوله تعالى: {فَتَوَلَّ عَنْهُم} [الذاريات : ٥٤]، نسختها قوله: {وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} [الذاريات : ٥٥]، وقيل: آية السيف(٢).

والثانية: قوله تعالى: {وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَق} [الذاريات : ١٩]، نسختها آية الزكاة(٣).

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن البراء بن عازب قال: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلي بنا الظهر، فنسمع منه الآية بعد الآيات، من «سورة لقمان والذاريات»"(٤).
- عن أبي المتوكل الناجي، "أن عمر، قرأ في الظهر بـ«ق والذاريات»"(٥).
- عن قتادة: "أن ابن عمر كان يقرأ في الركعة الأولى من الظهر «والذاريات»"(٦).
- عن أبي إسحاق، عن علقمة، والأسود، قالا: " أتى ابنَ مسعودٍ رجلٌ فقال: إني أقرأ المُفَصَّل في رَكعة، فقال: أهذّاً كهذِّ الشِّعرِ ونثراً كنثر الدَّقَل؟ لكنَّ النبي - صلَّى الله عليه وسلم - كان يقرأ النَّظائرَ السُورتين في رَكْعةٍ، «الرحمن، والنجم» في ركعة، و «اقتربت، والحاقة» في ركعة، و«الطور، والذاريات» في ركعة، و«إذا وقعَت، ونون» في ركعة، و«سأل سائل، والنازعات» في ركعة، و«وَيْلٌ للمطففين، وعبس» في ركعة، و«المدَّثر، والمزمِّل» في ركعة، و«هل أتى، ولا أقسمُ بيوم القيامة» في ركعة، و«عمَ يتساءلون، والمرسلات» في ركعة، و«الدخان، وإذا الشمسُ كورت» في ركعة»(٧).

---

(١) انظر: التحرير والتنوير: ٢٧٥/٢٦.

(٢) قال ابن الجوزي:" زعم قوم: أنها منسوخة، ثم اختلفوا في ناسخها: فقال بعضهم: آية السيف، وقال بعضهم: إن ناسخها: {وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ}. وهذا قد يخيل أن معنى قوله: {فَتَوَلَّ عَنْهُمْ} أعرض عن كلامهم، فلا تكلمهم، وفي هذا بعد. فلو قال: هذا إن المعنى أعرض عن قتالهم صلح نسخها بآية السيف، ويحتمل أن يكون معنى الآية أعرض عن مجادلتهم فقد أوضحت لهم الحجج، وهذا لا ينافي قتالهم".[نواسخ القرآن: ١٩٩].

(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٣٩/١، ونواسخ القرآن لابن الجوزي: ١٩٩.

قال ابن الجوزي:" قوله تعالى: وَفِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ [الذاريات: ١٩] الحق هاهنا النصيب وفيه قولان:

الأول: أنه ما يصلون به رحما، أو يقرون به ضيفا، أو يحملون به كلا، أو يغنون به محروما، وليس بالزكاة. قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

والثاني: أنه الزكاة، قاله، قتادة وابن سيرين.

وقد زعم قوم: أن هذه الآية اقتضت وجوب إعطاء السائل والمحروم، فذلك منسوخ بالزكاة، والظاهر أنها حث على التطوع ولا يتوجه نسخ". [نواسخ القرآن: ١٩٩].

(٤) سنن ابن ماجة(٨٣٠):ص٢١/٢، وسنن النسائي(٩٧١):ص١٦٣/٢. [حكم الألباني] ضعيف.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة(٣٥٧٤):ص٣١٣/١.

(٦) مصف عبدالرزاق(٢٦٨٥):ص١٠٦/٢.

(٧) صحيح أبي داود(١٣٩٦):ص٥٦/٢. قال أبو داود: «هذا تأليف ابن مسعود رحمه الله». والحديث أخرجه البخاري (٧٧٥) و (٤٩٩٦) و (٥٠٤٣)، ومسلم (٨٢٢)، والترمذي (٦٠٨)، والنسائي في "الكبرى" (١٠٧٨ - ١٠٧٩) من طريق أبي وائل شقيق بن سلمة، والنسائي (١٠٨٠) من طريق مسروق بن الأجدع، كلاهما عن عبد الله بن مسعود، بهذا الإسناد. ولم يذكروا أسماء السور تفصيلاً. وهو في "مسند أحمد" (٣٩٥٨) و (٣٩٦٨)، و"صحيح ابن حبان" (١٨١٣).

[حكم الألباني] : صحيح دون سرد السور

- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ سورة والذاريات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كلّ ريح هبت وجرت في الدنيا»"[١].[ضعيف]
- عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " أعطيت مكان التوراة السبع الطول وأعطيت مكان الزبور المئين وأعطيت مكان الإنجيل المثاني وفضلت بالمفصل"[٢].

وفي أشهر الأقوال: أن أول المفصل «الحجرات»، وأول وسط المفصل: «عبس» وأول قصار المفصل: «والضحى»، هذا أشهر أقوال المالكية، وطلب هذا لأجل الصلاة المفروضة، ففي الصبح يستحب القراءة بطوال المفصل، وفي الظهر والعشاء بمتوسطه، وفي المغرب بقصاره[٣].

---

(١) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٠٩/٩. [وقد اتفق العلماء بأن روايات الثعلبي عن أبيّ بن كعب في فضائل السور باطل موضوع كله].

(٢)أخرجه أحمد (٤/ ١٠٧، رقم ١٧٠٢٣). قال الهيثمي (٧/ ٤٦): فيه عمران القطان وثقه ابن حبان وغيره وضعفه النسائى وغيره وبقية رجاله ثقات. وأخرجه الطبرانى (٢٢/ ٧٥ رقم ١٨٦)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٢/ ٤٦٥، رقم ٢٤١٥ مكرر). وأخرجه أيضا: الطيالسى (ص ١٣٦ رقم ١٠١٢) وأبو نعيم فى معرفة الصحابة (٥/ ٢٧١٦ رقم ٦٤٨٥). وقال المناوي (١/ ٥٦٦): فيه عمرو بن مرزوق، أورده الذهبي في الضعفاء وقال: كان يحيى بن سعيد لا يرضاه.

(٣)النكت والعيون: ٢٦/١-٢٧ .

سورة «الطور»

«سورة الطور» هي السورة الثانية والخمسون بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة الخامسة والسبعون وفق ترتيب نزول السور، نزلت بعد «سورة نوح»، وقبل «سورة المؤمنين». عدد آياتها تسع وأربعون في عد الكوفة والشأم، وثمان في البصرة، وسبع في الحجاز. كلماتها ثلاثمائة واثنتا عشرة. وحروفها ألف وخمسمائة. الآيات المختلف فيها اثنتان: {وَالطُّورِ} [الطور : ١]، {دَعًّا} [الطور : ١٣]، مجموع فواصل آياتها: «من رعا»[١].

- **أسماء السورة:**
- **أسمها التوقيفي: «سورة الطور»:**

سميت هذه السورة عند السلف «سورة الطور» دون «واو» قبل «الطور»[٢]، وكذلك وقعت تسميتها في ترجمتها من «جامع الترمذي»[٣]، وسنن النسائي[٤]، وفي المصاحف التي رأيناها، وكثير من التفاسير[٥]. وهذا على التسمية بالإضافة، أي: سورة ذكر الطور كما يقال: سورة البقرة، وسورة الهدهد، وسورة المؤمنين[٦].

وفي ترجمة هذه السورة من تفسير «صحيح البخاري»: «سورة والطور»[٧]، بالواو على حكاية اللفظ الواقع في أولها، كما يقال: «سورة قل هو الله أحد».

ولا يعرف لهذه السورة اسم غير اسمها المشهورة به.

ووجه تسميتها بسورة «الطور»، لافتتاحها بقسم الله تعالى بالطور، وذلك في قوله تعالى: {وَالطُّورِ (١) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (٢)} [الطور : ١ - ٢]، وقد ورد هذا اللفظ في عدة سور من القرآن الكريم، مثل سورة البقرة[٨]، والنساء[٩]، ومريم[١٠]، وطه[١١]، والمؤمنون[١٢]، والقصص[١٣]، والتين[١٤].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

---

(١) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤٤١.
(٢) كما سيأتي الروايات في فضائل السورة.
(٣) انظر: سنن الترمذي: ٢٤٥/٥.
(٤) انظر: سنن النسائي: ٢٧٢/١٠.
(٥) انظر: مثلا: تفسير الطبري: ٤٥٠/٢٢، وتفسير السمعاني: ٢٦٦/٥، وتفسير البغوي: ٣٨٢/٧، وتفسير القرطبي: ٨/١٧، وغيرها.
(٦) انظر: التحرير والتنوير: ٣٥/٢٧.
(٧) انظر: صحيح البخاري: ١٣٩/٦.
(٨) وذلك في قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة : ٦٣]، وقوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [البقرة : ٩٣] .
(٩) وذلك في قوله تعالى: {وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا} [النساء : ١٥٤].
(١٠) وذلك في قوله تعالى: {وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا} [مريم : ٥٢].
(١١) وذلك في قوله تعالى: {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى} [طه : ٨٠].
(١٢) وذلك في قوله تعالى: {وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ} [المؤمنون : ٢٠].
(١٣) وذلك في قوله تعالى: {فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ} [القصص : ٢٩]، وقوله تعالى: {وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [القصص : ٤٦].
(١٤) وذلك في قوله تعالى: {وَطُورِ سِينِينَ} [التين : ٢].

عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: "نزلت سُورَة الطّور بِمَكَّة"[١]. وروي عن ابن الزبير -رضي الله عنه- مثله[٢].
قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع من المفسرين والرواة"[٣].
قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلها بإجماعهم"[٤].
قال القرطبي:" سورة «والطور» مكية كلها في قول الجميع"[٥].
قال ابن عاشور:" هي مكية جميعها بالاتفاق"[٦].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها:
١- إن في ابتداء كل منهما وصف حال المتقين.
٢- إن في نهاية كل منهما وعيد للكافرين.
٣- إن كلا منهما بدئت بقسم بآية من آياته تعالى الكونية التي تتعلق بالمعاش أو المعاد، ففي الأولى أقسم بالرياح الذاريات التي تنفع الإنسان في معاشه، وهنا أقسم بالطور الذي أنزل فيه التوراة النافعة للناس في معادهم.
٤- في كل منهما أمر النبي بالتذكير والإعراض عما يقول الجاحدون من قول مختلف.
٥- تضمنت كلتاهما الحجاج على التوحيد والبعث، إلى نحو ذلك من المعاني المتشابهة في السورتين[٧].
٦- ومن المناسبة بين «الطور» و«الذاريات» أنه تعالى ذكر تكذيب الكافرين، ورد عليهم في إيجاز في الذاريات بقوله: {كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ} [الذاريات: ٥٢]، وما بعدها، ثم فصل ذلك في الطور من قوله: {فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ} [الطور: ٢٩] إلى آخر السورة.
قال السيوطي:" وجه وضعها بعد «الذاريات»: تشابههما في المطلع والمقطع؛ فإن في مطلع كل منهما صفة حال المتقين بقوله: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ} [الذاريات: ١٥]، [الطور: ١٧]، الآيات، وفي مقطع كل منهما صفة حال الكفار، بقوله في تلك: {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا} [الذرايات:٦٠]، وفي هذه: {فَالَّذِينَ كَفَرُوا } [الطور : ٤٢]"[٨].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

يدور موضوع سورة «الطور» حول معالجة الجاحدين بيوم الدين، والمكذبين برسالة سيد المرسلين، والمعرضين عن القرآن المبين، ومعالجة جاحدي ربوبيته جلَّ وعلا، ومُدَّعِي أكاذيب اعتقادية، تناقض ما يجب أن يؤمنوا به، ومعالجة مريدي تدبير الكيد؛ للتخلص من الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن الذين آمنوا به واتبعوه، واتبعوا النور الذي أنزل معه، ومعالجة المشركين بالإنذار والإهلاك.
والسورة في جملتها تضمنت المقاصد التالية:

---

(١)الدر المنثور: ٦٢٦/٧، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي.
(٢) انظر: الدر المنثور: ٦٢٦/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٣) المحرر الوجيز: ١٨٥/٥.
(٤) زاد المسير: ١٧٥/٤.
(٥) تفسير القرطبي: ٥٨/١٧.
(٦) التحرير والتنوير: ٣٥/٢٧.
(٧) انظر: تفسير المراغي:١٦/٢٧.
(٨) أسرار ترتيب القرآن: ١٣٣.

١- قسَمَه سبحانه في أول سورة الطور بخمسة أشياء، لها شأن عظيم على وقوع العذاب يوم القيامة بالمكذبين، وبيان ألوانه وضروبه، مع ذكر بعض التغييرات الكونية والآيات الإلهية التي تقع في ذلك اليوم.
٢- ذِكْرُ ما أعده الله للمتقين من جنات ونعيم، وما يتلذذون به ويلقونه من صنوف التَّكريم، حيث يُلْحِقُ الله بهم ذريتهم المؤمنة، ويرفعهم إلى درجتهم؛ لتقرّ بذلك عيونهم، ويتم سرورهم.
٣- دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المداومة على تبليغ رسالته، فهو -بفضل ما أنعم الله به عليه من النبوة ورجاحة العقل- ليس بكاهن، ولا مجنون، ولا شاعر، كما تدعوه إلى عدم الالتفات إلى ما يتقوّله عليه المتقولون، وعدم المبالاة بما يصفون به القرآن، الذي عجزوا عن الإتيان بمثله.
٤- توبيخ الكافرين والمشركين، وتقبيح آرائهم الضالة، وتسفيه معتقداتهم الفاسدة، وبيان ضلالهم، وإعلان سوء تقديرهم.
٥- إبطال خليط من أكاذيب الكافرين الجاحدين، بإعادة الخلق، وببعثه رسول صلى الله عليه وسلم ليس من كبرائهم، وبكون الملائكة بنات الله.
٦- إبطال تعدد الآلهة، وذكر استهزائهم بالوعيد.
٧- توكيد حقيقة البعث والقيامة ويوم الدين، مع تقديم بعض مشاهد من يوم الدين للكافرين الجاحدين، وبعض مشاهد للمؤمنين المتقين.
٨- توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم لأن يتابع تذكيره مَن لم يصلوا إلى دَرَكَةٍ ميؤوس معها من استجابتهم عن طريق إراداتهم الحرة، مع معالجة الكافرين بشأن هذه القضايا.
٩- توصية الرسول صلى الله عليه وسلم بما ينبغي أن يتصرفه، تجاه الكافرين، الذين وصلوا إلى دَرَكَة ميؤوس معها من استجابتهم عن طريق إرادتهم الحرة، مع بيان الدواء الديني الذي عليه صلى الله عليه وسلم أن يداويَ نفسه به.
١٠- في ختام السورة توصية من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم؛ بالتصرف الحكيم الذي ينبغي له أن يتصرفه مع الكفرة المجرمين المعاندين في مواجهة المواقف التي كانوا عليها إبَّان تنزيل السورة وقبلها، وهو تركهم يمعنون في كفرهم، والاشتغال بغيرهم من الذين لم يبلغوا دَرَكَة الميؤوس من استجابتهم عن طريق إراداتهم الحرة[١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

ذكر أهل التفسير ثلاثة آيات من اللواتي إدعي عليهن النسخ في *هذه السورة:*

إحداها: قوله تعالى: {قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ} [الطور: ٣١].

قال ابن الجوزي:" قال المفسرون: معناها: انتظروا فيّ ريب المنون فإني منتظر عذابكم، فعذّبوا يوم بدر بالسيف، وزعم بعضهم أنها منسوخة بآية السيف، وليس بصحيح؛ إذ لا تضاد بين الآيتين"[٢]..

الثانية: قوله تعالى: {فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ} [الطور: ٤٥]

قال ابن الجوزي:" زعم بعضهم: أن هذه الآية منسوخة بآية السيف، وإذا كان معنى ذرهم الوعيد لم يقع نسخ"[٣].

الثالث: قوله تعالى: {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنا} [الطور: ٤٨].

(١) انظر: التحرير والتنوير: ٣٦/٢٧.
(٢) نواسخ القرآن:٢٠٠.
(٣) نواسخ القرآن:٢٠٠.

قال ابن الجوزي:" زعم بعض المفسرين: أن معنى الصبر منسوخ بآية السيف وليس بصحيح، لأنه يجوز أن يصبر لحكم ربه ويقاتلهم، ولا تضاد بين الآيتين"[١].

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: "شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أني أشتكي فقال: " طوفي من وراء الناس وأنت راكبة، قالت: فطفت راكبة بعيري ورسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ يصلي إلى جانب البيت وهو يقرأ بِالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ"[٢].
  أي: يقرأ بسورة الطور ولم ترد يقرأ بالآية لأن الآية فيها والطور بالواو وهي لم تذكر الواو.
- وعن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم «قرأ بالطور في المغرب»[٣].
- عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه رضي الله عنه، قال: " سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الخَالِقُونَ، أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَلْ لاَ يُوقِنُونَ، أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ المُسَيْطِرُونَ}، " قال: كاد قلبي أن يطير"[٤].
  وكان جبير بن مطعم مشركا قدم على النبيء صلى الله عليه وسلم في فداء أسرى بدر وأسلم يومئذ.

---

(١) نواسخ القرآن:٢٠٠.
(٢) موطأ مالك(١٢٣):ص٣٧٠. تح: محمد فؤاد عبد الباقي.
(٣) موطأ مالك(٢٣):ص٨٧.
(٤) صحيح البخاري(٤٨٥٤):ص١٤٠/٦.

سورة «النجم»

«سورة النجم»: هي السورة الثالثة والخمسون بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة الثالثة والعشرون بحسب ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة الإخلاص، وقبل سورة عبس، آياتها اثنتان وستون في عد الكوفيين، وواحدة في عد الباقين. وكلماتها ثلاثمائة وستون، وحروفها ألف وأربعمائة وخمسون. والآيات المختلف فيها ثلاث: {مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا} [النجم : ٢٨]، {عَنْ مَنْ تَوَلَّى} [النجم : ٢٩]، {الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} [النجم : ٢٩]. مجموع فواصل آياتها: «واه»[١].

- **أسماء السورة:**
- **أسمها التوقيفي: «سورة النجم»:**

سميت «سورة النجم» لافتتاحها بقسم الله تعالى بالنجم في قوله تعالى: {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١)} [النجم : ١]، وقد ورد لفظ «النجم» منفردا في بعض سور القرآن كسورة النحل[٢]، والرحمن[٣]، والطلاق[٤].

وقد سميت بـ«سورة النجم »بغير «واو» في عهد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ففي "الصحيحين" عن عبد الله رضي الله عنه: " أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم، فسجد بها فما بقي أحد من القوم إلا سجد، فأخذ رجل من القوم كفا من حصى - أو تراب - فرفعه إلى وجهه، وقال: يكفيني هذا "، قال عبد الله: فلقد رأيته بعد قتل كافرا"[٥].

عن ابن عباس رضي الله عنهما:" «أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس»[٦]. فهذه تسمية؛ لأنها ذُكِر فيها «النجم».

وسموها: «سورة والنجم» بـ«واو» بحكاية لفظ القرآن الواقع في أولها، وكذلك ترجمها البخاري في كتاب التفسير من "صحيحه"[٧]، والترمذي في «جامعه»[٨].

ووقعت في المصاحف والتفاسير بالوجهين، وهو من تسمية السورة بلفظ وقع في أولها، وهو لفظ «النجم» أو حكاية لفظ «والنجم».

وسموها : {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى} [النجم : ١]، كما في حديث زيد بن ثابت في الصحيح : أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ: {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى}، فلم يسجد[٩]، أي: في زمن آخر غير الوقت الذي ذكره ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما.

وعن الأعرج؛ أن عمر بن الخطاب، قرأ ب: {والنجم (١) إذا هوى} [النجم ٥٣: ١] فسجد فيها. [ش: ٥٧] ثم قام، فقرأ بسورة أخرى"[١٠].

قال ابن عاشور: "وهذا كله اسم واحد مُتَوَسع فيه، فلا تُعَدُّ هذه السورة بين السور ذوات أكثر من اسم"[١١].

---

(١) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤٤٣.
(٢) وذلك في قوله تعالى: {وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ} [النحل : ١٦].
(٣) وذلك في قوله تعالى: {وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ} [الرحمن : ٦].
(٤) وذلك في قوله تعالى: {النَّجْمُ الثَّاقِبُ} [الطارق : ٣].
(٥) صحيح البخاري(١٠٧٠):ص٤١/٢، وصحيح مسلم(٥٧٦):ص٤٠٥/١
(٦) صحيح البخاري(١٠٧١):ص٤١/٢.
(٧) انظر: صحيح البخاري: ١٤٠/٦.
(٨) انظر: سنن الترمذي: ٢٤٦/٥.
(٩) صحيح مسلم(٥٧٧):ص٤٠٦/١.
(١٠) موطأ مالك(٧٠٠):ص٢٨٨/٢، وأخرجه أبو مصعب الزهري، ٢٦١ في النداء والصلاة؛ والحدثاني، ٩٧ في الصلاة؛ والشيباني، ٢٦٨ في الصلاة؛ والشافعي، ١٠٣٢، كلهم عن مالك به.
(١١) التحرير والتنوير: ٨٧/٢٧.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها مكية كلها. قاله ابن عباس[(١)]، وابن الزبير[(٢)].

الثاني : أنها مكية إلا آية منها، وهي {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ} [النجم : ٣٢]، الآية. قاله ابن عباس[(٣)]، وقتادة[(٤)]، ومقاتل[(٥)].

قال ابن عاشور:" ونسب إلى الحسن البصري: أن السورة كلها مدنية، وهو شذوذ"[(٦)].

قال الفيروزآبادي:" السورة مكية بالاتفاق"[(٧)].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة بإجماعهم "[(٨)].

قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع من المتأولين، وهي أول سورة أعلن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهر بقراءتها في الحرم والمشركون يستمعون"[(٩)].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها:

١- إن في ابتداء كل منهما وصف حال المتقين.
٢- إن في نهاية كل منهما وعيد للكافرين.
٣- إن كلا منهما بدئت بقسم بآية من آياته تعالى الكونية التي تتعلق بالمعاش أو المعاد، ففي الأولى أقسم بالرياح الذاريات التي تنفع الإنسان في معاشه، وهنا أقسم بالطور الذي أنزل فيه التوراة النافعة للناس في معادهم.
٤- في كل منهما أمر النبي بالتذكير والإعراض عما يقول الجاحدون من قول مختلف.
٥- تضمنت كلتاهما الحجاج على التوحيد والبعث، إلى نحو ذلك من المعاني المتشابهة في السورتين[(١٠)].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

تضمنت سورة «النجم» جملة من المقاصد، نجملها في التالي:

١- أنها -شأن السور المكية- عُنيت بالرسالة وتوكيدها، وتحقيق أن الرسول صلى الله عليه وسلم صادق فيما يبلغه عن الله تعالى، وأنه منزَّه عما ادعوه. وإثبات أن القرآن وحي من عند الله بواسطة جبريل عليه السلام.
٢- تحدثت عن المعراج الذي كان تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد عام الحزن على وفاة زوجه أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، وعمه أبي طالب، وما رآه عليه الصلاة والسلام من آيات ربه الكبرى، وعجائبه العظمى في الملكوت الأعلى، عند سدرة المنتهى، التي عندها جنة المأوى.

---

(١)الدر المنثور: ٦٣٩/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٢)الدر المنثور: ٦٣٩/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٣) انظر: زاد المسير: ١٨٣/٤. حكاه بدون سند.
(٤) انظر: زاد المسير: ١٨٣/٤. حكاه بدون سند.
(٥) نقلا عن: زاد المسير: ١٨٣/٤.
(٦) التحرير والتنوير: ٨٧/٢٧.
(٧)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٤٣/١.
(٨) زاد المسير: ١٨٣/٤.
(٩) المحرر الوجيز: ١٩٥/٥.
(١٠) انظر: تفسير المراغي: ١٦/٢٧.

٣- نعت السورة على المشركين عبادة غير الله من الأوثان والأصنام وغيرها من المخلوقات، التي لا تضر ولا تنفع، ولا تسمع ولا تبصر، بل إن بعضها قد صنعوه بأيديهم، وسفهتهم على أن آثروا أنفسهم بالبنين، وجعلوا لله ما يكرهونه ويأنفون منه، وهو البنات.
٤- أبطلت قياسهم عالم الغيب على عالم الشهادة، وأن ذلك ضلال في الرأي، قد جاءهم بضده الهدى من الله.
٥- توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم للإعراض عن الذين تولوا مدبرين عن دعوته من المشركين الضالين، وإشعاره بحدود وظيفته، وأنه ليس مسؤولاً عن تحويلهم من الكفر إلى الإيمان، فالحكمة في الابتلاء من ظروف الحياة الدنيا كشف ما في صدور الممتَحَنِين؛ لتحقيق الجزاء يوم الدين.
٦- أخبرت عن الحساب والجزاء يوم القيامة، وبيَّنت أن الإنسان لا يحمل وزر غيره: {وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (٤١)} [النجم : ٣٩ - ٤١].
٧- تحدثت عن أن الله هو الذي يحيي ويميت، وأنه إليه المنتهى والمصير، وأنه وحده هو الذي خلق الزوجين الذكر والأنثى.
٨- بيَّنت أن مذهب الشرك مذهب باطل ساقط، وأن الدعوة الإسلامية استمرار لما جاء به المرسلون السابقون، إيماناً بالله، ومسؤولية في الحياة الدنيا، وجزاء يوم الدين، وتحذيراً من مُعَجِّل العقاب، كما حصل للمكذبين الأولين.
٩- ذكرت خاتمة السورة أصنافاً من العذاب لأمم خالفت أنبياءها وآذتهم، فأنزل الله بهم ما يستحقون؛ وذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ووعد له وللمؤمنين بنصر الله، كما أن فيها وعيداً وتهديداً للمشركين أن يحل بهم ما نزل بغيرهم ممن هم على شاكلتهم[١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

ذكر أهل التفسير آيتين من اللواتي إدعي عليهن النسخ في *هذه السورة:*

إحداها: قوله تعالى: {فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} [النجم : ٢٩]. فالمراد بالذكر –هاهنا-: القرآن، وقد زعموا أن هذه الآية منسوخة بآية السيف. حكاه ابن الجوزي[٢].

الثانية: قوله تعالى: {وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلَّا ما سَعى} [النجم: ٣٩].

عن ابن عباس رضي الله عنهما: "{وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلَّا ما سَعى}، قال: فأنزل الله تعالى بعد هذا: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمانٍ} [الطور: ٢١]، فأدخل الله الأبناء بصلاح الآباء الجنة"[٣].

قال ابن الجوزي:" قول من قال: إن هذا نسخ غلط؛ لأن الآيتين خبر، والأخبار لا يدخلها النسخ، ثم إن إلحاق الأبناء بالآباء إدخالهم في حكم الآباء بسبب إيمان الآباء فهم كالبعض تبع الجملة، ذاك ليس لهم إنما فعله الله سبحانه بفضله وهذه الآية تثبت ما للإنسان إلا ما يتفضل به عليه"[٤].

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-، قال: " أول سورة أنزلت فيها سجدة والنجم، قال: فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد من خلفه إلا رجلا رأيته أخذ كفا من تراب فسجد عليه "، فرأيته بعد ذلك قتل كافرا، وهو أمية بن خلف"[١].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير: ٢٧/٨٨-٨٩.
(٢) انظر: نواسخ القرآن:٢٠٠.
(٣)أخرجه الطبري :٢٢/٥٤٦-٥٤٧، والنحاس في الناسخ والمنسوخ: ٦٨٨-٦٩٨، وابن الجوزي في نواسخ القرآن: ٢٠١. وإسناده ضعيف.
(٤) نواسخ القرآن: ٢٠١.

- عن ابن عباس رضي الله عنهما:" «أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس»(٢).
- عن زيد بن ثابت، قال: «قرأت على النبي صلى الله عليه وسلم «والنجم»، فلم يسجد فيها»(٣).
- عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ سورة النجم أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدّق بمحمد ومن جحد به»(٤).[ضعيف]

(١) صحيح البخاري(٤٨٦٣):ص١٤٢/٦. قال ابن كثير في "التفسير": ٤٤٢/٧:" وقوله في الممتنع : إنه أمية بن خلف في هذه الرواية مشكل، فإنه قد جاء من غير هذه الطريق أنه عتبة بن ربيعة".
(٢) صحيح البخاري(١٠٧١):ص٤١/٢.
(٣) صحيح البخاري(١٠٧٣):ص٤١/٢.
(٤) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٣٤/٩، [وقد مرّ أنه حديث موضوع غير ثابت].

سورة «القمر»

«سورة القمر»: هي السورة الرابعة والخمسون بحسب ترتيب سور المصحف العثماني، وهي السورة السابعة والثلاثون وَفْق ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة «الطارق»، وقبل سورة (ص). وآياتها خمس وخمسون. وكلماتها ثلاثمائة واثنتان وأربعون. وحروفها ألف وأربعمائة وثلاث وعشرون. فواصل آياتها كلها على حرف «الراء»[1].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة القمر»:**

عرفت السورة باسم «سورة القمر»، وكتبت في المصاحف وكتب التفسير، وبذلك ترجمها الإمام الترمذي في "جامعه"[2].

ووردت عند ابن عباس-رضي الله عنهما- قال:" نزلت سورة القمر بمكة"[3].

ووجه تسميته بـ«سورة القمر»، لافتتاحها بذكر انشقاق القمر، وهو معجزة نبينا محمد-صلى الله عليه وسلم-، قال تعالى: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ} [القمر : ١].

- **ثانيا:- اسمها الإجتهادي: «سورة اقتربت الساعة»:**

اسمها بين السلف «سورة اقتربت الساعة»، ففي حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «كان يقرأ بقاف والقرآن المجيد، واقتربت الساعة وانشق القمر»[4]. في الفطر، والأضحى.

وعن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال:"نزلت بمكة سورة {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ}"[5]. وروي عن ابن الزبير مثله[6].

وبهذا الاسم عنون لها الإمام البخاري في كتاب التفسير من "صحيحه"[7].

ووجه تسميتها بهذا الاسم، لافتتاحها بهذين اللفظين في قوله تعالى: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ} [القمر : ١].

ويجدر القول بأن هذا الاسم اجتهادي وليس توفيقي من النبي-صلى الله عليه وسلم-، إذ لم يثبت عنه حديث في هذه التسمية.

كما كتبت في بعض الكتب باسم: «سورة الساعة»[8].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة، ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها مكية كلها. قاله ابن عباس[9]، وابن الزبير[1].

---

(١) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤٤٥.

(٢) انظر: كتاب التفسير: ٣٩٧/٥.

(٣) الدر المنثور: ٦٦٩/٧، وعزاه إلى النحاس.

(٤) موطأ مالك(٢٣٦):ص٨٩، ومسند الإمام الشافعي(٤٦١):١٥٨/٢ .

(٥) الدر المنثور: ٦٦٩/٧، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٦) الدر المنثور: ٦٦٩/٧، وعزاه إلى وابن مردويه.

(٧) انظر: كتاب التفسير: ٣٥٧/٦.

(٨) من تلك الكتب:

- جزء فيه قراءات النبي صلى الله عليه وسلم، أبو عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهبان الأزدي الدُّوري القارئ (المتوفى: ٢٤٦هـ):ص١٥٥.

التبيان في آداب حملة القرآن، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) حققه وعلق عليه: محمد الحجار: ١٧٨.

(٩) الدر المنثور: ٦٦٩/٧، وعزاه إلى النحاس.

عن أنس بن مالك -رضي الله عنه-؛ قال: «سأل أهل مكة النبي - صلى الله عليه وسلم - آية؛ فانشق القمر بمكة مرتين؛ فنزلت: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (٢)}، يقول: ذاهب (٤)»[٢]. [صحيح]

الثاني : أنها مكية إلاّ ثلاث آيات، أوّلها: {أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ} [القمر : ٤٤]، إلى قوله: {بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ} [القمر : ٤٦]، نزلت يوم بدر، قاله مقاتل[٣].

قال القرطبي: وهذا" ولا يصح"[٤].

الثالث : أنها مكية إلا آية منها، وهي قوله تعالى: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ} [القمر : ٤٥]، حكاه ابن عطية[٥]، وحكاه ابن الجوزي عن مقاتل[٦]. وبه قال الزمخشري[٧].

وقال السمعاني: وهي مكية إلا قوله تعالى: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ} [القمر : ٤٥]، والآية التي بعدها"[٨].

---

(١) الدر المنثور: ٦٦٩/٧، وعزاه إلى وابن مردويه.

(٢)أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" (٢/ ٢٥٧) -ومن طريقه مسلم في "صحيحه" (٤/ ٢١٥٩ - لكن لم يسق لفظه)، وأحمد (٣/ ١٦٥)، وعبد بن حميد في "المسند" (٣/ ٩٢ رقم ١١٨٢)، والترمذي في "الجامع" (٥/ ٣٩٧ رقم ٣٢٨٦)، والأصبهاني في "دلائل النبوة" (١/ ٢٦٢ رقم ٦)، وأبو يعلى في "المسند" (٥/ ٤٦٣ رقم ٣١٨٧)، والحاكم في "المستدرك" (٢/ ٤٧٢)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (٢/ ٢٦٣) - عن معمر عن قتادة عن أنس به.

قال الترمذي: "حديث حسن صحيح".

وقال الحاكم: "قد اتفق الشيخان على حديث شعبة عن قتادة عن أنس: انشق القمر على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - , ولم يخرجاه بسياقة حديث معمر، وهو صحيح على شرطهما".

قلنا: وهو كما قال، وقد توسع أخونا الفاضل مساعد الراشد -حفظه الله- في تخريج رواياته في تعليقه على "دلائل النبوة" للأصبهاني؛ فانظرها غير مأمور.

وأخرج أبو داود الطيالسي في "مسنده" (٢/ ١٢٣ رقم ٢٤٤٧ - منحة)، والطبري في "جامع البيان" (٢٧/ ٥٠، ٥١)، والواحدي في "أسباب النزول" (ص ٢٦٨)، وأبو نعيم في "الدلائل النبوة" (ص ٢٣٥، ٢٣٦)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (٢/ ٢٦٦) من طريق أبي عوانة عن المغيرة عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود؛ قال: انشق القمر على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم -, فقالت قريش: هذا سحر ابن أبي كبشة، فقالوا: انتظروا ما يأتيكم به السفار؛ فإن محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم، فجاء السفار فسألوهم؛ فقالوا: نعم قد رأيناه؛ فأنزل الله -تعالى-: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (٢)}.

قلنا: وسنده صحيح.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٦٧٠) وزاد نسبته لابن المنذر وابن مردويه.

وأخرج عبد الرزاق في "تفسيره" (٢/ ٢٥٧) -ومن طريقه الحاكم في "المستدرك" (٢/ ٤٧١)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (٢/ ٢٦٥) - عن ابن عيينة ومحمد بن مسلم عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن عبد الله بن مسعود؛ قال: رأيت القمر منشقاً شقتين مرتين بمكة قبل مخرج النبي - صلى الله عليه وسلم -: شقة على أبي قبيس، وشقة على السويداء، فقالوا: سحر القمر؛ فنزلت: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١)} يقول: كما رأيتم القمر منشقاً؛ فإن الذي أخبرتكم عن اقتراب الساعة حق.

قلنا: وسنده صحيح.

قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة، إنما اتفقا على حديث أبي معمر عن عبد الله مختصراً، وهذا حديث لا نستغني فيه عن متابعة الصحابة بعض لبعض"، ووافقه الذهبي.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٦٧٠) وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن مردويه.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١٨٤/٤، وزاد المسير: ١٩٦/٤.

(٤) تفسير القرطبي: ١٢٥/١٧.

(٥) انظر: المحرر الوجيز: ٢١١/٥.

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١٨٤/٤، وزاد المسير: ١٩٦/٤.

(٧) انظر: الكشاف: ٤٣٠/٤.

(٨) تفسير السمعاني: ٣٠٦/٥.

قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع إلا آية واحدة اختلف فيها، فقال جمهور الناس هي مكية، وقال قوم هي مما نزل ببدر، وقيل بالمدينة وهي: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ} [القمر: ٤٥] الآية"[١].

قال ابن أبي زمنين:" هي مكية كلها"[٢].

قال الفيروزآبادي:" السورة مكية بالاتفاق"[٣].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة بإجماعهم "[٤].

قال القرطبي:" سورة القمر مكية كلها في قول الجمهور"[٥].

قال ابن عاشور:" هي مكية كلها عند الجمهور"[٦].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها من وجوه:

١- مشاكلة آخر السورة السابقة لأول هذه فقد قال هناك: {أَزِفَتِ الْآزِفَةُ} [النجم : ٥٧]، وقال هنا: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ} [القمر : ١].

٢- حسن التناسق بين النجم والقمر.

٣- إن هذه قد فصلت ما جاء في سابقتها، ففيها إيضاح أحوال الأمم التي كذبت رسلها، وتفصيل هلاكهم الذي أشار إليه في السابقة بقوله: {وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى (٥٠) وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى (٥١) وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى (٥٢)} [النجم : ٥٠ - ٥٢].

فما أشبهها مع سابقتها بالأعراف بعد الأنعام، والشعراء بعد الفرقان[٧].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

يدور موضوع سورة «القمر» حول بيان الموقف العنادي المكابر الذي وقفه كفار قريش من آية انشقاق القمر العظيمة، بعد أن طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم آية مادية كبرى، تثبت صحة نبوته، وصدق رسالته، وبيان موقفهم العنادي من الأنباء الزاجرة، التي سبق للقرآن أن وجهها لهم. وبيان الموقف الذي يوصِي الله رسولَه صلى الله عليه وسلم بأن يتخذه معهم، بعد أن وصلوا إلى حالة ميؤوس منها غالباً، وهو التولي عنهم، بإدارة ظهره إليهم، والاشتغال بآخرين لم يبلغوا بعد ما بلغ إليه هؤلاء من عناد ومكابرة واستكبار ومعاداة لدعوة الحق الربانية.

وعلى الجملة، فقد تجلت مقاصد سورة القمر في الأمور التالية:

١- تسجيل مكابرة المشركين في الآيات البينة، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالإعراض عن مكابرتهم.

٢- إنذارهم باقتراب القيامة وبما يلقونه حين البعث من الشدائد.

٣- تذكيرهم بما لقيته الأمم أمثالهم من عذاب الدنيا؛ لتكذيبهم رسل الله، وأنهم سيلقون المصير نفسه الذي لقيه أولئك؛ إذ ليسوا خيراً من كفار الأمم الماضية.

٤- إنذارهم بقتال يُهزمون فيه، ثم لهم عذاب الآخرة، وهو أشد.

٥- إعلامهم بإحاطة الله علماً بأفعالهم، وأنه مجازيهم شر الجزاء، ومجازٍ المتقين خير الجزاء. وإثبات البعث، ووصف بعض أحواله.

٦- تكرير التنويه بهدي القرآن وحكمته.

---

(١) المحرر الوجيز: ٢١١/٥.

(٢) تفسير ابن أبي زمنين: ٣١٥/٤.

(٣)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٤٥/١.

(٤) زاد المسير: ١٩٦/٤.

(٥) تفسير القرطبي: ١٢٥/١٧.

(٦) التحرير والتنوير: ١٦٥/٢٧.

(٧) انظر: تفسير المراغي: ٧٤/٢٧.

٧- بينت السورة أن كل شيء خلقه الله بقدر، وما أمره سبحانه في الإتيان بالساعة إلا كلمح بالبصر، وأن كل شيء فعلوه مثبت في كتب أعمالهم، يكتبها ملائكة جعلهم الله لكتابة أعمال العباد.

٨- خُتمت السورة بترغيب الذين آمنوا واتقوا بأنهم سيكونون يوم الدين: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (٥٥)} [القمر : ٥٤ - ٥٥][١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

ذكر أهل التفسير آية واحدة، من اللواتي إدعي عليهن النسخ، وهي قوله تعالى: { فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ} [القمر : ٦][٢].

قال الزجاج: وقف التمام: {فَتَوَلَّ عَنْهُمْ}، وقوله: {إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ} إلى ما كانوا يَنْكِرونَهُ من البعث، فتول عنهم يوم كذا في الآية، و{يَوْمَ} منصوب بقوله: {يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ}"[٣].

وقال مقاتل: يعني فأعرض عن كفار مكة إلى يوم يدع الداع، وهو إسرافيل ينفخ الثانية قائما على صخرة بيت المقدس"[٤].

قال الجوزي: "وليس هذا بشيء[٥].

قال ابن الجوزي:" وقد زعم قوم أن هذا التولي منسوخ بآية السيف[٦]، وقد تكلمنا على نظائره وبينا أنه ليس بمنسوخ[٧].

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل أبا واقد الليثي: «ماذا كان يقرأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأضحى، والفطر» ؟ قال: «كان يقرأ بقاف والقرآن المجيد، واقتربت الساعة وانشق القمر»[٨].

  قال الزحيلي:" وكان يقرأ بهما في المحافل الكبار كالجمع والعيد، لاشتمالها على ذكر الوعد والوعيد، وبدء الخلق وإعادته، والتوحيد وإثبات النبوات وغير ذلك من المقاصد العظيمة"[٩].

- عن ابن عباس قال: "قارىء اقتربت تدعى في التوراة المبيضة تبيض وجه صاحبها يوم تبيض الوجوه"[١٠].

- وأخرج الديلمي عن عائشة مرفوعا: "من قرأ بـ«الم تنزيل» و «يس» و {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ}، و{تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ}، كن له نورا وحرزا من الشيطان والشرك، ورفع له في الدرجات يوم القيامة"[١١].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير: ١٦٦/٢٧.

(٢)انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي: ٥٩٥/٢، وذكره أيضا هبة الله في ناسخه ص: ٨٨ وابن هلال في ناسخه المخطوط ورقة ٣٣.

(٣) معاني القرآن: ٨٦/٥.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٧٧/٤.

(٥) انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي: ٥٩٥/٢.

(٦)ذكره هبة الله في ناسخه ص: ٨٨ وابن هلال في ناسخه المخطوط ورقة ٣٣.

(٧) انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي: ٥٩٥/٢.

(٨) موطأ مالك(٢٣٦):ص٨٩، ومسند الإمام الشافعي(٤٦١):١٥٨/٢ .

(٩) التفسير المنير: ١٤٤/٢٧.

(١٠) الدر المنثور: ٦٧٠/٧. قال البيهقي: "منكر"

(١١) الدر المنثور: ٦٧٠/٧. قال البيهقي: "منكر"

- وأخرج ابن الضريس عن إسحق بن عبد الله بن أبي فروة رفعه:" من قرأ : {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ} [القمر : ١] في كل ليلتين بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر"[١].
- وأخرج ابن الضريس عن ليث عن معن عن شيخ من همدان رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من قرأ : {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةَ} غبا ليلة وليلة حتى يموت لقي الله تعالى ووجهه كالقمر ليلة البدر"[٢].
- وأخرج أحمد عن بريدة:" أن معاذا بن جبل صلى بأصحابه صلاة العشاء فقرأ فيها {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةَ}، فقام رجل من قبل أن يفرغ فصلى وذهب، فقال له معاذ قولا شديدا، فأتى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم فاعتذر إليه، فقال: إني كنت أعمل في نخل وخفت على الماء. فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم: «صلي بالشمس وضحاها ونحوها من السور»"[٣].
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ سورة اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ في كل غداة بعث يوم القيامة ووجهه على صورة القمر ليلة البدر ومن قرأها كل ليلة كان أفضل وجاء يوم القيامة ووجهه مسفر على وجوه الخلائق»[٤].[ضعيف]

---

(١) الدر المنثور: ٦٦٩/٧.
(٢) الدر المنثور: ٦٧٠/٧. قال البيهقي: "منكر"
(٣) الدر المنثور: ٦٧٠/٧.
(٤) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٦٠/٩، [وقد مرّ أنه حديث موضوع غير ثابت].

سورة «الرحمن»

«سورة الرحمن»: هي السورة «الخامسة والخمسون» بحسب ترتيب سور المصحف العثماني، وهي السورة «السابعة والتسعون» وَفْق ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة «الرعد»، وآياتها ثمان وسبعون في عد الكوفة والشام، وسبع في الحجاز، وست في البصرة. وكلماتها ثلاثمائة وإحدى وخمسون. وحروفها ألف وثلاثمائة وست وثلاثون. المختلف فيها خمس آيات: {الرَّحْمَنُ} [الرحمن : ١]، {خَلَقَ الْإِنْسَانَ} [الرحمن : ٣]، {وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ} [الرحمن : ١٠] {الْمُجْرِمُونَ} [الرحمن : ٤٣]، {شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ} [الرحمن : ٣٥] . مجموع فواصل آياتها :«مرن»، وقيل هذه الحروف الألف إلا {الْمَغْرِبَيْنِ} [الرحمن : ١٧]، و{الْمُجْرِمُونَ} [الرحمن : ٤٣] [١].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة الرحمن»:**

وردت تسميتها بـ«سورة الرحمن» في أحاديث الرسول-صلى الله عليه وسلم-[٢]، وكذلك سميت في كتب السنة وفي المصاحف.

ووجه تسمية هذه السورة بـ«سورة الرحمن»، أنها ابتدأت باسمه تعالى: {الرَّحْمَنُ} [الرحمن : ١].

قال البقاعي:" فمقصودها بالذات: إثبات الاتصاف بعموم الرحمة، ترغيبا في إنعامه، بمزيد امتنانه وترهيبا من انتقامه، بقطع إحسانه، وعلى ذلك دل اسمها «الرحمن»، لأنه العام الامتنان"[٣].

- **ثانيا:- أسماؤها الاجتهادية:**
- **الاسم الأول: «سورة عروس القرآن»:**

ذكره البقاعي[٤]، والسيوطي[٥]، وروي البيهقي عن علي رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " لكل شيء عروس، وعروس القرآن الرحمن"[٦].

وهذا لا يعدو أن يكون ثناء على هذه السورة وليس هو من التسمية في شيء كما روي أن سورة البقرة فسطاط القرآن[٧]، فالظاهر أن معنى: «لكل شيء عروس»، أي: لكل جنس أو نوع واحد من جنسه يزينه تقول العرب: عرائس الإبل لكرائمها فإن العروس تكون مكرمة مزينة مرعية من جمع الأهل بالخدمة والكرامة، ووصف سورة الرحمان بالعروس تشبيه ما تحتوي عليه من ذكر الحبرة والنعيم في الجنة بالعروس في المسرة والبذخ، تشبيه معقول بمحسوس ومن أمثال العرب: لا عطر بعد عروس -على أحد تفسيرين للمثل- أو تشبيه ما كثر فيها من تكرير فبأي آلاء ربكما تكذبان بما يكثر على العروس من الحلي في كل ما تلبسه.

قال البقاعي:" واسمها «عروس القرآن» واضح البيان في ذلك، لأنها الحاوية لما فيه من حلى وحلل وجواهر وكلل، والعروس مجمع النعم، والجمال والبهجة، في نوعها والكمال"[٨].

---

(١) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤٤٧.
(٢) كما سيأتي في فضائل السورة.
(٣) انظر: مقاصد النظر للإشراف على مقاصد السور: ٤٥/٣.
(٤) انظر: مقاصد النظر للإشراف على مقاصد السور: ٤٤/٣.
(٥) انظر: الإتقان في علوم القرآن: ١٩٥/١، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن: ١٩٩/٣.
(٦) شعب الإيمان(٢٢٦٥):ص١١٦/٤، فيه أحمد بن الحسن، عده الذهبي في الضعفاء والمتروكين، قال الدارقطني: "ليس بثقة".
(٧)روى الدارمي عن خالد بن معدان قال: "سورة البقرة تعليمها بركة وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة وهي فسطاط القرآن". [سنن الدارمي رقم الحديث (٣٣٧١)]
(٨) انظر: مقاصد النظر للإشراف على مقاصد السور: ٤٦/٣.

قال الطيبي:" أعرس الرجل يعرس فهو معرس إذا دخل بامرأته عند بنائها، والعروس -ها هنا- يحتمل وجهين:

أحدهما: الزينة، ومنه قوله تعالي: {حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَت} [يونس : ٢٤]، شبهها بالعروس إذا تزينت بالحلي والثياب الفاخرة.

وثانيهما: الزلفي إلي المحبوب والوصول إلي المطلوب، وذلك أنه كلما كرر قوله: {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان} [الرحمن : ١٦]، كأنه يجلو نعمة السابغة علي الثقلين، ويزينها ويمن عليهم بها"[(١)].

- **الاسم الثاني: «سورة الرفرف»:**

ذكره البقاعي[(٢)]، وقال:" وكذا سميت: «الرفرف» بما في آيته من جليل الإنعام، البالغ إلى أنهى غايته"[(٣)].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة، ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها مكية كلها. قالته عائشة[(٤)]، وابن عباس[(٥)]، وابن الزبير[(٦)]، وبه قال الحسن[(٧)]، وعطاء[(٨)]، وعكرمة[(٩)]، وجابر[(١٠)]، ومقاتل[(١١)]، والجمهور[(١٢)].

قال ابن عاشور:"الأصح أنها مكية كلها، وهي في مصحف ابن مسعود أول المفصل"[(١٣)].

عن يحيى بن عروة بن الزبير، عن أبيه قال: "كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عبد الله بن مسعود قال: اجتمع يوما أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط، فمن رجل يسمعهموه؟ قال عبد الله بن مسعود: «أنا» ، قالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه، قال: «دعوني فإن الله عز وجل سيمنعني» قال: فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى، وقريش في أنديتها فقام عند المقام، ثم قال: " بسم الله الرحمن الرحيم رافعا صوته: {الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢)} [الرحمن : ١ - ٢]، قال: ثم استقبلها يقرأ فيها " قال: وتأملوا فجعلوا يقولون: ما يقول ابن أم عبد؟ قال: ثم قالوا: إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد، فقاموا إليه فجعلوا يضربون في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ، ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا في وجهه، فقالوا: هذا الذي خشينا عليك قال: «ما كان أعداء الله أهون علي منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها» ، قالوا: حسبك فقد أسمعتهم ما يكرهون"[(١٤)].

قال القرطبي:" وفي هذا دليل على أنها مكية"[(١٥)].

---

(١)شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن): ١٦٧٧/٥.
(٢) انظر: مقاصد النظر للإشراف على مقاصد السور: ٤٤/٣.
(٣) انظر: مقاصد النظر للإشراف على مقاصد السور: ٤٦/٣.
(٤) الدر المنثور: ٦٨٩/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٥) الدر المنثور: ٦٨٩/٧، وعزاه إلى النحاس.
(٦) الدر المنثور: ٦٨٩/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٧) حكاه ابن الجوزي في زاد المسير: ٢٠٥/٤. بدون سند.
(٨) حكاه ابن الجوزي في زاد المسير: ٢٠٥/٤. بدون سند.
(٩) حكاه عنه القرطبي في "التفسير": ١٥١/١٧.
(١٠) حكاه عنه القرطبي في "التفسير": ١٥١/١٧.
(١١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١٩٣/٤.
(١٢) حكاه ابن الجوزي في زاد المسير: ٢٠٥/٤.
(١٣) التحرير والتنوير: ٢٢٨/٢٧.
(١٤) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل(١٥٣٥):ص٨٣٧/٢.
(١٥) تفسير القرطبي: ١٥١/١٧.

الثاني : أنها مدنية نزلت في صلح القضية عندما أبى سهيل بن عمرو أن يكتب في رسم الصلح «بسم الله الرحمن الرحيم»[1]. وهذا القول منسوب إلى ابن مسعود[2]، وابن عباس[3].

الثالث : أنها مكية إلا آية منها، وهي قوله تعالى: {يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} [الرحمن : ٢٩]، وهذا القول منسوب إلى ابن عباس-أيضا-[4].

قال ابن عطية:" هي مكية فيما قال الجمهور من الصحابة والتابعين. وقال نافع بن أبي نعيم وعطاء وقتادة وكريب وعطاء الخراساني عن ابن عباس: هي مدنية، نزلت عند إباية سهيل بن عمرو وغيره أن يكتب في الصلح بسم الله الرحمن الرحيم، والأول أصح، وإنما نزلت حين قالت قريش بمكة: وما الرحمن؟ أنسجد لما تأمرنا؟ وفي السيرة أن ابن مسعود جهر بقراءتها في المسجد حتى قامت إليه أندية قريش فضربوه، وذلك قبل الهجرة"[5].

قال هبة الله:" هي من السبع عشرة سورة المختلف فيها فقالت طائفة نزلت بمكة وقالت طائفة نزلت بالمدينة، وهي إلى تنزيل مكة أشبه لقول النبي -صلى الله عليه وسلم-:«لقد كانت الجن أحسن ردا منكم على ربهم تعالى حين قالوا: ولا بنعمة من نعمك ربنا نكذب»[6]. وحديث عبد الله بن مسعود: «أنه قرأها في الحجر..». فهذا دليل على نزولها بمكة"[7].

قال الفيروزآبادي:" السورة مكية بالاتفاق"[8].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة بإجماعهم"[9].

قال ابن عاشور:" هي مكية في قول جمهور الصحابة والتابعين"[10].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها من وجوه:

١- إن فيها تفصيل أحوال المجرمين والمتقين التي أشير إليها في السورة السابقة إجمالا في قوله: {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ} [القمر : ٤٧]، وقوله: « {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ} [القمر : ٥٤].

٢- إنه عدد في السورة السابقة ما نزل بالأمم التي قد خلت من ضروب النقم وبين عقب كل ضرب منها أن القرآن قد يسر لتذكر الناس وإيقاظهم، ثم نعى عليهم إعراضهم- وهنا عدد ما أفاض الله على عباده من ضروب النعم الدينية والدنيوية في الأنفس والآفاق، وأنكر عليهم إثر كل فن منها إخلالهم بموجب شكرها.

---

(١)الحديث ف الإمام أحمد في «زوائده على فضائل الصحابة»(٥٥٨):ص ١/ ٣٧٣ ، وابن أبي شيبة(٣٦٨٣٩):ص٣٨١/٧، والبزاز(١٤٨):ص٢٥٣/١، والطبراني في «الكبير»(٨٢):ص ٧٢/١، والبيهقي في «المدخل إلى السُّنن الكبرى» (٢١٧):ص ١٩٢، والقطيعي في «جزء الألف دينار» (٣٠٣):ص٤٥٠، واللالكائي في «أصول الاعتقاد» (٢٠٨):ص١٢٥/١، ومحمد بن عبدالسلام الخشني، كما في «إعلام الموقعين» لابن القيم: (٢/ ١٠٣) من طريق يونس العُمَيري، به.

(٢) حكاه ابن الجوزي في زاد المسير: ٢٠٥/٤. بدون سند.

(٣) الدر المنثور: ٦٨٩/٧، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردوية والبيهقي في الدلائل، وحكاه ابن الجوزي في زاد المسير: ٢٠٥/٤. بدون سند.

(٤) حكاه ابن الجوزي في زاد المسير: ٢٠٥/٤. بدون سند.

(٥) المحرر الوجيز: ٢٢٣/٥.

(٦) سوف يأتي تخريجه في فضائل السورة.

(٧) الناسخ والمنسوخ: ١٧١.

(٨)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٤٧/١.

(٩) زاد المسير: ١٩٦/٤.

(١٠) التحرير والتنوير: ٢٢٨/٢٧.

٣- إن قوله: {الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢)} [الرحمن : ١ - ٢]، كأنه جواب سائل يقول: ماذا صنع المليك المقتدر، وما أفاد برحمته أهل الأرض؟[١].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

تناولت سورة الرحمن عدّة موضوعات، وكانت لها مقاصد مُتعدّدة، منها ما يأتي:

١- دلّت سورة الرحمن من اسمها على مقصودها؛ فالرحمن هو الذي تعمّ رحمته، ويعمّ امتنانه على الخلائق، ممّا يجعلهم يطمعون في نعمائه، ويخافون من انتقامه، وانقطاع إحسانه.
٢- بيّنت سورة الرحمن من خلال عدّها لنِعَم الله -تعالى- أعظم نِعمة مَنّ الله بها على البشر؛ وهي نعمة تعلُّم الدِّين، وفي مُقدّمتها تنزيل القرآن الكريم، وتعليمه، ثمّ ذكرت خَلْق الإنسان، وتميُّزه بالعقل تِبعاً لذلك.
٣- دمجت سورة الرحمن بين تعداد نِعم الله -تعالى- على الناس، وقدرته -سبحانه وتعالى-، وإتقان صُنعه، وتناولت خَلْق الجنّ، وإثبات الجزاء لهم.
٤- نوّهت سورة الرحمن إلى موضوع العدل؛ وذلك بإعطاء أصحاب الحقوق حقوقهم؛ بما أعدّه الله -سبحانه وتعالى- للمُتّقين من الثواب والنعيم، وبما أعدّه لغير المؤمنين من العقاب، وذكرت مَنّ الله -تعالى- على الإنسان بنعمتَي العقل، والعلم.
٥- وصفت سورة الرحمن الجنّة وَصفاً دقيقاً، وبيّنت أنّ هناك مرتبتَين في الجِنان؛ إحداهما أعلى من الثانية؛ ليتناسب العُلوّ في الجنّة مع حال المؤمن في رفعة إيمانه.
٦- أبرزت سورة الرحمن أنّ الله -تعالى- هو وحده الدائم الباقي ذو الجلال والإكرام، وكلّ ما على الأرض إلى زوالٍ، وفناءٍ.
٧- بيّنت سورة الرحمن أنّ كلّ من في السموات والأرض يتوجّهون إلى الله -تعالى- في طلب ما يحتاجون إليه، والله في كلّ يوم له شؤون كثيرة في خَلْقه.
٨- صوّرت سورة الرحمن موقف الحساب يوم القيامة، وأنّه سيكون بيَد الله -تعالى- وحده؛ فهو الملك والحَكَم الواحد القهّار الذي لا يستطيع أحد أن يهرب من عقابه؛ لأنّه لا سُلطان إلّا إليه في ذلك الموقف العظيم، قال -تعالى-: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ} [الرحمن ٣٣].
٩- وَعَظَت سورة الرحمن الناس؛ بتذكيرهم بفنائهم، وأنّهم مُحاسَبون، وسيُجزَون على أعمالهم، ثمّ خُتِمت السورة بالثناء على الله -تعالى-، وتعظيمه، وذلك بقوله -تعالى-: {تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن : ٧٨][٢].

قال البقاعي:" اشتملت هذه السورة على جميع نعم الدنيا والآخرة، من ذكر الخلق والرزق، بالأقوات والفواكه، والحلى وغيرها، والفهم والعلم، والجنة وتفصيل ما فيها، والنار وأهوالها، فإنها نعمة من حيث إنها - بالخوف منها - سبب لنيل الجنة وما فيها، ومن حيث إنها سارة لمن ينجو منها بالنجاة منها، وبأن من عاداه الله عذب بها، وسجن فيها. وعلى ذلك كله، دل افتتاحها بـ {الرَّحْمَنُ (١)} [الرحمن : ١] "[٣].

- **الناسخ والمنسوخ:**

قال هبة الله:" وليس فيها ناسخ ولا منسوخ"[٤].

---

(١) انظر: تفسير المراغي: ١٠٤/٢٧.
(٢) انظر: مقاصد سورة الرحمن، إسلام ويب[موقع الكتروني].
(٣) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: ٤٦/٣.
(٤) الناسخ والمنسوخ: ١٧١.

قال ابن حزم:" «سورة الرحمن»: مكية، وجميعها محكم ليس فيه ناسخ ولا منسوخ"[١].
قال الفيروزآبادي:" السورة محكمة خالية عن الناسخ والمنسوخ"[٢].

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن علي رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " لكل شيء عروس، وعروس القرآن الرحمن"[٣].
- عن جابر قال: "خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه، فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها، فسكتوا، فقال: «لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا منكم، كنت كلما أتيت على قوله: {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}، قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد»"[٤].
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ سورة الرّحمن رحم الله ضعفه، وأدّى شكر ما أنعم الله عليه»[٥].[ضعيف]

---

(١) الناسخ والمنسوخ: ٥٨.
(٢)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٤٨/١.
(٣) شعب الإيمان(٢٢٦٥):ص١١٦/٤، فيه أحمد بن الحسن، عده الذهبي في الضعفاء والمتروكين، قال الدارقطني: "ليس بثقة".
(٤) سنن الترمذي(٣٢٩١):ص٢٥٢/٥، وقال: "هذا حديث غريب". وأخرجه الحاكم في المستدرك(٣٧٦٦). [حكم الألباني] : حسن.
(٥) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٧٦/٩، وذكره المستغفري في "فضائل القرآن"(١٢٢٢):ص٧٨٥/٢، والزمخشري في "الكشاف":٤٥٤/٤، والبيضاوي في "التفسير": ١٧٦/٥، وانظر: تفسير: مجمع البيان: ٩/ ٣٢٦. [وقد مرّ أنه حديث موضوع غير ثابت].
قال الفيروزآبادي:" فيه أحاديث منكرة، منها:
- حديث أبيّ: «لكل شيء عروس، وعروس القرآن سورة الرحمن جل ذكره».
- وقال: «من قرأ سورة الرحمن رحم الله ضعفه، وأدى شكر ما أنعم الله عليه».
- وقال: «يا على، من قرأها فكأنما أعتق بكل آية في القرآن رقبة، وله بكل آية قرأها مثل ثواب امرأة تموت في نفاسها».
[بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٤٩/١]

سورة «الواقعة»

«سورة الواقعة»: هي السورة السادسة والخمسون بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة السادسة والأربعون في ترتيب نزول السور، نزلت بعد «سورة طه»، وقبل «سورة الشعراء». آياتها تسع وتسعون في عد الحجاز والشام، وسبع في البصرة، وست في الكوفة. وكلماتها ثلاثمائة وثمان وسبعون. وحروفها ألف وسبعمائة وثلاث. المختلف فيها أربع عشرة آية: {فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ} [الواقعة : ٨]، {وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ} [الواقعة : ٩]، {وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ} [الواقعة : ٤١]، {وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ} [الواقعة : ٢٧]، {إِنْشَاءً} [الواقعة : ٣٥]، {فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ} [الواقعة : ٤٢]، {وَكَانُوا يَقُولُون} [الواقعة : ٤٧]، {وَأَبَارِيقَ } [الواقعة : ١٨]، {مَوْضُونَةٍ} [الواقعة : ١٥]، {وَحُورٌ عِينٌ} [الواقعة : ٢٢]، {تَأْثِيمًا} [الواقعة : ٢٥]، {وَالْآخِرِينَ} [الواقعة : ٤٩]، {لَمَجْمُوعُونَ } [الواقعة : ٥٠]، {فَرَوْحٌ وَرَيْحَان} [الواقعة : ٨٩]. مجموع فواصل آياتها: «لا بد منه»، على الباء منها آية واحدة: {وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ} [الواقعة : ٣١][١].

- **أسماء السورة:**
- **اسمها التوقيفي: «سورة الواقعة»:**

سميت هذه السورة «الواقعة» بتسمية النبي صلى الله عليه وسلم؛ روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: قال أبو بكر: يا رسول الله قد شبت، قال: شيبتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، و {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ}"[٢].

وكذلك سميت في عصر الصحابة رضي الله عنهم، روى الإمام أحمد عن جابر بن سمرة رضي الله عنه، قال: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الصلوات كنحو من صلاتكم التي تصلون اليوم، ولكنه كان يخفف، كانت صلاته أخف من صلاتكم، وكان يقرأ في الفجر الواقعة ونحوها من السور"[٣].

سميت بسورة الواقعة، لافتتاحها بلفظ: «الواقعة»، وهي القيامة، قال تعالى: {إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١)} [الواقعة : ١].

قال المهايمي:" سميت بها، لأنها مملوءة بوقائع القيامة التي هي الواقعة العظمى لوقوعها في أشد الأهوال"[٤].

وهكذا سميت في المصاحف، وكتب السنة، فلا يُعرف لها اسم غير هذا.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة، ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها مكية كلها. قالته، وابن عباس[٥]، وابن الزبير[٦]، والحسن[٧]، وعطاء[٨]، وعكرمة[٩]، وقتادة[١٠]، وجابر[١١]، ومقاتل[١]، وحكاه ابن الجوزي عن الأكثرين[٢].

---

(١) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤٥٠.
(٢) سنن الترمذي(٣٢٩٧):ص٥/٢٥٥. وقال"هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه".
[حكم الألباني] : صحيح
(٣) المسند(٢٠٩٩٥):ص٣٤/٥٠٤، و"مصنف عبد الرزاق" (٢٧٢٠) ، ومن طريقه أخرجه الطبراني (١٩١٤) و (١٩٢٩)، وأخرجه ابن خزيمة (٥٣١) ، وعنه ابن حبان (١٨١٣).
(٤) تفسير المهايمي: ٢/٣١٥.
(٥) الدر المنثور: ٨/٣، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.
(٦) الدر المنثور: ٨/٣، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٧) انظر: زاد المسير: ٤/٢١٨. حكاه بدون إسناد.
(٨) انظر: زاد المسير: ٤/٢١٨. حكاه بدون إسناد.
(٩) انظر: زاد المسير: ٤/٢١٨. حكاه بدون إسناد.
(١٠) انظر: زاد المسير: ٤/٢١٨. حكاه بدون إسناد.
(١١) انظر: زاد المسير: ٤/٢١٨. حكاه بدون إسناد.

الثاني : أنها مكية إلا آية، نزلت في مدنيّة، وهي قوله: {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ} [الواقعة : ٨٢]. حكي ذلك عن ابن عبس[٣].

الثالث: أنها مدنيّة، رواه عطيّة عن ابن عباس[٤].

قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع ممن يعتد بقوله من المفسرين. وقيل إن فيها آيات مدنية، أو مما نزل في السفر، وهذا كله غير ثابت"[٥].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها من وجوه:

١- أن في كل منهما وصف القيامة والجنة والنار.
٢- أنه ذكر في السورة السابقة عذاب المجرمين ونعيم المتقين، وفاضل بين جنتي بعض المؤمنين وجنتي بعض آخر منهم، وبين هنا انقسام المكلفين إذ ذاك إلى أصحاب ميمنة وأصحاب مشأمة وسابقين.
٣- أنه ذكر في سورة الرحمن انشقاق السماء، وذكر هنا رج الأرض، فكأن السورتين لتلازمهما واتحادهما موضوعا سورة واحدة مع عكس في الترتيب، فقد ذكر في أول هذه ما في آخر تلك، وفى آخر هذه ما في أول تلك[٦].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

يدور موضوع «سورة الواقعة» حول تقسيم الناس يوم القيامة؛ لمجازاة العباد الموضوعين في الحياة الدنيا موضع الامتحان، إلى ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: المؤمنون المسلمون أصحاب اليمين، وهم أهل الجنة بوجه عام، على درجاتهم المنخفضة والمتوسطة.

الصف الثاني: الكافرون المجرمون أصحاب الشمال، وهم أهل النار بوجه عام، على دركاتهم الأولى فالمتوسطة.

الصنف الثالث: السابقون المقربون من المحسنين والأبرار، وهم أصحاب الدرجات العليا في جنات النعيم.

ويُفهم من التقابل والتناظر «صنف رابع» وهم الموغلون في الكفر، وارتكاب الجرائم الكبرى، ونشر شررهم في الأرض، ودعوتهم إلى الكفر، وهم أصحاب الدركات السفلى من النار، ومنهم المنافقون، الذي هم في الدرك الأسفل من النار.

قال ابن عطية:" فيها ذكر القيامة، وحظوظ النفس في الآخرة، وفهم ذلك غنى لا فقر معه، ومن فهمه شغل بالاستعداد"[٧].

وعلى الجملة، تتجلى مقاصد هذه السورة من خلال الأمور التالي:

١- التذكير بيوم القيامة وتحقيق وقوعه.
٢- تقديم بيانات إقناعية، وأدلة برهانية للمكذبين بالبعث وبيوم الدين على صدق الأخبار القرآنية المتعلقة بيوم الدين، وأنها حق يقين.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢١٣/٤.
(٢) انظر: زاد المسير: ٢١٨/٤.
(٣) انظر: زاد المسير: ٢١٨/٤.
(٤) انظر: زاد المسير: ٢١٨/٤.
(٥) المحرر الوجيز: ٢٣٨/٥.
(٦) انظر: تفسير المراغي: ١٣٠/٢٧.
(٧) المحرر الوجيز: ٢٣٨/٥.

٣- توجيه العقول المستقيمة لاستبصار المكانة الرفيعة التي يتحلى بها القرآن، المشتمل على أخبار يوم الدين، وما فيه من الجزاء والحساب.
٤- الترغيب والترهيب بما في يوم الدين من ثواب وعقاب.
٥- وصف ما يعرض في هذا العالم الأرضي عند ساعة القيامة.
٦- بيان صفة أهل الجنة وبعض نعيمهم.
٧- بيان صفة أهل النار وما هم فيه من العذاب، وأن ذلك لتكذيبهم بالبعث.
٨- إثبات الحشر والجزاء، والاستدلال على إمكان الخلق الثاني بما أبدعه الله من الموجودات بعد أن لم تكن.
٩- تتحدث السورة عن بعض آلاء الله ونعمه، وآثار قدرته فيما خلق وأبدع في الزرع والماء والنار، وأن ذلك يستوجب تسبيح الله وتقديسه على نعمه الغامرة، وشكره على آياته الظاهرة الباهرة، وتوضح أن من خلق هذا وأوجده قادر على البعث، وإعادة الناس إلى الحياة مرة ثانية للحساب والجزاء؛ لأن الإعادة أسهل من البداءة عادة.
١٠- تذكر السورة أن الله سبحانه قضى بين الناس بالموت، وجعل لموتهم وقتاً معيناً، وهو جلّ وعلا ليس بعاجز على أن يبدل صورهم بغيرها، وينشئهم خلقاً آخر في صور أخرى لا يعرفونها.
١١- الاستدلال بنزع الله الأرواح من الأجساد والناس كارهون، لا يستطيع أحد منعها من الخروج، على أن الذي قدر على نزعها دون مدافع قادر على إرجاعها متى أراد.
١٢- في السورة قَسَمٌ على مكانة القرآن وعلو شأنه، وتقريع للكافرين على قبح صنعهم، وعجيب شأنهم؛ حيث وضعوا التكذيب موضع الشكر، وقابلوا النعمة بالجحود والكفر.
١٣- أكدت السورة أن القرآن منزل من عند الله، وأنه نعمة أنعم الله بها عليهم، فلم يشكروها وكذبوا بما فيه.
١٤- في آخر السورة إجمال ما فصلته أولاً عن أحوال الأصناف الثلاثة، وما ينتظر كل صنف من ثواب أو عقاب.
١٥- تُختم السورة بأمر كل مُتَلَقٍ لديه الاستعداد لأن يومن ويُسلم؛ لما في قلبه من خير، بأن يسبح باسم ربه العظيم، المهيمن عليه دوماً بصفات ربوبيته"[(١)].

- **الناسخ والمنسوخ:**

قال هبة الله:" قد أجمع المفسرون كلهم على أن لا ناسخ فيها ولا منسوخ إلا مقاتل بن سليمان فانه يقال فيها من المنسوخ آية واحدة وهو قوله تعالى: {ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (١٤)} [الواقعة : ١٣ - ١٤]، نسخها قوله تعالى: {ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ (٤٠)} [الواقعة : ٣٩ - ٤٠]"[(٢)].

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: قال أبو بكر: يا رسول الله قد شبت، قال: شيبتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، و{إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ}"[(٣)].

---

(١) انظر: مقاصد صورة "الواقعة"، مقال منشور في موقع إسلام ويب.
(٢) الناسخ والمنسوخ: ١٧٢.
(٣) سنن الترمذي(٣٢٩٧):ص٢٥٥/٥. وقال"هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه".
[حكم الألباني] : صحيح

- عن ابن عباس قال: "ألظ رسول الله صلى الله عليه وسلم الواقعة والحاقة وعم يتساءلون والنازعات وإذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت فاستطار فيه الفقر فقال له أبو بكر: قد أسرع فيك الفقر قال: شيبتني هود وصواحباتها هذه"(١).
- عن عبد الله بن مسعود، قال: " إني قد أمرت بناتي أن يقرأن سورة كل ليلة، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة»(٢).
- عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "سورة الواقعة سورة الغنى فاقرأوها وعلموها أولادكم"(٣).
- عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: علموا نساءكم سورة الواقعة فإنها سورة الغنى"(٤).
- عن سليمان التيمي قال: "قالت عائشة للنساء: لا تعجز إحداكن أن تقرأ سورة الواقعة"(٥).
- عن مسروق قال: "من أراد أن يتعلم نبأ الأولين والآخرين، ونبأ أهل الجنة ونبأ أهل النار، ونبأ الدنيا ونبأ الآخرة، فليقرأ سورة الواقعة"(٦).

---

(١) الدر المنثور: ٤/٨، وعزاه إلى ابن عساكر.

(٢)أخرجه أبو عبيد في فضائله بسنده إلى ابن مسعود ص ١٨٩، وابن السني في عمل اليوم والليلة باب ما يستحب أن يقرأ في اليوم والليلة: ص ٢٥٢. ونسبه السيوطي إلى أبي عبيد وابن الضريس والحارث بن أسامة وأبي يعلى وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان كلهم عن ابن مسعود يرفعه. الدر المنثور ٨/ ٣، وانظر روح المعاني للآلوسي ٢٧/ ١٢٨ والإتقان ٤/ ١٤٢، وقد ذكر ابن كثير ٤/ ٢٨١ والعجلوني في كشف الخفاء ١/ ٤٥٨ هذا الحديث ولم يتعرضا له بتصحيح أو تضعيف. وفي سنده شجاع عن أبي ظبية عن ابن مسعود. قال الذهبي: قال أحمد بن حنبل: لا أعرفهما. ثم قال الذهبي: وهو صاحب حديث (من قرأ الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة). الميزان ٢/ ٢٦٥.
وقال الشوكاني في إسناده كذاب اه الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ص ٣١١.

(٣) الدر المنثور: ٣/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤) الدر المنثور: ٣/٨، وعزاه إلى الديلمي.

(٥) الدر المنثور: ٣/٨، وعزاه إلى أبي عبيد.

(٦) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٩٩/٩.

–

سورة «الحديد»

«سورة الحديد»: هي السورة السابعة والخمسون بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة الخامسة والتسعون وَفْق ترتيب نزول سور القرآن الكريم، جرياً على قول الجمهور: إنها مدنية، قالوا: نزلت بعد سورة الزلزلة، وقبل سورة القتال «محمد». آياتها تسع وعشرون في عد الكوفة والبصرة، وثمان في عد الباقين. وكلماتها خمسمائة وأربع وأربعون. وحروفها ألفان وأربعمائة وست وسبعون. المختلف فيها آيتان: {مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ} [الحديد : ١٣]، و{الْإِنْجِيلَ } [الحديد : ٢٧] مجموع فواصل آياتها: «من بز رد»، على «الزاء» {إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحديد : ٢٥]، وعلى «الدال»: {هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} [الحديد : ٢٤][1].

- **أسماء السورة:**
- **اسمها التوقيفي: «سورة الحديد»:**

هذه السورة تسمى من عهد الصحابة «سورة الحديد» فقد وقع في حديث إسلام عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- :أن عمر دخل على أخته قبل أن يُسْلِم، فإذا صحيفة فيها أول سورة الحديد، فقرأه حتى بلغ: {آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ} [الحديد : ٧]، فأسلم[2]، وكذلك سميت في المصاحف وفي كتب السُّنَّة.

---

(١) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤٥٣.

(٢) انظر: فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل(٣٧٦):ص١/٢٨٥، ومسند البزاز(٢٧٩):ص١/٤٠٠.

ونص الحديث:

عن أسامة بن زيد، عن أبيه، عن جده قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " أتحبون أن أعلمكم، أول إسلامي؟ قال: قلنا: نعم، قال: كنت أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا أنا في يوم شديد الحر في بعض طرق مكة إذ رآني رجل من قريش فقال: أين تذهب يا ابن الخطاب؟ قلت: أريد هذا الرجل، فقال: يا ابن الخطاب قد دخل عليك هذا الأمر في منزلك وأنت تقول هكذا، فقلت: وما ذاك؟ فقال: إن أختك قد ذهبت إليه، قال: فرجعت مغتضبا حتى قرعت عليها الباب، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أسلم [ص:٤٠١] بعض من لا شيء له ضم الرجل والرجلين إلى الرجل ينفق عليه قال: وكان ضم رجلين من أصحابه إلى زوج أختي، قال: فقرعت الباب، فقيل لي: من هذا؟ قلت: أنا عمر بن الخطاب، وقد كانوا يقرءون كتابا في أيديهم، فلما سمعوا صوتي قاموا حتى اختبئوا في مكان وتركوا الكتاب، فلما فتحت لي أختي الباب قلت: أيا عدوة نفسها أصبوت؟ قال: وأرفع شيئا فأضرب به على رأسها، فبكت المرأة وقالت لي: يا ابن الخطاب، اصنع ما كنت صانعا فقد أسلمت، فذهبت فجلست على السرير فإذا بصحيفة وسط الباب، فقلت: ما هذه الصحيفة ها هنا؟ فقالت لي: دعنا عنك يا ابن الخطاب فإنك لا تغتسل من الجنابة، ولا تتطهر، وهذا لا يمسه إلا المطهرون، فما زلت بها حتى أعطتنيها فإذا فيها: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [الفاتحة : ١]، فلما قرأت: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [الفاتحة : ٣]- تذكرت من أين اشتق، ثم رجعت إلى نفسي فقرأت في الصحيفة: {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الحديد : ١]، فكلما مررت باسم من أسماء الله ذكرت الله، فألقيت الصحيفة من يدي، قال: ثم أرجع إلى نفسي فأقرأ فيها : {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الحديد : ١]، حتى بلغ: {آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ} [الحديد: ٧]، قال: قلت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، فخرج القوم مبادرين فكبروا استبشارا بذلك، ثم قالوا لي: أبشر يا ابن الخطاب فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا يوم الاثنين فقال: " اللهم أعز الدين بأحب هذين الرجلين إليك، إما عمر بن [ص:٤٠٢] الخطاب وإما أبو جهل بن هشام، وأنا أرجو أن تكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لك، فقلت: دلوني على رسول الله صلى الله عليه وسلم أين هو؟ فلما عرفوا الصدق مني دلوني عليه في المنزل الذي هو فيه، فجئت حتى قرعت الباب فقال: من هذا؟ فقلت: عمر بن الخطاب - وقد علموا شدتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعلموا بإسلامي - فما اجترأ أحد منهم أن يفتح لي حتى قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «افتحوا له فإن يرد الله به خيرا يهده» قال: ففتح لي الباب، فأخذ رجلان بعضدي حتى دنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرسلوه» فأرسلوني، فجلست بين يديه فأخذ بمجامع قميصي ثم قال: «أسلم يا ابن الخطاب، اللهم اهده» فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، قال: فكبر المسلمون تكبيرة سمعت في طرق مكة، قال: وقد كانوا سبعين قبل ذلك وكان الرجل إذا أسلم فعلم به الناس يضربونه ويضربهم، قال: فجئت إلى رجل فقرعت عليه الباب فقال: من هذا؟ قلت: عمر بن الخطاب، فخرج إلي فقلت له: أعلمت أني قد صبوت؟ قال: أو فعلت؟ قلت: نعم، فقال: لا تفعل، قال: ودخل البيت فأجاف الباب دوني، قال: فذهبت إلى رجل آخر من قريش فناديته فخرج فقلت له: أعلمت أني قد صبوت، فقال: أو فعلت؟ قلت: نعم، قال: لا تفعل

وسميت بسورة «الحديد» لوقوع لفظ «الحديد» فيها في قوله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ} [الحديد : ٢٥].

قال ابن عاشور: "وهذا اللفظ وإن ذكر في سورة الكهف في قوله تعالى: {آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ} [الكهف : ٩٦]، وهي سابقة في النزول على سورة الحديد على المختار، فلم تسمَ به؛ لأنها سميت باسم الكهف؛ للاعتناء بقصة أهل الكهف؛ ولأن الحديد الذي ذُكِرَ هنا مراد به حديد السلاح من سيوف ودروع وخوذ، تنويهاً به، إذ هو أثر من آثار حكمة الله في خلق مادته، وإلهام الناس صنعه؛ لتحصل به منافع لتأييد الدين ودفع المعتدين، كما قال تعالى: {فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ} [الحديد : ٢٥]"[١].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدها: أنها مدنية. قاله ابن عباس[٢]، وابن الزبير[٣]، والحسن[٤]، ومجاهد[٥]، وعكرمة[٦]، وجابر بن زيد[٧]، وقتادة[٨]، ومقاتل[٩].

الثاني : أنها مكية. قاله ابن السّائب الكلبي[١٠].

وفي كون هذه السورة مدنية أو مكية اختلاف قوي لم يختلف مثله في غيرها، فقال الجمهور: مدنية[١١]. وحكى ابن عطية عن النقاش: "أن ذلك إجماع المفسرين"[١٢].

وقد قيل: إن صدرها مكي، لما روي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: " ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ} [الحديد : ١٦] إلا أربع سنين"[١٣].

وعبد الله بن مسعود من أول الناس إسلاما، فتكون هذه الآية مكية[١٤].

ودخل البيت وأجاف الباب دوني، فقلت: ما هذا بشيء، قال: فإذا أنا لا أضرب ولا يقال لي شيء، فقال الرجل أتحب أن يعلم إسلامك؟ قال: قلت: نعم، قال: إذا جلس الناس في الحجر فأت فلانا فقل له فيما بينك وبينه: أشعرت أني قد صبوت فإنه قل ما يكتم الشيء، فجئت إليه وقد اجتمع الناس في الحجر فقلت له فيما بيني وبينه: أشعرت أني قد صبوت؟ قال: فقال: أفعلت؟ قال: قلت: نعم، قال: فنادى بأعلى صوته: ألا إن عمر قد صبا، قال: فثار إلي أولئك الناس فما زالوا يضربوني وأضربهم حتى أتى خالي فقيل له: إن عمر قد صبا، فقام على الحجر فنادى بأعلى صوته: ألا إني قد أجرت ابن أختي فلا يمسه أحد، قال: فانكشفوا عني فكنت لا أشاء أن أرى أحدا من المسلمين يضرب إلا رأيته فقلت: ما هذا بشيء، إن الناس يضربون وأنا لا أضرب، ولا يقال لي شيء فلما جلس الناس في الحجر جئت إلى خالي فقلت: اسمع، جوارك عليك رد، قال: لا تفعل، قال: فأبيت فما زلت أضرب وأضرب حتى أظهر الله الإسلام".

(١) التحرير والتنوير: ٣٥٣/٢٧.

(٢) انظر: الدر المنثور: ٤٥/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي، وزاد المسير: ٢٣٢/٤. حكاه بدون إسناد.

(٣) انظر: الدر المنثور: ٤٥/٨، وعزاه إلى ابن مردويه والبيهقي.

(٤) انظر: زاد المسير: ٢٣٢/٤. حكاه بدون إسناد.

(٥) انظر: زاد المسير: ٢٣٢/٤. حكاه بدون إسناد.

(٦) انظر: زاد المسير: ٢٣٢/٤. حكاه بدون إسناد.

(٧) انظر: زاد المسير: ٢٣٢/٤. حكاه بدون إسناد.

(٨) انظر: زاد المسير: ٢٣٢/٤. حكاه بدون إسناد.

(٩) انظر: زاد المسير: ٢٣٢/٤.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ٤٦٨/٥، وزاد المسير: ٢٣٢/٤.

(١١) انظر: التحرير والتنوير: ٣٥٤/٢٧. وحكاه عن الجمهور.

(١٢) المحرر الوجيز: ٢٥٦/٥.

(١٣) صحيح مسلم(٣٠٢٧):ص٢٣١٩/٤، والسنن الكبرى للنسائي(١١٥٠٤):ص٢٨٩/١٠.

(١٤) انظر: التحرير والتنوير: ٣٥٤/٢٧.

وهذا يعارضه ما رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال: "إن الله استبطأ قلوب المهاجرين فعاتبهم على رأس ثلاثا عشرة سنة من نزول القرآن فقال: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا} الآية"(١).

ورواية مسلم وغيره عن ابن مسعود أصح سندا، وكلام ابن مسعود يرجح على ما روي عن أنس وابن عباس، لأنه أقدم إسلاما وأعلم بنزول القرآن، وقد علمت آنفا أن صدر هذه السورة كان مقروءا قبل إسلام عمر بن الخطاب(٢).

قال ابن عطية : "ولا خلاف أن فيها قرآنا مدنيا، لكن يشبه صدرها أن يكون مكيا والله أعلم "(٣).

عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نزلت سورة الحديد يوم الثلاثاء، وخلق الله الحديد يوم الثلاثاء، وقتل ابن آدم أخاه يوم الثلاثاء» ، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحجامة يوم الثلاثاء"(٤).

وأخرج الديلمي عن جابر مرفوعا: "لا تحتجموا يوم الثلاثاء، فإن سورة الحديد أنزلت علي يوم الثلاثاء"(٥).

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها من وجوه:

١- إن هذه بدئت بالتسبيح، وتلك ختمت به.
٢- إن أول هذه واقع موقع العلة لآخر ما قبلها من الأمر بالتسبيح فكأنه قيل: «سبح باسم ربك العظيم»، لأنه سبح له ما في السموات والأرض(٦).

- **أغراض السورة ومقاصدها**

من خلال التأمل في آيات هذه السورة الكريمة تتجلى لنا مقاصدها الرئيسة وفق التالي:

١- تحدثت السورة في أولها عن أن الله تعالى تَدِين له المخلوقات جميعاً، وتسبح بحمده، وتنطق بلسان الحال أو بلسان المقال بعظمته وجلاله.
٢- ذكرت السورة بعضاً من أسمائه تعالى، التي تدل على تفرده وتوحده، فهو الأول بلا ابتداء، والآخر بلا انتهاء، وأنه الظاهر بقدرته وآثاره، الباطن الذي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، وأنه له ملك السماوات والأرض خَلْقاً وإبداعاً، وأنه العليم بكل ما يلج في الأرض، وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يَعْرُج فيها، وأن الأمور كلها راجعة إليه وحده سبحانه.

---

(١) الدر المنثور: ٥٨/٨.
(٢) انظر: التحرير والتنوير: ٣٥٤/٢٧.
(٣) المحرر الوجيز: ٢٥٦/٥.
(٤) المعجم الكبير للطبراني (١٤١٠٦):ص٣١٤/١٣، ونقله ابن كثير في "جامع المسانيد"(١١٢٤/مسند ابن عمر) والسيوطي في "اللآلئ المصنوعة" (٤١٢/٢)، وذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٩٣/٥) و (١٢٠/٧) ، وقال: «رواه الطبراني، وفيه مسلمة بن علي الخشني؛ وهو ضعيف». ورواه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٣٩٠/٢٦).
وانظر: الدر المنثور: ٤٥/٨، وزاد نسبته إلى ابن مردويه بسند ضعيف.
وفي سنن ابي داود(٣٨٦٢):ص٥/٤ عن كبشة بنت أبي بكرة، وقال: غير موسى كيسة بنت أبي بكرة:" أن أباها، كان ينهى أهله عن الحجامة، يوم الثلاثاء، ويزعم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أن يوم الثلاثاء يوم الدم، وفيه ساعة لا يرقأ»". [حكم الألباني] : ضعيف.
وأخرج الطبراني في المعجم الكبير(٤٩٩):ص٢١٥/٢٠: عن معقل بن يسار، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحجامة يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر دواء لداء سنة».
(٥) الدر المنثور: ٤٥/٨.
(٦) انظر: تفسير المراغي: ١٣٠/٢٧.

٣- التذكير بجلال الله تعالى، وصفاته العظيمة، وسعة قدرته وملكوته، وعموم تصرفه، ووجوب وجوده، وسعة علمه، والأمر بالإيمان بوجوده، وبما جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم، وما أنزل عليه من الآيات البينات.
٤- التنبيه لما في القرآن من الهدي وسبيل النجاة، والتذكير برحمة الله ورأفته بخلقه.
٥- التحريض على الإنفاق في سبيل الله، وأن المال عَرَضٌ زائل، لا يبقى منه لصاحبه إلا ثواب ما أنفق منه في مرضاة الله.
٦- تعرضت السورة لذكر فريقين: فريق الجنة، وفريق السعير؛ فأما الفريق الأول: وهو فريق المؤمنين والمؤمنات، يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم، ليهديهم الصراط، فيدخلون الجنة. وأما الفريق الثاني: وهو فريق المنافقين والمنافقات، فإنه لا نور لهم، ويحال بينهم وبين نور المؤمنين، فلا يستطيعون اللحاق بهم، ويُسخر منهم، فيقال لهم: {ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا} [الحديد : ١٣]، فلا يستطيعون الرجوع إلى الدنيا ليعملوا بعمل المؤمنين حتى يلحقوا بهم.
٧- تحذير المسلمين من الوقوع في مهواة قساوة القلوب، التي وقع فيها أهل الكتاب من قبلهم من إهمال ما جاءهم من الهدى حتى قست قلوبهم، وجر ذلك إلى الفسوق كثيراً منهم.
٨- مثلت السورة الكريمة الدنيا وما فيها من متاع زائل ولهو ولعب وتفاخر وتكاثر في الأموال والأولاد، مثلتها بالزرع الذي سقاه المطر الوابل، حتى نَضَرَ، وأينع، وأُعْجِبَ به الزراع، ثم يصيبه الذبول والضمور، حتى يصير هشيماً تذروه الرياح، وكذلك أمر الدنيا، تتزين وتأخذ زخرفها، حتى يظن أهلها أنهم قادرون عليها فيأتيها، أمر الله ليلاً أو نهاراً بالفناء، فتصير كالزرع المحصود الذي لم يكن موجوداً بالأمس.
٩- الإيماء إلى فضل الجهاد في سبيل الله.
١٠- تشابه رسالة محمد صلى الله عليه وسلم برسالة نوح وإبراهيم عليهما السلام على أن في ذريتهما مهتدين وفاسقين. وأن الله أتبعهما برسل آخرين، منهم عيسى عليه السلام، الذي كان آخر رسول أُرسل بشرع قبل الإسلام، وأن أتباعه كانوا على سُنَّة من سبقهم، منهم مؤمن ومنهم كافر .
١١- حثُّ المسلمين على أن يخلصوا الإيمان لله سبحانه، وأن يتبعوا ما جاءهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم، تعريضاً بالمنافقين، ووعدهم بحُسن العاقبة، وأن الله فضلهم على الأمم؛ لأن الفضل بيده يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم [١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

قال الفيروزآبادي:" السورة محكمة: ليس فيها ناسخ ولا منسوخ"[٢].

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن ابن عباس:" إن اسم الله الأعظم هو في ست آيات من أول سورة الحديد"[٣].
- قال سهل بن عبدالله:" اسم الله الأعظم مكنى عنه في ست آيات من أول سورة الحديد، من قوله: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ} [الحديد: ٣]"[٤].
- عن سعيد بن جبير أنه قال: "اسم الله الأعظم في ست آيات من أول سورة الحديد"[٥].

---

(١) انظر: مقاصد صورة "الواقعة"، مقال منشور في موقع إسلام ويب.
(٢)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٥٣/١.
(٣) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز: ٢٥٦/٥، والثعالبي في "الجواهر الحسان في تفسير القرآن": ٣٧٧/٥.
(٤) تفسير التستري: ١٦١.
(٥) حكاه عنه السمعاني في "التفسير": ٣٦٤/٥.

- عن أبي التياح أنه قال: "من أراد أن يعرف كيف وصف الجبار نفسه، فليقرأ ست آيات من أول سورة الحديد"[١].
- عن البراء بن عازب قال: "قلت لعلي رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين أسألك بالله ورسوله إلا خصصتني بأعظم ما خصك به رسول الله صلى الله عليه وسلم واختصه به جبريل وأرسله به الرحمن فقال: إذا أردت أن تدعو الله باسمه الأعظم فاقرأ من أول سورة الحديد إلى آخر ست آيات منها: {عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور} [الحديد : ٦]، وآخر سورة الحشر، يعني أربع آيات، ثم ارفع يديك فقل: يا من هو هكذا أسألك بحق هذه الأسماء أن تصلي على محمد وأن تفعل بي كذا وكذا مما تريد، فوالله الذي لا إله غيره لتنقلبن بحاجتك إن شاء الله"[٢].
- عن عرباض بن سارية: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد، وقال: «إن فيهن آية أفضل من ألف آية»"[٣].
- عن يحيى بن أبي كثير قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ المسبحات وكان يقول: إن فيهن آية هي أفضل من ألف آية قال يحيى: فنراها الآية التي في آخر الحشر"[٤].
- عن أبي الأسود قال: "قال رأس الجالوت: إنما التوراة الحلال والحرام إلا أن في كتابكم جامعا: {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْض} [الحديد : ١]، وفي التوراة: «يسبح لله الطير والسباع»"[٥].

---

(١) حكاه عنه السمعاني في "التفسير": ٣٦٤/٥.
(٢) الدر المنثور: ٤٩/٨، عزاه إلى ابن النجار في تاريخ بغداد بسند ضعيف.
(٣) الدر المنثور: ٤٦/٨. وعزاه إلى أحمد وأبي داود والترمذي، وحسنه النسائي وابن مردويه والبيهقي في "شعب الإيمان".
(٤) الدر المنثور: ٤٦/٨، وعزاه إلى ابن الضريس.
(٥) الدر المنثور: ٤٦/٨، وعزاه إلى أبي الشيخ في "العظمة".

سورة «المجادلة»

«سورة المجادلة»: هي السورة الثامنة والخمسون بحسب ترتيب سور المصحف العثماني، وهي السورة المائة وثلاث وفق تعداد نزول سور القرآن، نزلت بعد «سورة المنافقين»[١]، وقبل «سورة التحريم».

قال ابن عاشور :"والذي يظهر أن سورة المجادلة نزلت قبل «سورة الأحزاب»؛ لأن الله تعالى قال في «سورة الأحزاب»: {وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ} [الأحزاب : ٤]، وذلك يقتضي أن تكون هذه الآية نزلت بعد إبطال حكم الظهار بما في «سورة المجادلة»؛ لأن قوله: {وَمَا جَعَلَ} يقتضي إبطال التحريم بالمظاهرة، وإنما أبطل بآية «سورة المجادلة»"[٢].

وقال السخاوي: "نزلت سورة المجادلة بعد سورة المنافقين، وقبل سورة الحجرات"[٣].

وآياتها اثنتان وعشرون عند الجمهور، وإحدى وعشرون عند المكيين. وكلماتها أربعمائة وثلاث وسبعون. وحروفها ألف وسبعمائة واثنتان وتسعون. المختلف فيها آية واحدة: {فِي الْأَذَلِّينَ} [المجادلة : ٢٠]، مجموع فواصل آياتها «من زرد»، وعلى حرف «الزاء» آية واحدة: {عَزِيزٌ} [المجادلة : ٢١] فحسب[٤].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة المجادلة»:**

سميت هذه السورة في كتب التفسير وفي المصاحف وكتب السنة «سورة المجادلة»، لأنها افتتحت بقضية مجادلة امرأة أوس بن الصامت[٥] لدى النبي صلى الله عليه وسلم في شأن مظاهرة زوجها في قوله تعالى: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١)} [المجادلة : ١].

ولم يذكر المفسرون ولا شارحو كتب السنة ضبط كلمة« المجادلة» بكسر الدال، أو فتحها. وذكر الخفاجي في «حاشية البيضاوي» أن كسر الدال هو المعروف[٦].

قال ابن عاشور :"كسر الدال أظهر؛ لأن السورة اُفتتحت بذكر التي تجادل في زوجها، فحقيقة أن تضاف إلى صاحبة الجدال، وهي التي ذكرها الله بقوله: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا} [المجادلة : ١]"[٧].

- **ثانيا:- أسماؤها الاجتهادية:**
- **الاسم الأول: «سورة قد سمع»:**

أورد هذه التسمية الخفاجي في حاشيته[٨]، والأوسي في تفسيره[٩]، قال ابن عاشور:" إن هذا الاسم هو الاسم المشتهر في الكتاتيب في التونس"[١٠].

---

(١)ونزلت سورة «المنافقون» بعد غزوة بني المصطلق، في السنة الخامسة من الهجرة فيكون نزول سورة «المجادلة» ، فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك.
(٢) التحرير والتنوير: ٦/٢٨.
(٣) نقلا عن: التحرير والتنوير: ٦/٢٨.
(٤) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤٥٦.
(٥)أوس بن الصامت الأنصاري الخزرجي، شهد بدرًا، وأحدًا، والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مات في خلافة عثمان وله خمس وثمانون. انظر: "الطبقات الكبرى" ٣/ ٥٤٧، و"الإصابة" ١/ ٢٢٠، و"التقريب" ١/ ٨٥.
(٦) انظر: حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، المُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي: ١٦٤/٨.
(٧) التحرير والتنوير: ٥/٢٨.
(٨) انظر حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، المُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي:١٦٤/٨.
(٩) انظر: روح المعاني: ٢/٢٨.
(١٠) التحرير والتنوير: ٥/٢٨.

وإن صحت هذه التسمية فإن وجه تسميتها أنها افتتحت بهذا اللفظ: «قد سمع»، ولم تفتتح غيرها من سور القرآن بهذا اللفظ.

- **الاسم الثاني: «سورة الظهار»:**

سميت في مصحف أبي بن كعب: «سورة الظهار»[1]. ووجه تسميتها لما ذكر فيها من أحكام ظهار الزوج من زوجته وما يترتب عليه.

وهذان الاسمان «قد سمع، والظهار»، هما من اجتهاد الصحابة-رضي الله عنهم- والعلماء، ولم يرد فيهما من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نص صريح.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة، ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها مدنية. قاله ابن عباس[2]، وابن الزبير[3]، والحسن[4]، ومجاهد[5]، وعكرمة[6]، وقتادة[7]. والجمهور[8].

الثاني : أن العشر الأول منها مدنيّ، والباقي مكّيّ. قاه عطاء[9].

الثالث : أنها مدنيّة سوى آية، وهي قوله عزّ وجلّ: {مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ} [المجادلة : ٧]. قاله ابن السّائب الكلبي[10]، والنقاش[11].

قال ابن عطية:" هي مدنية بإجماع"[12].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها من وجوه:

١- أن الأولى ختمت بفضل الله، وافتتحت هذه بما هو من هذا الوادي.

٢- أنه ذكر في مطلع الأولى صفاته الجليلة ومنها الظاهر والباطن- وذكر في مطلع هذه أنه سمع قول المجادلة التي شكت إليه تعالى[13].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

تتمثل مقاصد سورة المجادلة في التالي:

١- الحكم في قضية مظاهرة أوس بن الصامت من زوجه خولة، وبيان حكم ظهار الرجل من امرأته، بأن يقول لها -مثلاً-: أنت عليَّ كظهر أمي.

٢- إبطال ما كان في الجاهلية من تحريم المرأة إذا ظاهر منها زوجها، وأن عملهم مخالف لما أراده الله سبحانه، وأنه من أوهامهم وزورهم التي كبَّتهم الله بإبطالها.

---

(١) ذكره السيوطي في "الإتقان: ١٧٤/١، ومعترك الأقران: ١٩٩/٣.
(٢) انظر: الدر المنثور: ٦٩/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وأبو الشيخ في العظمة والبيهقي، وانظر: زاد المسير: ٢٣٢/٤. حكاه بدون إسناد.
(٣) انظر: الدر المنثور: ٦٩/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٤) انظر: زاد المسير: ٢٤١/٤. حكاه بدون إسناد.
(٥) انظر: زاد المسير: ٢٤١/٤. حكاه بدون إسناد.
(٦) انظر: زاد المسير: ٢٤١/٤. حكاه بدون إسناد.
(٧) انظر: زاد المسير: ٢٤١/٤. حكاه بدون إسناد.
(٨) انظر: زاد المسير: ٢٤١/٤. وحكاه عن الجمهور.
(٩) انظر: زاد المسير: ٢٤١/٤. حكاه بدون إسناد.
(١٠) انظر: زاد المسير: ٢٤١/٤. حكاه بدون إسناد.
(١١) انظر: المحرر الوجيز: ٢٧٢/٥.
(١٢) المحرر الوجيز: ٢٧٢/٥.
(١٣) انظر: تفسير المراغي: ٣/٢٨.

٣- الإعلام بإيقاع البأس الشديد، الذي أشارت إليه سورة الحديد بمن حاد الله ورسوله؛ لما له سبحانه من تمام العلم، اللازم عنه تمام القدرة، اللازم عنه الإحاطة بجميع صفات الكمال.
٤- أن الله تعالى يعلم جميع ما في السماوات والأرض، ومن ذلك أنه يعلم السر والنجوى، وبيان مصير الذين يتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول صلي الله عليه وسلم.
٥- بيان ضلالات المنافقين ومنها مناجاتهم بمرأى المؤمنين ليغيظوهم ويحزنوهم، ومنها موالاتهم اليهود، وحلفهم على الكذب.
٦- بيان آداب مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم. وشرع التصدق قبل مناجاته صلى الله عليه وسلم، وأن على المؤمنين إذا قيل لهم: تفسحوا في المجالس أن يتفسحوا.
٧- الثناء على المؤمنين في مجافاتهم اليهود والمشركين، وأن الذين يتولون قوماً معادين الإسلام أعد الله لهم عذاباً مهيناً.
٨- أن الله تعالى قضى بأن يغلب هو ورسله جميع أعداء الدين، وأن الله ورسوله وحزبهما هم الغالبون.
٩- أن من يتركون مودة من يحادون الله ورسوله -ولو كانوا أقاربهم- أولئك كتب الله في قلوبهم الإيمان، وأيدهم بروح منه، وأنهم سيدخلون جنات تجري من تحتها الأنهار. [١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

قال هبة الله بن سلامة:" فيها أية منسوخه وهي احدى فضائل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لأنه روى عنه أنه قال: «إن في كتاب الله آية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي إلى يوم القيامة. فقيل: وما هي. قال: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لما كثرت عليه المسائل تبرم خيفة أن يفرض على أمته ما يشق عليها فتندم فعلم الله ذلك منه فأنزل الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [المجادلة : ١٢]، فأمسكوا عن السؤال فقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ولم أملك إذ ذاك إلا دينارا فصرفته بعشرة دراهم وكنت كلما أردت أن أسأله عن مسألة تصدقت بدرهم حتى لم يبقى معي غير درهم واحد فتصدقت به وسألته فنسخت الآية ونزلت ناسختها: {أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المجادلة : ١٣]»[٢]، فصارت ناسخة لها واختص علي بفضلها"[٣].

عن علي بن أبي طالب، قال: لما نزلت: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً}، قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ما ترى؟ دينار؟ قلت: لا يطيقونه، قال: فنصف دينار؟، قلت: لا يطيقونه. قال: فكم؟ قلت: شعيرة[٤]. قال: إنك لزهيد. قال: فنزلت: {أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ}، الآية. قال: فبي خفف الله عن هذه الأمة"[٥].

---

(١) انظر: مقاصد صورة "الواقعة"، مقال منشور في موقع إسلام ويب.
(٢) سوف يأتي تخريجه بعد هذا النص.
(٣) الناسخ والمنسوخ: ١٧٤.
(٤) شعيرة: يعني: وزن شعيرة من ذهب.
(٥)أخرجه الترمذي (٣٣٠٠) والنسائي في «خصائص علي» (١٥٢) وابن أبي شيبة (١٢/ ٨١) وأبو يعلى في «مسنده» (١/ ٣٢٢/ ٤٠٠) وعبد بن حميد في «المنتخب من المسند» (٩٠) وابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ٣٩٠ - ٣٩١/ ٦٩٤١، ٦٩٤٢) وابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٨/ ٢١) وابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٨٤٧ - ١٨٤٨) والعقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٢٤٣) والحسكاني في «شواهد التنزيل» (٢/ ٢٣٤ - ٢٣٥/ ٩٥٤، ٩٥٥) وابن المغازلي في «مناقب علي» (٣٧٢) والنحاس في «ناسخه» (ص ٢٣٣).
من طريق: عثمان بن المغيرة الأشجعي به.

قال علي بن أبي طالب: "آية في كتاب الله عزّ وجلّ ما عمل بها أحد من الناس غيري آية النجوى، كان لي دينار فبعته بعشرة دراهم، فكلما أردت أن أناجي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تصدّقت بدرهم، فما عمل بها أحد قبلي ولا بعدي"[1].

روي عن ابن عباس في قوله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً} [المجادلة: ١٢] الآية، قال: نسختها: {أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا} [المجادلة: ١٣] الآية"[2].

- **فضائل السورة:**

لم يصح شيء في فضل سورة «المجادلة» سوى كونها من سور «المفصل»، المذكور فضله في بداية فضل سورة «ق».

- عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " أعطيت مكان التوراة «السبع الطول»، وأعطيت مكان الزبور «المئين»، وأعطيت مكان الإنجيل: «المثاني» وفضلت بـ «المفصل»"[3].

و«المفصّل»-بتشديد الصاد-: هو ما يلي المثاني من قصار السّور، والتي تستحب القراءة ببعضها في بعض الصلوات الخمس على ما هو مبين في كتب الفقه[4]، وأشهر الأقوال أن أول المفصل «الحجرات»، وأول وسط المفصل: «عبس» وأول قصار المفصل: «والضحى»، هذا أشهر أقوال المالكية، وطلب هذا لأجل الصلاة المفروضة. ففي الصبح يستحب القراءة بطوال المفصل، وفي الظهر والعشاء بمتوسطه، وفي المغرب بقصاره.

- ومما انفردت به هذه السورة تكرير الاسم الأعظم الجامع في قصة «المجادلة»، وجميع السورة، تكريراً لم يكن في سواها، بحيث لم تخل منه آية، وأما الآيات التي تكرر في كل منها مرتين أو أكثر، فكثيرة .

وقد ورد في «فضل السورة»، حديثان ضعيفان:

- أحدهما: روى الثعلبي في تفسيره عن أبى بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة»[5].

وإسناده ضعيف لأجل علي بن علقمة؛ قال فيه البخاري: «في حديثه نظر» وقال عنه الحافظ في «التقريب»: «مقبول»! قلت: بل هو مجهول؛ تفرّد بالرواية عنه سالم بن أبي الجعد، وقال ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ١٠٩): «منكر الحديث؛ ينفرد عن علي بما لا يشبه حديثه. ثم قال: والذي عندي ترك حديثه». وقال الألباني في «ضعيف سنن الترمذي» (٦٥٢): «ضعيف الإسناد».

(١) أخرجه ابن الجوزي في "نواسخ القرآن"(٢١٤):ص٢٠٢-٢٠٣، وأبو عبيد في «ناسخه» (٤٧٣). من طريق: ليث، عن مجاهد به. وأخرجه الحاكم (٢/ ٤٨١ - ٤٨٢) وابن أبي شيبة (١٢/ ٨١/ ١٢١٧٤) والجصاص في «أحكام القرآن» (٣/ ٥٢٦) والمغازلي في «مناقب علي» (٣٧٣).

وصحّحه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه القاسم بن سلام في "الناسخ والمنسوخ"(٤٧٠):ص٢٥٨.

(٣)أخرجه أحمد (٤/ ١٠٧، رقم ١٧٠٢٣). قال الهيثمى (٧/ ٤٦): فيه عمران القطان وثقه ابن حبان وغيره وضعفه النسائى وغيره وبقية رجاله ثقات. وأخرجه الطبرانى (٢٢/ ٧٥ رقم ١٨٦)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٢/ ٤٦٥، رقم ٢٤١٥ مكرر). وأخرجه أيضا: الطيالسى (ص ١٣٦ رقم ١٠١٢) وأبو نعيم فى معرفة الصحابة (٥/ ٢٧١٦ رقم ٦٤٨٥). وقال المناوي (١/ ٥٦٦): فيه عمرو بن مرزوق، أورده الذهبي في الضعفاء وقال: كان يحيى بن سعيد لا يرضاه.

(٤) أمّا السّبع الطّول فقد ذكرناها عند تفسير قوله: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي} [الحجر: ٨٧] . والمئين: كل سورة بلغت مائة فصاعدا. والمثاني: كل سورة دون المئين وفوق المفصل، والمفصّل : هو ما يلي المثاني من قصار السّور، وإنما سمّيت مفصّلا لقصرها وكثرة الفصول فيها بسطر: «بسم الله الرّحمن الرّحيم»..

(٥) الكشف والبيان: ٢٥٣/٩، [وقد مرّ أنه حديث موضوع غير ثابت].

- الثاني: حديث علي: «يا على من قرأها قضى الله له ألف حاجة أدناها أن يعتقه من النار، ونزلت عليه ألف ملك يستغفرون له بالليل، ويكتبون له الحسنات، وله بكل آية قرأها مثل ثواب من يطلب قوته من الحلال»[١].

(١) نقلا عن: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ١/٤٥٧.

سورة «الحشر»

هي السُّورة التَّاسعة والخمسون بحسب الرّسم القرآني، نزلت بعد «سورة البيّنة» وقبل «سورة النَّصر»، أي: أنَّها من آواخر السُّور التي نزلت على الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- من السُّور القرآنيَّة؛ حيث تُعدُّ السُّورة الثامنة والتسعون في ترتيب النُّزول، ويبلغ عدد آياتها أربع وعشرون، كلماتها أربعمائة وخمس وأربعون. حروفها ألف وتسعمائة وثلاث عشرة. فواصل آياتها «من بر» على الباء آيتان: {الْعِقَابِ} [الحشر : ٤، ٧] في موضعين(١).

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة الحشر»:**

سُمِّيت «سورة الحشر» بهذا الاسم للحديث عن الحَشر وورود هذا اللفظ فيها، ولأنَّه ورد فيها ذِكر حَشر بني النَّضير، إذ إنَّ هذه السُّورة نَزلت عقب إخراج بني النَّضير من المدينة إلى الشّام في السّنة الرّابعة من الهجرة، فاشتُهرت هذه السُّورة باسم «سُورة الحَشر»، لقوله -تعالى- فيها: {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ} [الحشر : ٢]، والمراد بالحشر حشران؛ الحشر الأوّل: هو جمع بني النَّضير وإخراجهم من المدينة المنورة إلى الشّام في عهد النبوّة، والحشر الثّاني: المراد فيه إجلاؤهم من خيبر إلى الشّام في عهد عمر بن الخطّاب -رضي الله عنه-(٢).

- **ثانيا:- اسمها الاجتهادي: «سُورة بني النّضير»:**

وتُسمّى سُورة الحشر أيضاً باسمٍ آخر وهو: سُورة بني النَّضير، وهو الاسم الذي أطلقه ابن عباس - رضي الله عنه- لئلّا يُظَنّ أنّ المَقصود بالحَشر يوم القيامة؛ ويظهر هذا في قوله -تعالى- فيها: {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ} [الحشر : ٢]، أي: إنّ المقصود بالحَشر هو إخراج بني النَّضير، وقد ورد في الأثر عن سعيد بن جبير قال: "قلت لابن عباس سورة الحشر قال: قال: سورة النضير"(٣)، وفي رواية:" نزلت في بني النضير"(٤).

- **مكية السورة ومدنيتها:**

روي عن ابن عباس، قال": نزلت سورة الحشر بالمدينة"(٥). وروي عن ابن الزبير(٦)، مثل ذلك.

قال ابن عطية:" هذه السورة مدنية باتفاق من أهل العلم، وهي سورة بني النضير"(٧).

قال ابن الجوزي:" هي مدنية كلها بإجماعهم، وذكر المفسّرون أنّ جميعها نزل في بني النّضير"(٨).

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها من وجوه:

١- إن في آخر السالفة قال: {كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي} [المجادلة : ٢١]، وفى أول هذه قال: {فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ} [الحشر : ٢].

٢- إن في السابقة ذكر من حاد الله ورسوله، وفى أول هذه ذكر من شاق الله ورسوله.

٣- إن في السالفة ذكر حال المنافقين واليهود وتولى بعضهم بعضا، وفى هذه ذكر ما حل باليهود، وعدم غناء تولى المنافقين إياهم(١).

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٥٨/١.
(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٧٥/٤.
(٣) الدر المنثور: ٨٨/٨. وعزاه إلى عبد بن حميد والبخاري ومسلم وابن المنذر وابن مردويه.
(٤) الدر المنثور: ٨٨/٨. وعزاه إلى سعيد بن منصور والبخاري وابن مردويه.
(٥) انظر: الدر المنثور: ٨٨/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.
(٦) انظر: الدر المنثور: ٨٨/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٧) المحرر الوجيز: ٢٨٣/٥. وسوف يأتي الخبر عن بني نضير في سبب نزول الآية رقم(٢) من السورة.
(٨) زاد المسير: ٢٥٣/٤.

- **أغراض السورة ومقاصدها**

تتمثل مقاصد سورة الحشر في التالي:

١- افتتاحية السورة واختتامها بالتسبيح والتعظيم لله تعالى وإظهار عزته وحكمته في تصريف الأمور، وتأمل كيف ختمت الآية الأولى والأخيرة بقوله {وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمِ} [الحشر : ١]، إشارة للغرض الذي بنيت عليه السورة ولذلك جاءت الآية الثانية مباشرة في بيان صورة من قدرته في قوله {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ} [الحشر : ٢].

٢- ذكر حال اليهود وأنصارهم المنافقين : فذكر أولاً حادثة يهود بني النظير وما كان من شأنهم في توهين أمرهم وخزيهم في قوله {فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ} [الحشر : ٢]، وقوله {وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ} [الحشر : ٥]، وذكر أيضاً حال قوم سابقين من اليهود وهم بنو قينقاع في قوله: {كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ} [الحشر : ١٥]، وذكر أيضاً قبل ذلك بيان حال المنافقين المناصرين لليهود وبيان جبنهم: {لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ} [الحشر : ١٢].

٣- استعراض حال المهاجرين والأنصار ومن بعدهم، وبيان عظم شأنهم في نصرة الدين وصدقهم وقوة ترابطهم، مقابل ذكر حال اليهود وأنصارهم المنافقين. في قوله: {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِين} [الحشر : ٨]... {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ} [الحشر : ٩]، {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ} [الحشر : ١٠] ...، إشارة لأسباب تأييد الله لهم وتحفيزاً للمؤمنين في الاقتداء بهم.

٤- تذكير المؤمنين ووعظهم باليوم الآخر، تحذيراً من الغفلة ومشابهة أهل الكتاب والمنافقين الذين نسو الله فأنساهم أنفسهم.

٥- إبراز الفرق بين الفريقين، فلايستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة وهي كالنتيجة للفريقين، ولذلك قال في ختامها: {أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ} [الحشر : ٢٠].

٦- التأكيد على عظمة القرآن في كونه سبباً لتصدع الجبال من خشية الله، وهو إشعار للمؤمنين والكافرين بأن هذا القرآن الذي بين لهم قدرة الله تعالى وأظهر عاقبة الفريقين حري بأن يكون موقظاً لهم ومحركاً لقلوبهم.

٧- وختمت السورة بأسماء الله تعالى، التي تضاعف قوة الإيمان بالله في النفوس وتوثق اليقين به تعالى. وهو المقصود من السورة. والله تعالى أعلم.

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة ليس فيها منسوخ، وفيها ناسخ وهو قوله تعالى: {مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى} [الحشر : ٧]، نسخ الله تعالى بها آية الأنفال: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ} [الأنفال : ١][٢].

- **فضائل السورة:**

  - عن عبد الله بن عمرو، قال: "أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أقرئني يا رسول الله، فقال: «اقرأ ثلاثا من ذوات الر»، فقال: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني، قال: «فاقرأ ثلاثا من ذوات حاميم»، فقال مثل مقالته، فقال: «اقرأ ثلاثا من المسبحات»، فقال مثل مقالته، فقال الرجل: يا رسول الله، أقرئني سورة جامعة، فأقرأه النبي صلى الله عليه وسلم إذا زلزلت الأرض

(١) انظر: تفسير المراغي: ٣٠/٢٨.

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس: ٧٠٤، والناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة: ١٧٥، والناسخ والمنسوخ لابن حزم: ٥٩.

حتى فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها أبدا، ثم أدبر الرجل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أفلح الرويجل» مرتين"[١].

- عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " أعطيت مكان التوراة «السبع الطول»، وأعطيت مكان الزبور «المئين»، وأعطيت مكان الإنجيل: «المثاني» وفضلت بـ «المفصل»"[٢].

و«المفصّل»-بتشديد الصاد-: هو ما يلي المثاني من قصار السّور، والتي تستحب القراءة ببعضها في بعض الصلوات الخمس على ما هو مبين في كتب الفقه[٣]، وأشهر الأقوال أن أول المفصل «الحجرات»، وأول وسط المفصل: «عبس» وأول قصار المفصل: «والضحى»، هذا أشهر أقوال المالكية، وطلب هذا لأجل الصلاة المفروضة. ففي الصبح يستحب القراءة بطوال المفصل، وفي الظهر والعشاء بمتوسطه، وفي المغرب بقصاره.

- عن عرباض بن سارية: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد، وقال: «إن فيهن آية أفضل من ألف آية»"[٤].

- عن معقل بن يسار، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: من قال حين يصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، ثم قرأ الثلاث آيات من آخر سورة الحشر، وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي، إن مات في ذلك اليوم مات شهيدا، ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة"[٥].

---

(١)"مسند أحمد" (٦٥٧٥) ، وسنن أبي داود(١٣٩٩):ص٥٧/٢، والسنن الكبرى للنسائي (٧٩٧٣) و (١٠٤٨٤) ، وصحيح ابن حبان (٧٧٣):٥٠/٣.
إسناده حسن، من أجل عيسى بن هلال الصدفي، وصححه الحاكم والذهبي.
وقوله: من ذوات (الر)، أي: من السور التي تبدأ بهذه الأحرف الثلاثة التي تقرأ مقطعة: ألف، لام، را، والذي في القرآن منها خمس سور: يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.
وقوله من ذوات {حم}، أي: من السور التي تبدأ بهذين الحرفين: حا، ميم، وهي في القرآن سبع سور: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.
وقوله: من المسبحات، أي: السور التي أولها سَبَّح ويُسَبحُ وسَبح، وهي الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى.
(٢)أخرجه أحمد (٤/ ١٠٧، رقم ١٧٠٢٣). قال الهيثمي (٧/ ٤٦): فيه عمران القطان وثقه ابن حبان وغيره وضعفه النسائي وغيره وبقية رجاله ثقات. وأخرجه الطبراني (٢٢/ ٧٥ رقم ١٨٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٦٥، رقم ٢٤١٥ مكرر). وأخرجه أيضا: الطيالسي (ص ١٣٦ رقم ١٠١٢) وأبو نعيم فى معرفة الصحابة (٥/ ٢٧١٦ رقم ٦٤٨٥). وقال المناوي (١/ ٥٦٦): فيه عمرو بن مرزوق، أورده الذهبي في الضعفاء وقال: كان يحيى بن سعيد لا يرضاه.
(٣) أمّا السّبع الطّول فقد ذكرناها عند تفسير قوله: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي} [الحجر: ٨٧] . والمئين: كل سورة بلغت مائة فصاعدا. والمثاني: كل سورة دون المئين وفوق المفصل، والمفصّل : هو ما يلي المثاني من قصار السّور، وإنما سمّيت مفصّلا لقصرها وكثرة الفصول فيها بسطر: «بسم الله الرّحمن الرّحيم»..
(٤) الدر المنثور: ٤٦/٨. وعزاه إلى أحمد وأبي داود والترمذي، وحسنه النسائي وابن مردويه والبيهقي في "شعب الإيمان".
(٥) أخرجه أحمد في المسند(٢٠٣٠٦):ص٤٢١/٣٣، وأخرجه الدارمي (٣٤٢٥) ، والترمذي (٢٩٢٢)، والطبراني في "الكبير" ٢٠/ (٥٣٧) ، وفي "الدعاء" (٣٠٨) ، وابن السني في "عمل اليوم والليلة" (٨٠) من طريق أبي أحمد الزبيري محمد بن عبد الله، بهذا الإسناد. قال الترمذي: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.
وأورده الذهبي في "الميزان" ٦٣١/١ من هذا الطريق، وقال: لم يحسنه الترمذي، وهو حديث غريب جدا.
والحديث ضعيف، فيه خالد بن طهمان ضعفه ابن معين، وقال: خلط قبل موته بعشر سنين، وكان قبل ذلك ثقة، وكان في تخليطه كل ما جاؤوا به يقرؤه، وحسن الرأي فيه أبو داود وأبو حاتم، وأما نافع بن أبي نافع الراوي عن معقل، فإن كان هو نفيع بن الحارث أبا دواد الأعمى فيما قاله أبو داود، فهو متروك الحديث وإن كان غيره فهو لا يعرف كما قاله الذهبي في "الميزان" ٢٤٢/٤، وانظر ترجمة نافع هذا في "تهذيب التهذيب" لابن حجر.

- عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ آخر سورة الحشر غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر»[١].
- عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ آخر سورة الحشر ثم مات من يومه وليلته كفر عنه كل خطيئة عملها"[٢].
- عن أنس:" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر رجلا إذا أوى إلى فراشه أن يقرأ آخر سورة الحشر، وقال: إن مت مت شهيدا"[٣].
- عن ابن عباس قال: قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم -عليه السلام- : «من قرأ سورة «الحشر» لم يبق جنّة ولا نار ولا عرش ولا كرسي ولا حجاب ولا السماوات السبع والأرضون السبع والهوام والريح والطير والشجر والدواب والجبال والشمس والقمر والملائكة إلّا صلّوا عليه، واستغفروا له، فإن مات من يومه أو ليلته مات شهيدا»[٤].
- عن محمد بن الحنفية:" أن البراء بن عازب قال لعلي بن أبي طالب: سألتك بالله إلا ما خصصتني بأفضل ما خصك به رسول الله صلى الله عليه وسلم مما خصه به جبريل مما بعث به إليه الرحمن، قال: يا براء إذا أردت أن تدعو الله باسمه الأعظم فاقرأ من أول الحديد عشر آيات وآخر سورة الحشر، ثم قل: يا من هو هكذا وليس شيء هكذا غيره أسألك أن تفعل بي كذا وكذا، فوالله يا براء لو دعوت علي لخسف بي"[٥].
- عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من تعوذ بالله من الشيطان ثلاث مرات ثم قرأ آخر سورة لحشر، بعث الله إليه سبعين ألف ملك يطردون عنه شياطين الإنس والجن، إن كان ليلا حتى يصبح وإن كان نهارا حتى يمسي"[٦].
- عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ خواتيم الحشر في ليل أو نهار فمات في يومه أو ليلته، فقد أوجب له الجنة"[٧].
- عن عتيبة قال: "حدثنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه من قرأ خواتيم الحشر حين يصبح أدرك ما فاته من ليلته وكان محفوظا إلى أن يمسي، ومن قرأها حين يمسي أدرك ما فاته من يومه وكان محفوظا إلى أن يصبح، وإن مات أوجب"[٨].
- عن الحسن قال:" من قرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر إذا أصبح فمات من يومه ذلك طبع بطابع الشهداء وإن قرأ إذا مسى فمات من ليلته طبع بطابع الشهداء"[٩].
- عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اسم الله الأعظم في ستة آيات من آخر سورة الحشر"[١٠].

---

(١) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٦٦/٩.
(٢) الدر المنثور: ١٢٢/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٣) الدر المنثور: ١٢٢/٨، وعزاه إلى ابن السني في عمل يوم وليلة وابن مردويه.
(٤) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٦٦/٩.
(٥) الدر المنثور: ١٢٢/٨، وعزاه إلى أبي علي عبد الرحمن بن محمد النيسابوري في فوائده.
(٦) الدر المنثور: ١٢٢/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٧) الدر المنثور: ١٢٣/٨، وعزاه إلى بن عدي وابن مردويه والخطيب والبيهقي في شعب الإيمان.
(٨) الدر المنثور: ١٢٣/٨، وعزاه إلى ابن الضريس.
(٩) الدر المنثور: ١٢٣/٨، وعزاه إلى الدارمي وابن الضريس.
(١٠) الدر المنثور: ١٢٣/٨، وعزاه إلى الديلمي.

سورة «الممتحنة»

سورة «الممتحنة» هي السورة الستون في ترتيب المصحف، أما ترتيبها في النزول فكان بعد «سورة الأحزاب»، وقبل «سورة النساء»، واتفق أهل العدد على عد آيها ثلاث عشرة آية. وآياتها طوال، وكلماتها ثلاثمائة وأربعون. وحروفها ألف وخمسمائة وعشر. مجموع فواصل آياتها «لم نرد»، على اللام منها آية: {السَّبِيلِ} [الممتحنة : ١]. وعلى الدال آية: {الْحَمِيدُ} [الممتحنة : ٦][١].

- **أسماء السورة:**
- **اسمها التوقيفي: «سورة الممتحنة»:**

عرفت هذه السورة في كتب التفسير وكتب السنة وفي المصاحف بـ«سورة الممتحنة»، و«الممتحنة» -بكسر الحاء-، أي: المختبرة، بإضافة الفعل إلى المرأة مجازا، كما سميت سورة «براءة»: المبعثرة والفاضحة، لما كشفت عيوب المنافقين. ويقال: «الممتحنة» -بفتح الحاء- وهو المشهور، بإضافة الفعل حقيقة إلى المرأة التي نزلت فيها، وهي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، قال الله تعالى: {فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ} الممتحنة: ١٠]. وهي امرأة عبد الرحمن بن عوف، وولدت له إبراهيم بن عبد الرحمن[٢].

- **أسماؤها الاجتهادية:**

الاسم الأول: «سورة الامتحان»:

وتسمى «سورة الامتحان»، لقوله تعالى: {فَامْتَحِنُوهُنَّ } [الممتحنة : ١٠][٣]، وبهذه التسمية قال مقاتل[٤]، وابن قتيبة[٥]، والأزهري[٦]، وهبة الله بن سلامة[٧]، والثعلبي[٨]، والسخاوي[٩]، وآخرون.

الاسم الثاني: «سورة المودة»:

وتسمى «سورة المودة»، لقوله تعالى: {تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ} [الممتحنة : ١]، وقوله تعالى: {تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ} [الممتحنة : ١]، وقوه تعالى: {عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً} [الممتحنة : ٧][١٠].

وذكر هذه التسمية أبو بكر النيسابوري[١١]، وأبو زرعة[١٢]، والسخاوي[١٣]، والفيروزآبادي[١٤].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

روي عن ابن عباس قال: "نزلت سورة الممتحنة بالمدينة"[١٥]. وروي عن ابن الزبير[١٦]، مثل ذلك.

قال ابن عطية:" هي مدنية بإجماع المفسرين"[١].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٠/١، والتحرير والتنوير: ١٣٠/٢٨.
(٢) انظر: التفسير المنير للزحيلي: ١١٥/٢٨.
(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٠/١.
(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٩٥/٤.
(٥) انظر: تأويل مشكل القرآن: ٢١١.
(٦) انظر: معاني القراءات: ٦٥/٣.
(٧) انظر: الناسخ والمنسوخ: ٢٤.
(٨) انظر: الكشف والبيان: ٢٢/٨، ٢٦٤/٩.
(٩) انظر: جمال القراء: ٤٨٢، ٦٩١.
(١٠) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٠/١.
(١١) انظر: المبسوط في القراءات العشر: ١٣٦، ٤٣٤.
(١٢) انظر: حجة القراءات: ١١٣.
(١٣) انظر: جمال القراء: ٩٢.
(١٤)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز:١/ ٤٦٠.
(١٥) انظر: الدر المنثور: ١٢٤/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.
(١٦) انظر: الدر المنثور: ١٢٤/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

قال ابن الجوزي:" هي مدنيّة كلّها بإجماعهم"[٢].
قال ابن عاشور:" هذه السورة مدنية بالاتفاق"[٣].
قال هبة الله بن سلامة:" نزلت بالمدينة بإجماعهم في شأن حاطب بن أبي بلتعة وقصته في ذلك وفي شأن سبيعة بنت الحارث"[٤].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها -وهي «سورة الحشر»- من وجهين:

١- ذكر في الحشر موالاة المؤمنين بعضهم بعضا، ثم موالاة الذين نافقوا للكفار من أهل الكتاب، وافتتحت هذه السورة بنهي المؤمنين عن اتخاذ الكافر أولياء، لئلا يشابهوا المنافقين في ذلك، وكرر النهي في السورة، ثم ختمت به.

٢- كانت سورة الحشر في المعاهدين من أهل الكتاب، وهذه السورة للمعاهدين من المشركين، لأنها نزلت في صلح الحديبية، فالسورتان تشتركان في بيان علاقات المسلمين مع غيرهم[٥].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

إن موضوع هذه السورة كغالب السور المدنية في بيان الأحكام التشريعية، وهي هنا أحكام المتعاهدين من المشركين، والذين لم يقاتلوا المسلمين، والمؤمنات المهاجرات وامتحانهن.

ويمكن تلخيص مقاصد السورة على النحو الآتي:

١- ابتدأت السورة بالنهي عن موالاة المشركين وأسباب ذلك وهي إيذاء المؤمنين وعداوتهم لله ولمن آمنوا، وإلجاؤهم إلى الهجرة وترك الديار والأوطان.

٢- أن القرابة أو الصداقة غير نافعة يوم القيامة، وإنما النافع للإنسان هو الإيمان والعمل الصالح، قال تعالى: {لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [الممتحنة : ٣].

٣- ضرب الأمثال بقصة إبراهيم ومن معه من المؤمنين، وتبرؤهم من قومهم المشركين، ليتخذ المؤمن أبا الأنبياء إبراهيم خليل الرحمن قدوة وأسوة طيبة: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} [الممتحنة : ٤].. الآيات.

٤- وضعت أصول العلاقات بين المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب في حالتي السلم والحرب، والمودة والعداوة: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ(٨)إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [الممتحنة : ٨-٩]، الآيات.

٥- بيان حكم العلاقات مع المشركين فيما يتعلق بالنساء المؤمنات، وضرورة امتحانهن عند الهجرة لدار الإسلام، وعدم ردهن إلى الكفار في دار الكفر وإيتاء أزواجهن مهورهن: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ} [الممتحنة : ١٠].. الآيات.

---

(١) المحرر الوجيز: ٢٩٣/٥.
(٢) زاد المسير: ٢٦٦/٤.
(٣) التحرير والتنوير: ١٣٠/٢٨.
(٤) الناسخ والمنسوخ: ١٧٦.
(٥) انظر: التفسير المنير للزحيلي: ١١٥/٢٨.

٦- بيان حكم مبايعة الرسول صلى الله عليه وسلم لهن، وشروط البيعة وبنودها، وأصولها في الإسلام وداره.
٧- وختمت السورة بتأكيد النهي عن موالاة أعداء المؤمنين من المشركين والكفار، حرصا على وحدة الأمة والملة، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ} [الممتحنة : ١٣][(١)].

قال الفيروزآبادي:" معظم مقصود السورة: النهى عن موالاة الخارجين عن ملة الإسلام، والاقتداء بالسلف الصالح في طريق الطاعة والعبادة، وانتظار المودة بعد العداوة، وامتحان المدعين بمطالبة الحقيقة، وأمر الرسول بكيفية البيعة مع أهل الستر والعفة، والتجنب من أهل الزيغ والضلالة"[(٢)].

قال الطنطاوي:" هذا والمتأمل في هذه السورة الكريمة، يراها قد ساقت للمؤمنين ألوانا من التربية التي تغرس العقيدة السليمة في قلوبهم، وتجعلهم يضحون من أجلها بكل شيء، ويقدمونها في تصرفاتهم على محبة الآباء والأبناء والعشيرة والأموال، وتكشف لهم عن سوء نيات الكافرين نحوهم، وعن حرصهم على إنزال الضرر بهم، كما ضربت لهم الأمثال بإبراهيم- عليه السلام- لكي يقتدوا به في قوة إيمانه، وفي إخلاصه لدينه، كما بينت لهم من يجوز لهم مودتهم من الكافرين، ومن لا يجوز لهم ذلك منهم.. ثم ختمت ببيان بعض الأحكام التي تتعلق بالنساء المؤمنات المتزوجات من الكافرين، وبالنساء اللائي جئن إلى الرسول صلى الله عليه وسلم لكي يبايعنه على الإيمان والطاعة"[(٣)].

- **الناسخ والمنسوخ:**

وفيها من المنسوخ ثلاث آيات:

أولاهن: قوله تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الممتحنة : ٨]، نسخت بقوله تعالى: {إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [الممتحنة : ٩]. وهذا مما نسخ فيه العموم بتفسير الخصوص.

الآية الثانية: قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ} [الممتحنة : ١٠]، الآية، فنسخت بقوله تعالى: {فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ} [الممتحنة : ١٠] ، وقيل نسخت بقوله تعالى: {بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} [التوبة : ١]، الآية.

الآية الثالثة: قوله تعالى: {وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ} [الممتحنة : ١١]، نسخت بآية السيف[(٤)].

- **فضائل السورة:**

- عن أبيّ ابن كعب قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ سورة الممتحنة كان المؤمنون والمؤمنات له شفعاء يوم القيامة»[(٥)].[ضعيف]

---

(١) انظر: التفسير المنير للزحيلي: ١١٦/٢٨-١١٧.
(٢)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٠/١.
(٣) التفسير الوسيط: ٣١٨/١٤-٣١٩.
(٤) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن حزم: ٥٩-٦٠، ونواسخ القرآن لابن الجوزي: ٢٠٦-٢٠٨.
(٥) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان: ٢٩٠/٩، وذكره المستغفري في "فضائل القرآن": ٥٢١/٢، و الزمخشري في "الكشاف": ٧٨٦/٤، والبيضاوي في "أنوار التنزيل": ٢٠٧/٥.[وهو حديث موضوع، وقد نبّه ابن حجر على ضعف رواة هذه الأحاديث وانقطاعها عن رسول الله]

سورة «الصف»

«سورة الصف» هي السورة الواحدة والستون من سور القرآن الكريم، تليها سورة «الجمعة» وتسبقها« سورة الممتحنة» في ترتيب سور المصحف، آياتها أربع عشرة. وكلماتها مائتان وإحدى وعشرون. وحروفها تسعمائة. مجموع فواصل آياتها: «صمن»، وعلى «الصاد» آية واحدة: {مَرْصُوصٌ} [الصف : ٤][١].

- **أسماء السورة:**
- **أولا: اسمها التوقيفي: «سورة الصف»:**

اشتهرت هذه السورة باسم «سورة الصف» وكذلك سميت في عصر الصحابة.

أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن عبد الله بن سلام:" أن أناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : لو أرسلنا إلى رسول الله نسأله عن أحب الأعمال إلى الله عز وجل ؟ فلم يذهب إليه أحد منا، وهبنا أن نسأله عن ذلك، قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر رجلا رجلا حتى جمعهم، ونزلت فيهم هذه السورة : «سبح»، الصف. قال عبد الله بن سلام : فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها. قال أبو سلمة : وقرأها علينا عبد الله بن سلام كلها، قال يحيى بن أبي كثير وقرأها علينا أبو سلمة كلها. قال الأوزاعي : وقرأها علينا يحيى بن أبي كثير كلها. قال أبي : وقرأها علينا الأوزاعي كلها"[٢].

وبذلك عنونت في «صحيح البخاري»[٣]، وفي «جامع الترمذي»[٤]، وكذلك كتب اسمها في المصاحف وفي كتب التفسير، ووجه التسمية وقوع لفظ {صَفًّا} [الصف: ٤] فيها، وهو صف القتال، فالتعريف باللام تعريف العهد[٥].

- **ثانيا: اسمها الاجتهادي: «سورة الحواريين»:**

ذكر السيوطي في «الإتقان» : أنها تسمى «سورة الحواريين» ولم يسنده، فتسميتها «سورة الحواريين» لذكر الحواريين فيها. ولعلها أول سورة نزلت ذكر فيها لفظ الحواريين[٦].

وقال الآلوسي: تسمى «سورة عيسى»[٧]، ولم أقف على نسبته لقائل. وأصله للطبرسي فلعله أخذ من حديث رواه في فضلها عن أبي بن كعب بلفظ: «من قرأ سورة عيسى (عليه السلام) كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له مادام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه»[٨] . وهو حديث موسوم بأنه موضوع. والطبرسي يكثر من تخريج الأحاديث الموضوعة.

وإذا ثبت تسميتها «سورة عيسى» فلما فيها من ذكر عيسى [الصف: ٦ و١٤] مرتين[٩].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

وفيها قولان:

أحدهما: أنها مدنيّة، قاله ابن عباس[١]، والحسن[٢]، ومجاهد[٣]، وعكرمة[٤]، وقتادة[٥]، وهو قول الجمهور[٦].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٢/١، والتحرير والتنوير: ١٧١/٢٨.
(٢) كما في تفسير ابن كثير: ١٠٤/٨.
(٣) انظر: صحيح البخاري:١٥١/٦.
(٤) انظر: سنن الترمذي: ٤١٢/٥.
(٥) انظر: التحرير والتنوير: ١٧١/٢٨.
(٦) انظر: التحرير والتنوير: ١٧١/٢٨.
(٧) انظر: روح المعاني: ٢٧٧/١٤.
(٨) الكشف والبيان: ٣٠١/٩.
(٩) انظر: التحرير والتنوير: ١٧١/٢٨.

الثاني: أنها مكيّة، قاله مكي عن ابن عباس[٧]، والمهدوي عن عطاء ومجاهد[٨]، وحكاه ابن الجوزي عن ابن يسار[٩].

قال ابن عطية: القول" الأول أصح، لأن معاني السورة تعضده ويشبه أن يكون فيها المكي والمدني"[١٠].

قال ابن الجوزي:" هي مدنيّة كلّها بإجماعهم"[١١].

قال ابن عاشور:" هي مدنية عند الجمهور كما يشهد لذلك حديث عبد الله بن سلام"[١٢].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من وجهين:

١- نهت السورة السابقة في مطلعها وأثنائها وختامها عن موالاة الكفار من دون المؤمنين، وأمرت هذه السورة بوحدة الأمة ووقوفها صفا واحدا تجاه الأعداء.

٢- ذكرت السورة المتقدمة أحكام العلاقات الدولية بين المسلمين وغيرهم داخل الدولة الإسلامية وخارجها، وقت السلم، وحرضت هذه السورة على الجهاد ورغبت فيه بسبب العدوان، وأنّبت التاركين للقتال وشبهتهم ببني إسرائيل الذين عصوا موسى عليه السلام حين ندبهم للقتال، ثم عصوا عيسى عليه السلام حين أمرهم باتباعه بعد إتيانه بالبينات والمعجزات، واتباع النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي بشر به[١٣].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

تعنى «سورة الصف» بالأحكام التشريعية، وتتحدث عن موضوع اتحاد المسلمين لمجاهدة أعداء الله، وعن التجارة الرابحة التي بها سعادة المؤمن في الدنيا والآخرة، وقد جاءت مقاصد سورة الصف تفصيلًا كالتالي:

١- الإقرار بأن الله سبحانه وتعالى منزه من كل عيب عزيز لا يحتاج لمخلوقاته حكيم في خلقه وأمره ونهيه أمر الناس بما يسعدهم ويحقق لهم صلاح دنياهم وآخرتهم، وهو قادر على أن يجبرهم على فعل أمره ونهيه لكن لحكمة هو يعلمها، جعل الناس مختارون لأفعالهم فيربح من يربح بإرادته ويخسر من يخسر بشهواته وطول أمانيه.

٢- الإنكار على المؤمنين الذين يقولون مالا يفعلون، لأن الإيمان هو قول يصدّقه الفعل وجهاد بالأموال والأنفس، وهو التزام بالهدى ودين الحق. والأمر بالإخلاص في العمل لأجل نصرة الدّين بالأفعال لا

---

(١) انظر: زاد المسير: ٢٧٦/٤.
(٢) انظر: زاد المسير: ٢٧٦/٤.
(٣) انظر: زاد المسير: ٢٧٦/٤.
(٤) انظر: زاد المسير: ٢٧٦/٤.
(٥) انظر: زاد المسير: ٢٧٦/٤.
(٦) انظر: المحرر الوجيز: ٣٠١/٥، وزاد المسير: ٢٧٦/٤.
(٧) انظر: المحرر الوجيز: ٣٠١/٥.
(٨) انظر: المحرر الوجيز: ٣٠١/٥.
(٩) انظر: زاد المسير: ٢٧٦/٤. ابن يسار: هو محمد بن إسحاق بن يَسَار، المُطَّلِبي بالولاء، من أهل المدينة، سكن العراق، إمام في المغازي والسيرة النبوية، رُمَي بالتشيع والقدر، صدوق يُدلّس، مات ببغداد سنة (١٥١ هـ)، وقيل بعدها. انظر: "وفيات الأعيان" ٤/ ٢٧٦، "تذكرة الحفاظ" ١/ ١٧٢، "تهذيب التهذيب" ٣/ ٥٠٤.
(١٠) المحرر الوجيز: ٣٠١/٥.
(١١) زاد المسير: ٢٦٦/٤.
(١٢) التحرير والتنوير: ١٧٢/٢٨.
(١٣) انظر: التفسير المنير للزحيلي: ١٥٧/٢٨.

بالأقوال، وبالعمل الجماعي الذي يحبّه الله، باذلين أموالهم وأرواحهم في سبيل نشر الدّين الواحد الذي أراد الله أن يتمّه ويظهره على الدين كلّه.

٣- تحذير المسلمين بأن لا يكونوا مثل بني إسرائيل الذين آذوا نبيهم موسى بالقول والفعل، آمنوا ابتداء ثمّ اتهموه بالكذب، ثم عنادهم عيسى حين جاءهم بما سبق وأن جاءهم به موسى من التوراة والتي بشرت برسالته، ثم تكذيبهم للحق حين جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم وبما سبق وأن بشّر به عيسى عليه السلام.

٤- بافتراء الكافرين الكذب، واختلاقه على الله، وقولهم عن كلامه سحر، ورسوله ساحر، لن يهديهم الله وقد ظلموا أنفسهم بكفرهم بما أنزل من الحق.

٥- التأكيد على أن اليهود والنصارى والمنافقين ومن والاهم لن يطفئوا نور الله بما يقولون من الكذب، ولو بذلوا كل الأسباب لإطفاء نور الله فإنهم مغلوبون، وقد تكفل الله بنصر دينه وإتمام الحق الذي أرسل به رسله وإظهاره على سائر الأديان.

٦- إرشاد من أرحم الراحمين لعباده المؤمنين إلى أعظم تجارة يحصل بها الفوز في الدنيا والآخرة والنجاة من العذاب الأليم: {تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ} [الصف : ١١].

٧- أمر الله تعالى أمّة محمد صلى الله عليه وسلم، أن يكونوا أنصار الله ودعاة دينه، فينصرهم الله كما نصر من قبلهم عيسى عليه السلام وأصحابه المخلصين، ويظهرهم على عدوهم.

قال الزحيلي:" إن محور السورة وموضوعها هو القتال وجهاد الأعداء، والتضحية في سبيل الله تعالى، وبيان ثواب المجاهدين العظيم، وذلك من الأحكام التشريعية التي تعنى بها السور المدنية عادة"(١).

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة محكمة، خالية عن الناسخ والمنسوخ(٢).

- **فضائل السورة:**

عن عبد الله بن سلام قال: "تذاكرنا أيكم يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسأله: أي الأعمال أحب إلى الله؟ فلم يقم أحد منا، " فأرسل إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فجمعنا، فقرأ علينا هذه السورة، يعني: سورة الصف كلها"(٣).

---

(١) التفسير المنير:١٥٨/٢٨.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٢/١.

(٣) المسند(٢٣٧٨٨):ص٢٠٥/٣٩، وأخرجه أبو إسحاق في "السير" (٥٤٦) ، والدارمي (٢٣٩٠) ، والترمذي (٣٣٠٩) ، وأبو يعلى (٧٤٩٩) ، وابن حبان (٤٥٩٤) ، والطبراني في "الكبير - قطعة من ج١٣" (٤٠٦) ، والحاكم ٦٩/٢ و٢٢٨-٢٢٩ و٤٨٦-٤٨٧، والبيهقي ١٥٩/٩-١٦٠، والذهبي في "سير أعلام النبلاء" ٤٢٤/٢.

سورة «الجمعة»

«سورة الجمعة» هي السورة الثانية والستون من سور القرآن الكريم، وهي رابعة السور «المُسبّحات» التي تبدأ بتسبيح الله، نزلت بعد« **سورة الصف**»، وآياتها: إحدى عشرة. وكلماتها: مائة وثمانون. وحروفها سبعمائة وعشرون. فواصل آياتها: «من» (١).

- **أسماء السورة:**
- **اسمها التوقيفي: «سورة الجمعة»:**

تسمى «سورة الجمعة»، لقوله: {إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ } [الجمعة : ٩].

قال ابن عاشور:" سميت هذه السورة عند الصحابة وفي كتب السنة والتفاسير «سورة الجمعة» ولا يعرف لها اسم غير ذلك"(٢).

- **مكية السورة ومدنيتها:**

روي عن ابن عباس قال: "نزلت سورة الجمعة بالمدينة"(٣). وروي عن عبد الله بن الزبير مثله(٤).

قال ابن الجوزي:" هي مدنية كلّها بإجماعهم"(٥).

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من وجهين:

١- إنه ذكر في السورة قبلها حال موسى مع قومه وأذاه لهم، ناعيا عليهم ذلك، وذكر في هذه حال الرسول صلى الله عليه وسلم وفضل أمته، تشريفا لهم، ليعلم الفرق بين الاثنين.

٢- إنه حكى في السورة قبلها قول عيسى: «ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد» وذكر هنا: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ } [الجمعة : ٢] إشارة إلى أنه هو الذي بشر به عيسى.

٣- لما ختم السورة قبلها بالأمر بالجهاد وسماه تجارة، ختم هذه السورة بالأمر بالجمعة، وأخبر أن ذلك خير من التجارة الدنيوية(٦).

- **أغراض السورة ومقاصدها**

١- تناولت بعثة خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم و بيّنت أنه الرحمة المهداة لإنقاذ البشرية من الضلال ،من قوله تعالى: {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} [الجمعة : ١] إلى قوله تعالى : {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الجمعة : ٤]

٢- تحدثت عن اليهود وانحرافهم عن شرع الله ومثلت لهم بالحمار الذي يحمل كتباً نافعة ولا يناله منها سوى التعب ، من قوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً }[الجمعة: ٥]، إلى قوله تعالى : {ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُون} [الجمعة : ٨].

٣- تناولت أحكام صلاة الجمعة ، ودعت المسلمين للمسارعة إليها ، وحرمت البيع وقت الأذان والنداء لها وختمت بالتحذير من الانشغال عن الصلاة بالتجارة واللهو ، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٤/١.
(٢) التحرير والتنوير: ٢٠٤/٢٨.
(٣) الدر المنثور: ١٥١/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.
(٤) الدر المنثور: ١٥١/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٥) زد المسير: ٢٨٠/٤.
(٦) انظر: تفسير المراغي: ٩٣/٢٨.

[الجمعة : ٩] إلى قوله تعالى : {قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} [الجمعة : ١١].

قال ابن عاشور:" أول أغراضها ما نزلت لأجله وهو التحذير من التخلف عن صلاة الجمعة والأمر بترك ما يشغل عنها في وقت أدائها. وقدم لذلك: التنويه بجلال الله تعالى.

والتنويه بالرسول صلى الله عليه وسلم. وأنه رسول إلى العرب ومن سيلحق بهم. وأن رسالته لهم فضل من الله. وفي هذا توطئة لذم اليهود لأنهم حسدوا المسلمين على تشريفهم بهذا الدين. ومن جملة ما حسدوهم عليه ونقموه أن جعل يوم الجمعة اليوم الفاضل في الأسبوع بعد أن كان يوم السبت وهو المعروف في تلك البلاد. وإبطال زعمهم أنهم أولياء الله. وتوبيخ قوم انصرفوا عنها لمجيء عير تجارة من الشام"[1].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة خالية عن الناسخ والمنسوخ[2].

- **فضائل السورة:**

- عن ابن عباس، وأبي هريرة : "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين"[3].
- عن جابر بن سمرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة المغرب ليلة الجمعة {قل يَا أيهَا الكَافِرُونَ} و {قل هُوَ الله أحد}، وكان يقرأ في صلاة العشاء الأخيرة ليلة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين"[4].
- عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قرأ سورة الجمعة كتب له عشر حسنات بعدد من ذهب إلى الجمعة من مصر من أمصار المسلمين ومن لم يذهب»[5].

---

(١) التحرير والتنوير: ٢٠٥/٢٨-٢٠٦.
(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٤/١.
(٣)صحيح مسلم برقم (٨٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وبرقم (٨٧٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
(٤) الدر المنثور وعزاه إلى ابن حبان والبيهقي في سننه.
(٥) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان":٣٠٥/٩.[ضعيف]

سورة «المنافقون»

«سورة المنافقون» هي السورة الثالثة والستون بحسب الرسم القرآني وهي السورة الثالثة والأخيرة من المجموعة الرابعة من قسم المفصل، نزلت بعد «سورة الحج» وقبل «سورة المجادلة»، وآياتها: إحدى عشرة. كلماتها: مائة وثمانون. حروفها: سبعمائة وست وسبعون. فواصل آياتها «نون»[١].

- **أسماء السورة:**
- **اسمها التوقيفي: «سورة المنافقون»:**

سميت هذه السورة في كتب السنة وكتب التفسير «سورة المنافقين» اعتبارا بذكر أحوالهم وصفاتهم فيها، ووقع هذا الاسم في حديث زيد بن أرقم: قوله: «فلما أصبحنا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المنافقين»[٢]. ووقع في «صحيح البخاري» وبعض كتب التفسير تسميتها «سورة المنافقون»[٣]، على حكاية اللفظ الواقع في أولها، وكذلك ثبت في كثير من المصاحف المغربية والمشرقية[٤].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس، قال:"نزلت سورة المنافقين بالمدينة"[٥]. وروي عن ابن الزبير مثله[٦].

قال الفيروزآبادي:" السورة مدنية بالاتفاق"[٧].

قال ابن الجوزي:" وهي مدنيّة بإجماعهم، وذكر أهل التفسير أنها نزلت في عبد الله بن أبي ونظرائه"[٨].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٥/١.

(٢) مسند ابن أبي شيبة(٥٢١):ص٣٥٦/١، وسنن الترمذي(٣٣١٣):ص٤١٥/٥، والمعجم الكبير للطبراني(٥٠٤١):ص.١٨٦/٥، والمستدرك للحاكم(٣٨١٢):ص٥٣١/٢. [التعليق - من تلخيص الذهبي] ٣٨١٢ - صحيح وأخرجا منه.

ونص الحديث: زيد بن أرقم، قال: غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان معنا أناس من الأعراب فكنا نبتدر الماء، وكان الأعراب يسبقونا فسبق الأعرابي أصحابه يملأ الحوض ويجعل حوله حجارة، ويجعل النطع عليه حتى يجيء أصحابه، فأتى رجل من الأنصار أعرابيا، فأرخى زمام ناقته لتشرب، فأبى أن يدعه، فانتزع حجرا فغاض الماء، فرفع الأعرابي خشبة فضرب بها رأس الأنصاري فشجه، فأتى عبد الله بن أبي رأس المنافقين فأخبره، وكان من أصحابه فغضب عبد الله بن أبي، ثم قال: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله - يعني الأعراب - وكانوا يحضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الطعام، فقال عبد الله [ص:٣٥٧] لأصحابه: إذا انفضوا من عند محمد ائتوا محمدا بالطعام، فليأكل هو ومن عنده، ثم قال لأصحابه: إذا رجعتم إلى المدينة، فليخرج الأعز منكم الأذل، قال زيد: وأنا رديف عمي رضي الله عنه، قال: فسمعت عبد الله بن أبي - وكنا أخواله - فأخبرت عمي، فانطلق فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحلف وجحد، فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبني، فجاء عمي، فقال: ما أردت إلا أن مقتك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبك المسلمون، فوقع علي من الهم ما لم يقع على أحد قط، " فبينا أنا أسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر قد خفقت برأسي من الهم، وإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فعرك أذني وضحك في وجهي، فما كان يسرني أن لي بها الخلد في الدنيا، ثم إن أبا بكر لحقني، فقال: ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقلت: ما قال لي شيئا إلا أنه عرك أذني وضحك في وجهي، قال: «أبشر» ، ثم لحقني عمر، فقلت له مثل قولي لأبي بكر، فلما أصبحنا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المنافقين".

(٣) انظر: صحيح البخاري: ١٥٢/٦.

(٤) انظر: التحرير والتنوير: ٢٣١/٢٨.

(٥) الدر المنثور: ١٧٠/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٦) الدر المنثور: ١٧٠/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٧) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٥/١.

(٨) زد المسير: ٢٨٠/٤.

قال ابن عاشور:" الصحيح أنها نزلت في غزوة بني المصطلق ووقع في «جامع الترمذي» عن محمد بن كعب القرظي «أنها نزلت في غزوة تبوك»[1] . ووقع فيه أيضا عن سفيان: أن ذلك في غزوة بني المصطلق»[2] وغزوة بني المصطلق سنة خمس، وغزوة تبوك سنة تسع.

ورجح أهل المغازي[3] وابن العربي في «العارضة»[4]، وابن كثير: أنها نزلت في غزوة بني المصطلق[5] وهو الأظهر. لأن قول عبد الله بن أبي ابن سلول: «ليخرجن الأعز منها الأذل»[6]، يناسب الوقت الذي لم يضعف فيه شأن المنافقين وكان أمرهم كل يوم في ضعف وكانت غزوة تبوك في آخر سني النبوءة وقد ضعف أمر المنافقين"[7].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ووجه اتصالها بما قبلها: أنه ذكر في «سورة الجمعة» حال المؤمنين الذين بعث إليهم النبي الأمي يتلو عليهم كتابه ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وأمرهم بالصلاة وترك البيع حين أدائها، وفى هذه ذكر أضدادهم وهم المنافقون الذين يشهدون كذبا بأن محمدا رسول الله ويحلفون الأيمان المحرجة على ذلك، ومن

---

(١) سنن الترمذي(٣٣١٤):ص٤١٧/٥.
نص الحديث: ن الحكم بن عتيبة، قال: سمعت محمد بن كعب القرظي، منذ أربعين سنة يحدث عن زيد بن أرقم:" أن عبد الله بن أبي، قال في غزوة تبوك: {لَئِنْ رَجَعْنَا إِلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ} [المنافقون: ٨] قال: فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فذكرت ذلك له، فحلف ما قاله، فلامني قومي وقالوا: ما أردت إلى هذه، فأتيت البيت ونمت كئيبا حزينا، فأتاني النبي صلى الله عليه وسلم أو أتيته، فقال: «إن الله قد صدقك» قال: فنزلت هذه الآية: {هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا} [المنافقون: ٧]". «هذا حديث حسن صحيح».
(٢) سنن الترمذي(٣٣١٥):ص٤١٧/٥.
نص الحديث:
عن عمرو بن دينار، سمع جابر بن عبد الله يقول: "كنا في غزاة - قال سفيان: يرون أنها غزوة بني المصطلق فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال المهاجري: يا للمهاجرين وقال الأنصاري: يا للأنصار، فسمع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ما بال دعوى الجاهلية؟» قالوا: رجل من المهاجرين كسع رجلا من الأنصار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعوها فإنها منتنة»، فسمع ذلك عبد الله بن أبي ابن سلول، فقال: أوقد فعلوها؟ والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فقال عمر: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه» وقال غير عمرو، فقال: له ابنه عبد الله بن عبد الله: والله لا تنقلب حتى تقر أنك الذليل، ورسول الله صلى الله عليه وسلم العزيز، ففعل". «هذا حديث حسن صحيح».
(٣) انظر: السيرة النبوية لابن هشام: ١٠٥/٢.
(٤) نقلا عن: التحرير والتنوير: ٢٣١/٢٨.
(٥) قال ابن كثير:" وقوله : إن ذلك كان في غزوة تبوك، فيه نظر، بل ليس بجيد ؛ فإن عبد الله بن أبي بن سلول لم يكن ممن خرج في غزوة تبوك، بل رجع بطائفة من الجيش. وإنما المشهور عند أصحاب المغازي والسير أن ذلك كان في غزوة المُرَيسيع، وهي غزوة بني المصطلق". [تفسير ابن كثير: ١٢٧/٨]
(٦) مسند أحمد(١٥٢٢٣):ص٣٨٨/٢٣-٣٨٩، ومصنف عبدالرزاق(١٨٠٤١):ص٤٦٨/٩، ومسند ابن أبي شيبة(٣٦٨٣٧):ص٣٨٠/٧.
ونص الحديث: عن عمرو، قال: سمعت جابر بن عبد الله، يقول: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة - قال: يرون أنها غزوة بني المصطلق - فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، (١) فسمع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: " ما بال دعوى الجاهلية " فقيل: رجل من المهاجرين كسع رجلا من الأنصار، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " دعوها، فإنها منتنة "
قال جابر: وكان المهاجرون حين قدموا المدينة أقل من الأنصار، ثم إن المهاجرين كثروا، فبلغ ذلك عبد الله بن أبي فقال: فعلوها، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فسمع ذلك عمر فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " يا عمر، دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه".
(٧) التحرير والتنوير: ٢٣١/٢٨-٢٣٢.

ثم كان النبي يقرأ في صلاة الجمعة في الركعة الأولى بـ«سورة الجمعة»، فيحرض بها المؤمنين على العبادة، وفى الركعة الثانية بـ«سورة المنافقين»، فيقرع بها المنافقين[1].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

١- بيان صفات المنافقين نفاقًا اعتقادِيًا، وهم كما وصَفَهم النبي في حديث حذيفة:

عن زيد بن سلام، عن أبي سلام، قال: قال حذيفة بن اليمان: قلت: يا رسول الله، إنا كنا بشر، فجاء الله بخير، فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شر؟ قال: «نعم»، قلت: هل وراء ذلك الشر خير؟ قال: «نعم»، قلت: فهل وراء ذلك الخير شر؟ قال: «نعم»، قلت: كيف؟ قال: «يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس»، قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله، إن أدركت ذلك؟ قال: «تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك، فاسمع وأطع»[2].

٢- أن المنافقين يتَحَدثون باسم الإسلام، ويموهون كذبهم بالأيْمان الكاذبة فيغترٌ بهم مَن لا يعرف حقيقة أمرهم، ولهذا قال تعالى: {اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [المنافقون : ٢]، فصدوا البعض عن دين الله، وسنة رسول الله.

٣- بيان أن أشكال المنافقين حسنة، {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ} [المنافقون : ٤] إذا سمعهم السامع يصغي إلى قولهم، وقلوبهم في غاية الضعف، قال تعالى: {يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ }، ولاؤُهم لأهل الكتاب، قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}، وهذه السورة تَحَدَّثت عن صفات المنافقين، وأساليبهم، ولم تُعْنَ بذِكْر أسماء المنافقين، وكذلك السنَّة، لأن ذكرهم بصفاتهم أشد وقعًا عليهم من الصواعق.

قال الفيروزآبادي:" معظم مقصود السورة: تقريع المنافقين وتبكيتهم، وبيان ذلهم وكذبهم، وذكر تشريف المؤمنين وتبجيلهم، وبيان عزهم وشرفهم، والنهى عن نسيان ذكر الحق تعالى، والغفلة عنه، والإخبار عن ندامة الكفار بعد الموت، وبيان أنه لا تأخير ولا إمهال بعد حلول الأجل، في قوله: {وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا} [المنافقون : ١١]، الآية"[3].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة ليس فيها ناسخ ولا منسوخ[4].

- **فضائل السورة:**

- أخرج سعيد بن منصور والطبراني في الأوسط -بسند حسن- عن أبي هريرة قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة الجمعة فيحرض بها المؤمنين وفي الثانية سورة المنافقين فيقرع بها المنافقين"[5].
- أخرج البزار والطبراني عن أبي عيينة الخولاني عن النبي صلى الله عليه وسلم:" أنه كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والسورة التي يذكر فيها المنافقون"[6].

---

(١) انظر: تفسير المراغي: ١٠٥/٢٨.
(٢) صحيح مسلم(١٨٤٧):ص١٤٧٦/٣.
(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٥/١.
(٤) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٥/١.
(٥) الدر المنثور: ١٧٠/٨.
(٦) الدر المنثور: ١٧٠/٨.

- عن جابر بن سمرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة المغرب ليلة الجمعة {قل يَا أيهَا الكَافِرُونَ} و {قل هُوَ الله أحد}، وكان يقرأ في صلاة العشاء الأخيرة ليلة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين"[(١)].

(١) الدر المنثور وعزاه إلى ابن حبان والبيهقي في سننه.

سورة «التغابن»

«سورة التغابن» هي السورة الرابعة والستون بحسب الرسم القرآني، وهي معدودة من السابعة والمائة في ترتيب نزول السور، نزلت بعد «سورة الجمعة»، وقبل «سورة الصف» بناء على أنها مدنية، وآياتها: ثمان عشرة. وكلماتها: مائتان وإحدى وأربعون. وحروفها ألف وسبعون. فواصل آياتها «من در»، وعلى «الدال» آية واحدة: {حَمِيدٌ} [التغابن : ٦][١].

- **أسماء السورة:**
- **اسمها التوقيفي: «سورة التغابن»:**

سميت هذه السورة «سورة التغابن» ، ولا تعرف بغير هذا الاسم ولم ترد تسميتها بذلك في خبر مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى ما ذكره الثعلبي عن ابن عمر من أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: «ما من مولود يولد إلا وفي تشابيك رأسه مكتوب خمس آيات من فاتحة سورة التغابن»[٢].

والظاهر أن منتهى هذه الآيات قوله تعالى: {وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور} [التغابن : ٤]، فتأمله. ورواه القرطبي[٣] عن ابن عمر ولم ينسبه إلى التعليق فلعله أخذه من تفسير ابن عطية.

ووجه التسمية وقوع لفظ: {التَّغَابُن} [التغابن : ٩] فيها ولم يقع في غيرها من القرآن[٤].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

وفي مكان نزول السورة، أقوال:

أحدها: أنها مدنية. قاله ابن عباس[٥]، وابن الزبير[٦]، والحسن[٧]، ومجاهد[٨]، وعكرمة[٩]، وقتادة[١٠]. وهو قول الجمهور[١١].

الثاني: أنها مكية. قاله الضحاك[١٢].

الثالث: أنها مكية، إلّا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة، قوله عزّ وجلّ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُم} [التغابن : ١٤]، واللّتان بعدها. حكاه ابن الجوزي عن عطاء بن يسار[١٣].

وأخرج ابن إسحق وابن جرير عن عطاء بن يسار قال: "نزلت سورة التغابن كلها بمكة إلا هؤلاء الآيات: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ} [التغابن : ١٤]، نزلت في عوف بن مالك الأشجعي كان ذا أهل وولد فكان إذا أراد الغزو بكوا عليه ورققوه فقالوا: إلى من تدعنا فيرق ويقيم هذه الآيات فيه بالمدينة"[١٤].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٧/١، والتحرير والتنوير: ٢٥٨/٢٨.
(٢) الكشف والبيان: ٣٢٥/٩.
(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١٨/ ١٣١.
(٤) انظر: التحرير والتنوير: ٢٥٨/٢٨.
(٥) انظر: الدر المنثور: ١٨١/٨، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.
(٦) انظر: الدر المنثور: ١٨١/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٧)انظر: زاد المسير: ٢٩١/٤.
(٨)انظر: زاد المسير: ٢٩١/٤.
(٩)انظر: زاد المسير: ٢٩١/٤.
(١٠)انظر: زاد المسير: ٢٩١/٤.
(١١) انظر: زاد المسير: ٢٩١/٤.
(١٢) انظر: زاد المسير: ٢٩١/٤، وتفسير القرطبي: ١٣١/٨.
(١٣) انظر: زاد المسير: ٢٩١/٤.
(١٤) الدر المنثور: ١٨١/٨.

الرابع: أنها مكية، إلّا خمسة آيات منها نزلت بالمدينة، قوله عزّ وجلّ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُم} [التغابن : ١٤]، إلى آخر السورة. قاله ابن عباس(١).

أخرج النحاس عن ابن عباس قال: "نزلت سورة التغابن بمكة إلا آيات من آخرها نزلت بالمدينة في عوف بن مالك الأشجعي شكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم جفاء أهله وولده فأنزل الله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ} [التغابن : ١٤]، إلى آخر السورة"(٢).

قال الفيروزآبادي:" السورة مكية، إلا آخرها: {إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ}[التغابن : ١٤]، إلى آخر السورة"(٣).

قال القرطبي:" سورة التغابن مدنية في قول الأكثرين"(٤).

قال ابن عاشور:" هي مدنية في قول الجمهور"(٥).

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

١- إنه في السورة قبلها ذكر حال المنافقين، وخاطب بعد ذلك المؤمنين، وهنا قسم الناس قسمين مؤمن وكافر.

٢- نهى هناك عن الاشتغال بالأولاد عن ذكر الله، وهنا ذكر أن الأموال والأولاد فتنة.

٣- في السورة السابقة حث على الإنفاق في سبيل الله، وفى ذكر التغابن حث عليه أيضا(٦).

- **أغراض السورة ومقاصدها**

١- تبدأ سورة التغابن مثل بقيّة السور المسبحات بالثناء على الله -عزّ وجلّ- وتسبّحه وتمجّده، وتبيّن أنّ الخلائقَ جميعهم في الأرض وفي السماوات يسبّحون له -تبارك وتعالى- ويمجّدونه، وجاءت صيغة التسبيح بفعل المضارع يسبّحُ والتي تدلُّ على عظمة الله تعالى وتوحي باستمرارية وديمومة هذا الفعل العظيم، قال تعالى: {يُسبِّحُ للّهِ ما في السَّمَاواتِ ومَا في الأرضِ لهُ المُلكُ ولهُ الحمْدُ وهُو علَى كلِّ شيْءٍ قدِيرٌ}[التغابن : ١]،ويعدُّ هذا الأمر من أعظم مقاصد سورة التغابن.

٢- التوجُّه بتحذيرٍ شديد للكافرين والمشركين من تماديهم في الطغيان والكفر والغيّ، وتذكرُ كيفَ كانت عاقبة الأمم السابقة التي كفرت وحادت عن طريق الصواب، وكيف أذاقهم الله عذابًا أليمًا، قال تعالى: {أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [التغابن : ٥]، وتؤكدُ أنّ الله جعلَهم عبرةً للعالمين -تبارك وتعالى-.

٣- الإشارة إلى إنكار الكفّار ليوم الحساب والبعث، وينكرون أنّ الله تعالى سيجمع الخلائق إليه جميعًا في يوم الحساب، قال تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٦) زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧) فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٨)} [التغابن : ٦ - ٨].

٤- ومن مقاصد سورة التغابن أنّها تؤكدُ على أنّ كلّ ما يصيبُ الشخص ما كان ليصيبه لولا إرادة الله تعالى وكلُّ ذلك بقضائه وقدره، قال تعالى: {ما أصابَ من مصيبَةٍ إلاَّ بإذْنِ اللّهِ ومَن يؤمِن باللّهِ يهْدِ قلبَهُ واللّهُ بكُلّ شيْءٍ عليمٌ}[التغابن : ١١].

---

(١) انظر: الدر المنثور: ١٨١/٨، وعزاه إلى النحاس.
(٢) الدر المنثور: ١٨١/٨.
(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٧/١.
(٤) تفسير القرطبي: ١٣١/١٨.
(٥) التحرير والتنوير: ٢٥٨/٢٨.
(٦) انظر: تفسير المراغي: ١١٨/٢٨.

٥- تحذير المؤمنين من فتنة المال والولدِ على دِينِ المرء وإيمانه، قال تعالى: {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} [التغابن : ١٥].
٦- وتختمُ مقاصد سورة التغابن بالحديث عن تقوى الله تعالى وطاعته، قال تعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}، وتحضُّ المسلمين على إنفاق المال في جميع وجوه الخير والإحسان ابتغاءَ مرضاة الله تعالى وعفوه.

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة خالية عن المنسوخ، وفيها الناسخ: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُم} [التغابن : ١٦][١].

- **فضائل السورة:**

– عن علي بن زيد عن ذر عن أبي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجأة»[٢].

– عن عبد الله بن عَمرو، رضي الله عنه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما من مولود يولد إلا مكتوب في تشبيك رأسه خمس آيات من سورة التغابن"[٣].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٧/١.
(٢) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان":٣٢٥/٩. [موضوع]، وانظر: تفسير مجمع البيان: ١٠/ ٢٧.
(٣)رواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٣٢٩٠) عن أحمد، عن أيوب بن محمد الوزان، عن الوليد بن الوليد به، وقال : "لم يروه عن ابن ثوبان إلا الوليد القلانسي" والوليد ضعيف.
قال ابن كثير١٣٥/٨:" أورده ابن عساكر في ترجمة "الوليد بن صالح" وهو غريب جدًّا، بل منكر". وانظر: تاريخ دمشق (٨٣١/١٧" المخطوط").

سورة «الطلاق»

«سورة الطلاق» هي السورة الخامسة والستون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الإنسان»، وآياتها خمس عشرة في عد البصرة، واثنتا عشرة عند الباقين. وكلماتها مائتان وأربعون. وحروفها ألف وستون. والمختلف فيها ثلاث آيات: {مَخْرَجًا} [الطلاق : ٢]، و {وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [الطلاق : ٢]، {يَا أُولِي الْأَلْبَابِ} [الطلاق : ١٠]، فواصل آياتها على «الألف»[(١)].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة الطلاق»:**

شاعت تسميتها في المصاحف وفي كتب التفسير وكتب السنة: سورة الطلاق ولم ترد تسميتها بهذا في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم موسوم بالقبول.

وسميت سورة الطلاق، لأنها بيّنت احكام الطلاق والعدة فيها، وافتتحت بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ } [الطلاق : ١]، قال المهايمي: سميت به لبيانها كيفية الطلاق السني وما يترتب عليه من العدة والنفقة والسكنى"[(٢)].

- **ثانيا:- اسمها الاجتهادي: «سورة النساء الصغرى»:**

ذكر السيوطي في «الإتقان»[(٣)] أن عبد الله بن مسعود سماها سورة «النساء القصرى» أخذا مما أخرجه البخاري وغيره عن محمد بن سيرين، قال: "كنت في حلقة فيها عبد الرحمن بن أبي ليلى، وكان أصحابه يعظمونه، فذكروا له فذكر آخر الأجلين، فحدثت بحديث سبيعة بنت الحارث، عن عبد الله بن عتبة، قال: فضمز لي بعض أصحابه، قال محمد: ففطنت له فقلت: إني إذا لجريء إن كذبت على عبد الله بن عتبة وهو في ناحية الكوفة، فاستحيا وقال: لكن عمه لم يقل ذاك، فلقيت أبا عطية مالك بن عامر فسألته فذهب يحدثني حديث سبيعة، فقلت: هل سمعت عن عبد الله فيها شيئا؟ فقال: كنا عند عبد الله فقال: أتجعلون عليها التغليظ، ولا تجعلون عليها الرخصة، لنزلت سورة النساء القصرى بعد الطولى: {وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ} [الطلاق: ٤]"[(٤)].

وفي «الإتقان»[(٥)] أن الداودي[(٦)] أنكر أن تدعى هذه السورة بالقصرى للتنزه عن وصف القرآن بصفة نقص، وتعقبه ابن حجر بأنه ردّ للأخبار الثابتة بلا مستند، والقصر والطول أمر نسبي، أي: ليس مشعرا بنقص على الإطلاق[(٧)].

قال ابن عاشور:" وابن مسعود وصفها بالقصرى احترازا عن السورة المشهورة باسم سورة النساء التي هي السورة الرابعة في المصحف التي أولها: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} [النساء : ١]. وأما قوله «الطولى» فهو صفة لموصوف محذوف، أي: بعد السورة الطولى، يعني: سورة البقرة، لأنها أطول سور القرآن، ويتعين أن ذلك مراده لأن سورة البقرة هي التي ذكرت فيها عدة المتوفى عنها. وقد

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٧/١، والتحرير والتنوير: ٢٥٨/٢٨

(٢) تفسير المهايمي: ٣٤٧/٣.

(٣) انظر الإتقان: ١٩٥/١. وذكر هذه التسمية مقاتل بن سليمان في "التفسير":١:٥١٣، ويحية بن سلام في" التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه ":٢٣٣، والفراء في "معاني القرآن":١٦٢/٣، وابن الجوزي في"زاد المسير":٢٩٥/٤

(٤) صحيح البخاري(٤٩١٠):ص١٥٦/٦.

(٥) انظر الإتقان: ١٩٥/١.

(٦) الداودي: احمد بن سعيد الداودي، أبو جعفر، وهو ممن ينقل عنه ابن التين، انظر: مقدمة القسطلاني:٧١/١، وكشف الظنون: ٥٤٥/١.

(٧) انظر: فتح الباري: ٦٥٦/٨.

يتوهم أن سورة البقرة تسمى سورة النساء الطولى من مقابلتها بسورة النساء القصرى في كلام ابن مسعود. وليس كذلك كما تقدم في سورة النساء"[١].

ووجه تسميتها بسورة النساء القصرى، لأنها بيّنت بعض الأحكام الخاصة بالنساء وهي أحكام الطلاق وما يتعلق بها، وخصت بالقصرى تمييزا لها عن سورة النساء، وهذا الاسم من اجتهاد الصحابي ابن مسعود-رضي الله عنه- إذ وصفها بالقصرى احترازا عن السورة المشهورة باسم النساء، وليس توقيفيّا من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

نزلت «سورة الطلاق» على النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد الهجرة إلى المدينة المنورة فهي من السور المدنية.

عن ابن عباس قال: "نزلت سورة الطلاق بالمدينة"[٢].

قال الفيروزآبادي:" السورة مدنية بالاتفاق"[٣].

قال ابن عاشور:" هي مدنية بالاتفاق "[٤].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها- أنه قال في السورة السابقة: {إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ} [التغابن : ١٤]، وكانت هذه العداوة قد تفضى إلى الطلاق- أرشد هنا إلى أحكام الطلاق والانفصال عن الأزواج على أجمل وجه، فقال: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (١)} [الطلاق : ١][٥].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

جاءت مقاصد سورة الطلاق تفصيلاً كالتالي:

١- الحديث عن الطلاق كموضوع يصعب جداً فيه اجتناب تعدي حدود الله، إلا إذا التزم الأطراف بتقوى الله ومراقبته، لأن في الطلاق تراكم عداوات وإشاعات وأمور نفسيّة ومادية ومعنوية ومصالح دنيوية ومسؤوليات جسام تتطلب تضحيات مالية وتحتاج إلى صبر وروية وتقوى دائمة لله وتوكّل ومراقبة.

٢- استخدام موضوع الطلاق من أجل تسهيل فهم مقصدها المتعلق بالإيمان والتقوى واتباع أوامر الله عن طريق ربطه مع خلق السماوات والأرض وتنزيل الأمر بينهنّ من أجل أن يعلموا أن الله هو الخالق القدير المحيط بكل شيء علماً فيتقوه ويطيعوا أمره.

٣- التأكيد على ضرورة تقوى الله والتوكل عليه في العبادة والإنفاق، هي لمصلحة المؤمن كفرد والمجتمع كجماعة فالكل مستفيد بعكس التعدي والشح فهما يضران بالمؤمن كفرد وبالمجتمع كجماعة.

٤- بيان أن الله تعالى حد حدوداً وقدّر مقادير وأحدث أموراً يجب الالتزام بها، وتقوى الله في تطبيقها، لتكون دليلاً على الإيمان، وبأن الله على كل شيء قدير وأنه قد أحاط بكل شيء علماً.

---

(١) التحرير والتنوير: ٢٩٢/٢٨.

(٢) انظر: الدر المنثور: ١٨٨/٨، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي.

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٩/١.

(٤) التحرير والتنوير: ٢٩٢/٢٨.

(٥) انظر: تفسير المراغي: ١١٨/٢٨.

٥- تقرير الحكمة من بعث الله لنبيه محمد لكي يخرج الناس من الظلمات إلى النور: بأن يتلوا عليهم ماضيهم من أنباء القرى، ويأمرهم في حاضرهم بالإيمان والعمل الصالح، وينبئهم عن مستقبلهم وبما هم مقبلون عليه من الابتلاء بالأعمال والحساب والجزاء.

قال الفيروزآبادي:" معظم مقصود السورة: بيان طلاق السنة، وأحكام العدة، والتوكل على الله تعالى فى الأمور، وبيان نفقة النساء حال الحمل والرضاع، وبيان عقوبة المتعدين وعذابهم، وأن التكليف على قدر الطاقة، وللصالحين الثواب والكرامة، وبيان إحاطة العلم، والقدرة، في قوله: {لِتَعْلَمُوا } [الطلاق : ١٢] الآية"[١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة خالية عن المنسوخ. وفيها الناسخ: {وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُم} [الطلاق : ٢][٢].

- **فضائل السورة:**

- عن طاووس أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في الجمعة بسورة الجمعة و {يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ}"[٣].
- عن علي بن زيد عن ذر عن أبي قال: «من قرأ سورة {يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ} مات على سنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم»[٤].

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٩/١.
(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٩/١.
(٣) الدر المنثور: ١٨٨/٨، وعزاه إلى عبد الرزاق في المصنف وسعيد بن منصور.
(٤) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان":٣٣١/٩. [موضوع]، وانظر: فضائل القرآن للمستغفري(١٢٣٢):ص٧٨٦/٢، والكشاف: ٥٦١/٤، وتفسير البيضاوي: ٢٢٣/٥ ٢٧.

سورة «التحريم»

«سورة التحريم» هي السورة السادسة والستون بحسب الرسم القرآني، وهي معدودة الخامسة بعد المائة في عداد نزول سور القرآن نزلت بعد سورة الحجرات وقبل سورة الجمعة، وعدد آياتها اثنتا عشرة. وكلماتها مائتان وأربعون. وحروفها ألف وستون. وفواصل آياتها: «منار»، على الألف آية فحسب: {أَبْكَارًا} [التحريم : ٥] [١].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة التحريم»:**

سميت «سورة التحريم» في كتب السنة وكتب التفسير وأكثر المصاحف، ووجه تسميتها لتحريم النبي- صلى الله عليه وسلم- شيئا على نفسه، وافتتاح السورة بعتابه بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١)} [التحريم : ١].

- **ثانيا:- أسماؤها الاجتهادية:**
- **الاسم الأول والثاني والثالث: «سورة المتحرم، سورة لم تحرم، سورة التحرم»:**

وقع تسمية السورة بالاسمين الأول والثاني في الإتقان[٢]، وذكرها ابن الجوزي في تفسيره[٣]، وكذلك الألوسي[٤].

ووجه تسميتها بذلك لافتتاحها بهذا اللفظ: {لِمَ تُحَرِّمُ} [التحريم : ١]، وهو النبي-صلى الله عليه وسلم-.

وقد وقع الاسم الثالث في "الدر المنثور"، إذ أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: "نزلت سورة التحريم بالمدينة"[٥]. قال السيوطي:" ولفظ ابن مردويه: «سورة التحرم»"[٦].

- **الاسم الرابع: «سورة النبي»:**

أورده بعض المفسرين كالزمخشري[٧]، وابن الجوزي[٨]، والقرطبي[٩]، وغيرهم، كما عدها السخاوي[١٠]، والبقاعي[١١]، اسما آخر للسورة.

ووجه تسميتها بـ«سورة النبي»، لأنها ذكرت لفظ«النبي» في أول آية من آياتها في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [التحريم : ١]، وحديثها كان عن النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وذكر ابن الجوزي[١٢]، والألوسي[١٣]، أن هذه السورة تسمى «سورة النساء»، وقال الآلوسي: "إن ابن الزبير سماها «سورة النساء»"[١].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٧١/١، والتحرير والتنوير: ٣٤٣/٢٨
(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن: ٤١/١.
(٣) انظر: زاد المسير: ٣٠٢/٨.
(٤) انظر: روح المعاني: ٣٤١/١٤.
(٥) الدر المنثور: ٢١٣/٨.
(٦) الدر المنثور: ٢١٣/٨.
(٧) انظر: الكشاف: ٥٦٢/٤.
(٨) .
(٩) انظر" تفسير القرطبي: ١٧٧/١٨.
(١٠) انظر: جمال القراء: ٩٢.
(١١) انظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: ٩٩/٣.
(١٢) انظر: زاد المسير: ٣٠٢/٨.
(١٣) انظر: روح المعاني: ٣٤١/١٤.

ولم أقف عليه عند أحد من المفسرين غيرهما، وهذه الأسماء الثلاثة هي اجتهادية من المفسرين ولم يثبت فيها نص من النبي –صلى الله عليه وسلم-.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة قولان:
أحدهما: أنها أنزلت بمدينة. قاله ابن عباس(٢).
عن ابن عباس قال: نزلت سورة التحريم بالمدينة"(٣).
الثاني : أن أولها إلى تمام عشر آيات مدنية، وما بعدها أنزلت بمكة. حكي ذلك عن قتادة(٤).
قال ابن عاشور:" ولعله أراد إلى عشر آيات، أي: أن الآية العاشرة من المكي إذ من البعيد أن تكون الآية العاشرة مدنية والحادية عشرة مكية"(٥).
قال القرطبي:" سورة التحريم مدنية في قول الجميع"(٦).
قال ابن الجوزي:" هي مدنيّة كلّها بإجماعهم"(٧).
قال الفيروزآبادي:" السورة مدنية بالاتفاق"(٨).

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

١- أن سورة الطلاق في حسن معاشرة النساء والقيام بحقوقهن، وهذه السورة فيما حصل منهن مع النبي صلى الله عليه وسلم تعليما لأمته أن يحذروا أمر النساء، وأن يعاملوهن بسياسة اللين كما عاملهن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، وأن ينصحوهن نصحا مؤثرا.
٢- أن كلتيهما افتتحا بخطاب النبي صلى الله عليه وسلم.
٣- أن تلك في خصام نساء الأمة، وهذه في خصومة نساء النبي صلى الله عليه وسلم، وقد أفردن بالذكر تعظيما لمكانتهن(٩).

- **أغراض السورة ومقاصدها**

لقد تتناول موضوعات ومضامين سورة التحريم الشئون التشريعية، وتعالج قضايا وأحكاما تتعلق ببيت النبوة وبأمهات المؤمنين الطاهرات في إطار تهيئة البيت المسلم والنموذج الأكمل للأسر السعيدة، وقد احتوت السورة على ثلاثة موضوعات رئيسية، كما يأتي:

١- وجّه الله تعالى المؤمنين في سورة التحريم بوقاية أنفسهم وأهليهم من النار، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالتشديد والإغلاظ على الكفار والمنافقين، وذكر الله تعالى أيضاً أمثلة للنساء اللواتي لم يكن قربهن من العباد الصالحين عاملاً لتغييرهن إلى الأفضل، وكل ذلك زيادةً في التهديد والوعيد للتآمر الذي كان بين المتظاهرتين وإفشاء سر الزوجية، وبيان خطورة ذلك وما يترتب عليه، كما ورد

---

(١) انظر: روح المعاني: ٣٤١/١٤.
(٢) انظر: الدر المنثور: ٢١٣/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.
(٣) انظر: الدر المنثور: ٢١٣/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.
(٤) انظر: الإتقان في علوم القرآن: ٤٤/١، قال السيوطي: " وقال أبو بكر بن الأنباري: حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي حدثنا حجاج ابن منهال نبأنا هشام عن قتادة قال: "نزل في المدينة من القرآن البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وبراءة والرعد والنحل والحج والنور والأحزاب ومحمد والفتح والحجرات والحديد والرحمن والمجادلة والحشرو الممتحنة والصف والجمعة والمنافقون والتغابن والطلاق ويأيها النبي صلى الله عليه وسلم لم تحرم إلى رأس العشروإذا زلزلت وإذا جاء نصرا لله وسائر القرآن نزل بمكة".
(٥) التحرير والتنوير: ٣٤٣/٢٨.
(٦) تفسير القرطبي: ١٧٧/١٨.
(٧) زاد المسير: ٣٠٤/٤.
(٨) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٩/١.
(٩) انظر: تفسير المراغي: ١٥٤/٢٨.

في سورة التحريم تلميح بطلاق الرسول عليه الصلاة والسلام لجميع زوجاته، حيث قال الله تعالى: {عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُن} [التحريم : ٥].

٢- الإشارة إلى حادثة حقيقية حصلت مع النبي صلى الله عليه وسلم، كان فيها قد حرم على نفسه شيئاً كان الله قد أحله له. فعاتبه الله بأنه لا ينبغي المجاملة في الدين، ولا تحريم ما أحله الله، أو تحليل ما حرمه الله لأجل أي مخلوق كان، ولا ينبغي المجاملة في اتباع الحلال واجتناب الحرام، لأن الله هو مولاكم وشرع لكم الحلال والحرام بعلمه وحكمته.

٣- أكدت السورة على أنّ أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريره تعدّ من مصادر التشريع للأمة، لذلك بيّنت الآيات أنّ الامتناع عن المباح دون الاستناد إلى مصلحة معتبرة سابقة تشريعية قد يكون من الأمور التي تؤدي بالأمة إلى الوقوع في الحرج، لذا أُمر الرسول بالرجوع عمّا حرّم على نفسه.

٤- مخاطبة كل فئات الناس وأمرهم بالعمل للآخرة: ذلك بأن كل مؤمن مسؤول عن وقاية نفسه أولاً ثم وقاية وحفظ أهله بما يحفظ به نفسه ومن نار وقودها الناس والحجارة. وأن الكافرون قد خسروا بكفرهم وبما كانوا يعملون ولن ينفعهم أن يعتذروا يوم الحساب. وأن يتوب المؤمنون توبة نصوحة لكي يغفر لهم ويفوزوا بالجنة. وأن يجاهد النبيُ -وهو القائد- الكفارَ والمنافقينَ والغلظة عليهم فهؤلاء مصيرهم إلى النار.

٥- ضرب الله الأمثال بالقصص عن امرأتين مؤمنتين هما امرأة فرعون ومريم ابنة عمران حافظتا على إيمانهما تحت أصعب الظروف، وأخريان كافرتين امرأة نوح وامرأة لوط لم يؤمنا في أحسن الظروف الإيمانية وهن زوجات أنبياء مرسلين

٦- بدأت سورة التحريم بالإشارة إلى أمرين مهمين، وانتهت بالإشارة لكلا الأمرين أيضاً؛ الأول منهما ما ذكره الله تعالى في بداية السورة من أمثال الآداب المتمثلة بالثيبات والأبكار الأخيار، ثمّ عطف في آخر السورة عليها، وزاد أيضاً على ذلك أنّ الحسن يكون في الذوات والأعيان، فذكر آسيا امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران، وبيّن أنّهما في الجنة التي تعدّ دار القرار.

قال الفيروزآبادي:" عظم مقصود السورة: عتاب الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى التحريم والتحليل قبل ورود وحى سماوي، وتعيير الأزواج الطاهرات على إيذائه وإظهار سره، والأمر بالتحرز والتجنب من جهنم، والأمر بالتوبة النصوح، والوعد بإتمام النور فى القيامة، والأمر بجهاد الكفار بطريق السياسة، ومع المنافقين بالبرهان والحجة، وبيان أن القرابة غير نافعة بدون الإيمان والمعرفة، وأن قرب المفسدين لا يضر مع وجود الصدق والإخلاص، والخبر عن الفتوة، وتصديق مريم بقوله: {وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا} [التحريم : ١٢]"(١).

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة محكمة، لا ناسخ فيها ولا منسوخ (٢).

- **فضائل السورة:**

عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ سورة يا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ أعطاه الله تَوْبَةً نَصُوحاً»(٣).

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٧١/١.
(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٧١/١.
(٣) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٤٣/٩. وقد مرّ أنه حديث موضوع.

سورة «الملك»

«سورة الملك» هي السورة السابعة والستون بحسب الرسم القرآني، وهي السورة الرابعة من المجموعة الخامسة من قسم المفصل، نزلت بعد سورة الطور، وآياتها ثلاثون عند الجمهور، وإحدى وثلاثون عند المكيين. وكلماتها ثلاثمائة وثلاثون. وحروفها ألف وثلاثمائة وثلاث عشرة. والمختلف فيها آية: {قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ} [الملك : ٩]، مجموع فواصل آياتها: «تمر»، على «الميم» اثنان: {أَلِيمٍ} [الملك : ٢٨]، و{مُسْتَقِيمٍ} [الملك : ٢٢][١].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- أسماؤها التوقيفية:**
- **الاسم الأول: «سورة الملك»:**

اشتهرت تسميتها بـ«سورة التحريم» وبذلك سميت في أكثر المصاحف وكتب التفسير، كما ترجم لها الترمذي في جامعه، باب«ما جاء في فضل سورة الملك»[٢]، والحاكم في المستدرك، باب«تفسير سورة الملك»[٣].

ولم أقف على خبر مأثور عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- صرح فيه تسميتها بهذا اللفظ، وإنما وقعت تسميتها بذلك في كلام الصحابة-رضوان الله عليهم-.

عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: " يؤتى الرجل في قبره فتؤتى رجلاه فتقول رجلاه: ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقوم يقرأ بي سورة الملك، ثم يؤتى من قبل صدره أو قال بطنه، فيقول: ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقرأ بي سورة الملك، ثم يؤتى رأسه فيقول: ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقرأ بي سورة الملك، قال: فهي المانعة تمنع من عذاب القبر وهي في التوراة سورة الملك، ومن قرأها في ليلة فقد أكثر وأطنب"[٤].

وعن عبد الله بن مسعود، قال: «كنا نسميها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم المانعة، وإنها لفي كتاب الله سورة الملك من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطيب»[٥].

ووجه تسميتها بذلك لافتتاحها بتقديس وتعظيم الله نفسه الذي بيده الملك وهو في قوله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١)} [الملك : ١].

فسميت بـ«سورة الملك»، لاشتمالها على كثير من آثار المُلك، من كثرة الخيرات وعموم القدرة والإحياء والإماتة، واختبار أعمال الناس، والغلبة، والغفران، وعدم التفاوت في رعاياه، وتزيين بلاده، والقهر على الأعداء، والترحم على الأولياء، والأمن ورخص الأسعار، وألا يقدر أحد على نصر من عاداه، فهذه كلها من آثار الملك، وهذه المعاني في عامتها مما تناولته هذه السورة الكريمة؛ فمن ثم سميت سورة الملك[٦].

- **الاسم الثاني: «سورة تبارك»:**

سميت «سورة تبارك»، لافتتاحها بهذا اللفظ في قوله تعالى{تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الملك : ١]، ولم تنفرد هذه السورة بافتتاحها بهذا اللفظ، إذ افتتحت سورة «الفرقان» أيضا بلفظ «تبارك»، ولكن غلب هذا الاسم على سورة«الملك»، واشتهرت به كما ورد في كلام الرسول-صلى الله عليه وسلم-.

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٧٣/١.
(٢) انظر" كتاب فضائل القرآن:١٦٤/٥.
(٣) انظر: كتاب التفسير: ٥٤٠/٢.
(٤) المستدرك على الصحيحين(٣٨٣٩):ص٥٤٠/٢، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".
(٥) المعجم الكبير للطبراني(١٠٢٥٤):ص١٤٢/١٠، والدر المنثور: ٢٣٢/٨، وزاد نسبته إلى ابن مردويه.
(٦) انظر: تفسير المهايمي: ٣٥٣/٢، وتفسير القرآن الكريم، المقدم: ٢/١٧٧ [دروس صوتية مرقم آليا].

ورد عن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال:" سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر»[١]، وعنه -صلى الله عليه وسلم- أيضا قال:«أنزلت سورة تبارك وهي ثلاثون آية جملة واحدة»[٢].

- **الاسم الثالث: «سورة تبارك الذي بيده الملك»:**

سميت هذه السورة بسورة «تبارك الذي بيده الملك» بمسمع من رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، فيما رواه ابن عباس، قال: "ضرب بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ} [الملك : ١]، حتى ختمها، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله إني ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الملك حتى ختمها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هي المانعة، هي المنجية، تنجيه من عذاب القبر»"[٣].

وروي أبو هريرة عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، قال:" إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له، وهي سورة: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ}"[٤].

عن جابر بن عبد الله: "أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان لا ينام حتى يقرأ «آلم تنزيل»، و «تبارك الذي بيده الملك»[٥].

وعن ابن عباس أنه قال لرجل: "ألا أتحفك بحديث تفرح به قال: بلى قال اقرأ: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ}، وعلمها أهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك فإنها المنجية والمجادلة يوم القيامة عند ربها لقارئها وتطلب له أن تنجيه من عذاب النار وينجو بها صاحبها من عذاب القبر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لوددت أنها في قلب كل إنسان من أمتي"[٦].

- **الاسم الرابع: «سورة المنجية»:**

وردت هذه التسمية عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- وأصحابه-رضوان الله عليهم-، كما في الحديث الذي رواه ابن عباس-رضي الله عنهما- في قصة الرجل الذي ضرب خباءه على قبر فسمعه يقرأ سورة الملك...إلى أن قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:«هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر»[٧].

وفي "الإتقان" عن تاريخ ابن عساكر من حديث أنس-رضي الله عنه-:«أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سماها المنجية»[٨]، وذكر ابن عطية في تفسيره عن جابر بن عبدالله-رضي الله عنه- مرفوعا: «إنها لتنجي من عذاب القبر وتجادل عن حافظها حتى لا يعذب»[٩].

وعلل المفسرون تسميتها بهذا الاسم، لأنها تنجي قارئها من عذاب القبر:.

---

(١) الدر المنثور: ٢٣١/٨، وعزاه لابن مرديه.

(٢) الدر المنثور: ٢٣١/٨، وعزاه لابن مرديه.

(٣) سنن الترمذي(٢٨٩٠):ص١٦٤/٥. [حكم الألباني]: ضعيف، وإنما يصح منه قوله: «هي المانعة».

(٤) أخرجه احمد في المسند(٧٩٧٥):ص٣٥٣/١٣، والترمذي (٢٨٩١)، وأبو عبيد في "فضائل القرآن" ص ٢٦٠-٢٦١، وأبو داود (١٤٠٠)، وابن ماجه (٣٧٨٦) ، وابن الضريس في "فضائل القرآن" (٢٣٧) ، والفريابي أيضا في "فضائل القرآن" (٣٣) ، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" (٧١٠) ، وفي "الكبرى" (١١٦١٢) ، وابن حبان (٧٨٧) و (٧٨٨) ، والحاكم ٥٦١/٥، والبيهقي في "الشعب" (٢٥٠٦) ، وابن عبد البر في "التمهيد" ٢٦٢/٧ من طرق عن شعبة، به، وأخرجه بنحوه عبد بن حميد (١٤٤٥) ، والحاكم ٤٩٧/٢-٤٩٨ من طريق عمران القطان، عن قتادة، به. وصحح الحاكم إسناده ووافقه الذهبي.

(٥)أخرجه الترمذي في جامعه (٢٨٩٧): ص ٥/ ١٦٥.

(٦) الدر المنثور: ٢٣١/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد في مسنده -واللفظ له- والطبراني والحاكم وابن مردويه.

(٧) سنن الترمذي(٢٨٩٠):ص١٦٤/٥. [حكم الألباني]: ضعيف، وإنما يصح منه قوله: «هي المانعة».

(٨) الإتقان: ١٧٦/١.

(٩) المحرر الوجيز: ٣٣٧/٥.

- **ثانيا:- أسماؤها الاجتهادية:**
- **الاسم الأول «سورة تبارك الملك»:**

ورد عن ابن عباس، قال: «نزلت بمكة تبارك الملك»[١].

وردت هذه التسمية عند مقاتل بن سليمان في تفسيره[٢]، وفي فضائل القرآن لابن الضريس[٣]، كما ذكرها الفيروزآبادي في "البصائر"[٤]، والسيوطي في "الإتقان"[٥].

- **الاسم الثاني «سورة الواقية»:**

ذكر هذه التسمية عند جماعة من المفسرين مثل أبو الليث السمرقندي[٦]، والماوردي[٧]، والواحدي[٨]، والزمخشري[٩]، والقرطبي[١٠]، والبيضاوي[١١]، وغيرهم.

وقد وردت هذه التسمية عن الطبرسي في تفسيره مستدلا بحديث روي عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، قال:«إنها الواقية من عذاب القبر»[١٢].

ووجه تسميتها بذلك لأنها تقي صاحبها من عذاب القبر كما قال المفسرون.

- **الاسم الثالث «سورة المانعة»:**

سميت بسورة المانعة أخذا من حديث ابن عباس السابق وهو قول الرسول-صلى الله عليه وسلم- «هي المانعة»[١٣]، كما اخرج الطبراني عن ابن مسعود، قال:" كنا نسميه في عهد رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: المانعة"[١٤].

وجاء في "جمال القراء تسميتها بـ«المنّاعة» بصيغة المبالغة، ونقل عنه السيوطي في الإتقان وهي قريبة من معنى هذا الاسم[١٥].

ووجه تسميتها بهذا الاسم، أنها تمنع قارئها من العذاب، وهذا الاسم في التوراة، وقد شمل البقاعي تسميتها بهذه الأسماء الثلاثة: «الواقية، المنجية، المانعة»، يقول: "لأن من لزمها نجا مما يخاف ويمنع من كل هول ووقي كل محذور"[١٦].

- **الاسم الرابع «سورة المجادلة»:**

سماها بذلك ابن عباس في اثر أنه قال لرجل:" عن ابن عباس أنه قال لرجل: ألا أتحفك بحديث تفرح به قال: بلى قال اقرأ {تبارك الذي بيده الملك} وعلمها أهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك فإنها المنجية والمجادلة يوم القيامة عند ربها لقارئها..."[١].

---

(١) الدر المنثور: ٢٣٠/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والبخاري وابن مردويه والبيهقي.
(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٢٩/٢/ ٢٣٥/٣.
(٣) انظر: فضائل القرآن: ٣٣.
(٤) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٩٩/١.
(٥) انظر الإتقان في علوم القرآن: ٣٢٣/١.
(٦) انظر: بحر العلوم: ٤٧٣/٣.
(٧) انظر: النكت والعيون: ٥٨/٦.
(٨) انظر: التفسير البسيط: ٤٧٩/٢.
(٩) انظر: الكشاف: ٥٧٤/٤.
(١٠) انظر: تفسير القرطبي: ٢٠٥/١٨.
(١١) انظر: تفسير البيضاوي: ٢٢٨/٥.
(١٢) انظر: تفسير الطبرسي: ٤/٢٩. ولك أجد الحديث
(١٣) سنن الترمذي(٢٨٩٠):ص١٦٤/٥. [حكم الألباني]: ضعيف، وإنما يصح منه قوله: «هي المانعة».
(١٤) المعجم الكبير للطبراني(١٠٢٥٤):ص١٤٢/١٠، والدر المنثور: ٢٣٢/٨، وزاد نسبته إلى ابن مردويه.
(١٥) نقلا عن: التحرير والتنوير: ٦/٢٩.
(١٦) جمال القراء: ٢١٦/٢٠.

ووجه تسميتها بهذا الاسم، لأنها تجادل عن قارئها يوم القيامة، كما روي جابر بن عبدالله-رضي الله عنه-:

وذكر الرازي أن ابن عباس:" كان يسميها المجادلة، لأنها تجادل عن قارئها في القبر، وهي ثلاثون آية مكية"(٢). ولم أره لغير الفخر.

ويجدر القول بأن هذه الأسماء الأربعة: «تبارك الملك، الواقية، المانعة، المجادلة»، هي أوصاف وصف بها رسول الله-صلى الله عليه وسلم- كما جاء في الأحاديث والآثار عن الصحابة-رضوان الله عليهم-، ولم يصرح فيها بأنها أسماء للسورة.

وقد ذكر الفيروزآبادي أسماء أخر لهذه السورة منها:

- **الدافعة:** وعلل تسميتها، بأنها تدفع بلاء الدنيا وعذاب الآخرة عن قارئها.
- **الشافعة:** لأنها تشفع في القيامة لقارئها.
- **المخلّصة:** لأنها تخاصم زبانية جهنم، لئلا يكون لهم يد على قارئها، وتفرد الفيروزآبادي بذكر هذه الأسماء ولم يذكر مستندا صحيحا يدل عليه(٣).

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: نزلت بمكة: تبارك الملك(٤).

وروي الضحاك عن ابن عباس، قال:" أنزلت تبارك الملك في أهل مكة إلا ثلاث آيات(٥).

قال ابن عاشور:" فيحتمل أن الضحاك عنى استثناء ثلاث آيات نزلت في المدينة. وهذا الاحتمال هو الذي يقتضيه إخراج صاحب «الإتقان» هذا النقل في عداد السور المختلف في بعض آياتها، ويحتمل أن يريد أن ثلاث آيات منها غير مخاطب بها أهل مكة، وعلى كلا الاحتمالين فهو لم يعين هذه الآيات الثلاث وليس في آيات السورة ثلاث آيات لا تتعلق بالمشركين خاصة بل نجد الخمس الآيات الأوائل يجوز أن يكون القصد منها الفريقين من أول السورة إلى قوله: عذاب السعير [الملك: ٥]"(٦).

قال الألوسي:" هي مكية على الأصح. وقيل غير ثلاث آيات منها وأخرج ابن جويبر في تفسيره عن الضحاك عن ابن عباس، وفي قول غريب إنها مدنية"(٧).

قال القرطبي:" سورة الملك مكية في قول الجميع"(٨).

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها- أنه لما ضرب مثلا للكفار بتينك المرأتين اللتين قدر لهما الشقاء وإن كانتا تحت عبدين صالحين، ومثلا للمؤمنين بآسية ومريم وقد كتب لهما السعادة وإن كان أكثر قومهما كفارا- افتتح هذه السورة بما يدل على إحاطة علمه عز وجل وقهره وتصرفه فى ملكه على ما سبق به قضاؤه(٩).

- **أغراض السورة ومقاصدها**

---

(١) الدر المنثور: ٢٣١/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد في مسنده -واللفظ له- والطبراني والحاكم وابن مردويه.
(٢) مفاتيح الغيب، للرازي: ٥٧٧/٣٠.
(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٧٣/١.
(٤) انظر: الدر المنثور: ٢٣٠/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والبخاري وابن مردويه والبيهقي.
(٥) انظر: الدر المنثور: ٢٣٠/٨، وعزاه إلى ابن جرير.
(٦) التحرير والتنوير: ٧/٢٩.
(٧) روح المعاني: ٣/١٥.
(٨) تفسير القرطبي: ٢٠٥/١٨.
(٩) انظر: تفسير المراغي: ٣/٢٩.

إن الأغراض التي في هذه السورة جارية على سنن الأغراض في السور المكية، فهي تدور حول معنى واحد هو: «اعرف قدر الله» والآيات في السورة كلها تتحدث عن قدرة الله تعالى والملك بيد الله.

١- سورة المُلك من السور المكية، شأنها شأن سائر السور المكية، التي تعالج موضوع العقيدة في أصولها الكبرى، وقد تناولت هذه السورة أهدافاً رئيسية ثلاثة وهي إثبات عظمة الله وقدرته على الإحياء والإماتة .. وإقامة الأدلة والبراهين على وحدانية رب العالمين .. ثم بيان عاقبة المكذبين الجاحدين للبعث والنشور.
٢- ابتدأت السورة الكريمة بتوضيح الهدف الأول، فذكرت أن الله جل وعلا بيده المُلك والسلطان، وهو المهيمن على الأكوان، الذي تخضع لعظمته الرقاب وتعنو له الجباه، وهو المتصرف في الكائنات بالخلق والإيجاد، والإحياء والإماتة: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الملك : ١].
٣- ثم تحدثت عن خلق السماوات السبع، وما زيّن الله به السماء الدنيا من الكواكب الساطعة، والنجوم اللامعة، وكلها أدلة على قدرة الله ووحدانيته: {الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ} [الملك : ٣].
٤- ثم تناولت الحديث عن المجرمين بشيءٍ من الإسهاب، وهم يرون جهنم تتلظى وتكاد تتقطع من شدة الغضب والغيظ على أعداء الله، وقارنت بين مآل الكافرين والمؤمنين، على طريقة القرآن في الجمع بين الترهيب والترغيب: {إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ} [الملك : ٧].
٥- وبعد أن ساقت بعض الأدلة والشواهد على عظمة الله وقدرته، حذّرت من عذابه وسخطه أن يحل بأولئك الكفرة الجاحدين: {أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ} [الملك : ١٦].
٦- وبخهم على استعجالهم موت النبيء صلى الله عليه وسلم ليستريحوا من دعوته، وأوعدهم بأنهم سيعلمون ضلالهم حين لا ينفعهم العلم، وأنذرهم بما قد يحل بهم من قحط وغيره.
٧- وختمت السورة الكريمة بالإنذار والتحذير للمكذبين بدعوة الرسول، من حلول العذاب بهم في الوقت الذي كانوا يتمنون فيه موت الرسول وهلاك المؤمنين: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} [الملك : ٢٨]؟ ويا له من وعيد شديد، ترتعد له الفرائص!!

قال الفيروزآبادي:" معظم مقصود السورة: بيان استحقاق الله الملك، وخلق الحياة والموت للتجربة، والنظر إلى السماوات للعبرة، واشتعال النجوم والكواكب للزينة، وما أعد للمنكرين: من العذاب، والعقوبة، و ما وعد به المتقون: من الثواب، والكرامة، وتأخير العذاب عن المستحقين بالفضل والرحمة، وحفظ الطيور فى الهواء بكمال القدرة، واتصال الرزق إلى الخليقة، بالنوال والمنة، وبيان حال أهل الضلالة، والهداية، وتعجل الكفار بمجىء القيامة، وتهديد المشركين بزوال النعمة بقوله: {فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ} [الملك : ٣٠]"(١).

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة محكمة، لا ناسخ فيها ولا منسوخ (٢).

- **فضائل السورة:**

- عن ابن عباس، قال: "ضرب بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ} [الملك : ١]، حتى ختمها، فأتى

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٧٣/١-٤٧٤.
(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٧٤/١.

النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله إني ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الملك حتى ختمها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هي المانعة، هي المنجية، تنجيه من عذاب القبر»"[١].

- وروي أبو هريرة عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، قال:" إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له، وهي سورة: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْك}"[٢].
- عن جابر بن عبد الله: "أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان لا ينام حتى يقرأ «آلم تنزيل»، و «تبارك الذي بيده الملك»[٣].

(١) سنن الترمذي(٢٨٩٠):ص١٦٤/٥. [حكم الألباني]: ضعيف، وإنما يصح منه قوله: «هي المانعة».
(٢) أخرجه احمد في المسند(٧٩٧٥):ص٣٥٣/١٣، والترمذي (٢٨٩١)، وأبو عبيد في "فضائل القرآن" ص ٢٦٠-٢٦١، وأبو داود (١٤٠٠)، وابن ماجه (٣٧٨٦) ، وابن الضريس في "فضائل القرآن" (٢٣٧) ، والفريابي أيضا في "فضائل القرآن" (٣٣) ، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" (٧١٠) ، وفي "الكبرى" (١١٦١٢) ، وابن حبان (٧٨٧) و (٧٨٨) ، والحاكم ٥٦١/٥، والبيهقي في "الشعب" (٢٥٠٦) ، وابن عبد البر في "التمهيد" ٢٦٢/٧ من طرق عن شعبة، به، وأخرجه بنحوه عبد بن حميد (١٤٤٥) ، والحاكم ٤٩٧/٢-٤٩٨ من طريق عمران القطان، عن قتادة، به. وصحح الحاكم إسناده ووافقه الذهبي.
(٣)أخرجه الترمذي في جامعه (٢٨٩٧): ص ٥/ ١٦٥.

سورة «القلم»

«سورة القلم» هي السورة الثامنة والستون بحسب الرسم القرآني، وهي السورة الخامسة والأخيرة من المجموعة الخامسة من قسم المفصل، نزلت بعد سورة العلق، عدد آياتها اثنتان وخمسون. وكلماتها ثلاثمائة. وحروفها ألف ومائتان وست وخمسون. فواصل آياتها: «من»[(١)].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة القلم»:**

سميت «سورة القلم» في كتب السنة وكتب التفسير والمصاحف، ووجه تسميتها لافتتاحها بما أقسم الله تعالى به وهو قوله تعالى: {نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١)} [القلم : ١]، وقد ورد لفظ«القلم» في سورة العلق ، قال تعالى: {الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ} [العلق : ٤]، وجاءت بلفظ الجمع في سورة آل عمران في قوله: {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ} [آل عمران : ٤٤] ، وفي سورة لقمان، قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [لقمان : ٢٧]، .

- **ثانيا:- أسماؤها الاجتهادية:**
- **الاسم الأول: «سورة "ن"»:**

سميت سورة«ن»، وعنونت بها في بعض المصاحف وبعض كتب التفسير، فسميت هذه السورة بالحرف المفرد الذي افتتحت به مثل ما سميت سورة«ص»، وسورة «ق».

- **الاسم الثاني: «سورة "ن والقلم"»:**

وردت هذه التسمية في كلام ابن عباس-رضي الله عنهما[(٢)]، كما عنون لها بعض المفسرين في كتبهم[(٣)]، وترجم لها البخاري في صحيحه[(٤)]، وكذلك الحاكم في مستدركه[(٥)].

وهذان الاسمان(سورة «ن»، وسورة«ن والقلم» هما اسمان اجتهاديان، لم يردا عن النبي –صلى الله عليه وسلم-.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة قولان:

أحدهما: أنها أنزلت بمكة. قاله ابن عباس[(٦)]، والحسن[(٧)]، وعكرمة[(٨)]، وعطاء[(٩)]، وجابر[(١٠)].

عن ابن عباس قال: نزلت سورة {ن والقلم} بمكة"[(١١)].

الثاني : أنها مكية إلا قوله عزّ وجلّ: {إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ} [القلم : ١٧] إلى قوله عزّ وجلّ: {لَوْ كَانُوا يَعْلَمُون} [القلم : ٣٣]، نزلت بالمدينة. حكي هذا القول عن ابن عباس[(١٢)]، وقتادة[(١)].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٧٦/١.
(٢) الدر المنثور: ٢٤٠/٨، وعزاه إلى النحاس وابن مردويه والبيهقي. كما سيأتي في مكان نزول السورة.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٥/٢٣، وتأويلات أهل السنة: ١٣٤/١٠، والمحرر الوجيز: ٣٥٥/٥، وتفسير القرطبي: ٢٢٢/١٨.
(٤) انظر: صحيح البخاري: ١٥٩/٦.
(٥) انظر: المستدرك: ٥٤٠/٢.
(٦) انظر: الدر المنثور: ٢٤٠/٨، وعزاه إلى النحاس وابن مردويه والبيهقي.
(٧) انظر: النكت والعيون: ٥٩/٦، وتفسير القرطبي: ٢٢٢/١٨.
(٨) انظر: النكت والعيون: ٥٩/٦، وتفسير القرطبي: ٢٢٢/١٨.
(٩) انظر: النكت والعيون: ٥٩/٦، وتفسير القرطبي: ٢٢٢/١٨.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ٥٩/٦، وتفسير القرطبي: ٢٢٢/١٨.
(١١) الدر المنثور: ٢٤٠/٨، وعزاه إلى النحاس وابن مردويه والبيهقي.
(١٢) انظر: زاد المسير: ٣١٨/٤.

وذكر الماوردي عن ابن عباس:" من أولها إلى قوله سبحانه: {سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ} [القلم : ١٦] مكي، ومن بعد ذلك إلى قوله تعالى: {لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [القلم : ٣٣]، مدني، ومن بعد ذلك إلى قوله: {يَكْتُبُونَ} [القلم : ٤٧] مكي، ومن بعد ذلك إلى قوله: {مِنَ الصَّالِحِينَ} [القلم : ٥٠] مدني، وباقي السورة مكي [٢].

قال السمعاني:" هي مكية في قول الأكثرين"[٣].

قال ابن عطية:" هي مكية، ولا خلاف فيها بين أحد من أهل التأويل"[٤].

فهذه السورة من أوائل ما نزل من القرآن بمكة، فقد نزلت: «اقرأ باسم ربك» ثم هذه، ثم المزمل، ثم المدثر كما روى عن ابن عباس[٥].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

١- إنه ذكر في آخر «الملك» تهديد المشركين بتغوير الأرض، وذكر هنا ما هو كالدليل على ذلك وهو ثمر البستان الذي طاف عليه طائف فأهلكه وأهلك أهله وهم نائمون.

٢- إنه ذكر فيما قبل أحوال السعداء والأشقياء، وذكر قدرته الباهرة وعلمه الواسع، وأنه لو شاء لخسف بهم الأرض أو أرسل عليهم حاصبا، وكان ما أخبر به هو ما أوحى به إلى رسوله، وكان المشركون ينسبونه فى ذلك مرة إلى الشعر وأخرى إلى السحر وثالثة إلى الجنون- فبرأه الله فى هذه السورة مما نسبوه إليه، وأعظم أجره على صبره على أذاهم وأثنى على خلقه[٦].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

من مقاصد السورة الكريمة:

١- الدفاع عن النبيّ -صلى الله عليه وسلم- وصدِّ الكفار والمشركين وردِّ أذاهم عنه .

٢- تبرئة رسول الله من التهم المزعومة والباطلة التي كان الكفار يوجهونها إليه ويطعنوه بها، حيثُ يقول تعالى: {مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤) فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (٥)} [القلم : ٢ - ٥].

٣- الحديث عن عقوبة مانعي الزكاة الذين لا ينفقون زكاة أموالهم كما أمرهم الله تعالى، والإشارة إلى عذاب الله الذي ينتظرهم .

٤- تهديد المجرمين والمكذبين برسالة الإسلام ودعوة رسول الله بعاقبة السوء وبعذاب الله تعالى يوم القيامة .

٥- دعوة النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى الصبر مشيرةً السورة إلى تسرع النبيّ يونس وتخليه عن صبره كما أشار إلى ذلك سبحانه وتعالى .

٦- فضحُ الكافرين في إعراضهم عن دعوة الحق وكلام النبي أملًا منهم في الوصول إلى اتفاق يجمع بين عقيدتهم والعقيدة الإسلامية، قال تعالى: {وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ} [القلم : ٩].

٧- إظهار ملامح العرب في ذلك العصر الذي بزغت في شمس الدعوة الإسلامية .

٨- الحديث عن أصحاب الجنة الذين ضربَ الله تعالى قصّتهم مثلًا للمؤمنين وقد أدرج تلك القصة في ١٧ آية لأخذ العبرة منها .

---

(١) انظر: زاد المسير: ٣١٨/٤.

(٢) انظر: النكت والعيون: ٥٩/٦، وتفسير القرطبي: ٢٢٢/١٨، والتحرير والتنوير: ٥٧/٢٩-٥٨.

(٣) تفسير السمعاني: ١٦/٦.

(٤) المحرر الوجيز: ٣٤٥/٥.

(٥) انظر: الدر المنثور: ٢٤٠/٨، وعزاه إلى ابن الضريس.

(٦) انظر: تفسير المراغي: ٢٦/٢٩.

٩- فضح أساليب الكفار في الرد على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذ يقول تعالى: {وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ} [القلم : ٥١]، وهذا من ضعفهم وإفلاسهم وعدم امتلاكهم الحجة.

قال الفيروزآبادي:" معظم مقصود السورة: الذب عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعذاب ما نعى الزكاة، وتخويف الكفار بالقيامة، وتهديد المجرمين بالاستدراج، وأمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالصبر، والإشارة إلى حال يونس عليه السلام فى قلة الصبر، وقصد الكفار رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوه بالعين في : {لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ} [القلم : ٥١]، الآية"[١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

فيها من المنسوخ آيتان: {فَذَرْنِي } [القلم : ٤٤] م، {فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ} [القلم : ٤٨] م آية السيف [٢].

- **فضائل السورة:**

عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ سورة ن وَالْقَلَمِ أعطاه الله تعالى ثواب الذين حسّن الله أخلاقهم»[٣].

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٧٦/١.
(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٧٦/١.
(٣) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٥/١٠، وانظر: مجمع البيان: ١٠/ ٨٢، [حديث موضوع].

سورة «الحاقة»

«سورة القلم» هي السورة التاسعة والستون بحسب الرسم القرآني، وهي إحدى سور المُفصّل، وقد نزلت بعد «سورة الملك»، وآياتها إحدى وخمسون في عد البصرة والشام، واثنتان في عد الباقين. وكلماتها مائتان وخمس وخمسون. وحروفها ألف وأربعمائة وثمانون. والمختلف فيها آيتان: {الحآقة} الأولى { بِشِمَالِهِ } [الحاقة : ٢٥]. مجموع فواصل آياتها: «نم له»، على اللام منها آية واحدة: {بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ} [الحاقة : ٤٤][١].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة الحاقة»:**

الحاقة من أسماء الساعة والقيامة، سميت «الحاقة»، لأنها تحق كل إنسان بعمله من خير وشر، وقيل سميت حاقة لأنه فيها حواق الأمور والثواب[٢].

وعرّفت هذه السورة باسم«سورة الحاقة»، وعنون بها في المصاحف وكتب السنة والتفسير، وقد وقعت تسميتها في عهد النبي-صلى الله عليه وسلم-، فيما اخرجه الإمام أحمد أن عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-، قال:" خرجت أتعرض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل أن أسلم، فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فقمت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة، فجعلت أعجب من تأليف القرآن، قال فقلت: هذا والله شاعر كما قالت قريش، قال: فقرأ ({إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ , وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ, قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ} قال: قلت: كاهن، قال: {وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ, تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ,وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ,لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ,ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ,فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ} إلى آخر السورة، قال: فوقع الإسلام في قلبي كل موقع"[٣].

ووجه تسميتها «سورة الحاقة»، لافتتاحها بها وتكرارها فيها، قال تعالى: {الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣)} [الحاقة : ١ - ٣]، إذ وقعت هذه الكلمة في أولها ولم تقع في غيرها من سور القرآن.

- **ثانيا:- أسماؤها الاجتهادية:**
- **الاسم الأول: «السلسة»:**

وردت هذه التسمية عند الفيروزآبادي، معللا تسميتها بذلك لوقوع الكلمة: «سلسلة» في قوله تعالى: {ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ} [الحاقة : ٣٢] [٤]، ولم يرد عن هذا الاسم أثر صحيح.

- **الاسم الثاني: «سورة الواعية»:**

ذكر ابن عاشور أن الجعبري سماها في منظومته في ترتيب نزول السور«الواعية»، قال ابن عاشور:" ولعله أخذه من وقوع قوله: {وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ} [الحاقة : ١٢]، ولم أر له سلفا في هذه التسمية"[٥].

وهذان الاسمان «السلسلة، والواعية» من اجتهاد بعض العلماء استنبطوها من ألفاظ وقعت في السورة، ولم تثبت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس قال: "نزلت سورة الحاقة بمكة"[٦]، وروي عن ابن الزبير مثله[١].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٧٨/١.

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء: ١٧٩/٣، ومعاني القرآن للزجاج: ٢١٣/٥.

(٣) المسند(١٠٧):ص٢١١/١-٢١٢. قال المحقق السيد أحمد شاكر:" إسناده ضعيف لانقطاعه وستأتي لشريح رواية مرسلة عن علي أيضا بهذا الإسناد ٨٩٦، شريح بن عبيد الحمصي: تابعي متأخر، لم يدرك عمر. في ح "ابن عبيدة" وهو خطأ".

(٤) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٧٨/١.

(٥) التحرير والتنوير: ١١٠/٢٩.

(٦) الدر المنثور: ٢٦٣/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

قال ابن عطية:" هي مكية بالإجماع"[٢].
قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلّها بإجماعهم"[٣].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

١- إنه وقع في سورة «ن» ذكر يوم القيامة مجملا، وهنا فصل نبأه وذكر شأنه العظيم.
٢- إنه ذكر فيما قبلها من كذب بالقرآن وما توعده به، وهنا ذكر أحوال أمم كذبوا الرسل وما جرى عليهم، ليزدجر المكذبون المعاصرون له عليه الصلاة والسلام[٤].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

من مقاصد السورة الكريمة:
١- الإخبار عن أهوال يوم القيامة العظيمة التي ستحلُّ بالسموات والأرض في ذلك اليوم المشهود، وتتحدّثُ عن أحوال الكفّار الذينَ لم يؤمنوا بالرسالات التي أنزلها الله تعالى على رسله وأنبيائه وتبيّنُ العذاب والعقاب الذي سيحيقُ بهم، قال -سبحانه وتعالى: {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥)} [الحاقة : ١٣ - ١٥]، كما تشيرُ إلى التغيُّرات التي ستضربُ الكون بأكمله وتغيّرُ من معالمه.
٢- بيان أحوال الكافرين والمؤمنين يوم القيامة عند الحساب، فتصوّر المؤمنين في نعيم دائم وسعادة بالغة لا حصر لها، والكافرين في شقاء وعذاب مخيف لا يخفّف عنهم ولا هم عنه يُصرفون، فقال تعالى واصفًا أحوال المؤمنين: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٢١)} [الحاقة : ١٩ - ٢١]، وفي وصف أحوال الكافرين يقول تعالى: {خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢)} [الحاقة : ٣٠ - ٣٢].
١- التأكيد على صدق دعوة الرسول -صلى الله عليه وسلم- وصدق الرسالة التي يحملها إلى البشر، وتوجّهُ ردًا قاسيًا إلى الكافرين الذين يدعون أنّ القرآن كلام شعر أو كهانة، وتثبتُ الآيات الكريمة في سورة الحاقة كذبهم وبطلان اتهاماتهم، قال تعالى: {وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ (٤٩) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥١) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٥٢)} [الحاقة : ٤٨ - ٥٢]، وتعظِّمُ من شأن ومكانة القرآن الكريم في النهاية.

قال الفيروزآبادي:" معظم مقصود السورة: الخبر عن صعوبة القيامة، والإشارة بإهلاك القرون الماضية، وذكر نفخة الصور، وانشقاق السماوات، وحال السعداء والأشقياء وقت قراءة الكتب، وذل الكفار مقهورين فى أيدى الزبانية، ووصف الكفار القرآن بأنه كهانة وشعر، وبيان أن القرآن تذكرة للمؤمن، وحسرة للكافر، والأمر بتسبيح الركوع في قوله: {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} [الحاقة : ٥٢]"[٥].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة محكمة، خالية عن الناسخ والمنسوخ[٦].

- **فضائل السورة:**

- عن أبي برزة:" أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الفجر بالحاقة ونحوها"[٧].

---

(١) انظر: الدر المنثور: ٢٦٣/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٢) المحرر الوجيز: ٣٥٦/٥.
(٣) زاد المسير: ٣٢٨/٤.
(٤) انظر: تفسير المراغي: ٤٩/٢٩.
(٥)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٧٨/١.
(٦) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٧٨/١.
(٧) الدر المنثور: ٢٦٣/٨، وعزاه إلى الطبراني.

- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حِساباً يَسِيراً»[1].[ضعيف]
- عن فضالة بن شريك عن أبي الزاهرية، قال: سمعته يقول: "من قرأ إحدى عشرة آية من سورة الحاقة أجير من فتنة الدجال، ومن قرأها كان له نورا من فوق رأسه إلى قدمه"[2].[ضعيف]

---

(١) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٥/١٠.
(٢) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٥/١٠.

سورة «المعارج»

«سورة المعارج» هي السورة السبعون في ترتيب المصحف، أما ترتيبها في النزول فهي السورة الثامنة والسبعون، وكان نزولها بعد سورة «الحاقة» وقبل سورة «النبأ»، وآياتها ثلاث وأربعون في عد الشام، وأربع في عد الباقين. كلماتها مائتان وثلاث عشرة. وحروفها سبعمائة وسبع وخمسون. المختلف فيها آية: {أَلْفَ سَنَةٍ} [المعارج : ٤]، فواصل آياتها: «جعلناهم»، على الميم: {مَعْلُومٌ} [المعارج : ٢٤]، و{وَالْمَحْرُومِ} [المعارج : ٢٥]، وعلى الجيم: {الْمَعَارِجِ} [المعارج : ٣]، وعلى اللام: {كَالْمُهْلِ} [المعارج : ٨][(١)].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة المعارج»:**

اشتهرت تسميتها بسورة «المعارج»، وسميت بها في معظم المصاحف وكتب التفسير، ووجه تسميتها لقوله تعالى: {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ} [المعارج : ٤]، أي: تصعد إليه الملائكة وجبريل الأمين الذي خصه الله بنقل الوحي إلى الأنبياء والرسل عليهم السلام، وخصه بالذكر لشرفه وفضل منزلته، وهو المسمّى بالروح في قوله تعالى: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ} [الشعراء: ١٩٣][(٢)].

وقد ورد لفظ: «المعارج»، أيضا في سورة «الزخرف»، قال تعالى: {وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ} [الزخرف : ٣٣].

- **ثانيا:- أسماؤها الاجتهادية:**
- **الاسم الأول: سورة «سال سائل» أو «سأل»:**

عرفت تسمية السورة بهذا الاسم في عهد الصحابة-رضوان الله تعالى عليهم-، وعنونت بذلك في بعض كتب التفسير[(٣)]، والسنة، ووجه تسميتها بذلك لأنها افتتحت بها السورة في قوله تعالى: {سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ} [المعارج : ١]، ولم يرد مثلها في غيرها من سور القرآن.

- **الاسم الثاني: سورة «الواقع»:**

وردت هذه التسمية في بعض كتب علوم القرآن، وعلّ الفيروزآبادي تسميتها بذلك لوقوع هذا اللفظ في {بِعَذَابٍ وَاقِعٍ} [المعارج : ١][(٤)].

وذكرها الألوسي في تفسيره بلفظ: «المواقع»[(٥)].

- **الاسم الثالث: سورة «ذي المعارج»:**

ذكر هذه التسمية الفيروزآبادي[(٦)]، ولعل وجه تسميتها بذلك يعود لقوله تعالى: {مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ} [المعارج : ٣].

وهذه التسميات مقتبسة من كلمات وقعت في الآيتين الأولى والثانية من السورة، وبذلك هي أسماء اجتهادية، وليست توقيفية، إذ يلزم من ذلك أن تسمى أي سورة من سور القرآن الكريم بكثير من بعض الكلمات التي جاءت فيها، أضف إلى ذلك عدم ورود احاديث تعزز مثل هذه الأسماء.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس، قال: نزلت سورة سأل بمكة"[(١)]، وروي عن ابن الزبير مثله[(٢)].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٠/١.
(٢) انظر: التفسير المنير: ١٠٩/٢٩.
(٣) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٥٩٦/٢٣، وتفسير ابن أبي زمنين: ٣٤/٥، والكشف والبيان: ٣٤/١٠، وتفسير ابن كثير:٢٢٠/٨.
(٤) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٠/١.
(٥) انظر: روح المعاني: ٦٢/١٥.
(٦) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٠/١.

قال ابن عطية:" هي مكية لا خلاف بين الرواة في ذلك"[٣].
قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلّها بإجماعهم"[٤].
قال القرطبي:" هي مكية باتفاق"[٥].
وقال الألوسي :"وفي مجمع البيان عند الحسن إلا قوله تعالى: {وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ} [المعارج: ٢٤]"[٦].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

نزلت هذه السورة بعد «الْحَاقَّةُ»، وهي كالتتمة لها في بيان أوصاف يوم القيامة والنار، وأحوال المؤمنين والمجرمين في الآخرة [٧].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

١- تدور مقاصد سورة المعارج في بداية السورة حول عصيان أهل مكة المكرمة واستهزائهم بالعذاب الذي توعّد الله تعالى به الكافرين والمشركين، إضافةً إلى معاندتهم ومكابرتهم وعلى رأسهم النضر بن الحارث الذي دعا على نفسه وعلى أهله وقومه بالهلاك، قال تعالى في محكم التنزيل: {إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا (٧)} [المعارج : ٦ - ٧].

٢- ومن مقاصد سورة المعارج أيضًا أنّها تبيّنُ مصير المجرمين والكفار والعذاب الذي أعده الله تعالى لهم، وذلك وعيد من الله، قال تعالى: {يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢)} [المعارج : ١١ - ١٢]، وتصفُ بعد ذلك النار التي أعدّها لهم الله تعالى، قال تعالى: {كَلَّا إِنَّهَا لَظَى (١٥) نَزَّاعَةً لِلشَّوَى (١٦) تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى (١٧) وَجَمَعَ فَأَوْعَى (١٨)} [المعارج : ١٥ - ١٨]، وهذه النار ستنادي على الكافر ليأتي وينالَ جزاءه يوم القيامة.

٣- ومن مقاصد السورة أنّها توضّح طبيعة الإنسان وتذكرُ صفاته الطبيعية من جزع عند المصيبة، وعدم شكر الله تعالى على نعمه، إلا من رحمَ الله، وهم المؤمنون الحقيقيون الذين ذكرَ الله صفاتهم بعد ذلك، قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (٢٦) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٢٧)} [المعارج : ٢٤ - ٢٧].

٤- ثمَّ ختمت مقاصد سورة المعارج الحديث بالإشارة إلى الطمع الموجود عند الكفّار والمجرمين لدخول الجنةِ رغمَ كفرهم وتكذيبهم للرسل والأنبياء، وفي النهاية تتوعدهم بعذابٍ أليم في ذلك اليوم الموعود، قال تعالى: {يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (٤٤)} [المعارج : ٤٣ - ٤٤].

قال الفيروزآبادي:" مقصود السورة: بيان جرأة الكافر في استعجال العذاب، وطول القيامة وهولها، وشغل الخلائق في ذلك اليوم المهيب، واختلاف حال الناس في الخير والشر ومحافظة المؤمنين على خصال الخير، وطمع الكفار في غير مطمع، وذل الكافرين في يوم القيامة في قوله: {تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ} [المعارج : ٤٤] "[٨].

- **الناسخ والمنسوخ:**

---

(١) الدر المنثور: ٢٧٧/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.
(٢) انظر: الدر المنثور: ٢٧٧/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٣) المحرر الوجيز: ٣٦٤/٥.
(٤) زاد المسير: ٣٣٥/٤.
(٥) تفسير القرطبي: ٢٧٨/١٨.
(٦) روح المعاني: ٦٢/١٥.
(٧) انظر: تفسير المراغي: ٦٥/٢٩، والتفسير المنير للزحيلي: ١٠٩/٢٩.
(٨)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٠/١.

فيها من المنسوخ آيتان: م {فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا} [المعارج : ٥]، م{فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ} [المعارج : ٤٢] نسختا بآية السيف[١].

- **فضائل السورة:**

– عن الماجشون، قال: سمعت أبان بن عثمان:" قرأ في كسوف: {سَأَلَ سَائِلٌ} [المعارج: ١] " الآية"[٢].

– عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "من قرأ سورة سَأَلَ سائِلٌ أعطاه الله ثواب: «الَّذِينَ هُمْ لِأَماناتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ راعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلى صَلَواتِهِمْ يُحافِظُونَ»"[٣].[موضوع]

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٠/١.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة(٨٣٢٦):ص٢٢٠/٢.

(٣) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٥/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ١٠/ ١١٦. [موضوع]

سورة «نوح»

«سورة نوح» هي السورة الحادية والسبعون في القرآن الكريم، وقد نزلت بعد «سورة النحل»، وآياتها ثمان وعشرون في عد الكوفة، وتسع في عد البصرة والشام، وثلاثون عند الباقين. وكلماتها مائتان وأربع وعشرون. وحروفها تسعمائة وتسع وخمسون. والمختلف فيها أربع: {سُوَاعًا } [نوح : ٢٣]، {وَنَسْرًا} [نوح : ٢٣]، {وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا} [نوح : ٢٤]، {فَأُدْخِلُوا نَارًا} [نوح : ٢٥]. فواصل آياتها: «منا»، على الميم آية: {أَلِيمٌ} [نوح : ١][(١)].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة نوح»:**

بهذا الاسم اشتهرت هذه السورة، وكتبت في المصاحف وكتب التفسير والسنة، ووجه تسميتها بذلك لذكره-عليه الصلاة والسلام- وقصته مع قومه في مفتتح السورة ومختتمها، كما قال تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [نوح : ١].

قال المهايمي:" سميت به لاشتمالها على تفاصيل دعوته وأدعيته"[(٢)].

وقد ورد اسم النبي نوح-عليه الصلاة والسلام- في كثير من سور القرآن الكريم[(٣)].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٢/١.
(٢) تفسير المهايمي: ٣٦٦/٢.
(٣) مثل قوله تعالى:
- {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ} [آل عمران : ٣٣]
- {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا} [النساء : ١٦٣]
- {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} [الأنعام : ٨٤]
- {لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} [الأعراف : ٥٩]
- {أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الأعراف : ٦٩]
- {أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [التوبة : ٧٠]
- {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ} [يونس : ٧١]
- {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ} [هود : ٢٥]
- {قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} [هود : ٣٢]
- {وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [هود : ٣٦]
- {وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ} [هود : ٤٢]
- {وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ} [هود : ٤٥]
- {قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [هود : ٤٦]
- {قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ} [هود : ٤٨]
- {وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ} [هود : ٨٩]
- {أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ} [إبراهيم : ٩]

- **ثانيا:- أسمها الاجتهادي: سورة «إنا أرسلنا نوحا»:**

ترجم لها البخاري في كتاب التفسير من صحيحه، «إنا أرسلنا»، ولعله كان الشائع في كلام السلف تسميتها بأول آية بها، كما ورد عن ابن الزبير-رضي الله عنه-، قال:"نزلت سورة «إنا أرسلنا نوحا» بمكة"[(١)].

ولم يثبت عن النبي-صلى الله عليه وسلم- هذه التسمية، فهو اجتهادي.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس، قال: نزلت سورة نوح بمكة"[(٢)]، وروي عن ابن الزبير مثله[(٣)].

قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع من المتأولين"[(٤)].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلّها بإجماعهم"[(٥)].

- {ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} [الإسراء : ٣]
- {وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا} [الإسراء : ١٧]
- {أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا} [مريم : ٥٨]
- {وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ} [الأنبياء : ٧٦]
- {وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ} [الحج : ٤٢]
- {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ} [المؤمنون : ٢٣]
- {وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا} [الفرقان : ٣٧]
- {كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ} [الشعراء : ١٠٥]
- {إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ} [الشعراء : ١٠٦]
- {قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ} [الشعراء : ١١٦]
- {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ} [العنكبوت : ١٤]
- {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا} [الأحزاب : ٧]
- {وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ} [الصافات : ٧٥]
- {سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ} [الصافات : ٧٩]
- {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ} [ص : ١٢]
- {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ} [غافر : ٥]
- {مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ} [غافر : ٣١]
- {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ} [الشورى : ١٣]
- {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ} [ق : ١٢]
- {وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ} [الذاريات : ٤٦]
- {وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى} [النجم : ٥٢]
- {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ} [القمر : ٩]
- {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} [الحديد : ٢٦]
- {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ} [التحريم : ١٠].

(١) الدر المنثور: ٢٨٨/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٢) الدر المنثور: ٢٨٨/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٣) انظر: الدر المنثور: ٢٨٨/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤) المحرر الوجيز: ٣٧٢/٥.

(٥) زاد المسير: ٣٤١/٤.

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ووجه اتصالها بما قبلها:

١- أنه قال في السورة السابقة: {فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤٠) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٤١)} [المعارج : ٤٠ - ٤١]، وذكر هنا قصة نوح المشتملة على إغراقهم إلا من قد آمن، وإبدالهم بمن هم خير منهم، فكأنها وقعت موقع الاستدلال على تلك الدعوى.

٢- تشابه مطلع السورتين في ذكر العذاب الذي وعد به الكفار: قوم محمد صلّى الله عليه وسلّم في سورة المعارج، وقوم نوح عليه السلام في هذه السورة[(١)].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

تكشف مقاصد سورة نوح تجليات المراحل الدعوية التي مر بها نبي الله نوح -عليه السلام-، وتسوق آيات السورة مشاهد من صبره وتحمله في سبيل نشر الدعوة، وتصف بشكل مباشر أبرز التحديات التي واجهته في تحقيق دعوته؛ فقد مثل قومه الفئة الضالة الجاحدة لأي هداية ونور، والمنغمسة في الضلال والشرور، ومع ذلك لم يدع نبي الله نوح -عليه السلام- بابا إلا وجاهد في فتحه؛ راجيا لقومه الهداية، ولكنهم لم أصروا على العناد، حل بهم العقاب الإلهي.

وتتمثل مقاصد سورة نوح التفصيلية في:

١- التأكيد على وحدة الأديان واتفاق الأنبياء -عليهم السلام- جميعهم من نوح، وصولا إلى محمد في دعوتهم إلى توحيد الله -تعالى- وعبادته وعدم الإشراك به.

٢- التوجيه إلى ضرورة تجنب اتباع كل من يقود إلى الضلال، حتى إن كان ذا سلطة ومكانة؛ إذ لا ينجي من العذاب إلا اتباع الحق.

٣- الحرص على تقوى الله -عز وجل- وكثرة استغفاره؛ إذ إنهما من الأسباب الموجبة لسعة الرزق، ونيل البركة فيه.

٤- التأمل والتفكر في قدرة الله -تعالى-؛ من مراحل خلقه للإنسان، وكيفية خلق السماوات، والأرض، والشمس، والقمر، وتسخيرها للبشرية.

٥- الأدب في الدعوة؛ فقد لجأ النبي نوح -عليه السلام- إلى جميع الأساليب في دعوته لقومه؛ فدعاهم في كل وقت؛ ليلا، ونهارا، متخذا كل الأسباب في دعوتهم؛ حيث صبر عليهم، وحاورهم بالرفق واللين، ورغبهم في سعة الأرزاق، وكثرة الأولاد والأموال، ودلل على ذلك بالايات، وأقام لهم الحجج والبراهين، وحذرهم من عدم الإيمان برسالته.

٦- الصبر في الدعوة؛ فقد صبر نوح -عليه السلام- في دعوته لقومه؛ إذ استمر يدعوهم تسعمئة وخمسين عاما، ومما يلزم الصبر عدم استعجال النتائج، وعدم اليأس، أو القنوط من الدعوة.

٧- وجوب التوكل على الله واللجوء إليه في كافة الأحوال.

قال الفيروزآبادي:" معظم مقصود السورة: أمر نوح بالدعوة، وشكاية نوح من قومه، والاستغفار لسعة النعمة، وتحويل حال الخلق من حال إلى حال، وإظهار العجائب على سقف السماء، وظهور دلائل القدرة على بسيط الأرض، وغرق قوم نوح، ودعاؤه عليهم بالهلاك، وللمؤمنين بالرحمة، وللظالمين بالتبار والخسارة، في قوله: {وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا} [نوح : ٢٨]"[(٢)].

- **الناسخ والمنسوخ:**

---

(١) انظر: تفسير المراغي: ٧٨/٢٩، والتفسير المنير للزحيلي: ١٣٣/٢٩.

(٢)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٢/١.

السورة محكمة: لا ناسخ فيها ولا منسوخ [١].

- **فضائل السورة:**

- عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح»"[٢].[موضوع]

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٣/١.
(٢) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٤٣/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٤٣/١٠. [حديث موضوع، وقد نبّه ابن حجر على ضعف رواة هذه الأحاديث التي يوردها الثعلبي في آخر كل سورة بدون استثناء وانقطاعها عن رسول الله].

سورة «الجن»

«سورة الجن» هي السورة الثانية والسبعون في القرآن الكريم، وقد نزلت بعد «سورة الأعراف»، آياتها ثمان وعشرون عند الكل، إلا مكة؛ فإنها في عدهم سبع. عدوا {لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ} [الجن : ٢٢]، وأسقطوا {مُلْتَحَدًا} [الجن : ٢٢] في غير رواية البزي. وفى رواية البزي: لم يعد {لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ} [الجن : ٢٢]، ولم يعد {مُلْتَحَدًا} [الجن : ٢٢]، فصار في روايته سبعا وعشرين. وفى الرواية الأخرى: ثماني وعشرين. وكلماتها مائتان وخمس وثمانون. وحروفها تسعمائة وتسع وخمسون. فواصل آياتها على: «الألف»(١).

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة الجن»:**

سميت هذه السمرة سورة «الجن» وكتبت في المصاحف وكتب التفسير، وترجم لها الترمذي في جامعه من كتاب التفسير(٢)، ووجه تسميتها سورة «الجن»، لاشتمالها على ذكر أحوالهم وأقوالهم، وعلاقتهم بالإنس ورميهم بالشهب لاستراقهم السمع إلى غير ذلك من حديث الجن العجيب، قال تعالى: {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١)} [الجن : ١] ، كما تكرر لفظ«الجن» في قوله تعالى: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا} [الجن : ٦].

قال المهايمي:" سميت بها لاشتمالها على تفاصيل أقوالهم في تحسين الإيمان وتقبيح الكفر، مع كون أقوالهم أشد تأثيرا في قلوب العامة لتعظيمهم إياهم "(٣).

وقد ورد اسم النبي نوح-عليه الصلاة والسلام- في كثير من سور القرآن الكريم(٤).

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٤/١.
(٢) انظر: الترمذي في جامعه من كتاب التفسير: ٤٢٦/٥.
(٣) تفسير المهايمي: ٣٦٦/٢.
(٤) مثل قوله تعالى:
- {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ} [آل عمران : ٣٣]
- {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا} [النساء : ١٦٣]
- {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} [الأنعام : ٨٤]
- {لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} [الأعراف : ٥٩]
- {أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الأعراف : ٦٩]
- {أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [التوبة : ٧٠]
- {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ} [يونس : ٧١]
- {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ} [هود : ٢٥]
- {قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} [هود : ٣٢]
- {وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [هود : ٣٦]
- {وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ} [هود : ٤٢]
- {وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ} [هود : ٤٥]
- {قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ}

- **ثانيا:- أسمها الاجتهادي: سورة «قل أوحي»:**

جاءت هذه التسمية عن أمنّا عائشة-رضي الله عنها-، فيما أخرجه ابن مردويه عنها أنها قالت: «نزلت سورة {قُلْ أُوحِيَ}، بمكة»(١). وترجم لها البخاري في كتاب التفسير(٢).

قال ابن عاشور:" واشتهرت على ألسنة المكتبين والمتعلمين في الكتاتيب القرآنية باسم {قُلْ أُوحِيَ}"(٣).

[هود : ٤٦]

- {قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ} [هود : ٤٨]
- {وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ} [هود : ٨٩]
- {أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ} [إبراهيم : ٩]
- {ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} [الإسراء : ٣]
- {وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا} [الإسراء : ١٧]
- {أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا} [مريم : ٥٨]
- {وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ} [الأنبياء : ٧٦]
- {وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ} [الحج : ٤٢]
- {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ} [المؤمنون : ٢٣]
- {وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا} [الفرقان : ٣٧]
- {كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ} [الشعراء : ١٠٥]
- {إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ} [الشعراء : ١٠٦]
- {قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ} [الشعراء : ١١٦]
- {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ} [العنكبوت : ١٤]
- {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا} [الأحزاب : ٧]
- {وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ} [الصافات : ٧٥]
- {سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ} [الصافات : ٧٩]
- {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ} [ص : ١٢]
- {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ} [غافر : ٥]
- {مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ} [غافر : ٣١]
- {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ} [الشورى : ١٣]
- {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ} [ق : ١٢]
- {وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ} [الذاريات : ٤٦]
- {وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى} [النجم : ٥٢]
- {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ} [القمر : ٩]
- {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} [الحديد : ٢٦]
- {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ} [التحريم : ١٠].

(١) الدر المنثور: ٢٩٦/٨.
(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير: ٣٨٢/٦.
(٣) التحرير والتنوير: ٢١٦/٢٩.

كما تفرد السخاوي بتسميتها: «سورة الوحي»، ولم يذكر سندا لقوله[١].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس، قال: "نزلت سورة الجن بمكة"[٢]، وروي عن ابن الزبير مثله[٣].
قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع من المفسرين"[٤].
قال ابن الجوزي:" كلّها مكّيّة بإجماعهم"[٥].
قال ابن عاشور:" هي مكية بالاتفاق، ويظهر أنها نزلت في حدود سنة عشر من البعثة"[٦].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ووجه اتصالها بما قبلها:

١- أنه جاء في السورة السابقة: {اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُم} [نوح : ١٠]، وجاء في هذه السورة: {وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا} [الجن : ١٦].
٢- أنه ذكر في هذه السورة شيء يتعلق بالسماء كالسورة التي قبلها.
٣- أنه ذكر عذاب من يعصى الله في قوله: {وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} [الجن : ٢٣]، وذكر هناك مثله في قوله: {أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا} [نوح : ٢٥] [٧].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

١- تقرير سهولة كلام الله وقربه من العباد، وبساطة دينه الهادي إلى الرشد الناهي عن الباطل، وأن من أراد الهدى يؤمن بأسهل الأسباب، كما آمن ذلك النفر من الجن، ليكون فيه درس وموعظة للإنسان فهو المخاطب بالقرآن الكريم.
٢- بيان أن الجنّ مثل الإنسان مكلفين ويملكون القوّة والإرادة على الاختيار ما بين الطاعة والعصيان، والكفر والإيمان. وأنهم مكلفون مأمورون ومكلفون منهيّون، مجازون بأعمالهم. وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول إلى الجن كما هو رسول إلى الإنس. وأن ليس للجن شيء من أمر النبوّة والكتاب فهم مأمورون ومنهيون، مبشرون ومنذرون كالإنس تماماً.
٣- بعث موعظة للإنسان مفادها بأنه: كما فعل النفر من الجن حين لاحظوا الآيات والإشارات الربانية، فهم لمّا منعوا فجأة من الوصول إلى خبر السماء على غير ما اعتادوا من قبل، عرفوا بفطنتهم أن هذا الأمر يريده الله، ولا يدرون هل هو خير أم شر، فانطلقوا يبحثون عن السبب، حتى إذا سمعوا القرآن كلام الحق والرشاد آمنوا به واتبعوه من فورهم.
٤- التأكيد على أن استعانة الإنسان بالجن لا تسمن ولا تُغني من جوع ولا تجلب النفع للإنسان أبدًا، قال تعالى: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا} [الجن : ٦].
٥- إدراك الجن وعلمهم بجدّ الله وعظمته بعد أن كانوا مغترّين بأكاذيب من سبقهم من الجن والإنس الذين أنكروا البعث وأقدموا على الشرك.
٦- انقسام الجن إلى طائفة مؤمنة وطائفة كافرة وقد حددت الآيات مصير كل منهم، قال تعالى: {وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٥)} [الجن : ١٤ - ١٥].

---

(١) انظر: جمال القراء: ٤٨٣/١.
(٢) الدر المنثور: ٢٩٦/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.
(٣) انظر: الدر المنثور: ٢٩٦/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٤) المحرر الوجيز: ٣٧٨/٥.
(٥) زاد المسير: ٣٤٦/٤.
(٦) التحرير والتنوير: ٢١٦/٢٩.
(٧) انظر: تفسير المراغي: ٩٢/٢٩.

٧- إيمان الجن بالهدى طمعاً بالخير والرزق والأمان من الله، وإنكارا للتشتت الذي كانوا عليه، وظن الكثير منهم بأنهم خارجون عن قدرة الله. فلا يتردد الإنسان ولا يتبع الأماني ولا كذب وضلالات الشيطان. فإنه باتباع الهدى والاستقامة على طريق الحق تتحقق مصالح الإنسان وسعادته في الدنيا والآخرة.

٨- الحديث عن دعوة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وكيف أن قومه كانوا يحاولون أن يبعدوه عن دعوة الحق والتوحيد، ثم تختم الآيات بأحد مقاصد سورة الجن العظيمة وهو أن يسلمَ رسولُ الله أمره كله لله تعالى ويخضعَ له بكل جوارحه لأنه وحده فقط الذي يضر وينفع ولا يملك ذلك إلا هو وبالتأكيد هذا الكلام له ولغيره ممن آمنوا معه لتثبيتهم.

قال الفيروزآبادي:" معظم مقصود السورة: عجائب علوم القرآن، وعظمة سلطان الملك الديان، وتعدى الجن على الإنسان، ومنعهم عن الوصول إلى السماء بالطيران، والرشد والصلاح لأهل الإيمان، وتهديد الكفار بالجحيم والنيران، وعلم الله تعالى بالإسرار والإعلان، وكيفية تبليغ الوحى من الملائكة إلى الأنبياء بالإتقان، وحصر المعلومات في علم خالق الخلق في قوله: {وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا} [الجن : ٢٨] "[١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة محكمة: لا ناسخ فيها ولا منسوخ [٢].

- **فضائل السورة:**

- عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ سورة الجنّ أعطي بعدد كلّ جنّي وشيطان صدّق بمحمد وكذّب به عتق رقبة»[٣].[موضوع]

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٤/١-٤٨٥.
(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٥/١.
(٣) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٤٩/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ١٤٠/١٠. [حديث موضوع، وقد نبّه ابن حجر على ضعف رواة هذه الأحاديث التي يوردها الثعلبي في آخر كل سورة بدون استثناء وانقطاعها عن رسول الله].

سورة «المزمل»

«سورة المزمل» هي السورة الثالثة والسبعون في القرآن الكريم، نزلت بعد «سورة القلم»، وهي من سور المفصّل، وآياتها ثمان عشرة في عد الكوفة، وتسعة عشر في البصرة، وعشرون في الباقين. وكلماتها مائتان وخمس وثمانون. وحروفها ثمانمائة وست وثلاثون. المختلف فيها ثلاث آيات: {الْمُزَّمِّلُ} [المزمل : ١]، {شِيبًا} [المزمل : ١٧]، {إِلَيْكُمْ رَسُولًا} [المزمل : ١٥]. فواصل آياتها على الألف، إلا الآية الأولى؛ فإنه باللام، والأخيرة؛ فإنها «بالراء». مجموعها «رال»[١].

- **أسماء السورة:**
- **اسمها التوقيفي: «سورة المزمل»:**

عُرفت «سورة المزمل» بهذا الاسم ولم يرد لها أي تسميات أخرى، ويُراد بـ«المزمل» إما الصفة التي نادى بها الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، أو يُراد بها حكاية اللفظ[٢].

قال الزحيلي:" سميت «سورة المزمّل»، أي: المتلفف بثيابه، لأنها تتحدث عن النبي صلّى الله عليه وسلّم في بدء الوحي، ولأنها بدئت بأمر الله سبحانه رسوله صلّى الله عليه وسلّم أن يترك التزمل: وهو التغطي في الليل، وينهض إلى تبليغ رسالة ربه عز وجل"[٣].

قال المهايمي:" سميت له لدلالته على عظم أمر الوحي، لأنه أقوى الخلائق كان يرتعد عنده فيتزمل "[٤].

وليست لهذه السورة سوى هذا الاسم الذي اشتهرت به.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها مكية جميعها. قاله ابن عباس[٥]، وابن الزبير[٦]، والحسن[٧]، وعكرمة[٨]، وعطاء[٩]، وجابر[١٠]، وحكاه ابن الجوزي عن إجماع المفسرين[١١].

عن ابن عباس، قال: "نزلت {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ}، بمكة"[١٢]، وروي عن ابن الزبير مثله[١٣].

الثاني: أنها مكية إلا قوله: {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى} [المزمل : ٢٠] إلى آخر السورة، فإن ذلك نزل بالمدينة. وهذا مروي عن ابن عباس –أيضا-[١٤]، وبه قال ابن يسار[١٥]، ومقاتل[١٦]، وحكاه ابن عطية عن الجمهور[١].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٦/١.
(٢) انظر: التحرير والتنوير: ٢٥٢/٢٩.
(٣) التفسير المنير: ١٨٧/٢٩.
(٤) تفسير المهايمي: ٣٧١/٢.
(٥) انظر: الدر المنثور: ٣١١/٨، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي.
(٦) انظر: الدر المنثور: ٣١٨/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٧) انظر: النكت والعيون: ١٢٤/٦، وتفسير القرطبي: ٣١/١٩.
(٨) انظر: النكت والعيون: ١٢٤/٦، وتفسير القرطبي: ٣١/١٩.
(٩) انظر: النكت والعيون: ١٢٤/٦، وتفسير القرطبي: ٣١/١٩.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ١٢٤/٦، وتفسير القرطبي: ٣١/١٩.
(١١) انظر: زاد المسير: ٣٥٢/٤.
(١٢) الدر المنثور: ٣١١/٨، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي.
(١٣) انظر: الدر المنثور: ٣١٨/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(١٤) الدر المنثور: ٣١١/٨، وعزاه إلى النحاس.
(١٥) انظر: زاد المسير: ٣٥٢/٤.
(١٦) انظر: زاد المسير: ٣٥٢/٤.

قال السيوطي: " إن استثناء قوله: {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ} [المزمل : ٢٠]، إلى آخر السورة يرده ما أخرجه الحاكم عن عائشة «نزل بعد نزول صدر السورة بسنة وذلك حين فرض قيام الليل في أول الإسلام قبل فرض الصلوات الخمس»"(٢).

قال ابن عاشور:" الظاهر أن الأصح أن نزول : {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ} [المزمل : ٢٠] إلى آخر السورة نزل بالمدينة لقوله تعالى: {وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله} [المزمل : ٢٠]، إن لم يكن ذلك إنباء بمغيب على وجه المعجزة.. والروايات عن عائشة مضطربة"(٣).

الثالث: أنهما مكية سوى آيتين منها، قوله عزّ وجلّ: {وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا} [المزمل : ١٠]، والتي بعدها(٤). حكي ذلك عن ابن عباس(٥)، وقتادة(٦).

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

١- أنه سبحانه ختم سورة الجن بذكر الرسل عليهم السلام، وافتتح هذه بما يتعلق بخاتمهم عليه السلام.

٢- أنه قال في السورة السالفة: {وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ} [الجن : ١٩]، وقال في هذه: {قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا} [المزمل : ٢](٧).

- **أغراض السورة ومقاصدها**

تتمثل مقاصد سورة المزمل الإجمالية في الإعلام بأن محاسن الأعمال تدفع الأخطار والأوجال، وتخفف الأحمال الثقال، ولاسيما الوقوف بين يدي الملك المتعال، والتجرد في خدمته في ظلمات الليال، فإنه نعم الإله لقبول الأفعال والأقوال، ومحو ظلل الضلال، والمعين الأعظم على الصبر والاحتمال، لما يرد من الكدورات في دار الزوال، والقلعة والارتحال، واسمها المزمل أدل ما فيها على هذا المقال.

وقد جاءت مقاصد سورة المزمل التفصيلية بمثابة دروس وتوجيهات لإفادة المسلم في حياته بحيث يكون أقرب ما يكون تطبيقا للمنهج القرآني، ومنها:

١- التأكيد على أن قيام الليل كان واجبا في حق النبي عليه الصلاة والسلام، وفي حق أمته نافلة، فيحرص المسلم على الإتيان بهذه النافلة قدر ما استطاع.
٢- التوجيه إلى الصبر على الأذى وهجر المكذبين هو أمر رباني لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فيأخذ المسلم بهذا الأمر ويحرص على هجر المكذبين والعصاة من الناس.
٣- العبادات هي زاد للمسلم في حياته وبالأخص تلك العبادات الداعية إلى الله تعالى، فكل عبادة يؤديها هي زاد له في طريق الدعوة مما يلاقيه من الناس.
٤- قيام الليل يعد علامة ظاهرة على درجة الإيمان في قلب المسلم، فيراقب المسلم درجة إيمانه بقيامه لليل.
٥- السعي في النهار لطلب أسباب العيش هو من سنن الله -تعالى- في الأرض، فلا يتعطل المسلم عن طلب الرزق بحجة التعبد لله تعالى.
٦- عقاب المكذبين والمستهزئين مخبأ لهم من الله تعالى، فيطمئن الداعية إلى أن كل ما يلاقيه من المستهزئين له عقاب في اليوم الموعود.
٧- التخفيف في العبادات تيسير إلهي لعباده في الأرض، فلا يجبر المسلم نفسه على ما لا يستطع من عبادات، بل يأخذ بالرخص التي شرعها الله تعالى.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز: ٣٨٦/٥.
(٢) انظر: الإتقان: ٦٦/١-٦٧. [بتصرف]
(٣) التحرير والتنوير: ٢٥٣/٢٩.
(٤)المزمل: ١٠- ١١.
(٥) انظر: النكت والعيون: ١٢٤/٦، وزاد المسير: ٣٥٢/٤، وتفسير القرطبي: ٣١/١٩.
(٦) انظر: النكت والعيون: ١٢٤/٦، وتفسير القرطبي: ٣١/١٩.
(٧) انظر: تفسير المراغي: ١٠٩/٢٩.

٨- إن التخلق بالأخلاق التي يأمر بها القران الكريم هو أمر يشق على النفس البشرية، ولا يعين المسلم على ذلك سوى حبل متين متصل مع الله تعالى.
٩- أشكال الإيذاء التي تعرض لها رسل الله -تعالى- لا تعد ولا تحصى، فعلى الداعية أن يطمئن ؛ لأنه مهما لاقى من أعباء الدعوة فإنها لا تعد شيئا في مقابل ما تعرض له صفوة الخلق.
١٠- فهم القران الكريم متوقف على تدبره والتأني فيه، ولفهم القران وما فيه من مواعظ وقصص وأحكام ينبغي للمسلم أن يتدبر ورده من القران ويتأنى فيه.
١١- طلب العلم يعد بابا من أبواب ذكر الله تعالى، فيحرص المسلم على طلب العلم ويخلص النية لله -تعالى- في ذلك.
١٢- الإخبار بأن قيام الليل وتكاليف العبادة أمور شاقة على النفس الإنسانية، فلا يعين على ذلك إلا الإيمان والصلة القوية بالله تعالى.

قال الفيروزآبادي:" معظم مقصود السورة: خطاب الانبساط مع سيد المرسلين، والأمر بقيام الليل، وبيان حجة التوحيد، والأمر بالصبر على جفاء الكفار، وتهديد الكافر بعذاب النار، وتشبيه رسالة المصطفى برسالة موسى، والتخويف بتهويل القيامة، والتسهيل والمسامحة في قيام الليل، والحث على الصدقة والإحسان، والأمر بالاستغفار من الذنوب والعصيان، في قوله: {وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [المزمل : ٢٠]"[١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

فيها من المنسوخ ست آيات: ثلاث من أول السورة: {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَم} [المزمل : ٢٠] ن {وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا} [المزمل : ١٠]، وقوله: {وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِين} [المزمل : ١١] م، وقوله: {إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَة} [المزمل : ١٩] ن آية السيف[٢].

- **فضائل السورة:**

- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ سورة المزمّل رفع عنه العسر في الدنيا والآخرة» [٣].[موضوع]

---
(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٦/١.
(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٧/١.
(٣) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٥٨/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ١٥٧/١٠. [حديث موضوع، وقد نبّه ابن حجر على ضعف رواة هذه الأحاديث التي يوردها الثعلبي في آخر كل سورة بدون استثناء وانقطاعها عن رسول الله].

سورة «المدثر»

«سورة المدثر» هي السورة الرابعة والسبعون بحسب الرسم القرآني وهي السورة السادسة والأخيرة من المجموعة السادسة من قسم المفصل، نزلت بعد سورة «المزمل»[(١)]، وقيل: إنها ثانية السور نزولا وإنها لم ينزل قبلها إلا سورة: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [العلق : ١][(٢)]، وآياتها ست وخمسون في عد العراقي والبزي، وخمس في عد المكي. وكلماتها مائتان وخمس وخمسون. وحروفها ألف وعشر. المختلف فيها اثنان: {يَتَسَاءَلُونَ (٤٠)عَنِ الْمُجْرِمِينَ} [المدثر : ٤٠-٤١] فواصل آياتها: «ردنها»، على الدال آية: {ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ} [المدثر : ١٥][(٣)].

- **أسماء السورة:**
- **اسمها التوقيفي: «سورة المدثر»:**

تسمى في كتب التفسير «سورة المدثر» وكذلك سميت في المصاحف، وأريد «المدثر» النبي صلى الله عليه وسلم موصوفا بالحالة التي نودي بها، كما سميت بعض السور بأسماء الأنبياء الذين ذكروا فيها، وإما تسمية باللفظ الذي وقع فيها، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١)} [المدثر : ١]، ونظيره ما تقدم في تسمية «سورة المزمل»، ومثله ما تقدم في سورة «المجادلة» من احتمال فتح الدال أو كسرها[(٤)].

وليست لهذه السورة سوى هذا الاسم الذي اشتهرت به.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة قولان:

أحدها: أنها مكية جميعها. قاله ابن عباس[(٥)]، وابن الزبير[(٦)]، وحكاه ابن عطية وابن الجوزي عن إجماع المفسرين[(٧)].

قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع من أهل التأويل"[(٨)].

الثاني: فيها من المدني آية واحدة، وهي قوله عزّ وجلّ: {وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً} [المدثر : ٣١]. وهذا قول مقاتل[(٩)].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

١- أنها متواخية مع السورة قبلها في الافتتاح بنداء النبي صلى الله عليه وسلم.
٢- أن صدر كلتيهما نازل في قصة واحدة.
٣- أن السابقة بدئت بالأمر بقيام الليل، وهو تكميل لنفسه صلى الله عليه وسلم بعبادة خاصة، وهذه بدئت بالإنذار لغيره، وهو تكميل لسواه[(١٠)].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

جاء فيها من الأغراض:

١- تكريم النبي صلى الله عليه وسلم والأمر بإبلاغ دعوة الرسالة، وإعلان وحدانية الله بالإلهية.

---

(١) انظر: تفسير المراغي: ١٢٤/٢٩.
(٢) انظر: التحرير والتنوير: ٢٩٢/٢٩.
(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٨/١.
(٤) انظر: التحرير والتنوير: ٢٩١/٢٩.
(٥) انظر: الدر المنثور: ٣٢٤/٨، وعزاه ابن الضريس وابن مردويه والنحاس والبيهقي.
(٦) انظر: الدر المنثور: ٣٢٤/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٧) انظر: المحرر الوجيز: ٣٩٢/٥، وزاد المسير: ٣٥٨/٤.
(٨) المحرر الوجيز: ٣٩٢/٥.
(٩) انظر: زاد المسير: ٣٥٨/٤.
(١٠) انظر: تفسير المراغي: ١٢٤/٢٩.

٢- الأمر بالتطهر الحسي والمعنوي، ونبذ الأصنام.
٣- الإكثار من الصدقات.
٤- الأمر بالصبر.
٥- إنذار المشركين بهول البعث.
٦- تهديد من تصدى للطعن في القرآن وزعم أنه قول البشر وكفر الطاعن نعمة الله عليه فأقدم على الطعن في آياته مع علمه بأنها حق.
٧- وصف أهوال جهنم، والرد على المشركين الذين استخفوا بها وزعموا قلة عدد حفظتها، وتحدي أهل الكتاب بأنهم جهلوا عدد حفظتها، وتأييسهم من التخلص من العذاب، وتمثيل ضلالهم في الدنيا، ومقابلة حالهم بحال المؤمنين أهل الصلاة والزكاة والتصديق بيوم الجزاء[١].

قال الفيروزآبادي:" مقصود السورة: أمر النبي صلى الله عليه وسلم بدعوة الخلق إلى الإيمان، وتقرير صعوبة القيامة على الكفار وأهل العصيان، وتهديد وليد ابن مغيرة بنقض القرآن، وبيان عدد زبانية النيران، وأن كل أحد رهن بالإساءة والإحسان، وملامة الكفار على إعراضهم عن الإيمان، وذكر وعد الكريم على التقوى بالرحمة والغفران، في قوله: {هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ} [المدثر : ٥٦]"[٢].

- **الناسخ والمنسوخ:**

المنسوخ فيها آية واحدة: م{ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا} [المدثر : ١١]، ن: آية السيف[٣].

- **فضائل السورة:**

– عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ سورة المدثر أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدّق بمحمد وكذبه بمكة» [٤].[موضوع]

---

(١) انظر: التحرير والتنوير: ٢٩٣/٢٩.
(٢)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٨/١.
(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٨/١.
(٤) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٦٧/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ١٧١/١٠. [حديث موضوع، وقد نبّه ابن حجر على ضعف رواة هذه الأحاديث التي يوردها الثعلبي في آخر كل سورة بدون استثناء وانقطاعها عن رسول الله].

سورة «القيامة»

«سورة القيامة» هي السورة الخامسة والسبعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة القارعة»، وقبل «سورة الهمزة»، وآياتها أربعون في عد الكوفيين، وتسع وثلاثون في عد الباقين. وكلماتها مائة وتسع وتسعون. وحروفها ثلاثمائة واثنتان وخمسون. المختلف فيها آية: {لِتَعْجَلَ بِهِ} [القيامة : ١٦]، فواصل آياتها «يقراه»[١].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة القيامة»:**

عنونت هذه السورة في المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة بـ«سورة القيامة»، لوقوع القسم بيوم القيامة في أولها، قال تعالى: {لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ} [القيامة : ١]، ولم يقسم به فيما نزل قبلها من السور[٢].

- **ثانيا:- اسمها الاجتهادي: «سورة لا أقسم بيوم القيامة» أو «لا أقسم»:**

وردت هذه التسمية في عهد الصحابة-رضوان الله تعالى عليهم-، كما عند ابن عباس[٣]، وابن زبير[٤]، ووجه تسميتها بذلك لافتتاحها به في قوله تعالى: {لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ} [القيامة : ١].

وهو اسم اجتهادي لم يثبت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس قال: "نزلت «سورة القيامة» -وفي لفظ: نزلت: {لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ}- بمكة"[٥].

عن عبد الله بن الزبير قال: نزلت سورة: {لَا أُقْسِمُ} بمكة[٦].

قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع من المفسرين وأهل التأويل"[٧].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلها بإجماعهم"[٨].

قال ابن عاشور:" هي مكية بالاتفاق"[٩].

مناسبة السورة لما قبلها:

ووجه اتصالها بما قبلها، أنه ذكر في السورة السابقة قوله: {كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ} [المدثر : ٥٣]، وكان عدم خوفهم منها لإنكارهم للبعث، وذكر هنا الدليل عليه بأتم وجه، فوصف يوم القيامة وأهواله وأحواله، ثم ما قبل ذلك من خروج الروح من البدن، ثم ما قبل ذلك من مبدأ الخلق[١٠].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

١- قدرة الله تعالى على جمع الإنسان وإعادة إحيائه ورسم أدق التفاصيل التي كانت على جسده قبل أن يموت ويفنى جسده في التراب.
٢- على المتعلم أن ينصت بكل جوارحه على من يعلمه، حتى يتسنى له أخذ العلم بطريقة صحيحة سليمة.
٣- بيان إيمان المؤمنين بربهم وفرحهم بنعيمه يوم القيامة، هذا النعيم الذي لا يضاهيه نعيم في الدنيا.

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٩٠/١.
(٢) انظر: التحرير والتنوير: ٢٩١/٢٩.
(٣) انظر: الدر المنثور: ٣٤٢/٨.
(٤) انظر: الدر المنثور: ٣٤٢/٨.
(٥) انظر: الدر المنثور: ٣٤٢/٨، وعزاه ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.
(٦) انظر: الدر المنثور: ٣٤٢/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٧) المحرر الوجيز: ٤٠١/٥.
(٨) زاد المسير: ٣٦٨/٤.
(٩) التحرير والتنوير: ٣٣٦/٢٩.
(١٠) انظر: تفسير المراغي: ١٤٤/٢٩.

٤- على الإنسان أن يتذكر أصله وحجمه فلا يتكبر على خلق الله تعالى وأن يكون دائم الحمد والشكر لله تعالى على نعمه الكثيرة.

قال الفيروزآبادي:" مقصود السورة: بيان هول القيامة، وهيبتها، وبيان إثبات البعث، وتأثير القيامة في أعيان العالم، وبيان جزاء الأعمال، وآداب سماع الوحى، والوعد باللقاء والرؤية، والخبر عن حال السكرة، والرجوع إلى بيان برهان القيامة، وتقرير القدرة على بعث الأموات في قوله: {أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى} [القيامة : ٤٠]"[١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

المنسوخ فيها آية واحدة: م {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ} [القيامة : ١٦]، ن: {سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى} [الأعلى : ٦][٢].

- **فضائل السورة:**

- أخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة قال: حدثنا أن عمر بن الخطاب قال: "من سأل عن يوم القيامة فليقرأ هذه السورة، والله أعلم"[٣].
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ سورة القيامة شهدت أنا وجبرائيل له يوم القيامة أنه كان مؤمنا بيوم القيامة وجاء ووجهه مسفر على وجوه الخلائق يوم القيامة» [٤].[موضوع]

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٩٠/١.
(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٩٠/١.
(٣) الدر المنثور: ٣٤٢/٨.
(٤) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٨١/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ١٩٠/١٠. [حديث موضوع، وقد نبّه ابن حجر على ضعف رواة هذه الأحاديث التي يوردها الثعلبي في آخر كل سورة بدون استثناء وانقطاعها عن رسول الله].

سورة «الإنسان»

«سورة الإنسان» هي السورة السادسة والسبعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الرحمان»، وعدد آياتها إحدى وثلاثون. وكلماتها مائتان وأربعون. وحروفها ألف وخمسون. وفواصل آياتها على «الألف»[1].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة الإنسان»:**

سميت بذلك في المصاحف وكتب التفسير، وذلك لافتتاحها بذكر الإنسان وخلقه من عدم وخلق له جميع ما في الأرض من خيرات، قال تعالى: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا (١)} [الإنسان : ١].

- **ثانيا:- أسماؤها الاجتهادية:**
- **الاسم الأول: «سورة هل أتى على الإنسان»:**

وردت هذه التسمية في عهد الصحابة-رضوان الله تعالى عليهم-، كما عند ابن عباس[2]، وابن هريرة[3]، وابن الزبير[4]، قد وردت هذه التسمية عند الطبري[5]، وهي تسمية للسورة بأول آية افتتحت فيها.

- **الاسم الثاني: «سورة هل أتى»:**

سميت بذلك اختصارا، وسماها بذلك جمع من المفسرين[6]، وهي تسمية للسورة بفاتحتها، ولم ترد عن النبي-صلى الله عليه وسلم- فهي تسمية من اجتهاد علماء التفسير.

- **الاسم الثالث: «سورة الدهر»:**

بهذه التسمية عنون لها ابن قتيبة[7]، والماتريدي[8]، وابن الجوزي[9]، وغيرهم، ووجه تسميتها بذلك لوقوع: {مَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ} [الجاثية : ٢٤] فيها ولم يقع لفظ الدهر في ذوات حم الأخر[10].

- **الاسم الرابع: «سورة الأبرار»:**

سماها بذلك الطبرسي[11]، وذكرها الألوسي في تفسيره[12] والقاسمي[13]، وتسمى «سورة الأبرار»[14]، لأن فيها ذكر نعيم الأبرار.

- **الاسم الخامس: «سورة الأمشاج»:**

سماها بذلك الخفاجي[1]، وذكرها الألوسي[2]، والقاسمي[3] في تفسيريهما، وذلك لوقوع لفظ «الأمشاج»[4] فيها ولم يقع في غيرها من القرآن.

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٩٠/١.
(٢) انظر: مسلم (٨٧٩)، وابن ماجه (٨٢١)، وأبو داود (١٠٧٤): ص ٢/ ٣٠١ - ٣٠٢. كما سيأتي في فضائل السورة.
(٣) انظر: صحيح مسلم (٨٨٠): ص ٢/ ٥٩٩. كما سيأتي في فضائل السورة
(٤) انظر: الدر المنثور: ٣٦٥/٨. وعزاه لابن مردويه.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٨٥/٢٤.
(٦) كما في زاد المسير: ٣٧٤/٤، وتفسير الخازن: ٣٧٦/٤ .
(٧) انظر: غريب القرآن: ٥٠٢.
(٨) انظر: تأويلات أهل السنة: ٣٥٧/١٠.
(٩) انظر: زاد المسير: ٣٧٤/٤.
(١٠) انظر: التحرير والتنوير: ٣٢٣/٢٥.
(١١) انظر: تفسير الطبرسي: ١٣٥/٢٩.
(١٢) انظر: روح المعاني: ١٦٦/١٥.
(١٣) انظر: محاسن التأويل: ٤٥/١٧.
(١٤) قال تعالى: {إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا} [الإنسان : ٥].

وهذه الأسماء ألفاظ وقعت في السورة وسيمت بها وهي ليست خاصة بسورة الإنسان ما عدى: «الأمشاج، وهل أتى، وهل أتى على الإنسان» فقد اختصت السورة بها.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة أقوال:

أحدها: أنها مدنيّة كلّها، قاله ابن عباس(٥)، ومجاهد(٦)، وقتادة(٧). وحكاه ابن الجوزي عن الجمهور(٨).

الثاني: أنها مكيّة، قاله ابن عباس-أيضا-(٩)، وابن الزبير(١٠)، ومقاتل(١١)، والكلبي(١٢)، ويحيى بن سلام(١٣).

الثالث: أنّ فيها مكّيّا ومدنيّا. ثم في ذلك قولان:

أحدهما: أن المكّيّ منها آية، وهي قوله عزّ وجلّ: {وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا} [الإنسان : ٢٤]، وباقيها جميعه مدنيّ، قاله الحسن(١٤)، وعكرمة(١٥).

والثاني: أنّ أوّلها مدنيّ إلى قوله عزّ وجلّ{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا} [الإنسان : ٢٣]، ومن هذه الآية إلى آخرها مكّيّ، حكاه الماورديّ(١٦).

قال ابن عاشور:" الأصح أنها مكية فإن أسلوبها ومعانيها جارية على سنن السور المكية ولا أحسب الباعث على عدها في المدني إلا ما روي من أن آية : {يُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّه} [الإنسان : ٨]، نزلت في إطعام علي بن أبي طالب بالمدينة مسكينا ليلة، ويتيما أخرى، وأسيرا أخرى، ولم يكن للمسلمين أسرى بمكة حملا للفظ أسير على معنى أسير الحرب، أو ما روي أنه نزل في أبي الدحداح وهو أنصاري، وكثيرا ما حملوا نزول الآية على مثل تنطبق عليها معانيها فعبروا عنها بأسباب نزول "(١٧).

مناسبة السورة لما قبلها:

وصلتها بما قبلها، أنه ذكر في السابقة الأهوال التي يلقاها الفجار يوم القيامة، وذكر فى هذه ما يلقاه الأبرار من النعيم المقيم في تلك الدار(١٨).

- **أغراض السورة ومقاصدها**

تتجلى مقاصد سورة الإنسان بشكلٍ عام ببيان حال الإنسان، وذلك كما مبين أدناه:

---

(١) انظر: حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفسيرِ البَيضَاوِي، المُسَمَّاة: عِنَايةُ القاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي: ٢٨٤/٨.
(٢) انظر: روح المعاني: ١٦٦/١٥.
(٣) انظر: محاسن التأويل: ٤٥/١٧.
(٤) وذلك في قوله تعالى: {إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا} [الإنسان : ٢].
(٥) انظر: الدر المنثور: ٣٦٥/٨، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردوية والبيهقي.
(٦) انظر: زاد المسير: ٣٧٤/٤.
(٧) انظر: زاد المسير: ٣٧٤/٤.
(٨) انظر: زاد المسير: ٣٧٤/٤.
(٩) انظر: النكت والعيون: ١٦١/٦، وزاد المسير: ٣٧٤/٤، والدر المنثور: ٣٦٥/٨، وعزاه إلى النحاس.
(١٠) انظر: الدر المنثور: ٣٦٥/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(١١) انظر: النكت والعيون: ١٦١/٦، وزاد المسير: ٣٧٤/٤.
(١٢) انظر: النكت والعيون: ١٦١/٦.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ١٦١/٦.
(١٤) انظر: زاد المسير: ٣٧٤/٤.
(١٥) انظر: زاد المسير: ٣٧٤/٤.
(١٦) انظر: النكت والعيون: ١٦١/٦.
(١٧) التحرير والتنوير: ٣٣٦/٢٩.
(١٨) انظر: تفسير المراغي: ١٥٩/٢٩.

١- التعريف بالإنسان وكيفية خلقه إذ استهل الله -سبحانه وتعالى- السورة بقوله: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا (١) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢)} [الإنسان : ١ - ٢] وذلك بمقصدٍ منه بأن يبيّن للإنسان أنّه ومنذ فترةٍ من الزمن لم يكن موجودًا وأنّ الله بقدرته وعظمته هو من خلقه ووهبه من نعمه كالسمع والبصر وغيرها، ثمّ أكمل بقوله: {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣)} [الإنسان : ٣]، أي: أنّه وبعد خلقه الإنسان علّمه وأرشده وهداه إلى السبيل الصحيح وبعدها كان إمّا شاكرًا عابدًا لله وإمّا من الكافرين وهذا من مقاصد سورة الإنسان بأنّ كفر الإنسان أو صلاحه هو باختياره من صنع يديه ولهذا سيحاسبه الله على كلّ صغيرةٍ وكبيرة.

٢- ومن مقاصد سورة الإنسان أنّ الله -تعالى- خاطب عباده بأسلوب الترغيب والترهيب، فتارةً يذكر ما أعدّه للكافرين من عقابٍ وعذابٍ وذلك بقوله: {إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا (٤)} [الإنسان : ٤]، وتارةً يذكر صفات الجنة التي أعدّها للمسلمين الأبرار وعباده المخلصين فقد قال: {إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦)} [الإنسان : ٥ - ٦] بمقصدٍ منه أن يهدي الناس لطريق الصواب إمّا خوفًا من الله وعقابه أو استبشارًا وشوقًا لجزاءه وجناته.

٣- ويتبين أيضًا من مقاصد سورة الإنسان أنّ الله -سبحانه وتعالى- أراد التعريف بالأبرار بشيءٍ من التفصيل فجعل يصفهم ويصف أفعالهم بقوله: {يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا}، ثمّ إنّه وصف حالهم في جنات الخلد التي جزاهم الله -تعالى- بها على صبرهم وإحسانهم وإيمانهم فقال -جلّ وعلا-: {مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا}، وأيضًا وصفهم في قوله: {وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (٢٠) عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١)} [الإنسان : ٢٠ - ٢١]، وقد بيّن -تبارك وتعالى- أنّ هذا حال من كان من عباده مؤمنًا صبورًا شكورا.

٤- وأمّا آخر مقاصد سورة الإنسان كان التأكيد على أنّ السبيل إلى الفوز بجنات النعيم يكون بعبادة الله وحده والتقرّب إليه ودعاءه وذكره والمداومة على الحمد والسجود والتسبيح والاستغفار، فقد قال -جلّ وعلا-: {وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٢٥) وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (٢٦)} [الإنسان : ٢٥ - ٢٦].

٥- ثمّ ختم -سبحانه وتعالى- السورة كما ابتدأها بأنّه هو خالق الإنسان ومرشده وأنّ من اتبع هداه فقد فاز في الدنيا والآخرة أمّا من ضلّ وكفر واستكبر فله جهنم وبئس المصير، وهذا ما بيّنه -جلّ وعلا- في قول: {نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا (٢٨) إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا (٢٩) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٣٠) يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٣١)} [الإنسان : ٢٨ - ٣١]، وبهذا يؤكد الله -تعالى- على أنّه يهدي من يشاء ويدخله في رحمته وبأنّ من ظلم نفسه وكفر واستكبر فإنّ الله قد أعدّ له عذابًا أليمًا.

قال الفيروزآبادي:" معظم مقصود السورة: بيان مدة خلقة آدم، وهداية الخلق بمصالحهم، وذكر ثواب الأبرار، في دار القرار، وذكر المنة على الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأمره بالصبر، وقيام الليل، والمنة على الخلق بإحكام خلقهم، وإضافة كلية المشيئة إلى الله، في قوله: {يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} [الإنسان : ٣١]"[١].

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٩٣/١.

- **الناسخ والمنسوخ:**

فيها من المنسوخ ثلاث آيات: م {أَسِيرًا} [الإنسان : ٨]، في قوله: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ} [الإنسان : ٨]م، والصبر من قوله: {فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ} [الإنسان : ٢٤] م، والتخيير من قوله: {فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا} [الإنسان : ٢٩]، ن آية السيف(١).

- **فضائل السورة:**

- عن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم: "كان يقرأ في الصبح يوم الجمعة، بـ «آلم تنزيل» في الركعة الأولى، وفي الثانية: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا} [الإنسان: ١]"(٢).
- عن ابن عباس، أن رسولَ الله - صلَّى الله عليه وسلم - كان يقرأ في صَلاة الفجرِ يومَ الجمعة: {الم (١) تَنْزِيلُ} السجدة, و {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ}"(٣).
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ سورة هل أتى كان جزاؤه على الله جَنَّةً وَحَرِيراً» (٤).[موضوع]

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٩٣/١.

(٢)صحيح مسلم (٨٨٠): ص ٢/ ٥٩٩.

(٣)أخرجه مسلم (٨٧٩)، وابن ماجه (٨٢١)، وأبو داود (١٠٧٤): ص ٢/ ٣٠١ - ٣٠٢. -واللفظ له - والترمذي (٥٢٧).
زاد مسلم في روايته: وأن النبي - صلَّى الله عليه وسلم - كان يقرأ في صلاة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين.
وهو في "مسند أحمد" (١٩٩٣)، و"صحيح ابن حبان" (١٨٢٠) و (١٨٢١).

(٤) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٩٣/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٢٠٦/١٠. [حديث موضوع، وقد نبّه ابن حجر على ضعف رواة هذه الأحاديث التي يوردها الثعلبي في آخر كل سورة بدون استثناء وانقطاعها عن رسول الله].

سورة «المرسلات»

«سورة المرسلات» هي السورة السابعة والسبعون بحسب الرسم القرآني، وهي السورة الأولى من المجموعة الثامنة من قسم المفصل، بعد سورة «الهمزة» ، وقبل سورة «ق»[1]، وآياتها خمسون. وكلماتها مائة وإحدى وثمانون. وحروفها ثمانمائة وستة عشر. مجموع فواصل آياتها «عبرتم لنا»، على اللام {الْفَصْلِ} [المرسلات : ١٣]، {الْفَصْلِ} [المرسلات : ١٤]، في الموضعين، وعلى الراء {كَالْقَصْرِ} [المرسلات : ٣٢]، و{صُفْرٌ} [المرسلات : ٣٣] ، وعلى الباء {ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ} [المرسلات : ٣٠]، و {اللَّهَبِ} [المرسلات : ٣١][2].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة المرسلات»:**

وردت هذه التسمية عند السلف، وسميت بذلك في المصاحف وكتب التفسير، وذلك لافتتاحها بالقسم الإلهي بالمرسلات وهي الرياح كما قال تعالى: {وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١)} [المرسلات : ١].

كما سميت السورة «والمرسلات»، بإضافة واو القسم إليها، كما عند الطبري في تفسيره.

- **ثانيا:- أسماؤها الاجتهادية:**
- **الاسم الأول: «سورة والمرسلات عرفا»:**

وردت هذه التسمية في عهد الصحابة-رضوان الله تعالى عليهم-، كما عند ابن مسعود[3]، وهي تسمية للسورة بأول آية افتتحت فيها، قال تعالى: {وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١)} [المرسلات : ١].

- **الاسم الثاني: «سورة العرف»:**

وردت هذه التسمية دون إسناد عند البقاعي[4]، وشهاب الدين الخفاجي[5]، والألوسي[6]، والقاسمي[7].

ولعلهم سموها بلفظ وقع في أولها وهو مأخوذ من قوله تعالى: {وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا} [المرسلات : ١].

وهذا الاسم والذي قبله هما اجتهاديان لم يثبتا عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، في خبر صحيح.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدها: أنها مدنيّة كلّها، قاله ابن عباس[8].وحكاه ابن الجوزي عن الجمهور[9].

الثاني: أن فيها آية مدنيّة، وهي قوله عزّ وجلّ: {وَإِذا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ} [المرسلات: ٤٨]. حكي هذا القول عن ابن عباس[10]، وقتادة[11]، ومقاتل[12].

قال ابن عاشور:" هي مكية عند جمهور المفسرين من السلف، وذلك ظاهر حديث ابن مسعود المذكور آنفا[13]، وهو يقتضي أنها من أوائل سور القرآن نزولا لأنها نزلت والنبيء صلى الله عليه وسلم

---

(١) انظر: التفسير الوسيط للطنطاوي: ٢٣١/١٥.
(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٩٥/١.
(٣) انظر: صحيح البخاري(١٨٣٠):ص١٤/٣. كما سيأتي في فضائل السورة.
(٤) انظر: مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ: ١٤٦/٣.
(٥) انظر: حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، المُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي: ٢٩٤/٨.
(٦) انظر: روح المعاني: ١٨٧/١٥.
(٧) انظر: محاسن التأويل: ٣٨١/٩.
(٨) انظر: الدر المنثور: ٣٨٠/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.
(٩) انظر: زاد المسير: ٣٨٢/٤.
(١٠) انظر: زاد المسير: ٣٨٢/٤.
(١١) انظر: زاد المسير: ٣٨٢/٤.
(١٢) انظر: الكشف والبيان: ١١١/١٠-١١٢، وزاد المسير: ٣٨٢/٤.
(١٣) سوف يأتي في فضائل السورة.

مختف في غار بمنى مع بعض أصحابه.. عن ابن عباس وقتادة: أن آية {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ} [المرسلات: ٤٨] مدنية نزلت في المنافقين، ومحمل ذلك أنه تأويل ممن رواه عنه نظرا إلى أن الكفار الصرحاء لا يؤمرون بالصلاة، وليس في ذلك حجة لكون الآية مدنية فإن الضمير في قوله: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ} [المرسلات: ٤٨] وارد على طريقة الضمائر قبله وكلها عائدة إلى الكفار وهم المشركون. ومعنى «قيل لهم اركعوا»: كناية عن أن يقال لهم: أسلموا. ونظيره قوله تعالى: {وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ} [القلم : ٤٣]، فهي في المشركين وقوله: {قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ} [المدثر : ٤٣] إلى قوله: {وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ} [المدثر : ٤٦]"(١).

وقال مقاتل: "نزلت في ثقيف حين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة فقالوا لا نحني فإنها مسبّة علينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود»"(٢).

قال ابن عاشور:" وهذا أيضا أضعف، وإذا صح ذلك فإنما أراد مقاتل أن النبيء صلى الله عليه وسلم قرأ عليهم الآية"(٣).

مناسبة السورة لما قبلها:

من مناسبتها لما قبلها:

١- أن الله قد ذكر في آخر سورة الإنسان ظرفًا من تهديد الكفار بالعذاب في الآخرة: {إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا} [الإنسان : ٢٧]، وأتي في أول سورة «والمرسلات» بمزيد من الوعيد والعذاب للكفار حتى استغرق هذا أكثر السورة، وذلك من أولها إلى الآية الأربعين، فكأن هذه الآيات من سورة «المرسلات» امتداد لآخر سورة الإنسان.

٢- أن سورة «الإنسان» قد ضم أكثرها جزاءَ المحسنين بدءًا من الآية الخامسة: {إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا} [الإنسان : ٥]، إلى الآية الثانية والعشرين: {إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا} [الإنسان : ٢٢]، وفي سورة «المرسلات» جاءَ ذكر ثواب المتقين في صورة مجملة: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ} [المرسلات : ٤١]، فالسورتان تلتقيان في وعد المؤمنين ووعيد الكافرين. (٤).

- **أغراض السورة ومقاصدها**

تتمثل مقاصد سورة المرسلات الإجمالية في الدلالة على آخرة الإنسان من إثابة الشاكرين بالنعيم، وإصابة الكافرين بعذاب الجحيم، في يوم الفصل بعد جمع الأجساد وإحياء العباد عندما يُطوى هذا الوجود ويغير العالم المعهود بما له سبحانه من القدرة على إنبات النبات وإنشاء الأقوات وإنزال العلوم وإيساع الفهوم لإحياء الأرواح بأسباب خفية وعلل مرئية وغير مرئية، وتطوير الإنسان في أطوار الأسنان، وإيداع

---

(١) التحرير والتنوير: ٤١٨/٢٩.

(٢) الحديث بهذا اللفظ نقلا عن: الكشف والبيان: ١١١/١٠-١١٢.

والحديث ضعيف. أخرجه أبو داود ٣٠٢٦ وأحمد(١٧٩١٣):ص٤٣٨/٢٩، من حديث عثمان بن أبي العاص وليس فيه سبب نزول، وحسّن إسناده الأرناؤوط في «جامع الأصول» ٦١٧٥. وخالفه الألباني فذكره في ضعيف أبي داود ٦٥٢ و «الضعيفة» ٤٣١٩ وعلته عنعنه الحسن، وهو مدلس.

(٣) التحرير والتنوير: ٤١٩/٢٩.

ونص الحديث:

عن عثمان بن أبي العاص، أن وفد ثقيف قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزلهم المسجد ليكون أرق لقلوبهم، فاشترطوا على النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يحشروا، ولا يعشروا، ولا يجبوا، ولا يستعمل عليهم غيرهم، قال: فقال: " إن لكم أن لا تحشروا، ولا تعشروا، ولا يستعمل عليكم غيركم ". وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " لا خير في دين لا ركوع فيه "

(٤) انظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث: ١٧٢١/١٠.

الإيمان فيما يرضى من الأبدان، وإيجاد الكفران في أهل الخيبة والخسران، مع اشتراك الكل في أساليب هذا القرآن، الذي عجز الإنس والجان، عن الإتيان بمثل آية منه على كثرتهم ومهما تطاول الزمان.

وقد جاءت مقاصد سورة المرسلات تفصيلاً كالتالي:

١- استهلال السورة بالقسم العظيم من الله تعالى بملائكة العذاب التي يرسلها الله على الكافرين، وريح العذاب التي يرسلها على العصاة، وعندما يقسم الله بأحد مخلوقاته فإن ذلك تعظيما لشأنه ونظرا لأهمية المهمة التي أوكلها الله إليه، بينما لا يجوز للعباد القسم بغير الله تعالى.

٢- تذكير الإنسان بأصله وفي ذلك رسالة فحواها على الإنسان أن يؤمن بقدرة الله تعالى على إحيائه بعد موته ومجازاته على ما ارتكب، لأنه خلقه ابتداء من العدم، والقادر على البدء بالطبع يكون أقدر على الإعادة.

٣- بيان قدرة الله -سبحانه وتعالى- في خلق الأرض شاملة جميع الأحياء والأموات، وما خلق الله -سبحانه وتعالى- من جبال، وخلق الماء الذي هو أصل الحياة.

٤- تصوير الأهوال التي ستحل على الكون يوم القيامة، والحديث عن العديد من التغيرات التي ستطرأ على السماوات وما فيها وعلى الأرض وما فيها.

٥- تحذير المكذبين بالرسالات ومن ينكرون البعث والجزاء بعد الموت، وذلك من خلال استعراض مصير المجرمين وما ينتظرهم من العقاب والنكال في جهنم.

٦- توبيخ الكافرين على التكذيب والإجرام.

٧- الترغيب في الإيمان والتقوى، حيث تتحدث الآيات عن حال المؤمنين وما أعده الله لهم من التنعيم والتكريم في جنان الخلد.

قال الفيروزآبادي:" معظم مقصود السورة: القسم بوقوع القيامة، والخبر عن إهلاك القرون، الماضية، والمنة على الخلائق بإيجادهم في الابتداء، وإدخال الأجانب فى النار، وصعوبة عقوبة الحق إياهم وأنواع كرامة المؤمنين في الجنة، والشكاية عن الكفار بإعراضهم عن القرآن في قوله: {فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ} [المرسلات : ٥٠] "[١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة محكمة كلها لم يدخلها ناسخ ولا منسوخ[٢].

- **فضائل السورة:**

- عن عبد الله رضي الله عنه، قال: بينما نحن مع النبي صلى الله عليه وسلم في غار بمنى، إذ نزل عليه: «والمرسلات» وإنه ليتلوها، وإني لأتلقاها من فيه، وإن فاه لرطب بها إذ وثبت علينا حية، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اقتلوها»، فابتدرناها، فذهبت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وقيت شركم كما وقيتم شرها»[٣].

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٩٥/١.
(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ لهبة الله: ١٩٣.
(٣) صحيح البخاري(١٨٣٠):ص١٤/٣، وصحيح مسلم(٢٢٣٤):ٍ١٧٥٥/٤.

- عن ابن عباس قال: قال أبو بكر الصدِّيق - رضي الله عنه -: يا رسول الله قد شِبِتَ! قال: قال رسول الله: "«شيبتني «هود»، و«الواقعة»، و«المرسلات»، و«عم يتساءلون»، و«إذا الشمس كورت»"[١].
- عن ابن عباس قال: "إن أم الفضل بنت الحارث، سمعته وهو يقرأ {وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا}، فقالت: يا بني لقد ذكرتني بقراءتك هذه السورة. إنها لآخر ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها في المغرب"[٢].
- روى الأسود بن يزيد عن عبد الله بن مسعود: "قرأت «وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفاً» على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ونحن نسير"[٣].
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ سورة والمرسلات كتب أنه ليس من المشركين» [٤].[موضوع]

(١)أخرجه الترمذي وحسنه فى (كتاب التفسير - سورة الواقعة) والحاكم فى المستدرك (٢/ ٣٤٣) وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي فى الدلائل (١/ ٣٥٧) والبغوي فى شرح السنة (١٤/ ٣٧٢) وفى التفسير، كلهم من حديث ابن عباس رضى الله عنه.

ورواه أيضا الطبراني في الكبير (١٠٠٩١)، وعبد الله ابن الإمام أحمد في "زوائد الزهد" (٩)، والمروزي في "مسند أبي بكر" (٣٠ - ٣٢)، وابن سعد في الطبقات (١/ ٤٣٦)، وابن عساكر (٤/ ١٧٢،١٧٣) والحديث غير ثابت وعلله أكثر الأئمة، وانظر علل الدارقطني (١/ ١٩٣ - ٢١١)، والنكت على ابن الصلاح لابن حجر (٢/ ٧٧٤ - ٧٧٦)، وصحح الحديث الشيخ ناصر الدين الألباني - رحمه الله - في السلسلة الصحيحة (٩٥٥).

(٢) صحيح مسلم(٤٦٢):ص١/٣٣٨.

(٣) انظر: الكشف والبيان: ١٠/١٠٨.

(٤) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٠/١٠٨، وانظر: تفسير مجمع البيان: ١٠/٢٢٧. [حديث موضوع، وقد نبّه ابن حجر على ضعف رواة هذه الأحاديث التي يوردها الثعلبي في آخر كل سورة بدون استثناء وانقطاعها عن رسول الله].

سورة «النبأ»

«سورة النبأ» هي السورة الثامنة والسبعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة المعارج»، وآياتها إحدى وأربعون في عد المكي والبصرى، وأربعون في عد الباقين. وكلماتها مائة وثلاث وسبعون. وحروفها ثمانمائة وست عشرة. المختلف فيها آية: {عَذَابًا قَرِيبًا} [النبأ : ٤٠]. فواصل آياتها: «منا» وعلى الميم آية: {الْعَظِيمِ} [النبأ : ٢][١].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة النبأ»:**

سميت هذه السورة في أكثر المصاحف وكتب التفسير[٢]، وكتب التفسير السنة «سورة النبأ» لوقوع كلمة «النبأ» في مقدمتها: {عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ} [النبأ : ٢].

- **ثانيا:- أسماؤها الاجتهادية:**
- **الاسم الأول: «سورة عمّ يتساءلون»:**

سميت في بعض المصاحف وفي «صحيح البخاري»[٣]، وفي «تفسير الطبري»[٤]، «وتفسير ابن أبي زمنين»[٥]، «وتفسير ابن فورك»[٦]، و«الكشاف»[٧]، «سورة عم يتساءلون».

وفي «تفسير القرطبي» سماها «سورة عم»[٨]، أي: بدون زيادة «يتساءلون» تسمية لها بأول جملة فيها.

- **الاسم الثاني: «سورة التساؤل»:**

ووجه تسميتها بذلك، لوقوع «يتساءلون» في أولها: {يَتَسَاءَلُونَ} [النبأ : ١].

- **الاسم الثالث: «سورة المعصرات»:**

وردت هذه التسمية في «المبسوط في القراءات العشر» للنيسابوري[٩]، وتفسير الطبرسي[١٠]، والألوسي[١١]، وعدّها السيوطي من بين أسماء السورة[١٢]، ووجه تسميتها وذلك لقوله تعالى فيها: {وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا} [النبأ : ١٤].

وهذه الأسماء الثلاثة اجتهاد المفسرين ولم تثبت عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، في خبر صحيح، كما يرد عن الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين- أثر في تسميتها.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس قال: "نزلت سورة: {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ} بمكة"[١٣]. وروي عن عبد الله بن الزبير مثله[١٤].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٩٧/١.

(٢) انظر مثلا: تفسير الطبري: ١٤٧/٢٤، وبحر العلوم للسمرقندي: ٥٣٦/٣، والكشف والبيان للثعلبي: ١١٣/١٠، والنكت والعيون: ١٨٢/٦، وتفسير السمعاني: ١٣٥/٦، وتفسير البغوي: ١٩٩/٥، وزاد المسير: ٣٨٧/٤، وغيرها.

(٣) انظر: صحيح البخاري: ١٦٥/٦.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٨١/٢٤.

(٥) انظر: تفسير ابن أبي زمنين: ٨٢/٥.

(٦) انظر: تفسير ابن فورك: ١٢٥/٣.

(٧) انظر: الكشاف: ٦٨٣/٤.

(٨) انظر: تفسير القرطبي: ١٦٩/١٩.

(٩) انظر: المبسوط في القراءات العشر: ٢٩٥، ٤٥٨.

(١٠) انظر: مجمع البيان: ٣/٣٠.

(١١) انظر: روح المعاني: ٢٠١/١٥.

(١٢) انظر: الإتقان: ١٩٦/١.

(١٣) انظر: الدر المنثور: ٣٨٩/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(١٤) انظر: الدر المنثور: ٣٨٩/٨، وعزاه ابن مردويه.

قال هبة الله:" نزلت بمكة وهي من آخر المكي الأول، لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- هاجر من غد يوم نزلت، والمكي الأول: ما نزل قبل الهجرة، والمكي الآخر: ما نزل بعد فتح مكة"[١].

قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع"[٢].

قال ابن عاشور:" هي مكية بالاتفاق"[٣].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها من وجوه:

١- اشتمالها على إثبات القدرة على البعث الذي ذكر في السورة السالفة أن الكافرين كذبوا به.

٢- أن في هذه وما قبلها تأنيبا وتقريعا للمكذبين، فهناك قال: {أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ} [المرسلات : ٢٠]، وهنا قال: {أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا} [النبأ : ٦].

٣- أن في كل منهما وصف الجنة والنار وما ينعم به المتقون، ويعذب به المكذبون.

٤- أن في هذه تفصيل ما أجمل في تلك عن يوم الفصل، فهناك قال: {لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ(١٢) {لِيَوْمِ الْفَصْلِ(١٣) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ (١٤)} [المرسلات : ١٢-١٤]، وهنا قال: {إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا} [النبأ : ١٧]، إلى آخر السورة[٤].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

وقد جاءت مقاصد سورة «النبأ» تفصيلاً كالتالي:

١- تبين أوائل آيات سورة النبأ قدرة الله على الخلق والبعث والحساب والحياة الذي سيعيشها الأنسان بعد الموت نتيجة لأعماله في الدنيا، وتشير الآيات ايضًا الى عظمة الخالق في جعل الأرض مهادًا من اجل المشي عليها وجعل الجبل أوتادًا من اجل ان تثبت الأرض وخلق الليل والنهار والشمس والمطر والنبات والجنات.

٢- والجزء الثاني من آيات سورة النبأ تبين ما سيحدث في يوم القيامة من تغير كبير في الكون والنفخ في الصور، كما تصف النار وما سيحدث للكافرين من عذاب اليم في يوم القيامة وخلودهم في النار.

٣- والجزء الاخير من آيات سورة النبأ يبين ما سيحدث للمؤمنين يوم القيامة وفوزهم بالجنة ورزقهم الأمن والسلام وحور العين والحدائق متدلية العناقيد.

٤- وتبين سورة النبأ ايضًا ندم الكافرين على كفرهم وإرادتهم في ان يصبحوا تربًا من كثرة خوفهم من العذاب الذي ينتظرهم.

قال الفيروزآبادي:" معظم مقصود السورة: ذكر القيامة، وخلق الأرض والسماء، وبيان نفع الغيث، وكيفية النشر والبعث، وعذاب العاصين، وثواب المطيعين من المؤمنين، وقيام الملائكة في القيامة مع المؤمنين، وتمنى الكفار المحال في قوله: {يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا} [النبأ : ٤٠] "[٥].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة محكمة ليس فيها ناسخ ولا منسوخ[٦].

قال ابن عطية:" وليس فيها نسخ ولا حكم إلا ما قاله بعض الناس في قوله تعالى: {لابِثِينَ فِيها أَحْقاباً} [النبأ: ٢٣]، من أنه منسوخ، وهو قول خلف، لأن الأخبار لا تنسخ وإنما ذكرنا هذا القول تنبيها على فساده"[١].

---

(١) الناسخ والمنسوخ: ١٩٣.
(٢) المحرر الوجيز: ٤٢٣/٥.
(٣) التحرير والتنوير: ٥/٣٠.
(٤) انظر: تفسير المراغي: ٣/٣٠.
(٥)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٩٧/١.
(٦) انظر: الناسخ والمنسوخ لهبة الله: ١٩٣.

- **فضائل السورة:**

- عن ابن عباس قال: قال أبو بكر الصدِّيق - رضي الله عنه -: يا رسول الله قد شِبِتَ! قال: قال رسول الله: "«شيبتني «هود»، و«الواقعة»، و«المرسلات»، و«عم يتساءلون»، و«إذا الشمس كورت»"[2].
- عن عبد العزيز بن قيس قال:" سألت أنسا عن مقدار صلاة النبي صلى الله عليه وسلم فأمر أحد بنيه فصلى بنا الظهر والعصر فقرأ بنا: «المرسلات»، و«عم يتساءلون»[3].
- عن ابن عباس، رضي الله عنهما: "أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في العيدين بـ {عم يتساءلون} ، و {والشمس وضحاها}"[4].
- عن أبي إسحاقَ، عن علقمة والأسود، قالا: "أتى ابنَ مسعودٍ رجلٌ فقال: إني أقرأ المُفَصَّل في رَكعة، فقال: أهذّاً كهذِّ الشّعرِ ونثراً كنثر الدَّقَل؟ لكنَّ النبي - صلَّى الله عليه وسلم - كان يقرأ النَّظائرَ السُورتين في رَكْعةٍ، «الرحمن، والنجم» في ركعة، و «اقتربت، والحاقة» في ركعة، و«الطور، والذاريات» في ركعة، و«إذا وقعَت، ونون» في ركعة، و«سأل سائل، والنازعات» في ركعة، و«وَيْلٌ للمطففين، وعبس» في ركعة، و«المدَّثر، والمزمِّل» في ركعة، و«هل أتى، ولا أقسمُ بيوم القيامة» في ركعة، و«عمَ يتساءلون، والمرسلات» في ركعة، و«الدخان، وإذا الشمسُ كورت» في ركعة"[5].
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ «عَمَّ يَتَساءَلُونَ»، سقاه الله سبحانه وتعالى برد الشراب يوم القيامة» [6].[موضوع]

---

(١) المحرر الوجيز: ٤٢٣/٥.
(٢)أخرجه الترمذي وحسنه فى (كتاب التفسير - سورة الواقعة) والحاكم فى المستدرك (٢/ ٣٤٣) وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي فى الدلائل (١/ ٣٥٧) والبغوي فى شرح السنة (١٤/ ٣٧٢) وفى التفسير، كلهم من حديث ابن عباس رضى الله عنه.
ورواه أيضا الطبراني في الكبير (١٠٠٩١)، وعبد الله ابن الإمام أحمد في "زوائد الزهد" (٩)، والمروزي في "مسند أبي بكر" (٣٠ - ٣٢)، وابن سعد في الطبقات (١/ ٤٣٦)، وابن عساكر (٤/ ١٧٣،١٧٢) والحديث غير ثابت وعلله أكثر الأئمة، وانظر علل الدارقطني (١/ ١٩٣ - ٢١١)، والنكت على ابن الصلاح لابن حجر (٢/ ٧٧٤ - ٧٧٦)، وصحح الحديث الشيخ ناصر الدين الألباني - رحمه الله - في السلسلة الصحيحة (٩٥٥).
(٣) الدر المنثور: ٣٨٩/٨، وعزاه إلى البيهقي في سننه.
(٤) مسند البزاز(٤٨٠٨):ص٩٥/١١.
(٥) سنن أبي داود(١٣٩٦):ص٥٤٣/٢، وأخرجه البخاري (٧٧٥) و (٤٩٩٦) و (٥٠٤٣)، ومسلم (٨٢٢)، والترمذي (٦٠٨)، والنسائي في "الكبرى" (١٠٧٨ - ١٠٧٩) من طريق أبي وائل شقيق بن سلمة، والنسائي (١٠٨٠) من طريق مسروق بن الأجدع، كلاهما عن عبد الله بن مسعود، بهذا الإسناد. ولم يذكروا أسماء السور تفصيلاً. وهو في "مسند أحمد" (٣٩٥٨) و (٣٩٦٨)، و"صحيح ابن حبان" (١٨١٣).
(٦) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١١٣/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٢٣٧/١٠. [حديث موضوع، وقد نبّه ابن حجر على ضعف رواة هذه الأحاديث التي يوردها الثعلبي في آخر كل سورة بدون استثناء وانقطاعها عن رسول الله].

سورة «النازعات»

«سورة النازعات» هي السورة التاسعة والسبعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد سورة «النبأ»، آياتها ست وأربعون في عد الكوفة، وخمس عند الباقين. وكلماتها مائة وتسع وسبعون. وحروفها سبعمائة وثلاث وخمسون. المختلف فيها اثنتان: {وَلِأَنْعَامِكُمْ} [النازعات : ٣٣]، {طَغَى} [النازعات : ٣٧]. فواصل آياتها: «هم»، على الميم آية واحدة: وَلِأَنْعَامِكُمْ} [النازعات : ٣٣][١].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة النازعات»:**

سميت في المصاحف وأكثر التفاسير «سورة النازعات» بإضافة سورة إلى النازعات بدون واو، وجعل لفظ «النازعات» علما عليها لأنه لم يذكر في غيرها. وعنونت في كتاب التفسير في «صحيح البخاري»[٢]، وفي كثير من كتب المفسرين بسورة «والنازعات» بإثبات الواو على حكاية أول ألفاظها[٣].

- **ثانيا:- أسماؤها الاجتهادية:**
- **الاسم الأول: «سورة الساهرة»:**

ذكر سعد الله الشهير بسعدي[٤] والخفاجي[٥]: إنها تسمى «سورة الساهرة»، وورد هذا الاسم عند السخاوي في "جمال القراء"[٦] –أيضا- والشوكاني في تفسيره[٧]، والألوسي في تفسيره[٨]،والقاسمي في تفسيره[٩]، وهذه التسمية لوقوع لفظ «الساهرة» في أثنائها، قال تعالى: {فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ} [النازعات : ١٤]،وهذا اللفظ لم يقع في غيرها من السور.

- **الاسم الثاني: «سورة الطامة»:**

وذكر سعدي والخفاجي-أيضا-: إنها تسمى: «سورة الطامة»، وسماه بذلك السخاوي[١٠]، والألوسي في تفسيره[١١]، والقاسمي في تفسيره[١٢]، ووجه تسميتها بذلك لوقوع لفظ «الطامة» فيها، ولم يقع في غيرها، قال تعالى: {فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى} [النازعات : ٣٤].

- **الاسم الثالث: «سورة المدبرات»:**

قال ابن عاشور:" "ورأيت في مصحف مكتوب بخط تونسي عنون اسمها «سورة فالمدبرات» وهو غريب، لوقوع لفظ المدبرات فيها ولم يقع في غيرها"[١٣].

وهذه الأسماء الثلاثة اجتهاد المفسرين ولم تثبت عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، في خبر صحيح، كما لم يرد عن الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين- أثر في تسميتها.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٩٩/١.
(٢) انظر: صحيح البخاري: ٣٨٩/٦.
(٣) انظر: التحرير والتنوير: ٥٩/٣٠.
(٤) نقلا عن: التحرير والتنوير:٥٩/٣٠.
(٥) انظر: حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، المُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي: ٣١١/٨، و التحرير والتنوير: ٥٩/٣٠.
(٦) انظر: جمال القراء: ٩٢.
(٧) انظر: فتح القدير: ٤٤٩/٥.
(٨) انظر: روح المعاني: ٢٢٣/١٥.
(٩) انظر: محاسن التأويل: ٣٩٥/٩.
(١٠) انظر: جمال القراء: ٩٢.
(١١) انظر: روح المعاني: ٢٢٣/١٥.
(١٢) انظر: محاسن التأويل: ٣٩٥/٩.
(١٣) التحرير والتنوير: ٥٩/٣٠.

عن ابن عباس قال: "نزلت «سورة النازعات»، بمكة"[١]. وروي عن عبد الله بن الزبير مثله[٢].
قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع من المتأولين"[٣].
قال ابن الجوزي:" مكّيّة كلّها بإجماعهم"[٤].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ووجه اتصالها بما قبلها أنه هناك أنذر بالعذاب يوم القيامة- وهنا أقسم على أن البعث حق لا ريب فيه[٥].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

تتمثل مقاصد سورة النازعات الإجمالية في بيان أواخر أمر الإنسان بالإقسام على بعث الأنام، ووقوع القيام يوم الزحام وزلل الأقدام، بعد البيان التام فيما مضى من هذه السور العظام، تنبيها على أنه وصل الأمر في الظهور إلى مقام ليس بعده مقام، وصور ذلك بنزع الأرواح بأيدي الملائكة الكرام، ثم أمر فرعون اللعين وموسى عليه السلام، واسمها «النازعات» واضح في ذلك المرام، إذا تؤمل القسم وجوابه المعلوم للأئمة الأعلام، وكذا «الساهرة» و«الطامة» إذا تؤمل السياق، وحصل التدبير في تقرير الوفاق.

يمكن تفصيل مقاصد سورة النازعات بحسب ترتيبها على النحو التالي:

١- تبدأ سورة النازعات في مطلع مخيف، يرهب به الله تعالى الكافرين ويصور الأهوال التي ستحدث يوم القيامة، ويصف شدة تلك الأهوال التي سيعاني منها المجرمون والكافرون، قال تعالى: {يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (٩)} [النازعات : ٦ - ٩].

٢- تعرض آيات سورة النازعات النهاية المخزية والمؤسفة التي ستلحق بالكافرين عندما تعرض إحدى الجوانب من قصة موسى -عليه السلام- وفرعون، قال تعالى: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (١٧) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (١٩) فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَى (٢١) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى (٢٢)} [النازعات : ١٥ - ٢٢] ، وقد بينت الآيات كيف جعل الله منهم عظة وعبرة لكل العالمين.

٣- ومن مقاصد سورة النازعات تصوير هذا الكون الهائل بما فيه من مخلوقات أبدع الله تعالى صنعها، وجعلها دلائل على قدرته، وعلامات على عظيم خلقه، قال تعالى: {أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠)} [النازعات : ٢٧ - ٣٠].

٤- تتناول الآيات بعد ذلك الحديث عن مجيء يوم القيامة العظيم الذي سيجزى فيه كل إنسان بما عمل، قال تعالى: {فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤١)} [النازعات : ٣٧ - ٤١].

---

(١) انظر: الدر المنثور: ٤٠٣/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.
(٢) انظر: الدر المنثور: ٤٠٣/٨، وعزاه ابن مردويه.
(٣) المحرر الوجيز: ٤٣٠/٥.
(٤) زاد المسير: ٣٩٣/٤.
(٥) انظر: تفسير المراغي: ٣/٣٠.

٥- وفي النهاية تشير إلى ميعاد الساعة التي كان المشركون يلحون في السؤال عن موعدها، قال تعالى: {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا} [النازعات : ٤٦] ، فيؤكد الله أن علمها عند الله وحده وعندما يأتي موعدها سيذهل الكافرون بقدومها على حين غرة.

قال الفيروزآبادي:" معظم مقصود السورة: القسم بنفخة الصور، وكيفية البعث والنشور، وإرسال موسى إلى فرعون، والمنة بخلق السماء والأرض، وتحقيق هول القيامة، وبيان حال من آثر الدنيا، والخبر من حال أهل الخوف، واستعجال الكافرين بالقيامة، وتعجبهم منها في حال البعث في قوله: {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا } [النازعات : ٤٦] إلى آخرها"(١).

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة محكمة ليس فيها ناسخ ولا منسوخ(٢).

- **فضائل السورة:**

- عن ابن عباس، قال: إذا عسر على المرأة ولدها، فيكتب هاتين الآيتين والكلمات في صحفة ثم تغسل فتسقى منها: «بِسْمِ اللَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ» {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا} [النازعات: ٤٦]، {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ} [الأحقاف: ٣٥]"(٣).
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: « من قرأ سورة النازعات كان حبسه في القبر وفي يوم القيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة مكتوبة»(٤).[موضوع]

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٩٩/١.
(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ لهبة الله: ١٩٣، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٩٩/١.
(٣) مصنف ابن أبي شيبة(٢٣٥٠٨):ص٣٩/٥، وعمل اليوم والليلة لابن السني(٦١٩):ص٥٧٦. باختلاف في الألفاظ.
(٤) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٦٢/١٣، وانظر: فضائل القرآن للمستغفري(١٢٤٦):ص٧٨٨/٢.[موضوع]

سورة «عبس»

«سورة عبس» هي السورة الثمانون بحسب الرسم القرآني وهي السورة الثانية من المجموعة التاسعة من قسم المفصل، بعد سورة «النجم» وقبل سورة «القدر» ، فهي تعتبر السورة الثالثة والعشرون في ترتيب النزول، وآياتها ثنتان وأربعون في الحجاز، والكوفة، وواحدة في البصرة، وأربعون في الشأم. وكلماتها مائتان وثلاث وثلاثون. وحروفها خمسمائة وثلاث وثلاثون. والمختلف فيها من الآي ثلاث: {وَلِأَنْعَامِكُمْ} [عبس : ٣٢]، {طَعَامِهِ} [عبس : ٢٤]، {الصَّاخَّةُ} [عبس : ٣٣]. فواصل آياتها «هما»، وعلى الميم آية: {وَلِأَنْعَامِكُمْ} [عبس : ٣٢][١].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة عبس»:**

سميت هذه الصورة في المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة «سورة عبس»، ووجه تسميتها لافتتاحها بهذا الوصف البشري وهو عتاب للنبي-صلى الله عليه وسلم- على عبوسه في وجه الأعمى، قال تعالى: {عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢)} [عبس : ١ - ٢].

- **ثانيا:- أسماؤها الاجتهادية:**
- **الاسم الأول: «سورة السفرة»:**

وردت هذه التسمية في بعض كتب التفسير وعلوم القرآن[٢]، ووجه تسميتها، أنها وقعت فيها هذه اللفظة وهي في قوله تعالى: {بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦)} [عبس : ١٥ - ١٦].

- **الاسم الثاني: «سورة الصاخة»:**

سماها بهذا الاسم الخفاجي في حاشيته[٣]، كما ذكرها الألوسي في تفسيره[٤]، والقاسمي[٥]، والبقاعي[٦]. ولعل سبب تسميتها بسورة «الصاخة»، لأن هذه اللفظة وردت فيها في قوله تعالى: {فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ} [عبس : ٣٣]، ولم ترد في غيرها من سور القرآن الكريم.

- **الاسم الثالث: «سورة الأعمى»:**

ابن الهائم في «التبيان»[٧]، والألوسي في "تفسيره"[٨]، وقال أنها "سميت في غير كتاب سورة الأعمى"[٩]، ولم يفصل في كلامه.

وقال ابن عاشور:" في «أحكام ابن العربي» عنونها «سورة ابن أم مكتوم» . ولم أر هذا لغيره"[١٠].

وكل ذلك تسمية بألفاظ وقعت فيها لم تقع في غيرها من السور أو بصاحب القصة التي كانت سبب نزولها، وهي أسماء من اجتهاد المفسرين ولم تثبت عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، في خبر صحيح، كما لم يرد عن الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين- أثر في تسميتها.

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠١/١.
(٢) انظر: مثلا: تفسير الطبرسي: ٣٢/٣٠، والجمل: ٤٨٦/٤، وفتح القدير للشوكاني: ٥٣٨/٥، وروح المعاني: ٢٤١/١٥، وجمال القراء: ٩٢، وسماها العيني في "عمدة القاري: ١٣٨/١٦.
(٣) انظر: حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، المُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَاية الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي: ٣١٩/٨.
(٤) انظر: روح المعاني: ٢٤١/١٥.
(٥) .
(٦) انظر: روح المعاني: ٢٤١/١٥.
(٧) انظر: التبيان في تفسير غريب القرآن: ٣٣٥.
(٨) انظر: روح المعاني: ٢٤١/١٥.
(٩) روح المعاني: ٢٤١/١٥.
(١٠) التحرير والتنوير: ١٠١/٣٠.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس قال: " نزلت سورة عبس بمكة"(١). وروي عن عبد الله بن الزبير مثله(٢).
قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع المفسرين"(٣).
قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلّها بإجماعهم"(٤).

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها- لما قبلها- أنه ذكر هناك أنه منذر من يخشاها- وذكر هنا من ينفعه الإنذار(٥).

- **أغراض السورة ومقاصدها**

تتمثل مقاصد سورة عبس الإجمالية في التأكيد على أن المراد الأعظم هو تزكية القابل للخشية بالتخويف بالقيامة التي قام الدليل على القدرة عليها بابتداء خلق الإنسان، وبكل من الابتداء والإعادة لطعامه والتعجيب ممن أعرض مع قيام الدليل، والإشارة إلى أن الاستغناء والترف أمارة الإعراض وعدم القابلية والتهيؤ للكفر والفجور، وإلى أن المصائب أمارة للطهارة والإقبال واستكانة القلوب وسمو النفوس لشريف الأعمال، فكل من كان فيها أرسخ كان قلبه أرق وألطف فكان أخشى، فكان الإقبال عليه أحب وأولى، واسمها {عبس} هو الدال على ذلك بتأمل آياته وتدبر فواصله وغاياته.

١- عتاب الله تعالى لحبيبه المصطفى وخاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم، لتذكيره بالمساواة بين المسلمين في الدعوة إليه، ولا فرق بين أجناسهم وألوانهم ومكانتهم فكلهم سواء في الإسلام.

٢- اللطف مع الآخرين وإن كانوا يستحقون الزجر وأسلوب التأديب، فلا يجوز مقابلة ذلك بالجفاء.

٣- عمى البصر ليس العمى الحقيقي وإنّما يكون العمى الحقيقي هو عمى البصيرة، وهو النور الذي يمنحه الله تعالى للمؤمن في قلبه فيميّز الحق من الباطل.

٤- الاهتمام بمن اهتدى والحرص عليه وذلك بتعليمه، وعدم الانشغال مع الذين لا يرغبون دعوة الله تعالى.

٥- آيات الله تعالى فيها العظة والعبرة للإنسان، فهي سهلة واضحة الفهم لإدراك العقل وبذلك عليه أن يختار طريق الحق فيرحمه الله ويدخله جنانه، أو يختار طريق الضلال فيلعنه الله ويدخله النار، وقد اشتملت السورة على عرض نعم الله على الإنسان كالأشجار والغابات وأنواع الفواكه المختلفة كالزيتون والنخل، بالإضافة إلى إعطائه القوة وإخراج الماء، وهذا ما يحتاجه الإنسان في حياته وينتفع به، فنعم الله عليه لا تُعدّ ولا تُحصى.

٦- استعراض أهوال يوم القيامة، وفيها يخاف الإنسان ويفزع من أهوالها ويخاف لقاءه لهذا اليوم، ينقسم الناس يوم القيامة إلى فريقين: المؤمنون السعداء الذين تكون وجوههم مشرقةً ونيّرةً من طيب أعمالهم الصالحة، فيجازيهم الله تعالى الجنة حيث النعيم الأبدي، أما الفريق الآخر فهم الكافرون الأشقياء وتكون وجوههم مسودةً يوم القيامة لسوء ما بشّروا به يوم القيامة بسبب كفرهم وعصيانهم في الدنيا فجزاؤهم نار جهنم خالدين فيها.

---

(١) انظر: الدر المنثور: ٤١٥/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.
(٢) انظر: الدر المنثور: ٤١٥/٨، وعزاه ابن مردويه.
(٣) المحرر الوجيز: ٤٣٦/٥.
(٤) زاد المسير: ٣٩٩/٤.
(٥) انظر: تفسير المراغي: ٣٨/٣٠.

قال الفيروزآبادي:" معظم مقصود السورة: بيان حال الأعمى، وذكر شرف القرآن، والشكاية من أبى جهل، وإنكاره البعث والقيامة، وإقامة البرهان من حال النبات على البعث، وإحياء الموتى، وشغل الخلق في العرصات، وتفاوت حال أهل الدرجات والدركات، في قوله: {وُجُوهٌ } [عبس : ٣٨]، إلى آخرها"[١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

المنسوخ فيها آية واحدة: {فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ} [عبس : ١٢]، نسختها آية السيف[٢].

قال هبة الله:" هِي أحدى السُّور السَّبع عشرَة الْمُخْتَلف فِي تنزيلهن وَهِي محكمَة إِلَّا آيَة وَاحِدَة وَهِي قَوْله تَعَالَى {كلا إِنَّهَا تذكرة}، هَذَا مُحكم والمنسوخ مِنْهَا: {فَمن شَاءَ ذكره}، نسخ ذَلِك بقوله تَعَالَى {وَمَا تَشاؤونَ إِلَّا أن يَشاءَ اللّه}"[٣].

- **فضائل السورة:**

- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ سورة عَبَسَ وَتَوَلَّى جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر»[٤].[موضوع]

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠١/١.

(٢) انظر: صائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠١/١.

(٣) الناسخ والمنسوخ: ١٩٤.

(٤) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٣٠/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٣٦٣/١٠. [والحديث موضوع].

سورة «التكوير»

«سورة التكوير» هي السورة الحادية والثمانون بحسب الرسم القرآني وهي السورة الثالثة من المجموعة التاسعة من قسم المفصل، وهي معدودة السابعة في عداد نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة «الفاتحة» وقبل سورة «الأعلى»[1]، وآياتها تسع وعشرون في عد الجميع، وثمان في عد أبى جعفر، أسقط أبو جعفر: {فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ} [التكوير : ٢٦]، وكلماتها مائة وأربعون. وحروفها خمسمائة وثلاث وثلاثون. فواصل آياتها: «تسنم»[2].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- أسماؤها التوقيفية:**

١- «سورة التكوير»:

أكثر التفاسير يسمونها «سورة التكوير»[3]، وكذلك تسميتها في المصاحف وهو اختصار لمدلول «كورت»، ولم يعدها في «الإتقان» مع السور التي لها أكثر من اسم.

٢-«سورة إذا الشمس كورت»:

وردت هذه التسمية عند النبي-صلى الله عليه وسلم-[4]، والصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين-[5]، وبهذا الاسم عنون لها الطبري في "تفسيره"[6]، كما ترجم لها البخاري في "صحيحه"[7]، والترمذي في "جامعه"[8]، والحاكم في "مستدركه"[9]، وسميت بهذا الاسم تسمية لها بأول آية افتتحت بها السورة، وهي قوله تعالى: {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ} [التكوير : ١].

ثانيا:- اسمها الاجتهادي: «سورة كورت»:

وردت هذه التسمية في بعض كتب التفسير وعلوم القرآن[10]، وتسمى «سورة كورت» تسمية بحكاية لفظ وقع فيها، وهذه التسمية من اجتهاد العلماء، لم يرد عن النبي-صلى الله عليه وسلم- ما يثبتها كاسم توقيفي.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس قال: " نزلت سورة {إذا الشمس كورت} بمكة"[11]. وروي عن عائشة[1]، وابن الزبير[2] مثله.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير: ١٣٩/٣٠.
(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠١/١.
(٣) انظر: مثلا: بحر العلوم "تفسير السمرقندي": ٥٥٠/٣، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٠٠/٥، والكشف والبيان للثعلبي: ١٣٦/١٠، والنكت والعيون: ٢١١/٦، والوسيط للواحدي: ٤٢٧/٤، وتفسير البغوي: ٣٤٢/٨، والكشاف: ٧٠٦/٤، والمحرر الوجيز: ٧١٢/٤، وزاد المسير: ٤٠٥/٤، ومفاتيح الغيب: ٦٣/٣١، وتفسير القرطبي: ٢٢٦/١٩، وغيرها.
(٤) انظر: فضائل السورة.
(٥) انظر: الأثر في مكان نزول السورة.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٥/٢٤.
(٧) انظر: صحيح البخاري: كتاب التفسير: ٣٩١/٦.
(٨) انظر: سنن الترمذي: كتاب التفسير: ٤٣٣/٥.
(٩) انظر: المستدرك على الصحيحين: كتاب التفسير: ٥٦٠/٢.
(١٠) انظر مثلا: السبعة في القراءات: ٦٧٣/١، وتأويلات أهل السنة: ٤٣٠/١٠، وياقوتة الصراط: ٥٥٧، ومعاني القرآن للأزهري: ١٢٣/٣، والحجم للقراء السبعة: ٦٩/٧، والمبسوط في القراءات العشر: ٤٦٣، والمحتسب: ٣٥٣/٢، والهداية غلى بلوغ النهاية: ٨٠٧٣/١٢، والوجيز في شرح قراءات القراء الثمانية: ٣٧٤، وتفسير السمعاني: ١٦٤/٦، وإعراب القرآن للأصبهاني: ٥٠٠، وجمال القراء: ٣١٣/١، والبصائر: ٥٠٣/١، وتفسير المظهري: ٧/١٠، وروح المعاني: ٢٥٣/١٥، والتحرير والتنوير: ١٣٩/٣٠ .
(١١) انظر: الدر المنثور: ٤٢٥/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع من المتأولين"[٣].
قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلّها بإجماعهم"[٤].
قال ابن عاشور:" هي مكية بالاتفاق"[٥].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها -لما قبلها- أن كلتيهما تشرح أحوال يوم القيامة وأهوالها [٦].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

١- اشتملت السورة على تحقيق الجزاء صريحا، وعلى إثبات البعث وابتدئ بوصف الأهوال التي تتقدمه وانتقل إلى وصف أهوال تقع عقبه.
٢- التنويه بشأن القرآن الذي كذبوا به لأنه أوعدهم بالبعث زيادة لتحقيق وقوع البحث إذا رموا النبيء صلى الله عليه وسلم بالجنون والقرآن بأنه يأتيه به شيطان.

قال الفيروزآبادي:" مقصود السورة: بيان أحوال القيامة، وأهوالها، وذكر القسم بأن جبريل أمين على الوحى، مكين عند ربه، وأن محمدا - صلى الله عليه وسلم - لأمتهم ولا بخيل بقول الحق، وبيان حقيقة المشيئة والإرادة في قوله: {إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِين} [التكوير : ٢٩]"[٧].

- **الناسخ والمنسوخ:**

المنسوخ فيها آية واحدة: {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ} [التكوير : ٢٨] نسخها الله تعالى بما يليها وهو قوله تعالى: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير : ٢٩][٨].

- **فضائل السورة:**

- عن ابن عمر قال: "من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ: «إذا الشمس كورت»، و«إذا السماء انفطرت»، و«إذا السماء انشقت»"[٩].
- عن ابن عباس قال: قال أبو بكر الصدِّيق - رضي الله عنه -: يا رسول الله قد شِبتَ! قال: قال رسول الله: "«شيبتني «هود»، و«الواقعة»، و«المرسلات»، و«عم يتساءلون»، و«إذا الشمس كورت»"[١٠].

---

(١) انظر: الدر المنثور: ٤٢٥/٨، وعزاه ابن مردويه.
(٢) انظر: الدر المنثور: ٤٢٥/٨، وعزاه ابن مردويه.
(٣) المحرر الوجيز: ٤٤١/٥.
(٤) زاد المسير: ٤٠٥/٤.
(٥) التحرير والتنوير: ١٣٩/٣٠.
(٦) انظر: تفسير المراغي: ٥٢/٣٠.
(٧)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠٣/١.
(٨) انظر: الناسخ والمنسوخ لهبة الله: ١٩٥، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠١/١.
(٩) مسند احمد(٤٩٣٤):ص٥٢٨/٨، وسنن الترمذي(٣٣٣٣):ص٢٩٠/٥، والمستدرك للحاكم(٣٩٠٠)، وقال: " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".
وفي رواية أحمد:" وأحسبه قال: «وسورة هود»".
(١٠)أخرجه الترمذي وحسنه فى (كتاب التفسير - سورة الواقعة) والحاكم فى المستدرك (٢/ ٣٤٣) وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي فى الدلائل (١/ ٣٥٧) والبغوي فى شرح السنة (١٤/ ٣٧٢) وفى التفسير، كلهم من حديث ابن عباس رضى الله عنه.
ورواه أيضا الطبراني في الكبير (١٠٠٩١)، وعبد الله ابن الإمام أحمد في "زوائد الزهد" (٩)، والمروزي في "مسند أبي بكر" (٣٠ - ٣٢)، وابن سعد في الطبقات (١/ ٤٣٦)، وابن عساكر (٤/ ١٧٢،١٧٣) والحديث غير ثابت وعلله أكثر الأئمة، وانظر علل الدارقطني (١/ ١٩٣ - ٢١١)، والنكت على ابن الصلاح لابن حجر (٢/ ٧٧٤ - ٧٧٦)، وصحح الحديث الشيخ ناصر الدين الألباني - رحمه الله - في السلسلة الصحيحة (٩٥٥).

- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ أعاذه الله سبحانه وتعالى أن يفضحه حين تنشر صحيفته» [1].[موضوع]

(١) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٣٦/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٢٧٣/١٠. [والحديث موضوع].

سورة «الانفطار»

«سورة الانفطار»: هي السورة الثانية والثمانون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة النازعات»، وآياتها تسع عشرة. وكلماتها مائة. وحروفها ثلاثمائة وتسع عشرة. فواصل آياته (مكنه) . على الهاء آخر السورة[1].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- أسماؤها التوقيفية:**

٢- «سورة الانفطار»:

سميت هذه السورة «سورة الانفطار» في المصاحف ومعظم التفاسير[2]، ووجه تسميتها بذلك لافتتاحها بقوله تعالى: {إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (١)} [الانفطار : ١].

٣- سورة «إذا السماء انفطرت»:

وسميت في بعض التفاسير: «سورة إذا السماء انفطرت»[3]، ولم يعدها صاحب «الإتقان» مع السور ذات أكثر من اسم وهو «الانفطار»، ووجه التسمية وقوع جملة: {إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (١)} [الانفطار : ١] في أولها فعرفت بها.

ثانيا:- اسمها الاجتهادي: «سورة انفطرت»:

وسميت في قليل من التفاسير «سورة انفطرت»[4]، وقيل: تسمى «سورة المنفطرة»[5]، أي: السماء المنفطرة.

وهذه التسمية من اجتهاد العلماء، لم يرد عن النبي-صلى الله عليه وسلم- ما يثبتها كاسم توقيفي.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس قال: " نزلت {إذا السماء انفطرت} بمكة"[6]. وروي عن ابن الزبير[7] مثله.

قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع"[8].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلها بإجماعهم"[9].

قال ابن عاشور:" هي مكية بالاتفاق"[10].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

هذه السورة الكريمة تتفق مع السورة التي قبلها وهي سورة التكوير في أن كلا منها تتحدث عمًّا يصيب الكون من تغيّر وتبدّل قبيل القيامة، ففي التكوير يأتي قوله تعالى: "إذا الشمس كورت" إلى قوله -جل شأنه-: {وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ (١٤)} [التكوير : ١٣ - ١٤]، وفي سورتنا هذه يجيء قوله -عز من قائل-: {إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ} [الانفطار : ١]، إلى قوله تعالى: {وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤) عَلِمَتْ

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠٥/١.

(٢) انظر: مثلا: تفسير الطبري: ٢٦٥/٢٤، ومعاني القرآن للزجاج: ٢٩٥/٥، وتأويلات أهل السنة: ٤٤٢/١٠، وبحر العلوم"تفسير السمرقندي": ٥٥٤/٣..وغيرها..

(٣) انظر: مثلا: تفسير الطبري: ٢٧٣/٢٤، وتأويلات أهل السنة: ٤٣٠/١٠، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٠٣/٥.

(٤) وردت هذه التسمية في تفسير السمعاني: ١٧٢/٦، وتفسير النيسابوري: ٤٥٧/٦، و حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، المُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي: ٣٢٠/٨، وتفسير المظهري: ٨/١٠..

(٥) انظر: روح المعاني: ٦٢/٣٠.

(٦) انظر: الدر المنثور: ٤٣٧/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٧) انظر: الدر المنثور: ٤٢٥/٨، وعزاه ابن مردويه.

(٨) المحرر الوجيز: ٤٤٦/٥.

(٩) زاد المسير: ٤١٠/٤.

(١٠) التحرير والتنوير: ١٦٩/٣٠.

نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (٥)} [الانفطار : ٤ - ٥]، فهدف السورتين يكاد يكون متفقًا على غرض واحد: وهو بيان ما يحدث قبيل يوم القيامة من أحوال عظام وأحداث جسام(١).

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

١ -تحدثت السورة في أولها عما يحدث عند قيام الساعة من انفطار السماء وتشققها، وانتشار الكواكب وتفرقها، وانتزاعها من أماكنها، وتفجير البحار وامتزاج مياهها وتفرقها في جنبات الأرض، وإزالة ما بينهما من البرازخ والحواجز، ثم بعثرة القبور وإخراج ما فيها من الأموات وقد عادت لهم الحياة، وما يعقب ذلك من حشر وحساب وجزاءٍ {إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ} [الانفطار : ١]، إلى قوله تعالى: {عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ} [الانفطار : ٥].

٢ - ثم تذكر السورة الكريمة اغترار الإنسان وانخداعه بإمهال الله وترك عقابه على ما يبدر منه من شرك ومعاص حيث لا يقر له بنعمة، ولا يعرف له سبحانه حقه في إفراده بالوحدانية، بل يصير كنودًا جحودًا لنعم الله عليه: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨)} [الانفطار : ٦ - ٨]، ثم يوضح ويبين -سبحانه- سبب هذا الجحود والكفران وأنه هو التكذيب وعدم الإقرار بيوم القيامة، أو بالإسلام فيقول: {كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ} [الانفطار : ٩].

٣- ثم بعد ذلك قسمت النَّاس إلى طائعين أبرار، وإلى عاصين فجار، وبينت مآل وعاقبة كل فريق منهم: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤)} [الانفطار : ١٣ - ١٤].

٤- وكانت نهاية السورة في عرض أهوال اليوم الآخر: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٨)} [الانفطار : ١٧ - ١٨]، ثم ختمت بأن الملك له وحده، وأن الأمر أمره، فليس لأحد في هذا اليوم حكم ولا أمر: {يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (١٩)} [الانفطار : ١٩].

قال ابن عاشور:" اشتملت هذه السورة على: إثبات البعث، وذكر أهوال تتقدمه، وإيقاظ المشركين للنظر في الأمور التي صرفتهم عن الاعتراف بتوحيد الله تعالى وعن النظر في دلائل وقوع البعث والجزاء. والأعلام بأن الأعمال محصاة. وبيان جزاء الأعمال خيرها وشرها. وإنذار الناس بأن لا يحسبوا شيئا ينجيهم من جزاء الله إياهم على سيىء أعمالهم"(٢).

قال الفيروزآبادي:" معظم مقصود السورة: الخبر عن حال السماء ونجومها في آخر الزمان، وبيان غفلة الإنسان، وذكر الملائكة الموكلين بما يصدر من اللسان والأركان، وبيان إيجاد الحق - تعالى - الحكم يوم يحشر الإنس والجان"(٣).

- **الناسخ والمنسوخ:**

هي محكمة ليس فيها ناسخ ولا منسوخ(٤).

- **فضائل السورة:**

- عن ابن عمر قال: "من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ: «إذا الشمس كورت»، و«إذا السماء انفطرت»، و«إذا السماء انشقت»"(٥).

---

(١) انظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث: ١٨١٢/١٠.
(٢) التحرير والتنوير: ١٦٩/٣٠-١٧٠.
(٣)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠٥/١.
(٤) انظر: الناسخ والمنسوخ لهبة الله: ١٩٥.
(٥) مسند احمد(٤٩٣٤):ص٥٢٨/٨، وسنن الترمذي(٣٣٣٣):ص٢٩٠/٥، والمستدرك للحاكم(٣٩٠٠)، وقال: " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".
وفي رواية أحمد:" وأحسبه قال: «وسورة هود»".

- عن جابر، قال: مر رجل من الأنصار بناضحين على معاذ، وهو يصلي المغرب، فافتتح سورة البقرة، فصلى الرجل ثم ذهب، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «أفتان يا معاذ، أفتان يا معاذ، ألا قرأت بـ« سبح اسم ربك الأعلى» و«والشمس وضحاها» ونحوها»(١).
- عن معمر، عن ثابت: «كان أنس يصلي بنا الظهر والعصر فربما أسمعنا من قراءته إذا السماء انفطرت، وسبح اسم ربك الأعلى»(٢).
- عن إبراهيم قال: «كانوا يقرؤون في صلاة الفجر في السفر إذا السماء انفطرت، وهل أتاك حديث الغاشية»(٣).
- عن العلاء، قال: حدثني رجل، قال: "كنت بمكة فلما صليت العشاء إذا رجل أمامي قد أحرم في نافلة فاستفتح {إذا السماء انفطرت} [الانفطار: ١] قال: فلم يزل فيها حتى نادى منادي السحر؟ فسألت عنه فقيل لي: هو سعيد بن جبير"(٤).
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ :«إذَا السَّماءُ انْفَطَرَتْ»، أعطاه الله سبحانه من الأجر بعدد كل قبر حسنة، وبعدد كل قطرة ماء حسنة، وأصلح الله له شأنه يوم القيامة»(٥).[موضوع]

---

(١) السنن الكبرى للنسائي(١٠٥٨):ص١٥/٢. [قال الألباني]: صحيح.
(٢) مصنف عبدالرزاق الصنعاني(٢٦٨٧):ص١٠٦/٢.
(٣) مصنف عبدالرزاق الصنعاني(٢٧٤١):ص١٢٠/٢.
(٤) فضائل القرآن للقاسم بن سلام: ١٤٨.
(٥) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٤٥/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٢٨٣/١٠. [والحديث موضوع].

سورة «المطففين»

«سورة المطففين»: هي السورة الثالثة والثمانون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد سورة العنكبوت، وهي آخر سورة نزلت بمكة، وآياتها ست وثلاثون. وكلماتها مائة وتسع. وحروفها أربعمائة وثلاثون. وفواصل آياتها «من»[١].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- أسمها التوقيفي: «سورة المطففين»:**

سميت في كثير من كتب التفسير والمصاحف «سورة المطففين»[٢] اختصارا، ووجه تسميتها بذلك لافتتاحها بقوله تعالى: {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ} [المطففين : ١].

ثانيا:- أسماؤها الاجتهادية:

١-سورة «ويل للمطففين»:

سميت هذه السورة في كتب السنة وفي بعض التفاسير «سورة ويل للمطففين»[٣]، وكذلك ترجمها البخاري في كتاب التفسير من «صحيحه»[٤]، والترمذي في «جامعه»[٥]، ووجه تسميتها لافتتاح السورة بهذه الجملة: {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ} [المطففين : ١].

١-سورة «التطفيف»:

عنون بها بعض العلماء والمفسرين، كأبي عمرو الداني[٦]، وعبدالقاهر الجرجاني[٧]، والسخاوي[٨]، وابن الهائم[٩]، وغيرهم. وهذه التسمية من مرتبط بموضوع السورة، لأن «التطفيف»: "تنقيص يجور به صاحبه من كيل أو وزن"[١٠]، وقد حذرت السورة من التطفيف في الكيل والوزن.

وهاتان التسميتان: هما من اجتهاد العلماء، لم يرد عن النبي-صلى الله عليه وسلم- ما يثبت ذلك.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة ثلاثة، أقوال:

أحدها: أنها مكّيّة كلها، قاله ابن مسعود[١١]، وابن عباس[١٢]، وابن زبير[١٣]، والضحّاك[١٤]، ويحيى بن سلام[١٥].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠٦/١.
(٢) انظر: مثلا تفسير الطبري: ٢٧٥/٢٤، وإعراب القرآن للزجاج: ٢٩٧/٥، وتأويلات أهل السنة: ٤٥٣/١٠، وبحر العلوم للسمرقندي: ٥٥٦/٣، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٠٥/٥، والكشف والبيان: ١٤٩/١٠، والنكت والعيون: ٢٢٥/٦، والتفسير الوسيط للواحدي: ٤٤٠/٤، وتفسير السمعاني: ١٧٧/٦، والكشاف: ٧١٨/٤، والمحرر الوجيز: ٤٤٩/٥، وتفسير القرطبي: ٢٥٠/١٩، وغيرها.
(٣) انظر: مثلا: تفسير الطبري: ٣٠٥/٢٤، وتفسير ابن فورك: ١٧١/٣، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨١١٣/١٢.
(٤) انظر: صحيح البخاري: ١٦٧/٦.
(٥) انظر: سنن الترمذي: ٤٣٤/٥.
(٦) انظر: البيان في عدّ آي القرآن: ٢٦٧.
(٧) انظر: درج الدرر: ٦٩٤/٢.
(٨) انظر: جمال القراء: ٩٢.
(٩) انظر: التبيان في تفسير غريب القرآن: ٣٣٨.
(١٠) تفسير ابن فورك: ١٧٢/٣.
(١١) انظر: زاد المسير: ٤١٣/٤.
(١٢) انظر: الدر المنثور: ٤٤١/٨، وعزاه إلى النحاس وابن مردويه.
(١٣) انظر: الدر المنثور: ٤٤١/٨، وعزاه ابن مردويه.
(١٤) انظر: زاد المسير: ٤١٣/٤.
(١٥) انظر: زاد المسير: ٤١٣/٤.

عن ابن عباس قال: " نزلت سورة «المطففين» بمكة"[١]. وروي عن ابن الزبير[٢] مثله.
وعن ابن عباس قال: "آخر ما أنزل بمكة سورة «المطففين»"[٣].
قال ابن عطية:" هي مكية في قول جماعة من المفسرين، واحتجوا لذكر الأساطير، وهذا على أن هذا تطفيف الكيل والوزن كان بمكة حسبما هو في كل أمة لا سيما مع كفرهم"[٤].
الثاني: مدنيّة، قاله ابن عباس-في الأصح عنه-[٥]، والحسن[٦]، وعكرمة[٧]، وقتادة[٨]، والسدي[٩]، ومقاتل[١٠]، إلّا أنّ ابن عباس، وقتادة قالا: "فيها ثمان آيات مكيّة، من قوله عزّ وجلّ: {إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ} [المطففين : ٢٩]، إلى آخرها"[١١].
وقال مقاتل: فيها آية مكيّة، وهي قوله عزّ وجلّ: {إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} [المطففين : ١٣][١٢].
الثالث: أنها نزلت بين مكّة، والمدينة، قاله جابر بن زيد[١٣]، وابن السّائب[١٤].
وذكر هبة الله بن سلامة المفسّر أنها:" نزلت في الهجرة بين مكة والمدينة نصفها يقارب مكة ونصفها يقارب المدينة"[١٥].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

من مناسبتها لما قبلها: أنها تنذر بالويل والثبور والعذاب بالنار في الآخرة، وتهدد الظالمين الذين ينتقصون حق غيرهم فهي تتلاقى مع السورة قبلها في وعيد المخالفين الضالين، كما أنها تبيّن ما أجملته سورة الانفطار من عذاب الفجار، وثواب الأبرار[١٦].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

تتمثل مقاصد سورة المطففين الإجمالية في تأكيد عدل الله وميزانه الدقيق في محاسبة الناس على أعمالهم، وأنه لا بد من بعث العباد يوم القيامة ليحاسبوا، ويعطى كل صاحب حق حقه جزاءاً وفاقاً على ما قدم من عمل في الدنيا، فلا بد من دينونة العباد يوم التناد بإسكان الأولياء أهل الرشاد دار النعيم، والأشقياء أهل الضلال والعناد غار الجحيم، ودل على ذلك الله تعالى بأنه مربيهم والمحسن إليهم بعموم النعمة، ولا يتخيل عاقل أن أحداً يربي أحداً من غير سؤال عما حمله إياه وكلفه به ولا أنه لا ينصف بعض من يربيهم من بعض، واسمها التطفيف أدل ما فيها على ذلك.

---

(١) انظر: الدر المنثور: ٤٤١/٨، وعزاه إلى النحاس وابن مردويه.
(٢) انظر: الدر المنثور: ٤٤١/٨، وعزاه ابن مردويه.
(٣) الدر المنثور: ٤٤١/٨، وعزاه إلى ابن الضريس.
(٤) المحرر الوجيز: ٤٤٩/٥.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٧٧/٢٤، وزاد المسير: ٤١٣/٤، والمحرر الوجيز: ٤٤٩/٥.
(٦) انظر: زاد المسير: ٤١٣/٤.
(٧) انظر: زاد المسير: ٤١٣/٤.
(٨) انظر: زاد المسير: ٤١٣/٤.
(٩) انظر: الكشف والبيان: ١٥٠/١٠، والمحرر الوجيز: ٤٤٩/٥.
(١٠) انظر: زاد المسير: ٤١٣/٤.
(١١) انظر: زاد المسير: ٤١٣/٤.
(١٢) انظر: زاد المسير: ٤١٣/٤، وفي تفسير مقاتل: ٦٢٢/٤، قال مقاتل:" نزلت هذه الآية في النضر ابن الحارث بن علقمة..؟.
(١٣) انظر: زاد المسير: ٤١٣/٤.
(١٤) انظر: زاد المسير: ٤١٣/٤.
(١٥) الناسخ والمنسوخ: ١٩٥.
(١٦) انظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث: ١٨٢٣/١٠.

جاءت مقاصد سورة المطففين التفصيلية كالتالي:

١- بدأت سورة المطففين بالتهديد والوعيد لكل الذين يطفِّفون في الموازين ويتلاعبون بها، فينقِصُون حقوق الناس عند بيعهم ويأكلون ما حرّم الله، قال تعالى: {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦)} [المطففين : ١ - ٦].

٢- وتشير الآيات بلهجة قاسية إلى العذاب والعقاب الذي أعده الله تعالى لأهل الكفر والشرك والمجرمين جميعًا، قال تعالى: {ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (١٧)} [المطففين : ١٦ - ١٧]، وتذكرُ الويلات التي سيلاقونها في ذلك اليوم العسير.

٣- ومن مقاصد سورة المطففين أيضًا أنها تصف أحوال الأتقياء المؤمنين الذين سيكون جزاؤهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار في نعيمٍ مقيم عند من لا يضيع عنده مثقال ذرةٍ، قال تعالى: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (٢٥)} [المطففين : ٢٢ - ٢٥].

٤- وأما في آخرا لآيات فتنطوي سورة المطففين على المقارنة بين عاقبة كلا الفريقين، فريق الكفار الذين ستكون عاقبتهم الهلاك والخسران لأنهم كانوا يستهزؤون بالمؤمنين ويضحكون منهم، وفريق المؤمنين الذين سيضحكون في النهاية من أولئك المجرمين كما كانوا يضحكون منهم في الحياة الدنيا، قال تعالى: {فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ} [المطففين : ٣٤]، وهذا فضل من الله تعالى سيكرمُ به المؤمنين على صبرهم وإيمانهم في حياتهم الدنيا.

قال الفيروزآبادي:" معظم مقصود السورة: تمام الكيل والميزان، والاحتراز عن البخس والنقصان، وذكر السجين لأهل العصيان، وذكر العليين لأهل الإيمان، ودلال المؤمنين والمطيعين في نعيم الجنان، وذل العصيان في عذاب النيران، ومكافأتهم على وفق الجرم والكفران في قوله: {هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [المطففين : ٣٦]"[١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة محكمة بتمامها، ليس فيها ناسخ ولا منسوخ [٢].

- **فضائل السورة:**

– عن خثيم - يعني ابن عراك- عن أبيه أن أبا هريرة قدم المدينة في وهي من قومه والنبي - صلى الله عليه وسلم - بخيبر وقد استخلف سباع ابن عرفطة على المدينة قال: فانتهيت إليه وهو يقرأ في صلاة الصبح في الركعة الأولى بـ«كهيعص»، وفي الثانية: «ويل للمطففين»، قال: فقلت لنفسي ويل لفلان، إذا اكتال اكتال بالوافي، وإذا قال قال بالناقص قال: فلما صلى زودنا شيئاً حتى أتينا خيبر، وقد افتتح النبي -صلي الله عليه وسلم - خيبر قال: فكلم رسول الله -صلي الله عليه وسلم - المسلمين فأشركونا في سهامهم"[٣].

– عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ سورة المطفّفين سقاه الله سبحانه من الرحيق المختوم يوم القيامة» [٤].[موضوع]

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠٥/١.

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ لهبة الله: ١٩٥.

(٣) مسند احمد(٨٥٣٣):ص٣٤٧/٨. إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٤) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٤٩/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٢٨٩/١٠. [والحديث موضوع].

سورة «الانشقاق»

«سورة الانشقاق»: هي السورة الرابعة والثمانون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الانفطار» وقبل «سورة الروم»، وآياتها ثلاث وعشرون عند الشامي والبصرى، وخمس عند الباقين. وكلماتها مائة وسبع. وحروفها أربعمائة وثلاث وثلاثون. والمختلف فيها اثنان {بيمينه} {ورآء ظهره} . فواصل آياتها «قهرتمان»، على الراء: {يَحُورَ} [الانشقاق : ١٤]، وعلى الميم: {أَلِيمٍ} [الانشقاق : ٢٤][(١)].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- أسماؤها التوقيفية:**

١- سورة «الانشقاق»:

سماها المفسرون وكتاب المصاحف «سورة الانشقاق»[(٢)] باعتبار المعنى، كما سميت السورة السابقة «سورة التطفيف».

٢- سورة «إذا السماء انشقت»:

سميت في زمن الصحابة: «سورة إذا السماء انشقت»[(٣)]، لافتتاحها بقوله تعالى: {إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ} [الانشقاق : ١]، ففي «الموطأ» عن أبي سلمة: «أن أبا هريرة قرأ بهم إذا السماء انشقت فسجد فيها فلما انصرف أخبرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد فيها»[(٤)]. فضمير «فيها» عائد إلى إذا السماء انشقت [الانشقاق: ١] بتأويل السورة، وبذلك عنونها البخاري[(٥)]، والترمذي[(٦)]، وكذلك وردت في بعض كتب التفسير[(٧)]، وعلوم القرآن[(٨)].

ثانيا:- أسمها الاجتهادي: «سورة انشقت»:

وسميت «سورة انشقت» اختصارا، وردت هذه التسمية عند بعض المفسرين[(٩)].

قال الفيروزآبادي:" وتسمى سورة «انشقت»، وسورة الانشقاق؛ لافتتاحها"[(١٠)].

وقال ابن عاشور:" وذكرها الجعبري في «نظمه» في تعداد المكي والمدني بلفظ «كدح» فيحتمل أنه عنى أنه اسم للسورة ولم أقف على ذلك لغيره"[(١١)].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس، قال: " نزلت سورة: {إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ} بمكة"[(١)]. وروي عن ابن الزبير[(٢)] مثله.

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠٨/١.

(٢) انظر: مثلا: تفسير الطبري: " هجر: ٢٣٠/٢٤، ومعاني القرآن للفراء: ٢٠٣/٥، وتأويلات أهل السنة: ٤٦٩/١٠، وبحر العلوم"تفسير السمرقندي": ٥٦٠/٣، والكشف والبيان: ١٥٨/١٠، والنكت والعيون: ٢٣٣/٦، والتفسير البسيط للواحدي: ٣٥١/٢٣، وتفسير البغوي: ٣٧١/٨، والكشاف: ٧٢٥/٤، والمحرر الوجيز: ٤٥٦/٥، وزاد المسير: ٤١٩/٤، ومفاتيح الغيب: ٩٦/٣١، وتفسير القرطبي: ٢٦٩/١٩، وغيرها.

(٣) انظر: الأحاديث الواردة في فضائل السورة.

(٤)موطأ مالك(٢٦٧):ص٩٧.

(٥) انظر: صحيح البخاري: ١٦٧/٦.

(٦) انظر: سنن الترمذي: ٢٩٢/٥.

(٧) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٣٠٧/٢٤، وتفسير ابن أبي زمنين: ١١١/٥، وتفسير ابن فورك: ١٧٩/٣، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨١٤٩/١٢ .

(٨) انظر: مثلا: معاني القرآن للفراء: ٢٤٩/٣، ومجاز القرآن لأبي عبيدة: ٢٩١/٢، وأحكام القرآن للجصاص: ٣٧١/٥.

(٩) انظر: السبعة في القراءات: ٦٧٧، وإعراب القرآن للنحاس: ١١٦/٥، ومعاني القرآن للأزهري: ١٣٤/٣، والمبسوط في القراءات العشر: ٤٦٦، والنكت في القرآن الكريم: ٥٤٢، وجمال القراء: ٣١٣، وتفسير البيضاوي: ٣٣٨/٨، وتفسير المظهري: ٨/١٠.

(١٠)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠٨/١.

(١١) التحرير والتنوير: ٢١٧/٣٠.

قال ابن عطية:" هي مكية بلا خلاف بين المتأولين"[٣].
قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلّها بإجماعهم"[٤].
قال ابن عاشور:" هي مكية بالاتفاق"[٥].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها- أنه في السابقة ذكر مقر كتب الحفظة، وفى هذه ذكر عرضها يوم القيامة[٦].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

جاءت مقاصد سورة «الانشقاق» التفصيلية كالآتي:

١- بُدِئت السورة الكريمة بذكر بعض علامات الساعة وأشراطها، وخضوع كل ما في السموات والأرض لأمر الله بتغيير نواميسها وقوانينها، وعند ذلك يلقى كل إنسان جزاءَ ما عمل: {إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ} [الانشقاق : ١]، إلى قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ} [الانشقاق : ٦].

٢- بينت السورة أن عمل الإنسان في الدنيا مسجل عليه في كتاب سيلقاه يوم القيامة، فمن أخذ هذا الكتاب بيمينه فسوف يحاسب حسابًا يسيرا، ومن أخذ كتابه وراءَ ظهره فسوف يتمنى هلاك نفسه لما يلقاه من عذاب شديد، لأنه كان في الدنيا لاهيًا عن العمل للآخرة ظانًّا أنه لن يرجع إلى ربه فيحاسبه: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ} [الانشقاق : ٧]، إلى قوله تعالى: {بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا} [الانشقاق : ١٥].

٣- ثم أقسم -سبحانه- ببعض الآيات الكونية التي تشهد بقدرته وتدعو إلي الإيمان به والتصديق باليوم الآخر وبما يكون فيه من أهوال: {فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ} [الانشقاق : ١٦]، إلى قوله تعالى: {لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ} [الانشقاق : ١٩].

٤- ثم بيّن - جل جلاله - أنه مع ما ذكر من آيات وأدلة بينات في هذه السورة وفي غيرها من السور: فالكافرون يكذبون بالقرآن ولا يؤمنون به: {فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [الانشقاق : ٢٠]، إلى قوله: {بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ} [الانشقاق : ٢٢].

٥- وختمت السورة بتهديد الكفار بأن الله عليم بما يضمرون وقد أَعَدَّ لهم العذاب الأليم، كما أعد للمؤمنين الطائعين الأجر الدائم الذي لا ينقطع: {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ} [الانشقاق : ٢٣]، إلى قوله تعالى: {لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُون} [الانشقاق : ٢٥].

قال الفيروزآبادي:" مقصود السورة: بيان حال الأرض والسماء في طاعة الخالق تعالى وإخراج الأموات للبعث، والاشتغال بالبر والإحسان، وبيان سهولة الحساب للمطيعين، والإخبار عن فرحهم وسرورهم بنعيم الجنان، وبكاء العاصين والكافرين، وويلهم بالثبوت في دركات النيران، والقسم بتشقق القمر، واطلاع الحق على الإسرار والإعلان، وجزاء المطيعين من غير امتنان، في قوله: {لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُون} [الانشقاق : ٢٥] "[٧].

- **الناسخ والمنسوخ:**

---

(١) انظر: الدر المنثور: ٤٥٤/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.
(٢) انظر: الدر المنثور: ٤٥٤/٨، وعزاه ابن مردويه.
(٣) المحرر الوجيز: ٤٥٦/٥.
(٤) زاد المسير: ٤١٩/٤.
(٥) التحرير والتنوير: ٢١٧/٣٠.
(٦) انظر: تفسير المراغي: ٨٧/٣٠.
(٧)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠٨/١.

السورة محكمة بتمامها[1].

- **فضائل السورة:**

- عن عبد الرحمن بن يزيد الصنعاني أخبره أنه سمع ابن عمر يقول: قال رسول الله -صلي الله عليه وسلم -:"من سَرَّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رَأْيُ عين فليقرأ: {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١)} و {إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (١)} و {إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ (١)} {إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ (١)}، وأحسِبه أنه قال: "سورة هود"[2].
- عن معمر، عن قتادة قال: "يقرأ في الركعتين الأوليين من صلاة العصر: «إذا السماء انشقت»، و«السماء ذات البروج»"[3].
- عن أبي رافع قال: "صليت مع عمر العشاء فقرأ: «إذا السماء انشقت»"[4].
- عن أبي رافع، قال: صليت مع أبي هريرة العتمة، فقرأ: «إذا السماء انشقت»، فسجد، فقلت له: قال: «سجدت خلف أبي القاسم صلى الله عليه وسلم، فلا أزال أسجد بها حتى ألقاه»[5].
- عن أبي هريرة، أنه قال: "سجدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في {إذا السماء انشقت} و{اقرأ باسم ربك الذي خلق} سجدتين"[6].
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ سورة انشقت أعاذه الله سبحانه أن يعطيه كِتابَهُ وَراءَ ظَهْرِهِ»[7].[موضوع]

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠٨/١.

(٢) مسند احمد(٤٨٠٦):ص٤٠٦/٤. إسناده صحيح. رواه أيضاً الشيخان، كما في المنتقى (١٣٠٧). وانظر: سنن الترمذي برقم (٣٣٣٣)، وقال الترمذي : "هذا حديث حسن غريب".

(٣) مصنف عبدالرزاق(٢٦٨٨):ص١٠٧/٢.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة(٣٦١٦):ص٣١٦/١.

(٥) صحيح البخاري(٧٦٦):ص١٥٣/١، أخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة باب سجود التلاوة رقم (٥٧٨)، وانظر: موطأ مالك(٢٦٧):ص٩٧، قال محمد الشيباني: وبهذا نأخذ، وهو قول أبي حنيفة رحمه الله، وكان مالك بن أنس لا يرى فيها سجدة".

عن زر بن حبيش " أن عمار بن ياسر، قرأ على المنبر يوم الجمعة «إذا السماء انشقت»، ثم نزل فسجد".[مصنف عبدالرزاق(٥٢٨٤):ص١٩٣/٣].

روي عن علقمة، أنه قال: " لو أني قلت: رأيت عمر بن الخطاب، وابن مسعود رضي الله عنهما يسجدان في: إذا السماء انشقت [ص:٤٠] لقلت، فأما اليقين فأحدهما ".[الآثار لأبي يوسف(٢٠٥):ص٣٩].

(العتمة) العشاء. (فسجد) سجود التلاوة عند محلها منها. (فقلت له) سألته عن حكمها. (سجدت خلف) صليت خلفه فقرأها فسجد بها وسجدت معه خلفه].

(٦) الجامع لابن وهب(٣٥٨):ص٢٢٤.

(٧) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٥٨/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٣٠١/١٠. [والحديث موضوع].

سورة «البروج»

«سورة البروج»: هي السورة الخامسة والثمانون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد سورة «والشمس وضحاها» وقبل سورة «التين»، وآياتها اثنتان وعشرون. وكلماتها مائة وتسع. وحروفها أربعمائة وثمان وخمسون. وفواصل آياتها: «قرط ظب جد»[١].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- أسمها التوقيفي: «سورة البروج»:**

وسميت في المصاحف وكتب السنة[٢] وكتب التفسير[٣] «سورة البروج»، وذلك لافتتاحها بقسم الله بالسماء ذات البروج وهي الكواكب السيارة في أثناء سيرها، قال تعالى: {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ} [البروج : ١].

ثانيا:- أسمها الاجتهادي: «سورة السماء ذات البروج»:

ثبتت هذه التسمية عند الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين-[٤]، والذي يظهر من هذه الاسم، «السماء ذات البروج» أنه لم يحك لفظ القرآن، أي: لم يذكر واو القسم، وقد عنون بعض المفسرين السورة بهذه التسمية مع إضافة واو القسم: «والسماء ذات البروج»[٥].

وهي تسمية اجتهادية من الصحابة-رضي الله عنهم- وهي تسمية لها بأول جملة افتتحت بها السورة، قال تعالى: {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ} [البروج : ١].

وروي عن أبي هريرة:" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أمر أن يقرأ: بالسماوات في العشاء "[٦].

أي: «السماء ذات البروج» و«السماء والطارق»، فمجمعها جمع: سماء، وهذا يدل على أن اسم السورتين: سورة السماء ذات البروج، سورة السماء والطارق[٧].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس، قال: نزلت {والسماء ذات البروج} بمكة"[٨].

قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع من المتأولين لا خلاف في ذلك"[٩].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلها بإجماعهم"[١٠].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها:

١- اشتمالها كالتي قبلها على وعد المؤمنين ووعيد الكافرين، مع التنويه بشأن القرآن وفخامته.

٢- أنه ذكر في السورة السابقة أنه عليم بما يجمعون للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من المكر والخداع وإيذاء من أسلم بأنواع من الأذى كالضرب والقتل والإلقاء في حمارة القيظ. وذكر هنا أن

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠٨/١.

(٢) انظر: مثلا: صحيح البخاري: ١٦٨/٦، وسنن الترمذي: ٢٩٣/٥، والسنن الكبرى للنسائس: ٣٢٩/١٠، وغيرها.

(٣) انظر: مثلا: تفسير الطبري: ٣٢٩/٢٤، وتفسير ابن فورك: ١٨٧/٣، والكشف والبيان: ١٦٤/١٠، والنكت والعيون: ٢٤٠/٦، وتفسير السمعاني: ١٩٤/٦، وتفسير البغوي: ٣٧٨/٨، والكشاف: ٧٢٩/٤، والمحرر الوجيز: ٤٦٠/٥، وزاد المسير: ٤٢٣/٤، ومفاتيح الغيب: ١٠٦/٣١، وتفسير القرطبي: ٢٨٣/١٩، وغيرها.

(٤) كما سيأتي في فضائل السورة.

(٥) انظر :مثلا: تفسير الثعالبي: ٤٠٠/٤، وتفسير ابن أبي زمنين: ١١٤/٥.

(٦) المسند(٨٣٣٣):ص٧٨/١٤. إسناده ضعيف ، وحماد بن عباد السدوسي له ترجمة في "الإكمال" (١٨٤) ، وذكره ابن حبان في "الثقات" ٢٢٠/٦

(٧) التحرير والتنوير: ٢٣٦/٣٠.

(٨) انظر: الدر المنثور: ٤٦١/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه.

(٩) المحرر الوجيز: ٤٦٠/٥.

(١٠) زاد المسير: ٤٢٣/٤.

هذه شنشنة من تقدمهم من الأمم، فقد عذبوا المؤمنين بالنار كما فعل أصحاب الأخدود. وفى هذا عظة لقريش، وتثبيت من يعذبون من المؤمنين(١).

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

جاءت مقاصد سورة «البروج» التفصيلية الآتي

١ - أقسم الله -سبحانه- في أول السورة ببعض مظاهر قدرته على أن الكافرين الذين يؤذون المؤمنين ليردوهم عن دينهم مطرودون كما طرد من سلك مسلكهم ممن سبقهم: {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ} [البروج : ١]، إلى قوله تعالى: {وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ} [البروج : ٧].

٢ - بينت السورة أن الصامدين من المؤمنين الذين عُذبوا ما كان ذنبهم إلا إيمانهم بالله، وذكرت الوعيد للكافرين، والوعد للمؤمنين الصابرين: {وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} [البروج : ٨] إلى قوله تعالى: {ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ} [البروج : ١١].

فإن من أهم مقاصدها: تثبيت المؤمنين، وتسليتهم عما أصابهم من أعدائهم، عن طريق ذكر جانب مما تحمله المجاهدون من قبلهم، فكأن الله- تعالى- يقول للنبي صلى الله عليه وسلم ولأصحابه: اصبروا كما صبر المؤمنون السابقون، واثبتوا كما ثبتوا، فإن العاقبة ستكون لكم.

٣ – أن السورة ساقت الأدلة على وحدانية الله- تعالى- وقدرته، ونفاذ أمره، فقد ذكرت السورة بعض صفاته - تعالى - كقُوَّته وبطشه بالجبابرة، وبالجموع الطاغية من قوم فرعون وثمود وغيرهم من المكذبين، وأن قوم الرسول يكذبونه والله من ورائهم محيط: {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ} [البروج : ١٢]، إلى قوله: {وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ} [البروج : ٢٠].

٤ - وخُتِمت السورة ببيان عظمة القرآن وأنه في لوح محفوظ لا تصل إليه يدٌ بتحريف، ولا قوة بتغير: {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (٢٢)} [البروج : ٢١ - ٢٢].

قال الفيروزآبادي:" معظم مقصود السورة: القسم على أصحاب الأخدود، وكمال ملكة الملك المعبود، وثواب المؤمنين في جوار المقام المحمود، وعذاب الكافرين في الجحيم المورود، وما للمطيع والعاصي من كرم الغفور الودود، والإشارة إلى هلاك فرعون وثمود "(٢).

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة جميعها محكم ليس فيها ناسخ ولا منسوخ (٣).

- **فضائل السورة:**

- عن عمرو بن دينار، وأبي الزبير:" سمعنا جابر بن عبد الله -يزيد أحدهما على صاحبه- قال: كان معاذ يصلي مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ثم يرجع إلى قومه فيصلي بهم، فأخر النبي - صلى الله عليه وسلم - الصلاة ذات ليلة، فرجع معاذ يؤمهم فقرأ بسورة البقرة، فلما رأى ذلك رجل من القوم انحرف إلى ناحية المسجد فصلى وحده، فقالوا: أنافقت؟ قال: لا. قال: لآتين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلأخبرنه، فأتى النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال: إن معاذا يصلي معك، ثم يرجع فيؤمنا، وإنك أخرت الصلاة البارحة فجاء فأمنا فقرأ سورة البقرة، وإني تأخرت عنه فصليت وحدي يا رسول الله، وإنا نحن أصحاب نواضح، وإنما نعمل بأيدينا. فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "يا معاذ أفتان أنت؟ اقرأ سورة «والليل إذا يغشى»، و«سبح اسم ربك الأعلى»، «والسماء ذات البروج»"(٤).

---

(١) انظر: تفسير المراغي: ٩٧/٣٠.
(٢)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠٨/١.
(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ لهبة الله: ١٩٦.
(٤) صحيح ابن خزيمة(٥٢١):ص٢٩٠/١-٢٩١.

- عن جابر بن سمرة، " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الظهر والعصر: «والسماء ذات البروج»، و«السماء والطارق»، وشبهها"[(١)].
- عن أبي هريرة:" أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ في العشاء الآخرة بالسماء، يعني: «ذات البروج» و«السماء والطارق»"[(٢)].
- عن معمر، عن قتادة قال: "يقرأ في الركعتين الأوليين من صلاة العصر: «إذا السماء انشقت»، و«السماء ذات البروج»"[(٣)].
- عن نافع:" أن ابن عمر «كان يقرأ في الصبح بالعشر السور من أول المفصل، يرددهن في كل ركعة سورة»[(٤)]. قال محمد: يقرأ في الفجر في السفر «والسماء ذات البروج»، و«السماء والطارق» ونحوهما.
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ «وَالسَّماءِ ذاتِ الْبُرُوجِ» أعطاه الله عز وجل من الأجر بعدد كل يوم جمعة وكلّ يوم عرفة يكون في دار الدنيا عشر حسنات» [(٥)].[موضوع]

---

(١) أخرجه احمد(٢٠٩٨٢):ص٤٩٧/٣٤، صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن من أجل سماك، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الصحيح.
وأخرجه الترمذي (٣٠٧) ، والبغوي (٥٩٤) من طريق يزيد بن هارون، بهذا الإسناد، وأخرجه الطيالسي (٧٧٤) ، والدارمي (١٢٩٠) ، والبخاري في "القراءة" (٢٩٦) ، وأبو داود (٨٠٥) ، والطحاوي في "شرح المعاني" ٢٠٧/١، وابن حبان (١٨٢٧) ، والطبراني (١٩٦٦) ، والبيهقي ٣٩١/٢ من طرق عن حماد بن سلمة، به. وسقط من المطبوع في "القراءة" شيخ البخاري.
(٢) أخرجه أحمد (٨٣١٤):ص٢٨٠/٨. إسناده ضعيف، أبو المهزم -واسمه يزيد بن سفيان، وقيل: عبد الرحمن بن سفيان- ضعفه ابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم، وقال البخاري: تركه شعبة بن الحجاج، وقال الدارقطني: يترك، وقال النسائي: متروك الحديث. ورزيق بن أبي سلمى أورده ابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" ٥٠٥/٣ وذكر أنه روى عن الحسن وعطاء وبكر بن عبد الله، وروى عنه عبد الرحمن بن مهدي ومسلم بن إبراهيم، ولم يوثقه أحد، فهو مجهول الحال.
(٣) مصنف عبدالرزاق(٢٦٨٨):ص١٠٧/٢.
(٤) موطأ مالك رواية محمد بن الحسن الشيباني(٢٠٠):ص٨١.
(٥) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣١٠/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٣١٠/١٠. [والحديث موضوع].

سورة «الطارق»

«سورة الطارق»: هي السورة السادسة والثمانون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة البلد»، وآياتها سبع عشرة في عد الجميع، غير أبى جعفر؛ فإنها عند ست عشرة. أسقط : {يَكِيدُونَ كَيْدًا} [الطارق : ١٥]، وعدها الباقون. وكلماتها إحدى وستون. وحروفها مائتان وتسع وثلاثون. فواصل آياتها «ظل بق عار» [١].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- أسمها التوقيفي: «سورة الطارق»:**

سميت في كتب التفسير[٢]، وكتب السنة[٣]، وفي المصاحف «سورة الطارق»، لوقوع هذا اللفظ في أولها، قال تعالى: {وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١)} [الطارق : ١].

ثانيا:- أسمها الاجتهادي: «سورة السماء والطارق»:

ثبتت هذه التسمية عند الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين-[٤]، كما أنها سميت «والسماء والطارق»، بإضافة واو القسم، وبذلك ترجمت في تفسير الطبري[٥]، والثعالبي[٦]، وابن أبي زمنين[٧]، ومكي بن أبي طالب[٨]، وهي تسمية اجتهادية وليست توقيفية.

وهي تسمية اجتهادية من الصحابة-رضي الله عنهم- وهي تسمية لها بأول جملة افتتحت بها السورة، قال تعالى: {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ} [البروج : ١].

وروي عن أبي هريرة:" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أمر أن يقرأ: بالسماوات في العشاء "[٩].

أي: «السماء ذات البروج» و«السماء والطارق»، فجمعها جمع: سماء، وهذا يدل على أن اسم السورتين: سورة «السماء ذات البروج»، «سورة السماء والطارق»[١٠].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس، قال: "نزلت {والسماء والطارق} بمكة"[١١].

قال ابن عطية:" هي مكية لا خلاف بين المفسرين في ذلك"[١٢].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلّها بإجماعهم"[١٣].

قال ابن عاشور:" هي مكية بالاتفاق، نزلت قبل سنة عشر من البعثة"[١٤].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥١٢/١.
(٢) انظر: مثلا: تأويلات أهل السنة: ٤٩١/١٠، وبحر العلوم للسمرقندي: ٥٦٨/٣، وتفسير ابن فورك: ١٩٤/٣، والكشف والبيان: ١٧٧/١٠، والنكت والعيون: ٢٤٥/٦، وتفسير السمعاني: ٢٠٢/٦، وتفسير البغوي: ٣٩١/٨، والكشاف: ٧٣٤/٤، والمحرر الوجيز: ٤٦٤/٥، وزاد المسير: ٤٢٨/٤، ومفاتيح الغيب: ١١٧/٣١، وتفسير القرطبي: ١/٢٠، وغيرها.
(٣) انظر: مثلا: صحيح البخاري: ١٦٨/٦، والسنن الكبرى للنسائي: ٣٣٢/١٠، والمستدرك للحاكم: ٥٦٥/٢.
(٤) كما سيأتي في فضائل السورة.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٩/٢٤.
(٦) انظر: تفسير الثعالبي: ٤٠٢/٤.
(٧) انظر: تفسير ابن أبي زمنين: ١١٧/٥.
(٨) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٨١٩١/١٢.
(٩) المسند(٨٣٣٣):ص٧٨/١٤. إسناده ضعيف ، وحماد بن عباد السدوسي له ترجمة في "الإكمال" (١٨٤) ، وذكره ابن حبان في "الثقات" ٢٢٠/٦
(١٠) التحرير والتنوير: ٢٣٦/٣٠.
(١١) انظر: الدر المنثور: ٤٧٣/٨، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي.
(١٢) المحرر الوجيز: ٤٦٤/٥.
(١٣) زاد المسير: ٤٢٨/٤.
(١٤) المحرر الوجيز: ٢٥٧/٣٠.

روي عن عبد الرحمن بن خالد العدواني، عن أبيه:" أنه أبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشرق ثقيف، وهو قائم على قوس، أو عصا حين أتاهم يبتغي عندهم النصر، قال: " فسمعته يقرأ: «والسماء والطارق» حتى ختمها "، قال: فوعيتها في الجاهلية وأنا مشرك، ثم قرأتها في الإسلام، قال: فدعتني ثقيف فقالوا: ماذا سمعت من هذا الرجل؟ فقرأتها عليهم، فقال من معهم من قريش: نحن أعلم بصاحبنا، لو كنا نعلم ما يقول حقا لاتبعناه"[١].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

من مناسبتها لما قبلها:

١- أنه ابتدأ هذه بالحلف بالسماء كالسورة قبلها.
٢- أنه ذكر في السابقة تكذيب الكفار للقرآن، وهنا وصف القرآن بأنه القول الفصل، وفيه رد على أولئك المكذبين[٢].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

يمكن بيان مقاصد السورة التفصيلية على النحو الآتي:

١- بُدِئَت السورة الكريمة بالقسم السماءِ وما حوت من نجم وكواكب على أن كلَّ نفس عليها رقيب يحصى أعمالها {وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ} [الطارق : ١] إلى قوله تعالى: {إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ} [الطارق : ٤].
٢- دعت السورة الإنسان أن يفكر وينظر في نشأته ومم خلق؟ ليعلم أن الذي أنشأه بقدرته قوي قادر على إعادته بعد موته للحساب {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ} [الطارق : ٥]، إلى قوله تعالى: {فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ} [الطارق : ١٠].
٣- في السورة قسم آخر بالسماءِ ذات المطر، والأرض التي تنشق عن النبات على أن القرآن فاصل بين الحق والباطل وهو خير كله، ومن حقه -وقد وصفه الله بهذا- أن يكون معظَّما يترفع به قارئه وسامعه عن أن يلم بهزل أو يتفكه بمزاج، ومع ذلك فقد اشتد الكفار في عداوته وإنكاره والكيد له، وقد رَدَّ الله كيدهم بكيد أشد لا يقدرون على دفعه {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ} [الطارق : ١١] إلى قوله تعالى: {وَأَكِيدُ كَيْدًا} [الطارق : ١٦].
٤- ختمت السورة بطلب إمهال الكافرين حتى يأتيهم العذاب: {فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا} [الطارق : ١٧].

---

(١) مسند احمد(١٨٩٥٨): ص٢٨٨/٣١-٢٨٩، إسناده ضعيف لجهالة عبد الرحمن بن خالد العدواني، فقد تفرد بالرواية عنه عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي، ولم يؤثر توثيقه عن غير ابن حبان، وقال الحسيني في "الإكمال": مجهول، وتعقبه الحافظ في "التعجيل" بقوله: صحح ابن خزيمة حديثه، ومقتضاه أن يكون عنده من الثقات. قلنا:

وله علة أخرى، وهي تفرد عبد الله: بن عبد الرحمن الطائفي به، وهو ضعيف يعتبر به في الشواهد والمتابعات، ولم يتابعه أحد هنا.

وأخرجه ابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (١٢٧٥) من طريق ابن أبي شيبة، بهذا الإسناد.

وأخرجه البخاري في "التاريخ الكبير" ١٣٨/٣-١٣٩، وابن خزيمة (١٧٧٨) ، والطبراني فيه "الكبير" (٤١٢٦) و (٤١٢٧) من طرق عن مروان بن معاوية، به.

وأخرجه ابن أبي عاصم (١٢٧٤) ، والطبراني (٤١٢٨) من طريق أبي عاصم الضحاك بن مخلد، عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي، به قال السندي: قوله: "في مشرق ثقيف" ضبط على وزن اسم المفعول من التشريق، قيل: وهو سوق بالطائف.

على قوس: معتمدا عليه.

فقال من معهم من قريش: تنفيرا لهم.

(٢) انظر: تفسير المراغي: ١٠٩/٣٠.

قال الفيروزآبادي:" مقصود السورة: القسم على حفظ أحوال الإنسان، والخبر عن حاله فى الابتداء والانتهاء، وكشف الأسرار في يوم الجزاء، والقسم على أن كلمات القرآن جزل، غير هزل، من غير امتراء، وشفاعة حضرة الكبرياء إلى سيد الأنبياء بإمهال الكافرين، فى العذاب والبلاء، في قوله: {أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا} [الطارق : ١٧] "[١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

المنسوخ فيها آية واحدة: {فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا} [الطارق : ١٧]، نسختها آية السيف[٢].

- **فضائل السورة:**

- عن جابر بن سمرة، عن جابر بن سمرة، "أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الظهر والعصر بـ« السماء والطارق»، و«السماء ذات البروج»"[٣].
- عن أبي هريرة:" أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ في العشاء الآخرة بالسماء، يعني: «ذات البروج» و«السماء والطارق»"[٤].
- عن نافع:" أن ابن عمر «كان يقرأ في الصبح بالعشر السور من أول المفصل، يرددهن في كل ركعة سورة»[٥]. قال محمد: يقرأ في الفجر في السفر «والسماء ذات البروج»، و«السماء والطارق» ونحوهما.

عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: « «من قرأ سورة الطارق أعطاه الله من الأجر بعدد كلّ نجم في السماء عشر حسنات» [٦].[موضوع]

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥١٢/١.
(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥١٢/١.
(٣) مصنف ابن أبي شيبة(٣٥٧٠): ص٣١٢/١، وسنن الدارمي(١٣٢٧):ص٨١٨/٢
(٤) أخرجه أحمد (٨٣١٤):ص٢٨٠/٨. إسناده ضعيف، أبو المهزم -واسمه يزيد بن سفيان، وقيل: عبد الرحمن بن سفيان- ضعفه ابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم، وقال البخاري: تركه شعبة بن الحجاج، وقال الدارقطني: يترك، وقال النسائي: متروك الحديث. ورزيق بن أبي سلمى أورده ابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" ٥٠٥/٣ وذكر أنه روى عن الحسن وعطاء وبكر بن عبد الله، وروى عنه عبد الرحمن بن مهدي ومسلم بن إبراهيم، ولم يوثقه أحد، فهو مجهول الحال.
(٥) موطأ مالك رواية محمد بن الحسن الشيباني(٢٠٠):ص٨١.
(٦) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٧٧/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٣٢٠/١٠. [والحديث موضوع].

سورة «الأعلى»

«سورة الأعلى»: هي السورة السابعة والثمانون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة التكوير»، آياتها تسع عشرة بالإجماع. وكلماتها ثمان وسبعون. وحروفها مائتان وإحدى وسبعون. فواصل آياتها على الألف[١].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- أسماؤها التوقيفية:**

١-«سورة الأعلى»:

سماها أكثر المفسرين[٢] وكتاب المصاحف «سورة الأعلى»، لوقوع صفة الأعلى فيها دون غيرها، قال تعالى: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١)} [الأعلى : ١].

٢- سورة «سبح اسم ربك الأعلى»:

هذه السورة وردت تسميتها في السنة[٣]، سورة: «سبح اسم ربك الأعلى». وهي تسمية للسورة بأول آية افتتحت بها، قال تعالى: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١)} [الأعلى : ١].

عن ابن هبيرة: "أن أبا تميم الجيشاني كان إذا استفتح في المفصل قرأ مع كل «سورة سبح اسم ربك الأعلى» و«قل هو الله أحد» و«قل أعوذ برب الفلق» و«قل أعوذ برب الناس»، وقال أبو تميم: إن نبي الله صلى الله عليه وسلم، قال: «إني نسيت الليلة أفضل المسبحات» . فقال أبي بن كعب: فلعلها يا رسول الله سبح اسم ربك الأعلى؟ قال: «نعم»[٤].

- **ثانيا:- أسمها الاجتهادي: «سورة سبح»:**

سمتها بذلك عائشة-رضي الله عنها-[٥]، وابن عباس[٦]، وذكرها بعض المفسرين[٧]، وهو اسم اجتهادي لم يثبت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما يدل على هذه التسمية.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها أنزلت بمكة. قالته عائشة[٨]، وابن عباس[٩]، وابن زبير[١٠].

عن عائشة قالت: "نزلت سورة {سبح اسم ربك} بمكة"[١١].

عن ابن عباس، قال: "نزلت سورة {سبح} بمكة"[١٢].

عن عبدالله بن زبير، قال:" أنزلت سورة {سبح اسم ربك الأعلى} بمكة"[١٣].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥١٤/١.
(٢) انظر: مثلا: بحر العلوم للسمرقندي: ٥٧٠/٣، والكشف والبيان: ١٨٢/١٠، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٢٠٣/١٢، والنكت والعيون: ٢٥١/٦، وتفسير السمعاني: ٢٠٦/٦، وتفسير البغوي: ٣٩٦/٨، والكشاف: ٧٣٧/٤، وغيرها.
(٣) انظر: صحيح البخاري: ١٦٨/٦، والمستدرك على الصحيحين: ٥٦٦/٢.
(٤) الكنى والأسماء للدولابي(١٣٣):ص٥٤/١.
(٥) انظر: الدر المنثور: ٤٨١/٨. وعزاه إلى أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والحاكم وصححه والبيهقي. وسوف يأتي في فضائل السورة.
(٦) انظر: الدر المنثور: ٤٧٩/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.
(٧) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٧٧/٨، وروح المعاني ١٠/٣٠، وفتح القدير للشوكاني: ٣٧٧/٨.
(٨) انظر: الدر المنثور: ٤٧٩/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٩) انظر: الدر المنثور: ٤٧٩/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.
(١٠) انظر: الدر المنثور: ٤٧٩/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(١١) انظر: الدر المنثور: ٤٧٩/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(١٢) انظر: الدر المنثور: ٤٧٩/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.
(١٣) انظر: الدر المنثور: ٤٧٩/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

عن أبي إسحاق، قال: سمعت البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال: " أول من قدم علينا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم فجعلا يقرئاننا القرآن، ثم جاء عمار، وبلال، وسعد ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين ثم " جاء النبي صلى الله عليه وسلم فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء، فرحهم به حتى رأيت الولائد[1] والصبيان، يقولون: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء فما جاء، حتى قرأت: {سبح اسم ربك الأعلى} [الأعلى: ١] في سور مثلها"[2].

الثاني: أنها مدنية كلها. حكي ذلك عن الضحاك[3].

قال ابن عطية:" هي مكية في قول الجمهور، وحكى النقاش عن الضحاك أنها مدنية، وذلك ضعيف، وإنما دعا إليه قول من قال: إن ذكر صلاة العيد فيها "[4].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلّها بإجماعهم"[5].

قال ابن عاشور:" هي مكية في قول الجمهور، وحديث البراء بن عازب[6] يدل عليه، وعن ابن عمر وابن عباس أن قوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥)} [الأعلى : ١٤ - ١٥]، نزل في صلاة العيد وصدقة الفطر، أي فهما مدنيتان فتكون السورة بعضها مكي وبعضها مدني"[7].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها- أنه ذكر فى تلك خلق الإنسان، وأشار إلى خلق النبات بقوله: {وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ} [الطارق : ١٢]. وذكر هنا خلق الإنسان في قوله: {الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى} [الأعلى : ٢]. وخلق النبات في قوله: {وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (٥)} [الأعلى : ٤ - ٥]، وقصة النبات هنا أوضح وببسط أكثر، وخلق الإنسان هناك أكثر تفصيلا[8].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

يمكن بيان مقاصد السورة التفصيلية على النحو الآتي:

١- تنزيه ذات الله الأعلى، وصفاته، عما لا يليق بها: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١)} [الأعلى : ١].

٢- بيان الإبداع فيما خلق -سبحانه- فجعله مستويًا في إحكام وإتقان، وقدر لكل شيءٍ خلقه ما يصلحه، فهداه إليه: {الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣)} [الأعلى : ٢ - ٣].

٣- توجيه العقول والأبصار إلى صنيع القدرة في إخراج النبات من الأرض التي تنشق عنه وتدُرجه من أخضر نافع إلى أن يصير يابسًا أسود وجعله رعيًا للدواب: {وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (٥)} [الأعلى : ٤ - ٥].

٤- إخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بأن الله سيقرئه القرآن فيحفظه ولا ينسى منه شيئًا إلا ما شاءَ الله، وأنه صلى الله عليه وسلم ميسر لليسرى {سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى (٧)} [الأعلى : ٦ - ٧] الآيات.

٥- أمْرٌ للرسول صلى الله عليه وسلم أن يُذَكِّر بالقرآن وبما يوحَى إليه ليذّكر من يخاف الله ويرجو ثوابه: {فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى (٩) سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى (١٠)} [الأعلى : ٩ - ١٠].

---

(١)(الولائد) جمع وليدة وهي الصبية والأمة.
(٢) صحيح البخاري(٤٩٤١):ص١٦٨/٦
(٣) نقلا عن: المحرر الوجيز: ٤٦٨/٥.
(٤) المحرر الوجيز: ٤٦٤/٥.
(٥) زاد المسير: ٤٣١/٤.
(٦) انظر: صحيح البخاري(٤٩٤١):ص١٦٨/٦
(٧) المحرر الوجيز: ٢٧١/٣٠.
(٨) انظر: تفسير المراغي: ١٢٠/٣٠.

٦- إعلامه صلى الله عليه وسلم بأن الأشقى المصر على العناد والكفر سيرفض دعوتك، ويعرض عنك فلا تحزن، وسيصلى النَّار الشديدة، فلا يستريح من العذاب بالموت، ولا يحيا حياة نافعة: {وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (١٢)} [الأعلى : ١١ - ١٢] الآيات.

قال الفيروزآبادي:" مقصود السورة: بيان علو الذات، والصفات، وذكر الخلقة، وتربية الحيوانات، والإشادة بالثمار، والنبات، والأمن من نسخ الآيات، وبيان سهولة الطاعات، وذل الكفار فى قعر الدركات، والتحضيض على الصلاة والزكاة، وفى الدنيا بقاء الخيرات، وفى الآخرة بقاء الدرجات، في قوله: {وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى} [الأعلى : ١٧] "[١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة محكمة[٢].

- **فضائل السورة:**

- عن إياس بن عامر، قال: سمعت عقبة بن عامر الجهني، يقول: "لما نزلت: {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} [الواقعة: ٧٤]، قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اجعلوها في ركوعكم»، فلما نزلت: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى: ١] قال: «اجعلوها في سجودكم»"[٣].

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥١٤/١.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥١٤/١.

(٣) المسند(١٧٤١٤):ص٦٣٠/٢٨، إسناده محتمل للتحسين، إياس بن عامر الغافقي لم يرو عنه غير ابن أخيه موسى بن أيوب، وذكره ابن أبي حاتم ٢٨١/٢ ولم يأثر فيه جرحا ولا تعديلا، وقال الذهبي في "تلخيص المستدرك" ٢٢٥/١: ليس بالمعروف. كذا قال، وأما أبو سعيد بن يونس صاحب "تاريخ المصريين" فقال: كان من شيعة علي، والوافدين عليه من أهل مصر، وشهد معه مشاهده. وقال العجلي: لا بأس به. وذكره يعقوب بن سفيان في "المعرفة والتاريخ" في ثقات المصريين، وذكره في الثقات أيضا ابن حبان في كتابه ٣٣/٤ و٣٥، وقال في "صحيحه" ٢٢٦/٥: إياس بن عامر من ثقات المصريين.
قلنا: وباقي رجال الإسناد ثقات.
وأخرجه الدارمي (١٣٠٥) ، ويعقوب بن سفيان في "المعرفة والتاريخ" ٥٠٢/٢، وأبو يعلى (١٧٣٨) ، وابن خزيمة (٦٠٠) و (٦٧٠) ، والطحاوي في "شرح معاني الآثار" ٢٣٥/١، والطبراني في "الكبير" ١٧/ (٨٨٩) ، والحاكم ٤٧٧، وابن عبد البر في "التمهيد" ١١٩/١٦ من طريق أبي عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المقرئ، بهذا الإسناد. وقال الحاكم: صحيح الإسناد، وقال الذهبي في "تلخيصه": الحديث صحيح.
وأخرجه الطيالسي (١٠٠٠) ، وأبو داود (٨٦٩) ، وابن ماجه (٨٨٧) ، وابن خزيمة (٦٠١) و (٦٧٠) ، وابن حبان (١٨٩٨) ، والحاكم ٢٢٥/١، والبغوي في "التفسير" ٢٨/٧، والمزي في ترجمة إياس من "تهذيب الكمال" ٤٠٥/٣ من طريق عبد الله بن المبارك، عن موسى بن أيوب الغافقي، به، وصحح الحاكم إسناده، فتعقبه الذهبي بقول: إياس ليس بالمعروف.
وأخرجه الطحاوي في "شرح معاني الآثار" ٢٣٥/١ من طريق عم أحمد بن عبد الرحمن بن وهب- وهو عبد الله بن وهب-، والطبراني ١٧/ (٨٩١) من طريق ابن لهيعة، كلاهما عن موسى بن أيوب الغافقي، به.
وأخرجه الطبراني ١٧/ (٨٩٠) من طريق عبد الله بن صالح، عن الليث، عن موسى بن أيوب، عن رجل من قومه سماه، عن عقبة بن عامر. وزاد: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ركع قال: "سبحان ربي العظيم" ثلاث مرات، وإذا سجد قال: "سبحان ربي الأعلى" ثلاث مرات. والرجل المبهم هو بلا شك إياس بن عامر الغافقي.
وأخرجه أبو داود (٨٧٠) عن أحمد بن يونس، عن الليث، عن أيوب بن موسى أو موسى بن أيوب- على الشك- عن رجل من قومه، عن عقبة. بزيادة الطبراني السابقة. وقال: وهذه الزيادة نخاف ألا تكون محفوظة.
قلنا: لكن روي لهذه الزيادة شواهد تتقوى بها وإن كان لا يخلو واحد منها من مقال: فعن عبد الله بن مسعود عند أبي داود (٨٨٦) ، والترمذي (٢٦١) ، وقال: حديث ابن مسعود ليس إسناده بمتصل، عون بن عبد الله بن عتبة لم يلق ابن مسعود. وقال أبو داود: هذا مرسل، عون لم يدرك عبد الله.
وعن جبير بن مطعم عند البزار (٣٤٤٧) ، والطبراني (١٥٧٢) ، والدارقطني ٣٤٢/١، وفي إسناده عبد العزيز بن عبيد الله الحمصي، وهو ضعيف.
وعن أبي مالك الأشعري. سيرد ٣٤٣/٥، وفي إسناده شهر بن حوشب، وهو ضعيف.
وعن أقرم بن زيد الخزاعي عند الدارقطني ٣٤٣/١، وفي إسناده من لا يعرف.

- عن أبي هريرة قال: "قلنا يا رسول الله كيف نقول في سجودنا فأنزل الله {سبح اسم ربك الأعلى}، فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقول في سجودنا: سبحان ربي الأعلى"(١).
- عن ابن عباس:" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ {سبح اسم ربك الأعلى} قال: سبحان ربي الأعلى"(٢).
- عن ابن عباس قال: "إذا قرأت {سبح اسم ربك الأعلى} فقل: سبحان ربي الأعلى"(٣).
- عن علي بن أبي طالب:" أنه قرأ {سبح اسم ربك الأعلى} فقال: سبحان ربي الأعلى وهو في الصلاة فقيل له: أتزيد في القرآن قال: لا إنما أمرنا بشيء فقلته"(٤).
- عن أبي موسى الأشعري:" أنه قرأ في الجمعة {سبح اسم ربك الأعلى} فقال: سبحان ربي الأعلى"(٥).
- عن عبد الله بن الزبير:" أنه قرأ {سبح اسم ربك الأعلى}، فقال: سبحان ربي الأعلى وهو في الصلاة"(٦).
- عن سعيد بن جبير قال: سمعت ابن عمر يقرأ :«سبحان اسم ربك الأعلى»، فقال: سبحان ربي الأعلى. قال: كذلك هي قراءة أبي بن كعب"(٧).
- وأخرج أحمد والبزار وابن مردويه عن علي، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب هذه السورة {سبح اسم ربك الأعلى}"(٨).
- أخرج أبو عبيد عن تميم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني نسيت أفضل المسبحات، فقال أبي بن كعب فلعلها: {سبح اسم ربك الأعلى} قال: نعم"(٩).
- عن النعمان بن بشير :"أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في العيدين ويوم الجمعة بـ {سبح اسم ربك الأعلى} و {هل أتاك حديث الغاشية}، وإن وافق يوم الجمعة قرأهما جميعا"(١٠).
- عن أبي عتبة الخولاني:" أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الجمعة ب {سبح اسم ربك الأعلى} و {هل أتاك حديث الغاشية}"(١١).

وعن أبي بكرة عند البزار (٣٦٨٦) وفيه من لا يعرف أيضا.
قال الترمذي: والعمل على هذا عند أهل العلم، يستحبون أن لا ينقص الرجل في الركوع والسجود من ثلاث تسبيحات.
قلنا: وفي الباب أيضا عن حذيفة بن اليمان، لكن دون تقييد الذكر في الركوع والسجود بعدد، وهو عند مسلم (٧٧٢) ، وسيأتي في "المسند" ٣٨٢/٥.
قال السندي: قوله: "اجعلوها" أي: اعملوا بها واجعلوا السبحة التي تدل عليها هي، والمراد: قولوا: سبحان ربي العظيم.
(١) الدر المنثور: ٤٨١/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٢) الدر المنثور: ٤٨٢/٨، وعزاه إلى أحمد وأبو داود وابن مردويه والبيهقي في سننه.
(٣) الدر المنثور: ٤٨٢/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(٤) الدر المنثور: ٤٨٢/٨، وعزاه إلى الفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن الأنباري في المصاحف.
(٥) الدر المنثور: ٤٨٢/٨، وعزاه إلى الفريابي وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر.
(٦) الدر المنثور: ٤٨٢/٨، وعزاه إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد.
(٧) الدر المنثور: ٤٨٢/٨، وعزاه إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه.
(٨) الدر المنثور: ٤٨٠/٨.
(٩) الدر المنثور: ٤٨٠/٨.
(١٠) الدر المنثور: ٤٨٠/٨. وعزاه إلى ابن أبي شيبة وأحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة.
(١١) الدر المنثور: ٤٨٠/٨. وعزاه إلى ابن أبي شيبة وابن ماجة.

- عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في العيد بـ {سبح اسم ربك الأعلى} و{هل أتاك حديث الغاشية}"[١].
- عن سمرة بن جندب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في العيدين بـ {سبح اسم ربك الأعلى} و{هل أتاك حديث الغاشية}"[٢].
- عن أنس:" أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الظهر والعصر بـ {سبح اسم ربك الأعلى} و{هل أتاك حديث الغاشية}"[٣].
- عن جابر بن سمرة:" أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الظهر بـ {سبح اسم ربك الأعلى}"[٤].
- عن عمران بن حصين:" أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر فلما سلم قال: هل قرأ أحد منكم بـ {سبح اسم ربك الأعلى} فقال رجل: أنا. قال: قد علمت أن بعضكم خالجنيها"[٥].
- عن أبي بن كعب قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بـ {سبح اسم ربك الأعلى} و{قل يا أيها الكافرون}"[٦].
- عن عائشة، قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الوتر في الركعة الأولى بـ {سبح} وفي الثانية: {قل يا أيها الكافرون}، وفي الثالثة {قل هو الله أحد}، والمعوذتين"[٧].
- عن ابن عمر:" أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الوتر بـ {سبح اسم ربك الأعلى} و {قل يا أيها الكافرون} و{قل هو الله أحد}"[٨].
- عن جابر بن عبد الله قال: "أمّ معاذ قوما في صلاة المغرب فمر به غلام من الأنصار وهو يعمل على بعير له فأطال بهم معاذ فلما رأى ذلك الغلام ترك الصلاة وانطلق في طلب بعيره فرفع ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أفتان أنت يا معاذ ألا يقرأ أحدكم في المغرب بـ {سبح اسم ربك الأعلى} {والشمس وضحاها}"[٩].
- عن جابر:" أن معاذ بن جبل صلى بأصحابه العشاء فطول عليهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اقرأ {بالشمس وضحاها} و {سبح اسم ربك الأعلى} {والليل إذا يغشى}، و{سبح اسم ربك الأعلى}"[١٠].
- عن الكلبي قال: وفد حضرمي بن عامر على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أتقرأ شيئا من القرآن فقرأ {سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى} والذي

---

(١) الدر المنثور: ٤٨٠/٨. وعزاه إلى ابن ماجة.
(٢) الدر المنثور: ٤٨٠/٨. وعزاه إلى أحمد وابن ماجة والطبراني.
(٣) الدر المنثور: ٤٨٠/٨. وعزاه إلى البزاز.
(٤) الدر المنثور: ٤٨٠/٨. وعزاه إلى ابن أبي شيبة ومسلم.
(٥) الدر المنثور: ٤٨٠/٨. وعزاه إلى ابن أبي شيبة ومسلم والبيهقي في سننه.
(٦) الدر المنثور: ٤٨٠/٨. وعزاه إلى أبي داود والنسائي وابن ماجة وابن حبان والدارقطني والحاكم والبيهقي.
(٧) الدر المنثور: ٤٨١/٨. وعزاه إلى أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والحاكم وصححه والبيهقي.
(٨) الدر المنثور: ٤٨١/٨، وعزاه إلى البزار. وأخرج محمد بن نصر عن أنس مثله.
(٩) الدر المنثور: ٤٨١/٨، وعزاه إلى ابن أبي شيبة.
(١٠) الدر المنثور: ٤٨١/٨، وعزاه إلى ابن ماجة.

أمتن على الحبلى فأخرج منها نسمة تسعى بين شغاف وحشا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تزيدن فيها فإنها شافية كافية"[١].

- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ سورة الأعلى أعطاه الله من الأجر عشر حسنات، بعدد كل حرف أنزل الله سبحانه على إبراهيم وموسى ومحمد» [٢].[موضوع]

---

(١) الدر المنثور: ٤٨١/٨، وعزاه إلى ابن سعد.

(٢) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٨٢/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٣٢٦/١٠. [والحديث موضوع].

سورة «الغاشية»

«سورة الغاشية»: هي السورة الثامنة والثمانون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الذاريات» وقبل «سورة الكهف»، وآياتها ست وعشرون. وكلماتها اثنتان وتسعون. وحروفها ثلاثمائة وأحد وثمانون. فواصل آياتها: «عمرته»[١].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- أسمها التوقيفي: «سورة الغاشية»:**

سميت في المصاحف والتفاسير[٢] «سورة الغاشية» . وكذلك عنونها الترمذي في كتاب التفسير من «جامعه»[٣]، والنسائي-أيضا[٤]-، لوقوع لفظ «الغاشية» في أولها، قال تعالى: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١)} [الغاشية : ١].

- **ثانيا:- أسمها الاجتهادي: «سورة هل أتاك حديث الغاشية »:**

ثبتت في السنة[٥]، وبعض كتب التفسير[٦]، تسميتها «هل أتاك حديث الغاشية»، ففي «الموطأ» أن الضحاك بن قيس سأل النعمان بن بشير: «ماذا كان يقرأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم، يوم الجمعة، على إثر سورة الجمعة؟ قال: كان يقرأ: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ} [الغاشية ٨٨: ١]»[٧].

وهذا ظاهر في التسمية لأن السائل سأل عما يقرأ مع سورة الجمعة فالمسؤول عنه السورة الثانية، وبذلك عنونها البخاري في كتاب التفسير من «صحيحه»[٨].

وربما سميت «سورة هل أتاك» بدون كلمة «حديث الغاشية»، وهو اختصار.

عن عبيد الله بن عبد الله، قال:" كتب الضحاك بن قيس إلى النعمان بن بشير يسأله: أي شيء قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة، سوى سورة الجمعة؟ فقال: «كان يقرأ هل أتاك»"[٩].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس، قال: " نزلت سورة «الغاشية» بمكة"[١٠]. وروي عن ابن الزبير مثله[١١].

قال ابن عطية:" هي مكية لا خلاف في ذلك بين أهل التأويل"[١٢].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥١٦/١.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٩/٢٤، وتأويلات أهل السنة: ٥٠٨/١٠، وبحر العلوم للسمرقندي: ٥٧٣/٣، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٢٣/٥، وتفسير ابن فورك: ٢٠٤/٣، والكشف والبيان: ١٨٧/١٠، والنكت والعيون: ٢٥٧/٦، والتوسيط للواحدي: ٤٧٣/٤، وتفسير السمعاني: ٢١٢/٦، وتفسير البغوي: ٤٠٤/٨، والكشاف: ٧٤١/٤، والمحرر الوجيز: ٤٧٢/٥، وزاد المسير: ٤٣٤/٤، ومفاتيح الغيب: ١٣٨/٣١، وتفسير القرطبي: ٢٠/ ٢٥، وغيرها.
(٣) انظر: سنن الترمذي: ٢٩٦/٥.
(٤) انظر: السنن الكبرى للنسائي: ٣٣٤/١٠.
(٥) انظر الروايات في: فضائل السورة.
(٦) انظر مثلا: تفسير ابن أبي زمنين: ١٢٣/٥، وتأويلات أهل السنة: ٣٦٦/١٠.
(٧) موطأ مالك(١٩):ص١١١/١، أخرجه أبو مصعب الزهري، ٤٦٤ في الجمعة؛ والحدثاني، ١٤٧ في الصلاة؛ والشيباني، ٢٢٦ في الصلاة؛ والشافعي، ١٠٤٠؛ وابن حنبل، ١٨٤٠٥ في م٤ ص٢٧٠ عن طريق عبد الرحمن بن مهدي، وفي، ١٨٤٦١ في م٤ ص٢٧٧ عن طريق عبد الرحمن بن مهدي؛ والنسائي، ١٤٢٣ في الجمعة عن طريق قتيبة؛ وأبو داود، ١١٢٣ في الجمعة عن طريق القعنبي؛ وابن حبان، ٢٨٠٧ في م٧ عن طريق الحسين بن إدريس عن أحمد بن أبي بكر؛ والدارمي، ١٥٦٦ في الأذان عن طريق خالد بن مخلد؛ وشرح معاني الآثار، ٢٣٨٣ عن طريق أبي بكرة عن أبي عاصم؛ والقابسي، ٢٧٦، كلهم عن مالك به.
(٨) انظر: صحيح البخاري: ١٦٨/٦.
(٩) صحيح مسلم(٨٧٨):ص٥٩٨/٢،و السنن الكبرى للبيهقي(٥٧٢٤):ص٢٨٤/٣.
(١٠) انظر: الدر المنثور: ٤٩٠/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.
(١١) انظر: الدر المنثور: ٤٩٠/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(١٢) المحرر الوجيز: ٤٧٢/٥.

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلّها بإجماعهم"[1].
قال القرطبي:" هي مكية في قول الجميع"[2].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها- أنه أشير في السورة السابقة إلى المؤمن والكافر والجنة والنار إجمالا، وبسط الكلام فيها هنا[3].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

فقد اشتملت «سورة الغاشية» على فوائد جمة، فمن ذلك:

١- التنبيه على عظم شان يوم القيامة وأن الناس يكونون فيه على فريقين؛ أشقياء وسعداء.
٢- ذكر أصناف عذاب الأشقياء من الذل والعمل الشاق وصلي النار، والسقي من الحميم وطعام الضريع.
٣- أن حقيقة نار الآخرة وما فيها وأحوال أهلها لا تماثل حقائق ما في الدنيا.
٤- أن وجوه المؤمنين يوم القيامة تكون ناعمة، أي يظهر عليها أثر النعيم بالبشر والسرور.
٥- أن الجنة عالية وهي درجات، كما قال تعالى: {وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى} [طه : ٧٥].
٦- أن في مجالس الجنة سرر مرفوعة أي رقيقة، وأكواب موضوعة في المجالس زينة وأعدادًا، ونمارق أي وسائد مصفوفة بعضها إلى بعض، وزرابي مبثوثة أي مبسوطة.
٧- أن من نعيم الجنة ما هو حسِّي من المطاعم والمشارب والأشجار والقصور والأنهار والحور العين، ومنها ما هو نعيم أعظم كرؤية الله ورضاه عنهم.
٨- أن خلق الإبل من عظيم الآيات، فقد هيئت في خلقها للركوب والحمل، ومذللة للإنسان مع فيها من المنافع أكلًا وشربًا.
٩- أن من آيات الله نصب الجبال، وما في ذلك من تثبيت الأرض، فهي لها كالأوتاد، وفيها من المنافع ما أودعه الله فيها من المعادن المختلفة.
١٠- أن من آيات الله سطح الأرض وهو بسطها للقرار عليها، ولذلك سميت: مهادًا وفراشًا، وفي جوفها وسطحها ما لا يحصى من النعيم والآيات، {وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ} [الذاريات : ٢٠].

قال الفيروزآبادي:" معظم مقصود السورة: التخويف بظهور القيامة، وبيان حال المستوجبين للعقوبة، وذكر حال المستحقين للمثوبة وإقامة الحجة على وجود الحق ووعظ الرسول - صلى الله عليه وسلم - للأمة، على سبيل الشفقة، وأن المرجع إلى الله تعالى فى العاقبة فى قوله تعالى: {ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ} [الغاشية : ٢٦]"[4].

- **الناسخ والمنسوخ:**

المنسوخ: فيها آية واحدة: {لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ} [الغاشية : ٢٢]، نسختها آية السيف[5].

- **فضائل السورة:**

- عن أبي سنان، عن سعيد بن جبير، سمعته يقول: " لأن أصلي مع إمام يقرأ: هل أتاك حديث الغاشية أحب إلي من أن أقرأ مائة آية في صلاتي "[6].

---

(١) زاد المسير: ٤٣٤/٤.
(٢) تفسير القرطبي: ٢٥/٢٠.
(٣) انظر: تفسير المراغي: ١٣٠/٣٠.
(٤)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥١٦/١.
(٥) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥١٦/١.
(٦) مصنف عبدالرزاق الصنعاني(٢٠٢٢):ص٥٣٩/١.

- عن النعمان بن بشير، «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في العيدين والجمعة هل أتاك حديث الغاشية، وسبح اسم ربك الأعلى، وإذا اجتمع العيدان في يوم قرأ بهما»[١].
- عن أبي عنبة الخولاني:" أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ في الجمعة بـ {سبح اسم ربك الأعلى} و {هل أتاك حديث الغاشية}[٢].
- عن ابن عباس: "أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ في العيد بـ {سبح اسم ربك الأعلى} و {هل أتاك حديث الغاشية}"[٣].
- عن سمرة بن جُندب:" أن رسولَ الله - صلَّى الله عليه وسلم - كان يقرأ في صَلاة الجمعة بـ {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} و {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ}"[٤].
- عن أنس:" أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الظهر والعصر بـ {سبح اسم ربك الأعلى} و{هل أتاك حديث الغاشية}"[٥].
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حِساباً يَسِيراً» [٦].[موضوع]

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة(٥٧٢٧):١/٤٩٦.
(٢) سنن ابن ماجة(١١٢٠):ص٢/٢٠٨. إسناده ضعيف جدا، سعيد بن سنان متروك، وبعضهم اتهمه، وأبو عنبة الخولاني مختلف في صحبته.
(٣) سنن ابن ماجة(١٢٨٣):ص٢/٣٢٩. صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف موسى بن عبيدة: وهو الربذي.
وأخرجه عبد الرزاق (٥٧٠٥)، وابن أبي شيبة ٢/ ١٧٧، وعبد بن حميد (٦٨٧)، والطحاوي في "شرح معاني الآثار" ١/ ٤١٣، والطبراني في "الكبير" (١٠٧٨٨)، وابن عبد البر في "التمهيد" ١٦/ ٣٢٩.
ويشهد له حديث النعمان بن بشير السالف.
(٤) سنن أبي داود(١١٢٥):ص٢/٣٣٨.
إسناده صحيح.
وأخرجه النسائي في "الكبرى" (١٧٥١) من طريق خالد بن الحارث، عن شعبة، بهذا الإسناد.
وهو في "مسند أحمد" (٢٠١٥٠)، و"صحيح ابن حبان" (٢٨٠٨).
قال الطحاوي في"شرح معافى الآثار"١/ ٤١٤: فلما جاء عن رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - في هذه الآثار أنه قرأ في العيدين والجمعة غير ما جاء عنه في الآثار الأول، لم يجُز أن يُحمل ذلك على التضاد والتكاذب، ولكنا نحمله على الاتفاق والتصادق، فنجعل ذلك كله قد كان من رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -، فقرأ بهذا مرة وبهذا مرة، فحكى عنه كل فريق من الفريقين ما حضره منه، ففي ذلك دليل على أن لا توقيت للقراءة في ذلك، وأن للإمام أن يقرأ في ذلك مع فاتحة الكتاب أي القرآن شاء، وكذلك ما روي عن رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - أيضاً أنه كان يقرأ في ذلك يوم الجمعة.
(٥) الدر المنثور: ٨/٤٨٠. وعزاه إلى البزاز.
(٦) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٠/١٨٧، وانظر: تفسير مجمع البيان: ١٠/١٨٧. [والحديث موضوع].

سورة «الفجر»

«سورة الفجر»: هي السورة التاسعة والثمانون بحسب الرسم القرآني، وهي العاشرة في عداد نزول السور. نزلت بعد «سورة الليل» وقبل «سورة الضحى»، وآياتها ثلاثون في عد الشام، والكوفة، وتسع وعشرون في البصرة، واثنتان وثلاثون في الحجاز، وكلماتها مائة وسبع وعشرون، وحروفها خمسمائة وتسع وتسعون. المختلف فيها أربع: {نَعَّمَهُ} [الفجر : ١٥]، {رِزْقَهُ } [الفجر : ١٦]، {بِجَهَنَّمَ } [الفجر : ٢٣]، {فِي عِبَادِي} [الفجر : ٢٩]، فواصل آياتها «هاروت ندم» [١].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:-أسمها التوقيفي: «سورة الفجر»:**

اشتهرت تسميتها بـ«سورة الفجر» بدون الواو في المصاحف والتفاسير[٢]، وكتب السنة[٣]، ووجه تسميتها بذلك لافتتاحها بقوله تعالى: {وَالْفَجْرِ (١)} [الفجر : ١].

- **ثانيا:-أسمها الاجتهادي: «سورة والفجر»:**

ثبتت هذه التسمية عند الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين-[٤]، إذ أنها سميت «والفجر»، بإضافة واو القسم، وبذلك ترجمت في بعض كتب السنة[٥]، والتفسير[٦]، وعلوم القرآن[٧]، وهي تسمية لها بأول جملة افتتحت بها السورة، قال تعالى: {وَالْفَجْرِ (١)} [الفجر : ١].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس، قال: " نزلت {والفجر} بمكة"[٨].

وعن عبدالله بن الزبير، قال :"أنزلت {والفجر} بمكة"[٩].

قال ابن عطية:" هي مكية عند جمهور المفسرين، وحكى أبو عمرو الداني في كتابه المؤلف في تنزيل القرآن عن بعض العلماء أنه قال: هي مدنية، والأول أشهر وأصح"[١٠].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلّها بإجماعهم"[١١].

قال القرطبي:" سورة الفجر مكية"[١٢].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها:

١- أنه ذكر في تلك الوجوه الخاشعة والوجوه الناعمة، وذكر فى هذه طوائف من المكذبين المتجبرين الذين وجوههم خاشعة، وطوائف من الذين وجوههم ناعمة.

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥١٨/١.
(٢) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٣٩٣/٢٤، وتأويلات أهل السنة: ٥١٥/١٠، وبحر العلوم للسمرقندي: ٥٧٧/٣، والكشف والبيان: ١٩١/١٠، والنكت والعيون: ٢٦٤/٦، وغيرها.
(٣) انظر: سنن الترمذي: ٢٩٧/٥، والسنن الكبرى للنسائي: ٣٣٤/١٠، .
(٤) كما سيأتي في مكان نزول السورة.
(٥) انظر: صحيح البخاري: ١٦٩/٦، والمستدرك على الصحيحين: ٥٦٨/٢.
(٦) انظر مثلا: تفسير ابن أبي زمنين: ٥/، ١٢٦، وتفسير ابن فورك: ٢١٠/٣.
(٧) انظر: مثلا: كتب فيه لغتت القرآن للفراء: ١٥٧، ومجاز القرآن لأبي عبيدة: ٢٩٧/٢، ومعاني القراءات للأزهري: ١٤٢/٣، وجمال القراء: ٣١٤.
(٨) انظر: الدر المنثور: ٤٩٧/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس في ناسخه وابن مردويه والبيهقي.
(٩) انظر: الدر المنثور: ٤٩٧/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(١٠) المحرر الوجيز: ٤٧٦/٥.
(١١) زاد المسير: ٤٣٧/٤.
(١٢) تفسير القرطبي: ٣٨/٢٠.

٢- أن القسم الذي في أول السورة كالدليل على صحة ما تضمنته خاتمة السورة السابقة من الوعد والوعيد[١].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

من مقاصد سورة الفجر:

١- تقرير عقيدة البعث يوم القيامة وأنه أمر لا مراء فيه؛ لذلك يقول الله تعالى "هل في ذلك قسم لذي حجر" أي أن ما أقسم الله به كافي ليقتنع أصحاب العقول بالبعث، ويأتي سبب تسمية العقل بالحجر لأنه يحجر على صاحبه، فيجب استعمال العقل مجسًا للأمور وللتفريق بين الخير والشر.

٢- بيان مصير الأمم السابقة؛ حتى يعلم الإنسان أن الله قد أهلك من أهو أشد منه قوة وأكثر عددًا، وأنه لا يعجزه إهلاك المكذبين.

٣- التأكيد على حقيقة البعث بذكر قصة عاد إرم حيث كانوا يعيشون في خيام وأبنية مرتفعة العمدان نظرًا لتمكنهم وشدة قوتهم وطول أجسامهم لدرجة أنهم لا مثيل لهم على مر الزمان.

٤- ضرب الله المثل أيضًا بقوم ثمود الذين جابوا الصخر بالواد حيث تحكموا في الصخور ونحتوا من الجبال بيوتًا لهم، بالإضافة إلى قوم فرعون في أرض مصر، حيث بلغت قوتهم حدًا عظيمًا لدرجة أنهم بنوا الأهرامات كقبور لهم.

٥- عندما يستغل الإنسان الإمكانيات التي منحها الله لها في غير ما أمر الله به، يكون الإنسان قد طغى وجاوز الحد المسموح، وبالتالي يكون مصيره هو الهلاك في الدنيا والعذاب الشديد في الآخرة.

٦- يجب على الإنسان أن يعلم أنه مهما طغى وأمهله الله تعالى، فإن ربه له بالمرصاد، فهو لن يهمله أبدًا.

قال الفيروزآبادي:" معظم مقصود السورة: تشريف العيد، وعرفة، وعشر المحرم، والإشارة إلى هلاك عاد، وثمود، وأضرابهم، وتفاوت حال الإنسان في النعمة، وحرصه على جمع الدنيا، والمال الكثير، وبيان حال الأرض في القيامة، ومجيء الملائكة، وتأسف الإنسان يومئذ على التقصير، والعصيان، وأن مرجع المؤمن عند الموت إلى الرحمة، والرضوان، ونعيم الجنان، في قوله: {وَادْخُلِي جَنَّتِي} [الفجر : ٣٠]"[٢].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة محكمة[٣].

- **فضائل السورة:**

- عن جابر، قال : "صلى معاذ صلاةً، فجاء رجل فصلى معه فطول، فصلى في ناحية المسجد ثم انصرف، فبلغ ذلك معاذا فقال : منافق. فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل الفتى، فقال : يا رسول الله، جئت أصلي معه فَطَوّل عَلَيّ، فانصرفت وصليتُ في ناحية المسجد، فعلفت ناضحي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أفتّان يا معاذ ؟ أين أنت مِن {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأعْلَى}، {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا}، {وَالْفَجْرِ}، {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى}»"[٤].
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ سورة وَالْفَجْرِ في الليالي العشر غفر له ومن قرأها سائر الأيّام كانت له نورا يوم القيامة»[٥].[موضوع]

---

(١) انظر: تفسير المراغي: ١٤٠/٣٠.

(٢)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥١٨/١.

(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥١٨/١.

(٤)سنن النسائي الكبرى برقم (١١٦٧٣)، وانظر: الدر المنثور: ٤٩٧/٨.

(٥) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٩١/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٣٤١/١٠. [والحديث موضوع].

سورة «البلد»

«سورة البلد»: هي السورة التسعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة ق»، وقبل «سورة الطارق» وآياتها عشرون. وكلماتها اثنتان وثمانون. وحروفها ثلاثمائة وإحدى وخمسون. فواصل آياتها «هدنا»[(١)].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:-أسمها التوقيفي: «سورة البلد»:**

اشتهرت تسميتها بـ«سورة البلد» في المصاحف وكتب التفاسير[(٢)]، وعلوم القرآن[(٣)]، ووجه تسميتها بذلك إما على حكاية اللفظ الواقع في أولها: {لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ} [البلد : ١]، وإما لإرادة البلد المعروف وهو مكة[(٤)].

- **ثانيا:-اسمها الاجتهادي: «سورة لا أقسم بهذا البلد»:**

ثبتت هذه التسمية عند الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين-[(٥)]، وبذلك عنون لها في بعض كتب التفسير[(٦)]، وعلوم القرآن[(٧)]، وقد ترجمها في «صحيح البخاري» : بـ«سورة لا أقسم»[(٨)]. وهي تسمية للسورة بأول جملة افتتحت بها، قال تعالى: {لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١)} [البلد : ١].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس، قال: "نزلت سُورَة {لَا أقسم بِهَذَا الْبَلَد} بِمَكَّة"[(٩)]. وروي عن ابن الزبير مثله[(١٠)].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلّها بإجماعهم"[(١١)].

قال القرطبي:" سورة البلد مكية باتفاق"[(١٢)].

قال الزمخشري:" هي مكية"[(١٣)].

قال ابن عطية:" هي مكية في قول جمهور المفسرين، وقال قوم هي مدنية "[(١٤)].

قال الألوسي:" مكية في قوله الجمهور بتمامها، وقيل مدنية بتمامها، وقيل مدنية إلّا أربع آيات من أولها. واعترض كلا القولين بأنه يأباهما قوله تعالى: {بِهذَا الْبَلَدِ} [البلد: ١، ٢]، قيل -ولقوة الاعتراض- ادعى الزمخشري الإجماع على مكيتها، وسيأتي إن شاء الله تعالى أن في بعض الأخبار ما هو ظاهر في نزول صدرها بمكة بعد الفتح"[(١٥)].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٠/١.
(٢) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٤٢٧/٢٤، وبحر العلوم للسمرقندي: ٥٨٢/٣، وتفسير ابن فورك: ٢١٩/٣، والكشف والبيان: ٢٠٦/١٠، والنكت والعيون: ٢٧٤/٦، وتفسير القرطبي: ٢٠/ ٥٩، وغيرها.
(٣) انظر: مثلا: غريب القرآن لابن قتيبة: ٤٥٤.
(٤) انظر: التحرير والتنوير: ٣٤٥/٣٠.
(٥) كما سيأتي في مكان نزول السورة.
(٦) انظر مثلا: تأويلات أهل السنة: ٥٢٩/١٠، .وتفسير ابن أبي زمنين: ١٣٣/٥.
(٧) انظر: مثلا: الناسخ والمنسوخ للزهري: ٣٨، .
(٨) انظر: صحيح البخاري: ١٦٩/٦. وكذلك ترجمها غلام ثعلبي في "ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن" : ٥٧٧، وذكرها الشوكاني في "فتح القدير": ٥٣٨/٥، والألوسي في "روح المعاني": ١٥٠/١٥.
(٩) انظر: الدر المنثور: ٥١٦/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.
(١٠) انظر: الدر المنثور: ٥١٦/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(١١) زاد المسير: ٤٤٦/٤.
(١٢) تفسير القرطبي: ٥٩/٢٠.
(١٣) الكشاف: ٧٥٣/٤.
(١٤) المحرر الوجيز: ٤٨٣/٥.
(١٥) روح المعاني: ٣٤٩/١٥.

قال ابن عاشور:" هي مكية، وحكى الزمخشري والقرطبي[1] الاتفاق عليه واقتصر عليه معظم المفسرين، وحكى ابن عطية عن قوم: أنها مدنية[2]. ولعل هذا قول من فسر قوله: {وَأَنْتَ حِلٌّ بِهذَا الْبَلَدِ} [البلد: ٢] أن الحل الإذن له في القتال يوم الفتح وحمل وأنت حل على معنى: وأنت الآن حل، وهو يرجع إلى ما روى القرطبي عن السدي وأبي صالح وعزي لابن عباس. وقد أشار في «الكشاف» إلى إبطاله بأن السورة نزلت بمكة بالاتفاق[3]، وفي رده بذلك مصادرة، فالوجه أن يرد بأن في قوله: أيحسب أن لن يقدر عليه أحد إلى قوله: {فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ} [البلد: ٥- ١١] ضمائر غيبة يتعين عودها إلى الإنسان في قوله: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي كَبَدٍ} [البلد: ٤]، وإلا لخلت الضمائر عن معاد"[4].

قال السيوطي:" حكى ابن الفرس فيها أيضا قولين، وقوله: {بهذا البلد} يرد القول بأنها مدنية"[5].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها:

١- أنه ذم في الأولى من أحب المال وأكل التراث ولم يحض على طعام المسكين، وذكر هنا الخصال التي تطلب من صاحب المال من فك الرقبة، والإطعام في يوم المسبغة.

٢- ذكر هناك حال النفس المطمئنة، وذكر هنا ما يكون به الاطمئنان[6].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

من مقاصد سورة البلد:

١- تكريم النبي-صلى الله عليه وسلم- بالقسم بمكة، إذ تبدأ السورة بالقسم بمكة حيث أنها نالت شرفًا عظيمًا لأنها موطن النبي صلى الله عليه وسلم مع الإشارة أيضًا إلى أنها كانت مسكن بعض الأنبياء السابقين والقبائل العربية التي اعتنقت الحنيفية.

٢- قصد الله تعالى بالقسم بمكة إنذار المشركين لأن ما يقومون به من تكذيب النبي وإيذائه يعتبر من أكبر الكبائر.

٣- ويحتمل القسم بمكة المكرمة التي كانت من قبل وادٍ غير ذي زرع ولا ماء حتى بث الله في هذا البلد الحياة لدعاء نبيه إبراهيم أن يكون ذلك تنبيه على قدرة الله تعالى أن يبعث الخلق بعد الموت؛ فيجب على المكذبين أخذ العبرة من المكان الذي يعيشون فيه.

٤- عدم اقتصار التذكير بقدرة الله تعالى على البلاد فقط، بل ضرب الله المثل بتتابع الأجيال حيث يراد من قوله: {وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ} [البلد : ٣] آدم وذريته، ولا شك أن القادر على الخلق قادر على البعث.

٥- ومن الفوائد أن الحياة الدنيا دار امتحان للإنسان إذ يجب على الإنسان أن يعلم أنه خُلق متحركًا في حياته الدنيا وبالتالي يواجه العديد من العقبات ويكابد المشاق ويتقي شرور الناس ويُسيطر على شهواته لكي يحظى بالنجاة في الآخرة.

٦- رغم أن الإنسان يعلم مشقة الطريق ويتكبد المعاناة في حياته، إلا أنه يبخل عن مساعدة غيره، ولذلك تأتي هذه الآية كتوجيه على ضرورة أن يتعاون البشر سويًا لمواجهة مشاكل الحياة.

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ٥٩/٢٠.
(٢) انظر: المحرر الوجيز: ٤٨٣/٥.
(٣) انظر: الكشاف: ٧٥٤/٤.
(٤)التحرير والتنوير: ٣٤٥/٣٠.
(٥) الإتقان في علوم القرآن: ٥٢/١.
(٦) انظر: تفسير المراغي: ١٤٠/٣٠.

٧- ومن الفوائد تذكير الإنسان بقدرة الله تعالى، فبعدما أوضح الله تعالى ضعف الإنسان أثناء مكابدته لحوادث الدهر، يُذكره الله بقدرة الله عليه حتى لا يغتر الإنسان بقدرته ونجاحه في الحياة الدنيا عندما يجمع الأموال يُعينه الله على تخطي الصعاب.
٨- الرد على زعم المشركين في مكة بأن أموالهم التي جمعوها في حياتهم الدنيا سوف تكون لهم عونًا يوم القيامة وستدفع عنهم العذاب، إذ تضمنت هذه السورة الكريمة، للرد على هذا الهراء، حيث أن المال لا ينفع في الآخرة، ولكن ما يُفيد حقًا في هذا اليوم التقوى والعمل الصالح.
٩- يُنبه الله تعالى الإنسان باطلاعه على جميع ما يصنع الإنسان، وبالتالي يستطيع الله أن يُحاسبه على أفعاله وأقواله دون أن يفلت الإنسان من الجزاء.

قال الفيروزآبادي:" معظم مقصود السورة: تشريف مكة بحكم القسم بها، وشدة حال الأدنى، والخبر من سره وعلانيته، والمنة عليه بالنعم المختلفة، وتهويل عقبة الصراط وبيان النجاة منها، ومدح المؤمنين وصبرهم على البلاء، ورحمة بعضهم بعضا، وخلود الكفار في النار في قوله: {عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ} [البلد : ٢٠]"[١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة محكمة[٢].

- **فضائل السورة:**

- عن عمرو بن ميمون قال: «صليت مع عمر في العام الذي قتل فيه بمكة صلاة الصبح، فقرأ «لا أقسم بهذا البلد»، و«والتين والزيتون»[٣].
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ {لا أُقْسِمُ بِهذَا الْبَلَدِ}، أعطاه الله الأمن من غضبه يوم القيامة» [٤].[موضوع]

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥١٨/١.
(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٠/١.
(٣) مصنف عبدالرزاق الصنعاني(٢٧٣٦):ص١١٩/٢.
(٤) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٠٦/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٣٥٧/١٠. [والحديث موضوع].

سورة «الشمس»

«سورة الشمس»: هي السورة الحادية والتسعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة القدر»، وقبل «سورة البروج»، وآياتها خمس عشرة عند القراء. وعند المكي ست عشرة. وكلماتها أربع وخمسون. وحروفها مائتان وأربعون. المختلف فيها آية:{فَعَقَرُوهَا} [الشمس : ١٤]. فواصل آياتها على «الألف»[(١)].

- **أسماء السورة:**
- **أسماؤها التوقيفية:**
- **أولا:-«سورة الشمس»:**

سميت هذه السورة في المصاحف وفي معظم كتب التفسير[(٢)] «سورة الشمس» بدون واو، وكذلك عنونها النسائي في سننه[(٣)].

وقد وردت في بعض المصادر «سورة والشمس»، مع الواو[(٤)].

ووجه تسميتها بذلك إما على حكاية اللفظ الواقع في أولها، قال تعالى: {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا} [الشمس : ١].

- **ثانيا:- «سورة والشمس وضحاها»:**

عنونها البخاري[(٥)]، والترمذي[(٦)]، سورة «والشمس وضحاها»، بحكاية لفظ الآية، وكذلك سميت في بعض التفاسير[(٧)]، وهو أولى أسمائها لئلا تلتبس على القارئ بسورة إذا الشمس كورت المسماة سورة التكوير[(٨)].

وأما الحاكم فقد عنونها سورة «الشمس وضحاها» بدون واو[(٩)].

وهي تسمية للسورة بأول جملة افتتحت بها، قال تعالى: {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا} [الشمس : ١].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس، قال: " نزلت سُورَة: {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا} بِمَكَّةَ"[(١٠)]. وروي عن ابن الزبير مثله[(١١)].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلّها بإجماعهم"[(١٢)].

قال القرطبي:" مكية باتفاق"[(١٣)].

قال ابن عطية:" هي مكية"[(١)].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٢/١.

(٢) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٤٤٩/٢٤، وبحر العلوم للسمرقندي: ٥٨٥/٣، والكشف والبيان: ٢١٢/١٠، والنكت والعيون: ٢٨١/٦، وتفسير البغوي: ٤٣٥/٨، والكشاف: ٧٥٨/٤، وتفسير القرطبي: ٧٢/٢٠، والبحر المحيط في التفسير: ٤٨٤/١٠، وغيرها.

(٣) انظر: سنن النسائي: ٣٣٦/١٠.

(٤) انظر مثلا: تفسير السمعاني: ٢٣٢/٦.

(٥) انظر: صحيح البخاري: ١٦٩/٦.

(٦) انظر: سنن الترمذي: ٢٩٧/٥.

(٧) انظر مثلا: تأويلات أهل السنة: ٥٣٩/١٠، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٣٧/٥، وتفسير ابن فورك: ٢٢٥/٣، .

(٨) انظر: التحرير والتنزير: ٣٦٥/٣٠.

(٩) انظر: المستدرك على الصحيحين: ٥٧١/٢. وكذلك عنونها مكي بن أبي طالب في "الهداية إلى بلوغ النهايى": ٨٢٨٩/١٢

(١٠) انظر: الدر المنثور: ٥٢٧/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(١١) انظر: الدر المنثور: ٥٢٢/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٢) زاد المسير: ٤٥٠/٤.

(١٣) تفسير القرطبي: ٧٢/٢٠.

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها:

أنه لما ختم -سبحانه- السورة التي قبلها «البلد» بذكر أصحاب الميمنة وأصحاب الشأمة أعاد ذكرهما هنا ولكن بصورة أُخرى وأسلوب آخر فقال: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)} [الشمس : ٩ - ١٠]، ثم كان قوله تعالى في السورة: {فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨)} [الشمس : ٨]، كالبيان والتوضيح لقوله تعالى في سورة البلد: {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ} [البلد : ١٠]، على أنهما طريقًا الخير والشر(٢).

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

من مقاصد السورة الكريمة:

١- يُشير القسم في بداية سورة الشمس إلى مظاهر قدرة الله تعالى في الكون حيث أنه أبدع الخلق وسيّره وفقًا لتدبيره، وفي ذلك القسم دليل على أنه لا يعجزه شيئًا.

٢- أقسم الله بالشمس حيث أنها أم المجموعة الشمسية وهي النجم المُسيطر على تسعة كواكب والكثير من الكويكبات التي لا يمكن حصرها، وتتميز الشمس بشدة ضوئها في النهار، واختص الله تعالى وقت الضحى حيث يمكن للإنسان أن ينعم بسطوع الشمس في ذلك الوقت دون أن يتأذى من حرارتها.

٣- يتلو الشمس في الوضوح القمر، حيث يتجلى ضوئه بعد مغيب الشمس، وهذه الحركة الكونية مثيرة للتساؤل عن نظام هذا الكون الفسيح الذي لا يمكن أن يختل إلا أن يشاء الله.

٤- يضرب الله المثل في التتابع بالنهار والليل، حيث أن النهار يأتي فيجعل الشمس جلية واضحة للعيان، بينما يتبع الليل النهار لكي يُغشي الليل ويُغطيها.

٥- يأتي القسم الخامس في سورة الشمس بالسماء وما بناها، حيث يسأل الله تعالى الكفار من الذي بنى هذه السماء ليعلموا أنه لا خالق إلا الله، وبالتالي فهو القادر على إعادتهم وبعثهم بعد الموت، وربما يكون المقصود بقوله "وما بناها" أي انظروا إلى عظمة بنائها وكيفية ارتفاعها بغير عمد.

٦- تتعدد الآراء في قوله والأرض وما طحاها، حيث يمكن أن يكون المراد وما خلق فيها من أنفسٍ، بالإضافة إلى إمكانية أن يكون المقصود القسم بالأرض المسطحة لكي تسمح بخروج النباتات من الشقوق حتى يسعى الإنسان بحثًا عن الرزق.

٧- أقسم الله بالنفس البشرية حيث أنها سر كبير حيّر العلماء، وكانت سببًا في اختلافهم ما بين القول أنها مجبولة على الخير والرأي الآخر بأنها طُبعت على البشر.

٨- يُوكد الله تعالى في سورة الشمس أنه سوّى النفس البشرية على الفطرة المستقيمة وعدّل خلقها وأرشد الإنسان إلى التقوى والفجور حتى يسلك الإنسان أي الطريقين وفقًا لإرادته.

٩- جاء جواب القسم بعد هذه الأقسام السبعة في قوله: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨)} [الشمس : ٧ - ٨]، ليعلم الإنسان أنه إذا زكى نفسه بالطاعة وقاوم شهواتها فإن مصيره هو الفلاح، بينما إذا تغاضى وتكاسل عن تقويمها وتركها لارتكاب الشهوات فإن مصير هذا الإنسان هو الخيبة يوم القيامة.

---

(١) المحرر الوجيز: ٥/٤٨٧.

(٢) انظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث: ١٠/١٩٢٣.

قال الفيروزآبادي:" مقصود السورة: أنواع القسم المترادفة، على إلهام الخلق فى الطاعة والمعصية، والفلاح والخيبة، والخبر من إهلاك ثمود، وتخويف لأهل مكة فى قوله: {وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا} [الشمس : ١٥]"(١).

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة محكمة(٢).

- **فضائل السورة:**

- عن جابر، قال: مر رجل من الأنصار بناضحين على معاذ، وهو يصلي المغرب، فافتتح سورة البقرة، فصلى الرجل ثم ذهب، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «أفتان يا معاذ، أفتان يا معاذ، ألا قرأت بـ{سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى}، و{ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا}، ونحوها»(٣).
- عن بريدة:" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة العشاء بـ{الشَّمْسِ وَضُحَاهَا}، وأشباهها من السور"(٤).
- عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يقرأ في صلاة الصبح بـ {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى}، و{الشَّمْسِ وَضُحَاهَا}"(٥).
- عن عقبة بن عامر قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصلي ركعتي الضحى بسورتيهما بـ {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا}، و{الضحى}"(٦).
- عن النعمان بن بشير قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في العيدين: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى}، {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا}"(٧).
- عن نافع، عن ابن عمر قال: " كان يقرأ في ركعتي الاستسقاء: {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا}، {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى}"(٨).
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ««من قرأ سورة وَالشَّمْسِ فكأنّما تصدّق بكلّ شيء طلعت عليه الشمس والقمر» (٩).[موضوع]

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٢/١.
(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٢/١.
(٣) السنن الكبرى للنسائي(١٠٥٨):ص١٥/٢. [قال الألباني]: صحيح.
(٤) الدر المنثور: ٥٢٧/٨، وعزاه إلى أحمد والترمذي وحسنه والنسائي.
(٥) الدر المنثور: ٥٢٧/٨، وعزاه إلى الطبراني.
(٦) الدر المنثور: ٥٢٧/٨، وعزاه إلى البيهقي في شعب الإيمان.
(٧) الدر المنثور: ٥٢٧/٨، وعزاه إلى الطبراني.
(٨) مصنف عبدالرزاق(٤٩٠٠):ص٨٦/٣.
(٩) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢١٢/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٣٦٧/١٠. [والحديث موضوع].

سورة «الليل»

«سورة الليل»: هي السورة الثانية والتسعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الأعلى»، وقبل «سورة الفجر» وآياتها إحدى وعشرون بلا خلاف. وكلماتها إحدى وسبعون. وحروفها ثلاثمائة وعشر. فواصل آياتها على «الألف»(١).

- **أسماء السورة:**
- **أسماؤها التوقيفية:**
- **أولا:-«سورة الشمس»:**

سميت هذه السورة في معظم المصاحف وبعض كتب التفسير(٢)، «سورة الليل» بدون واو، وسميت في معظم كتب التفسير(٣) «سورة والليل» بإثبات الواو.

ووجه تسميتها «سورة الليل»، لافتتاحها بالقسم الإلهي، وذلك في قوله تعالى: {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى} [الليل : ١].

- **ثانيا:- «سورة والليل إذا يغشى»:**

وهذا الاسم مأثور عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، كما في حديث معاذ بن جبل-رضي الله عنه-(٤)، كما وردت هذه التسمية عند الصحابة الكرام-رضوان الله عليهم أجمعين(٥)، وبهذه التسمية عنون لها بعض المفسرين(٦)، كما عنون لها البخاري(٧)، والترمذي(٨)، والحاكم(٩) في كتبهم.

وهي تسمية للسورة بأول جملة افتتحت بها، قال تعالى: وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى} [الليل : ١].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس، قال: " نزلت سورة {والليل إذا يغشى} بِمَكَّة"(١٠). وروي عن ابن الزبير مثله(١١).

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلّها بإجماعهم"(١٢).

قال القرطبي:" سورة «والليل» مكية. وقيل: مدنية"(١٣).

قال ابن عطية:" هي مكية في قول الجمهور، وقال المهدوي وقيل هي مدنية وقيل فيها مدني"(١٤).

قال أبو حيان:" هذه السورة مكية. وقال علي بن أبي طلحة: مدنية. وقيل: فيها مدني"(١).

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٣/١.

(٢) انظر: مثلا: بحر العلوم للسمرقندي: ٥٨٨/٣، وتفسير البغوي: ٤٤٢/٨، والكشاف: ٧٦١/٤، والمحرر الوجيز: ٤٩٠/٥، وزاد المسير: ٤٥٣/٤، ومفاتيح الغيب: ١٨١/٣١، وغيرها.

(٣) كما في: تفسير ابن فورك: ٢٣٠/٣، والكشف والبيان: ٢١٦/١٠، والنكت والعيون: ٢٨٦/٦، والوسيط للواحدي: ٥٠١/٤، وتفسير السمعاني: ٢٣٦/٦، وتفسير القرطبي: ٨٠/٢٠، وغيرها.

(٤) انطر الحديث في فضائل السورة.

(٥) انظر: الآثار في فضائل السورة.

(٦) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٤٦٣/٢٤، وتأويلات أهل السنة: ٥٤٨/١٠، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٣٩/٥، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٣٠٧/١٢، وغيرها.

(٧) انظر: صحيح البخاري: ١٧٠/٦.

(٨) انظر: سنن الترمذي: ٢٩٨/٥.

(٩) انظر: المستدرك على الصحيحين: ٥٧١/٢. وكذلك عنونها مكي بن أبي طالب في "الهداية إلى بلوغ النهايى": ٨٢٨٩/١٢

(١٠) انظر: الدر المنثور: ٥٣٢/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(١١) انظر: الدر المنثور: ٥٣٢/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٢) زاد المسير: ٤٥٣/٤.

(١٣) تفسير القرطبي: ٧٢/٢٠.

(١٤) المحرر الوجيز: ٤٩٠/٥.

وكذلك ذكر الأقوال في «الإتقان»[٢]، وأشار إلى أن ذلك لما روي من سبب نزول قوله تعالى: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى} [الليل : ٥]، إذ روي: «أنها نزلت في أبي الدحداح الأنصاري[٣]، في نخلة كان يأكل أيتام من ثمرها وكانت لرجل من المنافقين فمنعهم من ثمرها فاشتراها أبو الدحداح بنخيل وجعلها لهم»[٤]. وسيأتي تفصيل ذلك-إن شاء الله-.

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها- أنه ذكر هناك فلاح المطهرين لأنفسهم وخيبة المدسين لها وهنا ذكر ما يحصل به الفلاح وما تحصل فيه الخيبة، فهي كالتفصيل لسابقتها[٥].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

من مقاصد السورة الكريمة:

١- أن التغيُّر طبيعة الكون، إذ بدأت السورة بالقسم بالليل الذي يغشي كافة المخلوقات وتُضيف غشاوة الليل على الكون السكون لكي ينال الإنسان قسطًا من الراحة، وبعدها ذلك يأتي النهار ليُجلي الكون من أجل الحركة والسعي لتحصيل الرزق.

٢- يُشير ذكر الليل والنهار في بداية السورة إلى مرور عمر الإنسان يومًا بعد يوم، ويجب عليه أن يفقه رسالته في الحياة التي وُجد من أجلها حتى لا يضيع عمره سُدى.

٣- يوجد ترابط وثيق بين تغير الإنسان من حالة إلى حالة أخرى وبين تتابع الليل والنهار بالإضافة إلى أنه يدل على إمكانية بعثه إلى الحياة بعد الموت.

٤- ذكر الله خلق الذكر والأنثى في سورة الليل حيث أنه كناية عن مقصد الإنسان من السعي في حياته، فالإنسان يسعى من أجل إنجاب الذرية، وبمجرد رؤية ذريته تكبر يدخل الوقار إلى قلبه ويشعر باكتمال سعيه.

٥- بيان اختلاف سعي الإنسان في الدنيا، إذ تختلف طريقة عيش الإنسان في الدنيا ويتباين العمل من شخص لآخر، وبينما يبحث الجميع عن الرزق إلا أن هناك ضوابط عديدة تحكم كل إنسان في تحصيل رزقه.

٦- يتأرجح الإنسان طول حياته بين التسيير والتخيير، حيث أنه لا يختار نوعه، فيمكن أن يولد ذكرًا أو أنثى كما لا يختار زمانه ومكانه الذي يُولد فيه، لكنه مع ذلك مكلف بالاختيار، فيمكنه طاعة الله أو معصيته.

---

(١) البحر المحيط في التفسير: ٤٩١/١٠.

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن: ٥٢/١، قال السيوطي:" الأشهر أنها مكية وقيل: مدنية لما ورد في سبب نزولها من قصة النخلة كما أخرجناه في أسباب النزول وقيل فيها مكي ومدني".

(٣)أبو الدحداح: ثابت بن الدحداح البلوي، حليف الأنصار، صحابي جليل، قتل في واقعة أحد، وقيل: مات بعدها من جرح كان به حين رجع النبيء صلى الله عليه وسلم من الحديبية، وصلى عليه النبيء صلى الله عليه وسلم في المدينة وهو الذي صاح يوم أحد لما أرجف المشركون بموت النبيء صلى الله عليه وسلم: يا معشر الأنصار إلي إلي أنا ثابت بن الدحداح إن كان محمد قد قتل فإن الله حي لا يموت، فقاتلوا عن دينكم فإن الله مظهركم وناصركم.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٥٥):ص٣٤٣٩/١٠-٣٤٤٠ ، وانظر: أسباب النزول للواحدي: ٤٧٧، والدر المنثور: ٢٣٢/٨-٢٣٣. في إسناده: حفص بن عمر بن ميمون العدني.
قال الحافظ في التقريب: ضعيف [تقريب ١/ ١٨٨] ، وقال ابن حبان: "يروي عن مالك وأهل المدينة كان ممن يقلب الأسانيد لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد".

(٥) انظر: تفسير المراغي: ١٧٣/٣٠.

٧- رغم تشتت سعي الإنسان في حياته إلا أنه ينتهي إلى طريقين إما إلى الإيمان بالله أو الكفر والتكذيب.
٨- بيان أوصاف طريق السعادة، فإن الذي يختار طريق السعادة يجب عليه أن يتصدق بأمواله ويُصدق بقلبه وعندها يُيسره الله تعالى لليُسرى.
٩- نزلت الآيات التي تصف طريق السعادة في الصحابي الجليل أبي بكر الصديق عندما تصدق بماله من أجل عتق بلال بن رباح لتخليصه من تعذيب المشركين له.
١٠- بيان أوصاف طريق الشقاء، فإن الذي يختار طريق الشقاء يبخل بماله ويُفضل أن يكون معزولًا عن الناس حتى لا يُطالبوه بأنه يُعطيهم شيئًا.
١١- عندما يُكذب الإنسان بالحسنى فإنه بذلك يستغني عن العشرة الطيبة ويسعى إلى الشقاء بأخلاقه السيئة، فلا يكون من الله تعالى إلا أن يُيسره إلى العُسرى التي اختارها بنفسه.
١٢- لا ينفع الإنسان ما اكتسبه من مال عندما يأتي يوم القيامة، حيث أن المال لن يدفع عنه العذاب بخلاف كان يعتقد مشركو مكة.

قال الفيروزآبادي:" مقصود السورة: القسم على تفاوت حال الخلق في الإساءة والإحسان، وهدايتهم إلى شأن القرآن، وترهيب بعض بالنار، وترغيب بعض بالجنان والبدار إلى الصدقة كفارة للذنوب والعصيان، ووعد برضى الرحمن المنان، في قوله: {وَلَسَوْفَ يَرْضَى} [الليل : ٢١]"[١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة محكمة[٢].

- **فضائل السورة:**

- عن جابر، قال : "صلى معاذ صلاةً، فجاء رجل فصلى معه فطول، فصلى في ناحية المسجد ثم انصرف، فبلغ ذلك معاذا فقال : منافق. فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل الفتى، فقال : يا رسول الله، جئت أصلي معه فَطوّل عَليّ، فانصرفت وصليتُ في ناحية المسجد، فعلقت ناضحي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أفتَّان يا معاذ ؟ أين أنت مِن {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى}، {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا}، {وَالْفَجْرِ}، {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى}»"[٣].
- عن جابر بن سمرة قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الظهر والعصر بـ {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى} ونحوها"[٤].
- عن نافع، عن ابن عمر قال: " كان يقرأ في ركعتي الاستسقاء: {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا}، {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى}"[٥].
- أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: "إني لأقول هذه السورة نزلت في السماحة والبخل: {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى}"[٦].

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٢/١.
(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٣/١.
(٣)سنن النسائي الكبرى برقم (١١٦٧٣)، وانظر: الدر المنثور: ٤٩٧/٨.
(٤) الدر المنثور: ٥٣٢/٨، وعزاه إلى البيهقي في سننه.
(٥) مصنف عبدالرزاق(٤٩٠٠):ص٨٦/٣.
(٦) الدر المنثور: ٥٣٣/٨.

- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ سورة وَاللَّيْلِ أعطاه الله حتى يرضى، وعافاه الله سبحانه من العسر ويسّر له اليسر» [1].[موضوع]

(١) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢١٦/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٣٧٣/١٠. [والحديث موضوع].

سورة «الضحى»

«سورة الضحى»: هي السورة الثالثة والتسعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الفجر»، وآياتها إحدى عشرة. وكلماتها أربعون. وحروفها مائة واثنتان وسبعون. وفواصلها على «ثرا»[1].

- **أسماء السورة:**
- **اسمها التوقيفي: «سورة الضحى»:**

سميت هذه السورة في أكثر المصاحف وفي كثير من كتب التفسير[2]، بدون واو، وسميت في بعض من التفاسير[3]، وفي «صحيح البخاري»[4]، وسنن الترمذي[5]: «سورة والضحى» بإثبات الواو.

وهذا الاسم مأثور عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، كما في حديث معاذ بن جبل-رضي الله عنه-[6]، وقد وردت هذه التسمية عند الصحابة الكرام-رضوان الله عليهم أجمعين[7].

ووجه تسميتها «سورة الضحى»، لافتتاحها بالقسم الإلهي، وذلك في قوله تعالى: {وَالضُّحَى} [الضحى : ١].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس، قال: " نزلت سورة «الضحى»، بمكة"[8].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة بإجماعهم "[9].

قال القرطبي:" سورة «الضحى» مكية باتفاق"[10].

قال ابن عطية:" هي مكية لا خلاف في ذلك بين الرواة"[11].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها- أنه ذكر فى السابقة «وسيجنبها الأتقى» ولما كان سيد الأتقين رسول الله صلى الله عليه وسلم عقب ذلك سبحانه بذكر نعمه عز وجل عليه[12].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

من مقاصد السورة الكريمة:

١- أنها نزلت مواساةً لخير الخلق محمدٍ، عندما شقّ عليه فتور الوحي عدة ليالٍ، فأراد الله أن ينزع من قلبه اليأس، ويبعث فيه التفاؤل والأمل، ومن صور التفاؤل في السورة.

٢- التأكيد على أنّ الضيق لا يبقى، ولا بدّ أن يتبعه الفرج، وأنّ الله يرحم عباده مهما طالت مدة العناء والضيق، والعلم أنّ ما من عبدٍ يُبتلى إلّا وفرّج الله عنه، والقدوة في ذلك النبي -عليه

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٥/١.

(٢) انظر: مثلا: تأويلات أهل السنة: ٥٥٦/١٠، وبحر العلوم للسمرقندي: ٥٩١/٣، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٤١/٥، والكشف والبيان: ٢٢٢/١٠، والنكت والعيون: ٢٩١/٦، والوسيط للواحدي: ٥٠٧/٤، وتفسير السمعاني: ٢٤٢/٦، والكشاف: ٧٦٥/٤، وغيرها.

(٣)انظر: مثلا: تفسير الطبري: ٤٨١/٢٤، وتفسير ابن فورك: ٢٣٥/٣، وتفسير البيضاوي: ٣١٩/٥، واللباب في علوم الكتاب: ٤٣٧/٤، وغيرها .

(٤) انظر: صحيح البخاري: ١٧٢/٦.

(٥) انظر: سنن الترمذي: ٢٩٩/٥.

(٦) انظر الحديث في فضائل السورة.

(٧) انظر: الآثار في فضائل السورة.

(٨) انظر: الدر المنثور: ٥٣٩/٨، وعزاه إلى الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٩) زاد المسير: ٤٥٦/٤.

(١٠) تفسير القرطبي: ٩١/٢٠.

(١١) المحرر الوجيز: ٤٩٣/٥.

(١٢) انظر: تفسير المراغي: ١٨٢/٣٠.

الصلاة والسلام- الذي ابتُلي بعدّة ابتلاءاتٍ؛ كالفقر، واليُتم، وعلى العبد أن يتذكّر نعم الله عليه وقت ابتلائه، ولا يُنكر فضل الله عليه، ورحمته به.

٣- نزول السورة في بداية الدعوة الإسلامية، حين عانى المسلمون أشدّ أنواع العذاب النفسي والجسدي، فكانت السورة بمثابة الدعم للمسلمين؛ ليثبتوا على دينهم. تعميق قيم التكافل الاجتماعي بين المسلمين؛ وذلك من خلال العطف على اليتيم، من جميع نواحي الحياة الاجتماعية، والعلمية، والاقتصادية.

٤- التأكيد على الأخلاق الحميدة، التي يجب الحرص عليها في التعامل مع المساكين والفقراء؛ اقتداءً برسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-.

٥- شُكر الله -تعالى- الدائم على نِعَمه، صغيرةً كانت أم كبيرةً، قال الله -تعالى-: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إبراهيم : ٧].

٦- التأكيد على أهمية التعامل الحسن مع الآخرين، بالتشجيع، والتحفيز، وتعزيز الثقة بالنفس لديهم.

قال الفيروزآبادي:" معظم مقصود السورة: بيان ما للرسول صلى الله عليه وسلم: من الشرف والمنقبة، ووعده فى القيامة بالشفاعة، وذكر أنواع الكرامة له، والمنة، وصيانة الفقر واليتم من بين الحرمان والمذلة، والأمر بشكر النعمة في قوله: {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} [الضحى : ١١] "[١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة خالية من الناسخ والمنسوخ[٢].

- **فضائل السورة:**

- عن عقبة بن عامر الجهني، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "«صلوا ركعتي الضحى بسورتهما: بـ{الشمس وضحاها}، و{الضحى}». قال عقبة: من فعل ذلك غفر له"[٣].

- عن عمرو، عن جابر قال: كان معاذ، يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم يأتي فيؤم قومه، فصلى ليلة مع النبي صلى الله عليه وسلم العشاء ثم أتى قومه فأمهم فافتتح بسورة البقرة فانحرف رجل فسلم ثم صلى وحده وانصرف فقالوا له: أنافقت؟ يا فلان، قال: لا. والله ولآتين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلأخبرنه. فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إنا أصحاب نواضح نعمل بالنهار وإن معاذا صلى معك العشاء، ثم أتى فافتتح بسورة البقرة فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على معاذ فقال: «يا معاذ أفتان أنت؟ اقرأ بكذا واقرأ بكذا». قال سفيان: فقلت لعمرو، إن أبا الزبير، حدثنا عن جابر، أنه قال: اقرأ «والشمس وضحاها»، و«الضحى»، «والليل إذا يغشى»، و«سبح اسم ربك الأعلى»، فقال عمرو: نحو هذا"[٤].

- عن ابن جريج قال: أخبرني أبو الزبير قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: بينا فتى من الأنصار علف ناضحه، وأقام معاذ بن جبل صلاة العشاء، فنزل الفتى علفه، فقام فتوضأ، وحضر الصلاة، وافتتح معاذ بسورة البقرة، فصلى الفتى وترك معاذا، وانصرف إلى ناضحه فعلفه - أو فعلفها - فلما انصرف معاذ جاء الفتى، فسبه ونقصه، ثم قال: لآتين نبي الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبرك، فأصبحنا فاجتمعا عند النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر له معاذ شأنه، فقال الفتى: إنا أهل عمل وشغل، فطول علينا، استفتح بسورة البقرة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا معاذ، أتريد أن تكون فتانا؟ إذا أممت الناس فاقرأ بـ «سبح اسم ربك الأعلى»، و«الليل إذا يغشى»، و«اقرأ باسم

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٢/١.
(٢) انظر: نواسخ القرآن لان الجوزي: ٣٥.
(٣) مسند الروياني(٢٤٣):ص١٨٥/١. في سنده ابن لهيعة، وهو ضعيف، سيئ الحفظ.
(٤) صحيح مسلم(٤٦٥):٣٣٩/١.

ربك»، و«الضحى»، وبهذا النحو»، فقال عبد الله بن عبيد بن عمير: فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الفتى فقال: «يا معاذ، ادع»، فدعا، فقال للفتى: «ادع»، فقال: والله لا أدري ما دندنتكما هذه، غير أني والله لئن لقيت العدو لأصدقن الله، فلقي العدو فاستشهد، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «صدق الله فصدقه الله»[1].

- عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه- رضي الله عنه-، قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب والعشاء {والليل إذا يغشى}، {والضحى} ، وكان يقرأ في الظهر والعصر {سبح اسم ربك الأعلى} ، {وهل أتاك حديث الغاشية}"[2].
- عن ابن عيينة، عن الصلت بن بهرام: «أن إبراهيم النخعي، أمهم في السفر في صلاة الصبح فقرأ والضحى، والتين»[3].
- عن ابن طاوس، قال: «كان أبي يجمع بين :{سبح اسم ربك الأعلى}، {والليل إذا يغشى}، في ركعة، وبين {والضحى}، و{ألم نشرح}، في ركعة في المكتوبة»[4].
- عن أحمد بن محمد بن القاسم بن أبي بزة، قال: سمعت عكرمة بن سليمان، يقول: "قرأت على إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين، فلما بلغت «والضحى»، قال لي: «كبر كبر عند خاتمة كل سورة، حتى تختم» وأخبره عبد الله بن كثير أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك، وأخبره مجاهد، أن ابن عباس أمره بذلك، وأخبره ابن عباس، أن أبي بن كعب أمره بذلك وأخبره أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره بذلك"[5].
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ سورة وَالضُّحى، كان فيمن يرضاه الله عزّ وجلّ لمحمد أن يشفع له، وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم» [6].[موضوع]

---

(١) مصنف عبدالرزاق(٣٧٢٥):ص٣٦٥/٢.
(٢) مسند البزاز(٤٤١١):ص٢٩٦/١٠.
(٣) مصنف عبدالرزاق(٢٧٤٢):ص١٢٠/٢.
(٤) مصنف عبدالرزاق(٢٨٥١):ص١٤٨/٢.
(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك(٥٣٢٥):َ٣٤٤/٣، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». قال الذهبي:" البزي قد تكلم فيه".
(٦) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٢٢/١٠. [والحديث موضوع].

سورة «الشرح»

«سورة الشرح»: هي السورة الرابعة والتسعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الضحى»[١]، آياتها ثمان. وكلماتها ست وعشرون. وحروفها مائة وخمسون. وفواصل آياتها «بكا»[٢].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة الشرح»:**

سميت في مجموعة من التفاسير[٣]، وبعض كتب علوم القرآن[٤]: «سورة الشرح»، ومثله في بعض المصاحف المشرقية، تسمية بمصدر الفعل الواقع فيها من قوله تعالى: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ} [الشرح : ١].

- **ثانيا:-أسماؤها الاجتهادية:**

١-«سورة ألم نشرح»:

وردت هذه التسمية عند الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين-[٥]، وبهذا الاسم عنونت في كثير من كتب التفسير[٦]، وكتب علوم القرآن[٧]، وفي «صحيح البخاري»، و«جامع الترمذي»، ووجه تسمية بذلك، لافتتاحها بقوله تعالى: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ} [الشرح : ١].

٢-«سورة الانشراح»:

سميت في بعض التفاسير[٨]، وكثير من كتب علوم القرآن[٩]: «سورة الانشراح»، وهي مصدر الفعل: «انشرح».

ولم ترد التسميتين الأخيرتين عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-.

وقد وردت تسميتها بسورة «اليسر» في مصحف كتبه أبو الحسن علي بن هلال، وهو مصور من جامعة أم القرى، ولعل هذه التسمية من لفظ وقع في السورة، وذلك في قوله تعالى: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} [الشرح : ٥] -والله تعالى أعلم-.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

---

(١) انظر: الدر المنثور: ٥٤٧/٨، وفيه: عن ابن عباس -رضي الله عنهما قال-: نزلت سورة {ألم نشرح} بمكة". زاد بعضهم: بعد «الضحى».

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٦/١.

(٣) انظر مثلا: بحر العلوم للسمرقندي: ٥٩٣/٣، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٤٣/٥، والكشف والبيان: ٣٣٢/١٠، والنكت والعيون: ٢٩٦/٦، والتفسير الوسيط للواحدي: ٥١٥/٤، وتفسير البغوي: ٤٦٣/٨، والكشاف: ٧٧٠/٤، والمحرر الوجيز: ٤٩٦/٥، وزاد المسير: ٤٦٠/٤، وتفسير العز بن عبدالسلام: ٤٦٤/٣،وغيرها.

(٤) انظر مثلا: معاني القرآن للزجاج: ٣٤١/٥، وأحكام القرآن للكيا الهراسي: ٤٣٠/٤، والبرهان في تناسب سور القرآن: ٣٦٨ .

(٥) انظر: الآثار في مكان نزول السورة.

(٦) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٤٩١/٢٤، وتأويلات أهل السنة: ٥٦٤/١٠، وتفسير ابن فورك: ٢٣٨/٣، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٣٣١/١٢، وتفسير السمعاني: ٢٤٨/٦، ومفاتيح الغيب: ٢٠٥/٢٢، وتفسير القرطبي: ١٠٤/٢٠، وتفسير البيضاوي: ٣٢١/٥، وغيرها.

(٧) انظر مثلا: معاني القرآن للفراء: ٢٧٥/٣، ومجاز القرآن لأبي عبيدة: ٣٠٣/٢، وإعراب القرآن للنحاس: ١٥٦/٥، وأحكام القرآن للجصاص: ٦٣٩/٣، والمحتسب: ٣٦٦/٢، والناسخ والمنسوخ لهبة الله: ٢٠٠، ومشكل إعراب القرآن لهبة الله: ٨٢٥/٢، وغيرها.

(٨) انظر مثلا: تفسير الإيجي: ٥٠٦/٤، وروح البيان، لأبي الفداء: ٥٣٢/٣، وتفسير المظهري: ٢٩٠/١٠.

(٩) انظر مثلا: غريب القرآن لابن قتيبة: ٥٣٢، والسبعة في القراءات: ٦٩٠، وأحكام القرآن لابن العربي: ٤١٢/٤، وفنون الأفنان في عيون علوم القرآن: ٣٢٣، والتبيان في إعراب القرآن: ١٢٩٣/٢، والتبيان في تفسير غريب القرآن: ٣٤٧، وغيرها.

عن ابن عباس، قال: " نزلت سورة {ألم نشرح}، بمكة"[١]. وروي عن عائشة وابن الزبير مثله[٢].
قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة بإجماعهم"[٣].
قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع من المفسرين لا خلاف بينهم في ذلك"[٤].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

إن هذه السورة الكريمة شديدة الاتصال بما قبلها حتى روى عن طاوس وعمر بن عبد العزيز أنهما كانا يقولان: «هما سورة واحدة»، وكانا يقرآنهما فى الركعة الواحدة، وما كانا يفصلان بينهما بالبسملة، "وهذا شذوذ مخالف لما اتفقت عليه الأمة من تسوير المصحف الإمام"[٥]، إذ أن المتواتر كونهما سورتين وإن كانتا متصلتين معنى، إذ في كل منهما تعداد النعم وطلب الشكر عليها[٦].

ويدل على شدة اتصالهما ما في حديث الإسراءِ الذي أخرجه ابن أبي حاتم أن الله تعالى قال لرسوله -عليه الصلاة والسلام-: "... ألم أجدك يتيما فآويتك؟ ألم أجدك ضالا فهديتك؟ ألم أجدك عائلا فأغنيتك؟ ألم أشرح لك صدرك، ووضعت عنك وزرك؟ قال: قلت: بلى يا رب"[٧].

والجمع بينهما في الحديث يدل دلالة قوية على ما بينهما من تناسب.

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

من مقاصد السورة الكريمة:

١- إن السعادة بيد الله وحده، إذ أكدت السورة الكريمة أن على أن الله وحده هو القادر على سعادة مخلوقاته، فقد خلق الله المعاني كلها وإذا شاء وضع السعادة في قلب مخلوقه، فهو القائل: {وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى} [النجم : ٤٣].
٢- إن السعادة موضعها القلب وليس العقل، لذلك قال تعالى "لك صدرك"، والله تعالى هو مقلب القلوب ومصرفها حيث يشاء.
٣- ردت سورة الشرح على ادعاءات المشركين عندما عيّروا النبي وأتباعه من المسلمين بفقرهم وحاجتهم.
٤- تشتمل سورة الشرح على الكثير من البشارات للنبي صلى الله عليه وسلم، فقد أخبره الله بمنزلته العالية التي تظهر من اقتران اسم النبي محمد باسم الله تعالى وما يدل ذلك على رفع المقام.
٥- يُطمئن الله تعالى نبيه باقتراب النصر على الأعداء حيث يُخبره بأن مع العسر الذي يلقاه المسلمون في مكة اليسر والفرج حتى لا يشعروا باليأس.
٦- تُوضح سورة الشرح أن الله تعالى قد اختص نبيه بهذه العطايا حيث يقول النبي-صلى الله عليه وسلم- «سَأَلْتُ رَبِّي مسألة ووددْتُ أَنِّي لمْ أسْأَلهُ، قُلتُ: يا رَبِّ! كانَتْ قَبلي رسلٌ منهُمْ مَنْ سَخَّرْتَ لهُ

---

(١) انظر: الدر المنثور: ٥٤٧/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.
(٢) انظر: الدر المنثور: ٥٤٧/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٣) زاد المسير: ٤٦٠/٤.
(٤) المحرر الوجيز: ٤٩٦/٥.
(٥) التحرير والتنوير: ٤٠٧/٣٠.
(٦) انظر: تفسير المراغي: ١٨٨/٣٠.
(٧) المعجم الكبير للطبراني(١٢٢٨٩):ص٤٥٥/١١. إسناده حسن: فيه عطاء بن السائب: صدوق ولكنه اختلط، ولكن ذكر الحافظ في ترجمته: قال البخاري في تاريخه قال علي: سماع خالد بن عبد الله من عطاء بن السائب بآخره وسماع حماد بن زيد منه صحيح وقال العقيلي: تغير حفظه وسماع حماد بن زيد منه قبل التغير.
وأخرجه البيهقي في الدلائل (٧/ ٦٢) من طريق سليمان بن حرب عن حماد به.
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٩٢١):ص٨/ ٢٥٣-٢٥٤، وقال: "فيه عطاء بن السائب وقد اختلط".
وزاد نسبته في الدر (٥٤٤/٨) لابن أبي حاتم والحاكم وأبي نعيم في الدلائل وابن مردويه وابن عساكر.

الرِّياحَ، ومِنْهُمْ مَنْ كان يُحيي المَوْتَى، وكلمْتُ موسى قال: أَلمْ أَجِدْكَ يتيمًا فَآوَيْتُكَ؟ أَلمْ أَجِدْكَ ضالًا فَهَدَيْتُكَ؟ أَلمْ أَجِدْكَ عَائِلًا فَأَغْنَيْتُكَ؟ أَلمْ أَشْرَحْ لكَ صَدْرَكَ، ووضَعْتُ عَنْكَ وِزْرَكَ؟ قال: فقُلْتُ بلى يا رَبِّ؛ فَوَدِدْتُ أنْ لمْ أَسْأَلْهُ»(١).

٧- وجوب التفرغ والإخلاص لله تعالى، إذ تؤكد سورة الشرح على أن الإنسان يجب عليه أن يتفرغ إلى عبادة ربه بعد الانتهاء من أعماله.

٨- من أهم ما تنطوي عليه فوائد من سورة الشرح وجوب صرف الوجه والرغبات إلى الله تعالى وحده لأنه هو القادر على تحقيقها.

قال الفيروزآبادي:" معظم مقصود السورة: بيان شرح صدر المصطفى - صلى الله عليه وسلم - ورفع قدره وذكره، وتبديل العسر من أمره بيسره، وأمره بالطاعة فى انتظار أجره، والرغبة إلى الله - تعالى - والإقبال على ذكره في قوله: {وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ} [الشرح : ٨]"(٢).

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة محكمة، خالية من الناسخ والمنسوخ (٣).

- **فضائل السورة:**

- عن ابن طاوس، قال: «كان أبي يجمع بين :{سبح اسم ربك الأعلى}، {والليل إذا يغشى}، في ركعة، وبين {والضحى}، و{ألم نشرح}، في ركعة في المكتوبة»(٤).
- روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ {أَلَمْ نَشْرَحْ لكَ صَدْرَكَ} فكأنما جاءني وأنا مغتم ففرج عني»(٥).[ضعيف]

---

(١) المعجم الكبير للطبراني(١٢٢٨٩):ص٤٥٥/١١. إسناده حسن: فيه عطاء بن السائب: صدوق ولكنه اختلط، ولكن ذكر الحافظ في ترجمته: قال البخاري في تاريخه قال علي: سماع خالد بن عبد الله من عطاء بن السائب بآخره وسماع حماد بن زيد منه صحيح وقال العقيلي: تغير حفظه وسماع حماد بن زيد منه قبل التغير.
وأخرجه البيهقي في الدلائل (٧/ ٦٢) من طريق سليمان بن حرب عن حماد به.
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٩٢١):ص٨/ ٢٥٣-٢٥٤، وقال: "فيه عطاء بن السائب وقد اختلط".
وزاد نسبته في الدر (٥٤٤/٨) لابن أبي حاتم والحاكم وأبي نعيم في الدلائل وابن مردويه وابن عساكر.
(٢)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٦/١.
(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٦/١.
(٤) مصنف عبدالرزاق(٢٨٥١):ص١٤٨/٢.
(٥) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٣٢/١٠.

سورة «التين»

«سورة التين»: هي السورة الخامسة والتسعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة البروج»، وآياتها ثمان. وكلماتها أربع وثلاثون. وحروفها مائة وخمسون. وفواصل آياتها «من»[١].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:-أسمها التوقيفي: «سورة التين»:**

وسماها أكثر المفسرين[٢] باسم: «سورة التين»، بدون «واو»، لأن فيها لفظ «التين» في أولها، قال تعالى: {وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ} [التين : ١]، وكما قالوا: «سورة البقرة»، وبذلك عنونها «الترمذي»[٣]، والنسائي[٤]، وبعض المصاحف.

وسميت أيضا في بعض من كتب التفسير[٥]، والمصاحف: «سورة والتين» بإثبات «الواو»، تسمية بأول كلمة فيها، وكما سيأتي في كلام ابن عباس-رضي الله عنهما-[٦].

- **ثانيا:-أسمها الاجتهادي: سورة «والتين والزيتون»:**

وردت هذا الاسم في كلام الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين-، كما في حديث البراء[٧]، وهي تسمية اجتهادية، لم تثبت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها مكّيّة، قاله الجمهور[٨]، منهم الحسن[٩]، وعكرمة[١٠]، وعطاء[١١]، وجابر[١٢]. وهو المشهور من كلام ابن عباس[١٣].

قال أبو حيان:" هذه السورة مكية في قول الجمهور"[١٤].

عن ابن عباس، قال: " أنزلت سورة التين {والتين} بمكة"[١٥].

الثاني: أنها مدنيّة، حكاه الماورديّ عن ابن عباس[١٦]، وقتادة[١٧].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٦/١.

(٢) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٤٩٩/٢٤، وتأويلات أهل السنة: ٥٧٠/١٠، وبحر العلوم للسمرقندي: ٥٩٥/٣، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٤٥/٥، والكشف والبيان: ٢٣٨/١٠، والنكت والعيون: ٢٣٨، والوسيط للواحدي: ٥٢٢/٤، وتفسير السمعاني: ٢٥٣/٦، وتفسير البغوي: ٤٦٨/٨، والكشاف: ٧٧٣/٤، والمحرر الوجيز: ٤٩٩/٥، ومفاتيح الغيب: ٢١٠/٣٢، وغيرها.

(٣) انظر: سنن الترمذي: ٣٠٠/٥.

(٤) انظر: سنن النسائي: ٣٣٩/١٠.

(٥) انظر مثلا: تفسير ابن فورك: ٢٤١/٣، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٣٣٩/١٢، وتفسير البيضاوي: ٣٢٣/٥، وتفسير السعدي: ٩٢٩، وغيرها.

(٦)عن ابن عباس، قال: " أنزلت سورة التين {والتين} بمكة ، انظر: الدر المنثور: ٥٥٣/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٧) كما سياتي في فضائل السورة.

(٨) انظر: البحر المحيط: ٥٠٢/١٠، وزاد المسير: ٤٦٣/٤.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٣٠٠/٦، وزاد المسير: ٤٦٣/٤.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ٣٠٠/٦.

(١١) انظر: النكت والعيون: ٣٠٠/٦، وزاد المسير: ٤٦٣/٤.

(١٢) انظر: النكت والعيون: ٣٠٠/٦.

(١٣) انظر: الدر المنثور: ٥٥٣/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(١٤) البحر المحيط: ٥٠٢/١٠.

(١٥) انظر: الدر المنثور: ٥٥٣/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(١٦) انظر: النكت والعيون: ٣٠٠/٦، وزاد المسير: ٤٦٣/٤، والبحر المحيط: ٥٠٢/١٠.

(١٧) انظر: النكت والعيون: ٣٠٠/٦، وزاد المسير: ٤٦٣/٤، والبحر المحيط: ٥٠٢/١٠.

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها- أنه ذكر في السورة السابقة حال أكمل خلق الله صلى الله عليه وسلم، وذكر هنا حال النوع الإنساني وما ينتهي إليه أمره، وما أعد سبحانه لمن آمن برسوله(١).

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

من مقاصد السورة الكريمة:

١- تبدأ السورة بذكر فاكهة التين وهي فاكهة طازجة يصعب حفظها حيث أنها لا تلبث فترة طويلة حتى تفسد وهي تُشير إلى حال الإنسان الذي ينتكث عن الفطرة السليمة.

٢- هناك ارتباط بين التين الذي يعتبر أحسن الفواكه من حيث الغذاء والتحلي والتداوي وبين الإنسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم.

٣- يُشير الزيتون إلى حالة الثبات على الفطرة السليمة والبقاء على الدين الصحيح، حيث أنه يمثل خيرًا كبيرًا يمكن الانتفاع به لفترة طويلة، ولذلك عبر القرآن الكريم عن شجرة الزيتون بأنها مثال للهدى والنور.

٤- تدل سورة التين على أن مكة المكرمة هي مركز رسوخ الدين، حيث ارتضى الله تعالى أن يحتضن هذا البلد الأمين الإسلام الذي يعتبر الدين الوحيد الذي لا يتغير ولا يتبدل.

٥- يرمز قوله تعالى : {وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ} [التين : ١]، إلى أرض بيت المقدس التي خرجت منها رسالة عيسى بن مريم، بينما يُشير طور سنين إلى الجبل الذي كلم الله عليه نبيه موسى، أما البلد الأمين فالمقصود به مكة موطن النبي صلى الله عليه وسلم.

٦- أقسم الله بالأماكن الثلاثة التي كانت مراكز للأديان السماوية الثلاثة بحسب الترتيب بين هذه الأماكن في الشرف.

٧- بعد أن كنى الله عن أصل الفطرة بذكر التين والزيتون، صرح بخلق الإنسان في أحسن تقويم حيث هداه الله إلى الفطرة السليمة.

٨- ليس هناك خلق أحسن من الإنسان، فقد خلقه الله تعالى مريدًا قادرًا على السمع والبصر والكلام كما خلقه متكامل الأعضاء حسن الخلقة.

٩- يُذكر الله تعالى عباده من البشر بأول خسران لهم حينما عصى آدم ربه، فكان مصيره هو الخروج من الجنة ونزول الأرض.

١٠- خُلق الإنسان من روح وجسد، وعندما يُلبي الإنسان نداء جسده دون اهتمام بضوابط الشرع، يكون مصيره هو الهبوط إلى أسفل سافلين.

١١- ينطوي قوله تعالى: {ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ} [التين : ٥]، لتطور خلق الإنسان فهو يكبر حتى يصبح شابًا قويًا في أحسن تقويم ثم يُرد إلى أرذل العمر.

دروس مستفادة من سورة التين:

١- **تبشير المؤمنين بالأجر**، وذلك كما مبين أدناه:

أ- يُراد من قوله تعالى: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} [التين : ٦] أن الإنسان عندما لا يغتر بوجوده على الأرض في الدنيا ويُدرك أن مقامه الأخروي يجب أن يكون في الجنة، فإنه ينال من الله تعالى الأجر غير منقوص.

---

(١) انظر: تفسير المراغي: ١٩٣/٣٠.

ب- إذا كان المؤمن يعيش بجسده في دار الدنيا، فإنه بروحه مع الملائكة المقربين عند الله تعالى، ومن أهم الأعمال الصالحة التي تقي الإنسان من الرد إلى أسفل سافلين هي قراءة القرآن الكريم والعمل به.

٢- استنكار الله من تكذيب العصاة:

أ- يستنكر الله تعالى أن يُنكر العبد لقائه رغم أنه هو الذي خلقه والقادر على إعادته إليه؛ لذلك يقول الله تعالى: {فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ} [التين : ٧].

ب- عندما يرى الإنسان دلائل وجود الله تعالى ثم يبقى تائهًا في ظلام الشك والطغيان، فإنه يستحق ما يحل عليه من العذاب نتيجة عناده وغفلته.

٣- الله تعالى هو أحكم الحاكمين:

أ- يكفي للإنسان أن يتدبر في خلق الله وقضائه؛ ليعلم أن الله تعالى هو أحكم الحاكمين؛ لذلك يجب على الإنسان أن يلجأ إلى حكم الله في جميع أمور حياته ولا يعرض عن حكمه إلى غيره.

ب- كان الصحابي الجليل أبو هريرة يقول: «فإذا قرأ أحدكم {وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ} فأتى على آخرها: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الحَاكِمِينَ} فليقل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين»(١).

قال الفيروزآبادي :" مقصود السورة: القسم على حسن خلقة الإنسان، ورجوع الكافر إلى النيران، وإكرام المؤمنين بأعظم المثوبات الحسان، وبيان أن الله حكيم وأحكم في قوله: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الحَاكِمِينَ} [التين : ٨]"(٢).

- **الناسخ والمنسوخ:**

المنسوخ فيها آية: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الحَاكِمِينَ} [التين : ٨]، نسختها آية السيف(٣).

قال هبة الله:" جميعها محكم إلا آية واحدة في آخرها نسخ معناها لا لفظها وهي قوله تعالى: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الحَاكِمِينَ} [التين : ٨]، نسخ المعنى فيها بآية السيف أي دعهم وخل عنهم"(٤).

- **فضائل السورة:**

- عن البراء بن عازب قال: «صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العتمة، فقرأ فيها بالتين والزيتون»(٥).
- عن البراء بن عازب :"أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في سفر فقرأ في العشاء الآخرة في إحدى الركعتين بـ«التين والزيتون»"(٦).

---

(١)أخرجه أبو داود (٢٣٤/١، رقم ٨٨٧) ، والترمذى (٤٤٣/٥، رقم ٣٣٤٧) وقال: هذا الحديث إنما يروى بهذا الإسناد عن هذا الأعرابى ولا يسمى. والبيهقى (٣١٠/٢، رقم ٣٥٠٨) . وأخرجه أيضا: البيهقى فى شعب الإيمان (٣٧٧/٢، رقم ٢٠٩٧).

(٢)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٧/١.

(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٧/١.

(٤) الناسخ والمنسوخ: ٢٠٠.

(٥) سنن النسائي(١٠٠٠):ص١٧٣/٢.

(٦) المسند(١٨٥٠٣): ص٤٦٢/٣٠، إسناده صحيح على شرط الشيخين، وأخرجه أبو يعلى (١٦٦٥) من طريق بهز، بهذا الإسناد.

وأخرجه عبد الرزاق (٢٧٠٩) ، والبخاري (٧٦٧) و (٤٩٥٢) ، ومسلم (٤٦٤) ، وأبو داود (١٢٢١) ، والنسائي في "المجتبى" ١٧٣/٢، وابن خزيمة، (٥٢٤) ، وأبو عوانة ١٥٥/٢، وابن حبان (١٨٣٨) ، والبيهقي في "السنن الكبرى" ٣٩٣/٢ من طرق، عن شعبة، به.

وعند النسائي أنه قرأ في العشاء في الركعة الأولى بالتين والزيتون، وخالفهم عن شعبة الطيالسي (٧٣٣) ، فذكر المغرب بدل العشاء.

- عن مسروق بن الأجدع قال: "صليت مع عثمان العشاء الآخرة فقرأ بـ«النجم»، فسجد فيها، ثم قام فقرأ بـ«التين والزيتون»"[١].
- عن عمرو بن ميمون قال: "صلى بنا عمر، صلاة المغرب، فقرأ في الركعة الأولى بـ«التين والزيتون»، وفي الركعة الثانية: «ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل» و«لإيلاف قريش»"[٢].
- عن أبيّ ابن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة وَالتِّين أعطاه الله سبحانه خصلتين: العافية واليقين ما دام في دار الدنيا، فإذا مات أعطاه الله سبحانه من الأجر بعدد من قرأ هذه السورة صيام يوم»[٣].[موضوع]

وأخرجه ابن خزيمة (٥٢٥) من طريق محمد بن بكر، عن شعبة، عن أبي إسحاق، عن البراء، به.
وأخرجه الإمام احمد في المسند بطرق أخرى بالأرقام: (١٨٥٢٧) و (١٨٥٢٨) و (١٨٥٦٦) و (١٨٦٣٩) و (١٨٦٨١) و (١٨٦٨٨) و (١٨٦٩٨) و (١٨٧٠٨).
(١) مصنف ابن أبي شيبة(٤٣٩٣):ص٣٨٢/١.
(٢)مصنف ابن أبي شيبة(٣٥٩٣):ص٣١٤/١.
(٣) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٣٨/١٠. وانظر: مجمع البيان: ٣٩٢/١٠.[موضوع]

سورة «العلق»

«سورة العلق»: هي السورة السادسة والتسعون بحسب الرسم القرآني، وهى أول ما نزل من القرآن الكريم، وآياتها ثمان عشرة في الشامي، وتسع عشرة في العراقي، وعشرون في الحجازي. وكلماتها اثنتان وتسعون. وحروفها مائتان وثمانون والمختلف فيها آيتان: {عَلَقٍ} [العلق : ٢]، {عَلَّمَ بِالْقَلَمِ} [العلق : ٤][(١)].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:-أسماؤها التوقيفية:**

١-«سورة العلق»:

سميت في المصاحف ومعظم التفاسير[(٢)] «سورة العلق»، لوقوع لفظ «العلق» في أوائلها، قال تعالى: {خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ} [العلق : ٢].

٢-سورة «اقرأ باسم ربك»:

اشتهرت تسمية هذه السورة في عهد الصحابة والتابعين[(٣)] باسم «سورة اقرأ باسم ربك». وبذلك عنونها الترمذي[(٤)]. وعنونها البخاري: «سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق»[(٥)]، وكذلك وردت في بعض كتب التفسير[(٦)].

- **ثانيا:-أسماؤها الاجتهادية:**

١-سورة « سورة اقرأ»:

وتسمى: «سورة اقرأ»، لوقوع هذا للفظ في أول السورة، قال تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [العلق : ١]، وبذلك سماها الماتريدي[(٧)]، ومحمد صديق خان القِنَّوجي[(٨)]، والسعدي[(٩)] في تفاسيرهم.

قال ابن عاشور :"وسماها الكواشي في «التخليص» «سورة: اقرأ والعلق»"[(١٠)].

٢-سورة « سورة القلم»:

سميت «سورة القلم»، لوقوع هذا اللفظ في أولها، قال تعالى: {الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ} [العلق : ٤]، وعنونها بها ابن العربي في "أحكام القرآن"[(١١)]، وذكرها ابن الجوزي في "زاد المسير"[(١٢)]، وهذا اسم سميت به: «سورة ن»، لكن ميّزت الأخيرة باسم «ن والقلم».

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس، قال: " أول ما نزل من القرآن بمكة: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}"[(١٣)].

عن ابن عباس قال: أول سورة نزلت على محمد: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}"[(١)].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٩/١.
(٢) انظر مثلا: بحر العلوم للسمرقندي: ٥٩٧/٣، والكشف والبيان: ٢٤٢/١٠، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٣٤٩/١٢، و النكت والعيون: ٣٠٤/٦، والوسيط للواحدي: ٥٢٧/٤، وتفسير السمعاني: ٢٥٥/٦، وتفسير البغوي: ٤٧٤/٨، والكشاف: ٧٧٥/٤، وغيرها.
(٣) كما سياتي في مكان نزول السورة.
(٤) انظر: سنن الترمذي: ٤٤٣/٢.
(٥) انظر: صحيح البخاري: ١٧٣/٦.
(٦) وردت بهذه التسمية في تفسير ابن أبي زمنين: ١٤٧/٥، وتفسير ابن فورك: ٣٤٥/٣ .
(٧) انظر: تأويلات أهل السنة: ٥٧٥/١٠.
(٨) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن: ٣٠٧/١٥.
(٩) انظر: تفسير السعدي: ٩٢٩.
(١٠) المحرر الوجيز: ٤٣٣/٣٠.
(١١) انظر: أحكام القرآن: ٣٤٢/٢.
(١٢) انظر: زاد المسير: ٤٦٦/٤.
(١٣) انظر: الدر المنثور: ٥٦٠/٨، وعزاه إلى ابن مردويه من طرق.

عن ابن عباس قال: "أول شيء أنزل من القرآن خمس آيات: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} إلى قوله: {مَا لَمْ يَعْلَم}"[٢].

عن الزهري وعمرو بن دينار:" أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بحراء إذا أتاه ملك بنمط من ديباج فيه مكتوب: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} إلى {مَا لَمْ يَعْلَم}"[٣].

عمرو بن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بحراء إذا أتاه ملك بنمط من ديباج فيه مكتوب: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} إلى {مَا لَمْ يَعْلَم}"[٤].

عن عائشة، قالت: "أول ما نزل من القرآن: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}"[٥].

عن عائشة، قالت: كان أول ما نزل عليه بعد: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ} {ن والقلم} و {يا أيها المدثر} {والضحى}"[٦].

عن أبي موسى الأشعري قال: كانت {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ} أول سورة أنزلت على محمد"[٧].

عن مجاهد قال: أول ما نزل من القرآن: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ}، ثم {ن والقلم}"[٨].

عن عبيد بن عمير قال: أول ما نزل من القرآن: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} ثم «ن»"[٩].

عن ابن شهاب:" حدثني محمد بن عباد بن جعفر المخزومي أنه سمع بعض علمائهم يقول: "كان أول ما أنزل الله على نبيه {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ} إلى: {مَا لَمْ يَعْلَم}، فقالوا: هذا صدرها الذي أنزل يوم حراء ثم أنزل الله آخرها بعد ذلك ما شاء الله"[١٠].

قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع. وهي أول ما نزل من كتاب الله تعالى، نزل صدرها في غار حراء حسبما ثبت في صحيح البخاري وغيره، وروي من طريق جابر بن عبد الله أن أول ما نزل: {يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ} [المدثر: ١]، وقال أبو ميسرة عمرو بن شرحبيل: «أول ما نزل فاتحة الكتاب»، والقول الأول أصح، والترتيب في أخبار النبي صلى الله عليه وسلم يقتضي ذلك"[١١].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة بإجماعهم. وهي أول ما نزل من القرآن. وقيل: إنما أنزل عليه في أول الوحي خمس آيات منها، ثم نزل باقيها في أبي جهل"[١٢].

قال الماوردي: "وإذا كانت هذه أول سورة نزلت على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في قول الأكثرين فقد روي في ترتيب السور بمكة والمدينة أحاديث ، أوفاها ما رواه آدم ابن أبي أناس عن أبي شيبة شعيب بن زريق عن عطاء الخراساني قال : بلغنا أن هذا ما نزل من القرآن بمكة والمدينة الأول فالأول ، فكان أول ما نزل فيما بلغنا : «اقرأ باسم ربك»، ثم «ن والقلم ، المزمل ، المدثر ، تبّت ، إذا الشمس كورت ، سبّح اسم ربك ، الليل ، الفجر ، الضحى ، ألم نشرح ، العصر ، العاديات ، الكوثر ، ألهاكم ، أرأيت ، الكافرون ، الفيل ، الفلق ، الإخلاص ، النجم ، عبس ، القدر ، والشمس ، البروج ، التين ، لإيلاف ،

---

(١) انظر: الدر المنثور: ٥٦٢/٨، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٢) انظر: الدر المنثور: ٥٦٢/٨، وعزاه إلى ابن المنذر وابن مردويه.

(٣) انظر: الدر المنثور: ٥٦٢/٨، وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد.

(٤) انظر: الدر المنثور: ٥٦٢/٨، وعزاه إلى الحاكم.

(٥) انظر: الدر المنثور: ٥٦١/٨، وعزاه إلى ابن جرير والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وصححه.

(٦) انظر: الدر المنثور: ٥٦٢/٨، وعزاه إلى ابن الأنباري في المصاحف.

(٧) انظر: الدر المنثور: ٥٦٠/٨، وعزاه إلى ابن أبي شيبة وابن الضريس وابن الأنباري في المصاحف والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية.

(٨) انظر: الدر المنثور: ٥٦٢/٨، وعزاه إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٩) انظر: الدر المنثور: ٥٦٢/٨، وعزاه إلى ابن أبي شيبة.

(١٠) انظر: الدر المنثور: ٥٦٠/٨، وعزاه إلى البيهقي في الدلائل.

(١١) المحرر الوجيز: ٥/٥-١.

(١٢) زاد المسير: ٤٦٦/٤.

القارعة ، القيامة ، الهُمزة ، المرسلات ، ق ، البلد ، الطارق ، القمر ، ص ، الأعراف ، قل أوحى ، يس ، الفرقان ، الملائكة ، مريم ، طه ، الواقعة ، الشعراء ، النمل ، القصص ، بنو إسرائيل ، يونس ، هود ، يوسف ، الحجر ، الأنعام ، الصافات ، لقمان ، سبأ ، الزمر ، المؤمن ، حم السجدة ، عسق ، الزخرف ، الدخان ، الجاثية ، الأحقاف ، الذاريات ، الغاشية ، الكهف ، النحل ، نوح ، إبراهيم ، الأنبياء ، قد أفلح ، السجدة ، الطور ، الملك ، الحاقة ، سأل سائل ، النبأ ، النازعات ، الانفطار ، الانشقاق ، الروم ، العنكبوت ، المطففين». فهذه خمس وثمانون سورة نزلت بمكة .

وكان فيما نزل بالمدينة: «البقرة» ، ثم «الأنفال ، آل عمران ، الأحزاب ، الممتحنة ، النساء ، الزلزلة ، الحديد ، سورة محمد ، الرعد ، الرحمن ، هل أتى ، الطلاق ، لم يكن ، الحشر ، النصر ، النور ، الحج ، المنافقون ، المجادلة ، الحجرات ، التحريم ، الجمعة ، الصف ، الفتح ، المائدة ، براءة». فهذه سبع وعشرون سورة نزلت بالمدينة .

ولم تكن الفاتحة والله أعلم ضمن ما ذكره ، وقد اختلف الناس في نزول السور اختلافاً كثيراً ، لكن وجدت هذا الحديث أوفى وأشفى فذكرته"(١).

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها- أنه ذكر هناك خلق الإنسان فى أحسن تقويم، وذكر هنا خلق الإنسان من علق، إلى أنه ذكر هنا من أحوال الآخرة ما هو كالشرح والبيان لما سلف(٢).

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

من مقاصد السورة الكريمة:

١- أن الأمر بالقراءة أول ما أمر الله به نبيه الذي لا يعرف القراءة ولا الكتابة، حيث يجب على الإنسان أن يبحث عن طريق الله تعالى بالعلم والقراءة.

٢- تشتمل السورة على تعظيم شأن الكتابة أيضًا حيث يبين الله أنه هو من علّم الإنسان بالقلم ما لم يكن يعرفه لولا توفيق الله له.

٣- تعدّ القراءة والكتابة من العناصر الأساسية لقيام الدول والشعوب، فكانت البداية بهما في مستهل الرسالة دليل على قيام حضارة إسلامية متى تمسكت الأمة بالعلم.

٤- تُشير بداية الرسالة بالقراءة والكتابة إلى تكريم الإنسان ومدى علة شأنه عند الله تعالى، فهو الكائن الوحيد الذي منحه الله العقل لكي يقرأ ويتعلم وبالتالي يعرف الصواب من الخطأ.

٥- يجب على الإنسان أن يستعين بالله تعالى عند القراءة حتى يحصل على منافع العلم مع ضرورة صدق النية والإخلاص، لذلك قال الله تعالى "اقرأ باسم ربك" أي مستعينًا به.

٦- على الإنسان أن يُقبل على العلم دون أن يخاف من عدم الفهم، لأنه إذا توكل على الله، أكرمه وفتح عليه، ولذلك اختار الله صفة الكرم في قوله: {اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ} [العلق : ٣].

٧- بيان طغيان الإنسان في الأرض، فإنه بمجرد ما يحصل الإنسان على العلم أو المال، ينسى أن الله تعالى هو الذي منحه هذه النعم، ويستغني بجهله عن خالقه.

٨- من حق الله تعالى على الناس، أن يقابلوا نعم الله عليهم بالشكر، ويحتاج الإنسان إلى التحلي بالإيمان والتقوى حتى لا يطغى، ويكتسب الإنسان هذه الصفات من خلال العلم ومعرفة الله تعالى.

٩- مهما طال بقاء الإنسان في الدنيا، يجب أن يُدرك أنه إلى فناء، وعندما يموت فإنه لا يصير إلى العدم، بل الله تعالى قادر على إعادته كما خلقه ابتداءً.

---

(١) النكت والعيون: ٦/٣١٠-٣١١.

(٢) انظر: تفسير المراغي: ١٩٧/٣٠.

١٠- يُمكن أن يحتمل المعنى الرجوع إلى الله تعالى في الحياة الدنيا، حيث أن الإنسان مهما بالغ في طغيانه نتيجة ثرائه وعلمه، لكن بمجرد أن يبتليه الله ويُصاب بمرض أو مشكلة، فإنه يرجع مرة أخرى إلى الله.

دروس مستفادة من سورة العلق:

١- قصة أبو جهل مع الرسول:

أ- لم يؤمن أبو جهل بالنبي صلى الله عليه وسلم بسبب عناده واستكباره لأن النبي كان من بني عبد مناف وهو من بني مخزوم، فكان حقده سببًا في عدم الدخول في الإسلام.

ب- توعّد أبو جهل النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى عند البيت، وأراد أن يطأ رقبته، فما كان منه إلا أن عاد إلى قومه وهو ينكص على عقبيه لأنه رأى خندقًا من نار بينه وبين الرسول.

ت- يستنكر الله تعالى تصرف أبي جهل مع النبي فيقول: {أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (١٢)} [العلق : ١١ - ١٢]، أي: أن من تنهاه عن الصلاة هو من يسير على الطريق المستقيمة.

ث- من أبرز فوائد قصة أبو جهل مع الرسول هو أن نُدرك أن الله تعالى يعلم ويرى، ورغم أن القصة كانت مرتبطة بالرسول لكنها جاءت بالتنكير لتدل على تعميمها في كل زمان ومكان.

٢- التهديد والوعيد لكل من تحدى الله تعالى:

أ- خلق الله تعالى العباد لكي يُطيعوه، بينما إذا خالف الإنسان ربه وأصر على مخالفته بل وقام أيضًا بإيذاء عباده، فإن الله توعده بالعذاب المهين.

ب- على الإنسان ألا يغتر بصحبته في الدنيا، حيث أن أبا جهل كان له نادٍ يجتمع فيه الناس، ولكن هذا النادي لم يغني عنه من عذاب الله شيئًا حينما أصر على عناده وكفره؛ لأن الله عنده الزبانية التي تأخذ الإنسان بالعذاب.

٣- التمسك بالرسالة رغم المصاعب

رغم ما كان يتعرض له النبي من إيذاء المشركين إلا أن الله أمره بالسجود والعبادة ومواصلة الدعوة لأنه منصور بقوة الله.

قال الفيروزآبادي :" ابتداء في جميع الأمور باسم الخالق الرب - تعالى - جلت عظمته، والمنة على الخلق بتعليم الكتابة، والحكمة، والشكاية من أهل الضلالة، وتهديد أهل الكفر والمعصية، وتخويف الأجانب بالعقوبة، وبشارة الساجدين بالقربة، في قوله: {وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ} [العلق : ١٩]"[(١)].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة محكمة[(٢)].

- **فضائل السورة:**

- عن جابر أنه قال: "صلى معاذ بن جبل الأنصاري لأصحابه العشاء. فطول عليهم فانصرف رجل منا. فصلى فأخبر معاذ عنه فقال: إنه منافق فلما بلغ ذلك الرجل دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ما قال معاذ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «أتريد أن تكون فتانا يا معاذ؟ إذا أممت الناس فاقرأ بـ {الشَّمْسِ وَضُحَاهَا}، وَ{سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى}، وَ{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ}، وَ{اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى}»"[(٣)].

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٩/١.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٩/١.

(٣) صحيح مسلم(٤٦٥):ص٣٤٠/١.

- عن أبيّ ابن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ فكأنّما قرأ المفصّل كله»[1].[موضوع]

(١) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٤٢/١٠. وانظر: مجمع البيان: ٣٩٦/١٠.[موضوع]

سورة «القدر»

«سورة القدر»: هي السورة السابعة والتسعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة عبس»، آياتها ست في عد الشام، وخمس عند الباقين؛ وكلماتها ثلاثون. وحروفها مائة واثنتا عشرة. المختلف فيها آية: {الْقَدْرِ} [القدر : ٣] الثالث. فواصل آياتها على «الراء»[١].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:-أسمها التوقيفي: «سورة القدر»:**

سميت هذه السورة في المصاحف، وكتب التفسير[٢]، وكتب السنة[٣]: «سورة القدر»، ووجه تسميتها سورة القدر، لتكرار ذكره فيها، وهي تسمية لها بصفة ليلة القدر التي أنزل فيها القرآن، قال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١)} [القدر : ١]، أي: في ليلة عظيمة الشرف، ولم يقع هذا اللفظ في فيرها من سور القرآن الكريم.

- **ثانيا:-اسمها الاجتهادي: سورة «إنا أنزلناه في ليلة القدر»**

وهي تسمية بأول آية فيها، كما ورد عن بعض الصحابة-رضوا الله عليهم أجمعين-[٤]، وبهذا الاسم عنون لها بعض المفسرين[٥]. كما ترجم لها الحاكم[٦] باسم: «إنا أنزلناه»، باقتصار على مفتتحها.

وسماها النحاس[٧]، وأبو بكر الجصاص[٨]، «سورة ليلة القدر». ولم يثبت هذا بالتوقيف عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

اختلف أهل العلم في موضع نزول هذه السورة، على قولين:

أحدهما: أنها مكيّة، قالته عائشة[٩]، ورواه نوفل ابن أبي عقرب عن ابن عباس[١٠]، ورواه شيبان عن قتادة[١١]. وحكاه الماوردي عن الأكثرين[١٢].

قال ابن عباس:" نزلت سورة {إنا أنزلناه في ليلة القدر} بمكة"[١٣]. وروي عن عائشة مثله[١٤].

الثاني: أنها مدنية. قاله ابن عباس[١٥]، والضحاك[١٦]، وحكاه الثعلبي[١٧]، وأبو حيان عن الأكثرين[١٨].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣١/١.
(٢) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٥٢٩/٢٤، وتأويلات أهل السنة: ٥٨٣/١٠، وبحر العلوم للسمرقندي: ٦٠١/٣، وتفسير ابن فورك: ٢٥٠/٣، والكشف والبيان: ٢٤٧/١٠، والنكت والعيون: ٣١١/٦، وتفسير السمعاني: ٢٦٠/٦، وتفسير البغوي: ٤٨٢/٨، والكشاف: ٧٨٠/٤، ومفاتيح الغيب: ٢٢٨/٣٢، وتفسير القرطبي: ١٢٩/٢٠، وغيرها.
(٣) انظر مثلا: السنن الكبرى للنسائي: ٣٤٠/١٠، .
(٤) كما سيأتي في مكان نزول السورة.
(٥) انظر مثلا: تفسير ابن أبي زمنين: ١٤٩/٥.
(٦) انظر: المستدرك على الصحيحين: ٥٧٨/٢.
(٧) انظر: إعراب القرآن: ١٦٥/٥.
(٨) انظر: أحكام القرآن: ١٦٥/٥.
(٩) الدر المنثور: ٥٦٧/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(١٠) الدر المنثور: ٥٦٧/٨، وعزاه إلى ابن مردويه، وزاد المسير: ٤٦٩/٤.
(١١) انظر: الكشف والبيان: ٢٤٧/١٠، والمحرر الوجيز: ٥٠٤/٥.
(١٢) النكت والعيون: ٣١١/٦.
(١٣) الدر المنثور: ٥٦٧/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(١٤) الدر المنثور: ٥٦٧/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(١٥) انظر: المحرر الوجيز: ٥٠٤/٥.
(١٦) انظر: النكت والعيون: ٣١١/٦، وزاد المسير: ٤٦٩/٤.
(١٧) انظر: الكشف والبيان: ٢٤٧/١٠.
(١٨) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٥١٣/١٠.

قال علي بن الحسين بن واقد: "هي أوّل سورة نزلت بالمدينة"[1].

قال أبو حيان:" هذه السورة مدنية في قول الأكثر. وحكى الماوردي عكسه. وذكر الواحدي أنها أول سورة نزلت بالمدينة"[2].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

مناسبتها لما قبلها- أن في تلك أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يقرأ القرآن باسم ربه الذي خلق، واسم الذي علم الإنسان ما لم يعلم، وفى هذه ذكر القرآن ونزوله وبيان فضله، وأنه من عند ربه ذي العظمة والسلطان، العليم بمصالح الناس وبما يسعدهم في دينهم ودنياهم، وأنه أنزله في ليلة لها من الجلال والكمال ما قصته السورة الكريمة [3].

قال أبو حيان:" مناسبتها لما قبلها ظاهر. لما قال: اقرأ باسم ربك، فكأنه قال: اقرأ ما أنزلناه عليك من كلامنا"[4].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

١ - تحدثت عن بدءِ نزول القرآن، وأنه كان في ليلة القدر، قال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} [القدر : ١]

٢ - أبرزت الشرف العظيم لتلك الليلة على العدد الكثير من الأيام والليالي لما فيها، من الأنوار والنفحات الربانية: {لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ} [القدر : ٣].

٣ - أكدت علوَّ قدر هذه الليلة. يتنزل الملائكة المقربين من عند الرحمن من أجل كل أمر قدره الله لتلك السنة إلى قابل: {تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ} [القدر : ٤].

٤ - أشارت في ختامها إلى أن سلام الملائكة على أهل الإيمان مستمر إلى طلوع الفجر: {سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ} [القدر : ٥].

قال الفيروزآبادي :" معظم مقصود السورة: بيان شرف ليلة القدر في نص القرآن، ونزول الملائكة المقربين من عند الرحمن، واتصال سلامهم طوال الليل على أهل الإيمان، في قوله: {حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ} [القدر : ٥]"[5].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة محكمة[6].

- **فضائل السورة:**

- عن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قرأ {إنا أنزلناه في ليلة القدر}، عدلت بربع القرآن، ومن قرأ: {إذا زلزلت}، عدلت بنصف القرآن، و{قل يا أيها الكافرون}، تعدل بربع القرآن، و{قل هو الله أحد}، تعدل بثلث القرآن» "[7].
- عن أبيّ ابن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة القدر أعطي من الأجر كمن صام رمضان، وأعطي إحياء ليلة القدر» [8].[موضوع]

---

(١) نقلا عن: الكشف والبيان: ٢٤٧/١٠.
(٢) البحر المحيط في التفسير: ٥١٣/١٠.
(٣) انظر: تفسير المراغي: ٢٠٦/٣٠.
(٤) البحر المحيط في التفسير: ٥١٣/١٠.
(٥)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٩/١.
(٦) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣١/١.
(٧)مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر للمروزي: ١٦١.
(٨) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٤٧/١٠. وانظر: مجمع البيان: ٤٠٣/١٠.[موضوع]

سورة «البيّنة»

«سورة البيّنة»: هي السورة الثامنة والتسعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الطلاق» وقبل «سورة الحشر»، فتكون نزلت قبل غزوة بني النضير، وكانت غزوة النضير سنة أربع في ربيع الأول فنزول هذه السورة آخر سنة ثلاث أو أول سنة أربع[1]، آياتها في عد البصرى: سبع، وعند الباقين: ثمان. وكلماتها أربع وسبعون. وحروفها ثلاثمائة وتسع وتسعون. المختلف فيها آية: {مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } [البينة : ٥]. فواصل آياتها على «الهاء»[2].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:-أسماؤها التوقيفية:**

١-«سورة البيّنة»:

اشتهرت باسم «سورة البيّنة»، وكتبت في المصاحف وفي معظم كتب التفسير[3]، ووجه تسميتها لورود لفظ «البيّنة» في مفتتح السورة، قال تعالى: {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ} [البينة : ١].

٢-سورة«لم يكن الذين كفروا» أو «لم يكن»:

وردت تسمية هذه السورة في كلام النبي -صلى الله عليه وسلم-: «لم يكن الذين كفروا»، روى البخاري ومسلم عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بن كعب: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك لم يكن الذين كفروا»، قال: وسماني لك؟ قال: «نعم»، قال: فبكى»[4].

فقوله: «أن أقرأ عليك لم يكن الذين كفروا»، واضح أنه أراد السورة كلها فسماها بأول جملة فيها.

وسميت السورة في مجموعة من كتب التفسير[5]، وكتب السنة[6]: «سورة لم يكن»، بالاقتصار على أول كلمة منها، لأنها أول جملة افتتحت بها السورة، ولم تفتتح بها سورة اخرى من القرآن.

وقد وردت هذه التسمية في كلام الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين:

إذ روي عن عائشة-رضي الله عنها-، قالت: نزلت سورة {لم يكن} بمكة" [7].

وعن ابن عباس-رضي الله عنهما-، قال: نزلت سورة {لم يكن} بالمدينة" [8].

وفي بعض المصادر سميت بسورة: «لم يكن الذين كفروا»[9].

- **ثانيا:-أسماؤها الاجتهادية:**

١-«سورة القيّمة»

---

(١) انظر: المحرر الوجيز: ٤٦٨/٣٠.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣٣/١.

(٣) انظر مثلا: تأويلات أهل السنة: ٥٨٨/١٠، وبحر العلوم للسمرقندي: ٦٠٣/٣، وتفسير ابن فورك: ٢٥٤/٣، والنكت والعيون: ٣١٥/٦، والوسيط للواحدي: ٥٣٨/٤، وتفسير البغوي: ٤٩٣/٨، والكشاف: ٧٨١/٤، والمحرر الوجيز: ٥٠٧/٥، وزاد المسير: ٤٧٥/٤، ومفاتيح الغيب: ٢٣٧/٣٢، وتفسير القرطبي: ١٤٠/٢٠، وغيرها.

(٤) صحيح البخاري(٣٨٠٩):ص٣٦/٥، وصحيح مسلم(٧٩٩):ص٥٥٠/١٠، وصحيح مسلم().

(٥) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٥٣٧/٢٤، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٣٧٩/١٢، وتفسير السمعاني: ٢٦٣/٦، وتفسير البيضاوي: ٣٢٨/٥، وتفسير ابن كثير: ٤٥٤/٨، وغيرها.

(٦) انظر مثلا: صحيح البخاري: ١٧٥/٦، وسنن الترمذي: ٣٠٣/٥، ومستخرج أبيي عوانة: ٤٩١/٢.

(٧) انظر: الدر المنثور: ٥٨٥/٨ وعزاه إلى ابن مردويه.

(٨) انظر: الدر المنثور: ٥٨٥/٨ وعزاه إلى ابن مردويه.

(٩) انظر: مثلا: تفسير ابن أبي زمنين: ١٥١/٥.

سميت في مجموعة من المصاحف «سورة القيمة» وكذلك في بعض التفاسير[1]، وكتب علوم القرآن[2]، ووجه تسميتها بذلك، أنها ذكرت فيها لفظ: «القيمة» في قوله تعالى: {وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} [البينة : ٥]، ولم ترد في غيرها من القرآن.

٢-«سورة البريّة»

سميت سورة «البرية»، وذلك لورود هذا اللفظ فيها مرتين، قال تعالى: {أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ} [البينة : ٦]، وقال تعالى: {أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ} [البينة : ٧].

وقد أورد هذا الاسم، الألوسي[3]، والقاسمي[4]، والسخاوي[5]، والسيوطي[6]، في كتبهم.

٣- «سورة المنفكين»

سميت «سورة المنفكين»، ودونت في بعض المصاحف نسخ سنة ٧٨٥هـ[7]، كما عنون لها الثعلبي في «الكشف والبيان»[8]، وذكرها الشربيني[9]، وشهاب الدين[10]، والألوسي[11]، والقاسمي[12]، وأوردها الفيروزآبادي في «البصائر»[13]، معللا تسميتها بذلك لقوله تعالى: {وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّين} [البينة : ١]، وسماها السخاوي[14]، ونقل عنه السيوطي[15]، بلفظ: «سورة الانفكاك».

وقد نقلها السيوطي[16] عن السخاوي باسم: «القيامة»، وكذلك الألوسي[17] ذكرها باسم «القيامة». ولعله تصحيف من لفظ«القيّمة»، لأن لفظ: «القيامة»، لم تذكر في السورة، وليست له علاقة وطيدة بمضمون السورة، ومن جهة أخرى توجد سورة أخرى باسم «القيامة»، -والله أعلم-.

٤- «سورة أهل الكتاب»

ذكر في «الإتقان»[18]: أنها سميت في مصحف أبيّ : «سورة أهل الكتاب»، أي: لقوله تعالى: {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ} [البينة : ١].

وذكر الألوسي أنها تسمى: «سورة البلد»[19]، ولم ينسبه لقائل، ولم يعلل تسميتها بذلك، وهي تسمية غريبة، لا علاقة لها بمضمون السورة، ولم اجد أثرا يعززها.

---

(١) انظر مثلا: غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني: ٤٢١، وتفسير المظهري: ١٣٦/١٠، وفتح القدير: ٤٠٢/٥.
(٢) انظر مثلا: معاني القرآن للزجاج: ٣٤٩/٥، .
(٣) انظر: روح المعاني: ٤٢٣/١٥.
(٤) انظر: محاسن التأويل: ٥٣٠/٩.
(٥) انظر: تاج القراء: ٣٨/١.
(٦) انظر: الإتقان: ١٧٦/١.
(٧) والمصحف مخطوط بجامعة الإمام بالرياض رقم(٢٣٥٤).
(٨) انظر: الكشف والبيان: ٢٥٩/١٠.
(٩) انظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: ٥٦٩/٤.
(١٠) انظر حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسِيرِ البَيضَاوِي، المُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي: ٢٨٤/٧.
(١١) انظر: روح المعاني: ٤٢٣/١٥.
(١٢) انظر: محاسن التأويل: ٥٣٠/٩.
(١٣) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣٣/١.
(١٤) انظر: جمال القراء: ٣٨/١.
(١٥) انظر: الإتقان: ١٩٦/١
(١٦) انظر: الإتقان: ١٩٦/١
(١٧) انظر: روح المعاني: ٤٢٣/١٥.
(١٨) انظر: الإتقان: ١٩٦/١
(١٩) انظر: روح المعاني: ٤٢٣/١٥.

وهذه الأسماء :«القيمة، البرية، المنفكين، أهل الكتاب»، هي من اجتهاد المفسرين، سميت بها من باب تسمية السورة بلفظ ورد فيها، أو تحدث عنه، ولم يرد إلينا رواية عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- تثبت هذه الأسماء.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

اختلف أهل العلم في موضع نزول هذه السورة، على قولين:

أحدهما: أنها مكّيّة، قالته عائشة[١]، وأبو صالح عن ابن عباس[٢]، واختاره يحيى بن سلام[٣].

عن عائشة قالت: نزلت سورة {لم يكن} بمكة" [٤].

الثاني: أنها مدنيّة. قاله ابن الزبير وعطاء بن يسار[٥]. والجمهور[٦].

عن ابن عباس قال: نزلت سورة {لم يكن} بالمدينة" [٧].

قال ابن عطية:" هي مكية في قول جمهور المفسرين، وقال ابن الزبير وعطاء بن يسار إنها مدنية والأول أشهر"[٨].

قال ابن عاشور:" أي وأبي من أهل المدينة. وجزم البغوي وابن كثير بأنها مدنية، وهو الأظهر لكثرة ما فيها من تخطئة أهل الكتاب ولحديث أبي حبة البدري، وقد عدها جابر بن زيد في عداد السور المدنية"[٩].

قال ابن عطية: إن النبي -صلى الله عليه وسلم- إنما دفع إلى مناقضة أهل الكتاب بالمدينة

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ووجه مناسبتها لما قبلها- أن قوله: {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ} [البينة : ١]، كالعلة لإنزال القرآن، كأنه قيل: إنا أنزلناه لأنه لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى يأتيهم رسول يتلو صحفا مطهرة[١٠].

قال أبو حيان:" مناسبتها لما قبلها ظاهر. لما قال: اقرأ باسم ربك، فكأنه قال: اقرأ ما أنزلناه عليك من كلامنا"[١١].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

من أبرز مقاصد السورة:

١- توبيخ المشركين وأهل الكتاب على تكذيبهم بالقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم، والتعجيب من تناقض حالهم إذ هم ينتظرون أن تأتيهم البينة فلما أتتهم البينة كفروا بها.

٢- تكذيب المشركين وأهل الكتاب في ادعائهم أن الله أوجب عليهم التمسك بالأديان التي هم عليها، ووعيدهم بعذاب الآخرة، التسجيل عليهم بأنهم شر البرية.

---

(١) انظر: الدر المنثور: ٥٨٥/٨ وعزاه إلى ابن مردويه.
(٢) انظر: زاد المسير: ٤٧٥/٤.
(٣) انظر: زاد المسير: ٤٧٥/٤.
(٤) انظر: الدر المنثور: ٥٨٥/٨ وعزاه إلى ابن مردويه.
(٥) المحرر الوجيز: ٥٠٧/٥.
(٦) انظر: المحرر الوجيز: ٥٠٧/٥، وزاد المسير: ٤٧٥/٤، وتفسير القرطبي: ٢٠/
(٧) انظر: الدر المنثور: ٥٨٥/٨ وعزاه إلى ابن مردويه.
(٨) المحرر الوجيز: ٥٠٧/٥.
(٩) التحرير والتنوير: ٤٦٨/٣٠.
(١٠) انظر: تفسير المراغي: ٢١١/٣٠.
(١١) البحر المحيط في التفسير: ٥١٣/١٠.

٣- الثناء على الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ووعدهم بالنعيم الأبدي ورضى الله عنهم وإعطائه إياهم ما يرضيهم.
٤- التنويه بالقرآن وفضله على غيره باشتماله على ما في الكتب الإلهية التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم من قبل وما فيه من فضل وزيادة.

قال الفيروزآبادي :" معظم مقصود السورة: بيان تمرد أهل الكتاب، والخبر من صحة أحكام القرآن، وذكر وظيفة الخلق فى خدمة الرحمن، والإشادة بخير البرية من الإنسان، وجزاء كل أحد منهم بحسب الطاعة والعصيان، وبيان أن موعود الخائفين من الله الرضا والرضوان، فى قوله: {ذلك لمن خشي ربه}"[١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة محكمة[٢].

- **فضائل السورة:**

- عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بن كعب: " إن الله أمرني أن أقرأ عليك: {لم يكن الذين كفروا} [البينة: ١] " قال: وسماني لك؟ قال: " نعم " فبكى"[٣].[صحيح]
- عن اسماعيل بن أبي حكيم المزني أحد بني فضيل: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله ليسمع قراءة {لم يكن} فيقول: أبشر عبدي فوعزتي وجلالي لأمكنن لك في الجنة حتى ترضى"[٤].
- عن اسماعيل بن أبي حكيم عن مطر المزني أو المدني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الله ليسمع قراءة {لم يكن الذين كفروا}، فيقول: أبشر عبدي فوعزتي وجلالي لا أنساك على حال من أحوال الدنيا والآخرة ولأمكنن لك في الجنة حتى ترضى"[٥].
- عن أبي حبة البدري قال:" لما نزلت {لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب} إلى آخرها قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله إن ربك يأمرك أن تقرئها أبيّا فقال النبي -صلى الله عليه

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣٣/١.
(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣٣/١.
(٣) صحيح، أخرجه أحمد في المسند(١٢٣٢٠):ص٣٢٨/١٩، وأخرجه أبو عوانة في فضائل القران كما في "الإتحاف" ١٨٣/٢ عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه، بهذا الإسناد، وأخرجه البخاري (٣٨٠٩) و (٤٩٥٩) ، ومسلم (٧٩٩) (٢٤٦) وص١٩١٥ (١٢٢) ، والترمذي (٣٧٩٢) ، وأبو يعلى (٢٩٩٥) ، والبغوي في "تفسيره" ٥١٤/٤ من طرق عن محمد بن جعفر، به، وأخرجه أحمد في المسند عن محمد بن جعفر وحجاج بن محمد برقم (١٣٨٨٤) .
وأخرجه مسلم (٧٩٩) (٢٤٦) وص١٩١٥ (١٢٢) ، والنسائي في "الكبرى" (٨٢٣٨) من طريق خالد بن الحارث، وأبو عوانة في المناقب، والبيهقي في "شعب الايمان" (٢٢٠٣) من طريق بكر بن بكار، كلاهما عن شعبة، به.
وأخرجه إبراهيم بن طهمان في "مشيخته" (٥٩) عن قتادة، به.
وأخرجه أحمد في المسند من طريق قتادة بالأرقام (١٢٤٠٣) و (١٢٩١٩) و (١٣٢٨٦) و (١٣٤٤٢) و (١٤٠٣٢). وفي الباب عن أبي حبة البدري: ٤٨٩/٣، وعن أبيّ بن كعب نفسه١٣٢/٥.
قوله: "أن أقرا عليك" قال السندي: أي: كقراءة الشيخ على تلميذه لا كقراءة التلميذ على شيخه.
"وسماني؟ " قاله طلبا للتحقيق، لاحتمال أن الله يأمره بالقراءة على واحد من أمته من غير تعيين.
"فبكى" فرحا بذلك، وفيه تفضيل لأبي في القراءة على غيره، ولذلك جاء: «أقرؤكم أبيّ».
(٤) الدر المنثور: ٥٨٥/٨، وعزاه لأبي نعيم في "المعرفة".
(٥) الدر المنثور: ٥٨٥/٨، وعزاه لأبي نعيم في "المعرفة".

وسلم- لأبيّ: إن جبريل أمرني أن أقرئك هذه السورة. قال أبيّ: وقد ذكرت ثم يا رسول الله قال: نعم فبكى"(١).

- عن أبيّ ابن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة لَمْ يَكُنِ كان يوم القيامة مع خير البرية مسافرا أو مقيما» (٢).[موضوع]

---

(١) الدر المنثور: ٨/٥٨٥-٥٨٦، وعزاه إلى أحمد وابن قانع في معجم الصحابة والطبراني وابن مردويه.
(٢) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٠/٢٦٠. وانظر: مجمع البيان: ١٠/٤١١.[موضوع]

سورة «الزلزلة»

«سورة الزلزلة»: هي السورة التاسعة والتسعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة النساء»، وقبل «سورة الحديد». آياتها ثمان في عد الكوفة، وتسع في عد الباقين. وكلماتها خمس وثلاثون. وحروفها مائة وتسع عشرة. المختلف فيها آية: {أَشْتَاتًا } [الزلزلة : ٦]، فواصل آياتها «هما»، على الميم آية: {أَعْمَالَهُمْ} [الزلزلة : ٦][١].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:-أسماؤها التوقيفية:**

١-«سورة الزلزلة»:

اشتهرت تسميتها بسورة«الزلزلة»، وهي تسمية بالمعنى لا بحكاية بعض كلماتها، وبذلك كتبت في كثير من المصاحف وكتب التفسير[٢]، ووجه تسميتها لافتتاحها بالإخبار عن حدوث الزلزال قبل يوم القيامة، قال تعالى: {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا} [الزلزلة : ١]. وقال تعالى في سورة«الحج»: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ} [الحج : ١].

١-«سورة إذا زلزلت»:

سميت هذه السورة في كلام الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين-[٣] سورة: «إذا زلزلت»، وكذلك عنون لها الطبري في تفسيره[٤]، وترجم لها البخاري[٥]، والترمذي[٦] في كتابيهما.

ووجه تسميتها سورة: «إذا زلزلت»، لافتتاحها بهذه الجملة في قوله تعالى: {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا} [الزلزلة : ١].

- **ثانيا:-أسماؤها الاجتهادية:**

١-«سورة الزلزال»

سميت في بعض المصاحف[٧]، وبعض كتب التفسير[٨] : «سورة الزلزال»، وهي تسمية بالمعنى لبعض ألفاظها، ولم يرد خبر صحيح عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- يثبت هذه التسمية.

٢-«سورة زلزلت»

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣٥/١.

(٢) انظر مثلا: بحر العلوم للسمرقندي: ٦٠٦/٣، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٥٣/٥، وتفسير ابن فورك: ٢٥٧/٣، والكشف والبيان: ٢٦٣/١٠، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٣٨٩/١٢، والنكت والعيون: ٣١٨/٦، والوسيط للواحدي: ٥٤١/٤، وتفسير البغوي: ٤٩٨/٨، والكشاف: ٧٨٣/٤، والمحرر الوجيز: ٥١٠/٥، وغيرها.

(٣) انظر: فضائل السورة.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٥/٢٤.

(٥) انظر: صحيح البخاري: ١٧٥/٦.

(٦) انظر: سنن الترمذي: ٤٤٦/٥.

(٧) من تلك المصاحف:

- مصحف نسخ سنة(٩٠٥هـ)، وهو نسخة أصلية بجامعة الإمام رقم(٣٣٨٨).
- مصحف نسخ سنة(١٠٩٨هـ)، وهو مخطوط بجامعة الإمام رقم(٨٠٤٣).
- مصحف نسخ سنة(١٢٥٧هـ)، وهو مخطوط بجامعة الإمام رقم(٦٨٩٢).
- مصحف نسخ سنة(١٢٧٨هـ)، وهو مخطوط بجامعة الإمام رقم(٧٢٧١).
- مصحف نسخ في القرن الثالث عشر الهجري، وهو مخطوط بجامعة الملك سعود رقم(٣٨٢).
- ومصاحف مخطوطة بجامعة الإمام رقم(٥٩٧٠)، (٦٦٨).

(٨) انظر مثلا: تفسير الطبرسي: ٢٠٣/٣٠، وتفسير الإيجي: ٥١٩/٤، والفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية: ٥٢٤/٢، وتفسير المظهري: ٣٢١/١٠، ووذكرها السخاوي في "جمال القراء": ٣٨/١.

سميت في مصحف بخط كوفي قديم من مصاحف القيروان «زلزلت»-كما قال ابن عاشور-[١]، وقد سماها السخاوي[٢] بهذا الاسم دون الاستناد على دليل.

مكية السورة ومدنيتها:

اختلف في موضع نزول هذه السورة، على قولين:

أحدهما: أنها مكّيّة. قاله ابن عباس[٣]، وابن مسعود[٤]، ومجاهد[٥]، وعطاء[٦]، وجابر[٧].

الثاني: أنها مدنيّة. قاله ابن عباس[٨]، وقتادة[٩]، ومقاتل[١٠]، وحكاه ابن الجوزي عن الجمهور[١١].

عن ابن عباس، قال: "نزلت سورة {إذا زلزلت} بالمدينة" [١٢].

عن قتادة قال:" نزلت بالمدينة {إذا زلزلت}" [١٣].

قال ابن عاشور:" والأصح أنها مكية واقتصر عليه البغوي وابن كثير ومحمد بن الحسن النيسابوري في تفاسيرهم"[١٤].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ووجه مناسبتها لما قبلها- أنه لما ذكر فيما سلف جزاء المؤمنين والكافرين، بين هنا وقت ذلك الجزاء وعلاماته[١٥].

قال أبو حيان:" مناسبتها لما قبلها ظاهر. لما قال: اقرأ باسم ربك، فكأنه قال: اقرأ ما أنزلناه عليك من كلامنا"[١٦].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

من أبرز مقاصد السورة:

١- إثبات البعث وذكر أشراطه وما يعتري الناس عند حدوثها من الفزع.

٢- حضور الناس للحشر وجزائهم على أعمالهم من خير أو شر وهو تحريض على فعل الخير واجتناب الشر.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير: ٤٨٩/٣٠.

(٢) انظر: جمال القراء: ٣٨/١.

(٣) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٥٢١/١٠.

(٤) انظر: زاد المسير: ٤٧٧/٤.

(٥) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٥٢١/١٠.

(٦) انظر: زاد المسير: ٤٧٧/٤، والبحر المحيط في التفسير: ٥٢١/١٠.

(٧) انظر: زاد المسير: ٤٧٧/٤.

قال ابن عاشور:٤٨٩/٣٠:" وذكر القرطبي عن جابر أنها مكية ولعله يعني: جابر بن عبد الله الصحابي لأن المعروف عن جابر بن زيد أنها مدنية فإنها معدودة في نزول السور المدنية فيما روي عن جابر بن زيد".

(٨) انظر: الدر المنثور: ٥٩٠/٨، وزاد المسير: ٤٧٧/٤.

(٩) انظر: الدر المنثور: ٥٩٠/٨، والمحرر الوجيز: ٥١٠/٥، وزاد المسير: ٤٧٧/٤، والبحر المحيط في التفسير: ٥٢١/١٠.

(١٠) انظر: المحرر الوجيز: ٥١٠/٥، وزاد المسير: ٤٧٧/٤، والبحر المحيط في التفسير: ٥٢١/١٠.

(١١) انظر: زاد المسير: ٤٧٧/٤.

(١٢) انظر: الدر المنثور: ٥٩٠/٨ وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٣) انظر: الدر المنثور: ٥٩٠/٨ وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٤) التحرير والتنوير: ٤٨٩/٣٠.

(١٥) انظر: تفسير المراغي: ٢١٧/٣٠.

(١٦) البحر المحيط في التفسير: ٥١٣/١٠.

قال الفيروزآبادي :" معظم مقصود السورة: بيان أحوال القيامة وأهوالها، وذكر جزاء الطاعة، وعقوبة المعصية، وذكر وزن الأعمال في ميزان العدل في قوله: {فَمَنْ يَعْمَلْ} [الزلزلة : ٧]، إلى آخره "[١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة محكمة كلها[٢].

- **فضائل السورة:**

- عن عبد الله بن عمرو، قال: أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: " أقرئني يا رسول الله، قال له: " اقرأ ثلاثا من ذات «الر»"، فقال الرجل: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني، قال: " فاقرأ من ذات «حم»" فقال: مثل مقالته الأولى، فقال: " اقرأ ثلاثا من «المسبحات» "، فقال: مثل مقالته، فقال الرجل: ولكن أقرئني يا رسول الله سورة جامعة فأقرأه: {إذا زلزلت الأرض}، حتى إذا فرغ منها، قال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها أبدا، ثم أدبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أفلح الرويجل، أفلح الرويجل "، ثم قال: علي به، فجاءه، فقال له: " أمرت بيوم الأضحى، جعله الله عيدا لهذه الأمة "، فقال الرجل: أرأيت إن لم أجد إلا منيحة ابني، أفأضحي بها؟ قال: " لا، ولكن تأخذ من شعرك، وتقلم أظفارك، وتقص شاربك، وتحلق عانتك، فذلك تمام أضحيتك عند الله "[٣].[حسن]

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣٥/١.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣٥/١.

(٣) المسند(٦٥٧٥):ص١٣٩/١١. إسناده حسن، عيسى بن هلال الصدفي: روى عنه جمع، وذكره ابن حبان في "الثقات" ٢١٣/٥، وذكره الفسوي في "تاريخه" ٥١٥/٢ في ثقات التابعين من أهل مصر، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين، غير عياش بن عباس -وهو القتباني- فمن رجال مسلم. أبو عبد الرحمن: هو عبد الله بن يزيد المقرىء، وسعيد: هو ابن أبي أيوب.
ومن طريق أحمد أخرجه بتمامه المزي في "تهذيب الكمال" ٥٤/٢٣-٥٥ في ترجمة عيسى بن هلال الصدفي.
وأخرجه بتمامه أيضا ابن عبد الحكم في "فتوح مصر" ص ٢٥٨-٢٥٩ من طريق عبد الله بن يزيد، بهذا الإسناد.
وأخرجه غيره مقطعا في موضعين: فأخرج القسم الأول منه أبو داود (١٣٩٩) ، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" (٧١٦) -ومن طريقه ابن السني في "عمل اليوم والليلة" (٦٩٠) -، والحاكم ٥٣٢/٢، والبيهقي في "الشعب" (٢٥١٢) من طريق عبد الله بن يزيد، به، وصححه الحاكم على شرط الشيخين، فتعقبه الذهبي بقوله: بل صحيح، أي إنه ليس على شرطهما. وهو كما قال، فإن عياش بن عباس روى له مسلم فقط، وعيسى بن هلال لم يرو له واحد منهما.
وأخرجه ابن حبان (٧٧٣) مطولا من طريق سعيد بن أبي هلال، وأبو عبيد في "فضائل القرآن" ٤٤/١ من طريق ابن لهيعة، كلاهما عن عياش بن عباس، به والقسم الثاني أخرجه أبو داود (٢٧٨٩) من طريق عبد الله بن يزيد، شيخ أحمد، به.
وأخرجه النسائي في "المجتبى" ٢١٢/٧، ٢١٣، وابن حبان (٥٩١٤) ، والدارقطني ٢٨٢/٤، والحكم ٢٢٣/٤، والبيهقي في "السنن" ٢٦٣/٩-٢٦٤، من طريق سعيد بن أبي أيوب، وعمرو بن الحارث، وعبد الله بن عياش بن عباس، ثلاثتهم عن عياش بن عباس، به. لكن سقط من إسناد مطبوع "المستدرك": عياش بن عباس.
قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
وقوله: "من ذات الر"، أي: من السور التي تبدأ بهذه الأحرف الثلاثة التي تقرأ مقطعة: ألف، لام، را. والذي في القرآن منها خمس سور: يونس، وهود، ويوسف، وإبراهيم، والحجر.
وقوله: "من ذات حم"، أي: من السور التي تبدأ بهذين الحرفين: حا، ميم، وهي في القرآن سبع سور: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.
وقوله: "من المسبحات"، أي: السور التي أولها سبح، ويسبح، وسبح، وهي: الحديد، والحشر، والصف، والجمعة، والتغابن، والأعلى.
وقوله: "أمرت بيوم الأضحى"، أي: بالتضحية في يوم الأضحى.
وقوله: "منيحة ابني"، المنيحة: هي شاة اللبن، تعطى للفقير ليحلب ويشرب لبنها، ثم يردها.

- عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من أصحابه: "هل تزوجت يا فلان؟ قال: لا والله يا رسول الله، ولا عندي ما أتزوج به، قال: أليس معك {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}؟ قال: بلى، قال: ثلث القرآن، قال: أليس معك {إذا جاء نصر الله والفتح}؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن قال: أليس معك: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن قال: أليس معك: {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ}؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن، قال: تزوج تزوج"[١].
- عن معاذ بن عبد الله الجهني، أن رجلا، من جهينة أخبره، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم «يقرأ في الصبح: {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ}، في الركعتين كلتيهما»، فلا أدري أنسي رسول الله صلى الله عليه وسلم أم قرأ ذلك عمدا"[٢].[حسن]
- عن عبد الله بن عمرو، قال: نزلت: {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا}، وأبو بكر رضي الله عنه قاعد، فبكى أبو بكر رضي الله عنه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما يبكيك يا أبا بكر؟» ، قال: أبكتني هذه السورة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو أنكم لا تخطئون ولا تذنبون لخلق الله من بعدكم أمة يذنبون ويخطئون فيغفر لهم»[٣].
- عن سعيد بن المسيب:" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بأصحابه الفجر فقرأ بهم في الركعة الأولى: {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ}، ثم أعادها في الثانية"[٤].
- عن أبي امامة:" أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يصلي ركعتين بعد الوتر وهو جالس يقرأ فيهما: {إِذَا زُلْزِلَتِ}، و{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}"[٥].
- عن أنس:" أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يصلي بعد الوتر ركعتين وهو جالس يقرأ في الركعة الأولى بأم الكتاب و{إِذَا زُلْزِلَتِ}، وفي الثانية: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}"[٦].
- عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ :{إذا زُلْزِلَتِ}، أربع مرّات كان كمن قرأ القرآن كلّه» [٧].
- عن أبي هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من قرأ في ليلة: {إِذَا زُلْزِلَتِ}، كان له عدل نصف القرآن"[٨].
- عن أنس بن مالك يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " {قُلْ يا أَيُّهَا الكافِرُونَ} ربع القرآن، و{إذا زُلْزِلَتِ الأرض}: ربع القرآن، وإذا {إِذَا جَاءَ نَصْرُ الله}: ربع القرآن"[٩].

وقد وقع عند أبي داود والنسائي وابن حبان: منيحة أنثى، ولعل ما في "المسند" أشبه، لأن المنيحة لا تكون إلا أنثى، ورواية ابن عبد الحكم: شاة أهلي، ورواية الدارقطني: منيحة أبي، أو شاة أبي وأهلي ومنيحتهم.
والنبي صلى الله عليه وسلم إنما منعه من ذبحها، لأنه لم يكن عنده شيء سواها ينتفع بها.

(١) سنن الترمذي(٢٨٩٥):ص١٦/٥. وقال :"هذا حديث حسن".
(٢) سنن أبي داود(٨١٦):ص٢١٥/١.
(٣) المعجم الكبير للطبراني(٨٧):ص٣٨/١٣، وشعب الإيمان للبيهقي(٦٧٠١):٣١٢/٩، وانظر: الكنى والأسماء(٤٧):١٧/١.
(٤) الدر المنثور: ٥٩١/٨.
(٥) الدر المنثور: ٥٩١/٨. وعزاه إلى أحمد ومحمد بن نصر والطبراني والبيهقي في سننه.
(٦) الدر المنثور: ٥٩١/٨. وعزاه إلى البيهقي.
(٧) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٦٣/١٠.
(٨) الدر المنثور: ٥٩١/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٩) المسند(١٢٤٨٨):ص٤٧٢/١٩، إسناده ضعيف لضعف سلمة بن وردان. عبد الله بن الوليد: هو العدني، وسفيان: هو الثوري.

- عن ابن عباس قال: قال رسول الله -عليه السلام-: «{إِذا زُلْزِلَتِ} تعدل نصف القرآن، و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} تعدل ثلث القرآن و{قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ}، تعدل ربع القرآن»[1].
- عن عاصم قال: كان يقال: {قل هو الله أحد}: ثلث القرآن، و{إذا زلزلت الأرض}: نصف القرآن، و{قل يا أيها الكافرون}: ربع القرآن"[2].
- عن الشعبي قال: "من قرأ: {إِذَا زُلْزِلَتِ}، فإنها تعدل سدس القرآن"[3].

وأخرجه البيهقي في "الشعب" (٢٥٣٠) من طريق أبي حذيفة النهدي، والخطيب في "تاريخ بغداد" ٣٨٠/١١ من طريق أبي هاشم عبد الملك بن عبد الرحمن، كلاهما عن سفيان الثوري، بهذا الإسناد.

وأخرجه الترمذي (٢٨٩٣) ، والعقيلي في "الضعفاء" ٢٤٣/١، والبيهقي في "الشعب" (٢٥١٦) من طريق الحسن بن سلم بن صالح العجلي، عن ثابت البناني، عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ (إذا زلزلت) عدلت له بنصف القرآن، ومن قرأ (قل يا أيها الكافرون) عدلت له بربع القرآن، ومن قرأ (قل هو الله أحد) عدلت له بثلث القران". والحسن بن سلم مجهول.

وجاء مطولا في مسند أحمد ضمن قصة برقم (١٣٣٠٩) عن عبد الله بن الحارث عن سلمة بن وردان، وزيد فيه (قل هو الله أحد) وآية الكرسي.

وله شاهد من حديث ابن عباس عند أبي عبيد في "فضائل القرآن" ص٢٦٢-٢٦٣ و٢٦٥، والترمذي (٢٨٩٤) ، وابن الضريس في "فضائل القرآن" (٢٩٩) ، والحاكم ٥٦٦/١، والبيهقي في "الشعب" (٢٥١٤) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " (إذا زلزلت الأرض زلزالها) تعدل نصف القرآن، و (قل يا أيها الكافرون) تعدل ربع القرآن، و (قل هو الله أحد) تعدل ثلث القرآن" وقال الترمذي: هذا حديث غريب، ولا نعرفه إلا من حديث يمان بن المغيرة. قلنا: ويمان ضعيف.

(١) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٦٣/١٠، وانظر: كنز العمال: ١/ ٥٨٤.

(٢) الدر المنثور: ٥٩١/٨. وعزاه إلى ابن الضريس.

(٣) الدر المنثور: ٥٩١/٨. وعزاه إلى الخطيب في تاريخه.

سورة «العاديات»

«سورة العاديات»: هي السورة المائة بحسب الرسم القرآني، وهي السورة الأولى من المجموعة الرابعة عشرة من قسم المفصل، نزلت بعد «سورة العصر»، وقبل «سورة الكوثر»، آياتها إحدى عشرة. وكلماتها أربعون. وحروفها مائة وستون. فواصل آياتها على «دار» [١].

- **أسماء السورة:**
- **اسمها التوقيفي :«سورة العاديات»:**

سميت في أكثر المصاحف وكتب التفسير[٢]: «سورة العاديات» بدون واو، فهي تسمية لما ذكر فيها دون حكاية لفظه، قال تعالى: {وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا} [العاديات : ١].

وسميت في بعض كتب التفسير[٣] «سورة والعاديات» بإثبات الواو.

مكية السورة ومدنيتها:

اختلف في موضع نزول هذه السورة، على قولين:

أحدهما: أنها مكية، قاله ابن مسعود[٤]، وعطاء[٥]، وعكرمة[٦]، وجابر[٧].

عن ابن عباس، قال: "نزلت والعاديات بمكة"[٨].

الثاني: مدنيّة، قاله ابن عباس[٩]، وأنس[١٠]، ومالك[١١]، وقتادة[١٢]، ومقاتل[١٣].

قال ابن عطية:" هي مكية في قول جماعة من أهل العلم، وقال المهدوي عن أنس بن مالك: وهي مدنية"[١٤].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ووجه المناسبة بينها وبين ما قبلها- أنه لما ذكر هناك الجزاء على الخير والشر أتبعه تعنيف الذين يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة، ولا يستعدون لحياتهم الثانية، بتعويد أنفسهم فعل الخير[١٥].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

من أبرز مقاصد السورة:

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣٧/١.

(٢) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٥٥٥/٢٤، وبحر العلوم للسمرقندي: ٦٠٨/٣، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٥٤/٥، والكشف والبيان: ٢٦٨/١٠، والنكت والعيون: ٣٢٣/٦، والوسيط للواحدي: ٥٤٤/٤، وتفسير السمعاني: ٢٧٠/٦، وتفسير البغوي: ٥٠٥/٨، والكشاف: ٧٨٦/٤، والمحرر الوجيز: ٥١٣/٥، وغيرها.

(٣) انظر مثلا : تأويلات أهل السنة: ٦٠٠/١٠، وتفسير ابن فورك: ٢٦٠/٣، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٣٩٩/١٢، وتفسير القرطبي: ١٥٣/٢٠، وغيرها.

(٤) انظر: النكت والعيون: ٣٢٣/٦، وزاد المسير: ٤٨٠/٤، وتفسير القرطبي: ١٥٣/٢٠.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٣٢٣/٦، وزاد المسير: ٤٨٠/٤، وتفسير القرطبي: ١٥٣/٢٠.

(٦) انظر: النكت والعيون: ٣٢٣/٦، وزاد المسير: ٤٨٠/٤، وتفسير القرطبي: ١٥٣/٢٠.

(٧) انظر: النكت والعيون: ٣٢٣/٦، وزاد المسير: ٤٨٠/٤، وتفسير القرطبي: ١٥٣/٢٠.

(٨) الدر المنثور: ٥٩٩/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٣٢٣/٦، وزاد المسير: ٤٨٠/٤، وتفسير القرطبي: ١٥٣/٢٠.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ٣٢٣/٦، وتفسير القرطبي: ١٥٣/٢٠.

(١١) انظر: النكت والعيون: ٣٢٣/٦، وتفسير القرطبي: ١٥٣/٢٠.

(١٢) انظر: النكت والعيون: ٣٢٣/٦، وزاد المسير: ٤٨٠/٤، وتفسير القرطبي: ١٥٣/٢٠.

(١٣) انظر: النكت والعيون: ٣٢٣/٦، وزاد المسير: ٤٨٠/٤.

(١٤) المحرر الوجيز: ٥١٢/٥.

(١٥) انظر: تفسير المراغي: ٢٢١/٣٠.

١- ذم خصال تفضي بأصحابها إلى الخسران في الآخرة، وهي خصال غالية على المشركين والمنافقين، ويراد تحذير المسلمين منها.
٢- وعظ الناس بأن وراءهم حسابا على أعمالهم بعد الموت ليتذكره المؤمن ويهدد به الجاحد.
٣- أكدت السورة على المعاني السابقة بأن افتتح بالقسم، وأدمج في القسم التنويه بخيل الغزاة أو رواحل الحجيج.

قال الفيروزآبادي :" معظم مقصود السورة: بيان شرف الغزاة فى سبيل الرحمن، وذكر كفران الإنسان، والخبر عن اطلاع الملك الديان، على الإسرار والإعلان، وذم محبة ما هو فان، والخبر من إحياء الأموات بالأجساد والأبدان، وأنه - تعالى - خبير بما للخلق من الطاعة والعصيان"(١).

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة محكمة(٢).

- **فضائل السورة:**

- أخرج أبو عبيد في فضائله عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "{إذا زلزلت}: تعدل بنصف القرآن، {والعاديات}: تعدل بنصف القرآن"(٣).
- أخرج محمد بن نصر من طريق عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {إذا زلزلت}: تعدل نصف القرآن {والعاديات} تعدل نصف القرآن، و{قل هو الله أحد}: تعدل ثلث القرآن، و{قل يا أيها الكافرون}: تعدل ربع القرآن"(٤).
- عن أبيّ بن كعب، قال: قال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: «من قرأ سورة العاديات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا»(٥). [موضوع]

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣٧/١.
(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣٧/١.
(٣) الدر المنثور: ٥٩٩/٨.
(٤) الدر المنثور: ٥٩٩/٨.
(٥) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٦٨/١٠. [موضوع]

سورة «القارعة»

«سورة القارعة»: هي السورة الحادية بعد المائة بحسب الرسم القرآني، بحسب الرسم القرآني وهي السورة الثانية من المجموعة الرابعة عشرة من قسم المفصل، نزلت بعد «سورة قريش» وقبل «سورة القيامة»، آياتها إحدى عشرة في عد الكوفة، وعشرة في الحجاز، وثمان فى البصرة، والشام. وكلماتها ست وثلاثون. وحروفها مائة وخمسون فواصل آياتها «شثه»[1].

- **أسماء السورة:**
- **اسمها التوقيفي :«سورة القارعة»:**

اتفقت المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة على تسمية هذه السورة: «سورة القارعة»، وذلك لمفتتحها بقوله تعالى: {الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣)} [القارعة : ١ - ٣].

ولا يعرف لهذه السورة اسم آخر غيره، ولم يرو شيء في تسميتها من كلام الصحابة والتابعين-رضوان الله عليهم أجمعين-.

مكية السورة ومدنيتها:

عن ابن عباس، قال: " نزلت سورة «القارعة»، بمكة"[2].

قال ابن عطية:" هي مكية بلا خلاف"[3].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة بإجماعهم"[4].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها- أن آخر السابقة كان في وصف يوم القيامة، وهذه السورة بأسرها فى وصف ذلك اليوم، وما يكون فيه من الأهوال[5].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

من أبرز مقاصد السورة:

١- إثبات وقوع البعث وما يسبق ذلك من الأهوال.
٢- إثبات الجزاء على الأعمال.
٣- أن أهل الأعمال الصالحة المعتبرة عند الله في نعيم، وأهل الأعمال السيئة التي لا وزن لها عند الله في قعر الجحيم.

قال الفيروزآبادي :" معظم مقصود السورة: بيان هيبة العرصات، وتأثيرها فى الجمادات والحيوانات، وذكر وزن الحسنات والسيئات، وشرح عيش أهل الدرجات وبيان حال أصحاب الدركات في قوله: {نَارٌ حَامِيَةٌ} [القارعة : ١١]"[6].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة ليس فيها ناسخ ولا منسوخ [7].

- **فضائل السورة:**

– عن أبيّ بن كعب، قال: قال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: «من قرأ القارعة ثقل الله سبحانه بها ميزانه يوم القيامة» [1]. [موضوع]

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣٩/١.
(٢) الدر المنثور: ٦٠٥/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٣) المحرر الوجيز: ٥١٦/٥.
(٤) زاد المسير: ٤٨٣/٤.
(٥) انظر: تفسير المراغي: ٢٢٤/٣٠.
(٦)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣٩/١.
(٧) انظر: الناسخ والمنسوخ لهبة الله: ٢٠٢.

- عن أبي سليمان الداراني؛ قال: "كان علي بن الفضيل لا يستطيع أن يقرأ «القارعة»"[٢]. وفي لفظ:" ولا تقرأ عليه"[٣].
- عن أنس بن مالك، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثة أيام، سأل عنه، فإن كان غائبا دعا له، وإن كان شاهدا زاره، وإن كان مريضا عاده، ففقد رجلا من الأنصار في اليوم الثالث، فسأل عنه فقيل: يا رسول الله، تركناه مثل الفرخ، لا يدخل في رأسه شيء إلا خرج من دبره. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه: «عودوا أخاكم». قال: فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نعوده، وفي القوم أبو بكر، وعمر، فلما دخلنا عليه إذا هو كما وصف لنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كيف تجدك؟». قال: لا يدخل في رأسي شيء إلا خرج من دبري، قال: «ومم ذاك؟». قال: يا رسول الله، مررت بك وأنت تصلي المغرب، فصليت معك وأنت تقرأ هذه السورة: {الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ} [القارعة: ٢]- إلى آخرها - {نَارٌ حَامِيَةٌ} [القارعة: ١١]، قال: فقلت: اللهم ما كان لي من ذنب أنت معذبي عليه في الآخرة، فعجل لي عقوبته في الدنيا، فنزل بي ما ترى. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بئس ما قلت، ألا سألت الله أن يؤتيك في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ويقيك عذاب النار؟». قال: فأمره النبي صلى الله عليه وسلم فدعا بذلك، ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم، قال: فقام كأنما نشط من عقال، قال: فلما خرجنا قال عمر: يا رسول الله، حضضتنا آنفا على عيادة المريض، فما لنا في ذلك؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن المرء المسلم إذا خرج من بيته يعود أخاه المسلم، خاض في الرحمة إلى حقويه، فإذا جلس عند المريض غمرته الرحمة وغمرت المريض الرحمة، وكان المريض في ظل عرشه، وكان العائد في ظل قدسه، ويقول الله لملائكته: انظروا كم احتسبوا عند المريض العواد " قال: " تقول: أي رب، فواقا - إن كانوا احتسبوا فواقا - فيقول الله لملائكته: اكتبوا لعبدي العائد عبادة ألف سنة، قيام ليله وصيام نهاره، وأخبروه أني لم أكتب عليه خطيئة واحدة " قال: " ويقول لملائكته: انظروا كم احتسبوا؟ " قال: " يقولون: ساعة - قال: إن كانوا احتسبوا ساعة - فيقول: اكتبوا له دهرا، والدهر عشرة آلاف سنة، إن مات قبل ذلك دخل الجنة، وإن عاش لم يكتب عليه خطيئة واحدة، وإن كان صباحا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وكان في خراف الجنة، وإن كان مساء صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح، وكان في خراف الجنة"»[٤].

---

(١) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٧٤/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ١٠/ ٤٢٦. [موضوع]
(٢) المجالسة وجواهر العلم، للدينوري(١٢٣٤):ص٦٧/٤.
(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: ٢٩٩/٨.
(٤) مسند أبي يعلى الموصلى(٣٤٢٩):ص١٥٠/٦. [حكم حسين سليم أسد] : إسناده ضعيف.

سورة «التكاثر»

«سورة التكاثر»: هي السورة الثانية بعد المائة بحسب الرسم القرآني، وهي السورة الثالثة والأخيرة من المجموعة الرابعة عشرة من قسم المفصل، نزلت بعد «سورة الكوثر» وقبل «سورة الماعون»[(١)]، وآياتها ثمان. وكلماتها ثمانية وعشرون. وحروفها مائة وعشرون. فواصل آياتها «نمر»[(٢)].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- أسماؤها التوقيفية:**

١-«سورة التكاثر»:

سميت في المصاحف وأكثر كتب التفسير[(٣)]، وبعض كتب السنة[(٤)]: «سورة التكاثر»، وذلك لمفتتحها بقوله تعالى: {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ} [التكاثر : ١].

٢-سورة «ألهاكم التكاثر»:

اشتهرت تسميتها بسورة: «ألهاكم التكاثر»، في بعض كتب التفسير[(٥)]، وقد ردت هذه التسمية في كلام رسول الله-صلى الله عليه وسلم- وفي كلام ابن عباس-رضي الله عنهما-[(٦)]، وكذلك ترجم لها الترمذي، في «سننه»[(٧)]، والحاكم في «المستدرك»[(٨)].

في حين ترجم لها البخاري في «صحيحه»[(٩)]، والطبري في «التفسير»[(١٠)] باسم سورة: «ألهاكم». دون تتمة الآية.

وهي تسمية بأول آية افتتحت بها السورة، قال تعالى: : {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ} [التكاثر : ١].

- **ثانيا:- اسمها الاجتهادي: سورة «المقبرة»**

وردت هذه التسمية عند الألوسي[(١١)]، مستندا بما رواه ابن أبي حاتم، عن سعيد بن أبي هلال -رضي الله عنه- قال: " كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمون {ألهاكم التكاثر}: [المقبرة][(١٢)]"[(١٣)].

ووجه تسميتها بسورة «المقبرة»، لورود لفظ: «المقابر»، في السورة، وهو جمع: «المقبرة»، قال تعالى: {حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ} [التكاثر : ٢].

فهو إذن اسم اجتهادي من الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين-. ولم يثبت عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

---

(١) بناء على أنها مكية.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٠/١.

(٣) انظر مثلا: بحر العلوم للسمرقندي: ٦١٣/٣، وتفسير ابن فورك: ٢٦٦/٣، والكشف والبيان: ٢٧٦/١٠، والنكت والعيون: ٣٣٠/٦، والوسيط للواحدي: ٥٤٨/٤، وتفسير السمعاني: ٢٧٥/٦، وتفسير البغوي: ٥١٥/٨، والكشاف: ٧٩١/٤، والمحرر الوجيز: ٥١٨/٥، وزاد المسير: ٤٨٥/٤، ومفاتيح الغيب: ٤٨٥/٤، وتفسير القرطبي: ١٦٨/٢٠، وغيرها.

(٤) انظر مثلا: السنن الكبرى للنسائي: ٣٤٣/١٠.

(٥) انظر مثلا: تأويلات أهل السنة: ٦٠٧/١٠، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٥٨/٥.

(٦) الدر المنثور: ٦٠٩/٨، وعزاه إلى ابن مردويه. كما سيأتي في مكان نزول السورة.

(٧) انظر: سنن الترمذي: ٤٤٧/٥.

(٨) انظر: المستدرك على الصحيحين: ٥٨٢/٢.

(٩) انظر: صحيح البخاري: ١٧٦/٦.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٧/٢٤.

(١١) انظر: روح المعاني: ٤٥١/١٥.

(١٢) في تفسير ابن أبي حاتم، والدر المنثور: «المغيرة» بدلا من «المقبرة»، وهو تصحيف. والصحيح «المقبرة»، كما في روح المعاني: ٤٥١/١٥، والتحرير والتنوير: ٥١٧/٣٠.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٥٢):ص٣٤٥٩/١٠، وانظر: الدر المنثور: ٦٠٩/٨.

عن ابن عباس، قال: " نزلت بمكة سورة {ألهاكم التكاثر}"[١].
قال ابن عطية:" هي مكية لا أعلم فيها خلافا"[٢].
قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة بإجماعهم"[٣].
قال أبو حيان:" هذه السورة مكية في قول جميع المفسرين. وقال البخاري: مدنية"[٤].
قال السيوطي:" الأشهر أنها مكية، ويدل لكونها مدنية - وهو المختار -:
ما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن بريدة: «أنها نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار تفاخروا»...الحديث[٥].
وأخرج البخاري عن أبي بن كعب قال: «كنا نرى هذا من القرآن - يعني «لو كان لابن آدم واد من ذهب»،- حتى نزلت: {ألهاكم التكاثر}»[٦][٧].
وأخرج الترمذي عن علي قال: «ما زلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت»[٨].
قال السيوطي:" وعذاب القبر لم يذكر إلا بالمدينة كما في الصحيح في قصة اليهودية"[٩].
قال ابن عاشور:" والذي يظهر من معاني السورة وغلظة وعيدها أنها مكية، وأن المخاطب بها فريق من المشركين، لأن ما ذكر فيها لا يليق بالمسلمين"[١٠].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها- أن في الأولى وصف القيامة وبعض أهوالها وجزاء الأخيار والأشرار، وأن في هذه ذكر الجحيم وهى الهاوية التي ذكرت في السورة السابقة، وذكر السؤال عما قدم المرء من الأعمال في الحياة الدنيا، وهذا بعض أحوال الآخرة [١١].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

من أبرز مقاصد السورة:
١- التوبيخ على اللهو عن النظر في دلائل القرآن ودعوة الإسلام بإيثار المال والتكاثر به والتفاخر بالأسلاف وعدم الإقلاع عن ذلك إلى أن يصيروا في القبور كما صار من كان قبلهم وعلى الوعيد على ذلك.
٢- الحثّ على التدبر فيما ينجيهم من الجحيم.
٣- تقرير البعث، وأن الإنسان مسؤول عن إهمال شكر المنعم العظيم.

---

(١) الدر المنثور: ٦٠٩/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٢) المحرر الوجيز: ٥١٨/٥.
(٣) زاد المسير: ٤٨٥/٤.
(٤) البحر المحيط في التفسير: ٥٣٥/١٠.
(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٥٣):ص٣٤٥٩/١٠.
(٦) صحيح البخاري(ألهاكم التكاثر):ص٩٣/٨. قال المحقق:" أي هذه السورة التي بمعنى الحديث فحين المقايسة بينهما أعلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ليس بقرآن. وقيل كان قرآنا فنسخ بنزول السورة اكتفاء بما هو في معناه".
(٧) قال ابن عاشور: "يريد المستدل بهذا أن أبيّا أنصاري، وأن ظاهر قوله: حتى نزلت: {ألهاكم التكاثر}، أنها نزلت بعد أن كانوا يعدون: «لو أن لابن آدم واديا من ذهب إلخ من القرآن» وليس في كلام أبيّ دليل ناهض إذ يجوز أن يريد بضمير «كنا» المسلمين، أي: كان من سبق منهم يعد ذلك من القرآن حتى نزلت سورة التكاثر وبين لهم النبيء صلى الله عليه وسلم أن ما كانوا يقولونه ليس بقرآن". [التحرير والتنوير: ٥١٧/٣٠]
(٨) وابن أبي حاتم(١٩٤٥٤):ص٣٤٥٩/١٠.
(٩) الإتقان: ٥٤/١-٥٥.
(١٠) المحرر الوجيز: ٥١٨/٣٠.
(١١) انظر: تفسير المراغي: ٢٢٨/٣٠.

قال الفيروزآبادي :" معظم مقصود السورة: ذم المقبلين على الدنيا، والمفتخرين بالمال، وبيان أن عاقبة الكل الموت والزوال، وأن نصيب الغافلين العقوبة والنكال، وأعد للمتمولين المذلة والسؤال، والحساب والوبال، في قوله: {لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ} [التكاثر : ٨]"[١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة محكمة[٢].

- **فضائل السورة:**

- عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية في كل يوم؟» قالوا: ومن يستطيع ذلك؟ قال: «أما يستطيع أحدكم أن يقرأ: {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}»[٣].
- عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: "أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي وهو يقرأ {ألهاكم التكاثر} حتى ختمها"[٤].
- عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: "قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إني قارئ عليكم سورة: {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}، فمن بكى فقد دخل الجنة. فقرأها، فمنا من بكى ومنا من لم يبك، فقال الذين لم يبكوا: قد جهدنا يا رسول الله أن نبكي فلم نقدر عليه، فقال: إني قارئها عليكم الثانية فمن بكى فله الجنة ومن لم يقدر أن يبكي فليتباك"[٥].[ضعيف]
- عن أبيّ بن كعب، قال: قال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: «من قرأ {أَلْهاكُمُ التَّكاثُرُ}، لم يحاسبه بالنعيم الذي أنعم عليه في دار الدنيا، وأعطي من الأجر كأنما قرأ ألف آية» [٦]. [موضوع]

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٠/١.
(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٠/١.
(٣) المستدرك على الصحيحين(٢٠٨١):ص٧٥٥/١، وقال: «رواة هذا الحديث كلهم ثقات وعقبة هذا غير مشهور». وأخرجه البيهقي في "شعب الإيمان"(٢٢٨٧):ص١٣٠/٤
(٤) الدر المنثور: ٦١٠/٨ وعزاه إلى عبد بن حميد.
(٥) الدر المنثور: ٦١٠/٨، وعزاه إلى الحكيم الترمذي في نوادر الأصول والبيهقي في شعب الإيمان.
(٦) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٧٦/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ١٠/ ٤٣٠. [موضوع]

سورة «العصر»

«سورة العصر»: هي السورة الثالثة بعد المائة بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الشرح»، وقبل «سورة العاديات». آياتها ثلاث. وكلماتها أربع عشرة. وحروفها ثمان وستون المختلف فيها آيتان: {وَالْعَصْرِ} [العصر : ١]، {بِالْحَقِّ } [العصر : ٣][١].

- **أسماء السورة:**
- **اسمها التوقيفي: «سورة العصر»:**

سميت في المصاحف وفي معظم كتب التفسير[٢]: «سورة العصر»، وذلك لمفتتح السورة بقوله تعالى: {وَالْعَصْرِ (١)} [العصر : ١]،

وسميت في بعض كتب التفسير[٣]، وفي «صحيح البخاري»[٤]: «سورة والعصر» بإثبات الواو على حكاية أول كلمة فيها، أي: سورة هذه الكلمة.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

وفي مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها مكية، قاله ابن عباس[٥]، وابن الزّبير[٦]، وحكاه ابن الجوزي وأبو حيان عن الجمهور[٧].

عن ابن عباس قال: "نزلت سورة {والعصر}، بمكة"[٨].

الثاني: مدنيّة، قاله مجاهد[٩]، وقتادة[١٠]، ومقاتل[١١].

قال ابن عطية:" هي مكية"[١٢].

قال ابن عاشور:" هي مكية في قول الجمهور وإطلاق جمهور المفسرين"[١٣].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها- أنه ذكر في السورة السابقة أنهم اشتغلوا بالتفاخر والتكاثر وبكل ما من شأنه أن يلهى عن طاعة الله، وذكر هنا أن طبيعة الإنسان داعية له إلى البوار، وموقعة له في الدمار إلا من عصم الله وأزال عنه شرر نفسه، فكأن هذا تعليل لما سلف- إلى أنه ذكر في السالفة صفة من اتبع نفسه

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٢/١.

(٢) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٥٨٧/٢٤، وتأويلات أهل السنة: ٦١١/١٠، وبحر العلوم للسمرقندي: ٦١٥/٣، والكشف والبيان: ٢٨٣/١٠، والنكت والعيون: ٣٣٣/٦، والوسيط للواحدي: ٥٥١/٤، وتفسير السمعاني: ٢٧٨/٦، وتفسير البغوي: ٥٢٣/٨، والكشاف: ٧٩٣/٤، والمحرر الوجيز: ٥٢٠/٥، وغيرها.

(٣) انظر مثلا: تفسير ابن أبي زمنين: ١٦١/٥، وتفسير ابن فورك: ٢٦٩/٣، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٤٢٣/١٢، وتفسير القرطبي: ١٧٨/٢٠، وتفسير البيضاوي: ٣٣٦/٥، وغيرها.

(٤) انظر: صحيح البخاري: ١٧٧/٦.

(٥) انظر: الدر المنثور: ٦٢١/٨، وعزاه إلى ابن مردويه ، وانظر: زاد المسير: ٤٨٧/٤، والبحر المحيط في التفسير: ٥٣٨/١٠.

(٦) انظر: زاد المسير: ٤٨٧/٤، والبحر المحيط في التفسير: ٥٣٨/١٠.

(٧) انظر: زاد المسير: ٤٨٧/٤، والبحر المحيط في التفسير: ٥٣٨/١٠.

(٨) الدر المنثور: ٦٢١/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٩) انظر: زاد المسير: ٤٨٧/٤، والبحر المحيط في التفسير: ٥٣٨/١٠.

(١٠) انظر: زاد المسير: ٤٨٧/٤، والبحر المحيط في التفسير: ٥٣٨/١٠.

(١١) انظر: زاد المسير: ٤٨٧/٤، والبحر المحيط في التفسير: ٥٣٨/١٠.

(١٢) المحرر الوجيز: ٥٢٠/٥.

(١٣) التحرير والتنوير: ٥٢٧/٣٠.

وهواه، وجرى مع شيطانه حتى وقع في التهلكة، وهنا ذكر من تجمل بأجمل الطباع، فآمن بالله وعمل الصالحات، وتواصى مع إخوانه على الاستمساك بعرى الحق، والاصطبار على مكارهه[1].

الرد على شبهة : أن سورتي: «العصر» و«الكوثر» قلقتان في موضعهما:

إن هذا الزعم ينقضه بضعة أسباب :

١- أن العبرة ليس بطول السورة أو بقصرها في ترتيبها فلو نظرنا في المصحف الشريف لوجدنا سورا كثيرة تسبق في الترتيب سورا أطول منها فلماذا ركز الكاتب على هاتين السورتين بالذات ؟

٢- أن التلاحم القوي بين السور على الرغم من أن مكيها قد يكون بعد مدنيها أو قبله واضح وملحوظ يخيل للناظر إليها أنها نسيج واحد ، وفوق ذلك نجد هذا التناسق والتلاحم والارتباط وكأنه لا توجد مسافة زمنية في النزول أو بعد مكاني ، مع العلم أن مثل هذه الظروف قد تغير أسلوب الخطاب .

٣- أن الكاتب نسي أو تناسى أن من أهم مميزات القرآن هو تناسب سوره مع بعضها البعض ، وإن موضع السور في مكانها هذا لحكمة إلهية لها غرضها ومغزاها.

٤- أنه رغم نزول القرآن نجوما مفرقة على اختلاف الزمان والمكان إلا إنه يتضح للجميع وكأن القرآن نزل جملة واحدة كالعقد المتصل الذي لا يشوبه أي خلل أو تناقض .

٥- أن هناك رأي قوي بين العلماء على أن سور القرآن ترتيبها كان بالتوقيف ، وأجمع على ذلك كثير من العلماء القديم والحديث، وبهذا يكون وجود هاتين السورتين في هذا الموضع من القرآن ليس فيه أي غرابة.

ولعل علم المناسبات كشف للجميع بعضا من أسرار ترتيب السور على هذا النحو، فمثلا : -

- سورة العصر سورة مكية ، ترتيبها في المصحف الثالثة والمائة ،عدد آياتها (٣) ، وكان ترتيبها في المصحف الشريف لغاية وهدف ، يوضح ذلك على سبيل المثال ما قاله البقاعي على لسان أبو جعفر بن الزبير:" لما قال الله:{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ} [التكاثر: ١]، وتتضمن ذلك الإشارة إلى قصور نظر الإنسان وحصر إدراكه في العاجل دون الآجل الذي فيه فوزه وفلاحه وذلك ، ببعده عن العلم بموجب الطبع: {وَحَمَلَهَا ٱلإِنسَانُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُوما جَهُولا} [الأحزاب: ٧٢]، فأخبر سبحانه أن ذلك شأن الإنسان بما هو إنسان فقال :{وَٱلعَصرِ إِنَّ ٱلإِنسَـٰنَ لَفِي خُسرٍ} [العصر: ١-٢]، فالقصور شأنه ، والظلم طبعه ، والجهل جبلته ، فيحق أن يلهيه التكاثر ويدخل عليه روح الإيمان ،{إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ} [العصر: ٣] إلى آخرها، فهؤلاء الذين :{لَّا تُلهِيهِم تِجَـٰرَة وَلَا بَيعٌ عَن ذِكرِ ٱللَّهِ} [النور: ٣٧]"[2].

- أما سورة الكوثر، وهي السورة الثامنة والمائة في ترتيب المصحف ، مكية ، عدد آياتها (٣)، فوجه مناسبتها لما قبلها طبقا لما ذكره البقاعي أيضا على لسان أبو جعفر بن الزبير:"لما نهى عباده عما يلتذ به من أراد الدنيا وزينتها من الإكثار والكبر والتعزز بالمال والجاه وطلب الدنيا ، أتبع ذلك بما منح بنيه مما هو خير مما يجمعون وهو الكوثر وهو الخير الكثير ...."إلى آخر ما ذكر من وجه المناسبة والتناسق في الترتيب للسورة"[3].

فالزعم بأن سور القرآن غير متسقة في أماكنها هو قصور عن فهم طبيعة القرآن وأسلوبه ، فالتركيز فيه ليس شكليا البتة ، وأما ما يتصوره هؤلاء الكتاب ما هو إلا محاولة لإيجاد نقطة ضعف غير موجودة أصلا، ليبني عليها نظرياته وأوهامه.ولكن ندعو هؤلاء إلى الإطلاع على كتب المناسبات ، والنظر

---

(١) انظر: تفسير المراغي: ٢٣٣/٣٠.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور, البقاعي , برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر, (القاهرة , دار الكتاب الإسلامي) , (٢٣٧/٢٢, ٢٣٨).

(٣) المصدر نفسه (٢٨٨/٢٢،٢٨٩).

فيها بحيادية ، دون التعصب لدين أو فئة ، فإنه سيجد فيها الإجابة على تساؤلاته في هذا الصدد، ليدرك بنفسه تلك الأسرار النفيسة من ترتيب السور بهذا الشكل .

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

من أبرز مقاصد السورة:

١- اشتملت على إثبات الخسران الشديد لأهل الشرك ومن كان مثلهم من أهل الكفر بالإسلام بعد أن بلغت دعوته، وكذلك من تقلد أعمال الباطل التي حذر الإسلام المسلمين منها.
٢- إثبات نجاة وفوز الذين آمنوا وعملوا الصالحات والداعين منهم إلى الحق.
٣- بيان على فضيلة الصبر على تزكية النفس ودعوة الحق.

قال الفيروزآبادي :" مقصود السورة: بيان خسران الكفار والفجار، وذكر سعادة المؤمنين الأبرار، وشرح حال المسلم الشكور الصبار، في قوله: {وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} [العصر : ٣]"[١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة محكمة. وقيل: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ} [العصر : ٢]، منسوخ بالاستثناء[٢].

قال هبة الله:" قيل بالمدينة فيها آية واحدة منسوخه وهي قوله تعالى: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ} [العصر : ٢]، نسخها الله تعالى بالاستثناء بعده: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)} [العصر : ٣]"[٣].

- **فضائل السورة:**

– عن ثابت البناني، عن أبي مدينة الدارمي، وكانت له صحبة قال: كان الرجلان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم «إذا التقيا لم يفترقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر: {وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢)} [العصر : ١ - ٢]، ثم يسلم أحدهما على الآخر»[٤].

– عن ميمون قال: شهدت عمر حين طعن فأمنا عبد الرحمن بن عوف فقرأ بأقصر سورتين في القرآن بـ«العصر»، و {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ} [النصر : ١]، في الفجر"[٥].

عن أبيّ بن كعب، قال: قال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: «من قرأ سورة وَالْعَصْرِ ختم الله له بالصبر، وكان مع أصحاب الحق يوم القيامة» [١]. [موضوع]

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٢/١.
(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٢/١.
(٣) الناسخ والمنسوخ: ٢٠٣.
(٤) أخرجه الطبراني في " المعجم الأوسط": (٥١٢٤):ص٢١٥/٥، قال علي بن المديني: «اسم أبي مدينة عبد الله بن حصن» . قال الطبراني: "لا يروى هذا الحديث عن أبي مدينة إلا بهذا الإسناد، تفرد به: حماد بن سلمة".
والحديث رواه أبو داود في "الزهد"(٤٠٢):ص٣٤١.
قال الألباني في الصحيحة ح٢٦٤٨: "وفي هذا الحديث فائدتان مما جرى عليه عمل سلفنا رضي الله عنهم جميعا: إحداهما: التسليم عند الافتراق، وقد جاء النص بذلك صريحا من قوله صلى الله عليه وسلم: " إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم، وإذا أراد أن يقوم فليسلم، فليست الأولى بأحق من الآخرة " , والأخرى: نستفيدها من التزام الصحابة لها. وهي قراءة سورة (العصر) لأننا نعتقد أنهم أبعد الناس عن أن يحدثوا في الدين عبادة يتقربون بها إلى الله، إلا أن يكون ذلك بتوقيف من رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا أو فعلا أو تقريرا، ولم لا؟ , وقد أثنى الله تبارك وتعالى عليهم أحسن الثناء، فقال: {والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم}
وقال ابن مسعود : «من كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم؛ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا وأقومها هديا وأحسنها حالا، قوما اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم». [جامع بيان العلم وفضله(١٨١٠):ص٩٤٧/٢]
(٥) الدر المنثور: ٦٢١/٨، وعزاه إلى ابن سعد.

(١) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٨٣/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ١٠/ ٤٣٤. [موضوع]

سورة «الهمزة»

«سورة الهمزة»: هي السورة الرابعة بعد المائة بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة القيامة»، وقبل «سورة المرسلات»، آياتها تسع إجماعا. وكلماتها ثلاث وثلاثون. وحروفها مائة وثلاثون. فواصل آياتها على «الهاء»(١).

- **أسماء السورة:**
- **اسمها التوقيفي: «سورة الهمزة»:**

سميت هذه السورة في المصاحف ومعظم التفاسير(٢): «سورة الهمزة» بلام التعريف، ووجه تسميتها لافتتاحها بقوله تعالى: {وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ} [الهمزة : ١].

وقد ورد هذا الاسم بلفظ«الهماز»، وذلك في سورة«القلم»، قال تعالى: {هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ} [القلم : ١١].

- **أسماؤها الاجتهادية:**

١- سورة «ويل لكل همزة»:

وردت هذه التسمية في كلام الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين(٣)، وبهذا الاسم عنونها في «صحيح البخاري»(٤)، وبعض التفاسير(٥).

وهي تسمية لها بأول جملة فيها، قال تعالى: : {وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ} [الهمزة : ١].

٢- سورة «الحطمة»:

ذكر الفيروزآبادي في «بصائر ذوي التمييز»(٦) أنها تسمى «سورة الحطمة» لوقوع هذه الكلمة فيها، وذلك في قوله تعالى: {كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥)} [الهمزة : ٤ - ٥].

وقد سميت في إحدى المصاحف، سورة: «اللمزة»(٧)، ولم أجد هذه التسمية عند المفسرين، كما لم أقف على أحاديث تثبت هذه الأسماء بأنها توقيفية.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس قال: "أنزلت {ويل لكل همزة} بمكة"(٨).

قال ابن عطية:" هي مكية بلا خلاف"(٩).

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة بإجماعهم"(١٠).

قال أبو حيان:" هذه السورة مكية"(١١).

قال ابن عاشور:" هي مكية بالاتفاق"(١).

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٣/١.

(٢) انظر مثلا: تأويلات أهل السنة: ٦١٤/١٠، وبحر العلوم للسمرقندي: ٦١٦/٣، وتفسير ابن فورك: ٢٧١/٣، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٣٥/٦، والنكت والعيون: ٣٣٥/٦، والوسيط للواحدي: ٥٥٢/٤، وتفسير السمعاني: ٢٨٠/٦، والكشاف: ٧٩٤/٤، والمحرر الوجيز: ٥٢١/٥، وزاد المسير: ٤٨٨/٤، ومفاتيح الغيب: ٢٨٤/٣٢، وتفسير القرطبي: ١٨١/٢٠، وغيرها.

(٣) كما سيأتي في رواية ابن عباس في مكان نزول السورة.

(٤) انظر: صحيح البخاري: ١٧٧/٦.

(٥) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٥٥٩٣/٢٤، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٦٢/٥.

(٦) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٣/١.

(٧) المصحف مخطوط بجامعة الإمام برقم(٨٠٤٣).

(٨) الدر المنثور: ٦٢٣/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٩) المحرر الوجيز: ٥٢١/٥.

(١٠) زاد المسير: ٤٨٨/٤.

(١١) البحر المحيط في التفسير: ٥٤٠/١٠.

وقال هبة الله:" نزلت بمكة في شأن الأخنس بن شريق، وقيل نزلت بالمدينة"[٢].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها- أنه لما ذكر سبحانه فى السورة السابقة أن جميع أفراد الإنسان منغمسون في الضلال إلا من عصم الله- ذكر هنا بعض صفات أهل الضلال[٣].

قال أبو حيان:" لما قال فيما قبلها: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ} [العصر : ٢]، بين حال الخاسر فقال: {وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ} [الهمزة : ١]"[٤].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

من أبرز مقاصد السورة:

١- الترهيب من الوقوع في الغيبة والنميمة.

أ- فأما الغيبة:

قال ابن كثير: "والغيبة محرمة بالإجماع، ولا يستثنى من ذلك، إلا ما رجحت مصلحة، كما في الجرح والتعديل والنصيحة"[٥].

واعتبر الإمام ابن حجر الغيبة من الكبائر حيث قال: "الذي دلت عليه الدلائل الكثيرة الصحيحة الظاهرة أنها كبيرة: لكنها تختلف عظماً وضده بحسب اختلاف مفسدتها. وقد جعلها من أوتي جوامع الكلم عديلة غصب المال، وقتل النفس بقوله صلى الله عليه وسلم: «كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه»[٦]، والغصب والقتل كبيرتان إجماعا، فكذا ثلم العرض[٧].

ب- وأما النميمة:

فهي محرمة في الكتاب والسنة والإجماع، وهي من كبائر الذنوب، قَالَ تَعَالَى: {وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ} [الهمزة: ١].

وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «لا يدخل الجنة نمام»[٨].

قال العلامة ابن باز: "وهي من الكبائر ومن أسباب البغضاء والشحناء بين المسلمين، فالواجب الحذر منها"[٩].

قال الشيخ ابن عثيمين: "والنميمة من كبائر الذنوب، وهي سبب لعذاب القبر، ومن أسباب حرمان دخول الجنة"[١٠].

٢- بيان أخلاق المشركين ومن شاكلهم.

٣- التصريح بالخزي والتحذير بالعذاب لكل من يحسب أن نجاته وخلوده بجمع المال، فيطعن ويعيب على الناس محقراً أعمالهم ومترفعاً عليهم. بل إن جمع المال يطرح صاحبه في النار الموقدة، جزاءاً على تعاليه واغتراره به وعدم إنفاقه.

---

(١) التحرير والتنوير: ٥٣٥/٣٠.
(٢) الناسخ والمنسوخ: ٢٠٤.
(٣) انظر: تفسير المراغي: ٢٣٦/٣٠.
(٤) البحر المحيط في التفسير: ٥٤٠/١٠.
(٥) تفسير ابن كثير: ٣٨٠/٨.
(٦) رواه مسلم (٢٥٦٤).
(٧) الزواجر، لابن حجر :٢/ ٥٥٥.
(٨)رواه مسلم (١٠٥) من حديث حذيفة رضي الله عنه.
(٩)فتاوى نور على الدرب لابن باز، جمع: محمد الشويعر (١٤/ ١٢٥).
(١٠)مجموع فتاوى ورسائل العثيمين، جمع وترتيب: فهد السليمان (٩/ ٥٢٤).

٤- وعيد جماعة من المشركين جعلوا همز المسلمين ولمزهم ضربا من ضروب أذاهم طمعا في أن يلجئهم الملل من أصناف الأذى، إلى الانصراف عن الإسلام والرجوع إلى الشرك.

قال الفيروزآبادي :" معظم مقصود السورة: عقوبة العياب المغتاب، وذم جمع الدنيا ومنعه وبيان صعوبة العقوبة في قوله: {فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ} [الهمزة : ٩] "[١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة ليس فيها ناسخ ولا منسوخ[٢].

- **فضائل السورة:**

- عن أبيّ بن كعب، قال: قال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: «من قرأ سورة وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد وأصحابه»[٣]. [موضوع]

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٣/١.
(٢) الناسخ والمنسوخ لهبة الله: ٢٠٤.
(٣) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٨٥/١٠. [موضوع]

سورة «الفيل»

«سورة الفيل»: هي السورة االخامسة بعد المائة بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الكافرين»، وقبل «سورة الفلق» وقيل: قبل سورة: «القريش»(١)، آياتها خمس إجماعا. وكلماتها ثلاث وعشرون. وحروفها ثلاث وتسعون. فواصل آياتها على «اللام»(٢).

- **أسماء السورة:**
- **أولا:-اسمها التوقيفي: «سورة الفيل»:**

سميت في جميع المصاحف وكتب التفسير(٣): «سورة الفيل»، ووجه تسميتها بذلك، لذكرها قصة الفيل في قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ} [الفيل : ١]، ولم يذكر لفظ «الفيل» في القرآن الكريم في غير هذه السورة.

- **الثاني:- اسمها الاجتهادي: سورة «ألم تر» و«ألم تر كيف»، و«ألم تر كيف فعل ربك»:**

وردت تسميتها في كلام بعض السلف سورة :«ألم تر»(٤). وكذلك عنونها البخاري(٥)، وبعض المفسرين(٦) في كتبهم.

وعنون لها ابن أبي زمنين في تفسيره: «ألم تر كيف»(٧).

ووقع تسميتها عند ابن عباس، بالآية الأولى :«ألم تر كيف فعل ربك»(٨).

وعنون لها ابن العربي في «أحكام القرآن» :«السورة المنزلة على أصحاب الفيل»(٩).

وهذه الأسماء ليست توقيفية من رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، وإنما هي من اجتهاد العلماء.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس قال: " أنزل {ألم تر كيف فعل ربك} بمكة"(١٠).

قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع الرواة"(١١).

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة بإجماعهم"(١).

---

(١) وذلك لقول الأخفش: إن قوله تعالى: {لإيلاف قريش} [قريش: ١] متعلق بقوله: {فجعلهم كعصف مأكول} [الفيل: ٥]، ولأن أبيّ بن كعب جعلها وسورة قريش سورة واحدة في مصحفه ولم يفصل بينهما بالبسملة، ولخبر عمرو بن ميمون عن عمر بن الخطاب روى أن عمر بن الخطاب قرأ مرة في المغرب في الركعة الثانية سورة الفيل وسورة قريش، أي: ولم يكن الصحابة يقرأون في الركعة من صلاة الفرض سورتين لأن السنة قراءة الفاتحة وسورة فدل أنهما عنده سورة واحدة.
قال ابن عاشور:" ويجوز أن تكون سورة قريش نزلت بعد سورة الفلق وألحقت بسورة الفيل فلا يتم الاحتجاج بما في مصحف أبي بن كعب ولا بما رواه عمرو بن ميمون". [التحرير والتنوير: ٥٤٣/٣٠].
عن عمرو بن ميمون الأودي، قال: " صلى بنا عمر بن الخطاب صلاة المغرب فقرأ في الركعة الأولى بـ {التِّين وَالزَّيْتُونِ} [التين : ١] ، وفى الركعة الأخرى: {أَلَمْ تَرَ} [الفيل : ١]، و{لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ} [قريش : ١] جميعا". [أخرجه عبد الرزاق، وابن الأنباري في المصاحف، [كنز العمال ٢٢١١٦]
(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٤/١.
(٣) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٦٠٣/٢٤، وتأويلات أهل السنة: ٦١٧/١٠، وبحر العلوم للسمرقندي: ٦١٨/٣، والكشف والبيان: ٢٨٨/١٠، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٤٣٥/١٢، والنكت والعيون: ٣٢٨/٦، ، والوسيط للواحدي: ٥٥٤/٤، وتفسير السمعاني: ٢٨٣/٦، وتفسير البغوي: ٥٣٢/٨، وغيرها.
(٤) كما سيأتي في فضائل السورة.
(٥) انظر: صحيح البخاري: ١٧٧/٦.
(٦) انظر مثلا: تفسير ابن فورك: ٢٧٥/٣، وتفسير الثعالبي: ٤٤٢/٤.
(٧) انظر: تفسير ابن أبي زمنين: ١٦٣/٥.
(٨) كما سيأتي في مكان نزول السورة.
(٩) انظر: أحكام القرآن: ١٩٨٠/٢.
(١٠) الدر المنثور: ٦٢٧/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(١١) المحرر الوجيز: ٥٢٣/٥.

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها- أنه بين في السورة السابقة أن المال لا يغنى من الله شيئا وهنا أقام الدليل على ذلك بقصص أصحاب الفيل [٢].

قال أبو حيان:" لما قال فيما قبلها: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ} [العصر : ٢]، بين حال الخاسر فقال: {وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ} [الهمزة : ١]"[٣].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

من أبرز مقاصد السورة:

١- التذكير بأن الكعبة حرم الله وأن الله حماه ممن أرادوا به سوءا أو أظهر غضبه عليهم فعذبهم، لأنهم ظلموا بطمعهم في هدم مسجد إبراهيم وهو عندهم في كتابهم، وذلك ما سماه الله كيدا، وليكون ما حل بهم تذكرة لقريش بأن فاعل ذلك هو رب ذلك البيت وأن لا حظ فيه للأصنام التي نصبوها حوله.

٢- تنبيه قريش أو تذكيرهم بما ظهر من كرامة النبي -صلى الله عليه وسلم- عند الله إذ أهلك أصحاب الفيل في عام ولادته.

٣- تثبيت النبي -صلى الله عليه وسلم- بأن الله يدفع عنه كيد المشركين فإن الذي دفع كيد من يكيد لبيته لأحق بأن يدفع كيد من يكيد لرسوله -صلى الله عليه وسلم- ودينه ويشعر بهذا قوله: {ألم يجعل كيدهم في تضليل} [الفيل: ٢] .

٤- التذكير بأن الله غالب على أمره، وأن لا تغر المشركين قوتهم ووفرة عددهم ولا يوهن النبيء صلى الله عليه وسلم تألب قبائلهم عليه فقد أهلك الله من هو أشد منهم قوة وأكثر جمعا.

قال ابن عاشور: "ولم يتكرر في القرآن ذكر إهلاك أصحاب الفيل خلافا لقصص غيرهم من الأمم لوجهين:

أحدهما: أن إهلاك أصحاب الفيل لم يكن لأجل تكذيب رسول من الله.

وثانيهما أن لا يتخذ منه المشركون غرورا بمكانة لهم عند الله كغرورهم بقولهم المحكي في قوله تعالى: {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [التوبة : ١٩] الآية وقوله: {وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [الأنفال : ٣٤]"[٤].

قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: بيان جزاء الأجانب، ومكرهم، ورد كيدهم في نحرهم، وتسليط أنواع العقوبة على العصاة والمجرمين، وسوء عاقبتهم بعد حين في قوله: {فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ} [الفيل : ٥]"[٥].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة محكمة[٦].

- **فضائل السورة:**

- عن عمرو بن ميمون قال: "صلى بنا عمر بن الخطاب صلاة المغرب فقرأ في الركعة الأولى بـ {التين والزيتون}، وفى الركعة الأخرى: {ألم تر} و {لإيلاف قريش} جميعا"[٧].

---

(١) زاد المسير: ٤٩٠/٤.
(٢) انظر: تفسير المراغي: ٢٣٦/٣٠.
(٣) البحر المحيط في التفسير: ٥٤٠/١٠.
(٤) التحرير والتنوير: ٥٤٤/٣٠.
(٥)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٤/١.
(٦)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٤/١.
(٧) أخرجه عبد الرزاق، وابن الأنباري في المصاحف، [كنز العمال ٢٢١١٦].

عن أبيّ بن كعب، قال: قال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: «من قرأ سورة «الفيل»، عافاه الله عزّ وجلّ أيام حياته في الدنيا من القذف والمسخ» (١).[موضوع]

(١) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٨٨/١٠. [موضوع]

سورة «قريش»

«سورة القريش»: هي السورة السادسة بعد المائة بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة التين»، وقبل «سورة القارعة»، آياتها خمس في عد الحجاز، وأربع في عد الباقين. وكلماتها تسع عشرة. وحروفها ثلاث وسبعون. المختلف فيها آية: {مِنْ جُوعٍ} [قريش : ٤]، فواصل آياتها: «شفت»[١].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:-أسماؤها التوقيفية:**

١-«سورة قريش»:

سميت هذه السورة في المصاحف وكتب التفسير[٢]: «سورة قريش»، لوقوع اسم «قريش» فيها ولم يقع في غيرها، قال تعالى: {لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ} [قريش : ١].

قال ابن الفيروزآبادي :"سميت سورة قريش، لذكر ألفتها فيها"[٣].

٢-سورة «لإيلاف قريش»:

سميت هذه السورة في عهد السلف[٤]: «سورة لإيلاف قريش»، تسمية لها بأول آية وردت فيها، ولم يعدها في «الإتقان» في السور التي لها أكثر من اسم.

وبهذا الاسم عنون لها بعض المفسرين[٥]، وترجم لها البخاري في «صحيحه»[٦].

- **الثاني:- اسمها الاجتهادي: سورة «لإيلاف»:**

وردت هذه التسمية في بعض كتب التفسير[٧]، وهي تسمية للسورة بلفظ وقع في أولها، قال تعالى: {لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ} [قريش : ١].

وهذا الاسم ليس توقيفيا من رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، وإنما هو من اجتهاد العلماء.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

وفي مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها مكّيّة، قاله ابن عباس[٨]، وحكاه ابن الجوزي والماوردي والقرطبي عن الجمهور[٩].

عن ابن عباس قال: " نزلت {لإيلاف قريش} بمكة"[١٠].

الثاني: مدنيّة، قاله الضّحّاك[١١]، وابن السّائب[١٢].

قال الماوردي:" مكية في قول الأكثرين"[١٣].

قال ابن عطية:" هي مكية بلا خلاف"[١].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٥/١.

(٢) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٦١٧/٢٤، وبحر العلوم للسمرقندي: ٦٢٣/٣، والكشف والبيان: ٢٩٩/١٠، والوسيط للواحدي: ٥٥٥/٤، وزاد المسير: ٤٩٣/٤، وتفسير البيضاوي: ٣٤٠/٥، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٦٥/٥، والنكت والعيون: ٣٤٥/٦، وتفسير البغوي: ٥٤٢/٨، والكشاف: ٨٠٠/٤، وتفسير القرطبي: ٢٠٠/٢٠، وغيرها.

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٥/١.

(٤) كما سيأتي في فضائل السورة.

(٥) انظر مثلا: تأويلات أهل السنة: ٦٢٠/١٠، وتفسير ابن فورك: ٦٢٠/٣، .

(٦) انظر: صحيح البخاري: ١٧٧/٦.

(٧) انظر مثلا: تفسير السمعاني: ٢٨٦/٦.

(٨) انظر: الدر المنثور: ٦٣٤/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٣٤٥/٦، و زاد المسير: ٤٩٣/٤، وتفسير القرطبي: ٢٠٠/٢٠

(١٠) الدر المنثور: ٦٣٤/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١١) انظر: النكت والعيون: ٣٤٥/٦، و زاد المسير: ٤٩٣/٤، وتفسير القرطبي: ٢٠٠/٢٠

(١٢) انظر: زاد المسير: ٤٩٣/٤، وتفسير القرطبي: ٢٠٠/٢٠.

(١٣) النكت والعيون: ٣٤٥/٦.

قال ابن عاشور:" السورة مكية عند جماهير العلماء"[٢].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها: أن كلا منهما تضمن ذكر نعمة من نعم الله على أهل مكة، فالأولى تضمنت إهلاك عدوهم الذي جاء ليهدم بيتهم، وهو أساس مجدهم وعزهم والثانية ذكرت نعمة أخرى هى اجتماع أمرهم، والتئام شملهم، ليتمكنوا من الارتحال صيفا وشتاء في تجارتهم، وجلب الميرة لهم، ولوثيق الصلة بين السورتين كان أبى بن كعب يعتبرهما سورة واحدة، حتى روى عنه أنه لم يفصل بينهما ببسملة[٣].

الرد على شبهة: جعل أبيّ -رضي الله عنه- سورتي: «الفيل» و«قريش» سورة واحدة:

لقد نبه الإمام السيوطي على ذلك بقوله: "كذا نقل عن جماعة عن مصحف أبي أنه ست عشرة سورة والصواب أنه خمس عشرة، فإن «سورة الفيل» و«سورة لإيلاف قريش» فيه سورة واحدة ، ونقل ذلك عن السخاوي ، وعن جعفر الصادق وأبي نهيك أيضا. قلت – والكلام للسيوطي - : يرده ما أخرجه الحاكم والطبراني من حديث أم هانئ، أن رسول الله ﷺ، قال :"فضل الله قريشا ....."الحديث ، وفيه :"وإن الله أنزل فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها معهم غيرهم {لإيلاف قريش} [قريش: ١]»[٤]"[٥].

ولوحظ في هذا الصدد عدة نقاط :

١- اعتماد الكاتب على الروايات الضعيفة في مصادر مثل الإتقان للإمام السيوطي وغيرها لإثبات ما يرمي إليه دون تفنيد أو تخريج أو بحث في مصادر أخرى تثبت أو تنفي هذا الخبر.

٢- التركيز الشديد على فعل واحد من الصحابة ، دون النظر إلى الإجماع الذي عليه المعول والحل والعقد .

٣- نسيان الكاتب نزول جميع أصحاب المصاحف رضوان الله عليهم إلى مصحف عثمان والاستقرار عليه لانعقاد الإجماع عليه .

٤-لعل عمل أبيّ -رضي الله عنه- بضمه السورتين يكون ناتجا من إتحاد الغرض في سورتي الفيل وقريش، مما جعله يظن أنهما سورة واحدة .

فموضوع السورتين مترتب على الآخر، وتأويل ذلك أنه لما انتهت واقعة الفيل بما وقع لأبرهة وجيشه ، وما كان من التدخل الإلهي لحماية بيته وحرمه، عظمت مكة في أعين العرب وأصبحت ملاذا للكثيرين وأخذت مكانتها بين العرب ، فأتبع الله في كتابه بسورة قريش لتلي سورة الفيل تذكيرا بالمنة والنعمة التي نالها هؤلاء العرب من العز والشرف والمهابة بين العالم ، والإطعام من جوع والأمن من الخوف .

قال ابن عاشور:" وهي سورة مستقلة بإجماع المسلمين على أنها سورة خاصة. وجعلها أبيّ بن كعب مع «سورة الفيل» سورة واحدة ولم يفصل بينهما في مصحفه بالبسملة التي كانوا يجعلونها علامة فصل بين السور، وهو ظاهر خبر عمرو بن ميمون عن قراءة عمر بن الخطاب. والإجماع الواقع بعد ذلك نقض ذلك"[٦].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

من أبرز مقاصد السورة:

(١) المحرر الوجيز: ٥٢٥/٥.
(٢) المحرر الوجيز: ٥٥٣/٣٠.
(٣) انظر: تفسير المراغي: ٢٤٤/٣٠.
(٤)أخرجه الطبراني في المعجم الكبري(٢٠١):ص٨٦/١٧، قال الهيثمى (٢٤/١٠) : فيه حسين السلولي ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات.
(٥) الإتقان في علوم القرآن: ١٧٩/١.
(٦) التحرير والتنوير: ٥٥٣/٣٠.

١- أن نعم الله على عباده عديدة ولا تحصى، ومن أعظم هذه النّعم بعد نعمة الإيمان: نعمة الأمن نعمة الطّعام والشّراب.
٢- أمر قريشا بتوحيد الله تعالى بالربوبية تذكيرا لهم بنعمة أن الله مكن لهم السير في الأرض للتجارة برحلتي الشتاء والصيف لا يخشون عاديا يعدو عليهم، وبأنه أمنهم من المجاعات وأمنهم من المخاوف لما وقر في نفوس العرب من حرمتهم لأنهم سكان الحرم وعمار الكعبة، وبما ألهم الناس من جلب الميرة إليهم من الآفاق المجاورة كبلاد الحبشة، وبرد القبائل فلا يغير على بلدهم أحد، قال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ} [العنكبوت : ٦٧]، فأكسبهم ذلك مهابة في نفوس الناس وعطفا منهم.
٣- أن دوام هذه النّعم واستمراريّتها وبقاءها يستلزم شكرها، ويكون ذلك بالوقوف عند أوامر الله تعالى ونواهيه، قال تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إبراهيم : ٧].
٤- شكر النّعم إنّما يكون بالقلب ثمّ بالقول ثمّ يقرن بالعمل، قَالَ تَعَالَى: {وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ} [لقمان : ١٢] ، وإنّ ذهاب هذه النّعم يكون بكثرة المعاصي والذّنوب، قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ} [إبراهيم: ٢٨-٢٩].

قال الفيروزآبادي :" معظم مقصود السورة: ذكر المنة على قريش، وتحضيضهم على العبادة، وشكر الإحسان، ومعرفة قدر النعمة والعاقبة والأمان، في قوله: {وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ} [قريش : ٤]"[١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة جميعها محكم وليس فيها ناسخ ولا منسوخ[٢].

- **فضائل السورة:**

– عن وكيع، عن محل قال: سمعت إبراهيم، "يقرأ في الركعة الأولى من المغرب: {لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ}"[٣].
– عن إبراهيم، قال: " صلى عمر صلاة عند البيت، فقرأ: {لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ}، فجعل يومئ إلى البيت، ويقول: {فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ} [قريش: ٤]" [٤].
– عن إبراهيم قال: "صلى عمر بن الخطاب بالناس بمكة عند البيت فقرأ: {لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ}، قال: {فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ}، وجعل يومئ بإصبعه إلى الكعبة وهو في الصلاة"[٥].
– عن عمرو بن ميمون قال: "صلى بنا عمر بن الخطاب صلاة المغرب فقرأ في الركعة الأولى بـ {التين والزيتون}، وفى الركعة الأخرى: {ألم تر} و {لإيلاف قريش} جميعا"[٦].
– عن الزبير بن العوام:" فضل الله قريشا بسبع خصال فضلهم بأنهم عبدوا الله عشر سنين لا يعبد الله إلا قرشي وفضلهم بأنه نصرهم يوم الفيل وهم مشركون وفضلهم بأنه نزلت فيهم سورة من القرآن لم يدخل فيها أحد من العالمين وهى: {لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ} [قريش: ١]، وفضلهم بأن فيهم النبوة والخلافة والحجابة والسقاية"[٧].

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٤/١.
(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ لهبة الله: ٢٠٥.
(٣) مصنف ابن أبي شيبة(٣٦٠٣):ص٣١٥/١.
(٤) مصنف ابن أبي شيبة(٨٤٩١):ص٢٣٥/٢.
(٥) أخرجه سعيد بن منصور، وابن أبى شيبة، وابن المنذر، [كنز العمال ٤٧١٩].
(٦) أخرجه عبد الرزاق، وابن الأنباري في المصاحف، [كنز العمال ٢٢١١٦].
(٧)أخرجه الطبرانى فى الأوسط (٧٦/٩، رقم ٩١٧٣) قال الهيثمى (٢٥/١٠) : فيه من ضعف ووثقهم ابن حبان. وابن عساكر (١٥/٦٤).

- عن عدي بن حاتم قال: كنت قاعدا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاء من بدر فقال رجل من الأنصار: وهل لقينا إلا عجائز كالحرز المعقلة فنحرناهم، فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأيته كأنه تفقأ فيه حب الرمان، ثم قال: «يا ابن أخي لا تقل ذلك، أولئك الملأ الأكبر من قريش، أما لو رأيتهم في مجالسهم بمكة لهبتهم» فوالله لأتيت مكة فرأيتهم قعودا في المسجد، فما قدرت أن أسلم عليهم من هيبتهم، فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا معاشر الناس أحبوا قريشا فإنه من أحب قريشا فقد أحبني، ومن أبغض قريشا فقد أبغضني، وإن الله حب إلي قومي فلا أتعجل لهم نقمة، ولا أستكثر لهم نعمة، اللهم إنك أذقت أول قريش نكالا فأذق آخرها نوالا، إلا أن الله علم ما في قلبي من حبي لقومي فسرني فيهم» قال الله عز وجل: " {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ، وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الشعراء: ٢١٥]، يعني: قومي، فالحمد لله الذي جعل الصديق من قومي، والشهيد من قومي، والأئمة من قومي، إن الله قلب العباد ظهرا لبطن فكان خير العرب قريش وهي الشجرة التي قال الله: {مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ} [إبراهيم: ٢٤]، يعني بها: قريشا، {أَصْلُهَا ثَابِتٌ} [إبراهيم: ٢٤]، يقول: أصلها كرم، {وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ} [إبراهيم: ٢٤]، يقول: الشرف الذي شرفهم الله بالإسلام الذي هداهم له وجعلهم أهله، ثم أنزل فيهم سورة من كتاب الله محكمة: {لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ، رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ}"(١).
- عن أبيّ بن كعب، قال: قال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: «من قرأ سورة {لِإِيلافِ قُرَيْشٍ}، أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها»(٢). [موضوع]

---

(١)أخرجه الطبراني في المعجم الكبري(٢٠١):ص٨٦/١٧، قال الهيثمى (٢٤/١٠) : فيه حسين السلولي ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات.

(٢) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٩٩/١٠. وانظر: تفسير مجمع البيان: ٤٤٩/١٠.[موضوع]

سورة «الماعون»

«سورة الماعون»: هي السورة السابعة بعد المائة بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة التكاثر»، وقبل «سورة الكافرون»، آياتها سبع في عد العراقي، وست عند الباقين. وكلماتها خمس وعشرون، وحروفها مائة وخمس وعشرون . المختلف فيها آية: {يُرَاءُونَ} [الماعون : ٦]، فواصل آياتها على «النون»[(١)].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:-اسمها التوقيفي: «سورة الماعون»:**

سميت هذه السورة في كثير من المصاحف وكتب التفسير[(٢)]: «سورة الماعون»، لورود لفظ «الماعون» فيها دون غيرها، قال تعالى: {وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ} [الماعون : ٧].

- **الثاني:- أسماؤها الاجتهادية:**

١-سورة «أرأيت»، أو «أرأيت الذي يكذب»:

سميت في بعض التفاسير[(٣)]: «سورة أرأيت»، وكذلك عنونها في «صحيح البخاري»[(٤)].

وعنونها ابن أبي زمنين[(٥)]، والثعالبي[(٦)]: بـ«سورة أرأيت الذي».

وعنونها الجصاص[(٧)]، وابن عرفة[(٨)]، باسم: « أرأيت الذي يكذب بالدين»، باسم الآية الأولى كاملة.

وهذه التسميات، لها ارتباط بأول آية افتتحت بها، أو بأول كلمة فيها اختصارا، قال تعالى: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ} [الماعون : ١].

٢-«سورة الدين»:

عنونت السورة بهذا الاسم في عدة مصاحف[(٩)]، وعنونها البقاعي في: «نظم الدرر»[(١٠)]، وذكره في الإتقان[(١١)]، كما ذكره بعض المفسرين[(١٢)] في تفاسيرهم.

ووجه تسميتها بذلك لوقوع لفظ: «الدين»، في أول السورة، قال تعالى: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ} [الماعون : ١].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٦/١.

(٢) انظر مثلا: تأويلات أهل السنة: ٦٢٢/١٠، وبحر العلوم للسمرقندي: ٦٢٥/٣، والكشف والبيان: ٣٠٤/١٠، والنكت والعيون: ٣٥٠/٦، والوسيط للواحدي: ٥٥٨/٤، وتفسير البغوي: ٥٤٩/٨، والكشاف: ٨٠٣/٤، والمحرر الوجيز: ٥٢٧/٥، وزاد المسير: ٤٩٥/٤، ومفاتيح الغيب: ٣٠١/٣٢، وتفسير القرطبي: ٢١٠/٢٠،وتفسير البيضاوي: ٣٤١/٥.

(٣) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٦٢٧/٢٤، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٤٥٩/١٢، وتفسير السمعاني: ٢٨٨/٦، وتفسير المظهري: ١٣/١٠، وغيرها.

(٤) انظر: صحيح البخاري: ١٧٧/٦.

(٥) انظر: تفسير ابن أبي زمنين: ١٦٦/٥.

(٦) انظر: تفسير الثعالبي: ٤٤٤/٤.

(٧) انظر: أحكام القرآن: ٦٤٣/٣.

(٨) انظر: تفسير ابن عرفة: ٣٤٧/٤.

(٩) منها:

- مصحف نسخ سنة(١٠٩٨هـ) وهو مخطوط بجامعة الإمام برقم(٨٠٤٣).
- مصحف نسخ سنة(١٢٠١هـ) وهو مخطوط بجامعة الإمام برقم(١٨٦٨).
- ومصحف بجامعة الإمام رقم(٨٠٥١) (د. ت).

(١٠) انظر: نظم الدرر: ٢٧٥/٢٢.

(١١) انظر: الإتقان في علوم القرآن: ١٩٦/١.

(١٢) انظر مثلا: حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، المُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي: ٤٠٠/٨، وفتح القدير للشوكاني: ٦١١/٥، وروح المعاني للألوسي: ٤٧٤/١٥.

٣-«سورة اليتيم»:

وردت هذه التسمية في «نظم الدرر»[(١)]، و«فتح القدير» للشوكاني[(٢)]، وسميت به لوقوع كلمة: «اليتيم» في السورة، قال تعالى: {فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ} [الماعون : ٢]. ويجدر القول بأن هذه الكلمة: «اليتيم»، قد وردت في عدة سور من القرآن الكريم[(٣)].

٤-«سورة التكذيب»:

وردت هذه التسمية في «حاشيتي الخفاجي وسعدي»[(٤)]، وكذلك أوردها الألوسي في تفسيره[(٥)]، والبقاعي في «نظم الدرر»[(٦)].

ووجه تسميتها بـ«سورة التكذيب»، لورود «التكذيب»، بصيغة الفعل المضارع، في قوله تعالى: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ} [الماعون : ١].

وهذه التسميات الأربعة الأخيرة هي من اجتهاد العلماء، وليست توقيفية، ولم يرد خبر صحيح عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في ذلك.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

وفي مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها مكّيّة، قاله ابن عباس-في رواية-[(٧)]، وابن الزبير[(٨)]، وعطاء[(٩)]، وجابر[(١٠)].

عن ابن عباس قال: " أنزلت {أرأيت الذي يكذب} بمكة"[(١١)]. وروي عن ابن الزبير مثله[(١٢)].

الثاني: أنها مدنيّة، روي عن ابن عباس-أيضا-[(١٣)]، وبه قال قتادة[(١٤)]. وبه قال الثعلبي[(١٥)].

---

(١) انظر: نظم الدرر: ٢٧٥/٢٢.

(٢) انظر: فتح القدير: ٦١١/٥.

(٣) وذلك في المواضع الآتية:

- {وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الأنعام : ١٥٢].
- {وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا} [الإسراء : ٣٤].
- {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا} [الإنسان : ٨].
- {كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ} [الفجر : ١٧].
- {فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ} [الضحى : ٩].
- وجاءت بصيغة المثنى:«يتيمن»، في قوله تعالى: {وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا} [الكهف : ٨٢]

.

(٤) انظر: حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، المُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي: ٤٠٠/٨.

(٥) انظر: روح المعاني: ٤٧٤/١٥.

(٦) انظر: نظم الدرر: ٢٧٥/٢٢.

(٧) انظر: الدر المنثور: ٦٤١/٨، وعزاه إلى ابن مردويه. وانظر: تفسير القرطبي: ٢١٠/٢٠.

(٨) انظر: الدر المنثور: ٦٣٤/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٣٥٠/٦، وتفسير القرطبي: ٢١٠/٢٠.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ٣٥٠/٦، وتفسير القرطبي: ٢١٠/٢٠.

(١١) الدر المنثور: ٦٣٤/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٢) انظر: الدر المنثور: ٦٣٤/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٣) انظر: النكت والعيون: ٣٥٠/٦، وزاد المسير: ٤٩٥/٤.

(١٤) انظر: النكت والعيون: ٣٥٠/٦، وزاد المسير: ٤٩٥/٤، وتفسير القرطبي: ٢١٠/٢٠.

(١٥) عزاه إليه ابن عطية، انظر: المحرر الوجيز: ٥٢٧/٥.

وقال هبة الله المفسّر: "نزلت نصفين أو نصفان نصفها بمكة ونصفها بالمدينة فالذي أنزل منها بمكة: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ} [الماعون : ١]، نزلت في العاص بن وائل السهمي {فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣)} [الماعون : ٢ - ٣]، إلى ههنا، ونزل باقيها في عبد الله بن أبي بن سلول المنافق: {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ} [الماعون : ٤] [1]، إلى أخرها: نزلت بالمدينة"[2].

قال ابن عطية:" هي مكية بلا خلاف علمته، وقال الثعلبي: هي مدنية"[3].

قال ابن عاشور:" هي مكية في قول الأكثر"[4].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

١- أنه لما قال في السورة السابقة: {أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ} [قريش : ٤]، ذم في هذه من لم يحض على طعام المسكين.

٢- أنه قال في السورة السابقة: {فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ} [قريش : ٣]، وهنا ذم من سها عن صلاته.

٣- أنه هناك عدد نعمه على قريش وهم مع ذلك ينكرون البعث ويجحدون الجزاء وهنا أتبعه بتهديدهم وتخويفهم من عذابه [5].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

من أبرز مقاصد السورة:

١- بيان حال المكذب بالدين، وأن من أوصافه أنه يهين اليتيم ويزجره، وأنه لا يحض بقول أو فعل على إطعام المسكين: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣)} [الماعون : ١ - ٣].

٢- ذكرت السورة فريقًا آخر شبيهًا بهذا المكذب بالدين، وهم الذين عن صلاتهم ساهون وغافلون لا يؤدونها، والذين هم مراءُون بأعمالهم، وهم مع ذلك يبخلون بالمعونة عمن يحتاج إليها، ولا يساعدون غيرهم فيما جرت به العادة أن يساعد بعضهم بعضًا فيه، وتوعدت هؤلاء بالويل والهلاك: {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧)} [الماعون : ٤ - ٧].

قال ابن عاشور:" من مقاصدها التعجيب من حال من كذبوا بالبعث وتفظيع أعمالهم من الاعتداء على الضعيف واحتقاره والإمساك عن إطعام المسكين، والإعراض عن قواعد الإسلام من الصلاة والزكاة لأنه لا يخطر بباله أن يكون في فعله ذلك ما يجلب له غضب الله وعقابه"[6].

قال الفيروزآبادي :" معظم مقصود السورة: الشكاية من الجافين على الأيتام والمساكين، وذم المقصرين والمرائين، وما نعى نفع المعونة عن الخيرات والمساكين، في قوله: {وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ} [الماعون : ٧] "[7].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة ليس فيها ناسخ ولا منسوخ[1].

---

(١) قال ابن عاشور:" قيل: نزل ثلاث أولها بمكة إلى قوله: { الْمِسْكِينِ} [الماعون: ٣]/ وبقيتها نزلت بالمدينة، أي بناء على أن قوله: {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ} [الماعون : ٤]، إلى آخر السورة أريد به المنافقون وهو مروي عن ابن عباس وقاله هبة الله الضرير، وهو الأظهر". [التحرير والتنوير: ٥٦٣/٣٠].

(٢) الناسخ والمنسوخ: ٢٠٥.

(٣) المحرر الوجيز: ٥٢٧/٥.

(٤) المحرر الوجيز: ٥٦٣/٣٠.

(٥) انظر: تفسير المراغي: ٢٤٧/٣٠.

(٦) التحرير والتنوير: ٥٦٤/٣٠.

(٧)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٦/١.

- **فضائل السورة:**

– عن أبيّ بن كعب، قال: قال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: «من قرأ سورة أَرَأَيْتَ غفر الله له إن كان للزكاة مؤديا» [٢]. [موضوع]

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ لهبة الله: ٢٠٥.
(٢) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٠٤/١٠. وانظر: تفسير مجمع البيان: ٤٥٤/١٠.[موضوع]

سورة «الكوثر»

«سورة الكوثر»: هي السورة الثامنة بعد المائة بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة العاديات»، وقبل «سورة التكاثر»[١]، آياتها ثلاث بالإجماع. وكلماتها عشر. وحروفها ثنتان وأربعون. فواصل آياتها على «الراء»[٢].

عن ابن شبرمة قال: "ليس في القرآن سورة أقل من ثلاث آيات"[٣].

قال ابن عاشور:" عدد آيها ثلاث بالاتفاق. وهي أقصر سور القرآن عدد كلمات وعدد حروف، وأما في عدد الآيات فسورة «العصر» وسورة «النصر» مثلها، ولكن كلماتهما أكثر"[٤].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:-اسمها التوقيفي: «سورة الكوثر»:**

سميت هذه السورة في جميع المصاحف التي رأيناها وفي جميع التفاسير أيضا «سورة الكوثر». وكذلك عنونها الترمذي في كتاب التفسير من «جامعه»[٥]. ووجه تسميتها بذلك لافتتاح السورة بذكر «الكوثر»، قال تعالى: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١)} [الكوثر : ١].

- **الثاني:- أسماؤها الاجتهادية:**

١-سورة «إنا أعطيناك الكوثر»:

عرفت هذه التسمية في عهد الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين-[٦]، وبذلك عنونها البخاري في «صحيحه»[٧].

وذكرها السخاوي في «جمال القراء»، باسم «إنا أعطيناك»[٨].

وسميت بها السورة، لأنها أول آية افتتحت بها السورة، قال تعالى: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١)} [الكوثر : ١].

٢-سورة «النحر»:

ذكر البقاعي، أنها تسمى: «سورة النحر»[٩]، ونقل عنه الألوسي في تفسيره[١٠]، وقد ذكرها الجمل في الفتوحات[١١].

وذكر-أيضا - سعد الله الشهير بسعدي، في «حاشيته على تفسير البيضاوي» أنها تسمى «سورة النحر»[١٢].

وهو اسم اجتهادي، وقد علل البقاعي هذه التسمية، بقوله: "لأنه معروف في نحر الإبل، وذلك غاية الكرم عند العرب"[١٣].

---

(١)على القول بأنها مكية عدوها الخامسة عشرة في عداد نزول السور، نزلت بعد «سورة العاديات»، وقبل «سورة التكاثر». وعلى القول بأنها مدنية فقد قيل: إنها نزلت في «الحديبية». [التحرير والتنوير: ٥٧٢/٣٠]
(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٧/١.
(٣) الدر المنثور: ٦٤٦/٨، وعزاه إلى البيهقي.
(٤) التحرير والتنوير: ٥٧٢/٣٠.
(٥) انظر: سنن الترمذي: ٤٤٩/٥.
(٦) كما سيأتي في مكان نزول السورة، وفضائل السورة.
(٧) انظر: صحيح البخاري: ١٧٨/٦.
(٨) انظر: جمال القراء: ٣٨/١.
(٩) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٢٨٧/٢٢.
(١٠) انظر: روح المعاني: ٤٧٨/١٥.
(١١) انظر: الفتوحات: ٥٩٢/٤.
(١٢) انظر: حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، المُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي: ٤٠١/٨.
(١٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٢٨٧/٢٢.

ولم يعدها في «الإتقان» مع السور التي لها أكثر من اسم.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

وفي مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها مكّيّة، قله ابن عباس(١)، وعائشة(٢)، وابن الزبير(٣)، وهو المشهور(٤).

قال أبو حيان:" هذه السورة مكية في المشهور، وقول الجمهور(٥).

عن ابن عباس قال: " نزلت سورة {إنا أعطيناك الكوثر} بمكة"(٦). وروي عن ابن الزبير(٧)، وعائشة(٨) مثل ذلك.

الثاني: أنها مدنيّة، وهو قول الحسن(٩)، وعكرمة(١٠)، وقتادة(١١).

قال ابن عطية:" هي مكية"(١٢).

قال ابن عاشور:" تعارضت الأقوال والآثار في أنها مكية أو مدنية تعارضا شديدا، فهي مكية عند الجمهور واقتصر عليه أكثر المفسرين، ونقل الخفاجي عن كتاب «النشر» قال:« أجمع من نعرفه على أنها مكية»(١٣). قال الخفاجي: «وفيه نظر مع وجود الاختلاف فيها»(١٤).

وعن الحسن وقتادة ومجاهد وعكرمة: هي مدنية، ويشهد لهم ما في «صحيح مسلم» عن أنس بن مالك: «بينا رسول الله ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه وقال: أنزلت علي آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣)} [الكوثر : ١ - ٣]، ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل، عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة»(١٥)، الحديث.

وأنس أسلم في صدر الهجرة فإذا كان لفظ «آنفا» في كلام النبي -صلى الله عليه وسلم- مستعملا في ظاهر، معناه: وهو الزمن القريب، فالسورة نزلت منذ وقت قريب من حصول تلك الرؤيا. ومقتضى ما يروى في تفسير قوله تعالى: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ} [الكوثر: ٣]، أن تكون السورة مكية، ومقتضى ظاهر تفسير قوله تعالى: وانحر من أن {انْحَرْ} في الحج أو يوم الأضحى تكون السورة مدنية، ويبعث على أن قوله تعالى: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ} ليس ردا على كلام العاصي بن وائل.

والأظهر أن هذه السورة مدنية "(١٦).

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

---

(١) انظر: الدر المنثور: ٦٤٦/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٢) انظر: الدر المنثور: ٦٤٦/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٣) انظر: الدر المنثور: ٦٤٦/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٥٥٥/١٠.

(٥) البحر المحيط في التفسير: ٥٥٥/١٠.

(٦) الدر المنثور: ٦٤٦/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٧) انظر: الدر المنثور: ٦٤٦/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٨) انظر: الدر المنثور: ٦٤٦/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٩) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٥٥٥/١٠.

(١٠) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٥٥٥/١٠.

(١١) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٥٥٥/١٠.

(١٢) انظر: المحرر الوجيز: ٥٢٨/٥.

(١٣) انظر: حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي: ٤٠٢/٨.

(١٤) .

(١٥) صحيح مسلم(٤٠٠):ص٣٠٠/١.

(١٦) المحرر الوجيز: ٥٦٣/٣٠-٥٦٤.

ومناسبتها لما قبلها- أنه وصف في الأولى الذي يكذب بالدين بأمور أربع: البخل. الإعراض عن الصلاة. الرياء. منع المعونة- وهنا وصف ما منحه رسوله صلى الله عليه وسلم من الخير والبركة، فذكر أنه أعطاه الكوثر وهو الخير الكثير، والحرص على الصلاة ودوامها، والإخلاص فيها والتصدق على الفقراء(١).

قال أبو حيان:" لما ذكر فيما قبلها وصف المنافق بالبخل وترك الصلاة والرياء ومنع الزكاة، قابل في هذه السورة البخل بـ {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} [الكوثر : ١]، والسهو في الصلاة بقوله: {فَصَلِّ} [الكوثر : ٢]، والرياء بقوله: {لِرَبِّكَ} [الكوثر : ٢]، ومنع الزكاة بقوله: {وَانْحَرْ} [الكوثر : ٢]، أراد به التصدق بلحم الأضاحي، فقابل أربعا بأربع (٢).

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

من مقاصد السورة الكريمة:

١- إن من أعظم مقاصدها كان تفضيل أمر الآخرة على أمر الدنيا وكان في مضمون رسالتها للنبيّ الكريم -صلى الله عليه وسلم- بأنّ الله سيعوضه في الجنة عن حرمانه للذكور وبأنّه أعطاه -جلّ وعلا- الكوثر، فقد ابتدأت السورة الكريمة بقوله -تعالى-: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} [الكوثر: ١]، والكوثر في اللغة العربية هو الخير الكثير الوفير، أمّا في الآخرة فهو كما ذُكر سابقًا اسم نهرٍ في الجنة، وقصد -جلّ وعلا- من الإعطاء أي: التمليك فقد ملّك نبيّه نهر الكوثر تعويضًا له على حرمانه في الدنيا.

٢- أن كلّ شيءٍ يقدمه الله -جلّ وعلا- لعباده يستحق العطاء والصلاة والشكر، فقد أمر نبيّه -عليه الصلاة والسلام- بأن يصلي لله شكرًا وينحر تقربًا من الله وشكرًا على عطاءه ونعمه، قال -تعالى-: { فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} [الكوثر: ٢]، وقد جمع -سبحانه وتعالى- في طلبه هذا من الرسول -صلى الله عليه وسلم- بين النفع الشخصي بالصلاة والدعاء لله -تعالى-، وبين النفع العام الذي يكون بالنحر -أي الذبح- والذي يكون بتوزيع الطعام على الفقراء والمساكين، ويعتبر هذا مقصدًا من مقاصد سورة الكوثر.

٣- ومن مقاصد السورة أنّها كانت بمثابة دعمٍ معنويّ من الله -جلّ وعلا- للرسول الكريم ورفعًا لشأنه أمام صحابته ومن حوله من المسلمين، وذلك بأنّ الله وعده خيرًا في جنان الخلد وتوعد لمبغضه ومن نعته بكلماتٍ تقلل من شأنه بأنّه هو الأبتر المحروم من خيري الدنيا والآخرة فالأبتر في أصل اللغة العربية هو مقطوع الذنب وفي سورة الكوثر جاء بمعنى مقطوع الخير، وذلك في قوله -تعالى-: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ} [الكوثر: ٣].

٤- إن انقطاع الولد الذكر ليس بترا، لأن ذلك لا أثر له في كمال الإنسان.

٥- ومن المقاصد -أيضا- التأكيد على أنّ كلّ شانئ ومبغضٍ لرسول الله -عليه الصلاة والسلام- وفي بأيّ زمن أتى فإنه أبترٌ مقطوع الخير في الدنيا والآخرة.

قال ابن عاشور: "اشتملت على بشارة النبي -صلى الله عليه وسلم- بأنه أعطي الخير الكثير في الدنيا والآخرة، وأمره بأن يشكر الله على ذلك بالإقبال على العبادة، وأن ذلك هو الكمال الحق لا ما يتطاول به المشركون على المسلمين بالثروة والنعمة وهم مغضوب عليهم من الله تعالى لأنهم أبغضوا رسوله، وغضب الله بتر لهم إذا كانوا بمحل السخط من الله"(٣).

---

(١) انظر: تفسير المراغي: ٢٥١/٣٠.
(٢) البحر المحيط في التفسير: ٥٥٥/١٠.
(٣) التحرير والتنوير: ٥٧٢/٣٠.

قال الفيروزآبادي :" معظم مقصود السورة: بيان المنة على سيد المرسلين، وأمره بالصلاة والقربان، وإخباره بإهلاك أعدائه أهل الخيبة والخذلان"[١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة ليس فيها ناسخ ولا منسوخ[٢].

- **فضائل السورة:**

- عن علي، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بتسع سور في الركعة الأولى:{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}، و{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}، و{إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ}، وفي الثانية «الْعَصْرُ»، و{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحِ}، و{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}، وفي الثالثة:{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، و{تَبَّت}، و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد}»[٣].
- عن عمرو بن ميمون قال: " لما طعن عمر وهاج الناس، تقدم عبد الرحمن بن عوف فقرأ بأقصر سورتين في القرآن: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} و{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحِ}"[٤]. وفي لفظ:" لما " طعن عمر ماج الناس بعضهم في بعض , حتى كادت الشمس أن تطلع , فنادى مناد: الصلاة , فقدموا عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم , فقرأ بأقصر سورتين في القرآن: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} و{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ} , فلما أصبح دخل عليه الطبيب , وجرحه يسيل دما , فقال: أي الشراب أحب إليك؟ قال: النبيذ , فدعا بنبيذ , فشربه , فخرج من جرحه , فقال له الطبيب: أوصه فإني لا أظنك إلا ميتا من يومك أو من غد "[٥].
- عن أبيّ بن كعب، قال: قال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: «من قرأ إِنَّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ سقاه الله من أنهار الجنة وأعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل قربان قرّبة العباد في يوم عيد ويقربون من أهل الكتاب والمشركين»[٦]. [موضوع]

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٧/١.
(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ لهبة الله: ٢٠٦.
(٣) مسند أبي يعلى الموصلي(٤٦٠):ص٣٥٦/١.[إسناده ضعيف]
(٤) مسنف ابن أبي شيبة(٤٦٧١):ص٤٠٦/١، وانظر: الدر المنثور: ٦٤٦/٨.
(٥) مصنف ابن أبي شيبة(٣٧٠٦٤):ص٤٣٧/٧.
(٦) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٠٧/١٠. وانظر: تفسير مجمع البيان: ٤٥٨/١٠.[موضوع]

سورة «الكافرون»

«سورة الكافرون»: هي السورة التاسعة بعد المائة بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الماعون»، وقبل «سورة الفيل»، آياتها ست بالإجماع. وكلماتها ثمان وعشرون. وحروفها أربع وتسعون. فواصل آياتها على: «النون»[1].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:-أسماؤها التوقيفية:**

١-«سورة الكافرون»:

عنونت هذه السورة في المصاحف وفي معظم التفاسير[2]، «سورة الكافرون» بإضافة «سورة» إلى «الكافرون» وبثبوت «واو» الرفع في «الكافرون»، على حكاية لفظ القرآن الواقع في أولها.

ووقع في بعض كتب التفسير[3]: «سورة الكافرين» بياء الخفض في لفظ «الكافرين» بإضافة «سورة» إليه أن المراد: سورة ذكر الكافرين، أو نداء الكافرين.

وجه تسميتها سورة «الكافرون»، لوقوع لفظ: «الكافرون» في بداية السورة، قال تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} [الكافرون : ١].

١-سورة «قل يا أيها الكافرون»:

سميت في كلام الصحابة[4]، وبعض كتب التفسير: سورة «قل يا أيها الكافرون»، وبذلك عنونها البخاري في كتاب التفسير من «صحيحه»[5]. وهي تسمية للسورة بأول آية منها.

- **الثاني:- أسماؤها الاجتهادية:**

١-سورة «المقشقشة»:

تسمى هي و«سورة الإخلاص»: المقشقشتين، لأنهما تقشقشان من الشرك والنفاق، أي: تبرئان منه، يقال: قشقش: المريض إذا صح وبرأ[6].

روي عن زرارة بن أوفى، قال: "كانت هذه السورة تسمى: المقشقشة"[7].

عن أبي عمرو بن العلاء، قال: " كانت {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} تسمى المقشقشة، أي: أنها تبرئ من الشرك، ويقال: قشقش البعير إذا رمى بجرته"[8].

قال أبو عبيدة: " {قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ}، و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، يقال لهما: «المشقشتان»، ومعناه المبرّئتان من الكفر والشكّ والنفاق كما يقشقش الهناء الجرب فيبرئه"[9].

وقد وردت هذه التسمية في بعض كتب التفسير، وذكرها الفيروزآبادي في «البصائر»[10].

٢-سورة «الإخلاص»:

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٨/١.

(٢) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٦٥٩/٢٤، وبحر العلوم للسمرقندي: ٦٢٩/٣، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٦٩/٥، والكشف والبيان: ٣١٤/١٠، والنكت والعيون: ٣٥٧/٦، والوسيط للواحدي: ٥٦٤/٤، وتفسير البغوي: ٥٦١/٨، والكشاف: ٨٠٨/٤، والمحرر الوجيز: ٥٣١/٥، وزاد المسير: ٤٩٩/٤، ومفاتيح الغيب: ٣٢٣/٣٢، وتفسير القرطبي: ٢٢٤/٢٠، وغيرها.

(٣) ورد الاسم بهذه الصيغة في : الهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٤٧٣/١٢. روح البيان: ٥٢٦/١٠، كما جاء في بعض كتب علوم القرآن كإعراب القرآن للنحاس: ١٩٠/٥.

(٤) كما سيأتي في فضائل السورة.

(٥) انظر: صحيح البخاري: ١٧٨/٦.

(٦) انظر: اللسان: ص٣٣٦/٦، مادة«قشش».

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٥٢٠):ص٣٤٧١/١٠.

(٨) أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان"(٢٢٩٢):ص١٣٣/٤.

(٩) مجاز القرآن: ٦/١.

(١٠) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٨/١.

وتسمى أيضا «سورة الإخلاص»، كما وردت في بعض كتب التفسير[١]، ووجه تسميتها بذلك، لأنها منها إخلاص العبادة والدين، كما أن «قل هو الله أحد» في الإخصلاص والتوحيد واجتماع النفاق منهما محال لمن اعتقدهما وعمل بهما[٢].

وبذلك يكون هذان الاسمان« المقشقشة، والإخلاص» مشتركين بينها وبين سورة {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، وقد ذكر في سورة براءة أن سورة براءة تسمى المقشقشة لأنها تقشقش، أي: تبرئ من النفاق فيكون هذا مشتركا بين السور الثلاث فيحتاج إلى التمييز.

٣-سورة «العبادة»:

سماها بهذا الاسم السخاوي في «جمال القراء»[٣]، ونقلها عنه السيوطي[٤]، والألوسي في تفسيره،[٥] وفي الفتوحات وردت تسميتها بسورة «المعابدة»[٦]، فلعله تصحيف من «العبادة»، أو أن اللفظ من مشتقات «العبادة».

ووجه تسميتها بسورة «العبادة»، لأنها اشتملت على امر الله تعالى لرسوله-صلى الله عليه وسلم- بأن يعلن للمشركين بأنه لا يعبد ما يعبدون من الأصنام والأوثان والأحجار.

٤-سورة «المنابذة»:

ورد هذا الاسم عند الرازي[٧]، دون أن يعلل وجه تسميتها بذلك، وهو اجتهاد لم يثبت عن النبي-صلى الله عليه وسلم-.

٥-سورة «الدين»:

وفي «بصائر ذوي التمييز» للفيروزآبادي تسمى «سورة الدين»[٨]، ، وعلل تسميتها: لقوله تعالى: {وَلِيَ دِينِ} [الكافرون : ٦].

ووجد في مصحف نسخ سنة (١٢٥٧هـ) سماها سورة«الجحد»[٩]، ولم أجده عند أحد من المفسرين.

وجميع هذه الأسماء من اجتهاد العلماء، استنبطوها من المعاني التي تضمنتها السورة، أو للفظ ورد فيها، ولم يرد عن النبي-صلى الله عليه وسلم- ما يثبت ذلك.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

وفي مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها مكّيّة، قله ابن عباس[١٠]، وابن مسعود[١١]، والحسن[١٢]، وعكرمة[١٣]، والجمهور[١٤].

عن ابن عباس قال: " نزلت سورة: {قل يا أيها الكافرون} بمكة"[١٥].

---

(١) وردت هذه التسمية عند الرازي في "مفاتيح الغيب": ٣٢٣/٣٢، والألوسي في "روح المعاني": ٤٨٤/١٥.
(٢) انظر الفتوحات، للجمل: ٥٩٦/٤.
(٣) انظر: جمال القراء: ٢٠٢/١.
(٤) انظر: الإتقان في علوم القرآن: ١٩٦/١.
(٥) انظر: روح المعاني: ٤٨٤/١٥.
(٦) انظر: الفتوحات: ٥٩٦/٤.
(٧) انظر: مفاتيح الغيب: ٣٢٣/٣٢.
(٨) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٨/١.
(٩) مصحف مخطوط في جامعة الإمام رقم(٦٨٩٢).
(١٠) انظر: الدر المنثور: ٦٥٤/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(١١) انظر: النكت والعيون: ٣٥٧/٦، وزاد المسير: ٤٩٩/٤.
(١٢) انظر: النكت والعيون: ٣٥٧/٦، وزاد المسير: ٤٩٩/٤.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ٣٥٧/٦.
(١٤) انظر: زاد المسير: ٤٩٩/٤، و المحيط في التفسير: ٥٥٨/١٠.
(١٥) الدر المنثور: ٦٥٤/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

الثاني: أنها مدنيّة، في قول ابن الزبير[١]، وقتادة[٢]، والضحاك[٣]. وهو أحد قولي ابن عباس[٤].
عن ابن الزبير، قال: "أنزلت بالمدينة: {قل يا أيها الكافرون}"[٥].
قال ابن عطية:" هي مكية إجماعا"[٦].
قال أبو حيان:" هذه مكية في قول الجمهور"[٧].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها- أنه فى السورة السابقة أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بعبادته، والشكر له على نعمه الكثيرة، بإخلاص العبادة له، وفى هذه السورة التصريح بما أشير إليه فيما سلف [٨].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

تعظم مقاصد سورة الكافرون، لأنها تدعو المسلمين إلى البراءة من الشرك والضلال والثبات على الدين والعقيدة الصحيحة، وتتمثل مقاصد سورة الكافرون الإجمالية في الأمر بالتبرؤ من عبادة الكافرين، وأن يخاطبوا إذلالاً لهم واعزازاً لدين الله: إن رضيتم بدينكم، فقد رضينا بديننا، لكم جزاء دينكم، ولنا جزاء ديننا.
وقد جاءت مقاصد «سورة الكافرون» التفصيلية، كالتالي:

- حرص الدين الإسلاميّ على التحاور، ومحاولة تصحيح عقيدة المشركين الباطلة على الرغم من إصرارهم على الكفر، فرسالة الدين السمحة قادرة على التحاور مع الضالين ومحاججتهم للوصول إلى الحق.
- تذكير المسلمين بأنّ دين الإسلام هو دين الحق الذي لا يقبل المساومة، وأنّ عقيدة الكفّار باطلة، ومهما تعرّض الإسلام للهجمات من الأديان المختلفة، فسيكون شعار كل من آمن بالله هو ما قاله الله تعالى: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} [الكافرون : ٦].
- بيان جوهر الإسلام، والطريقة التي كان يتعامل معها النبي صلى الله عليه وسلم مع الكفّار، وفي ذلك إشارة واضحة إلى أنّ الإسلام هو دين يقبل الحريّات فلا إكراه في الدين، ومن أراد اتباع الباطل فهو في ضلال كبير.
- توضيح لطبيعة المشركين المراوغة، وتبدل أحوالهم ما بين التنازل عن مبادئهم والتحايل عليها، وقد أشارت سورة الكافرون إلى ضعف الإيمان عند الكفّار حتى بعقيدتهم الباطلة التي أصرّوا عليها؛ لأنّها من عند أجدادهم وليس لأنّها الحق.

قال الفيروزآبادي :" معظم مقصود السورة: يأس الكافرين من موافقة النبي - صلى الله عليه وسلم - بالإسلام والأعمال، في الماضي، والمستقبل، والحال، وبيان أن كل أحد مأخوذ بماله عليه إقبال، وعليه اشتغال"[٩].

- **الناسخ والمنسوخ:**

المنسوخ منها: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} [الكافرون : ٦]، نسختها: آية السيف[١٠].

---

(١) انظر: الدر المنثور: ٦٥٤/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٢) انظر: زاد المسير: ٤٩٩/٤.
(٣) انظر: النكت والعيون: ٣٥٧/٦.
(٤) انظر: النكت والعيون: ٣٥٧/٦.
(٥) الدر المنثور: ٦٥٤/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٦) المحرر الوجيز: ٥٣١/٥.
(٧) البحر المحيط في التفسير: ٥٥٨/١٠.
(٨) انظر: تفسير المراغي: ٢٥٤/٣٠.
(٩)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٨/١.
(١٠) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٨/١.

- **فضائل السورة:**

- عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من أصحابه: "هل تزوجت يا فلان؟ قال: لا والله يا رسول الله، ولا عندي ما أتزوج به، قال: أليس معك {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}؟ قال: بلى، قال: ثلث القرآن، قال: أليس معك {إذا جاء نصر الله والفتح}؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن قال: أليس معك: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن قال: أليس معك: {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ}؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن، قال: تزوج تزوج"[١].
- عن عائشة : أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سَرِيَّة، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختم فيختم بـ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال : "سلوه : لأيّ شيء يصنع ذلك ؟". فسألوه، فقال : لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها. فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "أخبروه أن الله تعالى يحبه"[٢].
- عن أنس قال : كان رجل من الأنصار يَؤمَهم في مسجد قُبَاء، فكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به افتتح بـ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، حتى يَفرُغ منها، ثم يقرأ سورة أخرى معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعة. فكلّمه أصحابه فقالوا : إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تُجزئُك حتى تقرأ بالأخرى، فإما أن تقرأ بها، وإما أن تدعها وتَقرأ بأخرى. فقال : ما أنا بتاركها، إن أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت، وإن كرهتم تركتكم. وكانوا يَرَونَ أنه من أفضلهم، وكرهوا أن يَؤمهم غيره. فلما أتاهم النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه الخبر، فقال : "يا فلان، ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك، وما حملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة ؟ ". قال : إني أحبها. قال : "حُبك إياها أدخلك الجنة"[٣].
- وعن أبي هريرة ﷺ قال: أقبلت مع النبي ﷺ فسمع رجلاً يقرأ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} فقال رسول الله ﷺ: «وجبت. قلت: وما وجبت؟ قال: الجنة»[٤].
- عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} حتى يختمها عشر مرات بنى الله له قصرًا في الجنة»، فقال عمر: إذن نستكثر يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «الله أكثر وأطيب»[٥].
- عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} يرددها، فلما أصبح جاء إلى النبي ﷺ، فذكر ذلك له، وكأن الرجل يتقالها، فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن»[٦].

---

(١) سنن الترمذي(٢٨٩٥):ص١٦/٥. وقال :"هذا حديث حسن".

(٢)صحيح البخاري برقم (٧٣٧٥)، صحيح مسلم برقم (٨١٣)، وسنن النسائي (٩٩٣).

(٣) صحيح البخاري برقم (٧٧٤)، سنن الترمذي برقم (٢٩٠١)، وقال: «غريب من حديث عبيد الله بن ثابت، وأخرجه أحمد ١٤١/٣ مختصرًا عن أنس قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ - فقال: "إني أحب هذه السورة {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}». فقال رسول الله ﷺ: «حبك إياها أدخلك الجنة".

(٤) أخرجه الترمذي في فضائل القرآن – ما جاء في سورة الإخلاص رقم(٢٨٩٧)، ومالك في الموطأ – كتاب القرآن – ما جاء في قراءة {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} رقم (٤٨٤).

(٥) أخرجه أحمد ٤٣٧/٣. قال ابن كثير في «تفسيره» ٥٤٤/٨: «تفرد به أحمد» وأخرجه الدارمي في مسنده من حديث سعيد بن المسيب بأطول من هذا، ذكره ابن كثير في «تفسيره» ٥٤٤/٨ وقال: «مرسل جيد».

(٦) أخرجه البخاري في الأيمان – باب كيف كان يمين النبي ﷺ، ٦٦٤٣، وفي فضائل القرآن – فضل {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} ٥٠١٣، ٥٠١٤، وفي التوحيد ٧٣٧٤، وأخرجه أبو داود في الصلاة ١٤٦١، والنسائي في الافتتاح ٩٩٥. وروى نحوه من حديث أبي مسعود البدري ﷺ أحمد ١٢٢/٤، وابن ماجه في الآداب – ثواب القرآن ٣٧٨٩.

- عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟» فشق ذلك عليهم، وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: «{اللَّهُ الصَّمَدُ} ثلث القرآن»(١).
- عن أبي سعيد ﷺ قال: بات قتادة بن النعمان يقرأ الليل كله بـ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «والذي نفسي بيده لتعدل نصف القرآن، أو ثلثه»(٢).
- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أحشدوا فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن». فحشد من حشد، ثم خرج النبي ﷺ، فقرأ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} ثم دخل، فقال بعضنا لبعض: قال رسول الله ﷺ: «فإني سأقرا عليكم ثلث القرآن، إني لأرى هذا خبرًا جاء من السماء»، ثم خرج نبي الله ﷺ، فقال: «إني قلت سأقرأ عليكم ثلث القرآن، ألا إنها تعدل ثلث القرآن»(٣).
- عن معاذ بن عبد الله بن خبيب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال له: «قل {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} والمعوذتين حين تمسي، وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء»(٤).
- عن عقبة بن عامر ﷺ قال: لقيت رسول الله ﷺ فابتدأته، فأخذت بيده، فقلت: يا رسول الله بم نجاة المؤمن؟ قال: «يا عقبة: أخرس لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك»(٥). قال: ثم لقيني رسول الله ﷺ فابتدأني فأخذ بيدي فقال: «يا عقبة بن عامر: ألا أعلمك خير ثلاث سور أنزلت في التوراة والإنجيل والزبور والقرآن العظيم؟» قال: قلت: بلى، جعلني الله فداك. قال: فأقرأني {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} و{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} ثم قال: «يا عقبة، لا تنسهن، ولا تبت ليلة حتى تقرأهن»، قال: فما نسيتهن منذ قال: «لا تنسهن»، وما بت ليلة قط، حتى أقرأهن. قال عقبة: ثم لقيت رسول الله ﷺ فابتدأته، فأخذت بيده، فقلت: يا رسول الله، أخبرني بفواضل الأعمال. فقال: «يا عقبة، صل من قطعك، وأعط من حرمك، وأعرض عمن ظلمك (٦)»(٧).

---

(١) أخرجه البخاري في فضائل القرآن – باب فضل {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} ٥٠١٥ وقد أخرج مسلم في صلاة المسافرين – فضل {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} ٨١١، وأحمد ٤٧٧/١ – من حديث أبي الدرداء ﷺ نحوه. وكذلك روى نحوه من حديث أبي أيوب الأنصاري - رحمه الله - عنه، أخرجه أحمد ٤١٨/٥-٤١٩، والترمذي في فضائل القرآن، فضل سورة الإخلاص ٢٨٩٦.
ومن حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط قالت: قال رسول الله ﷺ: «{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} تعدل ثلث القرآن». رواه النسائي في اليوم والليلة. انظر: «تفسير ابن كثير» ٥٤٢/٨.

(٢) أخرجها البخاري في فضائل القرآن ٥٠١٤، وأحمد ١٥/٣ – وروي معنى هذا من حديث أبي أيوب الأنصاري ﷺ، أخرجه أحمد ١٧٣/٢.

(٣) أخرجه مسلم في الصلاة، باب فضل {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} ٨١٢، والترمذي في فضائل القرآن – ما جاء في سورة الإخلاص ٢٩٠٠، وابن ماجه في الأدب ٣٧٨٧. وروي من حديث أبي بن كعب ﷺ، أو رجل من الأنصار قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} فكأنما قرأ بثلث القرآن». رواه أحمد فيما ذكره ابن كثير في «تفسيره» ٥٤١/٨.

(٤) أخرجه أبو داود في الأدب، باب ما يقول إذا أصبح ٥٠٨٢، والنسائي في الاستعاذة ٥٤٢٨، ٥٤٢٩، والترمذي في الدعوات ٣٥٧٥. وحسنه الألباني، وأحمد ٣١٢/٥.

(٥) في هذا التوجيه الكريم: التحذير من فضول الكلام، وفضول مخالطة الأنام، والحث على صدق الإنابة والتوبة من الآثام – والله المستعان.

(٦) هذه الصفات الثلاث لا تتوفر إلا لمن وفقه للتذرع بالصبر كما قال عز وجل {وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} سورة فصلت، الآية (٣٥).

(٧) أخرجه أحمد ١٥٨/٤-١٥٩، والترمذي مختصرًا وليس فيه ذكر خيرية هذه السور في الزهد – ما جاء في حفظ اللسان ٢٤٠٦، وقال: «حديث حسن».
وهذا الحديث إن صح لا يعارض ما ثبت في صحيح البخاري وغيره من حديث أبي سعيد بن المعلى وغيره من أن سورة الفاتحة هي أفضل وأعظم سورة في القرآن، وتكون خيرية هذه السور الثلاث بين سور القرآن ما عدا سورة الفاتحة التي هي أفضل سورة في القرآن بدلالة الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

- عن عائشة -رضي الله عنها-:" أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ}، ثم يمسح ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات»"(١).
- عن سليمان بن بريدة عن أبيه ﷺ أنه دخل مع رسول الله ﷺ المسجد فإذا رجل يصلي يدعو، يقول: «اللهم إني أسألك بأني أشهد أن لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد». قال: «والذي نفسي بيده لقد سأله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعى به أجاب»(٢).
- عن محمد الثقفي قال :" سمعت أنس بن مالك يقول : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك ، فطلعت الشمس بضياء وشعاع ونور لم نرها طلعت فيما مضى بمثله ، فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا جبريل ، ما لي أرى الشمس طلعت اليوم بضياء ونور وشعاع لم أرها طلعت بمثله فيما مضى ؟ ". قال : إن ذلك معاوية بن معاوية الليثي ، مات بالمدينة اليوم ، فبعث الله إليه سبعين ألف ملك يصلون عليه. قال : "وفيم ذلك ؟ " قال : كان يكثر قراءة : " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ " في الليل وفي النهار ، وفي ممشاه وقيامه وقعوده ، فهل لك يا رسول الله أن أقبض لك الأرض فتصلي عليه ؟ قال : "نعم". فصلى عليه"(٣).
- عن عطاء بن أبي ميمونة ، عن أنس قال : نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : مات معاوية بن معاوية الليثي ، فتحب أن تصلي عليه ؟ قال : "نعم". فضرب بجناحه الأرض ، فلم تبق شجرة ولا أكمة إلا تضعضعت ، فرفع سريره فنظر إليه ، فكبر عليه وخلفه صفان من الملائكة ، في كل صف سبعون ألف ملك ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "يا جبريل ، بم نال هذه المنزلة من الله تعالى ؟ ". قال بحبه : " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ " وقراءته إياها ذاهبًا وجائيًا قائمًا وقاعدًا ، وعلى كل حال"(٤).
- عن عقبة بن عامر قال : لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فابتدأته فأخذتُ بيده ، فقلت : يا رسول الله ، بم نجاة المؤمن ؟ قال : "يا عقبة ، احْرُسْ لسانك وليسعك بيتُك ، وابْكِ على خطيئتك". قال : ثم لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فابتدأني فأخذ بيدي ، فقال : "يا عقبة بن عامر ، ألا أعلمك خير ثلاث سُوَر أنزلت في التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، والقرآن العظيم ؟". قال : قلت : بلى ، جعلني الله فداك. قال : فأقرأني : " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ " و " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ " و " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاس " ثم قال : "يا عقبة ، لا تَنْسَهُن ولا تُبتْ ليلة حتى تقرأهن". قال : فما نسيتهن منذ قال : "لا تنسهن" ، وما بت ليلة قط حتى أقرأهن. قال عقبة ، ثم لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتدأته ، فأخذت بيده ، فقلت : يا رسول الله ، أخبرني بفواضل الأعمال. فقال : "يا

---

(١)صحيح البخاري برقم (٥٠١٧) وسنن أبي داود برقم (٥٠٥٦) وسنن الترمذي برقم (٣٤٠٢) وسنن النسائي الكبرى برقم (١٠٦٢٤) وسنن ابن ماجة برقم (٣٨٧٥).

(٢) سنن أبي داود برقم (١٤٩٣) وسنن الترمذي برقم (٣٤٧٥)، وسنن ابن ماجة برقم (٣٨٥٧)، وسنن النسائي الكبرى كما في "تحفة الأشراف" للمزي (٩٠/٢).

(٣)مسند أبي يعلى (٢٥٦/٧)، ودلائل النبوة (٢٤٥/٥).

قال ابن كثير: ٥٢٦/٨:" وكذا رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب دلائل النبوة" من طريق يزيد بن هارون ، عن العلاء أبي محمد - وهو متهم بالوضع - فالله أعلم".

(٤)مسند أبي يعلى (٢٥٨/٧)،و دلائل النبوة (٢٤٦/٥) ورواه ابن الضريس في فضائل القرآن برقم (٢٧٢) ، من طريق محبوب بن هلال به ، وساقه ابن كثير في "البداية والنهاية" من رواية البيهقي (١٤/٥) ، وقال : "منكر من هذا الوجه".

عقبة ، صِلْ من قطعك ، وأعْطِ من حَرَمَك ، وأعرض عمن ظلمك"[1].

- عن أبي هريرة، " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في ركعتي الفجر: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} "[2].[صحيح]
- عن ابن عمر:"أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في الركعتين قبل الفجر، والركعتين بعد المغرب، بضعا وعشرين مرة أو بضع عشرة مرة: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} "[3].[صحيح]
- عن علي قال: «لدغت النبي - صلى الله عليه وسلم - عقرب وهو يصلي، فلما فرغ قال: " لعن الله العقرب لا تدع مصليا ولا غيره " ثم دعا بماء وملح، فجعل يمسح عليها ويقرأ: " {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ}، و{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ}»[4].[حسن]
- عن علي، قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوتر بتسع سور من المفصل، قال أسود: يقرأ في الركعة الأولى {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ} و {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} و {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا} وفي الركعة الثانية {وَالْعَصْرِ} و {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} و {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} وفى الركعة الثالثة: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} و {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}"[5].

---

(١)المسند (١٤٨/٤)، وسنن الترمذي برقم (٢٤٠٦) ، وفي إسناده عبيد الله بن زحر وعلى بن يزيد والقاسم كلهم ضعفاء ، قال ابن حبان في عبيد الله بن زحر : "يروي الموضوعات عن الأثبات ، وإذا روي عن علي بن يزيد أتى الطامات ، وإذا اجتمع في إسناده خبر عبيد الله ، وعلي بن يزيد ، والقاسم - أبو عبد الرحمن - لم يكن ذلك الخبر إلا مما عملته أيديهم".

(٢) صحيح مسلم(٧٢٦):ص٥٠٢/١.

(٣) المسند(٤٧٦٣):ص٣٨١/٨. إسناده صحيح على شرط الشيخين إسرائيل هو ابن يونس بن أبي إسحاق وسماعه من جده أبي إسحاق وهو عمرو بن عبد الله السبيعي - فى غاية الإتقان للزومه إياه ومجاهد: هو ابن جبر المكي وأخرجه الطحاوي في "شرح معاني الآثار" ٢٩٨/١ من طريق عبد الله بن رجاء، وأبي نعيم، كلاهما عن إسرائيل، بهذا الإسناد.

وأخرجه الطيالسي (١٨٩٣) وابن أبي شيبة ٢٤٢/٢، والطبراني في "الكبير" (١٣٥٢٨) ، والبيهقي في "السنن" ٤٣/٣ من طريق أبي الأحوص سلام بن سليم، عن أبي إسحاق، به.

وأخرجه النسائي في "المجتبى" ١٧٠/٢، والبيهقي في "السنن" ٤٣/٣ من طريق أبي الجواب، عن عمار بن رزيق، عن أبي إسحاق، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، به. ورواية غير عمار بن رزيق عن أبي إسحاق بعدم ذكر إبراهيم بن مهاجر أصح وأقوى.

وأخرجه الطبراني في "الكبير" (١٣١٢٣) من طريق عبد العزيز بن عمران، عن ابن أخي الزهري، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه، دون ذكر ركعتي المغرب.

وعبد العزيز بن عمران متروك.

وأخرجه ابن عدي في "الكامل " ٢٦٤٨/٧ من طريق يحيى بن أبي أنيسة، عن نفيع بن الحارث، عن ابن عمر، به. دون ذكر ركعتي المغرب. ويحيى بن أبي أنيسة ضعيف.

وانظر: الحديث في: مسند أحمد-أيضا- برقم (٤٩٠٩) و (٥٦٩١) و (٥٦٩٩) و (٥٧٤٢) ، وتكرر برقم وفي الباب في ركعتي الفجر: عن أبي هريرة عند مسلم (٧٢٦) ، وأبي داو (١٢٥٦) ، والنسائي ١٥٦/٢، وابن ماجه (١١٤٨) .

وعن جابر عند ابن حبان (٢٤٦٠) .

وعن أنس عند الطحاوي في "شرح معاني الآثار" ٢٩٨/١.

وعن عائشة سيرد ١٨٤/٦.

وفي ركعتي الفجر والمغرب معا: عن ابن مسعود عند ابن ماجه (١١٦٦) ، والطحاوي في "شرح معاني الآثار" ٢٩٨/١.

قال السندي: قوله: "بضعا وعشرين مرة": يريد أنه كان يقرأ السورتين في الركعتين المذكورتين مرارا، لا أنه قرأهما مرة أو مرتين في عمره، ثم ترك، ويستبعد أن يكون مراده التكرار دفعة، لأن مبنى سنة الفجر على التخفيف، والله تعالى أعلم.

(٤) مجمع الزوائد(٨٤٤٥):ص١١١/٥. قال الهيثمي:" رواه الطبراني في الصغير، وإسناده حسن".

(٥) المسند(٦٧٨):ص٩٧/٢-٩٨. إسناده ضعيف لضعف الحارث الأعور.

وأخرجه عبد بن حميد (٦٨) ، والبزار (٨٥١) ، ومحمد بن نصر المروزي في "مختصر قيام الليل" ص ١٣٠، وأبو يعلى

- عن أنس «أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ في ركعتي الفجر: {قل يا أيها الكافرون} [الكافرون: ١]، و {قل هو الله أحد} [الإخلاص: ١]"[١].
- عبد الله بن مسعود قال: " ما أحصي ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الركعتين قبل صلاة الفجر، وفي الركعتين بعد المغرب بـ {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُون} [الكافرون: ١] و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد} [الإخلاص: ١]"[٢].
- عن عبد الله بن مسعود قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم " يقرأ في الوتر في الركعة الأولى بـ {سَبِّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى: ١]، وفي الثانية: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} [الكافرون: ١]، وفي الثالثة: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: ١]" [٣].
- وعن أبي هريرة: "عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يقرأ في الركعة الأولى من الوتر بـ : {سَبِّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى: ١]، وفي الثانية: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} [الكافرون: ١]، وفي الثالثة: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: ١] والمعوذتين"[٤].
- عن علي، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بتسع سور في الركعة الأولى:{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}، و{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}، و{إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ}، وفي الثانية «الْعَصْرُ»، و{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْح}، و{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَر}، وفي الثالثة:{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُون}، و{تَبَّت}، و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد}»[٥].
- عن فروة بن نوفل، قال: أتيت المدينة، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما جاء بك؟» قال: قلت: لتعلمني كلمات إذا أخذت مضجعي، قال: «اقرأ: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُون}، فإنها براءة من الشرك»[٦].
- عن عبد الله بن الحارث بن عبد المطلب قال: «آخر صلاة صلاها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المغرب فقرأ في الركعة الأولى: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى : ١]، وفي الثانية: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُون} [الكافرون: ١]»[٧].
- وعن علي «أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ على المنبر : {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} [الكافرون: ١]، وفي الثالثة: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: ١]»[٨].

---

(٤٦٠) ، والطحاوي ٢٩٠/١ من طرق عن إسرائيل، بهذا الإسناد.
(١) رواه البزز كما في "مجمع الزوائد"(٣٣٠٦):ص٢١٨/٢.
(٢) مسند أبي يعلى الموصلي(٥٠٤٩):ص٤٦٣/٨.[إسناده ضعيف]
(٣) مسند أبي يعلى الموصلي(٥٠٥٠):ص٤٦٤/٨.[إسناده ضعيف]، وانظر: مجمع الزوائد(٣٤٦٤):ص٢٤٣/٢، قال الهيثمي:" رواه أبو يعلى والبزار والطبراني في الكبير والأوسط، وفيه عبد الملك بن الوليد بن معدان وثقه ابن معين وضعفه البخاري وجماعة".
(٤) مجمع الزوائد(٣٤٦٦):ص٢٤٣/٢، قال الهيثمي:" رواه الطبراني في الأوسط عن المقدام بن داود وهو ضعيف".
(٥) مسند أبي يعلى الموصلي(٤٦٠):ص٣٥٦/١.[إسناده ضعيف]
(٦) مسند أبي يعلى الموصلي(١٥٩٦):ص١٦٩/٣.[إسناده ضعيف لانقطاعه]
(٧) مجمع الزوائد(٢٧٠٥):ص١١٨/٢. قال الهيثمي:" رواه الطبراني في الكبير وفيه حجاج بن نصير ضعفه ابن المديني وجماعة، ووثقه ابن معين في رواية ووثقه ابن حبان".
(٨) مجمع الزوائد(٣١٥٦):ص١٩٠/٢. قال الهيثمي:" رواه الطبراني في الأوسط وقال: تفرد به إسحاق بن زريق قلت: ولم أجد من ترجمه وبقية رجاله موثقون".

- عن ابن عمر قال: «صلى النبي - صلى الله عليه وسلم - صلاة الفجر في سفر فقرأ: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} [الكافرون: ١] و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: ١] ثم قال: " قرأت بكم ثلث القرآن، وربعه»[١].
- عن ليث، قال: حدثني أبو محمد، قال: رمقت ابن عمر شهرا فسمعته في الركعتين، قبل صلاة الصبح يقرأ: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، قال: فذكرت له ذلك فقال: " رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا أو خمسة وعشرين يوما يقرأ في الركعتين قبل صلاة الصبح: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، وقال: «إن إحداهما تعدل بثلث القرآن، والأخرى بربع القرآن، {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} تعدل بثلث القرآن، و{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} تعدل بربع القرآن»[٢].
- عن ابن شهاب قال: "قراءة {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}، فإنهما يغنيان من الفقر"[٣].
- عن جابر بن عبد الله، قال: "أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعا بالمدينة لم يحج. ثم أذن في الناس بالخروج، فلما جاء ذا الحليفة صلى بذي الحليفة. وولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبي بكر، فأرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «اغتسلي واستثفري بثوب وأهلي» قال: ففعلت، فلما اطمأن صدر راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم على ظهر البيداء أهل، وأهللنا لا نعرفه إلا الحج وله خرجنا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا، والقرآن ينزل عليه، وهو يعرف تأويله، وإنما يفعل ما أمر به [ص:٢٤]. قال جابر: فنظرت بين يدي، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي مد بصري، والناس مشاة وركبان، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبي: «لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك»، فلما قدمنا مكة بدأ فاستلم الركن فسعى ثلاثة أطواف ومشى أربعة، فلما فرغ من طوافه انطلق إلى المقام فقال: " قال الله {وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى} [البقرة: ١٢٥] فصلى خلف مقام إبراهيم ركعتين، قال جعفر: قال أبي: كان يقرأ فيهما بالتوحيد: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد} - قال: ولم يذكر ذلك عن جابر -، ثم انطلق إلى الركن فاستلمه ثم انطلق إلى الصفا فقال [ص:٢٥]: " نبدأ بما بدأ الله به {إن الصفا والمروة من شعائر الله} [البقرة: ١٥٨] " فرقي على الصفا حتى بدا له البيت، فكبر ثلاثا وقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير» ثلاثا ثم دعا في ذلك ثم هبط من الصفا فمشى حتى إذا انصبت قدماه في بطن المسيل سعى، حتى إذا صعدت قدماه من بطن المسيل مشى إلى المروة، فرقي على المروة حتى بدا له البيت، فقال مثل ما قال على الصفا، فطاف سبعا، وقال: " من لم يكن معه هدي فليحل، ومن كان معه هدي فليقم على إحرامه، فإني لولا أن معي هديا لحللت، ولو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لأهللت بعمرة، قال: وقدم علي من اليمن، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «بأي شيء أهللت يا علي؟» قال: قلت: اللهم إني أهل بما أهل به رسولك، قال: «فإن معي هديا فلا تحل»، قال علي: فدخلت على فاطمة وقد اكتحلت ولبست ثيابا صبيغا فقلت: من أمرك بهذا؟ فقالت: أبي أمرني، قال: وكان علي يقول بالعراق: فانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم محرشا على فاطمة مستثبتا في الذي قالت، فقال: «صدقت أنا أمرتها»، قال: ونحر

---

(١) مجمع الزوائد(٢٧١٨):ً١٢٠/٢. قال الهيثمي:" رواه الطبراني في الكبير وفيه جعفر بن أبي جعفر وقد أجمعوا على ضعفه".

(٢) مسند أبي يعلى الموصلي(٥٧٢٠):ص٨٢/١٠.[إسناده ضعيف]

(٣) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٥٩):ص٣٦/٣.

رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة - من ذلك بيده ثلاثا وستين - ونحر علي ما غبر، ثم أخذ من كل بدنة قطعة فطبخ جميعا فأكلا من اللحم وشربا من المرقة، فقال سراقة بن مالك بن جعشم: يا رسول الله ألعامنا هذا أم للأبد؟ قال: «لا بل للأبد، دخلت العمرة في الحج» وشبك بين أصابعه"[١].

(١) مسند أبي يعلى الموصلي(٢٠٢٧):ص٢٣/٤. [إسناده صحيح]

سورة «النصر»

«سورة النصر»: هي السورة العاشرة بعد المائة بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الحشر»، وقبل «سورة النور»، وهذا جار على رواية: «أنها نزلت عقب غزوة خيبر». وعن ابن عباس: «أنها آخر سورة نزلت من القرآن»[١]، فتكون على قوله السورة المائة وأربع عشرة –حسب ترتيب النزول-، نزلت بعد «سورة براءة»، ولم تنزل بعدها سورة أخرى.

وعدد آياتها ثلاث. وكلماتها ست وعشرون. وحروفها أربع وسبعون. فواصل آياتها على «الحاء» و«الألف». وليس في القرآن آية على «الحاء» غير {الْفَتْحُ} [النصر : ١][٢].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:-اسمها التوقيفي: «سورة النصر»:**

سميت في المصاحف وفي معظم التفاسير[٣]: «سورة النصر»، لذكر نصر الله فيها، قال تعالى: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} [النصر : ١]، فسميت بالنصر المعهود عهدا ذكريا.

- **الثاني:- أسماؤها الاجتهادية:**

١-سورة «إذا جاء نصر الله والفتح»:

سميت هذه السورة في كلام السلف[٤] سورة « إذا جاء نصر الله والفتح»، وعنونها البخاري في «صحيحه»[٥]، باسم: سورة « إذا جاء نصر الله»، وهي تسمية بأول آية من السورة، وذلك في قوله تعالى: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} [النصر : ١].

وفي «روح المعاني» للألوسي، أنها تسمى سورة «إذا جاء»[٦].

٢-سورة «التوديع»:

ذكر السخاوي[٧] أنها تسمى: «سورة التوديع»، معللا: "لما فيها من الإيماء إلى وفاة رسول الله -صلى الله عليه وسلم -"[٨]. يعني: من الإشارة إلى اقتراب لحاقه بالرفيق الأعلى كما سيأتي عن عائشة.

قال الماوردي:" وهذه السورة تسمى التوديع ، عاش النبي بعدها حولاً على قول مقاتل ، وحولين على قول ابن عباس"[٩].

قال الفيروزآبادي: سميت سورة التوديع، لما فيه من بيان نعى المصطفى صلى الله عليه وسلم"[١٠].

٣-سورة «الفتح»:

---

(١)أخرجه مسلم (٣٠٢٤).

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٥٠/١.

(٣) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٦٦٥/٢٤، وتأويلات أهل السنة: ٦٣٤/١٠، وبحر العلوم للسمرقندي: ٦٣١/٣، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٧٠/٥، وتفسير ابن فورك: ٢٩٣/٣، والكشف والبيان: ٣١٨/١٠، والهداية إلى بلوغ النهاية: ١٤٧١/١٢، والنكت والعيون: ٣٥٩/٦، وتفسير السمعاني: ٢٩٦/٦، وتفسير البغوي: ٥٦٥/٨، والكشاف: ٨١٠/٤، والمحرر الوجيز: ٥٣٢/٥، ومفاتيح الغيب: ٣٣٤/٣٢، وتفسير القرطبي: ٢٢٩/٢٠، وغيرها.

(٤) انظر: الروايات في مكان نزول السورة.

(٥) انظر: صحيح البخاري: ١٧٨/٦.

(٦) انظر: روح المعاني: ٤٩١/١٥.

(٧) انظر: جمال القراء: ٩٤. وعزاه الألوسي في «روح المعاني»:٤٩١/١٥ إلى ابن مسعود. ولم أقف عليه فيما عندي من المصادر.

(٨) جمال القراء: ٩٤، ونقله عنه في "الإتقان ": ١٩٦/١.

(٩) النكت والعيون: ٣٦٢/٦.

(١٠)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٥٠/١.

وسميت سورة «الفتح»، كما في «سنن الترمذي»[1]، وذلك لوقوع هذا اللفظ فيها فيكون هذا الاسم مشتركا بينها وبين سورة: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا} [الفتح : ١].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس قال: " أنزل بالمدينة: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}"[2].

عن ابن الزبير قال: "أنزل: {{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ}، بالمدينة"[3].

عن عطاء بن يسار قال: "نزلت سورة :{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} كلها بالمدينة بعد فتح مكة، ودخولها الناس في الدين، ينعي إليه نفسه"[4].

قال ابن عطية:" هي مدنية بإجماع"[5].

قال ابن الجوزي:" هي مدنيّة بإجماعهم"[6].

قال الزمخشري:" نزلت بمنى في حجة الوداع، فتعد مدنية، وهي آخر ما نزل من السور"[7].

قال أبو حيان:" هذه مدنية، نزلت منصرفه صلى الله عليه وسلم من غزوة خيبر، وعاش بعد نزولها سنتين"[8].

عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: "قال لي ابن عباس: تعلم - وقال هارون: تدري - آخر سورة نزلت من القرآن، نزلت جميعا؟ قلت: «نعم، {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}»، قال: صدقت"[9].

وعن ابن عمر، قال: "نزلت هذه الآية: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} علي رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسط أيام التشريق، وعرف أنه الوداع، فأمر براحلته القصواء فرحلت له فركب فوقف بالعقبة واجتمع الناس فذكر الحديث في وضع الدم والربا واستدارة الزمان، ثم قال: وإنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما، وذلك أنهم كانوا يجعلون صفر عاما حراما، وعاما حلالا، وعاما حراما، وذلك النسيء. أيها الناس! من كانت عنده وديعة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، أيها الناس! إنه لا يحل لامرئ من مال أخيه شيء إلا ما طابت به نفسه وذكر الحديث"[10].

عن ابن عباس رضي الله عنه، في قول الله عز وجل: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} [النصر: ١]، قال: «فتح مكة، نعيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه، فاستغفر ربك، واعلم أنه قد حضر أجلك»[11].

فهذه السورة مدنية بالاتفاق. واختلف في وقت نزولها، على أقوال:

فقيل: نزلت منصرف النبي -صلى الله عليه وسلم- من خيبر –أي: في سنة سبع-، ويؤيده ما رواه الطبري والطبراني عن ابن عباس، قال: «لما نزلت: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} السورة، نعيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه حين أنزلت، فأخذ في أشد ما كان اجتهادا من أمر الآخرة، ثم قال رسول الله -

---

(١) انظر: سنن الترمذي: ٤٥٠/٥.
(٢) الدر المنثور: ٦٥٩/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٣) الدر المنثور: ٦٥٩/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٤) أخرجه الطبري: ٦٧٠/٢٤.
(٥) المحرر الوجيز: ٥٣٢/٥.
(٦) زاد المسير: ٥٠١/٤.
(٧) الكشاف: ٨١٠/٤.
(٨) البحر المحيط في التفسير: ٥٦٢/١٠.
(٩)صحيح، أخرجه مسلم (٣٠٢٤) والنسائي في «التفسير» ٧٣٣ عن ابن عباس به.
(١٠) أخرجه البيهقي في "دلائل النبوة": ٤٤٧/٥. وانظر: الدر المنثور: ٦٥٩/٨، وزاد نسبة إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد والبزار وأبو يعلى وابن مردويه.
(١١) المعجم الأوسط للطبراني(٥٢٤):ص١٦٧/١.

صلى الله عليه وسلم- بعد ذلك: «جاء نصر الله وجاء الفتح، وجاء أهل اليمن». فقال له رجل: يا رسول الله، وما أهل اليمن؟ قال: «قوم رقيقة أفئدتهم، لينة قلوبهم، الإيمان يمان، والفقه يمان»[١].

ومجيء أهل اليمن أول مرة هو مجيء وفد الأشعريين عام غزوة خيبر.

ولم يختلف أهل التفسير أن المراد بالفتح في الآية هو فتح مكة، وعليه فالفتح مستقبل ودخول الناس في الدين أفواجا مستقبل أيضا وهو الأليق باستعمال {إذا}، ويحمل قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «جاء نصر الله والفتح» على أنه استعمال الماضي في معنى المضارع

لتحقق وقوعه أو لأن النصر في خيبر كان بادرة لفتح مكة.

قال ابن عباس:" هذه السورة عَلَمٌ وحَدٌّ حدّه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم، ونعى له نفسه. إي إنك لن تعيش بعدها إلا قليلا"[٢].

قال قتادة: "والله ما عاش، بعد ذلك إلا قليلا سنتين، ثم توفي صلى الله عليه وسلم"[٣].

ونقل الواحدي عن ابن عباس: أنها «نزلت في منصرف النبي- صلى الله عليه وسلم- من غزوة حنين، وعاش بعد نزولها سنتين»[٤].

فيكون الفتح قد مضى ودخول الناس في الدين أفواجا مستقبلا، وهو في سنة الوفود سنة تسع، وعليه تكون {إذا} مستعملة في مجرد التوقيت دون تعيين.

وروى عن ابن عمر أنها :«نزلت أواسط أيام التشريق»[٥]، أي: عام حجة الوداع، وإن صحت هذه الرواية، كان الفتح ودخول الناس في الدين أفواجا قد مضيا.

وفي عمدة القاري:« أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عاش بعد حجة الوداع نحوا من ثلاثة أشهر»[٦]. وعليه تكون {إذا} مستعملة للزمن الماضي، لأن الفتح ودخول الناس في الدين قد وقعا.

وقد تظافرت الأخبار رواية وتأويلا أن هذه السورة تشتمل على إيماء إلى اقتراب أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في ذلك ما يرجح أحد الأقوال في وقت نزولها إذ لا خلاف في أن هذا الإيماء يشير إلى توقيت بمجيء النصر والفتح ودخول الناس في الدين أفواجا فإذا حصل ذلك حان الأجل الشريف.

---

(١) المعجم الأوسط للطبراني(١٩٩٦):ص٢٨٤/٢.

(٢) أخرجه الطبري: ٦٧١/٢٤.

(٣) أخرجه الطبري: ٦٧١/٢٤.

(٤) أسباب النزول للواحدي: ٤٩٧.

عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة حنين ، وأنزل الله تعالى: { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْح }، قال: يا علي بن أبي طالب ويا فاطمة! قد جاء نصر الله والفتح، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا، فسبحان ربي وبحمده، وأستغفره إنه كان توابا".

ضعيف: قال البخاري: عبد الله بن كيسان له ابن يسمى إسحاق منكر الحديث وقال ابن حبان:

يتقى حديث عبد الله بن كيسان من رواية ابنه عنه.

والحديث عزاه السيوطي في الدر (٦/ ٤٠٧) للطبراني؟

(٥) أخرجه البيهقي في "دلائل النبوة": ٤٤٧/٥. وضعفه ابن رجب بأن فيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف. وقال أحمد بن حنبل: لا تحل الرواية عنه.

(٦) انظر: عمدة القاري: ٢٦٤/١.

ومن الآيات القرآنية التي أشارت إلى قرب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم قول الله تعالى :{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً} [المائدة:٣]، أخرج الطبري(١١٠٨٣)ص:٥١٩/٩ بسنده، قال :حدثنا سفيان قال حدثنا ابن فضيل عن هارون بن عنترة عن أبيه قال لما نزلت: اليوم أكملت لكم دينكم وذلك يوم الحج الأكبر بكى عمر، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ما يبكيك؟ قال: أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذا أكمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص، فقال: صدقت".

قال ابن كثير:" كانت وفاته -عليه السلام- بعد أحد وثمانين يوما من يوم الحج الأكبر ". [البداية والنهاية ٥/ ١١٧]

وفي حديث ابن عباس في «صحيح البخاري» :«هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله له: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} [النصر: ١]: فتح مكة، فذاك علامة أجلك: {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا} [النصر : ٣]» (١).

قال ابن عباس: "لما نزلت: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}، دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة، فقال: «إنه قد نعيت إلي نفسي» فبكت، فقال: «لا تبكين، فإنك لأول أهلي لاحق بي» ، فضحكت. فرآها بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت لها: رأيناك بكيت، ثم ضحكت. فقالت: إنه قال لي: «نعيت إلي نفسي» فبكيت، فقال: «لا تبكي، فإنك أول أهلي لاحق بي»، فضحكت"(٢).

وفي هذا الحديث ما يؤول من إشارة إلى اقتراب ذلك الأجل، فإن قوله: «لما نزلت» مدرج من الراوي، وإنما هو إعلام لها في مرضه كما جاء في حديث الوفاة في «الصحيحين» فهذا جمع بين ما يلوح منه تعارض في هذا الشأن(٣).

قال البيهقي:" مجموع هذه الأخبار الصحيحة تدل على أن الله تعالى: أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم هذه السورة. فكانت علامة لاقتراب أجله. وعارضه جبريل- عليه السلام- بالقرآن في ذلك العام مرتين، فكانت علامة أخرى لأجله، وأخبره بعمر عيسى عليه السلام، فكانت علامة أخرى لأجله، وخيره بين الدنيا والآخرة فيما روينا، وفيما نرويه إن شاء الله فاختار الآخرة. فكانت علامة أخرى لأجله"(٤).

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها- أنه لما ذكر في السورة السابقة اختلاف دين الرسول الذي يدعو إليه، ودين الكفار الذي يعكفون عليه- أشار في هذه السورة إلى أن دينهم سيضمحل ويزول، وأن الدين الذي يدعو إليه سيغلب عليه، ويكون هو دين السواد الأعظم من سكان المعمورة (٥).

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

تتمثل مقاصد سورة النصر الإجمالية في الإعلام بتمام الدين اللازم عنه مدلول اسمها النصر، اللازم عنه موت النبي صلى الله عليه وسلم، اللازم عنه العلم بأنه ما برز إلى عالم الكون والفساد إلا لإعلاء كلمة الله تعالى وإدحاض كلمة الشيطان، لعنة الله تعالى عليه، اللازم عنه أنه صلى الله عليه وسلم خلاصة الوجود، وأعظم عبد للولي الودود، وعلى ذلك أيضا دل اسمها التوديع وحال نزولها وهو أيام التشريق من سنة حجة الوداع.

وقد جاءت مقاصد «سورة النصر» التفصيلية، على النحو الآتي:

١ – تبشير النبي -صلى الله عليه وسلم- بنصر الله -سبحانه وتعالى- له.

٢ – تحقيق البشارة الربانية التي وعد الله -تعالى- بها نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم؛ حيث جاء النصر من الله -سبحانه وتعالى- لنبيه كما بشره به، وتم تمكين المسلمين من مكة المكرمة، وجميع نواحيها.

---

(١) رواه البخاري (٤٢٩٤):ص١٤٩/٥، والبيهقي في "دلائل النبوة: ٤٤٦/٥.
نص الحديث:
عن ابن عباس، قال: كان عمر رضي الله عنه يدخلني مع أشياخ بدر، فقالوا: لم تدخل أو تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من قد علمتم، قال: فدعاهم ذات يوم فأدخلني معهم فرأيته دعاني يومئذ ليريهم مني فقال: ما تقولون في {إذا جاء نصر الله والفتح}، إلى آخر السورة، قال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا فتح الله علينا، قال: وسكت بعضهم، فقال عمر: كذلك تقول يا ابن عباس؟ قلت: هو أجل النبي صلى الله عليه وسلم أعلمه إياه: {إذا جاء نصر الله والفتح} فذلك علامة أجلك، {فسبح بحمد ربك واستغفره}، فقال عمر: ما أعلم منها إلا تعلم".
(٢) المعجم الأوسط للطبراني(٨٨٣):ص٢٧١/١، و"دلائل النبوة، للبيهقي: ١٦٧/٧
(٣) انظر: روح المعاني: ٤٩١/١٥، والتحرير والتنوير: ٥٨٨/٣٠-٥٨٩.
(٤) دلائل النبوة: ١٦٧/٧.
(٥) انظر: تفسير المراغي: ٢٥٧/٣٠.

٣- دخول الناس في دين الإسلام أفواجا، بخلاف ما كان عليه الأمر قبل فتح مكة المكرمة؛ حيث كان دخول الناس في الإسلام حينذاك بأعداد فردية.

٤- تحقيق معنى أن النصر بيد الله سبحانه وتعالى، حيث قال الله تعالى: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} [النصر : ١]، وقال أيضا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} [محمد : ٧].

٥- أمر الرسول -صلى الله عليه وسلم- والمسلمين، بشكر الله -تعالى- وحمده على نعمتي النصر والفتح.

٦- وجوب تنزيه الله -تعالى- عن النقائص والعيوب.

٧- تحقيق معنى الكمال المطلق لله -سبحانه وتعالى- في قلوب المسلمين.

٨- تذكير المؤمنين بنعم الله -تعالى- وفضائله التي لا تحصى.

٩- توجيه الأمر إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- بالاستغفار، وهو أمر له ولأمته.

١٠- الإشارة إلى أن نصر الله -تعالى- لدين الإسلام لا يتوقف، ويزداد نصر الله للمسلمين بازدياد حمده واستغفاره وتسبيحه؛ فقد قال الله تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إبراهيم : ٧].

قال الفيروزآبادي :" معظم مقصود السورة: بيان نعيه، وذكر تمام نصرة أهل الإسلام، ورغبة الخلق في الإقبال على دين الهدى، وبيان وظيفة التسبيح والاستغفار، والأمر بالتوبة في آخر الحال بقوله: {وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا} [النصر : ٣]"[١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة محكمة[٢].

- **فضائل السورة:**

- عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من أصحابه: "هل تزوجت يا فلان؟ قال: لا والله يا رسول الله، ولا عندي ما أتزوج به، قال: أليس معك {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}؟ قال: بلى، قال: ثلث القرآن، قال: أليس معك {إذا جاء نصر الله والفتح}؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن قال: أليس معك: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن قال: أليس معك: {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ}؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن، قال: تزوج تزوج"[٣].
- عن علي، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بتسع سور في الركعة الأولى:{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}، و{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}، و{إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ}، وفي الثانية «الْعَصْرُ»، و{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْح}، و{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَر}، وفي الثالثة:{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُون}، و{تَبَّت}، و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد}»[٤].
- عن أبي نوفل بن أبي عقرب، عن ابن عباس قال: سمعته «يقرأ في المغرب إذا جاء نصر الله والفتح»[٥].

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٥٠/١.
(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٥٠/١.
(٣) سنن الترمذي(٢٨٩٥):ص١٦/٥. وقال :"هذا حديث حسن".
(٤) مسند أبي يعلى الموصلي(٤٦٠):ص٣٥٦/١.[إسناده ضعيف]
(٥) مصنف ابن أبي شيبة(٣٥٩٧):ص٣١٥/١.

- عن ابن شهاب قال: "قراءة {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}، فإنهما يغنيان من الفقر"[1].
- عن عائشة، قالت: ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم منذ نزل عليه: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ} [النصر: ١] يصلي صلاة إلا دعا. أو قال فيها: «سبحانك ربي وبحمدك، اللهم اغفر لي»[2].
- عن عائشة، قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول قبل أن يموت: «سبحانك وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك» قالت: قلت يا رسول الله، ما هذه الكلمات التي أراك أحدثتها تقولها؟ قال: «جعلت لي علامة في أمتي إذا رأيتها قلتها» {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ} [النصر: ١] إلى آخر السورة"[3].
- عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: قال لي ابن عباس: " تعلم أي آخر سورة نزلت جميعا؟ قلت: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}، قال: صدقت "[4].
- عن أبيّ بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة الفتح فكأنما شهد مع محمد فتح مكّة»[5].[موضوع]

---

(١) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٥٩):ص٣٦/٣.
(٢) صحيح مسلم(٤٨٤):ص٣٥١/١.
(٣) صحيح مسلم(٤٨٤):ص٣٥١/١، ومصنف ابن أبي شيبة(٢٩٣٣٢):ص٤٢/٦.
(٤) مصنف ابن أبي شيبة(٣٥٨٨٣):ص٢٦٠/٧.
(٥) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣١٨/١٠. [موضوع].

سورة «المسد»

«سورة المسد»: هي السورة الحادية عشر بعد المائة بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الفاتحة»، وقبل «سورة التكوير»، وآياتها خمس بالإجماع. وكلماتها ثلاث وعشرون. وحروفها سبع وسبعون. فواصل آياتها: «دب»(1).

- **أسماء السورة:**
- **أولا:-اسمها التوقيفي: «سورة المسد»:**

سميت في المصاحف وأكثر من التفاسير(2): «سورة المسد»، ووجه تسميتها لقوله تعالى: {فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ} [المسد : ٥].

- **الثاني:- أسماؤها الاجتهادية:**

١-سورة «تبت»:

سميت هذه السورة في جمع من المصاحف «سورة تبت»، وكذلك عنونها الترمذي في «جامعه»(3)، وفي بعض كتب التفسير(4)، تسمية لها بأول كلمة فيها، قال تعالى: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} [المسد : ١].

٢-سورة «أبي لهب»:

وسماها بعض من المفسرين(5) «سورة أبي لهب» على تقدير: سورة ذكر أبي لهب، ووجه تسميتها لوقوع هذه الكلمة في أول السورة، قال تعالى: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} [المسد : ١].

٣-سورة «اللهب»:

وقد عنونها بعض المفسرين(6): «سورة اللهب». ووجه تسميتها لوقوع كلمة «لهب» في بداية السورة، وذلك في قوله تعالى: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} [المسد : ١].

٤-سورة «تبت يدا أبي لهب»:

وردت هذه التسمية عند ابن عباس(7)، وابن الزبير(8)، وعائشة(9)، -رضي الله عنهم جميعا، وبذلك عنونها البخاري في «صحيحه»(10)، والماتريدي(11)، والثعالبي(1) في تفسيريهما.

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٥٢/١.

(٢) انظر مثلا: بحر العلوم للسمرقندي: ٦٣٢/٣، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٧١/٥، والكشف والبيان: ٣٢٣/١٠، والنكت والعيون: ٣٦٣/٦، والوسيط للواحدي: ٥٦٨/٤، وتفسير البغوي: ٥٧٨/٨، والكشاف: ٨١٣/٤، والمحرر الوجيز: ٥٣٤/٥، وزاد المسير: ٥٠٢/٤، ومفاتيح الغيب: ٣٤٩/٣٢، وغيرها.

(٣) انظر: سنن الترمذي: ٤٥١/٥.

(٤) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٦٧٣/٢٤، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٤٨١/١٢، وتفسير السمعاني: ٢٩٨/٦، وتفسير القرطبي: ٢٣٤/٢٠، وتفسير البيضاوي: ٣٤٥/٥، وغيرها

(٥) انظر مثلا: تفسير ابن فورك: ٢٩٦/٣، ومفاتيح الغيب: ٣٤٨/٣٢، وتفسير النسفي: ٦٩١/٣، وتفسير ابن جزي: ٥٢١/٢.

(٦) انظر مثلا: تفسير الإيجي: ٥٤١/٤، وتفسير المظهري: ٣٦٧/١٠، وذكرها صاحب المنار في "تفسيره": ٣١/١٢، والزحيلي في "المنير": ٤٥٣/٣٠.

وقال ابن عاشور: ٥٩٩/٣٠:" وعنونها أبو حيان في «تفسيره» «سورة اللهب» ولم أره لغيره، وعنونها ابن العربي في «أحكام القرآن» «سورة ما كان من أبي لهب» وهو عنوان وليس باسم". ولم أجد التسميتين في نسخة كتابي "البحر المحيط" و"أحكام القرآن".

(٧) انظر: الدر المنثور: ٦٦٥/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٨) انظر: الدر المنثور: ٦٦٥/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٩) انظر: الدر المنثور: ٦٦٥/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٠) انظر: صحيح البخاري: ١٧٩/٦.

(١١) انظر: تأويلات أهل السنة: ٦٣٨/١٠.

وهذه الأسماء الأربعة هي من اجتهاد أهل العلم، ولم يرد عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- خبر صحيح يثبت تلك الأسماء.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس قال:" أنزلت: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ}، بمكة"[٢]. وروي عن ابن الزبير[٣]، وعائشة[٤] مثله.

قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع "[٥].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة بإجماعهم"[٦].

قال ابن عاشور:" هي مكية بالاتفاق"[٧].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها- أنه ذكر في السورة السابقة أن ثواب المطيع حصول النصر والاستعلاء في الدنيا، والثواب الجزيل في العقبى. وهنا ذكر أن عاقبة العاصي الخسار في الدنيا والعقاب في الآخرة [٨].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

تتمثل مقاصد «سورة المسد» الإجمالية في: البت والقطع الحتم بخسران الكافر ولو كان أقرب الخلق إلى أعظم الفائزين، اللازم عنه أن شارع الدين له من العظمة ما يقصر عن الوصف، فهو يفعل ما يشاء لأنه لا كفو له أصلاً، حثاً على التوحيد من سائر العبيد، ولذلك وقعت بين سورة الإخلاص المقرون بضمان النصر وكثرة الأنصار، واسمها تبّت واضح الدلالة على ذلك بتأمل السورة على هذه السورة.

وقد جاءت مقاصد «سورة المسد» التفصيلية، على النحو الآتي:

١- يستنكر الإسلام أفعال الظالمين وتعديهم بأمورهم، وإن كانوا من رؤساء القوم وزعمائهم، وذلك ما حصل بأبي لهب، فالإسلام لا يعد دينا سياسيا أو تظاهريا، كما أن الأمور والشؤون السياسية جزء من الدين الإسلامي، فكما أن الإسلام حدد العلاقة بين العبد وربه فإنه حدد العلاقة بين العباد.

٢- بيّن القران الكريم كيفية الرد والصد للاضطهاد السياسي الذي قد يقع، فاستنكر الله تعالى بالآيات التي أنزلها ما كان من أبي لهب، عندما قاطع خطاب النبي عليه الصلاة والسلام وصرف الناس عن دعوته عندما وقف الرسول عليه الصلاة والسلام خطيبا بالناس يدعوهم إلى الحق، وكان أبو لهب مستخدما لمكانته في القوم وشأنه، ولذلك كان الرد على أبي لهب من الله تعالى وليس من الرسول عليه الصلاة والسلام، حتى يعلم الناس جميعهم أن الله تعالى يجازي الظالمين على ظلمهم ولا يتركهم دون حساب، فالله تعالى ينصر عباده، ويؤيد من اتبعه واتبع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

٣- تقرير أن أبا لهب كان عالما بأن الرسول صلى الله عليه وسلم صادقا في دعوته، فأبو لهب عم النبي عليه الصلاة والسلام، ولذلك خص الله تعالى بعض المكذبين بأسمائهم، فالتكذيب من أقرب الناس

---

(١) انظر: تفسير الثعالبي: ٤٤٨/٤.

(٢) الدر المنثور: ٦٦٥/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٣) انظر: الدر المنثور: ٦٦٥/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤) انظر: الدر المنثور: ٦٦٥/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٥) المحرر الوجيز: ٥٣٤/٥.

(٦) زاد المسير: ٥٠٢/٤.

(٧) التحرير والتنوير: ٥٩٩/٣٠.

(٨) انظر: تفسير المراغي: ٢٦٠/٣٠.

يكون أشد وذا أثر أكبر في قلوب المدعويين، وذلك مصير كل مكذب بالله تعالى وبدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم.

٤- التأكيد على وجود مصير للظالم في الحياة الاخرة، فمصير وعذاب الحياة الدنيا لا عبرة بهما، حيث قال الله تعالى: {فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ} [التوبة : ٥٥] ، فالله تعالى لم يذكر مصير أبي لهب في الحياة الدنيا، واكتفى بذكر مصيره في الحياة الاخرة.

٥- الإشارة إلى أن الظلم ينتشر، وتقوى شوكة الظالمين بنصرة بعضهم لبعض، ولذلك دور كبير في زرع الفتنة بين المسلمين، فكانت زوجة أبي لهب تنشر الفتنة، وتسعى في النميمة، وورد أنها كانت تضع الشوك ليلا في طريق الرسول عليه الصلاة والسلام، فالجزاء يكون بحسب العمل الذي قدمه العبد في حياته الدنيا.

٦- الرد على الظالمين يكون بالقول، ويترجم القول إلى العمل والفعل، فاختصر الرد على أبي لهب بالدعاء عليه، وباليقين وتقرير وقوع العذاب به، وذلك مما يدل على إعجاز القران الكريم، الذي أخبر بجزاء ومصير أبي لهب.

٧- الدلالة على أن الكفر لا ينتصر أبدا ما دام الهدف الذي يسعى إليه يتمثل بالصد عن سبيل الله تعالى، فمهما كانت القوة التي يستند إليها الكافر في تحقيق مقصده من الأموال والأسباب إلا أنه لن ينتصر على الحق، ولن يغني شيئا من بطش وجزاء الله تعالى.

قال الفيروزآبادي :" مقصود السورة: تهديد أبى لهب على الجفاء والإعراض، وضياع كسبه وأمره، وبيان ابتلائه يوم القيامة، وذم زوجه في إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم، وبيان ما هو مدخر لها من سوء العاقبة "[١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة محكمة [٢].

- **فضائل السورة:**

- عن سعيد بن جبير قال: "لما أنزل الله: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ} جاءت امرأة أبي لهب إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- ومعه أبو بكر فقال أبو بكر: يا نبي الله , إنها امرأة بذية اللسان فقال: «إنه سيحال بيني وبينها» , قال: فلم تره , فقالت لأبي بكر: هجانا صاحبك , فقال: والله ما ينطق بالشعر ولا يقوله , فقالت: إنك لمصدق , قال: فاندفعت راجعة , فقال أبو بكر: يا رسول الله , ما رأتك , قال: فقال: «لم يزل ملك بيني وبينها يسترني حتى ذهبت»[٣].

- عن أبيّ بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة تبّت رجوت أن لا يجمع الله سبحانه بينه وبين أبي لهب في دار واحدة» [٤].[موضوع]

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٥٢/١.
(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف العزيز: ٥٥٢/١.
(٣) مصنف ابن أبي شيبة(٣١٧٦٨):ص٣٢٣/٦.
(٤) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٢٣/١٠. [موضوع].

سورة «الإخلاص»

«سورة الإخلاص»: هي السورة الثانية عشر بعد المائة بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الناس»، وقبل «سورة النجم»، وآياتها خمس في عد المكيين، والشاميين، وأربع عند الباقين. وكلماتها إحدى عشرة وحروفها سبع وأربعون. المختلف فيها آية: {لَمْ يَلِد} [الإخلاص : ٣]. فواصل آياتها على «الدال»[١].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:-أسماؤها التوقيفية:**

١-«سورة الإخلاص»:

سميت في أكثر المصاحف وفي معظم كتب التفسير[٢]، وفي «جامع الترمذي»[٣]: «سورة الإخلاص»، واشتهر هذا الاسم لاختصاره وجمعه معاني هذه السورة، لأن فيها تعليم الناس إخلاص العبادة لله تعالى، أي: سلامة الاعتقاد من الإشراك بالله غيره في الإلهية[٤].

وذكر الماوردي في تسميتها بـ«سورة الإخلاص»، ثلاثة وجوه [٥]:
أحدها : لأن في قراءتها خلاصاً من عذاب الله .
الثاني : لأن فيها إخلاص لله من كل عيب ومن كل شريك وولد ، قاله عبد الله ابن المبارك .
الثالث : لأنها خالصة لله ليس فيها أمر ولا نهي .

٢-سورة «قل هو الله أحد»:

وردت هذه التسمية في تفسير ابن أبي زمنين[٦]، «روح المعاني» للألوسي[٧]، و«صحيح البخاري»[٨]، وهي تسمية للسورة بأول آية منها، قال تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص : ١].

والمشهور في تسميتها في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- وفيما جرى من لفظه، وفي أكثر ما روي عن الصحابة تسميتها «سورة قل هو الله أحد».

ورد في الصحيح: «قل هو الله تعدل ثلث القرآن»[٩].

وهو ظاهر في أنه أراد تسميتها بتلك الجملة لأجل تأنيث الضمير من قوله: «تعدل» فإنه على تأويلها بمعنى السورة.

وقد روي عن جمع من الصحابة[١٠] ما فيه تسميتها بذلك، فذلك هو الاسم الوارد في السنة[١١].

- **الثاني:- أسماؤها الاجتهادية:**

١-سورة «التوحيد»:

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٥٣/١.
(٢) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٦٨٥/٢٤، وتأويلات أهل السنة: ٦٤٣/١٠، وبحر العلوم للسمرقندي:٦٣٤/٣، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٧٢/٥، وتفسير ابن فورك: ٢٩٩/٣، والكشف والبيان: ٣٣٠/١٠، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٤٩١/١٢، والنكت والعيون: ٣٦٩/٦، وتفسير السمعاني: ٣٠٢/٦، وتفسير البغوي: ٥٨٤/٨، والكشاف: ٨١٧/٤، والمحرر الوجيز: ٥٣٦/٥، وزاد المسير: ٥٠٥/٤، ومفاتيح الغيب: ٣٥٦/٣٢، وتفسير القرطبي: ٢٤٤/٢٠، وغيرها.
(٣) انظر: سنن الترمذي: ١٦٧/٥.
(٤) انظر: المحرر الوجيز: ٦٠٩/٣٠.
(٥) انظر: النكت والعيون: ٣٧١/٦.
(٦) انظر مثلا: تفسير ابن أبي زمنين: ١٧٢/٥، و.
(٧) انظر: روح المعاني: ٥٠٣/١٥.
(٨) انظر: صحيح البخاري: ١٨٠/٦.
(٩)أخرجه البخاري (٥٠١٣) و (٦٦٤٣) و (٧٣٧٤).
(١٠) انظر: الروايات في فضائل السورة.
(١١) انظر: الروايات في فضائل السورة.

وسميت في بعض المصاحف التونسية «سورة التوحيد»[١]، وقد وردت هذه التسمية عند الرازي[٢]، والألوسي[٣]، كما ذكرها ابن العربي في «أحكام القرآن»[٤].

ووجه تسميتها، «سورة التوحيد»،لأنها تشتمل على إثبات أنه تعالى واحد، فهي سورة التوحيد والتنزيه لله- سبحانه وتعالى- وهذا هو الأصل الأول والركن الركين للإسلام لذلك ورد أنها تعدل ثلث القرآن في ثواب قراءتها إذ الأصول العامة ثلاثة: التوحيد، تقرير الحدود وأعمال الخلق، وذكر أحوال يوم القيامة، ولا حرج على فضل الله الذي يهب لمن يقرؤها بتدبر وتفهم مثل ما يهبه لقارئ ثلث القرآن[٥].

٢-سورة «الأساس»:

ذكرها الزمخشري[٦]، والرازي[٧]، في تفسيريهما، ووجه تسميتها بـ«سورة الأساس»، لاشتمالها على توحيد الله وهو أساس الدين[٨].

قال الزمخشري:" وتسمى «سورة الأساس»، لاشتمالها على أصول الدين"[٩]. ثم استدل على هذه التسمية، بما روي عن قتادة، عن عمرو بن غيلان الثقفي، رحمه الله تعالى قال وهو على منبر البصرة: «حدثنا هذا الرجل الصالح من أهل الكتاب، يعني كعبا رحمه الله تعالى، أن الله عز وجل، أسس السماوات السبع، والأرضين السبع على هذه السورة «قل هو الله أحد»»[١٠].

يعني: ما خلقت السماوات والأرضون إلّا لتكون دلائل على توحيد الله تعالى ومعرفة صفاته التي تضمنتها هذه السورة، وقيل: معنى تأسيسها عليها أنها إنما خلقت بالحق كما قال تعالى: {وَما خَلَقْنَا السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما لاعِبِينَ} [الأنبياء: ١٦] {ما خَلَقْناهُما إِلَّا بِالْحَقِّ} [الدخان: ٣٩]، وهو العدل والتوحيد، وهو إن لم يرجع إلى الأول لا يخلو عن نظر، وقيل: المراد أن مصحح إيجادهما أي بعد إمكانهما الذاتي ما أشارت إليه السورة من وحدته عز وجل واستحالة أن يكون له سبحانه شريك إذ لولا ذلك لم يمكن وجودهما لإمكان التمانع كما قرره بعض الأجلّة في توجيه برهانية قوله تعالى: {لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا} [الأنبياء: ٢٢]. وفيه بعد[١١].

وهذا الحديث لا يدل دلالة صريحة على تسمية السورة بـ«الأساس»، لأن معنى الحديث أنها الأساس الذي أسس عليه السماوات والأرض وذلك تعظيما وتشريفا لها، فلا تعد اسما للسورة-والله أعلم-.

٣-سورة «المقشقشة»:

في «الكشاف»: أن هذه السورة و«سورة الكافرون»، تسميان: المقشقشتين، لأنهما تقشقشان من الشرك والنفاق، أي: المبرئتين من الشرك ومن النفاق[١٢].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز: ٦٠٩/٣٠.
(٢) انظر: مفاتيح الغيب": ٣٥٧/٣٢.
(٣) انظر: روح المعاني: ٥٠٣/١٥.
(٤) انظر: أحكام القرآن: ١٩٩٥/٤.
(٥) انظر: التفسير الواضح، للحجازي: ٩١٨/٣.
(٦) انظر: الكشاف: ٨١٩/٤.
(٧) انظر: مفاتيح الغيب": ٣٥٧/٣٢.
(٨) انظر: الإتقان في علوم القرآن: ١٩٧/١.
(٩) الكشاف: ٨١٩/٤.
(١٠) أخرجه أبو الشيخ في "العظمة"(٨٩٣):ص١٣٧٥/٤، وابن الضريس في "الفضائل"(٢٤٦):ص١١٠، والطبري في التفسير: ٦٩٣/٢٤. ورواية الطبري:" عن كعب، قال: إن الله تعالى ذكره أسس السموات السبع، والأرضين السبع، على هذه السورة: {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}، وإن الله لم يكافئه أحد من خلقه".
(١١) انظر: روح المعاني: ٥٠٣/١٥.
(١٢) الكشاف: ٨٠٨/٤.

قال أبو عبيدة: " {قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ}، و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، يقال لهما: «المشقشتان»، ومعناه المبرّئتان من الكفر والشكّ والنفاق كما يقشقش الهناء الجرب فيبرئه"[1].

٤-سورة «الصمد»:

سماها البقاعي في «نظم الدرر» «سورة الصمد»[2]، والرازي في «مفاتيح الغيب»[3]، والألوسي في «روح المعاني» [4].

ويشيع على ألسنة العامة تسميتها بـ«الصمدية»، وهي تسمية عربية صحيحة نسبة إلى الصمد سمى الله تعالى نفسه فيها

ويجدر القول بأن الفخر الرازي قام بإحصاء أسماء عديدة للسورة، وقد عقد لها فصلا، فذكر لها عشرين اسما بإضافة عنوان سورة إلى كل اسم منها ولم يذكر أسانيدها. وفيما يأتي هذه الأسماء[5]:

أحدها : «سورة التفريد»، وثانيها : «سورة التجريد»، وثالثها : «سورة التوحيد»، ورابعها: سورة الإخلاص: لأنه لم يذكر في هذه السورة سوى صفاته السلبية التي هي صفات الجلال، ولأن من اعتقده كان مخلصا في دين الله، ولأن من مات عليه كان خلاصه من النار، ولأن ما قبله خلص في ذم أبي لهب فكان جزاء من قرأه أن لا يجمع بينه وبين أبي لهب.

قال النيسابوري:" ولشرف هذه السورة سميت بأسماء كثيرة، أشهرها: «»الإخلاص»، لأنها تخلص العبد من الشرك أو من النار"[6]. و**خامسها : «سورة النجاة»:** لأنها تنجيك عن التشبيه والكفر في الدنيا، وعن النار في الآخرة. و**سادسها : «سورة الولاية»:** لأن من قرأها صار من أولياء الله، ولأن من عرف الله على هذا الوجه فقد والاه فبعد محنة رحمة كما بعد منحة نعمة. و**سابعها : «سورة النسبة»:** لما روينا أنه ورد جوابا لسؤال من قال: انسب لنا ربك، ولأنه عليه السلام قال لرجل من بني سليم: «يا أخا بني سليم استوص بنسبة الله خيرا». وهو من لطيف المباني، لأنهم لما قالوا: انسب لنا ربك، فقال: نسبة الله هذا، والمحافظة على الأنساب من شأن العرب، وكانوا يتشددون على من يزيد في بعض الأنساب أو ينقص، فنسبة الله في هذه السورة أولى بالمحافظة عليها. **وثامنها : سورة المعرفة:** لأن معرفة الله لا تتم إلا بمعرفة هذه السورة. روى جابر:«أن رجلا صلى فقرأ: قل هو الله أحد فقال النبي عليه الصلاة والسلام: إن هذا عبد عرف ربه». فسميت سورة المعرفة لذلك. **وتاسعها : «سورة الجمال»:** قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله جميل يحب الجمال»[7]، فسألوه عن ذلك فقال: «أحد صمد لم يلد ولم يولد»، لأنه إذا لم يكن واحدا عديم النظير جاز أن ينوب ذلك المثل منابه. **وعاشرها : «سورة المقشقشة»:** يقال: تقشيش المريض مما به، فمن عرف هذا حصل له البرء من الشرك والنفاق، لأن النفاق مرض كما قال: {فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} [البقرة : ١٠]. **والحادي عشر: «المعوذة»:** روي أنه عليه السلام دخل على عثمان بن مظعون فعوذه بها وباللتين بعدها، ثم قال: «تعوذ بهن فما تعوذت بخير منها». **والثاني عشر: «سورة الصمد»:** لأنها مختصة بذكره تعالى. و**الثالث عشر: «سورة الأساس»:** قال عليه الصلاة والسلام: «أسست السموات السبع والأرضون السبع على قل هو الله أحد». ومما يدل عليه أن القول بالثلاثة سبب لخراب السموات والأرض بدليل قوله: {تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا} [مريم : ٩٠]، فوجب أن يكون التوحيد سببا لعمارة هذه الأشياء وقيل السبب فيه معنى قوله تعالى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا}

---

(١) مجاز القرآن: ٦/١.
(٢) انظر: نظم الدرر: ٣٤٨/٢٢.
(٣) انظر: مفاتيح الغيب: ٣٥٧/٣٢.
(٤) انظر: روح المعاني: ٥٠٣/١٥.
(٥) قال الفخر:" اعلم أن كثرة الألقاب تدل على مزيد الفضيلة، والعرف يشهد لما ذكرناه". [مفاتيح الغيب: ٣٥٧/٣٢].
(٦) تفسير النيسابوري: ٥٩٤/٦.
(٧)رواه مسلم في كتاب الإيمان حديث ١٤٧. ابن ماجه في كتاب الدعاء باب ١٠. أحمد في مسنده (٤/ ١٣٣، ١٣٤).

[الأنبياء : ٢٢]. **والرابع عشر : «سورة المانعة»:** روى ابن عباس أنه تعالى قال: لنبيه حين عرج به أعطيتك سورة الإخلاص وهي من ذخائر كنوز عرشي، وهي المانعة تمنع عذاب القبر ولفحات النيران. **والخامس عشر : «سورة المحضر»:** لأن الملائكة تحضر لاستماعها إذا قرئت. **والسادس عشر : «المنفرة»:** لأن الشيطان ينفر عند قراءتها. **والسابع عشر : «البراءة»:** لأنه روي أنه عليه السلام: رأى رجل يقرأ هذه السورة فقال: «أما هذا فقد برىء من الشرك». وقال عليه السلام: «من قرأ سورة قل هو الله أحد مائة مرة في صلاة أو في غيرها كتبت له براءة من النار». **والثامن عشر : «سورة المذكرة»:** لأنها تذكر العبد خالص التوحيد، فقراءة السورة كالوسمة تذكرك ما تتغافل عنه مما أنت محتاج إليه. **والتاسع عشر : «سورة النور»:** قال الله تعالى: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [النور : ٣٥]، فهو المنور للسموات والأرض، والسورة تنور قلبك. وقال عليه السلام: «إن لكل شيء نور، ونور القرآن قل هو الله أحد». ونظيره أن نور الإنسان في أصغر أعضائه وهو الحدقة، فصارت السورة للقرآن كالحدقة للإنسان. **والعشرون : سورة الأمان:** قال عليه السلام: «إذا قال العبد لا إله إلا الله دخل حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي»"[١].

وبضم اسمها المشهور: «قل هو الله أحد»، تبلغ أسماؤها اثنين وعشرين.

وذكر الفيروزآبادي-أيضا- مجموعة من الأسماء، فقال:" ولها عشرون اسما: **سورة التوحيد، وسورة التفريد، وسورة التجريد، وسورة الإخلاص، وسورة النجاة، وسورة الولاية**، السابع: **نسبة الرب**، لقوله: «لكل شيء نسبة ونسبة الرب: قل هو» . الثامن: **سورة المعرفة**. التاسع: **سورة الجمال**. العاشر: **المقشقشة**. وقد سبق في: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} [الكافرون : ١]، الحادي عشرة: **المعوذة**. الثاني عشر: **سورة الصمد**. الثالث عشر: **الأساس**. الرابع عشر: **المانعة**. الخامس عشر: **المحضرة**؛ لأن الملائكة تحضر لاستماعها من القارئ. السادس عشر: **المنفرة**، لأنها تنفر الشيطان. السابع عشر: **البراءة**، أي: من النفاق. الثامن عشر: **المذكرة**. التاسع عشر: **الشافية**. العشرون: **سورة النور**؛ لما في الخبر: «إن لكل شيء نورا، ونور القرآن: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص : ١] "[٢].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

وفي مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها مكية، قاله ابن مسعود[٣]، والحسن[٤]، وعطاء[٥]، وعكرمة[٦]، وجابر[٧]، وقتادة[٨]، ومجاهد-بخلاف عنه-[٩].

الثاني: مدنية، روي عن ابن عباس[١]، وأبو العالية[٢]، وقتادة[٣]، والضحاك[٤]، والقرظي[٥]، والسدي[٦].

---

(١) مفاتيح الغيب: ٣٥٨-٣٥٧/٣٢.
(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٥٣/١.
(٣) انظر: النكت والعيون: ٣٦٩/٦، وزاد المسير: ٥٠٥/٤، وتفسير القرطبي: ٢٤٤/٢٠، والبحر المحيط في التفسير: ٥٧٠/١٠.
(٤) انظر: النكت والعيون: ٣٦٩/٦، وزاد المسير: ٥٠٥/٤، وتفسير القرطبي: ٢٤٤/٢٠، والبحر المحيط في التفسير: ٥٧٠/١٠.
(٥) انظر: النكت والعيون: ٣٦٩/٦، والمحرر الوجيز: ٥٣٦/٥، وزاد المسير: ٥٠٥/٤، وتفسير القرطبي: ٢٤٤/٢٠، والبحر المحيط في التفسير: ٥٧٠/١٠.
(٦) انظر: النكت والعيون: ٣٦٩/٦، وزاد المسير: ٥٠٥/٤، وتفسير القرطبي: ٢٤٤/٢٠، والبحر المحيط في التفسير: ٥٧٠/١٠.
(٧) انظر: النكت والعيون: ٣٦٩/٦، وزاد المسير: ٥٠٥/٤.
(٨) انظر: المحرر الوجيز: ٥٣٦/٥، والبحر المحيط في التفسير: ٥٧٠/١٠.
(٩) انظر: المحرر الوجيز: ٥٣٦/٥، والبحر المحيط في التفسير: ٥٧٠/١٠.

قال ابن عاشور:" هي مكية في قول الجمهور... ومنشأ هذا الخلاف الاختلاف في سبب نزولها"(٧).

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

وجه مناسبتها لما قبلها: أمر اللَّه نبيه في السورة السابقة بإخلاص العبادة للَّه وحده لا شريك له، وفي هذه السورة سورة التوحيد والبراءة من الشرك تصريح باستقلال عبادته عن عبادة الكفار، فهو لا يعبد إلا ربه، ولا يعبد ما يعبدون من الأوثان والأصنام، وبالغ في ذلك فكرّره وأكّده، وانتهى إلى أن له دينه، ولهم دينهم(٨).

قال أبو حيان:" ولما تقدم فيما قبلها عداوة أقرب الناس إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو عمه أبو لهب، وما كان يقاسي من عباد الأصنام الذين اتخذوا مع الله آلهة، جاءت هذه السورة مصرحة بالتوحيد، رادة على عباد الأوثان والقائلين بالثنوية وبالتثليث وبغير ذلك من المذاهب المخالفة للتوحيد"(٩).

وقيل: إنها متصلة بسورة : {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، في المعنى فهما بمنزلة كلمة التوحيد في النفي والإثبات، ولهذا تسميان بالمقشقشتين، وقرن بينهما في القراءة في صلوات كثيرة، إلَّا أنه فصل بينهما بسورتين: «سورة النصر»، و«سورة المسد»، لما تقدم في موضعه، من أن سورة النصر قرنت بسورة «الكافرون»، لأن سورة «الكافرون» تضمنت اختلاف دين الرسول ودين قريش، و«سورة النصر» تضمنت أن دينه عليه الصلاة والسلام هو الغالب، وهو السائد والمنصور، و«سورة المسد» قرنت بـ«بسورة النصر»، لأن «سورة النصر» تضمنت أن ثواب الطاعة حصول النصر والغلبة والاستعلاء في الدنيا، و«سورة المسد» بينت أن عاقبة العاصي الخسران في الدنيا فلهذا تلتها(١٠).

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

تعدّ سورة الإخلاص من قصار السور فعدد آياتها أربع آيات، إلا أن مكانتها عظيمة بين المسلمين فهي تدخل في معظم الأدعية والأذكار، وتعظم مقاصد سورة الإخلاص ومضامينها لأنها تدور حول تأكيد وحدانية الله تعالى، ونفي الشريك عنه سبحانه وتعالى، والتأكيد على أن الله سبحانه وتعالى يجيب دعوة السائل ويقضي طلب المحتاج، بالإضافة إلى أنه لم يلد، ولم يولد، ولا نظير له ولا شبيه، مما يوجب صرف العبادة له وحده دون شريك.

وتتمثل مقاصد سورة الإخلاص الإجمالية في بيان حقيقة الذات الأقدس ببيان اختصاصه بالاتصاف بأقصى الكمال للدلالة على صحيح الاعتقاد للإخلاص في التوحيد بإثبات الكمال، ونفي شوائب النقص

---

(١) انظر: النكت والعيون: ٣٦٩/٦، والمحرر الوجيز: ٥٣٦/٥، وزاد المسير: ٥٠٥/٤، وتفسير القرطبي: ٢٤٤/٢٠، والبحر المحيط في التفسير: ٥٧٠/١٠.

(٢) انظر: المحرر الوجيز: ٥٣٦/٥، والبحر المحيط في التفسير: ٥٧٠/١٠.

(٣) انظر: النكت والعيون: ٣٦٩/٦، وزاد المسير: ٥٠٥/٤، وتفسير القرطبي: ٢٤٤/٢٠.

وفي الدر المنثور: ٦٧١/٨:" وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر عن قتادة رضي الله عنه قال: جاء ناس من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: أنسب لنا ربك وفي لفظ: صف لنا ربك فلم يدر ما يرد عليهم فنزلت {قل هو الله أحد} حتى ختم السورة".

(٤) انظر: النكت والعيون: ٣٦٩/٦، وزاد المسير: ٥٠٥/٤، وتفسير القرطبي: ٢٤٤/٢٠، والبحر المحيط في التفسير: ٥٧٠/١٠.

(٥) انظر: المحرر الوجيز: ٥٣٦/٥، والبحر المحيط في التفسير: ٥٧٠/١٠.

(٦) انظر: النكت والعيون: ٣٦٩/٦، وتفسير القرطبي: ٢٤٤/٢٠.

(٧) التحرير والتنوير: ٦١١/٣٠. وستأتي الروايات في بيان سبب نزولها إن شاء الله.

(٨) انظر: التفسير المنير للزحيلي: ٤٣٧/٣٠.

(٩) البحر المحيط في التفسير: ٥٧٠/١٠.

(١٠) التفسير الوسيط، مجمع البحوث: ٢٠٤٨/١٠.

والاختلال، المثمر لحسن الأقوال والأفعال، وثبات اللجاء والاعتماد في جميع الأحوال، وعلى ذلك دل اسمها الإخلاص الموجب للخلاص.

وقد جاءت مقاصد «سورة الإخلاص» التفصيلية، على النحو الآتي:

١- الإشارة إلى أصل من أصول الإسلام؛ وهو توحيد الله تعالى بالأسماء والصفات، حيث بينت صفاته عز وجل، وأنه واحد لا شريك له، ولا نظير، ولا شبيه، ولا صاحبة، ولا ولد له سبحانه وتعالى، إذ لم يلد ولم يلد، وبينت السورة أن الله -تعالى- هو الصمد الذي يفتقر إليه في كافة الحاجات التي يحتاجها البشر.

٢- اشتمال السورة على التوحيد الاعتقادي، حيث تبين ما يجب إثباته لله -تعالى- من الصفات كالوحدانية، والصمدية، والصفات المثبتة لجميع صفات الكمال، والمنافية لصفات النقص والعجز، كاتخاذ الصاحبة والولد، بالإضافة إلى نفي الكفء الذي يقتضي نفي التمثيل والتشبيه، ويمكن القول إن السورة تدور حول إثبات الكمال لله تعالى، ونفي النقص عنه عز وجل.

٣- ترسيخ أول أصل وأعظم ركن من أركان الإسلام، وهو التوحيد الذي بعث الله -تعالى- الأنبياء جميعا، وخاتمهم محمد -صلى الله عليه وسلم- لدعوة الناس إليه، وإخراجهم من الشرك.

قال الفيروزآبادي :" معظم مقصود السورة: بيان الوحدانية، وذكر الصمد، وتنزيه الحق من الولد والوالد والولادة، والبراءة من الشركة والشريك في المملكة"[١].

قال الزحيلي:" هذه السورة المكية- سورة البراءة من عمل المشركين والإخلاص في العمل للّه تعالى، وضعت الحد الفاصل النهائي بين الإيمان والكفر، وبين أهل الإيمان وعبدة الأوثان، فحينما طلب المشركون المهادنة من رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، وأن يعبد آلهتهم سنة، ويعبدوا إلهه سنة، نزلت السورة تقطع أطماع الكفار الرخيصة، وتفصل النزاع بين فريقي المؤمنين والكافرين إلى الأبد"[٢].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة محكمة[٣].

- **فضائل السورة:**

- عن أبي سعيد الخدري: "أن رجلا سمع رجلا يقرأ: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} يرددها، فلما أصبح جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، وكأن الرجل يتقالها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن»[٤].
- عن أبي هريرة، قال: خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «أقرأ عليكم ثلث القرآن»، فقرأ: قل هو الله أحد الله الصمد حتى ختمها"[٥].
- روي أنه صلّى الله عليه وسلّم دخل المسجد، فسمع رجلا يدعو ويقول: أسألك يا الله يا أحد، يا صمد، يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال: «غفر لك، غفر لك، غفر لك»[٦]، ثلاث مرات.

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٥٣/١.

(٢) التفسير المنير: ٤٣٧/٣٠.

(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف العزيز: ٥٥٣/١.

(٤)صحيح. أخرجه البخاري ٥٠١٣ و ٦٦٤٣ و ٧٣٧٤ ومالك ١/ ٢٠٨ وأحمد ٣/ ٣٥ وأبو داود ١٤٦١ والنسائي ٢/ ١٧١ وابن حبان ٧٩١ كلهم من حديث أبي سعيد الخدري.

(٥)صحيح. أخرجه مسلم ٨١٢ وأحمد ٢/ ٤٢٩ من حديث أبي هريرة.

(٦)رواه الطبراني في المعجم الصغير (٢: ٢٠) ، وابن حجر في لسان الميزان (٤: ٥٥٧) ، وابن كثير في التفسير (٦: ٩٥) ، والبخاري في التاريخ الكبير (١: ٢٦٦) ، والسيوطي في الدر المنثور (٥: ٦) ، والعقيلي في الضعفاء (٣: ٢٢٤).

- وعن سهل بن سعد جاء رجل إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم وشكا إليه الفقر فقال: «إذا دخلت بيتك فسلم إن كان فيه أحد وإن لم يكن فيه أحد فسلم على نفسك واقرأ قل هو الله أحد مرة واحدة»(١) . ففعل الرجل فأدر الله عليه رزقا حتى أفاض على جيرانه.
- عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلّى الله عليه وسلّم قال: «من قرأ قل هو الله أحد بعد صلاة الصبح اثنتي عشر مرة فكأنما قرأ القرآن أربع مرات وكان أفضل أهل الأرض يومئذ إذا اتقى»(٢).
- وروي أنه صلّى الله عليه وسلّم قال: «من قرأ قل هو الله أحد في مرضه الذي يموت فيه، لم يفتن في قبره وأمن من ضغطة القبر وحملته الملائكة بأكفها حتى تجيزه من الصراط إلى الجنة»(٣).
- عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من أصحابه: "هل تزوجت يا فلان؟ قال: لا والله يا رسول الله، ولا عندي ما أتزوج به، قال: أليس معك {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}؟ قال: بلى، قال: ثلث القرآن، قال: أليس معك {إذا جاء نصر الله والفتح}؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن قال: أليس معك: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن قال: أليس معك: {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ}؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن، قال: تزوج تزوج"(٤).
- عن علي، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بتسع سور في الركعة الأولى:{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}، و{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}، و{إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ}، وفي الثانية «الْعَصْرُ»، و{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}، و{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}، وفي الثالثة:{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُون}، و{تَبَّت}، و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد}»(٥).
- عن أبي هريرة، " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في ركعتي الفجر: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} "(٦).[صحيح]
- عن ابن عمر:"أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في الركعتين قبل الفجر، والركعتين بعد المغرب، بضعا وعشرين مرة أو بضع عشرة مرة: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} "(٧).[صحيح]

---

(١)رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٧: ١٤٦) ، والسيوطي في الدر المنثور (٦: ٤١٥).
(٢)رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٧: ١٤٥) ، والسيوطي في الدر المنثور (٦: ٤١٢) ، والقرطبي في التفسير (٢٠: ٢٤٩) ، والألباني في السلسلة الضعيفة (٣٠١).
(٣)رواه ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٦: ٢٤١٦).
(٤) سنن الترمذي(٢٨٩٥):ص١٦/٥. وقال :"هذا حديث حسن".
(٥) مسند أبي يعلى الموصلي(٤٦٠):ص٣٥٦/١.[إسناده ضعيف]
(٦) صحيح مسلم(٧٢٦):ص٥٠٢/١.
(٧) المسند(٤٧٦٣):ص٣٨١/٨. إسناده صحيح على شرط الشيخين إسرائيل هو ابن يونس بن أبي إسحاق وسماعه من جده أبي إسحاق وهو عمرو بن عبد الله السبيعي - فى غاية الإتقان للزومه إياه ومجاهد: هو ابن جبر المكي وأخرجه الطحاوي في "شرح معاني الآثار" ٢٩٨/١ من طريق عبد الله بن رجاء، وأبي نعيم، كلاهما عن إسرائيل، بهذا الإسناد.
وأخرجه الطيالسي (١٨٩٣) وابن أبي شيبة ٢٤٢/٢، والطبراني في "الكبير" (١٣٥٢٨) ، والبيهقي في "السنن" ٤٣/٣ من طريق أبي الأحوص سلام بن سليم، عن أبي إسحاق، به.
وأخرجه النسائي في "المجتبى" ١٧٠/٢، والبيهقي في "السنن" ٤٣/٣ من طريق أبي الجواب، عن عمار بن رزيق، عن أبي إسحاق، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، به. ورواية غير عمار بن رزيق عن أبي إسحاق بعدم ذكر إبراهيم بن مهاجر أصح وأقوى.
وأخرجه الطبراني في "الكبير" (١٣١٢٣) من طريق عبد العزيز بن عمران، عن ابن أخي الزهري، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه، دون ذكر ركعتي المغرب.
وعبد العزيز بن عمران متروك.

- عن ليث، قال: حدثني أبو محمد، قال: رمقت ابن عمر شهرا فسمعته في الركعتين، قبل صلاة الصبح يقرأ: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُون}، و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، قال: فذكرت له ذلك فقال: " رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا أو خمسة وعشرين يوما يقرأ في الركعتين قبل صلاة الصبح: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُون}، و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، وقال: «إن إحداهما تعدل بثلث القرآن، والأخرى بربع القرآن، {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} تعدل بثلث القرآن، و{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُون} تعدل بربع القرآن»[1].

وأخرجه ابن عدي في "الكامل " ٢٦٤٨/٧ من طريق يحيى بن أبي أنيسة، عن نفيع بن الحارث، عن ابن عمر، به. دون ذكر ركعتي المغرب. ويحيى بن أبي أنيسة ضعيف.

وانظر: الحديث في: مسند أحمد-أيضا- برقم (٤٩٠٩) و (٥٦٩١) و (٥٦٩٩) و (٥٧٤٢) ، وتكرر برقم وفي الباب في ركعتي الفجر: عن أبي هريرة عند مسلم (٧٢٦) ، وأبي داو (١٢٥٦) ، والنسائي ١٥٦/٢، وابن ماجه (١١٤٨) .

وعن جابر عند ابن حبان (٢٤٦٠) .

وعن أنس عند الطحاوي في "شرح معاني الآثار" ٢٩٨/١.

وعن عائشة سيرد ١٨٤/٦.

وفي ركعتي الفجر والمغرب معا: عن ابن مسعود عند ابن ماجه (١١٦٦) ، والطحاوي في "شرح معاني الآثار" ٢٩٨/١.

قال السندي: قوله: "بضعا وعشرين مرة": يريد أنه كان يقرأ السورتين في الركعتين المذكورتين مرارا، لا أنه قرأهما مرة أو مرتين في عمره، ثم ترك، ويستبعد أن يكون مراده التكرار دفعة، لأن مبنى سنة الفجر على التخفيف، والله تعالى أعلم.

(١) مسند أبي يعلى الموصلي(٥٧٢٠):ص٨٢/١٠.[إسناده ضعيف]

سورة «الفلق»

«سورة الفلق»: هي السورة الثالثة عشر بعد المائة بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الفيل»، وقبل «سورة الناس»، وآياتها خمس بالإجماع. وكلماتها ثلاث وعشرون. وحروفها أربع وسبعون. وفواصل آياتها «دبق»(١).

- **أسماء السورة:**
- **أولا:-أسماؤها التوقيفية:**

١-«سورة الفلق»:

اشتهرت هذه السورة في المصاحف وكتب التفسير(٢) بـ«سورة الفلق»، ووجه تسميتها لافتتاحها بقوله تعالى: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} [الفلق : ١].

٢-سورة«قل أعوذ برب الفلق»:

سمى النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة: «قل أعوذ برب الفلق».

روي عن عقبة بن عامر الجهني، أنه قال: اتبعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راكب، فوضعت يدي على قدميه، فقلت: أقرئني من سورة يوسف. فقال: " لن تقرأ شيئا أبلغ عند الله من :{قل أعوذ برب الفلق}"(٣).

وهذا ظاهر في أنه أراد سورة: «قل أعوذ برب الفلق»، لأنه كان جوابا عن قول عقبة: أقرئني سورة هود إلخ، ولأنه عطف على قوله:«قل أعوذ برب الفلق» قوله: «وقل أعوذ برب الناس»، ولم يتم سورة: «قل أعوذ برب الفلق».

وقد عنونها البخاري في «صحيحه»(٤): «سورة قل أعوذ برب الفلق»، بإضافة كلمة «سورة» إلى أول جملة منها.

٣- سورة «المعوذتين» - مع «سورة الناس»:

جاء في كلام بعض الصحابة تسميتها مع سورة الناس «المعوذتين» .

روي عن عقبة بن عامر قال: «أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذات في دبر كل صلاة»(٥). بكسر الواو المشددة وبصيغة الجمع بتأويل الآيات المعوذات، أي: آيات السورتين.

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٥٦/١.

(٢) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٦٩٧/٢٤، وتأويلات أهل السنة: ٦٥٣/١٠، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٧٤/٥، وتفسير ابن فورك: ٣٠٥/٣، والكشف والبيان: ٣٣٧/١٠، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٥٠٥/١٢، والنكت والعيون: ٣٧٣/٦، والوسيط للواحدي: ٥٧٢/٤، وتفسير السمعاني: ٣٠٥/٦، وتفسير البغوي: ٥٩١/٨، والكشاف: ٨٢٠/٤، والمحرر الوجيز: ٥٣٩/٥، وزاد المسير: ٥٠٧/٤، ومفاتيح الغيب: ٣٦٩/٣٢، وتفسير القرطبي: ٢٥٢/٢٠، وغيرها.

(٣) أخرجه احمد في "المسند"(١٧٣٤١):ص٥٧٥/٢٨، إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين، غير أبي عمران أسلم -وهو ابن يزيد التجيبي- فقد روى له أصحاب السنن غير ابن ماجه، وهو ثقة. هاشم: هو ابن القاسم، وليث: هو ابن سعد.
وأخرجه أبو عبيد في "فضائل القرآن" ص١٤٥؛ والنسائي ٢٥٤/٨، وابن الضريس في "فضائل القرآن" (٢٨٢) ، وابن حبان (٧٩٥) ، والطبراني في "الكبير" ١٧/ (٧٨٩) و (٨٦٠) ، وابن السني في "عمل اليوم والليلة" (٦٩٦) ، والبيهقي في "الشعب" (٢٥٦٦) ، والبغوي (١٢١٣) من طرق عن الليث بن سعد، بهذا الإسناد.
وأخرجه النسائي أيضا ١٥٨/٢ عن قتيبة بن سعيد، عن ليث، به، وزاد: و (قل أعوذ برب الناس) .
وأخرجه ابن حبان (١٨٤٢) ، والطبراني ١٧/ (٨٦١) من طريق عمرو بن الحارث، والحاكم ٥٤٠/٢، والبيهقي في "الشعب" (٢٥٦٦) من طريق يحيى ابن أيوب، كلاهما عن يزيد بن أبي حبيب، به.
وأخرجه بنحوه الطبراني ١٧/ (٩٥١) من طريق عبد العزيز بن مروان، عن عقبة. وسنده حسن في المتابعات والشواهد.

(٤) انظر: صحيح البخاري: ١٨١/٦.

(٥) أخرجه أبو داود في الصلاة ١٥٢٣، والنسائي في السهو ١٣٣٦، والترمذي في فضائل القرآن ٢٩٠٣، وقال: «غريب». وأحمد ١٥٥/٤، وصححه الألباني. وانظر «تفسير ابن كثير» ٥٥١/٨-٥٥٣.

وفي رواية: «بالمعوذتين في دبر كل صلاة»[1].

ولم يذكر أحد من المفسرين أن الواحدة منهما تسمى «المعوذة» بالإفراد، وقد سماها ابن عطية «سورة المعوذة الأولى»[2]، فإضافة «سورة» إلى «المعوذة» من إضافة المسمى إلى الاسم، ووصف السورة بذلك مجاز يجعلها كالذي يدل الخائف على المكان الذي يعصمه من مخيفه أو كالذي يدخله المعاذ.

- **الثاني:- أسماؤها الاجتهادية:**

١-سورة «المشقشقتين»- مع سورة الناس:

تسمى هي وسورة الناس :«المشقشقتين» -بتقديم الشينين على القافين- من قولهم: خطيب مشقشق، أي: مسترسل القول، تشبيها له بالفحل الكريم من الإبل يهدر بشقشقة وهي كاللحم يبرز من فيه إذا غضب[3]، ولم يظهر لي وجه وصف المعوذتين بذلك.

وقد سماها بهذا الاسم السخاوي[4]، والسيوطي[5]، ولم يذكرا مستندهما في هذه التسمية.

٢-سورة «المقشقشتين»- مع سورة الناس:

وتسمى هي وسورة الناس : «المقشقشتين» -بتقديم القافين على الشينين-، أي: تبرئان من النفاق[6]، وقد وردت هذه التسمية في بعض كتب التفسير[7].

فيكون اسم «المقشقشة»، مشتركا بين أربع سور : «سورة الفلق»، و«سورة الناس»، و«سورة براءة»، و«سورة الكافرون».

- **مكية السورة ومدنيتها:**

وفي مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها مكية، رواه كريب عن ابن عباس[8]، وبه قال الحسن[9]، وقتادة-في رواية- [10]، وعكرمة[11]، وعطاء[12]، وجابر[13].

الثاني: مدنية، رواه أبو صالح عن ابن عباس[14]، وبه قال قتادة[15].

---

(١) سنن الترمذي(٢٩٠٣):ص١٧١/٥.

(٢) انظر: المحرر الوجيز: ٦٠/١٥. طبعة: قطر.
وقد وردت هذه العبارة في عمدة الحفاظ:١٠٤/٣، وفيه:" ويروى أنه لما نزلت المعوذة الأولى".
وفي "روح البيان" لأبي الفداء: ٥٤٦/١٠، وفيه:" تأخرت هذه الصورة-أي سورة الناس- عن المعوذة الاولى".

(٣) انظر: جمال القراء: ٩٤، والتحرير والتنوير: ٦٢٤/٣٠.
قال السخاوي:" المشقشقتان من قولهم: شقشق البعير إذا هدر. وشقشق العصفور، وخطيتب مشقشق وخطيب ذو شقمثمقة، والشقشقة التي يخرجها البعير من فيه إذا هاج كالرئة، شبه الخطيب بالفحل".

(٤) انظر: جمال القراء: ٩٤.

(٥) الإتقان: ١٩٧/١.

(٦) انظر: تفسير القرطبي: ٢٥١/٢٠.

(٧) ذكرها الزمخشري في "الكشاف": ٨٢٤/٤، و٣٧٣/٦، الماوردي في "النكت والعيون": ٣٧٣/٦، والقرطبي في "التفسير": ٢٥١/٢٠.

(٨) انظر: زاد المسير: ٥٠٧/٤.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٣٧٣/٦، وزاد المسير: ٥٠٧/٤.

(١٠) انظر: المحرر الوجيز: ٥٣٨/٥.

(١١) انظر: النكت والعيون: ٣٧٣/٦، وزاد المسير: ٥٠٧/٤.

(١٢) انظر: النكت والعيون: ٣٧٣/٦، وزاد المسير: ٥٠٧/٤.

(١٣) انظر: النكت والعيون: ٣٧٣/٦، وزاد المسير: ٥٠٧/٤.

(١٤) انظر: النكت والعيون: ٣٧٣/٦، وزاد المسير: ٥٠٧/٤.

(١٥) انظر: النكت والعيون: ٣٧٣/٦.

قال ابن الجوزي:" والأول أصح، ويدل عليه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر وهو مع عائشة، فنزلت عليه المعوذتان"[١].

قال ابن عاشور:" الأصح أنها مكية، لأن رواية كريب عن ابن عباس مقبولة بخلاف رواية أبي صالح عن ابن عباس ففيها متكلم"[٢].

- **الردود على شبهة إنكار المعوذتين المنسوبة إلى ابن مسعود:**

عن زر بنُ حُبَيش قال : قلت لأبي بن كعب : "إن ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه ؟ فقال : أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرني أن جبريل ، عليه السلام ، قال له : " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ " فقلتها ، قال : " {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ}" فقلتها. فنحن نقول ما قال النبي صلى الله عليه وسلم"[٣].

، عن زر قال : سألتُ ابنَ مسعود عن المعوذتين فقال : سألتُ النبي صلى الله عليه وسلم عنهما فقال : " قيل لي ، فقلت لكم ، فقولوا". قال أبي : فقال لنا النبي صلى الله عليه وسلم فنحن نقول"[٤].

عن زر - قال : سألت أبي بن كعب فقلت : أبا المنذر ، إن أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا. فقال : إني سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقال : "قيل لي ، فقلت". فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم"[٥].

عن علقمة قال : كان عبد الله يَحُك المعوذتين من المصحف ، ويقول : إنما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتعوذ بهما ، ولم يكن عبد الله يقرأ بهما"[٦].

عن أبي بن كعب قال : سألنا عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : "قيل لي ، فقلت"[٧].

لقد أثار البعض شبهة تهدف إلى وجود تناقض في كتابة وتدوين القرآن في المصاحف، وأن خيرة الخلق قد اختلفوا في صميم النص القرآني من إضافة سور أو حذفها ، وصنعوا من بن مسعود رضي الله عنه في خيالهم شخصية مظلومة أفتري عليها ولم يسمع لرأيها في جمع وترتيب سور القرآن ، وكأنه كانت هناك عداوة بينه وبين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، وخصوصا عثمان -رضي الله عنه-.

الرد على الشبهة :

لقد نسي هؤلاء أن الاختلافات المزعومة بين المصاحف، إما أن تكون إملائية، أو في طريقة القراءة، أو الوقف أو غير ذلك من هذه الأمور التي لا تمس النص القرآني بالزيادة والنقصان أو التبديل والتحريف، فهؤلاء نسوا أيضا أن هؤلاء الصحابة هم خيرة البشر وصفوتهم الذين اختارهم الله لصحبة نبيه ويصعب تصديق مثل هذه الأفعال في حقهم ، والمعلوم أنهم كانت لهم ضوابط يسيرون عليها في مثل هذه الأمور الحساسة والمحورية .

لقد تناول علماء الإسلام هذه الشبهة بالنقد والتمحيص والتفنيد والتحليل منذ القديم ، وكان هدفهم إظهار الحق الجلي وليس الدفاع القائم على التعصب والذاتية .

---

(١) زاد المسير: ٥٠٧/٤.
(٢) المحرر الوجيز: ٦٢٤/٣٠.
(٣)المسند (١٢٩/٥).
(٤)المسند (١٢٩/٥).
(٥)صحيح البخاري برقم (٤٩٧٧)، (٤٩٧٦).
(٦) رواه أبو يعلى، كما في تفسير ابن كثير: ٨،٥٣٠-٥٣١، رواه البزار في مسنده برقم (٢٣٠١) ، من طريق محمد بن أبي يعقوب ، عن حسان بن إبراهيم به ، وقال البزار : "وهذا لم يتابع عبد الله عليه أحد من الصحابة ، وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ بهما في الصلاة ، وأثبتنا في المصحف".
(٧)زوائد المسند (١٢٩/٥).

أما بالنسبة للمعوذتين والفاتحة فإنه توجد عدة تساؤلات تطرح نفسها وتحتاج إلى إجابة وهي :

١- هل الروايات الواردة في هذا الصدد ثابتة ، أم محض افتراء على بن مسعود -رضي الله عنه-؟
٢- هل استمر على رأيه أم رجع عنه ؟
٣- هل مخالفة أحد الصحابة للإجماع يعتبر حجة على القرآن ؟
٤- ما هو المبرر لعدم ضمه الفاتحة للمصحف ؟

- النقطة الأولى : بالنسبة لصحة النقل عن بن مسعود-رضي الله عنه-، فلقد رأى كثير من العلماء الذين لهم ثقل بين أكابر العلماء ورأيهم محل تقدير ، عدم صحة الروايات الواردة عن بن مسعود بهذا الصدد ، وقد تابعهم على هذا الرأي خلق كثير، وخلاصة ما قالوه :

أن المسلمين أجمعوا على وجوب تواتر القرآن ويشكل على هذا ما نقل عن بن مسعود من إنكاره لقرآنية الفاتحة والمعوذتين ، بل روي عن أنه ﷺ حك من مصحفه المعوذتين ،زعما منه أنهما ليستا من القرآن .وقد أجابوا عن ذلك بمنع صحة النقل ، فلقد قال النووي رحمه الله :"أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة وسائر السور المكتوبة في المصحف قرآن، وأن من جحد شيئًا منه كفر، وما نقل عن ابن مسعود في الفاتحة والمعوذتين باطل، ليس بصحيح عنه" (١).

وقال ابن حزم: "وكل ما روي عن ابن مسعود من أن المعوذتين وأم القرآن لم تكن في مصحفه فكذب موضوع، لا يصح، وإنما صحت عنه قراءة عاصم عن زر ابن حبيش عن ابن مسعود، وفيها أم القرآن والمعوذتان"(٢).

وإضافة إلى ذلك ما قاله الإمام الباقلاني إذ يقول أن :"القائلون بفضل بن مسعود يكذبون جميع ما روي عنه في هذا الباب"(٣) .

ومن الواضح أن ما ورد عن بن مسعود ﷺ يتناقض مع طبيعته وشخصيته ولا أدري في مصلحة من الافتراء على ذلك الصحابي الكبير ، وهذا ما هال العلماء الدفاع عنه ، وتبرئته من تلك التهم المكذوبة .

- النقطة الثانية : لم يستمر بن مسعود ﷺ على رأيه ، بل رجع إلى الصواب لما تبين له حقيقة الأمر ، وأقر المصحف العثماني وأمر أصحابه بحرق المصاحف .

وقد أكد الذهبي نزول بن مسعود على رأي الإجماع فقال : "وقد ورد أن بن مسعود رضي وتابع عثمان ولله الحمد"(٤)، وكذلك قال بن كثير: "وإنما روي عن عبد الله بن مسعود شيء من الغضب، بسبب أنه لم يكن كتب المصاحف إلى أن قال "ثم رجع بن مسعود إلى الوفاق"(٥) . وهنا تتضح صورة الصحابة في رجوعهم إلى الحق والتزامهم إياه بأدب جم وذوق رفيع ، هذا الاعتراض من بن مسعود ﷺ قبل الإجماع على مصحف عثمان -رضي الله عنه-، فلما تبين له رضا الجميع بهذا الجمع نزل على رأي الجماعة.

- النقطة الثالثة : من المقرر عند علماء الأصول أن مخالفة أحد الصحابة للإجماع لا يعتبر حجة على الإجماع، وبالتالي فإن مخالفة أحد الصحابة الإجماع لا يعتبر حجة على القرآن لأنه لا يؤثر في تواتر الخبر ، "ولم يقل أحد في الدنيا أن من شرط التواتر والعلم اليقيني المبني عليه ألا يخالف فيه

---

(١) المجموع شرح المهذب , النووي ، تحقيق : محمد نجيب المطيعي ,(المملكة العربية السعودية , جدة مكتبة الإرشاد) (٣٦٣/٣)

(٢) المحلى , ابن حزم , تحقيق: العلامة أحمد محمد شاكر ,(مصر مطبعة النهضة ,) (١٣/١)

(٣) نكت الانتصار لنقل القرآن، أبو بكر الباقلاني, تحقيق : محمد زغلول سلام ,الإسكندرية , منشأة المعارف) , ص٣٦٣

(٤) سير أعلام النبلاء, الذهبي (٤٨٨/١) , تحقيق :شعيب الأرناؤوط , وحسين الأسد , ط١١(بيروت , مؤسسة الرسالة , ١٤١٧-١٩٩٦م)

(٥) فضائل القرآن , ابن كثير، تحقيق: أبو إسحاق الحويني الأثري , ط١(القاهرة , مكتبة بن تيمية , ١٤١٦) , ص٢٠

مخالف ، وإلا لأمكن هدم كل متواتر وإبطال كل علم قام عليه بمجرد أن يخالف فيه مخالف ولو لم يكن في العير أو في النفير "[١].

فصنيع بن مسعود -رضي الله عنه-إن صح عنه لا يؤثر في إجماع الصحابة على مصحف عثمان بحال من الأحوال ،وهذه سمة عظيمة من سمات الدين الإسلامي وهي التوافق وعدم الإنفراد بالرأي .

- النقطة الرابعة : إن المبرر الحقيقي لعدم تسجيل بن مسعود -رضي الله عنه- لسورة الفاتحة في مصحفه "لا لأنها من غير القرآن ، وإنما بسبب أن القرآن الكريم إنما كتب وجمع بين اللوحين مخافة الشك والنسيان والزيادة والنقصان ، وكل هذا مأمون في سورة الفاتحة لقصرها ، ولأنه لا يجوز لأحد من المسلمين ترك تعلمها كما يجوز ترك تعلم غيرها وحفظها لحاجتهم الماسة إليها في الصلاة، حيث تثنى في كل صلاة وتقرأ في غيرها من الأمور والمناسبات الدينية، فلما أمن عليها العلة التي من أجلها كتب المصحف ترك كتابتها وهو يعلم أنها من المصحف بالتأكيد ، ولو أن رجلا كتب من القرآن سورا وترك سورا لم يكتبها لم يكن عليه في ذلك حرج أبدا "[٢].

فهل يعقل أن يكون بن مسعود ﷺ غير عالم بأن الفاتحة من القرآن وأن قصد من تركها عدم قرآنيتها ؟! ولو سلمت بهذا التصور فإنه اتهام للصحابة غير مبرر وهم خيرة الخلق وأفضلهم على الإطلاق.

إن هذا التفسير جاء مناسبا لشخصية تاريخية تناولها كلا من المستشرقين والرافضة بالافتراء وإلصاق التهم بها ، فهل نصدق نحن المسلمون ذلك الزعم الذي يفخمه أعدائه من المستشرقين والمتنطعين ، بل ويسلطون الضوء عليه ويبرزونه ويتناولونه في أنديتهم على أنهم أخيرا قد توصلوا إلى ثغرة في تاريخ هذا الكتاب الكريم ؟ كلا لا نصدق ذلك أبدا عن بن مسعود، فإنهم لا يدركون قيمته عند المسلمين ،وقد صاحب النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ عنه القرآن وفضله ومناقبه تشهد بعلمه وفضله ،فالظن بعدم علمه أن المعوذتين والفاتحة من غير القرآن غير مقنع تماما، ومن وجهة نظر عقلية من يعرف شخصية بن مسعود رضي الله عنه وتفانيه في خدمة القرآن والمحافظة عليه يستبعد تماما تلك الأوهام والظنون التي أثيرت حوله ، ومما يثبت ذلك أن قراءة عاصم الأكثر انتشارا والتي تضم الفاتحة والمعوذتين ثابتة بالنقل الصحيح والتواتر عن بن مسعود.

ومن ناحية أخرى يوقن الجميع أن العصمة للأنبياء فقط وما عداهم قد يصيب ويخطئ، وأن العمل الفردي لا يعتد به ما لم يشيد على أساس من التوافق مع الشرع والإجماع ، ولا ينبني عليه حكم دون النظر فيما اتفقت عليه الأمة.

قال ابن كثير:" المشهور عند كثير من القراء والفقهاء : أن ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه ، فلعله لم يسمعهما من النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يتواتر عنده ، ثم لعله قد رجع عن قوله ذلك إلى قول الجماعة ، فإن الصحابة ، رضي الله عنهم ، كتبوهما في المصاحف الأئمة ، ونفذوها إلى سائر الآفاق كذلك ، ولله الحمد والمنة"[٣].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

لما أبان اللّه تعالى أمر الألوهية في سورة الإخلاص لتنزيه اللّه عما لا يليق به في ذاته وصفاته، أبان في هذه السورة وما بعدها وهما المعوذتان ما يستعاذ منه باللّه من الشر الذي في العالم، ومراتب مخلوقاته الذين يصدون عن توحيد اللّه، كالمشركين وسائر شياطين الإنس والجن، وقد ابتدأ في هذه السورة بالاستعاذة من شر المخلوقات، وظلمة الليل، والسحرة، والحسّاد، ثم ذكر في« سورة الناس» الاستعاذة من شر شياطين

---

(١) مناهل العرفان، الزرقاني : (١/٢٢٥-٢٢٦)
(٢)محمد علي قشيري, مصدر سابق , ص٩٧
(٣) تفسير ابن كثير: ٨/٥٣١.

الإنس والجن لذا سميت السور الثلاثة -الإخلاص وما بعدها- في الحديث بالمعوّذات. وقدمت الفلق على الناس لمناسبة الأوزان في اللفظ لفواصل الإخلاص مع مقطع {تَبَّتْ}[(١)].

قال أبو حيان:" لما شرح أمر الإلهية في السورة قبلها، شرح ما يستعاذ منه بالله من الشر الذي في العالم ومراتب مخلوقاته"[(٢)].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

تتمثل مقاصد «سورة الفلق» الإجمالية في أمر المؤمنين بالاعتصام بالله، رب الفلق من شرّ مخلوقاته: وبالأخص الليل إذا أظلم، والسواحر بالنفث في العقد، والحاسد الذي يتمنى زوال النعمة عن الناس.

وقد جاءت المقاصد التفصيلية لـ«سورة الفلق» على النحو الآتي:

١- التأكيد على أنّ الله -تعالى- هو خالق الظواهر الكونية، فقد قال -سبحانه وتعالى- ويظهر ذلك في مطلع سورة الفلق: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} [الفلق : ١]، والفلق هو بزوغ الفجر فقد أمر الله عباده بالاستعاذة بالله خالق الفلق وربّ كلّ ما في الكون.

٢- الإقرار بأنّ الله -تعالى- هو خالق الخير والشر، فالشيطان وكلّ من كفر من الجنّ هم من خلق الله وكانوا كلهم مسلمين له قبل تمرّدهم وعصيانه، ولأنّ الله -تعالى- يعلم شرّ ما يمكن أن يصيبوا المرء به أمر النبيّ الكريم والمسلمين بالتعوذ بالله من شرّ ما خلق، حيث تابع قوله بأنّ يستعيذ برب الفلق من كل الشرور التي خلقها فقد قال: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢)} [الفلق : ١ - ٢].

٣- لفت انتباه المسلمين إلى أنّ الليل إذا سكن فهو يحوي من الشر والمخاطر ما يستوجب الاستعاذة بالله منه وذلك بقوله: {وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ} [الفلق : ٣]، فالغاسق هو الليل وإذا وقب أي إذا هدأ، فعند هدوء الليل تخرج شياطين الإنس والجن لتعيث فسادًا في المجتمع الإسلاميّ ولهذا أمر الله المسلمين بالاستعاذة من هدوء الليل.

٤- الأمر بالاستعاذة من النفاثات في العقد وذلك بقوله: {وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ} [الفلق : ٤]، فالنفاثات في العقد هنّ الساحرات اللواتي يعقدن العقد وينفثن فيها حتى ينعقد السحر، فكان من مقاصد سورة الفلق الإقرار بكفر هؤلاء الساحرات مع الأمر بالاستعاذة بالله منهن للوقاية من شرّهن.

٥- ختام سورة الفلق بالمقصد الأخير وهو أنّ الله -سبحانه وتعالى- أمر بالاستعاذة من شر الحاسد وبغضه وذلك بقوله: {وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ} [الفلق : ٥]، وفي هذا إشارة على أنّ الحسد النابع من نفس المرء قد يحوي شرًا كثيرًا وقد تكون من تبعاته تمني زوال الخير عن من تحسده النفس الشريرة الأمارة بالسوء -والعياذ بالله-، لهذا كان أمر الله بالاستعاذة من شر هذه النفوس وما تضمره في صدورها من مشاعر سلبية مثل الحسد.

قال الفيروزآبادي :" معظم مقصود السورة: الاستعاذة من الشرور، ومن مخافة الليل الديجور، ومن آفات الماكرين والحاسدين في قوله: {إِذَا حَسَدَ} [الفلق : ٥]"[(٣)].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة محكمة[(١)].

---

(١) انظر: التفسير المنير للزحيلي: ٣٠/٤٦٩-٤٧٠.

(٢) البحر المحيط في التفسير: ١٠/٥٧٥.

(٣)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ١/٥٥٦.

- **فضائل السورة:**

- عن عقبة بن عامر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ}»[٢].
- عن عقبة بن عامر قال : اتبعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راكب ، فوضعت يدي على قدمه، فقلت : أقرئني سورة هود أو سورة يوسف. فقال : "لن تقرأ شيئًا أنفع عند الله من " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَق "[٣].
- عن عقبة بن عامر قال : بينا أنا أقود برسول الله صلى الله عليه وسلم في نَقب من تلك النقاب ، إذ قال لي : "يا عقبة ، ألا تَركب ؟ ". قال : فَأَجْلَلْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أركب مركبه. ثم قال : "يا عُقيب ، ألا تركب ؟ ". قال فأشفقت أن تكون معصية ، قال : فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وركبت هنيهة ، ثم ركب ، ثم قال : "يا عقيب ، ألا أُعلمك سورتين من خير سورتين قرأ بهما الناس ؟ ". قلت : بلى يا رسول الله. فأقرأني : " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَق " و " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاس " ثم أقيمت الصلاة ، فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ بهما ، ثم مر بي فقال : "كيف رأيت يا عقيب اقرأ بهما كلما نمت وكلما قمت"[٤].
- وعن عقبة بن عامر قال: «أمرني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن أقرأ بالمعوذات في دبر كل صلاة»[٥].
- عن عقبة بن عامر قال : كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «يا عقبة، قل» فقلت: ماذا أقول يا رسول الله؟ فسكت عني، ثم قال: «يا عقبة قل» قلت: ماذا أقول يا رسول الله؟ فسكت عني، فقلت: اللهم اردده علي، فقال: «يا عقبة قل» قلت: ماذا أقول يا رسول الله؟ فقال: «قل أعوذ برب الفلق»، فقرأتها حتى أتيت على آخرها، ثم قال: «قل» قلت: ماذا أقول يا رسول الله؟ قال: «قل أعوذ برب الناس» فقرأتها حتى أتيت على آخرها، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك: «ما سأل سائل بمثلهما، ولا استعاذ مستعيذ بمثلهما»"[٦].
- عن عقبة بن عامر : "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ بهما في صلاة الصبح"[٧].
- عن جابر بن عبد الله قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اقرأ يا جابر» قلت: وماذا أقرأ بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟ قال: «اقرأ قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس» فقرأتهما، فقال: «اقرأ بهما، ولن تقرأ بمثلهما»[٨].
- عن عبد الله الأسلمي - هو ابن أنيس - : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع يده على صدره ثم قال : "قل". فلم أدر ما أقول ، ثم قال لي : "قل". قلت : " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ " ثم قال لي : "قل". قلت : " أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَق مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ " حتى فرغت منها ، ثم قال لي : "قل". قلت : " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاس " حتى فرغت منها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "هكذا فَتَعَوَّذْ ما تعوذ المتعوذون بمثلهن

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف العزيز: ٥٥٦/١.
(٢) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين – باب فضل قراءة المعوذتين ٨١٤، والنسائي في الافتتاح ٩٥٣، والترمذي في التفسير – تفسير المعوذتين ٣٣٦٧، وأحمد ١٤٤/٤، ١٤٦، ١٤٩، ١٥٠.
(٣) سنن النسائي(٥٤٣٩):ص٢٥٤/٨. قال الألباني: صحيح.
(٤) أخرجه أبو داود في الوتر ١٤٦٢، والنسائي في الاستعاذة ٥٠٢٤، ٥٠٢٥، وصححه الألباني.
(٥) أخرجه أبو داود في الصلاة ١٥٢٣، والنسائي في السهو ١٣٣٦، والترمذي في فضائل القرآن ٢٩٠٣، وقال: «غريب». وأحمد ١٥٥/٤، وصححه الألباني. وانظر «تفسير ابن كثير» ٥٥١/٨-٥٥٣.
(٦) سنن النسائي(٥٤٣٨):ص٢٥٣/٨. قال الألباني: حسن صحيح.
(٧) صحيح النسائي(٥٤٣٥):ص٢٥٢/٨. ثال الألباني: صحيح.
(٨) سنن النسائي(٥٤٤١):ص٢٥٤/٨، قال الألباني: حسن صحيح.

قط"[١].

- عن ابن عابس الجهني أن النبي ﷺ قال له: يا ابن عابس «ألا أدلك - أو قال: ألا أخبرك - بأفضل ما يتعوذ به المتعوذون؟ قال: بلى يا رسول الله. قال: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ}، و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} هاتين السورتين»[٢].
- عن أبي العلاء قال : قال رجل : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ، والناس يعتقبون ، وفي الظهر قلة ، فحانت نزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلتي ، فلحقني فضرب من بعدي منكبي ، فقال : " {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ}"، فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأتها معه ، ثم قال : " {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ}" ، فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأتها معه ، فقال : "إذا صليت فاقرأ بهما"[٣].
- عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقرأ بهما وينفث في كفيه، ويمسح بهما رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، وما بلغت يداه من جسده»[٤].

قال ابن القيم رحمه الله: "والمقصود: الكلام على هاتين السورتين، وبيان عظيم منفعتهما، وشدة الحاجة بل الضرورة إليهما، وأنه لا يستغني عنهما أحد قط، وأن لهما تأثيرًا خاصًا في دفع السحر والعين وسائر الشرور، وأن حاجة العبد إلى الاستعاذة بهاتين السورتين أعظم من حاجته إلى النفس والطعام والشراب واللباس"[٥].

وقال ابن القيم: "فسورة الفلق تتضمن الاستعاذة من شر المصيبات، وسورة الناس تتضمن الاستعاذة من شر العيون التي أصلها كلها الوسوسة"[٦].

---

(١)سنن النسائي الكبرى برقم (٧٨٤٥).
(٢) أخرجه النسائي في الاستعاذة(٥٤٣٢):ص٢٥١/٨، وصححه الألباني.
(٣)المسند (٢٤/٥). قال ابن كثير:٥٣٤/٨:" الظاهر أن هذا الرجل هو عقبة بن عامر ، والله أعلم".
(٤) أخرجه البخاري في فضائل القرآن ٥٠١٨، ومسلم في السلام ٢١٩٢، وأبو داود في الطب، ٣٩٠٢، وابن ماجه في الطب ٣٥٢٩.
(٥) انظر «التفسير القيم» ص٥٣٧.
(٦) التفسير القيم :٦٠٠.

سورة «الناس»

«سورة الناس»: هي السورة الرابعة عشر بعد المائة بحسب الرسم القرآني، بحسب الرسم القرآني وهي السورة الثانية عشرة من المجموعة الخامسة عشرة من قسم المفصل، نزلت بعد «سورة الفلق»، وقبل «سورة الإخلاص»، آياتها سبع عند المكيين، والشاميين، وست عند الباقين. المختلف فيها آية: {مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ} [الناس : ٤]. وكلماتها عشرون. وحروفها تسع وسبعون. وفواصلها على «السين»[١].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:-أسماؤها التوقيفية:**

١-«سورة الناس»:

اشتهرت هذه السورة في المصاحف وكتب التفسير[٢] بـ«سورة الناس»، ووجه تسميتها لافتتاحها بقوله تعالى: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} [الناس : ١]، وقد تكررت كلمة «الناس»، فيها خمس مرات.

٢-سورة«قل أعوذ برب الناس»:

لقد تقدم في الاسم الثاني لسورة «الفلق»، أن النبي-صلى الله عليه وسلم- والصحابة الكرام، سموها سورة: «قل أعوذ برب الناس».

روي عن عقبة بن عامر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ}»[٣].

عن عائشة -رضي الله عنها-:" أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ}، ثم يمسح ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات»[٤].

وقد عنونها البخاري في «صحيحه»[٥]: سورة« قل أعوذ برب الناس»، بإضافة كلمة «سورة» إلى أول جملة منها.

٣- سورة «المعوذتين» :

قد تقدم في الاسم الثالث لـ«سورة الفلق»، أنها و«سورة الناس»، تسميان: «المعوذتين»، وكذلك جاء في كلام بعض الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين-.

روي عن عقبة بن عامر قال: «أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذات في دبر كل صلاة»[٦]. بكسر الواو المشددة وبصيغة الجمع بتأويل الآيات المعوذات، أي: آيات السورتين.

وفي رواية: «بالمعوذتين في دبر كل صلاة»[٧].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٥٧/١.

(٢) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٧٠٧/٢٤، وتأويلات أهل السنة: ٦٥٩/١٠، والبحر العلوم للسمرقندي: ٦٣٨/٣، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٧٥/٥، وتفسير ابن فورك: ٣٠٨/٣، والكشف والبيان: ٣٤١/١٠، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٥١٣/١٢، والنكت والعيون: ٣٧٨/٦، والوسيط للواحدي: ٥٧٥/٤، وتفسير السمعاني: ٣٠٨/٦، وتفسير البغوي: ٥٩٧/٨، والكشاف: ٨٢٣/٤، والمحرر الوجيز: ٥٤٠/٥، وزاد المسير: ٥١٠/٤، ومفاتيح الغيب: ٣٧٦/٣٢، وتفسير القرطبي: ٢٦٠/٢٠، وتفسير البيضاوي: ٣٥٠/٥، وغيرها.

(٣) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين – باب فضل قراءة المعوذتين ٨١٤، والنسائي في الافتتاح ٩٥٣، والترمذي في التفسير – تفسير المعوذتين ٣٣٦٧، وأحمد ١٤٤/٤، ١٤٦، ١٤٩، ١٥٠.

(٤)صحيح البخاري برقم (٥٠١٧) وسنن أبي داود برقم (٥٠٥٦) وسنن الترمذي برقم (٣٤٠٢) وسنن النسائي الكبرى برقم (١٠٦٢٤) وسنن ابن ماجة برقم (٣٨٧٥).

(٥) انظر: صحيح البخاري: ١٨١/٦.

(٦) أخرجه أبو داود في الصلاة ١٥٢٣، والنسائي في السهو ١٣٣٦، والترمذي في فضائل القرآن ٢٩٠٣، وقال: «غريب». وأحمد ١٥٥/٤، وصححه الألباني. وانظر «تفسير ابن كثير» ٥٥١/٨-٥٥٣.

(٧) سنن الترمذي(٢٩٠٣):ص١٧١/٥.

وعنون لها –من القدماء-ابن عطية[١]، والثعالبي[٢] في تفسيريهما: سورة «المعوذة الثانية»[٣]، وعنون لها الترمذي[٤] مع سورة الفلق بـ«المعوذتين»، وكذلك فعل الكلبي في تفسيره[٥].

- **الثاني:- أسماؤها الاجتهادية:**

١-سورة «المشقشقتين»:

سبق –أيضا- أنها هي و«الفلق»تسميان:«المشقشقتين»، وقد سماهما بهذا الاسم السخاوي[٦]، والسيوطي[٧]، دون ذكر مستندهما في هذه التسمية.

٢-سورة «المقشقشتين»:

تقدم في مقدمة سورة «الفلق»، أن بعض المفسرين[٨] سموهما : «المقشقشتين»[٩]-بتقديم القافين على الشينين-، أي: تبرئان من النفاق[١٠].

وقد وردت في بعض المصاحف سورة «الملك»[١١]، وهي تسمية للسورة ببعض ألفاظها، قال تعالى: {مَلِكِ النَّاس} [الناس : ٢]، ولم أقف عليه عند أحد من المفسرين.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

وفي مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها مكية، رواه كريب عن ابن عباس[١٢]، وبه قال قتادة[١٣].

الثاني: مدنية، رواه أبو صالح عن ابن عباس[١٤]، وابن الزبير[١٥].

عن عبد الله بن الزبير، قال: "أنزل بالمدينة: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاس}"[١٦].

قال ابن عاشور:" هي مكية في قول الذين قالوا في سورة الفلق إنها مكية، ومدنية في قول الذين قالوا في سورة الفلق إنها مدنية. والصحيح أنهما نزلتا متعاقبتين، فالخلاف في إحداهما كالخلاف في الأخرى"[١٧].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

---

(١)انظر: المحرر الوجيز: ٦١/١٥. طبعة: قطر.

(٢) انظر: تفسير الثعالبي: ٤٥٣/٤.

(٣) وقد وردت هذه التسمية في التفاسير الحديثة، مثل: التفسير الوسيط للطنطاوي: ٥٤٧/١٥، والتفسير الواضح، للحجازي: ٩٢٣/٣.

(٤) سنن الترمذي: ١٧٠/٥.

(٥) انظر: تفسير الكلبي: ٢٢٥/٤.

(٦) انظر: جمال القراء: ٩٤.

(٧) الإتقان: ١٩٧/١.

(٨) ذكرها الزمخشري في "الكشاف": ٨٢٤/٤، و٣٧٣/٦، الماوردي في "النكت والعيون": ٣٧٣/٦، والقرطبي في "التفسير": ٢٥١/٢٠.

(٩)فيكون اسم «المقشقشة» مشتركا بين أربع سور : «سورة الفلق»، و«سورة الناس»، و«سورة براءة»، و«سورة الكافرون».

(١٠) انظر: تفسير القرطبي: ٢٥١/٢٠.

(١١) مصحف بجامعة الإمام بالرياض، رقم(٨٠٤٣)، نسخ سنة(١٠٩٨هـ).

(١٢) انظر: زاد المسير: ٥١٠/٤.

(١٣) انظر: المحرر الوجيز: ٥٤٠/٥.

(١٤) انظر: المحرر الوجيز: ٥٤٠/٥، وزاد المسير: ٥١٠/٤.

(١٥) انظر: الدر المنثور: ٦٩٣/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٦) الدر المنثور: ٦٩٣/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٧) التحرير والتنوير: ٦٣١/٣٠.

تقدم أنها نزلت مع ما قبلها ، ولقد عرفنا وجه مناسبتها لما سبقها في مقدمة سورة«الفلق»، وهي آخر سورة في القرآن، وقد بدئ بالفاتحة التي هي استعانة باللّه وحمد له، وختم بالمعوذتين للاستعانة باللّه أيضا[١].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

تتمثل مقاصد سورة الناس الإجمالية في الاعتصام بالإله الحق من شر الخلق الباطن، واسمها دال على ذلك لأن الإنسان مطبوع على الشر، وأكثر شره بالمكر والخداع، وأحسن من هذا أنها للاستعاذة من الشر الباطن المأنوس به المستروح إليه، فإن الوسوسة لا تكون إلا بما يشتهي، والناس مشتق من الأنس، فإن أصله أناس، وهو أيضاً اضطراب الباطن المشير إليه الاشتقاق من النوس، فطابق حينئذ الاسم المسمى.

ويعدّ مقصود هذه السورة معلول لمقصود الفاتحة الذي هو المراقبة، وهي شاملة لجميع علوم القرآن التي هي مصادقة الله ومعاداة الشيطان ببراعة الختام وفذلكة النظام، كما أن الفاتحة شاملة لذلك لأنها براعة الاستهلال، ورعاية الجلال والجمال، فقد اتصل الآخر بالأول اتصال العلة بالمعلول، والدليل بالمدلول، والمثل بالممثول، والله المسؤول في تيسير السؤل، وتحقيق المأمول، فإنه الجواد ذو الطول، وبه يستعان وعليه التكلان.

جاءت مقاصد سورة الناس التفصيلية على النحو التالي:

١– الإقرار بربوبية الله تعالى وأنه وحده المالك لكل شيء في هذا الكون والمستحق للعبودية، فهو الرب والملك والإله الذي يُستعاذ به ويُلتجأ إليه من كل شر.

٢– تكريم الله لبني آدم، حيث خصّ الله تعالى الناس من بين جميع المخلوقات المربوبة، ومن باب التشريف أنه أخدم لهم الملائكة، وذلك لأن العدو الأزلي إبليس متربص بالناس، وتلقى الشياطين وساوسهم إلى الناس لكي يُضلونهم.

٣– التأكيد على أن الله تعالى هو الملك الحق، الغني عن الخلق، الذي له السلطة العليا في الناس، وله الملك الكامل، والتصرف الشامل، الذي له الأمر النافذ في خلقه، ينفذ فيهم أمره وحكمه، كيف شاء، ومتى شاء.

٤– الإشارة إلى أن «الله» هو المعبود، وهذا الوصف جامع لكافة صفات الكمال والجلال؛ لذلك يتضمن لفظ "الله" كافة الأسماء الحسنى، فهو الاسم الجامع لأنه به دلالة على آلوهيته للناس، وتألُّه القلوب بعظمته.

٥– توسيط صفة الملك بين الربوبية والإلهية؛ لأن الملك هو المتصرف بقوله وأمره، فهو المطاع إذا أمر، وملكه سبحانه لهم تابع لخلقه إياهم، فملكه من كمال ربوبيته، وكونه إلههم الحق من كمال ملكه.

٦– إرشاد العباد إلى الاستعاذة من أذى الشيطان الموكل بالإنسان الذي يوسوس عند الغفلة، ويختفي عند ذكر الله، لم يقل الشيطان ولكن الوسواس؛ لأن الوسوسة هي أبرز صفة للشيطان وأخطرها وأضرها على الإنسان.

٧– بيان جهات الشر، فالشر بعضه ينشأ عن وسوسة النفس، والبعض الآخر ناتج عن وسوسة الشيطان، فإذا كره الإنسان ما تدعو إليه نفسه الأمارة بالسوء، فعليه أن يستعيذ من الشيطان لأنه منبته، وإذا أحب الإنسان ما تدعو إليه نفسه الأمارة بالسوء، فعليه أن يردعها ويجاهدها.

---

(١) انظر: التفسير المنير للزحيلي: ٣٠/٤٦٩-٤٧٠.

قال الفيروزآبادي :" معظم مقصود السورة: الاعتصام بحفظ الحق - تعالى - وحياطته، والحذر والاحتراز من وسواس الشيطان، ومن تعدى الجن والإنسان، في قوله: {مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ} [الناس : ٦]"[١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

جميعها محكم وليس فيها ناسخ ولا منسوخ [٢].

- **فضائل السورة:**

- عن عقبة بن عامر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ}»[٣].
- وعن عقبة بن عامر قال: «أمرني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن أقرأ بالمعوذات في دبر كل صلاة»[٤].
- عن ابن عابس الجهني أن النبي ﷺ قال له: يا ابن عابس «ألا أدلك - أو قال: ألا أخبرك - بأفضل ما يتعوذ به المتعوذون؟ قال: بلى يا رسول الله. قال: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ}، و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} هاتين السورتين»[٥].
- عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقرأ بهما وينفث في كفيه، ويمسح بهما رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، وما بلغت يداه من جسده»[٦].

قال ابن القيم رحمه الله: "والمقصود: الكلام على هاتين السورتين، وبيان عظيم منفعتهما، وشدة الحاجة بل الضرورة إليهما، وأنه لا يستغني عنهما أحد قط، وأن لهما تأثيرًا خاصًا في دفع السحر والعين وسائر الشرور، وأن حاجة العبد إلى الاستعاذة بهاتين السورتين أعظم من حاجته إلى النفس والطعام والشراب واللباس"[٧].

وقال ابن القيم: "فسورة الفلق تتضمن الاستعاذة من شر المصيبات، وسورة الناس تتضمن الاستعاذة من شر العيون التي أصلها كلها الوسوسة"[٨].

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٥٧/١.

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ، لهبة الله: ٢٠٩.

(٣) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين – باب فضل قراءة المعوذتين ٨١٤، والنسائي في الافتتاح ٩٥٣، والترمذي في التفسير – تفسير المعوذتين ٣٣٦٧، وأحمد ١٤٤/٤، ١٤٦، ١٤٩، ١٥٠.

(٤) أخرجه أبو داود في الصلاة ١٥٢٣، والنسائي في السهو ١٣٣٦، والترمذي في فضائل القرآن ٢٩٠٣، وقال: «غريب». وأحمد ١٥٥/٤، وصححه الألباني. وانظر «تفسير ابن كثير» ٥٥١/٨-٥٥٣.

(٥) أخرجه النسائي في الاستعاذة(٥٤٣٢):ص٢٥١/٨، وصححه الألباني.

(٦) أخرجه البخاري في فضائل القرآن ٥٠١٨، ومسلم في السلام ٢١٩٢، وأبو داود في الطب، ٣٩٠٢، وابن ماجه في الطب ٣٥٢٩.

(٧) انظر «التفسير القيم» ص٥٣٧.

(٨) التفسير القيم :٦٠٠.

الخاتمة

سيظلّ القرآن الكريم كتاب الله المُعجِز الذي لا تنقضي عجائبه إلى يوم القيامة. تحدَّى اللهُ البشرَ أن يأتوا بآية مثله، فلم يقدر إنسان على وجه الأرض منذ ما يزيد على أربعة عشر قرنًا على أن يأتي بكلمات تماثل آية من كتاب الله -عزّ وجل-، ولن يستطيع البشر أن يفعلوا هذا، ولو اجتمع أهل الأرض ما استطاعوا إلى هذا سبيلًا، وهو ما يدلّ على عظمة هذا الكتاب، وعلى النعمة الكبيرة التي اختصّ بها اللهُ -عز وجل- العربَ بإنزاله كتابه بلسانهم، فجاء القرآن: {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ}[الشعراء: ١٩٥].

والقرآن الكريم أثرى الكتبِ على الإطلاق؛ فهو الكتاب السماوي الوحيد الذي لم يتعرّض للتغيير والتبديل والتحريف، وهو الكتاب الذي يجد فيه كلّ إنسان ما يريد، ويعثر فيه الحيارَى على ما يزيل حيرتهم، وتتنزّل على المؤمنين الطمأنينة والسكينة عند قراءته والاستماع إليه، وتستقيم حياتهم عندما يتخذونه نهجًا يهتدون به وبالسنة النبوية التي أوضحته، ويجد فيه العلماء معاني لم يصلوا إليها من قبلُ؛ وفي هذا دليل على إعجازه الذي لا ينقطع.

وقد توصل البحث إلى جملة من الاستنتاجات، يمكن إجمالها فيما يأتي:

١- اشتُهر القرآن الكريم بأربعة أسماء، وهي: "الكتاب، والذِكر، والفُرقان، والقرآن"، أمّا ما ذُكِر من أسماء أخرى؛ فهي من قبيل الصفات لا من الأسماء، مثل: وصف القرآن بالعظيم، أو الكريم، أو المَتين، أو المَجيد، أو العزيز، وغير ذلك من الصفات، وفيما يأتي تفصيل وبيان البعض من الأسماء الخاصّة بالقرآن.

٢- ثبت عن بعض السلف كراهة أن يقال في تسمية السورة باسمها المباشر، كأن يقال: سورة البقرة، سورة آل عمران، ونحو ذلك، ، والصحيح جواز أن يقال سورة البقرة: وآل عمران والنساء، والأعراف، وهكذا بدون كراهة.

٣- كتبت المصاحف منذ زمن عثمان بن عفان وهي خالية من النقط و التشكيل، وذلك حتى يمكن قراءته بالأحرف السبعة التي نـزل بها القرآن الكريم، وعندما أرسلت نسخ القرآن الكريم إلى البلاد التي كان يفتحها المسلمون، نسخوها على هيئتها، وهي خالية من النقط والتشكيل، فاضطر المسلمون في عصر التابعين إلى اعجام المصحف وشكله وتجزئته للمحافظة على أداء القرآن كما رسمه المصحف.

٤- أنّ القرآن الكريم نزل مقسمًا إلى ١١٤ سورة، وكلّ سورة من القرآن تحمل اسمًا يميزها عن غيرها. وبعض السور يحمل عدّة أسماء وليس اسمًا واحدًا، ومنها سورة الفاتحة التي ذكر السيوطي أن لها ما يزيد على عشرين اسمًا.

٥- ثبت أن أسماء سور القرآن الكريم توقيفية، أي: أن الله هو الذي سمى السور بهذه الأسماء ، ونزل أمين الوحي جبريل على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخبره بأسمائها، والرسول صلى الله عليه وسلم أخبر الصحابة بها بعدما أوحي إليه بذلك ، وبهذا جزم السيوطي في كتابه الإتقان، أو أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفق لهذا وأقره الوحي عليها وهذا رأي آخر لبعض العلماء

٦- ان بعض السور لها أكثر من اسم، ومن هذه الاسماء التوقيفي ومنها الاجتهادي، فما ثبت منها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهي توقيفية، وأما الاجتهادية فهي من تسمية الصحابة والتابعين، ومن استنباط العلماء واجتهادهم.

٧- أهمية ذكر فضائل القرآن لأنه يحفز على تعلم القرآن وقراءته.

٨- أن فضائل القرآن تعني أمرين : بيان المزية والشرف للقرآن نفسه أو ما يتعلق به, وبيان الأجر والثواب في الدنيا والآخرة، وقد ترد الفضائل في آيات مجتمعة وأحيانا مفردة, وأحيانا ترد فضائل في سور مجتمعة وكذلك منفردة.

٩- قد وردت في فضائل السور أحاديث كثيرة، منها صحيحة ، ومنها ضعيفة، وقد بيّن البحث درجة كل حديث.

١٠- أن عامة كتب التفسير قد احتوت على أحاديث ضعيفة وموضوعة ، وأخبار إسرائيلية منكرة ، وقصص تالفة لا طائل بذكرها . ومن ذلك الحديث الموضوع في فضائل القرآن ، سورةً ،سورةَ ، حيث رواه الثعلبي في تفسيره منجماً عند كل سورة ما يناسبها وتبعه على ذلك تلميذه الواحدي وذلك في "الوسيط" وسار على طريقتهما الزمخشري في "الكشاف" وقد نص الأئمة الحفاظ على وضعه.

١١- كشف البحث عن علاقة تناسب في النص القرآني من ثلاثة جوانب:

الجانب الاول: التناسب بين اسم السورة مع مضمونها.

الجانب الثاني: التناسب بين مطلع السورة مع خاتمتها.

الجانب الثالث: التناسب بين السورة مع ما قبلها وما بعدها.

١٢- اهتم البحث بدراسة المكيّ والمدنيّ من الآيات؛ لأنه موضوع بالغ الأهميّة بالنسبة للدراسات القرآنية، وله دور في أكثر من مجال.

١٣- حاول هذا البحث استخلاص أهم مقاصد كل سورة، والوقوف على ما اهتم به القرآن من قضايا الوجود، وما تتطلع إليه النفس البشرية من أنواع الهداية.، إذ تمثّل مقاصد القرآن الكريم المدخل السليم للتعريف بالدين الإسلامي تعريفاً صحيحاً لا يشوبه التشويه، وبيانه بيانا سليما لا يعتريه الخلل، وتوضيحه توضيحا كاملا لا يرد عليه النقص أو الزلل، ذلك أن مقاصد القرآن هي الكاشفة لحقائق الإسلام ومعالمه، وهي المرشدة إلى معانيه وقيمه، وهي الهادية إلى أسراره وغاياته. والتعريف العام بدين الإسلام إنما يعتمد ابتداء على التصور الصحيح لمقاصد القرآن الكريم نفسه، وإدراك غاياته ومعانيه، ومعرفة أهدافه ومراميه.

وأخيرا أرجو من الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منا هذا العمل، وأن يجعل فيه العلم النافع ليكون وسيلة نرى من خلالها عظمة هذا القرآن وعظمة منزل القرآن عزَّ وجلَّ، ويعلم الله أنني لم أدخر جهداً لإنجاز هذا البحث، فما كان فيه من توفيق فمن الله، وما كان فيه من خطأ أو سهو أو نسيان فمني ومن الشيطان، وحسبي قول الله تعالى:" لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا ".

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المؤلف

المصادر والمراجع العامة

القرآن الكريم.

- الإتقان في علوم القرآن. جلال الدين السيوطي ٩١١هـ تحقيق مركز الدراسات القرآنية مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف .
- أسباب النزول عن الصحابة والتابعين": لعبد الفتاح القاضي، دار الندوة-بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.
- أسباب نزول القرآن": للواحدي، تحـ السيد أحمد صقر، دار الكتاب الجديد-مصر، ط١، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.
- أسباب نزول القرآن"، دراسة وتحليل لعبد الرحيم أبو علبة، الوكالة العربية للتوزيع.
- الأعلام": للزركلي، بيروت ط٣.
- البحر المحيط: لأبي حيان "ت٤٧٥هـ"، مصورة دار الفكر-بيروت، ط٢، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
- البحر المحيط: للزركشي، "ت٧٩٤هـ" تحـ د. عمر سليمان الأشقر، الكويت ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.
- بحوث منهجية في علوم القرآن. موسى إبراهيم لإبراهيم، دار عمّار عمان، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ.
- البداية والنهاية: لابن كثير "ت٤٧٧هـ"، مصورة مكتبة المعارف-بيروت.
- البرهان في علوم القرآن": للزركشي، تحـ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر-بيروت-ط٣، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- البرهان في علوم القرآن. بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ٧٩٤هـ تحقيق أبي الفضل الديمياطي دار الحديث القاهرة ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.
- تاريخ الإسلام: للذهبي، تحـ د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، وتحـ د، بشار عواد والشيخ شعيب الأرنؤوط ود. صالح مهدي، مؤسسة الرسالة، بيروت ط١، ١٤٠٨هـ.
- تاريخ الطبري: تحـ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف-القاهرة، ط٥.
- التحرير والتنوير: لمحمد طاهر بن عاشور، منشورات دار الكتب الشرقية-بتونس، ١٣٧٦هـ-١٩٥٦م.
- تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف": للمزي، تحـ عبد الصمد شرف الدين، المكتب الإسلامي-بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- تدريب الراوي": للسيوطي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- تذكرة الحفاظ": للذهبي، مصورة دار أحياء التراث العربي، عن طبعة الهند.
- الترغيب والترهيب": للمنذري "ت٦٥٦هـ"، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ.
- تفسير القرآن العظيم : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [٧٠٠ -٧٧٤ هـ]، المحقق : سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.
- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ.

- تفسير مقاتل بن سليمان: تح: د. عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ.
- التفسير والمفسرون. محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة القاهرة. الطبعة السابعة ٢٠٠٠م.
- التمهيد": لابن عبد البر، مطبعة فضالة المحمدية-المغرب، ابتدئ به في ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.
- تهذيب التهذيب: لابن حجر، مصورة دائرة المعارف العثمانية-الهند.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال: للمزي، تحـ د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- تهذيب تاريخ ابن عساكر: لعبد القادر بدران "ت١٣٤٦هـ"، دار المسيرة بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- تهذيب وترتيب الإتقان في علوم القرآن. لمحمد بن عمر بن سالم بازمول، دار الهجرة الرياض بالاشتراك مع دار ابن عفان القاهرة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م .
- جامع البيان عن تأويل القرآن المعروف بتفسير الطبري. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ٣١٠هـ بتحقيق محمود محمد شاكر مكتبة ابن تيمية القاهرة .
- جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري(٣١٠هـ)- تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم-وسننه وأيامه. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦٦هـ) تحقيق محب الدين الخطيب ترقيم وفهرست محمد فؤاد عبد الباقي المكتبة السلفية القاهرة الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ .
- الجامع لأحكام القرآن": للقرطبي "ت٦٧١هـ" دار الكتب العلمية-بيروت لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- الجرح والتعديل: لابن أبي حاتم الرازي، دائرة المعارف العثمانية-بحيدر آباد الدكن-الهند ط١، ١٣٧٢هـ-١٩٥٢م.
- جمال القراء وكمال الإقراء. أبو الحسن علم الدين علي بن محمد السخاوي ٦٤٣هـ تحقيق: مروان العطية ومحسن خرابة، نشر دار المأمون للتراث دمشق ١٤١٨هـ ١٩٩٧م .
- دراسات في علوم القرآن. د. محمد بكر إسماعيل، دار المنار القاهرة الطبعة الثانية ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت
- دلائل النبوة لأبي نعيم (ت ٤٣٠) ، عالم الكتب، بيروت.
- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة": للبيهقي، تحـ د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- دليل كتب علوم القرآن المسندة المطبوعة حتى عام ١٤٢٧هـ . للأستاذ فؤاد بن عبده أبو الغيث مسؤول وحدة المعلومات بمركز الدراسات والمعلومات القرآنية ، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية العدد ٢ ذو الحجة ١٤٢٧هـ.

- ذكر أسماء من تكلم فيه وهو موثوق: للذهبي "٦٧٣-٧٤٨هـ"، د. محمد شكور، مكتبة المنار-الزرقاء، الأردن ط١ "١٤٠٦هـ-١٩٨٧م".
- ذيل طبقات الحفاظ": للسيوطي "في ذيول تذكرة الحفاظ للحسيني وابن فهد والسيوطي"، مصورة دار أحياء التراث العربي.
- الرسالة. أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ٢٠٤هـ تحقيق وتعليق أحمد شاكر (بدون بيانات).
- زاد المسير في علم التفسير: لابن الجوزي "٥٠٨-٥٩٧"، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.
- زاد الميعاد في هدي خير العباد": لابن القيم الجوزية "ت٥٧١هـ"، تحـ شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة-بيروت ط٤، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- السبعة في القراءات": لابن مجاهد، تحـ الدكتورشوقي ضيف، دار المعارف-مصر ط٣.
- سنن ابن ماجه": تحـ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية-القاهرة.
- سنن أبي داود للإمام سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥) المكتبة العصرية بيروت.
- سنن الترمذي": "ت٢٩٧هـ"، تحـ أحمد محمد شاكر وكمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.
- سنن الدارقطني وبذيلة التعليق المغني": لمحمد شمس الحق العظيم آبادي، طبعة عالم الكتب-بيروت.
- سنن الدارمي": "ت٢٥٥هـ" بعناية محمد أحمد دهمان، دار إحياء السنة النبوية، وطبعة عبد الله هاشم يماني المدني دار المحاسن للطباعة-القاهرة.
- السنن الكبرى": للبيهقي، مصورة دار الفكر-بيروت.
- سنن النسائي": رقمه وفهرسه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر-بيروت، ط٢، ١٤٠٦.
- سنن سعيد بن منصور": تحـ حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفية.
- سير أعلام النبلاء": للذهبي، تحـ مجموعة من الأساتذة، مؤسسة الرسالة بيروت، ط٤، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- السير والمغازي": لابن إسحاق، تحـ سهيل زكار، دار الفكر-بيروت، ط، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
- السيرة النبوية الصحيحة": لأكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم-المدينة المنورة، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- السيرة النبوية": لابن هشام، تحـ مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار الفكر-بيروت.
- شرح السنة للبغوي (ت ٥١٦) المكتب الإسلامي.
- شرح صحيح مسلم": للنووي، دار الفكر-بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.
- شرح علل الترمذي": لابن رجب الحنبلي، "ت ٧٩٥هـ"، الأردن، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- شرح معاني الآثار للإمام الطحاوي (ت ٣٢١) مطبعة الأنوار المحمدية.
- شرح مقدمة التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية. الشيخ محمد بن صالح العثيمين، تخريج تحقيق وتعليق إسلام منصور عبد الحميد، دار البصيرة الإسكندرية ٢٠٠٣م.

- صحيح ابن خزيمة": تحـ محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي-بيروت، ط١، ١٣٩١هـ-١٩٧١م.
- صحيح البخاري مع فتح الباري": لابن حجر، دار المعرفة-بيروت.
- الصحيح المسند من أسباب النزول": لأبي عبد الرحمن مقبل الوادعي، مكتبة ابن تيمية-القاهرة، ط٤، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.
- صحيح مسلم": "ت٢٦١هـ"، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث-القاهرة.
- صفوة البيان لمعاني القرآن": لحسين مخلوف، الكويت ط٣.
- الضعفاء الصغير للبخاري": تحـ محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب-١٣٩٦هـ.
- الضعفاء الكبير": للعقيلي "ت٣٢٢هـ"، تحـ د. عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية-بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- الضعفاء والمتروكين": لابن الجوزي، "ت٥٩٧هـ"، تحـ عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- الضعفاء والمتروكين": للدارقطني "ت٣٨٥هـ"، تحـ صبحي السامرائي، مؤسسة الرسالة، بيروت ط٢، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
- الضعفاء": للنسائي، تحـ محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، ١٣٩٦هـ.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع": لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة-بيروت.
- طبقات الحفاظ": للسيوطي، تحـ علي محمد عمر، مكتبة وهبة-القاهرة، ط١، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.
- الطبقات الكبرى": لابن سعد محمد بن سعد بن منيع "ت٢٣٠هـ"، دار صادر-بيروت، طبع سنة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها": لأبي الشيخ الأنصاري "٢٧٤-٣٦٩هـ"، تحـ عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- طبقات المفسرين": للداودي "ت٩٤٥هـ"، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- طبقات المفسرين": للسيوطي، دار الكتب العلمية-بيروت.
- طبقات علماء الحديث" لابن عبد الهادي "ت٧٤٤هـ"، تحـ أكرم البوشي وإبراهيم زيبق، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ.
- عشرة النساء للنسائي (٣٠٣) ، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.
- علل الحديث": لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد الرازي الحنظلي، المطبعة السلفية-القاهرة، ١٣٤٤هـ.
- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ابن الجوزي، دار نشر الكتب الإسلامية، باكستان.
- علوم القرآن بين البرهان والإتقان دراسة موازنة. الدكتور حازم سعيد حيدر؛ مكتبة دار الزمان المدينة المنورة الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م .
- علوم القرآن تاريخه ...وتصنيف أنواعه . الدكتور مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار ؛ مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية العدد١ ربيع الآخر ١٤٢٧هـ.

- علوم القرآن من خلال مقدمات التفسير. الدكتور محمد صفا شيخ إبراهيم حقي، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م .
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري": إخراج محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة-بيروت، لبنان.
- الفتح السماوي": للمناوي "ت١٠٣١هـ"، تحـ أحمد مجتبى بن نذير السلفي، دار العاصمة-الرياض ط١، ١٤٠٩هـ.
- فتح القدير": للشوكاني "ت١٢٥٠هـ"، البابي الحلبي، مصر ط٢، ١٣٨٣هـ.
- فنون الأفنان في عيون علوم القرآن. عبد الرحمن بن الجوزي ٥٩٧هـ تحقيق الدكتور حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية بيروت ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.
- كتاب العين. الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل": للزمخشري، "ت٥٣٨هـ"، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ
- كشف الأستار عن زوائد البزار- لنور الدين الهيثمي (ت ٨٠٧) مؤسسة الرسالة.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للمتقي الهندي (ت ٩٧٥) . مؤسسة الرسالة.
- لباب النقول في أسباب النزول": للسيوطي، دار إحياء العلوم-بيروت.
- لسان الميزان": لابن حجر، مصور "مؤسسة الأعلمي"، بيروت ط٢، ١٣٩٠هـ-١٩٧١م، دار الفكر-بيروت.
- لطائف البيان في علوم القرآن. الدكتور مصطفى آكرور ، دار الإمام مالك الجزائر ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م.
- لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير. الدكتور محمد بن لطفي الصّباغ، المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الثالثة سنة ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.
- مباحث في علوم القرآن. الدكتور محمد الدراجي، دار قرطبة الجزائر ١٤٣١هـ ٢٠١٠م.
- المجروحين": لابن حبان، تحـ محمود إبراهيم زايد، صدر عن دار الوعي-حلب ط١، ١٣٩٦هـ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد": للهيثمي، طبعة دار الكتاب، بيروت سنة ١٩٦٧م.
- مجموع فتاوي ابن تيمية": جمع عبد الرحمن العاصي النجدي مصورة مكتبة ابن تيمية-مصر.
- محاسن التأويل": للقاسمي دار إحياء الكتب العربية، البابي الحلبي-القاهرة، ط١، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م.
- محاضرات في علوم القرآن": لغانم قدوري حمد، دار الكتاب-بغداد، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م. تم طبع بعنوان "علوم القرآن الكريم".
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز": لابن عطية، تحـ مجموعة، الدوحة، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٧٧م.
- المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية، خالد بن سليمان المزيني، دار ابن الجوزي، الدمام - المملكة العربية السعودية، ط١، (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م).

- مختار الصحاح. زين الدين محمد بن أبي بكر الرازي، ترتيب: محمود خاطر، تحقيق: حمزة فتح الله، مؤسسة الرسالة١٤١٤هـ ١٩٩٤م.
- مختصر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي. صلاح الدين أرقه دان، دار النفائس بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- المدخل لدراسة القرآن الكريم . الأستاذ الدكتور محمد أبو شهبة. دار اللواء للنشر والتوزيع الرياض الطبعة الثالثة: ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .
- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز. شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بابن شامة المقدسي (٦٦٥هـ) تحقيق: طيار آلتي قولاج، نشر دار صادر بيروت سنة ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م.
- مرويات الإمام أحمد بن حنبل في التفسير": جمع وتخريج حكمت بشير ياسين وآخرين، مكتبة المؤيد-السعودية، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- المستدرك على الصحيحين": للحاكم حيدر آباد، الهند، ط١، ١٣٣٤هـ-١٣٤٠هـ.
- مسند أبي داود الطيالسي": مصورة عن طبعة دائرة المعارف النظامية في الهند ط١، ١٣٢١هـ.
- مسند أبي يعلى الموصلي": تحـ حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، ط١، ١٤٠٤هـ.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل" أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)،وتحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- مسند الحميدي": "ت٢١٩هـ"، تحـ حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية ط١-بيروت، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.
- مسند أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز": للباغندي "ت٣١٢هـ" تحـ الشيخ محمد عوامة. مؤسسة علوم القرآن، د. ب، ط٢ ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- المسند": لأبي عوانة، طبعة دائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد الدكن-الهند، ١٣٦٢هـ فما بعدها.
- مشاهير علماء الأمصار": لابن حبان البستي "ت٣٥٤هـ" عنى بتصحيحة م. فلا يشهمر، القاهرة، ١٣٧٩هـ-١٩٥٩م.
- المشتبه": للذهبي، تحـ على محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية-القاهرة، ١٩٦٢م.
- مشكل الآثار"، للطحاوي، دار صادر-بيروت عن طبعة دائرة المعارف العثمانية-الهند.
- المصاحف لابن أبي داود، المطبعة الرحمانية بمصر، ١٩٣٦ م.
- المصنف": لعبد الرزاق، تحـ حبيب الرحمن الأعظمي، من منشورات المجلس العلمي ط١.
- المصنوع في معرفة الحديث الموضوع": للشيخ علي القاري "ت١٠١٤هـ"، تحـ الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية-بيروت، ط٢، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية": لابن حجر، تحـ حبيب الرحمن الأعظمي، المطبعة العصرية-الكويت، ط١، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.
- معاني القرآن": لأبي جعفر النحاس "ت٣٣٨هـ"، تحـ محمد علي الصابوني، شركة مكة للطباعة، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

- معاني القرآن": للزجاج، تحـ عبد الجليل عبده شلبي، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- المعجم الصغير": للطبراني مع "الروض الداني"، تحـ محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي-بيروت دار أبو عمار-عمان، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- المعجم الكبير": للطبراني "ت٣٦٠هـ"، تحـ حمدي السلفي، طبعة وزارة الأوقاف العراقية-بغداد، ط١، ١٣٩٩م.
- معرفة الثقات": للعجلي، تحـ عبد العليم عبد العظيم البستوي، مكتبة الدار-المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- معرفة الرجال": عن يحيى بن معين رواية ابن محرز في جزأين حقق الأول محمد كامل القصار والثاني محمد مطيع الحافظ وغزوة بدر، مطبوعات مجمع اللغة العربية-دمشق، ١٤٠٥هـ.
- معرفة الصحابة": لأبي نعيم، تحـ محمد راضي بن حاج عثمان، مكتبة الدار-المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٨هـ.
- المغني في الضعفاء": للذهبي، تحـ نور الدين عتر، دار المعارف-حلب.
- مفاتيح الغيب": "تفسير الرازي"، دار الفكر-بيروت ط٣، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- مقاييس اللغة. أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق شهاب الدين أبو عمر، دار الفكر بيروت .
- المقدمات الأساسية في علوم القرآن. عبد الله بن يوسف الجُدَيْع،مركز البحوث الإسلامية ليدز بريطانيا توزيع دار الريان سنة ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م .
- مقدمة التفسير": لابن تيمية ضمن "مجموع الفتاوي"، جمع، عبد الرحمن العاصمي الحنبلي، مكتبة ابن تيمية-مصر.
- مقدمة في أصول التفسير. شيخ الإسلام ابن تيمية ٧٢٨هـ ، دار الفجر الجزائر١٤٢٢هـ ٢٠٠١م
- مناهل العرفان في علوم القرآن. الشيخ عبد العظيم الزرقاني تحقيق الدكتور نواف الجرّاح دار صادر بيروت ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.
- موارد الظمآن": للهيثمي "ت٨٠٧هـ"، تحـ محمد عبد الرزاق حمزة، دار الكتب العلمية-بيروت.
- الموافقات": للشاطبي "ت٧٩٠هـ"، بعناية محمد عبد الله دراز، دار المعرفة-بيروت.
- موسوعة علوم القرآن. الدكتور عبد القادر منصور، دار القلم العربي حلب سنة ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م .
- الموضوعات": لابن الجوزي "ت٥٩٧هـ"، تحـ عبد الرحمن محمد عثمان، مكتبة ابن تيمية، ط٢، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- الموطأ": للإمام مالك بن أنس برواية أبي مصعب الزهري، تحـ بشار عواد، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
- الموقظة": للذهبي، بعناية عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط١، ١٤٠٥هـ.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال": للذهبي "ت٧٤٨هـ"، تحـ علي محمد البجاوي، دار الفكر للطباعة.
- الناسخ والمنسوخ": لأبي جعفر النحاس، تحـ محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح-الكويت، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- النكت والعيون": للماوردي "٣٦٤-٤٥٠هـ"، تحـ خضر محمد خضر، مطابع المقهوي-الكويت، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

- النهاية في غريب الحديث والأثر": لابن الأثير "ت٦٠٦هـ" تحـ طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية-بيروت.
- نواسخ القرآن": لابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- وفيان الأعيان وأنباء أبناء الزمان": لابن خلكان "ت٦٨١هـ"، تحـ إحسان عباس، دار صادر-بيروت.
- الواضح في علوم القرآن. د.مصطفى ديب البغا و الأستاذ محيي الدين ديب متو، دار العلوم الإنسانية بدمشق بالاشتراك مع دار الكلم الطيب بدمشق ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.